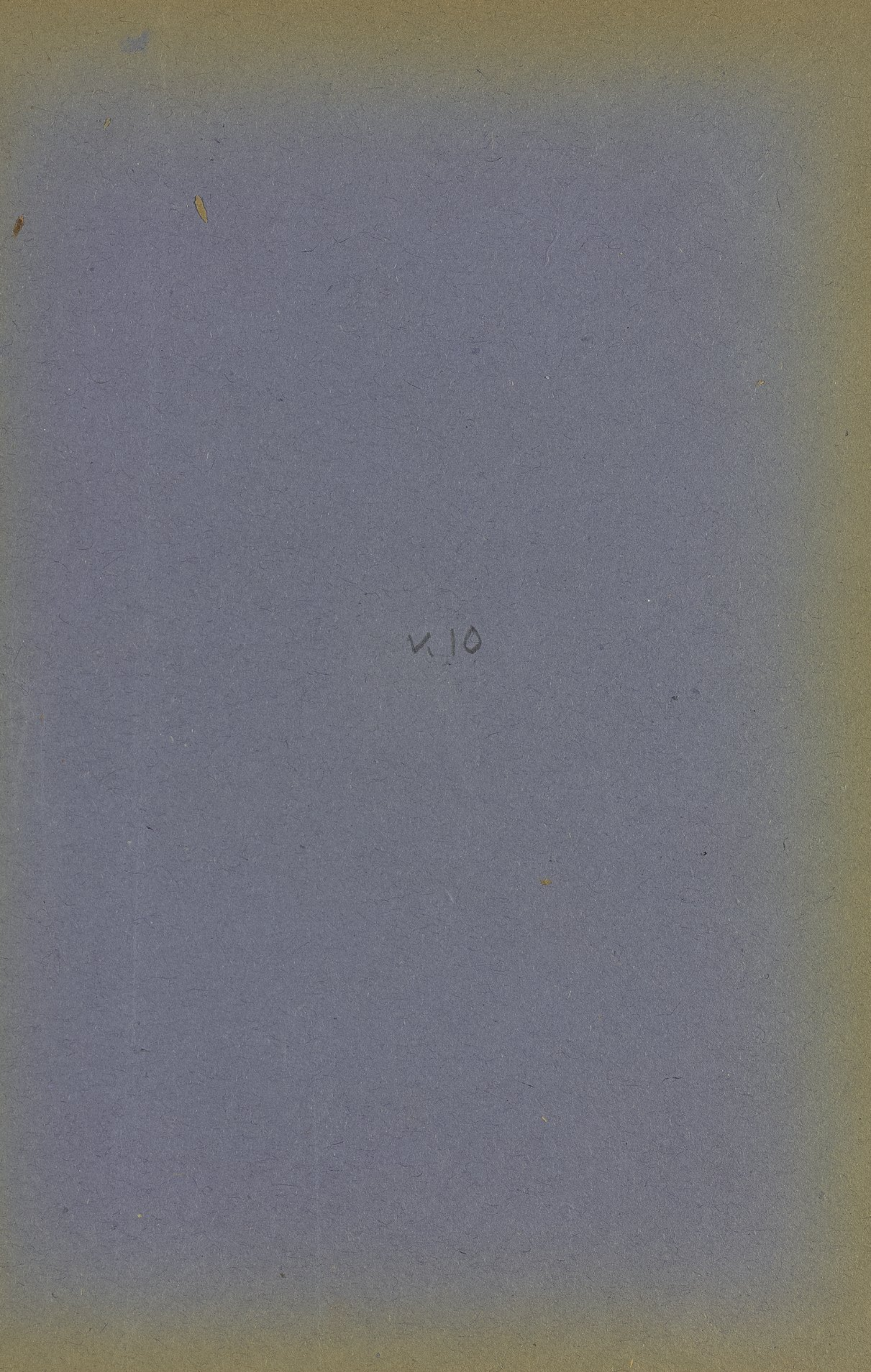

١٠


V.10

(فهرسة الجزء العاشر من تاريخ الكامل)

صحيفة

صحيفة

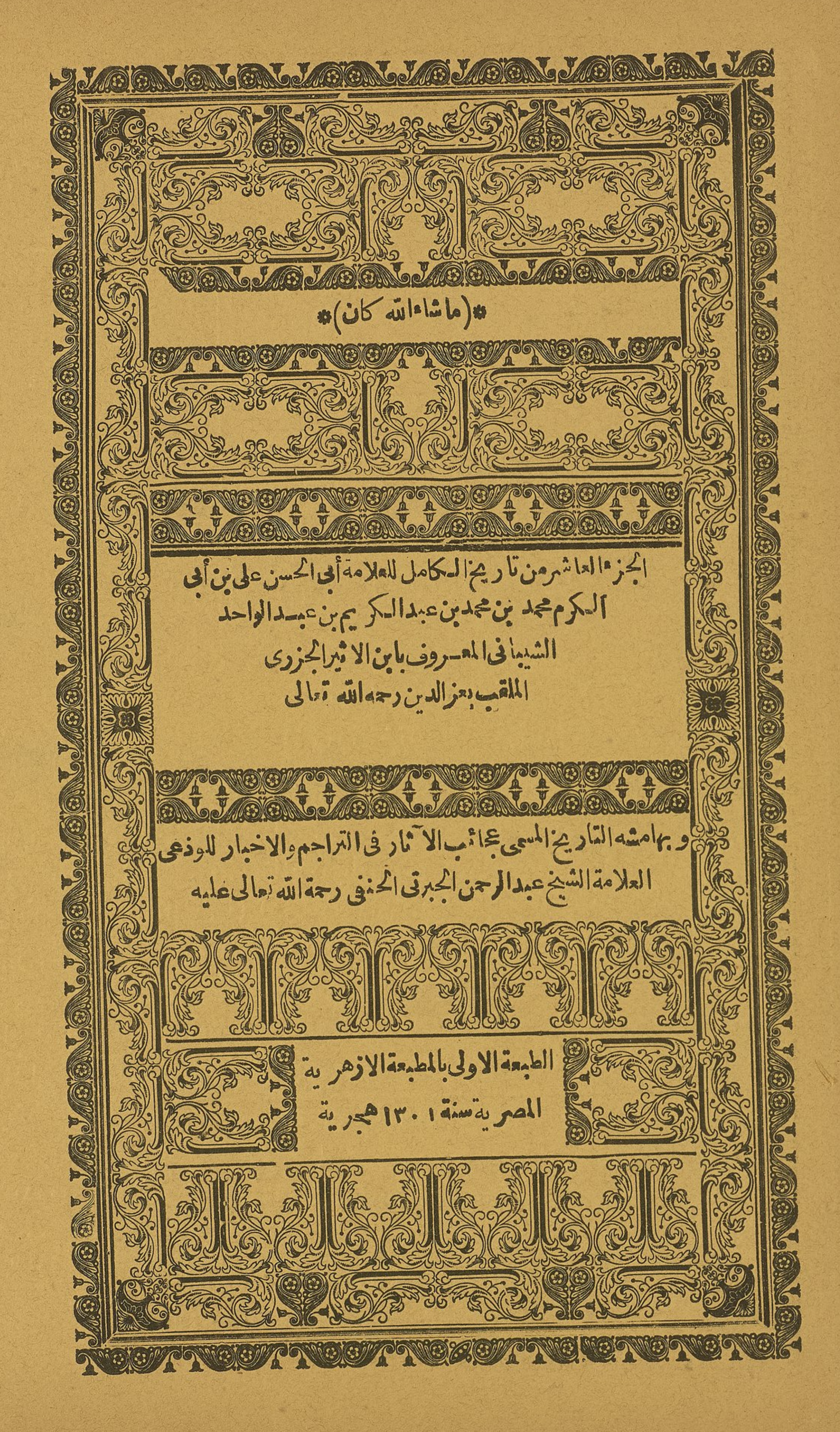
صحيفة

صحيفة

(تمت)

(فهرست الجزء العاشر من تاريخ العلامة الجبرتى)

(تمت)

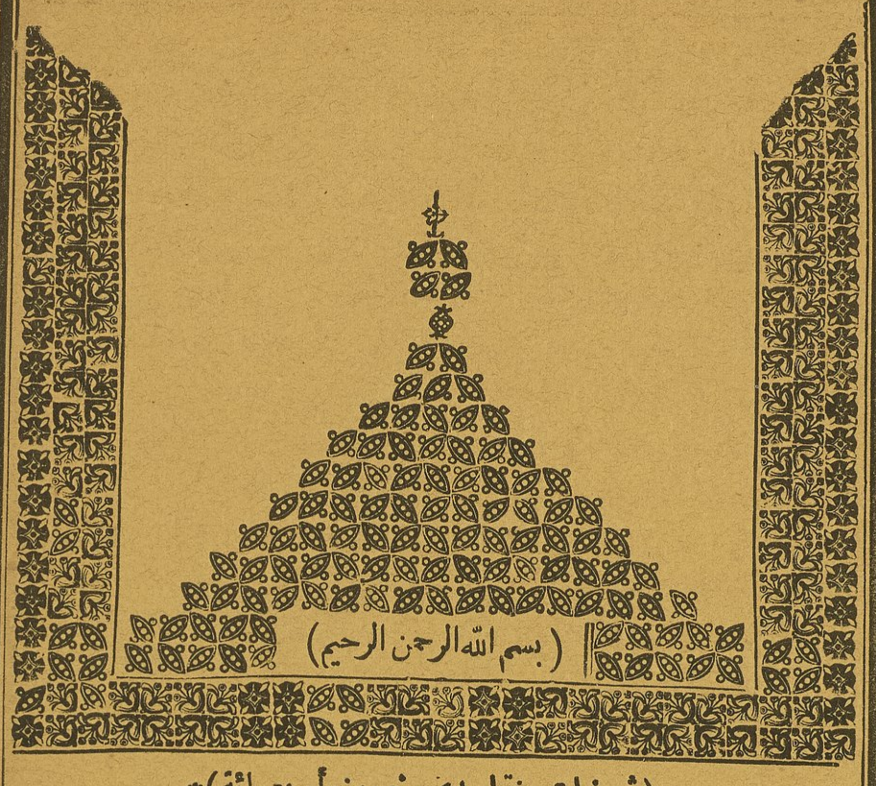


(ماشاء الله كان)

الجزء العاشر من تاريخ الكامل للعلامة أبى الحسن على بن أبى
الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد
الشيبانى المعروف بابن الاثير الجزرى
الملقب بعز الدين رحمه الله تعالى

وبهامشه التاريخ المسمى عجائب الآثار فى التراجم والاخبار للوذعى
العلامة الشيخ عبد الرحمن الجبرتى الحنفى رحمة الله تعالى عليه

الطبعة الاولى بالمطبعة الازهرية
المصرية سنة ١٣٠١ هجرية



(ثم دخلت سنة احدى وخمسين وأربعمائة)

(ذكر وفاة فرخزاد صاحب غزنة وملك أخيه ابراهيم)

في هذه السنة في صفر توفي الملك فرخزاد بن مسعود بن محمود بن سبكتكين صاحب غزنة وكان قد ثار به مماليكه سنة خمسين واتفقوا على قتله فقصدوه وهو في الحمام وكان معه سيف فاخذه وقاتلهم ومنعهم عن نفسه حتى أدركه أصحابه وخلصوه وقتلوا أولئك الغلمان وصار بعد أن نجا من هذه الحادثة يكثر ذكر الموت ويحتقر الدنيا ويزدريها وبقي كذلك الى هذه السنة فاصابه قولنج فمات منه وملك بعده أخوه ابراهيم ابن مسعود بن محمود فاحسن السيرة فاستعد لجهاد الهند ففتح حصونا امتنعت على أبيه وجده وكان يصوم رجبا وشعبان ورمضان

(ذكر الصلح بين الملك ابراهيم وجغري بك داود)

في هذه السنة استقر الصلح بين الملك ابراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين وبين داود بن ميكائيل بن سلجوق صاحب خراسان على أن يكون كل واحد منهما على ما بيده ويترك منازعة الآخر في ملكه وكان سبب ذلك ان العقلاء من الجانبين نظروا فرأوا ان كل واحد من الملكين لا يقدر على أخذ ما بيد الآخر وليس يحصل غير انفاق الاموال واتعاب العساكر ونهب البلاد وقتل النفوس فسعوا في الصلح فوقع الاتفاق واليمين وكتبت النسخ بذلك فاستبشر الناس وسرهم لما أشرفوا عليه من العافية

(وصورته بالحرف)
بسم الله الرحمن الرحيم الرؤف الحليم الحمد لله ذي الجلال على جميع الشؤن والاحوال نرفع اليك اكفا من بحر جودك مغترفة ونتوجه الى كعبة فضلك بقلوب بخالص الوحدانية معترفة ان تديم بهجة الزمان ورونق عنوان اليمن والامان بدوام وزير تخضع لمهابته الرقاب وتدنو لهمة سطوته المهمات الصعاب منتهى آمال المقاصد والوسائل ومحط رحال المطالب من كل سائل حضرة صدر الصدور ومدبر مهمات الامور الصدر الاعظم محمد علي باشا أدام الله دعائم العز بقيامه وفسح للانام في ايامه محفوفا بعناية الرب الكريم محفوظا بآيات القرآن العظيم آمين اما بعد رفع اكف القصد والرجاء ومد سواعد الخضوع والالتجاء فاننا ننهي لمسامعكم العلية وشيم اخلاقكم المرضية بانه قد قدم حضرة الدستور المكرم والمشير المفخم مدبر مهمات الاشكالات البحرية خادم الدولة العلية الوزير قبودان

(ذكر وفاة داود وملك ابنه ألب ارسلان)

فى هذه السنة فى رجب توفى جغرى بك داود بن ميكائيل بن سلجوق أخو السلطان طغرلبك وقيل كان موته فى صفر سنة اثنتين وخمسين وعمره نحو سبعين سنة وكان صاحب خراسان وهو مقابل آل سبكتكين ومقاتلهم ومانعهم عن خراسان فلما توفى ملك بعده خراسان ابنه السلطان الب ارسلان وخلف داود عدة أولاد ذكور ومنهم السلطان ألب ارسلان وياقوتى وسليمان وقاروت بك فتزوج أم سليمان السلطان طغرلبك بعد أخيه داود ووصى له بالملك بعده وكان من أمره مانذكره وكان خيرا عادلا حسن السيرة معترفا بنعمة الله تعالى عليه شاكرا عليها فمن ذلك انه أرسل الى أخيه طغرلبك مع عبد الصمد قاضى سرخس يقول له بلغنى اخرابك البلاد التى فتحتها وملكتها وجلاء أهلها عنها وهذا ما لاخفاء به فى مخالفة أمر الله تعالى فى عباده وبلاده وأنت تعلم مافيه من سوء السمعة وايحاش الرعية وقد علمت اننا لقينا أعداءنا ونحن فى ثلاثين رجلا وهم فى ثلثمائة فغلبناهم وكنا فى ثلثمائة وهم فى ثلاثة آلاف فغلبناهم وكنا فى ثلاثة آلاف وهم فى ثلاثين ألفا فدفعناهم وقاتلنا بالامس شاه ملك وهو فى اعداد كثيرة متوافرة فقهرناه وأخذنا مملكته بخوارزم وهرب من بين أيدينا الى خمسمائة فرسخ من موضعه فظفرنا به وأسرناه وقتلناه واستولينا على ممالك خراسان وطبرستان وسجستان وصرنا ملوكا متبوعين بعد ان كنا أصاغر تابعين وما تقتضى نعم الله علينا ان نقابلها بهذه المقابلة فقال طغرلبك قل له فى الجواب يا أخى أنت ملكت خراسان وهى بلاد عامرة فخربتها ووجب عليك مع استقرار قدمك عمارتها وانا وردت بلادا خربها من تقدمنى واجتاحها من كان قبلى فما أتمكن من عمارتها والاعداء محيطة بها والضرورة تقود الى طرقها بالعساكر ولا يمكن دفع مضرتها عنها وله مناقب كثيرة تركناها خوف التطويل

(ذكر حريق بغداد)

فى هذه السنة احترقت بغداد الكرخ وغيره وبين السورين واحترقت فيه خزانة الكتب التى وقفها اردشير الوزير ونهبت بعض كتبها وجاء عميد الملك الكندرى فاختار من الكتب خيرها وكان بها عشرة آلاف مجلد وار بعمائة مجلد من اصناف العلوم منها مائة مصحف بخطوط بنى مقلة وكان العامة قد نهبوا بعضها لما وقع الحريق فازالهم عميد الملك وقعد يختارها فنسب ذلك الى سوء سيرته وفساد اختياره وشتان بين فعله وفعل نظام الملك الذى عمر المدارس ودون العلم فى بلاد الاسلام جميعها ووقف الكتب وغيرها

(ذكر انحدار السلطان الى واسط وما فعل العسكر واصلاح دبيس)

فى هذه السنة انحدر السلطان طغرلبك الى واسط بعد فراغه من امر بغداد فرآها قد نهبت وحضر عنده هزارسب بن بنكير واصلح معه حال دبيس بن مزيد واحضره معه الى

باشا الى ثغر سكندرية فارسل كتخدا البوابين سعيد أغا وصحبته الامر الشريف ٣ الواجب القبول والتشريف المعنون بالرسم الهمايونى العالى دامت مسراته على ممر الدهور والاعوام والايام والليالى فاوضح مكنونه وافصح مضمونه بانه قد تطاولت العداوة بين الوزير محمد على باشا وبين الامراء المصريين فتعطلت مهمات الحرمين الشريفين من غلال ومرتبات وتنظيم امير الحاج على حكم سوابق العادات والحال انه ينبغى تقديم ذلك على سائر المطلوبات وان هذا التاخير سببه كثرة العساكر والعلوفات وترتب على ذلك لكامل الرعية بالاقاليم المصرية الدمار والاضمحلال وانهت الامراء المصرية هذه الكيفية لحضرة السدة السنية وانهم يتعهدون بالتزام جميع مرتبات الحرمين الشريفين من غلال وعوائد ومهمات واخراج امير الحاج على حكم اسلوب المتقدمين مع الامتثال لكامل مايرد من الاوامر الشريفة الى ولاة الامور بالديار المصرية وانهم يقومون فى كل سنة بدفع الاموال الميرية الى خزينة الدولة العلية ان حصل لهم العفو عن جرائمهم الماضية والرضا بدخولهم مصر المحمية والتمسوا من حضرة الدولة العلية قبول ذلك منهم وبلوغهم مامولهم فاصدر لهم الامر الهمايونى الشريف المطاع المنيف بعزل الوزير المشار اليه لتقرير العداوة معه ووجهتم له ولاية سلانيك

خدمة السلطان واصعد فى صحبته الى بغداد وكذلك صدقة بن منصور بن الحسين وضمن واسطا ابو على بن فضلان بمائتى الف دينار وضمن البصرة الاغر ابو سعد سابور ابن المظفر وعبر السلطان الى الجانب الشرقى من دجلة وسار الى قرب البطائح فنهب العسكر ما بين واسط والبصرة والاهواز واصعد السلطان الى بغداد فى صفر سنة اثنتين وخمسين ومعه ابو الفتح بن ورام وهزارسب بن بنكير بن عياض ودبيس بن مزيد وابو على ابن الملك ابى كاليجار وصدقة بن منصور بن الحسين وغيرهم واجتمع السلطان بالخليفة وامر الخليفة بعمل طعام كثير حضره السلطان والامراء واصحابهم وعمل السلطان ايضا سماطا احضر فيه الجماعة وخلع عليهم وسار الى بلاد الجبل فى شهر ربيع الاول سنة اثنتين وخمسين وجعل ببغداد شحنة الامير برسق وضمنها ابو الفتح المظفر بن الحسين ثلاث سنين باربعمائة الف دينار

❁(ذكر عدة حوادث)❁

فى هذه السنة عزل ابو الحسين بن المهتدى من الخطابة بجامع المنصور لانه خطب للعلوى ببغداد فى الفتنة واقيم مقامه بها الشريف ابو على الحسن بن عبد الودود بن المهتدى بالله وفيها توفى على بن محمد بن ابراهيم الزوزنى ابو الحسن صحب ابا الحسن الحصرى وروى عن ابى عبد الرحمن السلمى وهو الذى ينسب اليه رباط الزوزنى المقابل لجامع المنصور وفيها فى جمادى الاولى توفى محمد بن على بن الفتح بن محمد بن على ابو طالب العشارى ومولده فى المحرم سنة ست وستين وثلثمائة وسمع الدارقطنى وغيره

❁(ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين واربعمائة)❁

❁(ذكر عود ولى العهد الى بغداد مع ابى الغنائم بن المحلبان)❁

فى جمادى الآخرة ورد عدة الدين ابو القاسم المقتدى بامر الله ولى العهد ومعه جدته أم الخليفة وخرج الناس لاستقباله وجلس فى الزبزب وعلى رأسه أبو الغنائم بن المحلبان وقدم له بباب الغربة فرس فحمله ابن المحلبان على كتفه واركبه وسلمه الى مجلس الخليفة فشكره وخرج ابن المحلبان فركب فى الزبزب وانحدر الى دار افردت له بباب المراتب ودخل الى الخليفة واجتمع به وكان سبب مسير ولى العهد مع ابن المحلبان انه دخل داره فوجد زوجة رئيس الرؤساء واولادها بها وهم مطلوبون من البساسيرى فعرفوه ان رئيس الرؤساء أمرهم بقصده فادخلهم الى أهله وأقام لهم من حملهم الى ميافارقين فساروا مع قرواش لما أصعد من بغداد ولم يعلم بهم ثم لقيه أبو الفضل محمد بن عامر الوكيل وعرفه ما عليه ولى العهد ومن معه من ايثار الخروج من بغداد وما هم عليه من تناقص الحال فبعث ابن المحلبان زوجته فاتتهم سرا فتركهم عنده ثمانية أشهر وكان يحضر ابن البساسيرى وأصحابه ويعمل لهم الدعوات وولى العهد ومن معه مستترون عنده يسمعون ما يقولوا وانشد فيهم شيئا كثيرا لهم وسار هو فى صحبتهم الى قريب سنجار ثم حملوا الى حران وسار مع صاحبها أبى الزمام منيع بن وثاب النميرى حين

ووجهتم ولاية مصر الى الوزير موسى ٤ باشا وقبلتم توبتهم وان العلماء والوجاقلية والرؤساء والوجهاء بالديار المصرية الداعين لحضرة مولانا الخنكار ببلوغ المامولات المرضية ان تعهدوا بهم وكفلوهم يحصل لهم المساعدة الكافية حكم التماسهم من أعتاب حضرة الدولة العلية فامركم مطاع وواجب القبول والاتباع غير اننا نلتمس من شيم الاخلاق المرضية والمراحم العلية العفو عن تعهدنا وكفالتنا لهم فان شرط الكفيل قدرته على المكفول ونحن لا قدرة لنا على ذلك لما تقدم من الافعال الشهيرة والاحوال والتطورات الكثيرة التى منها خيانة المرحوم السيد على باشا والى مصر سابقا بعد واقعة ميرميران طاهر باشا وقتل الحجاج القادمين من البلاد الرومية وسلب الاموال بغير اوجه شرعية والصغير لا يسمع كلام الكبير والكبير لا يستطيع تنفيذ الامر على الصغير وغير ذلك مما هو معلوم لنا ومشاهد لنا خصوصا ما وقع فى العام الماضى من اقدامهم على مصر المحمية وهجومهم عليها فى وقت الفجرية وجلاهم عنها حضرة المشار اليه وقتل منهم جملة كثيرة فكانت واقعة شهيرة فهذا شئ لا ينكر فحينئذ لا يمكننا التكفل والتعهد لاننا لا نطلع على ما فى السرائر وما هو مستكن فى الضمائر فنرجو عدم المؤاخذة قصد

قصد الرحبة وفتح قرقيسيا وعقد لعدة الدين على بنت منيع وانحدروا الى بغداد

(ذكر ملك محمود بن شبل الدولة حلب)

في هذه السنة في جمادى الآخرة حصر محمود بن شبل الدولة بن صالح بن مرداس الكلابي مدينة حلب وضيق عليها واجتمع معه جمع كثير من العرب فاقام عليها فلم يتسهل له فتحها فرحل عنها ثم عاودها فحصرها فملك المدينة عنوة في جمادى الآخرة بعد ان حصرها وامتنعت القلعة عليه وأرسل من بها الى المستنصر بالله صاحب مصر ودمشق يستنجدونه فامر ناصر الدولة أبا محمد الحسين بن الحسن بن حمدان الامير بدمشق ان يسير بمن عنده من العساكر الى حلب يمنعها من محمود فسار الى حلب فلما سمع محمود بقربه منه خرج من حلب ودخلها عسكر ناصر الدولة فنهبوها ثم ان الحرب وقعت بين محمود وناصر الدولة بظاهر حلب واشتد القتال بينهم فانهزم ناصر الدولة وعاد مقهورا الى مصر وملك محمود حلب وقتل عمه معز الدولة واستقام أمره بها وهذه الوقعة تعرف بوقعة الفنيدق وهي مشهورة

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة خلع السلطان طغرلبك على محمود بن الاخرم الخفاجي وردت اليه امارة بني خفاجة وولاية الكوفة وسقي الفرات وضمن خواص السلطان هناك باربعة آلاف دينار كل سنة وصرف عنها رجب بن منيع وفيها توفي أبو محمد النسوي صاحب الشرطة ببغداد وقد جاوز ثمانين سنة وفيها سد بنو ورام بثق النهروانات وشرع العميد أبو الفتح في عمارة بثوق الكرخ وفيها في ذي القعدة توفيت خاتون زوجة السلطان طغرلبك بزنجان فوجد عليها وجدا شديدا وحمل تابوتها الى الري فدفنت بها وفيها ثالث جمادى الآخرة انقض كوكب عظيم القدر عند طلوع الفجر من ناحية المغرب الى ناحية المشرق فطال لبثه وفيها جمع عطية بن صالح بن مرداس جمعا وحصر الرحبة وضيق على أهلها فملكها في صفر من هذه السنة وفيها توفيت والدة الخليفة القائم بامر الله واسمها قطر الندى وقيل بدر الدجى وقيل علم وهي جارية أرمينية وفيها توفي محمد بن الحسين بن محمد بن الحسن أبو علي المعروف بالجازري النهرواني وكان مكثرا من الرواية (الجازري بالجيم وبعد الالف زاي ثم راء) وفيها توفي بابي أبو منصور الفقيه الجيلي بالباء الموحدة وبعد الالف ياء تحتها نقطتان ومحمد بن عبيد بن أحمد بن محمد أبو عمرو بن أبي الفضل الفقيه المالكي

(ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة)

(ذكر وزارة ابن دارست للخليفة)

لما عاد الخليفة الى بغداد استخدم أبا تراب الاثيري في الانهاء وحضور المواكب ولقبه حاجب الحجاب وكان قد خدمه بالحديثة وقرب منه فخاطب الشيخ أبو منصور بن يوسف في وزارة أبي الفتح منصور بن أحمد بن دارست وقال انه يخدم بغير اقطاع ويحمل مالا

في الامور التي لاقدرة لنا عليها لاننا لانقدر على دفع المفسدين والطغاة ٥ والمتمردين الذين اهلكوا الرعايا ودمروهم فانتم خلفاء الله على خليقته وامناؤه على بريته ونحن ممتثلون لولاة اموركم في جميع ماهو موافق للشريعة المحمدية على حكم الامر من رب البرية في قوله سبحانه وتعالى يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم فلا تسعنا المخالفة فيما يرضي الله ورسوله فان حصل منهم خلاف ذلك نكل الامر فيهم الى مالك الممالك لان أهل مصر قوم ضعاف وقال عليه الصلاة والسلام أهل مصر الجند الضعيف فما كادهم أحد الا كفاهم الله مؤنته وقال أيضا وكل راع مسئول عن رعيته يوم القيامة ونفيد أيضا حضرة المسامع العلية من خصوص الفرض والسلف التي حصل منها الثقلة للاهالي من حضرة محسوبكم الوزير محمد علي باشا فانه اضطر اليها لاجل اغراء العساكر وتقويتهم على دفع الاشقياء والمفسدين والطغاة المتمردين امتثالا لاوامر الدولة العلية في دفعهم والخروج من حقهم واجتهد في ذلك غاية الاجتهاد رغبة في حلول انظار الدولة العلية فالامر مفوض اليكم والملك امانة الله تحت ايديكم نسال الله الكريم المنان أن يديم العز والامتنان لسدة السلطان مع رفعة تترشح بها في النفوس عظمته وسطوة تسري بها في القلوب مهابته وان

فاجيب الى ذلك فاحضر من الاهواز الى بغداد وخلع عليه خلعة الوزارة منتصف ربيع الآخر وجلس فى منصبه ومدحه الشعراء فممن مدحه وهناه أبو الحسن الخباز بقصيدة منها

امن الملك بالامين أبى الفتــح وصدت عن صفوه الاقذاء
دولة أصبحت وأنت ولى الــرأى فيها الدولة غـــراء

وهى طويلة وكان ابن دارست فى أول أمره تاجر الملك أبى كاليجار

(ذكر موت المعز بن باديس وولاية ابنه تميم)

فى هذه السنة توفى المعز بن باديس صاحب افريقية من مرض أصابه وهو ضعف الكبد وكانت مدة ملكه سبعا وأربعين سنة وكان عمره لما ملك احدى عشرة سنة وقيل ثمان سنين وستة أشهر وكان رقيق القلب خاشعا متجنبا لسفك الدماء الافى حد حليما يتجاوز عن الذنوب العظام حسن الصحبة مع عبيده وأصحابه مكرما لاهل العلم كثير العطاء لهم كريما وهب مرة مائة ألف دينار للمستنصر الزناتى وكان عنده وقد جاءه هذا المال فاستكثره فامر به فافرغ بين يديه ثم وهبه له فقيل له لم أمرت باخراجه من أوعيته قال لئلا يقال لو رآه ماسمحت نفسه به وكان له شعر حسن ولما مات رثاه الشعراء فمنهم أبو الحسن بن رشيق فقال

لكل حى وان طال المدى هلك * لاعز مملكة يبقى ولا ملك
ولى المعز على اعقابه فرمى * أو كاد ينهد من أركانه الفلك
مضى فقيدا وأبقى فى خزائنه * هام الملوك وما أدراك ماملكوا
ما كان الا حساما سله قدر * على الذين بغوا فى الارض وانهمكوا
كانه لم يخض للموت بحر وغى * خضر البحار اذا قيست به برك
ولم يجد بقناطير مقنطرة * قد أرعيت باسمه ابريزها السكك
روح المعز وروح الشمس قد قبضا * فانظر باى ضياء يصعد الفلك

ولما توفى ملك بعده ابنه تميم وكان مولد تميم بالمنصورية التى هى مقره منتصف رجب سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة وولاه المهدية فى صفر سنة خمس وأربعين فاقام بها الى ان وافاه أبوه المعز لما انتزح عن القيروان من العرب وقام بخدمة أبيه وأظهر من طاعته وبره ما بان به كذب ما كان ينسب اليه ولما استبد بالملك بعد أبيه سلك طريقه فى حسن السيرة ومحبة أهل العلم الا انه كان أصحاب البلاد قد طمعوا بسبب العرب وزالت الهيبة والطاعة عنهم فى أيام المعز فلما مات ازداد طمعهم واظهر كثير منهم الخلاف فممن أظهر الخلاف القائد حمو بن مليك صاحب سفاقس واستعان بالعرب وقصد المهدية ليحاصرها فخرج اليه تميم وصافه فاقتتلوا فانهزم حمو وأصحابه وكثر القتل فيهم ومضى حمو ونجا بنفسه وتفرقت خيله ورجاله وكان ذلك سنة خمس وخمسين وسار تميم الى سوسة وكان أهلها قد خالفوا أباه المعز وعصوا عليه فملكها وعفا

يبقى دولته على الانام وان يحسن البدء والختام بجاه سيدنا محمد خير البرية وآله وصحبه ذوى المناقب الوفية انتهى وكتبوا من ذلك نسختين احداهما الى القبطان وأخرى الى السلطان وكتبوا عليهما الامضاء والختوم وأرسلوهما (وفى ليلة الاثنين ثالث عشرينه) وصل شاكر أغا سلحدار الوزير الى بولاق فتلقوه وأركبوه الى بيت الباشا فلما أصبح النهار أرسلوا أوراقا وصلت صحبة السلحدار المذكور احداها خطابا للمشايخ وأخرى الى شيخ السادات وثالثة الى السيد عمر النقيب وكلها على نسق واحد وهى من قبودان باشا وعليها الختم الكبير وهى بالعربى وفرمان رابع باللغة التركية خطابا للجميع ومضمون الكل الاخبار بعزل محمد على باشا عن ولاية مصر وولايته سلانيك وولاية السيد موسى باشا المنفصل عنها مصر وان يكون الجميع تحت الطاعة والامتثال للاوامر والاجتهاد فى المعاونة وتسهيل محمد على باشا فيما يحتاج اليه من السفن ولوازم السفر ليتوجه هو وحسن باشا والحجر جا من طريق دمياط بالاعزاز والاكرام وصحبتهما جميع العساكر من غير تاخير حسب الاوامر السلطانية ثم انهم اجتمعوا فى عصر ذلك اليوم بمنزل السيد عمر وركبوا الى الباشا فلما استقروا بالمجلس قال لهم وصلت اليكم المراسلات الواردة صحبة السلحدار قالوا نعم

عن

عن أهلها

(ذكر وفاة قريش صاحب الموصل وامارة ابنه شرف الدولة)

في هذه السنة توفي قريش بن بدران صاحب الموصل ونصيبين أصابه خروج الدم من فيه وأنفه وعينيه وأذنيه فحمله ابنه شرف الدولة الى نصيبين حتى حفظ خزانته بها وتوفي هناك وسمع فخر الدولة أبو نصر محمد بن محمد بن جهير حاله فسار من دارا الى نصيبين وجمع بني عقيل على ان يؤمروا ابنه أبا المكارم مسلم بن قريش عليهم وكان القائم بامره جابر بن ناشب فزوجه فخر الدولة باخت مسلم وزوج مسلما بابنة نصر بن منصور

(ذكر وفاة نصر الدولة بن مروان)

في هذه السنة توفي نصر الدولة أحمد بن مروان الكردي صاحب ديار بكر ولقبه القادر بالله نصر الدولة وكان عمره نيفا وثمانين سنة وامارته اثنتين وخمسين سنة واستولى على الامور ببلاده استيلاء تاما وعمر الثغور وضبطها وتنعم تنعما لم يسمع بمثله عن أحد من أهل زمانه وملك من الجواري المغنيات ما اشترى بعضهن بخمسة آلاف دينار وأكثر من ذلك وملك خمسمائة سرية سوى توابعهن وخمسمائة خادم وكان في مجلسه من الآلات ما تزيد قيمته على مائتي ألف دينار وتزوج من بنات الملوك جملة وأرسل طباخين الى الديار المصرية وغرم على ارسالهم جملة وافرة حتى تعلموا الطبخ من هناك وأرسل الى السلطان طغرلبك هدايا عظيمة من جملتها الجبل الياقوت الذي كان لبني بويه اشتراه من الملك العزيز أبي منصور بن جلال الدولة وأرسل معه مائة ألف دينار سوى ذلك ووزر له أبو القاسم بن المغربي وفخر الدولة بن جهير ورخصت الاسعار في أيامه وتظاهر الناس بالاموال ووفد اليه الشعراء وأقام عنده العلماء والزهاد وبلغه ان الطيور في الشتاء تخرج من الجبال الى القرى فتصاد فامران يطرح لها الحب من الاهراء التي له فكانت في ضيافته طول عمره ولما مات اتفق وزيره فخر الدولة بن جهير وابنه نصر فرتب نصرا في الملك بعد أبيه وجرى بينه وبين أخيه سعيد حروب شديدة كان الظفر في آخرها لنصر فاستقر في الامارة بميافارقين وغيرها وملك أخوه سعيد آمد

(ذكر عدة حوادث)

في رجب خلع على الكامل أبي الفوارس طراد بن محمد الزينبي وقلد نقابة النقباء ولقب الكامل ذا الشرفين وفيها تولى شمس الدين أسامة بن أبي عبد الله بن علي نقابة العلويين ببغداد ولقب المرتضى وفيها في جمادى الاولى انكسفت الشمس جميعها فظهرت الكواكب واظلمت الدنيا وسقطت الطيور الطائرة وفيها في شهر رمضان توفي شكر العلوي الحسيني أمير مكة وله شعر حسن فمنه

قوض خيامك عن أرض تضام بها * وجانب الذل ان الذل مجتنب
وارحل اذا كان في الاوطان منقصة * فالمندل الرطب في أوطانه حطب

وفيها توفي أبو القاسم علي بن محمد بن يحيى الشمشاطي بدمشق وكان عالما بالهندسة

قال وما رأيكم في ذلك قال الشيخ الشرقاوي ليس رأي والرأي ما تراه ونحن الجميع على رأيك فقال لهم في غد أبعث اليكم صورة تكتبونها في رد الجواب وأرسل اليهم من الغد صورة مضمونها ان الاوامر الشريفة وصلت الينا وتلقيناها بالطاعة والامتثال الا ان أهل مصر ورعيتها قوم ضعاف وربما عصت العساكر عن الخروج فيحصل لاهل البلدة الضرر وخراب الدور وهتك الحرمات وأنتم أهل للشفقة والرحمة والتلاطف ونحو ذلك من التزويقات والتمويهات وأصدروها اليه وفي أثناء ذلك محمد علي باشا آخذ في الاهتمام والتشهيل واظهار الحركة والخروج لمحاربة الالفي وبرزت العساكر الى ناحية بولاق وخارج البلدة وعدوا بالخيام الى البر الغربي وتقدم الى مشايخ الحارات بالتعريف على كل من كان متصفا بالجندية ويكتبوا اسماءهم ومحل سكنهم ففعلوا ذلك ثم كتبت لهم أوراق بالامر بالخروج وعليها ختم الباشا ومسطور في ورقة الامر بان المأمور يصحب معه شخصين أو ثلاثة على ان أكثرهم لا يملك حمارا يركبه ولا ما يحمل عليه متاعه ولا ما يصرفه على نفسه فضلا عن غيره وكذلك أمر الوجاقلية جليلهم وحقيرهم بالخروج للمحاربة (وفيه) شرع الباشا في تقرير فرضة على البلاد البحرية وهي القليوبية والمنوفية والغربية والدقهلية والمزاحمتين الى

والرياضيات من علوم الفلاسفة واليه ينسب الرباط الذى عند جامع دمشق

(ثم دخلت سنة أربع وخمسين وأربعمائة)

(ذكر نكاح السلطان طغرلبك ابنة الخليفة)

فى هذه السنة عقد للسلطان طغرلبك على ابنة الخليفة القائم بامر الله وكانت الخطبة تقدمت سنة ثلاث وخمسين مع أبى سعد قاضى الرى فانزعج الخليفة من ذلك وأرسل فى الجواب أبا محمد التميمى وأمره أن يستعفى فان أعفى والا تمم الامر على ان يحمل السلطان ثلثمائة ألف دينار و يسلم واسط واعمالها فلما وصل الى السلطان ذكر لعميد الملك الوزير ما ورد فيه من الاستعفاء فقال لا يحسن أن يرد السلطان وقد سال وتضرع ولا يجوز مقابلته ايضا بطلب الاموال والبلاد فهو يفعل اضعاف ما طلب منه فقال التميمى الامر لك ومهما فعلته فهو الصواب فبنى الوزير الامر على الاجابة وطالع به السلطان فسر به وجمع الناس وعرفهم أن همته سمت به الى الاتصال بهذه الجهة النبوية وبلغ من ذلك ما لم يبلغه سواه من الملوك وتقدم الى عميد الملك الوزير ان يسير ومعه ارسلان خاتون زوجة الخليفة وان يصحبها مائة ألف دينار برسم الحمل وما شاكلها من الجواهر وغيرها ووجه معه فرامرز بن كاكويه وغيره من وجوه الامراء واعيان الرى فلما وصل الى الامام القائم بامر الله وأوصل خاتون زوجة الخليفة الى دارها وأنهى حضوره وحضور من معه وذكر حال الوصلة فامتنع الخليفة من الاجابة اليها وقال ان اعفينا والا خرجنا من بغداد فقال عميد الملك كان الواجب الامتناع من غير اقتراح وعند الاجابة الى ما طلب فالامتناع سعى على دم وأخرج خيامه الى النهروان فاستوقفه قاضى القضاة والشيخ أبو منصور بن يوسف وانهيا الى الخليفة عاقبة انصرافه على هذا الوجه وصنع له ابن دارست وزير الخليفة دعوة فحضر عنده فرأى على مسجد مكتوبا معاوية خال على فامر بحكه وكتب من الديوان الى خمارتكين الطغرائى كتابا يتضمن الشكوى من عميد الملك فورد الجواب عليه بالرفق وكتب الخليفة الى عميد الملك نحن نرد الامر الى رأيك ونعول على امانتك ودينك فحضر يوما عند الخليفة ومعه جماعة من الامراء والحجاب والقضاة والشهود فاخذ المجلس لنفسه ولم يتكلم سواه وقال للخليفة اسال مولانا امير المؤمنين التطول بذكر ما شرف به العبد المخلص شاهنشاه ركن الدين فيما رغب فيه ليعرفه الجماعة فغالطه وقال قد سطر فى المعنى ما فيه كفاية فانصرف عميد الملك مغيظا ورحل فى السادس والعشرين من جمادى الآخرة واخذ المال معه الى همذان وعرف السلطان ان السبب فى اتفاق الحال من خمارتكين الطغرائى فتغير السلطان عليه فهرب فى ستة غلمان وكتب السلطان الى قاضى القضاة والشيخ أبى منصور بن يوسف يعتب و يقول هذا جزائى من الخليفة الذى قتلت أخى فى خدمته وانفقت أموالى فى نصرته واهلكت خواصى فى محبته وأطال العتاب وعاد الجواب اليه بالاعتذار واما الطغرائى فانه أدرك ببروجرد فقال أولاد

آخر مجرى النيل ورتبوها على وأدنى وأوسط وهى غلال الاعلى ثلاثون اردبا وثلاثون وأسامن الغنم واردب أرز وثلاثون رطلا من الجبن ومن السمن كذلك وغير هذه الاصناف كالتبن والجلة وغير ذلك والاوسط عشرون اردبا وما يتبعها مما ذكر والادنى اثنا عشر ومع ذلك القبض والطلب مستمر فى فائظ الملتزمين بعضه من ذواتهم و بعضه من فلاحيهم مع ما يتبع ذلك من حق الطرق والخدم وتوالى الاستعجالات (وفى ليلة الثلاثاء ثامن عشرينه) سافر شاكر أغا السلحدار بالاجوبة

(شهر جمادى الاولى سنة ١٢٢١)

استهل بيوم الخميس فى ثانيه احترق معمل البارود بناحية المدابغ فحصل منه رجة عظيمة وصوت هائل مثل المدفع العظيم سمعه القريب والبعيد ومات به عدة أشخاص ويقال انهم رموا بنبة من القلعة بقصد التجربة على جهة بولاق فسقطت فى المعمل المذكور وحصل ما ذكر (وفى ثالثه) يوم السبت وقت الزوال ركب الباشا من داره يريد السفر لمحاربة الالفى ونزل الى بولاق وعدى الى بر انبابة لتجهيز العرضى وأرسل أوراقا لتجمع العربان وعين لذلك حسن أغا محرم وعلى كاشف الشرقية (وفى ليلة الاثنين خامسه) حضر سليم أغا قابجى كتخدا الذى تقدم سفره صحبة سعيد أغا كتخدا البوابين مرسلا الى

ابراهيم

ابراهيم ينال للسلطان ان هذا قتل أبانا ونسال ان نمكن من قتله واعانهم عميد الملك فاذن لهم فى قتله فساروا الى طريقه وقتلوه وجعل مكانه ساوتكين وبسط الكندرى لسانه وطلب طغرلبك ابنة اخيه زوجة الخليفة لتعاد اليه وجرى ما كان يفضى الى الفساد الكلى فلما رأى الخليفة شدة الامر أذن فى ذلك وكتب الوكالة باسم عميد الملك وسيرت الكتب مع ابى الغنائم بن المحلبان وكان العقد فى شعبان سنة اربع وخمسين بظاهر تبريز وهذا مالم يجر للخلفاء مثله فان بنى بويه مع تحكمهم ومخالفتهم لعقائد الخلفاء لم يطمعوا فى مثل هذا ولا ساموهم فعله وحمل السلطان أموالا كثيرة وجواهر نفيسة للخليفة ولولى العهد وللجهة المطلوبة ولوالدتها وغيرهم وجعل بعقوبا وما كان بالعراق للخاتون زوجة السلطان التى توفيت للسيدة ابنة الخليفة

(ذكر عزل ابن دارست ووزارة ابن جهير)

فى هذه السنة عزل ابو الفتح محمد بن منصور بن دارست من وزارة الخليفة وسببه انه وصل معه انسان يهودى يقال له ابن علان فضمن اعمال الوكلاء التى للخاص الخليفة بستة آلاف كرغلة ومائة ألف دينار فصح منها الفا كر وثلاثون ألف دينار وانكسر الباقى فظهر عجز ابن دارست ووهنه فعزل وعاد الى الاهواز فتوفى بها سنة سبع وستين وكان فخر الدولة ابو نصر بن جهير وزير نصر الدولة بن مروان قد ارسل يخطب الوزارة وبذل فيها بذولا كثيرة فاجيب اليها وأرسل كامل طراد الزينبى الى ميافارقين كانه رسول فلما عاد سار معه ابن جهير كالمودع له فتمم السير معه وخرج ابن مروان فى اثره فلم يدركه فلما وصل الى بغداد خرج الناس الى استقباله وخلع عليه خلع الوزارة يوم عرفة ولقب فخر الدولة واستقر فى الوزارة ومدحه وهناه ابن الفضل وغيره من الشعراء

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة عم الرخص جميع الاصقاع فبيع بالبصرة الف رطل من التمر بثمانية قراريط وفيها توفى القاضى ابو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر القضاعى بمصر وفيها سار السلطان طغرلبك الى قلعة الطرم من بلاد الديلم وقرر على مسافر ملكها مائة الف دينار والف ثوب وفيها مات ابو علوان ثمال بن صالح بن مرداس الملقب معز الدولة بحلب وقام اخوه عطية مقامه وتوفى الحسن بن على بن محمد ابو محمد الجوهرى ومولده سنة ثلاث وستين وثلثمائة وكان من الائمة المكثرين من سماع الحديث وروايته وهو آخر من حدث عن ابى بكر القطيعى والابهرى وابن شاذان وغيرهم

(ثم دخلت سنة خمس وخمسين واربعمائة)

(ذكر ورود السلطان بغداد ودخوله بابنة الخليفة)

فى هذه السنة فى المحرم توجه السلطان طغرلبك من ارمينية الى بغداد واراد الخليفة ان يستقبله فاستعفاه من ذلك وخرج الوزير ابن جهير فاستقبله وكان مع السلطان من الامراء ابو على ابن الملك ابى كاليجار وسرخاب بن بدر وهزارسب وابو منصور فرامرز بن

قبودان باشا من طرف محمد على باشا فرجع بجواب الرسالة ومحصلها ان القبودان لم يقبل هذه الاعذار ولا ما نمقوه من التمويهات التى لا أصل لها ولابد من تنفيذ الاوامر وسفر الباشا ونزوله هو وحسن باشا وعساكرهما وخروجهم من مصر وذهابهم الى ناحية دمياط وسفرهم الى الجهة المامورين بالذهاب اليها ولا شئ غير ذلك أبدا (وفى ليلة الخميس ثامنه) حضر على كاشف الشرقية وذلك انه تقنطر من فوق جواده وكسرت رجله وأحضروه محمولا (وفى يوم الخميس المذكور) وصل الكثير من طوائف عرب الحويطات ونصف حرام من ناحية شبرا الى بولاق وضربوا الحضورهم مدافع (وفيه) ركب طوائف الدلاتية وتقدموا الى جهة بحرى واشيع ركوب محمد على باشا ذلك اليوم فلم يركب (وفى ثانى عشره) ورد الخبر بوصول موسى باشا الى ثغر سكندرية يوم الاحد حادى عشره والمذكور ارسل من طرفه قاصدا وعلى يده مرسوم خطابا لاحمد افندى الدفتردار بان يكون قائمقامه ويامره بضبط الايراد والمصرف فلم يقبل الدفتردار ذلك وقال لم يكن بيدى قبض ولا صرف ولا علاقة لى بذلك (وفى يوم الاحد) طافت جماعة قواسة على بيوت الاعيان يبشرونهم بان العساكر الكائنين بناحية الرحمانية ركبوا على عرضي الالفي

كاكويه فنزل عسكره فى الجانب الغربى فزادبهم اذى ووصل عميد الملك الى الخليفة وطالب بالجهة وبات بالدار فقيل له خطك موجود بالشرط وان المقصود بهذه الوصلة الشرف لا الاجتماع وانه ان كانت مشاهدة فتسكون فى دار الخلافة فقال السلطان نفعل هذا ولكن نفردله من الدور والمساكن ما يكفيه ومعه خواصه وحجابه ومماليكه فانه لا يمكنه مفارقتهم فحينئذ نقلت الى دار المملكة فى منتصف صفر فجلست على سرير ملبس بالذهب ودخل السلطان اليها وقبل الارض وخدمها ولم تكشف الخمار عن وجهها ولا قامت هى له وحمل لها شيئا كثيرا من الجواهر وغيرها وبقى كذلك يحضر كل يوم يخدم وينصرف وخلع على عميد الملك وعمل السمط عدة ايام وخلع على جميع الامراء وظهر عليه سرور عظيم وعقد ضمان بغداد على ابى سعيد القاينى بمائة وخمسين الف دينار فاعادما كان اطلقه رئيس العراقين من المواريث والمكوس وقبض على الاعرابى سعد ضامن البصرة وعقد ضمان واسط على ابى جعفر بن صقالب بمائتى الف دينار

(ذكر وفاة السلطان طغرلبك)

فى هذه السنة سار السلطان من بغداد فى ربيع الاول الى بلد الجبل فوصل الى الرى واستصحب معه ارسلان خاتون ابنة اخيه زوجة الخليفة لانها شكت اطراح الخليفة لها فاخذها معه فمرض وتوفى يوم الجمعة ثامن شهر رمضان وكان عمره سبعين سنة تقريبا وكان عقيما لم يلد ولدا وكان وزيره الكندرى على سبعين فرسخا فاتاه الخبر فسار ووصل اليه فى يومين وهو بعد لم يدفن فدفنه وجلس له الوزير فخر الدولة بن جهير ببغداد للعزاء وحكى عنه الكندرى انه قال رأيت وأنا بخراسان فى المنام كاننى رفعت الى السماء وأنا فى ضباب لا أبصر معه شيئا غيرانى أشم رائحة طيبة وانى أنادى انك قريب من البارى جلت قدرته فاسأل حاجتك لتقضى فقلت فى نفسى اسأل طول العمر فقيل لك سبعون سنة فقلت يارب ما يكفينى فقيل لك سبعون سنة فقلت يارب لا يكفينى فقيل لك سبعون سنة فلما مات حسب عميد الملك عمره على التقريب فكان سبعين سنة وكانت مملكته بحضرة الخلافة سبع سنين وأحد عشر شهرا واثنى عشر يوما وأما الاحوال بالعراق بعد وفاته فانه كتب من ديوان الخلافة الى شرف الدولة مسلم بن قريش صاحب الموصل الى نور الدولة دبيس بن مزيد والى هزارسب والى بنى ورام والى بدر بن مهلهل بالاستدعاء الى بغداد وأرسل لشرف الدولة تشريفا وعمل أبو سعد القاينى ضامن بغداد سورا على قصر عيسى وجمع الغلات فانحدر ابراهيم بن شرف الدولة الى أوانا وتسلم أصحابه الانبار وانتشرت البادية فى البلاد وقطعوا الطرقات وقدم الى بغداد دبيس بن مزيد وخرج الوزير ابن جهير لاستقباله وقدم أيضا ورام وتوفى ببغداد أبو الفتح بن ورام مقدم الاكراد الجاوانية فحمل الى جرجرايا وفارق شرف الدولة مسلم بغداد ونهب النواحى فسار نور الدولة والاكراد وبنو خفاجة الى قتاله ثم أرسل اليه من

ووقعت بينهم مقتلة كبيرة وقتلوا منه جملة فيهم اربع صناجق ونهبوا منه زيادة عن ثمانمائة جمل باحمالها وعدة هجن محملة بالاموال ورجعت العساكر ومعهم نحو الثمانين رأسا ومائة اسير وغير ذلك وان الالفى هرب بمفرده الى ناحية الجبل وقيل الى الاسكندرية فكانوا يطوفون على الاعيان بهذا الكلام ويأخذون منهم البقاشيش ثم ظهر ان هذا الكلام لا اصل له وتبين ان طائفة من العرب يقال لهم الجوابيص وهم طائفة مرابطون ليس يقع منهم اذية ولا ضرر لاحد مظلقا نزلوا بالجبل بتلك الناحية فدهمهم العسكر وخطفوا منهم ابلا واغناما وقتل فيما بينهم انفار من الفريقين لمدافعتهم عن انفسهم (وفى ذلك اليوم) أيضا ركب حسن اغا الشماشيرجى الى المنصورية قرية بالجيزة ومعه طائفة من العسكر وهى بالقرب من الاهرام فضربوا القرية ونهبوا منها اغناما ومواشى واحضروها الى العرضى بانبابة وحضر خلفهم أصحاب الاغنام وفيهم نساء يصرخن ويبكين وصادف ذلك ان السيد عمر النقيب عدى الى العرضى فشاهدهم على هذه الحالة فكلم الباشا فى شأنهم فامر برد الاغنام التى للنساء والفقراء الصارخين وذهبوا بالباقى للمطابخ (وفى ثانى عشره) وردت الاخبار بان العساكر الكائنين بالرحمانية ومرقص رجعوا الى النخيلة ونصبوا عرضيهم

ديوان الخليفة رسول معه خلعة له وكوتب بالرضاء عنه وانحدر اليه نور الدولة دبيس فعمل له شرف الدولة سماطا كثيرا وكان فى الجماعة الاشرف أبو الحسين بن فخر الملك ابى غالب بن خلف كان قصد شرف الدولة مستجديا فضغ لقمة فمات من ساعته وحكى عنه بعض من صحبه انه سمعه ذلك اليوم يقول اللهم اقبضنى فقد ضجرت من الاضاقة فلما توفى ورفع من السماط خاف شرف الدولة ان يظن من حضر أنه تناول طعاما مسموما قصد به غيره فقال يا معشر العرب لا يبرح منكم أحد ونهض وجلس مكان ابن فخر الملك المتوفى وجعل يأكل من الطعام الذى بين يديه فاستحسن الجماعة فعله وعادوا عنه وخلع على دبيس وولده منصور وعاد الى حلته ولما رأى الناس ببغداد انتشار الاعراب فى البلاد ونهبها حملوا السلاح لقتالهم وكان ذلك سببا لكثرة العيارين وانتشار المفسدين

(ذكر شئ من سيرته)

كان عاقلا حليما من اشد الناس احتمالا وأكثرهم كتمانا لسره ظفر بمطالعات كتبها بعض خواصه الى الملك أبى كاليجار فلم يطلعه على ذلك ولا تغير عليه حتى أظهره بعد مدة طويلة لغيره وحكى عنه اقضى القضاة الماوردى قال لما أرسلنى القائم بامر الله اليه سنة ثلاث وثلاثين كتبت كتابا الى بغداد اذكر فيه سيرته وخراب بلاده واطعن عليه بكل وجه فوقع الكتاب من غلامى فحمل اليه فوقف عليه وكتمه ولم يحدثنى فيه بشئ ولا تغير عما كان عليه من اكرامى وكان رحمه الله يحافظ على الصلوات ويصوم الاثنين والخميس وكان لبسه الثياب البياض وكان ظلوما غشوما قاسيا وكان عسكره يغصبون الناس اموالهم وأيديهم مطلقة فى ذلك نهارا وليلا وكان كريما فمن كرمه ان أخاه ابراهيم ينال اسر من الروم لما غزاهم بعض ملوكهم فبذل فى نفسه اربعمائة ألف دينار فلم يقبل ابراهيم منه وحمله الى طغرلبك فارسل ملك الروم الى نصر الدولة بن مروان حتى خاطب طغرلبك فى فكاكه فلما سمع طغرلبك رسالته أرسل الرومى الى ابن مروان بغير فداء وسير معه رجلا علويا فانفذ ملك الروم الى طغرلبك ما لم يحمل فى الزمان المتقدم وهو ألف ثوب ديباج وخمسمائة ثوب أصناف وخمسمائة رأس من الكراع الى غير ذلك وأنفذ مائتى ألف دينار ومائة لبنة فضة وثلثمائة شهرى وثلثمائة حمار مصرية وألف عنز بيض الشعور سود العيون والقرون وأنفذ الى ابن مروان عشرة أمناء مسكا وعمر ملك الروم الجامع الذى بناه مسلمة بن عبد الملك بالقسطنطينية وعمر منارته وعلق فيه القناديل وجعل فى محرابه قوسا ونشابة وأشاع المهادنة

(ذكر ملك السلطان الب ارسلان)

لما مات السلطان طغرلبك أجلس عميد الملك الكندرى فى السلطنة سليمان بن داود جغرى بك أخى السلطان طغرلبك وكان طغرلبك قد عهد اليه بالملك وكانت والدة سليمان عند طغرلبك فلما خطب له بالسلطنة اختلف الامراء فمضى باغى سيان واردم

هناك وحضر الالفى تجاههم فركبوا لمحاربته وكانوا جمعا عظيما فركب الالفى ١١ بجيوشه وحاربهم ووقع بينه وبينهم وقعة عظيمة انجلت عن نصرته عليهم وانهزام العسكر وقتل من الدلاة وغيرهم مقتلة عظيمة ولم يزل الالفى هزيتهم الى البحر وألقوا بانفسهم فيه وامتلأ البحر من طراطير الدلاتية وهرب كتخدا بك وطاهر باشا الى بر المنوفية وعدوا فى المراكب واستولى الالفى وجيوشه على خيولهم وخيامهم وجمالاتهم وجبخاناتهم وأرسل برؤس القتلى والاسرى الى القبودان وأشيع خبر هذه الواقعة فى الناس وتحدثوا بها وانزعج الباشا والعسكر انزعاجا عظيما وعدى الى بر بولاق وطاف الوالى وأصحاب الدرك ينادون على العساكر بالخروج الى العرضى ويكتبون أسماءهم وحضر الباشا الى داره وأكثر من الركوب والذهاب والمجئ والطواف حول المدينة والشوارع ويذهب الى بولاق ومصر القديمة ويرجع ليلا ونهارا وهو راكب رهوانا تارة أو فرسا أو بغلة ومرتد ببرنس ابيض مثل المغاربة والعسكر امامه وخلفه ووصل مجاريح كثيرة واخبروا بالواقعة المذكورة ومات من جماعة الالفى أحمد بك الهنداوى فقط وانجرح امين بك وغيره جرح سلامة (وفى يوم الاربعاء حادى عشرينه) وصلت العساكر المهزومة وكبراؤهم الى بولاق وفيهم مجاريح

الى قزوين وخطب العضد الدولة الب ارسلان محمد بن داود جغرى بك وهو حينئذ صاحب خراسان ومعه نظام الملك وزيره والناس مائلون اليه فلما رأى عميد الملك الكندرى انعكاس الحال عليه امر بالخطبة بالرى للسلطان الب ارسلان وبعده لاخيه سليمان

(ذكر خروج حمو عن طاعة تميم بن المعز بافريقية)

في هذه السنة خالف حمو بن مليك صاحب مدينة سفاقس بافريقية على الامير تميم بن المعز ابن باديس فجمع اصحابه واستعان بالعرب وسار الى المهدية فسمع تميم الخبر فسار اليه بعساكره ومعه ايضا طائفة من العرب من زغبة ورياح ووصل حمو الى سلقطة والتقى الفريقان بها وكان بينهما حرب شديدة فانهزم حمو ومن معه واخذتهم السيوف فقتل أكثر حماته واصحابه ونجا بنفسه وتفرقت رجاله وعاد تميم مظفرا منصورا ثم قصد بعد هذه الحادثة مدينة سوسة وكان اهلها قد خالفوا عليه فملكها وعفا عنهم وحقن دماءهم

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في المحرم قبض بمصر على الوزير أبي الفرج بن المغربي وفيها دخل الصليحى صاحب اليمن الى مكة مالكا لها فاحسن السيرة فيها وجلب اليها الاقوات ورفع جور من تقدم وظهرت منه أفعال جميلة وفيها في ربيع الآخر انقض كوكب عظيم وكان له ضوء كثير وفيها في شعبان كان بالشام زلزلة عظيمة خرب منها كثير من البلاد وانهدم سور طرابلس وفيها ملك أمير الجيوش بدر دمشق للمستنصر صاحب مصر فوصل اليها في الثالث والعشرين من ربيع الآخر وأقام بها واختلف هو والجند فثاروا به ووافقهم العامة فضعف عنهم ففارقها في رجب سنة ست وخمسين وفيها توفي سعيد بن نصر الدولة ابن مروان صاحب آمد من ديار بكر وزهير بن الحسين بن على ابو نصر الجذامى الفقيه الشافعى تفقه على ابى حامد الاسفرايني وسمع الحديث الكثير ورواه وكان موته بسرخس

(ثم دخلت سنة ست وخمسين واربعمائة)

(ذكر القبض على عميد الملك وقتله)

في هذه السنة قبض السلطان الب ارسلان على الوزير عميد الملك أبي نصر منصور بن محمد الكندرى وزير طغرلبك وسبب ذلك ان عميد الملك قصد خدمة نظام الملك وزير الب ارسلان وقدم بين يديه خمسمائة دينار واعتذر وانصرف من عنده فسار اكثر الناس معه فخوف السلطان من غائلة ذلك فقبض عليه وانفذه الى مرو الروذ وأتى عليه سنة في الاعتقال ثم نفذ اليه غلامين فدخلا عليه وهو محموم فقالا له تب مما انت عليه ففعل ودخل فودع اهله وخرج الى مسجد هنالك فصلى ركعتين واراد الغلامان خنقه فقال لست باص وخرق خرقة من طرف كمه وعصب عينيه فضربوه بالسيف وكان قتله في ذى الحجة ولف في قميص دبيقى من ملابس الخليفة وخرقة كانت البردة التى عند الخلفاء فيها وحملت جثته الى كندر فدفن عند ابيه وكان عمره يوم قتل نيفا واربعين سنة وكان سبب اتصاله بالسلطان طغرلبك ان السلطان لما ورد نيسابور طلب رجلا يكتب له

كثيرة وهم في اسوا حال فمنعهم الباشا من طلوع البر وردهم بمراكبهم الى بر انبابة واستمروا هنالك الى آخر النهار وهم عدد كثير وقد انضاف اليهم من كان ببر المنوفية ولم يحضر المعركة لما داخلهم من الخوف ثم انهم طلعوا الى بولاق وانتشروا في النواحى وذهب منهم الكثير الى مصر القديمة وحضر كثير منهم ودخلوا المدينة ودخلوا البيوت وازعجوا كثيرا من الناس الساكنين بناحية قناطر السباع وسويقة اللالا والناصرية وغير ذلك من النواحى واخرجوهم من دورهم وقد كانت الناس استراحت منهم مدة غيابهم (وفي يوم الاربعاء ثامن عشرينه) الموافق لثامن مسرى القبطى أوفى النيل أذرعه وركب الباشا في صبحه يوم الخميس الى قنطرة السد وحضر القاضى والسيد عمر النقيب وكسر الجسر بحضرتهم وجرى الماء في الخليج جريانا ضعيفا بسبب علو ارضه وعدم تنظيفه من الاتربة المتراكمة فيه ويقال انهم فتحوه قبل الوفاء لاشتغال بال الباشا وتطيره وخوفه من حادثة تحدث في مثل يوم هذا الجمع وخصوصا وقد وصل الى بر الجيزة الكثير من اجناد الالفى

(شهر جمادى الآخرة سنة ١٢٢١) استهل بيوم السبت في سادسه حضر طاهر باشا الى بر انبابة

ويكون

و يكون فصيحا بالعربية فدل عليه الموفق والد أبي سهل وأعطته السعادة وكان فصيحا فاضلا وانتشر من شعره ما قاله في غلام تركي صغير السن كان واقفا على رأسه يقطع بالسكين قصبة فقال عميد الملك فيه

أنا مشغول بحبه * وهو مشغول بلعبه لو أراد الله خيرا * وصلاحا لمحبه
نقلت رقة خديـ*ـه الى قسوة قلبه صانه الله فما أكـ*ـثر اعجابي بحبه

ومن شعره ان كان بالناس ضيق من مناقشتي * فالموت قد وسع الدنيا على الناس
مضيت والشامت المغبون يتبعني * كل لكاس المنايا شارب حاسي

وقال أبو الحسن الباخرزي يخاطب الب ارسلان عند قتل الكندري

وعمك أدناه وأعلى محله * وبوأه من ملكه كنفا رحبا
قضى كل مولى منكما حق عبده * فخوله الدنيا وخولته العقبى

وكان عميد الملك خصيا قد خصاه طغرلبك لانه أرسله يخطب عليه امرأة ليتزوجها فتزوجها هو وعصى عليه فظفر به وخصاه وأقره على خدمته وقيل بل أعداؤه أشاعوا عنه انه تزوجها فخصى نفسه ليخلص من سياسة السلطنة فقال فيه علي بن الحسن الباخرزي

قالوا محا السلطان عنه بعزة * سمة الفحول وكان قرما صائلا
قلت اسكتوا فالآن زاد فحولة * لما اغتدى عن أنثييه عاطلا
فالفحل يأنف أن يسمى بعضه * أنثى لذلك جذه مستأصلا

يعني بالانثى واحدة الانثيين وكان شديد التعصب على الشافعية كثير الوقيعة في الشافعي رضي الله تعالى عنه بلغ من تعصبه انه خاطب السلطان في لعن الرافضة على منابر خراسان فاذن في ذلك فامر بلعنهم وأضاف اليهم الاشعرية فانف من ذلك أئمة خراسان منهم الامام أبو القاسم القشيري والامام أبو المعالي الجويني وغيرهما ففارقوا خراسان وأقام امام الحرمين بمكة أربع سنين الى ان انقضت دولته يدرس و يفتي فلهذا لقب امام الحرمين فلما جاءت الدولة النظامية أحضر من انتزح منهم وأكرمهم وأحسن اليهم وقيل انه تاب من الوقيعة في الشافعي فان صح فقد أفلح والا فعلى نفسها براقش تجني ومن العجب ان ذكره دفن بخوارزم لما خصي ودمه مسفوح بمرو وجسده مدفون بكندرو ورأسه ما عدا قحفه مدفون بنيسابور ونقل قحفه الى كرمان لان نظام الملك كان هناك فاعتبروا يا أولي الابصار ولما قرب للقتل قال للقاصد اليه قل لنظام الملك بئس ما عودت الاتراك قتل الوزراء وأصحاب الديوان ومن حفر قليبا وقع فيه ولم يخلف عميد الملك غير بنت

(ذكر ملك الب ارسلان ختلان وهراة وصغانيا)

لما توفي طغرلبك وملك الب ارسلان عصى عليه أمير ختلان بقلعته ومنع الخراج فقصده السلطان فرأى الحصن منيعا على شاهق فاقام عليه وقاتله فلم يصل منه الى

ونصب خيامه هناك وعدى هو في قلة الى بولاق وذهب الى داره بالازبكية وكان من امره انه لما حصلت له الهزيمة فذهب الى المنوفية وقد اغتاظ عليه الباشا وأرسل يقول له لا تريني وجهك بعد الذي حصل وترددت بينهما الرسل ثم أرسل اليه يامره بالذهاب الى رشيد فذهب الى فوه ثم حضر شاهين بك الالفي الى الرحمانية فارسل الباشا الى طاهر باشا يامره بالذهاب الى شاهين بك ويطرده من الرحمانية فذهب اليه في المراكب فضرب عليه شاهين بك بالمدافع فكسر بعض مراكبه فرجع على اثره وركب من البر حتى عدى بحر الرحمانية ثم حضر الى مصر ووصل بعده الكثير من العسكر فامرهم الباشا بالعود فعاد الكثير منهم في المراكب وحضر ايضا اسمعيل اغا الطوبجي كاشف المنوفية وقد داخل الجميع الخوف من الالفي واما الالفي فانه بعد انفصال الحرب من النجيلة رجع الى حصار دمنهور وذلك بعد ان ذهب اعيانها الى قبودان باشا وقابلوه وامنهم ورجعوا على امانه فافترقوا فرقتين فرقة منهم اطمانت ورضيت بالامان والاخرى لم تطمئن بذلك وارسلوا الى السيد عمر والباشا فرجع اليهم الجواب يامرونهم باستمرارهم على الممانعة ومحاربة من ياتي لحربهم فامتثلوا ذلك وتبعتهم الفرقة الاخرى وارسل اليهم القبودان يدعوهم الى الطاعة ويضمن لهم عدم تعدي

الالفى عليهم فلم يرضوا بذلك فعند ذلك استفتى العلماء فى جواز حربهم حتى يذعنوا للطاعة فافتوه بذلك

فعند ذلك ارسل الى الالفى
يامره بحربهم فحاصرهم
وحاربهم واستمر ذلك (وفى
يوم الجمعة سابعه) ورد الخبر
بموت الكاشف الذى بدمنهور
(وفى يوم الخميس ثالث
عشره) وصلت قافلة من
السويس وصحبتها المحمل
فادخلوه وشقوا به من المدينة
وخلفه طبل وزمر وأمامه
أكابر العسكر وأولاد الباشا
ومصطفى جاويش المتسفر
عليه ولقد أخبرنى مصطفى
جاويش المذكور انه لما
ذهب الى مكة وكان الوهابى
حضر الى الحج واجتمع به فقال
له الوهابى ما هذه العويدات
التى تاتون بها وتعظمونها
بينكم يشير بذلك القول الى
المحمل فقال له جرت العادة من
قديم الزمان بها يجعلونها
علامة واشارة لاجتماع
الحجاج فقال لا تفعلوا ذلك
ولا تاتوا به بعد هذه المرة وان
أتيتم به مرة أخرى فانى أكسره
(وفى ليلة الاربعاء) حضر
الافندى المكتوبجى من
طرف القبودان الى بولاق
فارسل اليه الباشا حصانا
فركبه وحضر الى بيت الباشا
بالازبكية فى صبح يوم الاربعاء
المذكور فاحضر الباشا الدفتردار
وسعيد أغا واختلوا مع بعضهم
ولم يعلم ما دار بينهم (وفى يوم
الخميس عشرينه) ارتحل من بالجيزة من الامراء المصريين وعدتهم ستة من المتامرين الجدد الذين أمرهم الالفى وبامره

جراده ففى بعض الايام باشر الب ارسلان القتال بنفسه وترجل وصعد فى الجبل فتبعه الخلق وتقدموا اليه فى الموقف والحوا فى الزحف والقتال وكان صاحب القلعة على شرافة من سورها يحرض الناس على القتال فاتته نشابة من العسكر فقتلته وتسلم الب ارسلان القلعة وصارت فى جملة ممالكه وكان عمه فخر الملك بيغو بن ميكائيل فى هراة فعصى أيضا عليه وطمع فى الملك لنفسه فسار اليه الب ارسلان فى العساكر العظيمة فحصره وضيق عليه وادام القتال ليلا ونهارا فتسلم المدينة وخرج عمه اليه فابقى عليه وأكرمه وأحسن صحبته وسار من هناك الى صغانيان وأميرها اسمه موسى وكان قد عصى عليه فلما قاربه الب ارسلان صعد موسى الى قلعة على رأس جبل شاهق ومعه من الرجال الكماة جماعة كثيرة فوصل السلطان اليه وباشر الحرب لوقته فلم ينتصف النهار حتى صعد العسكر الجبل وملكوا القلعة قهرا وأخذ موسى اسيرا فامر بقتله فبذل فى نفسه أموالا كثيرة فقال السلطان ليس هذا أوان تجارة واستولى على تلك الولاية باسرها وعاد الى مرو ثم منها الى نيسابور

(ذكر عود ابنة الخليفة الى بغداد والخطبة للسلطان الب ارسلان ببغداد)

فى هذه السنة أمر السلطان الب ارسلان السيدة ابنة الخليفة بالعود الى بغداد وأعلمها انه لم يقبض على عميد الملك الا لما اعتمده من نقلها من بغداد الى الرى بغير رضا الخليفة وأمر الامير ايتكين السليمانى بالمسير فى خدمتها الى بغداد والمقام بها شحنة وانفذ اباسهل محمد بن هبة الله المعروف بابن الموفق للمسير فى الصحبة وأمر بالمخاطبة فى اقامة الخطبة له فمات فى الطريق بجدرا وهذا ابو سهل من رؤساء أصحاب الشافعى بنيسابور وكان يحضر طعامه فى رمضان كل ليلة اربعمائة متفقه ويصلهم ليلة العيد بكسوة ودنانير تعمهم فلما سمع بموته ارسل العميد اباالفتح المظفر بن الحسين فمات ايضا فى الطريق فالزم السلطان رئيس العراقين بالمسير فوصلوا بغداد منتصف ربيع الآخر وخرج عميد الدولة ابن الوزير فخر الدولة بن جهير لتلقيهم واقترح السلطان ان يخاطب بالولد المؤيد فاجيب الى ذلك ولقب ضياء الدين عضد الدولة وجلس الخليفة جلوسا عاما سابع جمادى الاولى وشافه الرسل بتقليد الب ارسلان السلطنة وسلمت الخلع بمشهد من الخلق وارسل اليه من الديوان لاخذ البيعة النقيب طراد الزينبى فوصلوا اليه وهو بنخجوان من اذربيجان فلبس الخلع وبايع للخليفة

(ذكر الحرب بين الب ارسلان وقتلمش)

سمع الب ارسلان ان شهاب الدولة قتلمش وهو من السلجوقية ايضا وهو جد الملوك اصحاب قونية وقيصرية واقصرا وملطية يومنا هذا قد عصى عليه وجمع جموعا كثيرة وقصد الرى ليستولى عليها فجهز الب ارسلان جيشا عظيما وسيرهم على المفازة الى الرى فسبقوا قتلمش اليها وسار الب ارسلان من نيسابور اول المحرم من هذه السنة فلما وصل الى دامغان ارسل الى قتلمش ينكر عليه فعله وينهاه عن ارتكاب هذه الحال

ويامره بتركها فانه يرعى له القرابة والرحم فاجاب قتلمش جواب مغتر بمن معه من الجموع ونهب قرى الرى واجرى الماء على وادى الملح وهى سبخة فتعذر سلوكها فقال نظام الملك قد جعلت لك من خراسان جندا ينصرونك ولا يخذلونك ويرمون دونك بسهام لا تخطى وهم العلماء والزهاد فقد جعلتهم بالاحسان اليهم من اعظم اعوانك وقرب السلطان من قتلمش فلبس نظام الملك السلاح وعبى الكتائب واصطف العسكران وكان قتلمش يعلم علم النجوم فوقف ونظر فراى ان طالعه فى ذلك اليوم قد قارنه نحوس لا يرى معها ظفرا فقصد المحاجزة وجعل السبخة بينه وبين الب ارسلان ليمتنع من اللقاء فسلك الب ارسلان طريقا فى الماء وخاض غمرته وتبعه العسكر فطلع منه سالما هو وعسكره فصار وامع قتلمش واقتتلوا فلم يثبت عسكر قتلمش لعسكر السلطان وانهزموا لساعتهم ومضى منهزما الى قلعة كردكوه وهى من جملة حصونه ومعاقله واستولى القتل والاسر على عسكره فاراد السلطان قتل الاسرى فشفع فيهم نظام الملك فعفا عنهم واطلقهم ولما سكن الغبار ونزل العسكر وجد قتلمش ميتا ملقى على الارض لا يدرى كيف كان موته قيل انه مات من الخوف والله اعلم فبكى السلطان لموته وقعد لعزائه وعظم عليه فقده فسلاه نظام الملك ودخل الب ارسلان الى مدينة الرى آخر المحرم من السنة ومن العجب ان هذا قتلمش كان يعلم علم النجوم قد أتقنه مع انه تركى ويعلم غيره من علوم القوم ثم ان اولاده من بعده لم يزالوا يطلبون هذه العلوم الاولية ويقربون اهلها فنالهم بهذا غضاضة فى دينهم وسيرد من اخبارهم ما يعلم منه ذلك وغيره من احوالهم

(ذكر فتح الب ارسلان مدينة آنى وغيرها من بلاد النصرانية)

ثم سار السلطان من الرى اول ربيع الاول وسار الى اذربيجان فوصل الى مرند عازما على قتال الروم وغزوهم فلما كان بمرند اتاه أمير من أمراء التركمان كان يكثر غزو الروم اسمه طغدكين ومعه من عشيرته خلق كثير قد ألفوا الجهاد وعرفوا تلك البلاد وحثه على قصد بلادهم وضمن له سلوك الطريق المستقيم اليها فسار معه فسلك بالعساكر فى مضايق تلك الارض ومخارمها فوصل الى نقجوان فامر بعمل السفن لعبور نهر أرس فقيل له ان سكان خوى وسلماس من اذربيجان لم يقوموا بواجب الطاعة وانهم قد امتنعوا ببلادهم فسير اليهم عميد خراسان ودعاهم الى الطاعة وتهددهم ان امتنعوا فاطاعوا وصاروا من جملة حزبه وجنده واجتمع عليه هناك من الملوك والعساكر ما لا يحصى فلما فرغ من جمع العساكر والسفن سار الى بلاد الكرج وجعل مكانه فى عسكره ولده ملكشاه ونظام الملك وزيره فسار ملكشاه ونظام الملك الى قلعة فيها جمع كثير من الروم فنزل أهلها منها وتخطفوا من العسكر وقتلوا منهم فئة كثيرة فنزل نظام الملك وملكشاه وقاتلوا من بالقلعة وزحفوا اليهم فقتل امير القلعة وملكها المسلمون وساروا منها الى قلعة سرمارى وهى قلعة فيها المياه الجارية والبساتين فقاتلوها

فذهبوا عند استاذهم بناحية دمنهور ونزلوا بالقرب منه (وفى خامس عشرينه) مرسلمان أغا صالح من ناحية الجيزة راجعا من عند الامراء القبالى وصحبته هدايا من طرفهم للقبودان وفيها خيول وعبيد وطواشية وسكر ولم يجيبوا الى الحضور لممانعة عثمان بك البرديسى وحقده الكامن للالفى ولكون هذه الحركة وهى مجئ القبودان وموسى باشا باجتهاده وسفارته وتدبيره كما سيتلى عليك فيما بعد وفيه ظهرت فحوى النتيجة القياسية وانعكاس القضية وهو أن القبودان لما لم يجد فى المصرلية الإسعاف وتحقق ماهم عليه من التنافر والخلاف وتكررت ما بينه وبين الفريقين المراسلات والمكاتبات فعند ذلك استانف مع محمد على باشا المصادقة وعلم ان الاروج له معه الموافقة فارسل اليه المكتوبجى واستوثق منه والتزم له باضعاف ماوعد به من الكذابين معجلا ومؤجلا على عمر السنين والالتزام بجميع المامورات والعدول عن المخالفات فوقع الاتفاق على قدر معلوم وارسل الى محمد على باشا يامره بكتابة عرضحال خلاف الاولين ويرسله صحبة ولده على يد القبودان فعند ذلك لخصوا عرضحال وختم عليه الاشياخ والاختيارية والوجاقلية وارسله صحبة ابنه ابراهيم بك وأصحب معه هدية حافلة وخيولا واقمشة هندية وغير ذلك وتلفت طبخة

وملكوها وانزلوا منها أهلها وكان بالقرب منها قلعة أخرى ففتحها ملكشاه وأراد تخريبها فنهاه نظام الملك عن ذلك وقال هي ثغر للمسلمين وشحنها بالرجال والذخائر والاموال والسلاح وسلم هذه القلاع الى امير نقجوان وسار ملكشاه ونظام الملك الى مدينة مريم نشين وفيها كثير من الرهبان والقسيسين وملوك النصارى وعامتهم يتقربون الى أهل هذه البلدة وهي مدينة حصينة سورها من الاحجار الكبار الصلبة المشدودة بالرصاص والحديد وعندها نهر كبير فاعد نظام الملك لقتالها ما يحتاج اليه من السفن وغيرها وقاتلها وواصل قتالها ليلا ونهارا وجعل العساكر عليها يقاتلون بالنوبة فضجر الكفار وأخذهم الاعياء والكلال فوصل المسلمون الى سورها ونصبوا عليه السلالم وصعدوا الى اعلاه لان المعاول كانت عن نقبه لقوة حجره فلما رأى أهلها المسلمين على السور فت ذلك في أعضادهم وسقط في ايديهم ودخل ملكشاه البلد ونظام الملك وأحرقوا البيع وخربوها وقتلوا كثيرا من أهلها وأسلم كثير فنجوا من القتل واستدعى الب ارسلان اليه ابنه ونظام الملك وفرح بما يسره الله من الفتح على يد ولده وفتح ملكشاه في طريقه عدة من القلاع والحصون واسر من النصارى ما لا يحصون كثرة وساروا الى سبيذشهر فجرى بين اهلها وبين المسلمين حروب شديدة استشهد فيها كثير من المسلمين ثم ان الله تعالى يسر فتحها فملكها الب ارسلان وسار منها الى مدينة اعال لال وهي حصينة عالية الاسوار شاهقة البنيان وهي من جهة الشرق والغرب على جبل عال وعلى الجبل عدة من الحصون ومن الجانبين الآخرين نهر كبير لا يخاض فلما رآها المسلمون علموا عجزهم عن فتحها والاستيلاء عليها وكان ملكها من الكرج وهكذا ما تقدم من البلاد التي ذكرنا فتحها وعقد السلطان جسرا على النهر عريضا واشتد القتال وعظم الخطب فخرج من المدينة رجلان يستغيثان ويطلبان الامان والتمسا من السلطان ان يرسل معهما طائفة من العسكر فسير جمعا صالحا فلما جازوا الفصيل أحاط بهم الكرج من أهل المدينة وقاتلوهم فاكثروا القتل فيهم ولم يتمكن المسلمون من الهزيمة لضيق المسلك وخرج الكرج من البلد وقصدوا العسكر واشتد القتال وكان السلطان ذلك الوقت يصلي فاتاه الصريخ فلم يبرح حتى فرغ من صلاته وركب وتقدم الى الكفار فقاتلهم وكبر المسلمون عليهم فولوا منهزمين فدخلوا البلد والمسلمون معهم ودخلها السلطان وملكها واعتصم جماعة من أهلها في برج من ابراج المدينة فقاتلهم المسلمون فامر السلطان بالقاء الحطب حول البرج واحراقه ففعل ذلك وأحرق البرج ومن فيه وعاد السلطان الى خيامه وغنم المسلمون من المدينة ما لا يحد ولا يحصى ولما جن الليل عصفت ريح شديدة وكان قد بقي من تلك النار التي احرق بها البرج بقية كثيرة فاطارتها الريح فاحترقت المدينة باسرها وذلك في رجب سنة ست وخمسين وملك السلطان قلعة حصينة كانت الى جانب تلك المدينة وأخذها وسار منها الى ناحية قرس ومدينة آني وبالقرب منها ناحيتان يقال لهما دسل ورده ونوره فخرج أهلهما مذعنين بالاسلام وخربوا البيع وبنوا المساجد وسار منها الى مدينة آني فوصل اليها فرآها مدينة حصينة شديدة

الامتناع

الاني والتدابير ولم تسعفه المقادير (ومضمون العرضحال وملخصه) ان محمد على باشا كافل الاقليم وحافظ ثغوره ومؤمن سبله وقامع المعتدين وان الكافة من الخاصة والعامة والرعية راضية بولايته واحكامه وعدله والشريعة مقامة في ايامه ولا يرتضون خلافه لما رأوا فيه من عدم الظلم والرفق بالضعفاء واهل القرى والارياف وعمارها باهلها ورجوع الشاردين منها في ايام المماليك المصرية المعتدين الذي كانوا يتعدون عليهم ويسلبون أموالهم ومزارعهم ويكلفونهم باخذ الفرض والكلف الخارجة عن الحد واما الآن فجميع أهل القطر المصري آمنون مطمئنون بولاية هذا الوزير ويرجون من مراحم الدولة العلية ان يبقيه واليا عليهم ولا يعزله عنهم لما يحققوه فيه من العدل وانصاف المظلومين وايصال الحقوق لاربابها وقمع المفسدين من العربان الذين كانوا يقطعون الطرقات على المسافرين ويتعدون على أهل القرى ويأخذون مواشيهم وزرعهم ويقتلون من يعصى عليهم منهم واما الآن فلم يكن شئ من ذلك وجميع اهل البلاد في غاية من الراحة والامن برا وبحرا بحسن سياسته وعدله وامتثاله للاحكام الشرعية ومحبته للعلماء واهل الفضائل والاذعان لقولهم ونصحهم ونحو ذلك من الكلمات التي عنها يسئلون

الامتناع لاترام ثلاثة أرباعها على نهرارس والربع الآخر نهر عميق شديد الجرية لو طرحت فيه الحجارة الكبار لدحاها وحملها والطريق اليها على خندق عليه سور من الحجارة الصم وهي بلدة كبيرة عامرة كثيرة الاهل فيها ما يزيد على خمسمائة بيعة فحصرها وضيق عليها الان المسلمين قد أيسوا من فتحها لما رأوا من حصانتها فعمل السلطان برجا من خشب وشحنه بالمقاتلة ونصب عليه المنجنيق ورماة النشاب فكشفوا الروم عن السور وتقدم المسلمون اليه لينقبوه فأتاهم من لطف الله ما لم يكن في حسابهم فانهدمت قطعة كبيرة من السور بغير سبب فدخلوا المدينة وقتلوا من اهلها ما لا يحصى بحيث ان كثيرا من المسلمين عجزوا عن دخول البلد من كثرة القتلى وأسروا نحوا مما قتلوا وسارت البشرى بهذه الفتوح في البلاد فسر المسلمون وقرئ كتاب الفتح ببغداد في دار الخلافة فبرز خط الخليفة بالثناء على الب ارسلان والدعاء له ورتب فيها أميرا في عسكر جرار وعاد عنها وقد راسله ملك الكرج في الهدنة فصالحه على اداء الجزية كل سنة فقبل ذلك ولما دخل السلطان عائدا قصد اصبهان ثم سار منها الى كرمان فاستقبله أخوه قاورت بك بن جغرى بك داود ثم سار منها الى مرو فزوج ابنه ملكشاه بابنة خاقان ملك ماوراء النهر وزفت اليه في هذا الوقت وزوج ابنه ارسلان شاه بابنة صاحب غزنة واتحد البيتان البيت السلجوقي والبيت المحمودي واتفقت الكلمة

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في ربيع الاول ظهر بالعراق وخوزستان وكثير من البلاد جماعة من الاكراد خرجوا يتصيدون فرأوا في البرية خيما سودا وسمعوا منها لطما شديدا وعويلا كثيرا وقائلا يقول قد مات سيدوك ملك الجن واي بلد لم يلطم اهله عليه ويعملون له العزاء قلع اصله وأهلك اهله فخرج كثير من النساء في البلاد الى المقابر يلطمن وينحن وينشرن شعورهن وخرج رجال من سفلة الناس يفعلون ذلك وكان ذلك ضحكة عظيمة ولقد جرى في ايامنا نحن في الموصل وما والاها من البلاد الى العراق وغيرها نحو هذا وذلك ان الناس سنة ستمائة أصابهم وجع كثير في حلوقهم ومات منه كثير من الناس فظهر ان امرأة من الجن يقال لها ام عنقود مات ابنها عنقود وكل من لا يعمل له مأتما اصابه هذا المرض فكثر فعل ذلك وكانوا يقولون يا ام عنقود اعذرينا قد مات عنقود ما درينا وكان النساء يلطمن وكذلك الاوباش وفيها ولي أبو الغنائم المعمر بن محمد بن عبيد الله العلوي نقابة العلويين ببغداد وامارة الموسم ولقب بالطاهر ذي المناقب وكان المرتضى أبو الفتح أسامة قد استعفى من النقابة وصاهر بني خفاجة وانتقل معهم الى البرية وتوفي اسامة بمشهد أمير المؤمنين علي عليه السلام في رجب سنة اثنتين وسبعين وفيها في جمادى الآخرة توفي ابو القاسم عبد الواحد بن علي بن برهان الاسدي النحوي المتكلم كان له اختيار في الفقه وكان عالما بالنسب ويمشي في الاسواق مكشوف الراس ولم يقبل من أحد شيئا وكان موته في جمادى الآخرة وقد جاوز ثمانين سنة وكان يميل

ولا يؤذن لهم فيعتذرون ولما كتبوا ذلك لم يطلع عليه الا بعض الافراد المتصدرين ويكتب كاتبه جميع الاسماء تحته بخطه ولا يمكنون البواقي الذين يضعون امضاءهم واسماءهم من قراءته بل يطلب منهم الخاتم فيختمون به تحت اسمه اذ لا يمكنه الشذوذ والمخالفة لحرصه على دوام ناموسه وقبوله عند سلطانه ودائرة أهل دولته وان كان متورعا وليس له كبير صورة فيهم ولا صدارة مثلهم وابى ان يسلم خاتمه ليفعل به كغيره ختموه بخاتم موافق لاسمه تحت امضائه وهذا هو السبب في عدم نقلي هذه الصورة بل فهمت المضمون فقط والله ولي التوفيق (وفي هذه الايام) تخاصم عرب الحويطات والعيايدة وتجمع الفريقان حول المدينة وتحاربوا مع بعضهم مرارا وانقطعت السبل بسبب ذلك وانتصر الباشا للحويطات وخرج بسببهم الى العادلية ثم رجع ثم انهم اجتمعوا عند السيد عمر النقيب وأصلح بينهم

(شهر رجب سنة ١٢٢١)

استهل بيوم الاحد فيه وصل القاضي الجديد ويسمى عارف أفندي وهو ابن الوزير خليل باشا المقتول وانفصل محمد أفندي سعيد حفيد علي باشا المعروف بحكيم أوغلي وكان انسانا لا باس به مهذبا في نفسه وسافر الى قضاء المدينة المنورة

٣ يخ مل عا من القلزم بصحبة القبافلة (وفي يوم الجمعة) سادسه سافر ابراهيم بك ابن الباشا

الى مذهب مرجئة المعتزلة و يعتقد أن الكفار لا يخلدون فى النار وفيها انقض كوكب عظيم وكثر نوره فصار أكثر من نور القمر وسمع له دوى عظيم ثم غاب

(ثم دخلت سنة سبع وخمسين واربعمائة)

(ذكر الحرب بين بنى حماد والعرب)

فى هذه السنة كانت حرب بين الناصر بن علناس بن حماد ومن معه من رجال المغاربة من صنهاجة ومن زناتة ومن العرب عدى والاثبج وبنى رياح وزغبة وسليم ومع هؤلاء المعز بن زيرى الزناتى على مدينة سبتة وكان سببها ان حماد بن بلكين جد الناصر كان بينه و بين باديس بن المنصور من الخلف وموت باديس محاصرا قلعة حماد ما هو مذكور ولولا تلك القلعة لاخذ سريعا وانما امتنع هو واولاده بعده بها وهى من امنع الحصون وكذلك ما استمر بين حماد والمعز بن باديس ودخول حماد فى طاعته ما تقدم ذكره وكذلك أيضا ما كان بين القائد بن حماد وبين المعز وكان القائد يضمر الغدر وخلع طاعة المعز والعجز يمنعه من ذلك فلما رأى القائد قوة العرب وما نال المعز منهم خلع الطاعة واستبد بالبلاد وبعده ولده محسن و بعده ابن عمه بلكين بن محمد بن حماد و بعده ابن عمه الناصر بن علناس بن محمد بن حماد وكل منهم متحصن بالقلعة وقد جعلوها دار ملكهم فلما رحل المعز من القيروان وصبرة الى المهدية تمكنت العرب ونهبت الناس وخربت البلاد وانتقل كثير من اهلها الى بلاد بنى حماد لكونها جبالا وعرة يمكن الامتناع بها من العرب فعمرت بلادهم وكثرت أموالهم وفى نفوسهم الضغائن والحقود من باديس ومن بعده من اولادهم يرثه صغير عن كبير وولى تميم بن المعز بعد ابيه فاستبد كل من هو ببلد وقلعة بمكانه وتميم صابر يدارى و يتجلد واتصل بتميم ان الناصر بن علناس يقع فيه فى مجلسه و يذمه وانه عزم على المسير اليه ليحاصره بالمهدية وانه قد حالف بعض صنهاجة وزناتة و بنى هلال ليعينوه على حصار المهدية فلما صح ذلك عنده ارسل الى امراء بنى رياح فاحضرهم اليه وقال انتم تعلمون ان المهدية حصن منيع اكثره فى البحر لا يقاتل منه فى البر غير اربعة ابراج يحميها اربعون رجلا وانما جمع الناصر هذه العساكر اليكم فقالوا له الذى تقوله حق ونحب منك المعونة فاعطاهم المال والسلاح من الرماح والسيوف والدروع والدرق فجمعوا قومهم وتحالفوا واتفقوا على لقاء الناصر وارسل الى من مع الناصر من بنى هلال يقبحون عندهم مساعدتهم للناصر ويخوفونهم منه ان قوى وانه يهلكهم بمن معه من زناتة وصنهاجة وانهم انما يستمر لهم المقام والاستيلاء على البلاد اذا تم الخلف وضعف السلطان فاجابهم بنو هلال الى الموافقة وقالوا اجعلوا اول حملة تحملونها علينا فنحن ننهزم بالناس ونعود عليهم و يكون لنا ثلث الغنيمة فاجابهم الى ذلك واستقر الامر وارسل المعز بن زيرى الزناتى الى من مع الناصر من زناتة بنحو ذلك فوعدوه ايضا ان ينهزموا فحينئذ رحلت رياح وزناتة جميعها وسار اليهم الناصر بصنهاجة وزناتة و بنى هلال فالتقت العساكر

بالهدية وسافر صحبته محمد أغا لاظ الذى كان سلحدار محمد باشا خسرو (وفى يوم السبت) أرسل الباشا الى الشيخ عبد الله الشرقاوى ترجمانه يامره بلزوم داره وانه لا يخرج منها ولا الى صلاة الجمعة وسبب ذلك امور وضغائن ومنافسات بينه و بين اخوانه كالسيد محمد الدواخلى والسيد سعيد الشامى وكذلك السيد عمر النقيب فاغروا به الباشا ففعل به ما ذكر فامتثل الامر ولم يجد ناصرا واهمل أمره (وفيه) تواترت الاخبار بوقوع معركة عظيمة بين العسكر والالفى وذلك أن الالفى لم يزل محاصرا دمنهور وهم ممتنعون عليه الى الآن وسد خليج الاشرفية ومنع الماء عن البحيرة والاسكندرية لضرورة مرور الماء من ناحية دمنهور ليعطل عليهم المراد من الحصار فارسل الباشا بونابارته الخازندار ومعه عثمان أغا ومعهما عدة كثيرة من العساكر فى المراكب فوصلوا الى خليج الاشرفية من ناحية الرحمانية وعليه جماعة من الالفية فحاربوهم حتى اجلوهم عنها وفتحوا فم الخليج فجرى فيه الماء ودخلوا فيه بمراكبهم فسد الالفية الخليج من أعلى عليهم وحضر شاهين بك فسد مع الالفية فم الخليج باعدال القطن والمشاق ثم فتحوه من اسفل فسال الماء فى السبخ ونضب الماء من الخليج ووقفت السفن على الارض وصادمتهم الالفية فاوقعوا معهم موقعة عظيمة وذلك عند قرية العساكر

العساكر بمدينة سبتة فمات رياح على بنى هلال وحمل المعز على زناتة فانهزمت الطائفتان وتبعهم عساكر الناصر منهزمين ووقع فيهم القتل فقتل فيمن قتل القاسم بن علناس اخو الناصر وكان مبلغ من قتل من صنهاجة وزناتة اربعة وعشرين الفا وسلم الناصر فى نفر يسير وغنمت العرب جميع ما كان فى العسكر من مال وسلاح ودواب وغير ذلك فاقتسموها على ما استقر بينهم وبهذه الوقعة تم للعرب ملك البلاد فانهم قدموها فى ضيق وفقر وقلة دواب فاستغنوا وكثرت دوابهم وسلاحهم وقل الحامى عن البلاد وارسلوا الالوية والطبول وخيم الناصر بدوابها الى تميم فردها وقال يقبح بى ان آخذ سلب ابن عمى فارضى العرب بذلك

(ذكر بناء مدينة بجاية)

لما كانت هذه الوقعة بين بنى حماد والعرب وقويت العرب فاهتم تميم بن المعز لذلك واصابه حزن شديد فبلغ ذلك الناصر وكان له وزير اسمه ابو بكر بن ابى الفتوح وكان رجلا جيدا يحب الاتفاق بينهم ويهوى دولة تميم فقال للناصر الم اشر عليك ان لا تقصد ابن عمك وان تتفقوا على العرب فانكما لو اتفقتما لاخرجتما العرب فقال الناصر لقد صدقت ولكن لا مرد لما قدر فاصلح ذات بيننا فارسل الوزير رسولا من عنده الى تميم يعتذر ويرغب فى الاصلاح فقبل تميم قوله واراد ان يرسل رسولا الى الناصر فاستشار اصحابه فاجتمع رأيهم على محمد بن البعبع وقالوا له هذا رجل غريب وقد احسنت اليه وحصل له منك الاموال والاملاك فاحضره واعطاه مالا ودواب وعبيدا وارسله فسار مع الرسول حتى وصل الى بجاية وكانت حينئذ منزلا فيه رعية من البربر فنظر اليها محمد بن البعبع وقال فى نفسه ان هذا المكان يصلح ان يكون به مرسى ومدينة وسار حتى وصل الى الناصر فلما اوصل الكتاب وادى الرسالة قال للناصر معى وصية اليك واحب ان تخلى المجلس فقال الناصر انا لا اخفى عن وزيرى شيئا فقال بهذا امرنى الامير تميم فقام الوزير ابو بكر وانصرف فلما خرج قال الرسول يا مولاى ان الوزير مخامر عليك هواه مع الامير تميم لا يخفى عنه من امورك شيئا وتميم مشغول مع عبيده قد استبد بهم واطرح صنهاجة وغير هؤلاء ولو وصلت بعسكرك ما ثبت الا فيها البعض الجند والرعية لتميم وانا اشير عليك بما تملك به المهدية وغيرها وذكر له عمارة بجاية واشار عليه ان يتخذها دار ملك ويقرب من بلاد افريقية وقال له انا انتقل اليك باهلى وادبر دولتك فاجابه الناصر الى ذلك وارتاب بوزيره وسار مع الرسول الى بجاية وترك الوزير بالقلعة فلما وصل الناصر والرسول الى بجاية اراه موضع الميناء والبلد والدار السلطانية وغير ذلك فامر الناصر من ساعته بالبناء والعمل وسر بذلك وشكره وعاهده على وزارته اذا عاد اليه ورجعا الى القلعة فقال الناصر لوزيره ان هذا الرسول محب لنا وقد اشار ببناء بجاية ويريد الانتقال الينا فاكتب له جواب كتبه ففعل وسار الرسول وقد ارتاب به تميم حيث تجدد بناء بجاية عقيب مسيره اليهم وحضوره مع الناصر فيها وكان الرسول قد طلب

يقال لها منية القران فانهزموا الى سنهور وتحصنوا بها فاحاطوا بهم واستمروا على محاربتهم حتى افترق الفريقان فيما بعد (وفيه) ايضا وصلت الاخبار بان ياسين بك لم يزل يحارب من بمدينة الفيوم حتى ملكها وقتل من بها ولم ينج منهم الا القليل وكانوا ارسلوا استنجدون بارسال العسكر فلم يلحقوهم (وفيه) وردت الاخبار من الجهة القبلية بان الامراء المصريين اخلوا منفلوط وملوى وترفعوا الى اسيوط وجزيرة منقباط وتحصنوا بهما وذلك لما اخذ النيل فى الزيادة وخشوا من ورود العساكر عليهم بتلك النواحى فلا يمكنهم التحصن فيها فترفعوا الى اسيوط فلما فعلوا ذلك اشاعوا اهروبهم وذكروا ان عابدين بك وحسن بك حارباهم وطرداهم الى ان هربوا الى اسيوط ولما خلت تلك النواحى منهم رجع كاشف منفلوط وملوى وخلافهما الذين كانوا طردوهم فى العام الماضى وفروا من مقاتلتهم (وفيه) شرع الباشا فى تجهيز عساكر وتسفيرهم الى جهة بحرى وقبلى وحجزوا المراكب للعسكر فانقطعت سبل المسافرين وذلك عندما اطمان خاطره من قضية القبودان والعزل (وفيه) شرع ايضا فى تقرير فرضة عظيمة على البلاد والقرى والتجار ونصارى الاروام والاقباط والشوام ومساتير الناس ونساء الاعيان والملتزمين وغيرهم وقدرها ستة آلاف

كيس وذلك برسم مصلحة القبودان وذكروا انها سلفة لمدة ستة أيام ثم ترد الى اربابها ولا صحة لذلك (وفى ليلة الاثنين)

من الناصر ان يرسل معه بعض ثقاته ليشاهد الاخبار و يعود بها فارسل معه رسولا يثق به فكتب معه اننى لما اجتمعت بتميم لم يسألنى عن شئ قبل سؤاله عن بناء بجاية وقد عظم امرها عليه واتهمنى فانظر الى من تثق به من العرب ترسلهم الى موضع كذا فانى سائر اليهم مسرعا وقد اخذت عهود زويلة وغيرها على طاعتك وسير الكتاب فلما قرأه الناصر سلمه الى الوزير فاستحسن الوزير ذلك وشكره واثنى عليه وقال لقد نصح وبالغ فى الخدمة فلا تؤخر عنا انفاذ العرب ليحضر معهم ومضى الوزير الى داره وكتب نسخة الكتاب وارسل الكتاب الذى بخط الرسول الى تميم وكتابا منه يذكر له الحال من اوله الى آخره فلما وقف تميم على الكتاب عجب من ذلك وبقى يتوقع له سببا ياخذه به الا انه جعل عليه من يحرسه فى الليل والنهار من حيث لا يشعر فاتى بعض اولئك الحرس الى تميم واخبره ان الرسول صنع طعاما واحضر عنده الشريف الفهرى وكان هذا الشريف من رجال تميم وخواصه فاحضره تميم فقال كنت واصلا اليك وحدثه ان ابن البعبع الرسول دعانى فلما حضرت عنده قال انا فى ذمامك احب ان تعرفنى مع من أخرج من المهدية فنعته من ذلك وهو خائف فاوقفه تميم على الكتاب الذى بخطه وامره باحضاره فاحضره الشريف فلما وصل الى باب السلطان لقيه رجل بكتاب العرب الذين سيرهم الناصر ومعهم كتاب الناصر اليه يامره بالحضور عنده فاخذ الكتاب وخرج الامير تميم فلما رآه ابن البعبع سقطت الكتب منه فاذا عنوان احدها من الناصر بن علناس الى فلان فقال له تميم من اين هذه الكتب فسكت فاخذها وقرأها فقال الرسول ابن البعبع العفو يا مولانا فقال لا عفا الله عنك وامر به فقتل وغرقت جثته

(ذكر ملك الب ارسلان جند وصيران)

فى هذه السنة عبر الب ارسلان جيحون وسار الى جند وصيران وهما عند بخارا وقبر جده سلجوق بجند فلما عبر النهر استقبله ملك جند واطاعه واهدى له هدايا جليلة فلم يغير الب ارسلان عليه شيئا واقره على ما بيده وعاد عنه بعد أن احسن اليه واكرمه ووصل الى كركانج خوارزم وسار منها الى مرو

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة ابتدئ بعمارة المدرسة النظامية ببغداد وفيها انقض كوكب عظيم وصار له شعاع كثير أكثر من شعاع القمر وسمع له صوت مفزع وفيها توفى محمد بن أحمد ابو الحسين بن الآبنوسى روى عن الدارقطنى وغيره

(ثم دخلت سنة ثمان وخمسين واربعمائة)

(ذكر عهد الب ارسلان بالسلطنة لابنه ملكشاه)

فى هذه السنة سار الب ارسلان من مرو الى رايكان فنزل بظاهرها ومعه جماعة امراء دولته فاخذ عليهم العهود والمواثيق لولده ملكشاه بانه السلطان بعده واركبه ومشى بين يديه يحمل الغاشية وخلع السلطان على جميع الامراء وأمرهم بالخطبة له فى جميع

وصل كتخدا القبودان الى ساحل بولاق فضربوا لقدومه مدافع وعملوا له شنكا وارسل له فى صبحها خيولا صحبة ابنه طوسون ومعهما اكابر الدولة والاغا والوالى والاغوات فركب فى موكب عظيم ودخلوا به من باب النصر وشق من وسط المدينة وعمل الباشا الديوان واجتمع عنده السيد عمر والمشايخ المتصدرون ماعدا الشيخ عبد الله الشرقاوى ومن يلوذ به فسأل عليه القاضى وعلى من تأخر فقيل له الآن يحضر ولعل الذى اخره ضعفه ومرضه ثم انهم انتظروا باقى الوجهاء وارسلوا لهم جملة مراسيل فلما حضروا قرأ المرسوم الوارد صحبة الكتخدا المذكور (ومضمونه) ابقاء محمد على باشا واستمراره على ولاية مصر حيث ان الخاصة والعامة راضية باحكامه وعدله بشهادة العلماء واشراف الناس وقبلنا رجاهم وشهادتهم وانه يقوم بالشروط التى منها طلوع الحج ولوازم الحرمين وايصال العلائف والغلال لاربابها على النسق القديم وليس له تعلق بثغر رشيد ولا دمياط ولا سكندرية فانه يكون ايرادها من الجمارك يضبط الى الترسخانة السلطانية باسلامبول ومن الشروط أيضا ان يرضى خواطر الامراء المصريين ويمتنع من محاربتهم البلاد

البلاد التى يحكم عليها ففعل ذلك واقطع البلاد فاقطع ماذندران للامير اينانج بيغو وبلخ لاخيه سليمان بن داود جغرى بك وخوارزم لاخيه ارسلان ارغو ومرو لابنه الا آخر ارسلان شاه وصغانيان وطخارستان لاخيه الياس وولاية بغشور ونواحيها لمسعود بن ارتاش وهو من اقارب السلطان وولاية اسفزا لمودود بن ارتاش

(ذكر استيلاء تميم على مدينة تونس)

فى هذه السنة سير تميم صاحب افريقية عسكرا كثيفا الى مدينة تونس وبها احمد بن خراسان قد اظهر عليه الخلاف وسبب ذلك ان المعز بن باديس ابا تميم لما فارق القيروان والمنصورية ورحل الى المهدية على ما ذكرناه استخلف على القيروان وعلى قابس قائد بن ميمون الصنهاجى واقام بها ثلاث سنين ثم غلبته هوارة عليها فاسلمها اليهم وخرج الى المهدية فلما ولى الملك تميم بن المعز بعد ابيه رده اليها واقام عليها الى الآن ثم اظهر الخلاف على تميم والتجا الى طاعة الناصر بن علناس بن حماد فسير اليه تميم الآن عسكرا كثيرا فلما سمع بهم قائد بن ميمون علم انه لا طاقة له بهم فترك القيروان وسار الى الناصر فدخل عسكر تميم القيروان وخربوا دور القائد وسار العسكر الى قابس وبها ابن خراسان فحصروه بها سنة وشهرين ثم اطاع ابن خراسان تميما وصالحه واما قائد فانه اقام عند الناصر ثم ارسل الى امراء العرب فاشترى منهم امارة القيروان فاجابوه الى ذلك فعاد اليها فبنى سورها وحصنها

(ذكر ملك شرف الدولة الانبار وهيت وغيرهما)

فى هذه السنة سار شرف الدولة مسلم بن قريش بن بدران صاحب الموصل الى السلطان الب ارسلان فاقطعه الانبار وهيت وحربى والسن والبوازيج ووصل الى بغداد فخرج الوزير فخر الدولة بن جهير فى الموكب فلقيه ونزل شرف الدولة بالحريم الطاهرى وخلع عليه الخليفة

(ذكر عدة حوادث)

فى العشر الاول من جمادى الاولى ظهر كوكب كبير له ذؤابة طويلة بناحية المشرق عرضها نحو ثلاث اذرع وهى ممتدة الى وسط السماء وبقى الى السابع والعشرين من الشهر وغاب ثم ظهر ايضا آخر الشهر المذكور عند غروب الشمس كوكب قد استدار نوره عليه كالقمر فارتاع الناس وانزعجوا ولما اظلم الليل صار له ذوائب نحو الجنوب وبقى عشرة ايام ثم اضمحل وفيها فى جمادى الآخرة كانت بخراسان والجبال زلزلة عظيمة بقيت تتردد اياما تصدعت منها الجبال واهلكت خلقا كثيرا وانخسف منها عدة قرى وخرج الناس الى الصحراء فاقاموا هناك وفيها فى جمادى الاولى وقع حريق بنهر معلى فاحترق من باب الجريد الى آخر السوق الجديد من الجانبين وفيها ولدت صبية بباب الازج ولدا براسين ورقبتين ووجهين واربع ايد على بدن واحد وفى جمادى الآخرة توفى الامام ابو بكر احمد بن الحسين بن على البيهقى ومولده سنة سبع وثمانين

و يعطيهم جهات يتعيشون بها وهذا من قبيل تحلية البضاعة وانقص المجلس وضربوا مدافع كثيرة من القلعة والازبكية وبولاق واشيع عمل زينة بالبلدة وشرع الناس فى اسبابها وبعضهم علق على داره تعاليق ثم بطل ذلك وطاف المبشرون من اتباعهم على بيوت الاعيان لاخذ البقاشيش واذن الباشا بدخول المراكب الى الخليج والازبكية ثم عملوا شنكا وحراقات وسواريخ ثلاثة ايام بلياليها بالازبكية

(شهر شعبان سنة ١٢٢١)

فيه تكلم القاضى مع الباشا فى شان الشيخ عبد الله الشرقاوى والافراج عنه ويأذن له فى الركوب والخروج من داره حيث يريد فقال أنا لا ذنب لى فى التحجير عليه وانما ذلك من تنافقهم مع بعضهم فاستأذنه فى مصالحتهم فاذن له فى ذلك فعمل القاضى لهم وليمة ودعاهم وتغدوا عنده وصالحهم وقروا بينهم الفاتحة وذهبوا الى دورهم والذى فى القلب مستقر فيه (وفيه) وردت الاخبار من الديار الرومية بقيام الرومنلى وتعصبهم على منع النظام الجديد والحوادث فوجهوا عليهم عسكر النظام فتلاقوا معهم وتحاربوا فكانت الهزيمة على النظام وهلك بينهم خلائق كثيرة ولم يزالوا فى اثرهم حتى قربوا من دار السلطنة فترددت بينهم الرسل وصالحوهم وصالحوهم على شروط منها عزل أشخاص من مناصبهم ونفى آخرين ومنهم الوزير وشيخ الاسلام والمكتخدا

والدفتردار ومنع النظام والحوادث ورجوع ٢ ٢ الوجاقات على عادتهم وتقلد أغات الينكرية الصدارة واشياء لم تثبت حقيقتها

وثلثمائة وكان اماما فى الحديث والفقه على مذهب الشافعى وله فيه مصنفات احداها السنن الكبير عشر مجلدات وغيره من التصانيف الحسنة كان عفيفا زاهدا ومات بنيسابور وفى شهر رمضان منها توفى ابو يعلى محمد بن الحسين بن الفراء الحنبلى ومولده سنة ثمانين وثلثمائة وعنه انتشر مذهب احمد رضى الله عنه وكان اليه قضاء الحريم ببغداد بدار الخلافة وهو مصنف كتاب الصفات أتى فيه بكل عجيبة وترتيب ابوابه يدل على التجسيم المحض تعالى الله عن ذلك وكان ابن تميمى الحنبلى يقول لقد خرى ابو يعلى الفراء على الحنابلة خرية لا يغسلها الماء

(ثم دخلت سنة تسع وخمسين واربعمائة)

(ذكر عصيان ملك كرمان على الب ارسلان وعوده الى طاعته)

فى هذه السنة عصى ملك كرمان وهو قرا ارسلان على السلطان الب ارسلان وسبب ذلك انه كان له وزير جاهل سوّلت له نفسه الاستبداد بالبلاد عن السلطان وأن صاحبه اذا عصى احتاج الى التمسك به فحسن لصاحبه الخلاف على السلطان فاجاب الى ذلك وخلع الطاعة وقطع الخطبة فسمع الب ارسلان فسار الى كرمان فلما قارب بها وقعت طليعته على طليعة قرا ارسلان فانهزمت طليعة قرا ارسلان بعد قتال فلما سمع قرا ارسلان وعسكره بانهزام طليعتهم خافوا وتحيروا فانهزموا لا يلوى احد على آخر فدخل قرا ارسلان الى جيرفت وامتنع بها وارسل الى السلطان الب ارسلان يظهر الطاعة ويسال العفو عن زلته فعفا عنه وحضر عند السلطان فاكرمه وبكى وابكى من عنده فاعاده الى مملكته ولم يغير عليه شيئا من حاله فقال للسلطان ان لى بنات تجهيزهن اليك وامورهن اليك فاجابه الى ذلك واعطى كل واحدة منهن مائة الف دينار سوى الثياب والاقطاعات ثم سار منها الى فارس فوصل الى اصطخر وفتح قلعتها واستنزل واليها فحمل اليه الوالى هدايا عظيمة جليلة المقدار من جملتها اقدح فيروزج فيه منوان من المسك مكتوب عليه اسم جمشيد الملك واطاعه جميع حصون فارس وبقى قلعة يقال لها بهنزاد فسار نظام الملك اليها وحصرها تحت جبلها واعطى كل من رمى بسهم واصاب قبضة من الدنانير ومن رمى حجرا ثوبا نفيسا ففتح القلعة فى اليوم السادس عشر من نزوله ووصل السلطان اليه بعد الفتح فعظم محل نظام الملك عنده فاعلى منزلته وزاد فى تحكيمه

(ذكر عدة حوادث)

فى المحرم منها توفى الاغر أبو سعد ضامن البصرة على باب السلطان بالرى وعقدت البصرة وواسط على هزارسب بثلثمائة الف دينار وفى صفر منها وصل الى بغداد شرف الملك ابو سعد المستوفى وبنى على مشهد ابى حنيفة رضى الله عنه مدرسة لاصحابه وكتب الشريف ابو جعفر بن البياضى على القبة التى احدثها

الم تر ان العلم كان مشتتا * فجمعه هذا المغيب فى اللحد

كذلك كانت هذه الارض ميتة * فانشرها فضل العميد ابى سعد

(وفيه) حضر عابدين بك أخو حسن باشا من الجهة القبلية (وفى عاشره) تواترت الاخبار بوقوع وقائع بالناحية القبلية واختلاف العساكر ورجوع من كان بناحية منفلوط وعصيان المقيمين بالمنية بسبب تاخر علائفهم ورجع حسن باشا الى ناحية المنية فضرب عليه من بها فانحدر الى بنى سويف (وفيه) حضر اسمعيل الطوبجى كاشف المنوفية باستدعاء فارسله الباشا بمال الى الجهة القبلية ليصالح العساكر (وفيه) وردت الاخبار من ثغر الاسكندرية بسفر قبودان باشا وموسى باشا الى اسلامبول واخذ القبودان صحبته ابن محمد على باشا وكان نزولهم وسفرهم فى يوم السبت خامسه واستمر كتخدا القبودان بمصر متخلفا حتى يستغلق مال المصالحة (وفيه) شرعوا فى تقرير فرضة على البلاد ايضا (وفيه) حضر محمود بك من ناحية قبلى (وفى سادس عشره) سافر كتخدا القبودان بعدما استغلق المطلوب (وفيه) وصل الى ثغر بولاق قابجى وعلى يده تقرير لمحمد على باشا بالاستمرار على ولاية مصر وخلعة وسيف فاركبوه من بولاق الى الازبكية فى موكب حفل وشقوا به من وسط المدينة وحضر المشايخ والاعيان والاختيارية ونصب الباشا وفيها

وفيها في جمادى الاولى وصلت ارسلان خاتون اخت السلطان الب ارسلان وهي زوجة الخليفة الى بغداد واستقبلها فخر الدولة بن جهير الوزير على فراسخ وفيها في ذي القعدة احترقت تربة معروف الكرخي رحمة الله عليه وسبب حريقها ان قيمها كان مريضا فطبخ لنفسه ماء الشعير فاتصلت النار بخشب وبوارى كانت هناك فاحرقته واتصل الحريق فامر الخليفة اباسعد الصوفي شيخ الشيوخ بعمارتها وفيها في ذي القعدة فرغت عمارة المدرسة النظامية وتقرر التدريس بها للشيخ ابي اسحق الشيرازي فلما اجتمع الناس لحضور الدرس وانتظروا مجيئه تاخر فطلب فلم يوجد وكان سبب تاخره انه لقيه صبي فقال له كيف تدرس في مكان مغصوب فتغيرت نيته عن التدريس بها فلما ارتفع النهار وايس الناس من حضوره اشار الشيخ ابو منصور بن يوسف بابي نصر بن الصباغ صاحب كتاب الشامل وقال لا يجوز ان ينفصل هذا الجمع الا عن مدرس ولم يبق ببغداد من لم يحضر غير الوزير فجلس ابو نصر للدرس وظهر الشيخ ابو اسحق بعد ذلك ولما بلغ نظام الملك الخبر اقام القيامة على العميد ابي سعد ولم يزل يرفق بالشيخ أبي اسحق حتى درس بالمدرسة وكان مدة تدريس ابن الصباغ عشرين يوما وفيها في ذي القعدة قتل الصليحي امير اليمن بمدينة المهجم قتله احد امرائها واقيمت الدعوة العباسية هناك وكان قد ملك مكة على ماذكرناه سنة خمس وخمسين وامن الحجاج في ايامه فاثنوا عليه خيرا وكسا البيت بالحرير الابيض الصيني ورد حلى البيت اليه وكان بنو حسن قد اخذوه وحملوه الى اليمن فابتاعه الصليحي منهم وفيها توفي عمر بن اسمعيل بن محمد ابو على الطوسي قاضيها وكان يلقب العراقي لطول مقامه ببغداد وتفقه على ابي طاهر الاسفرايني الشافعي وابي محمد الشاشي وغيرهما

(ثم دخلت سنة ستين واربعمائة)

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة كانت حرب بين شرف الدولة بن قريش وبين بني كلاب بالرحبة وهم في طاعة العلوى المصرى فكسرهم شرف الدولة واخذ اسلابهم وارسل اعلاما كانت معهم عليها اسماء المصرى الى بغداد وكسرت وطيف بها في البلد وارسلت الخلع الى شرف الدولة وفيها في جمادى الاولى كانت بفلسطين ومصر زلزلة شديدة خربت الرملة وطلع الماء من رؤس الآبار وهلك من اهلها خمسة وعشرون الف نسمة وانشقت الصخرة بالبيت المقدس وعادت باذن الله تعالى وعاد البحر من الساحل مسيرة يوم فنزل الناس الى ارضه يلتقطون منه فرجع الماء عليهم فاهلك منهم خلقا كثيرا وفيها في رجب ورد ابو العباس الخوافي بغداد عميدا من جهة السلطان وفيها اعزل فخر الدولة ابن جهير من وزارة الخليفة فخرج من بغداد الى نور الدولة دبيس بن مزيد بالفلوجة وارسل الخليفة الى ابي يعلى والد الوزير ابي شجاع يستحضره ليوليه الوزارة وكان يكتب لهزارسب بن بنكير فسار فادركه اجله في الطريق فمات ثم شفع نور الدولة في فخر الدولة

شحابة بحوش البيت للجمع والحضور وقرئت المرسومات وهما فرمانان أحدهما يتضمن تقرير الباشا على ولاية مصر بقبول شفاعة أهل البلدة والمشايخ والاشراف والثاني يتضمن الاوامر السابقة وباجراء لوازم الحرمين وطلوع الحج وارسال غلال الحرمين والوصية بالرعية وتشهيل غلال وقدرها ستة آلاف أردب وتسفيرها على طريق الشام معونة للعساكر المتوجهين الى الحجاز (وفيه) الامر ايضا بعدم التعرض للامراء المصريين وراحتهم وعدم محاربتهم لانه تقدم العفو عنهم ونحو ذلك وانقضى المجلس وضربوا مدافع كثيرة من القلعة والازبكية

(واستهل شهر رمضان بيوم الاربعاء سنة ١٢٢١)

وانقضى بخير ولم يقع فيه من الحوادث سوى توالي الطلب والفرض والسلف التي لاترد وتجريد العسكر الى محاربة الالفي واستمرار الالفي بالجيزة ومحاصرة دمنهور واستمرار أهل دمنهور على الممانعة وصبرهم على المحاصرة وعدم الطاعة مع متاركة المحاربة (وفيه) ورد الخبر بموت عثمان بك البرديسي في أوائل رمضان بمنفلوط وكذلك سليم بك أبودياب ببني عدى (وفي أواخره) تقدم محمد على باشا الى السيد عمر النقيب بتوزيع جملة اكياس على أناس من مياسير الناس على سبيل السلفة

ابن جهير فاعيد الى الوزارة سنة احدى وستين في صفر وفيها كان بمصر غلاء شديد وانقضى سنة احدى وستين واربعمائة وفيها حاصر الناصر بن علناس مدينة الاربس بافريقية ففتحها وامن أهلها وفيها في المحرم توفي الشيخ ابو منصور بن عبد الملك بن يوسف ورثاه ابن الفضل وغيره من الشعراء وعم مصابه المسلمين وكان من اعيان الزمان فمن افعاله انه تسلم المارستان العضدي وكان قد دثر واستولى عليه الخراب فجدد في عمارته وجعل فيه ثمانية وعشرين طبيبا وثلاثة من الخزان الى غير ذلك واشترى له الاملاك النفيسة بعد ان كان ليس به طبيب ولا دواء وكان كثير المعروف والصلات والخير ولم يكن يلقب في زمانه احد بالشيخ الاجل سواه وفي المحرم ايضا توفي ابو جعفر الطوسي فقيه الامامية بمشهد امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام

(ثم دخلت سنة احدى وستين واربعمائة)

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في صفر اعيد فخر الدولة بن جهير الى وزارة الخليفة على ما ذكرناه فلما عاد مدحه ابن الفضل فقال

قد رجع الحق الى نصابه * وانت من كل الورى اولى به
ما كنت الا السيف سلته يد * ثم اعادته الى قرابه

وهي طويلة وفي شعبان احترق جامع دمشق وكان سبب احتراقه انه وقع بدمشق حرب بين المغاربة أصحاب المصريين والمشارقة فضربوا دارا مجاورة للجامع بالنار فاحترقت واتصلت بالجامع وكانت العامة تعين المغاربة فتركوا القتال واشتغلوا باطفاء النار من الجامع فعظم الخطب واشتد الامر واتى الحريق على الجامع فدثرت محاسنه وزال ما كان فيه من الاعمال النفيسة

(ثم دخلت سنة اثنتين وستين واربعمائة)

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة اقبل ملك الروم من القسطنطينية في عسكر كثيف الى الشام ونزل على مدينة منبج ونهبها وقتل اهلها وهزم محمود بن صالح بن مرداس وبني كلاب وابن حسان الطائي ومن معهما من جموع العرب ثم ان ملك الروم ارتحل وعاد الى بلاده ولم يمكنه المقام لشدة الجوع وفيها سار امير الجيوش بدر من مصر في عساكر كثيرة الى مدينة صور وحصرها وكان قد تغلب عليها القاضي عين الدولة بن ابي عقيل فلما حصره أرسل القاضي الى الامير قرلو مقدم الاتراك المقيمين بالشام يستنجده فسار في اثني عشر ألف فارس فحصر مدينة صيدا وهي لامير الجيوش بدر فرحل حينئذ بدر فعاد الاتراك فعاود بدر حصر صور برا وبحرا سنة وضيق على أهلها حتى أكلوا الخبز كل رطل بنصف دينار ولم يبلغ غرضه فرحل عنها وفيها صارت دار ضرب الدنانير ببغداد في يد وكلاء الخليفة وسبب ذلك ان البهرج كثر في أيدي الناس على السكك السلطانية وضرب

(واستهل شهر شوال بيوم الجمعة سنة ١٢٢١) ولم يقع في شهر رمضان هذا الترتيب في هلاله أولا وآخرا كما حصل فيما تقدم وكذلك حصل به سكون وطمانينة من عربدة العساكر ولولا توالي الطلب والسلف والدعاوي الباطلة في المدينة والارياف وعسف ارباب المناصب في القرى وعملوا شنكا للعيد بمدافع كثيرة في الاوقات الخمسة ثلاثة أيام العيد (وفيه) فتحوا طلب الميري على السنة القابلة وجدوا في التحصيل ووجهوا بالطلب العساكر والقواسة والاتراك بالعصي المفضضة وضيقوا على الملتزمين (وفي عاشره) أخرج الباشا خيامه ونصب عرضي بناحية شبرا ومنية السيرج والتمس من السيد عمر توزيع اربعمائة كيس برأيه ومعرفته فضاق صدره وشرع في توزيعها على التجار ومساتير الناس حيث لم يمكنه التخلف ولا التباعد عن ذلك (وفي يوم الجمعة) ثاني عشرينه وصل حسن باشا طاهر من الجهة القبلية ودخل داره وخرج محمد على باشا الى جهة الحلى يريد السفر الى الالفي ووصلت عربان الالفي وعساكره الى بر الجيزة وطلبوا الكلف من البلاد (وفي يوم الاحد) رابع عشرينه عدى محمد على باشا الى بر انبابة (وفي يوم الاثنين) خامس عشرينه عدى محمد على باشا وغالب العسكر الى بر بولاق واشاعوا ان الاخصام

هربوا من وجوههم فلم يذهبوا خلفهم بل رجعوا على اثرهم ونهبوا كفر حكيم ٢٥ وماجاوره من القرى حتى أخذوا النساء والبنات والصبيان والمواشي ودخلوا بهم الى بولاق والقاهرة ويبيعونهم فيما بينهم من غير تحاش كانهم سبايا الكفار (واستهل شهر القعدة سنة ١٢٢١ بيوم السبت) ووصل الحجاج الطرابلسية وعدوا الى بر مصر (وفي يوم الاحد) ثانيه وصلت قوافل الصعيد من ناحية الجبل وبها أحمال كثيرة وبضائع مع عرب المعازة وغيرهم فركب الباشا ليلا وكبسهم على حين غفلة ونهبهم وأخذ جمالهم واحمالهم ومتاعهم حتى اولاد العربان والنساء والبنات ودخلوا بهم الى المدينة يقودونهم اسرى في ايديهم ويبيعونهم فيما بينهم كما فعلوا باهل كفر حكيم وماحوله (وفي ذلك اليوم) ضربوا مدافع كثيرة من القلعة بورود اشخاص من الططر ببشارة الى الباشا وتقريره على السنة الجديدة (وفي يوم السبت) ثامنه اداروا كسوة الكعبة والمحمل وركب معها المتسفر عليها من القلزم وهو شخص يقال له محمود أغا الجزيرى وركب امامه الاغا والوالي والمحتسب وطائفة الدلاة وكثير من العسكر (وفي يوم الاثنين) عاشره وصلت الاخبار بوصول الالفى الى ناحية الاخصاص وانتشار جيوشه باقليم الجيزة وكان الباشا معزوما ذلك

اسم ولى العهد على الدينار وسمى الاميرى ومنع من التعامل بسواه وفيها ورد رسول صاحب مكة محمد بن أبي هاشم ومعه ولده الى السلطان ألب ارسلان يخبره باقامة الخطبة للخليفة القائم بامر الله وللسلطان بمكة واسقاط خطبة العلوى صاحب مصر وترك الاذان بحى على خير العمل فاعطاه السلطان ثلاثين ألف دينار وخلعا نفيسة واجرى له كل سنة عشرة آلاف دينار وقال اذا فعل امير المدينة مهنا كذلك اعطيناه عشرين ألف دينار وكل سنة خمسة آلاف دينار وفيها تزوج عميد الدولة بن جهير بابنة نظام الملك بالرى وعاد الى بغداد وفيها في شهر رمضان توفى تاج الملوك هزارسب بن بنكير بن عياض باصبهان وهو عائد من عند السلطان الى خوزستان وكان قد علا أمره وتزوج باخت السلطان وبغى على نور الدولة دبيس بن مزيد وأغرى السلطان به ليأخذ بلاده فلما مات سار دبيس الى السلطان ومعه شرف الدولة مسلم صاحب الموصل فخرج نظام الملك فلقيهما وتزوج شرف الدولة باخت السلطان التى كانت امرأة هزارسب وعادا الى بلادهما من همذان وفيها كان بمصر غلاء شديد ومجاعة عظيمة حتى أكل الناس بعضهم بعضا وفارقوا الديار المصرية فورد بغداد منهم خلق كثير هربا من الجوع وورد التجار ومعهم ثياب صاحب مصر وآلات نهبت من الجوع وكان فيها أشياء كثيرة نهبت من دار الخلافة وقت القبض على الطائع لله سنة احدى وثمانين وثلثمائة ومما نهب أيضا في فتنة البساسيرى وخرج من خزائنهم ثمانون ألف قطعة بلور كبار وخمسة وسبعون ألف قطعة من الديباج القديم واحد عشر ألف كزاغند وعشرون ألف سيف محلى وقال ابن الفضل يمدح القائم بامر الله ويذكر الحال بقصيدة فيها

قد علم المصرى ان جنوده * سنو يوسف منها وطاعون عمواس
أقامت به حتى استراب بنفسه * وأوجس منه خيفة أى ايجاس

في ابيات وفيها توفى أبو الجوائز الحسن بن على بن محمد الواسطى كان اديبا شاعرا حسن القول فمن قوله

واحسرتى من قولها * خان عهودى ولها
وحق من صيرنى * وقفا عليها ولها
ماخطرت بخاطرى * الا كستنى ولها

وتوفى محمد بن احمد ابو غالب بن بشران الواسطى الاديب وانتهت الرحلة اليه في الادب وله شعر حسن في الزهد

ياشائد القصور كهلا * أقصر فقصر الفتى الممات
لم يجتمع شمل أهل قصر * الا قصاراهم الشتات
وانما العيش مثل ظل * منتقل ماله ثبات

وفيها توفى القاضى أبو الحسين محمد بن ابراهيم بن حزم قاضى دمشق وأبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن ابى الجائز الخطيب بدمشق

(ثم دخلت سنة ثلاث وستين وار بعمائة)

(ذكر الخطبة للقائم بامر الله والسلطان بحلب)

في هذه السنة خطب محمود بن صالح بن مرداس بحلب لامير المؤمنين القائم بامر الله والسلطان الب ارسلان وسبب ذلك انه رأى اقبال دولة السلطان وقوتها وانتشار دعوتها فجمع أهل حلب وقال هذه دولة جديدة ومملكة شديدة ونحن تحت الخوف منهم وهم يستحلون دماءكم لاجل مذاهبكم والرأى ان نقيم الخطبة قبل ان يأتى وقت لا ينفعنا فيه قول ولا بذل فاجاب المشايخ ذلك ولبس المؤذنون السواد وخطبوا للقائم بامر الله والسلطان فاخذت العامة حصر الجامع وقالوا هذه حصر على بن أبي طالب فليأت أبو بكر بحصر يصلي عليها بالناس وأرسل الخليفة الى محمود الخلع مع نقيب النقباء طراد بن محمد الزينبي فلبسها ومدحه ابن سنان الخفاجي وأبو الفتيان بن حيوس وقال أبو عبد الله بن عطية يمدح القائم بامر الله ويذكر الخطبة بحلب ومكة والمدينة

كم طائع لك لم تجلب عليه ولم * تعرف لطاعته غير التقى سببا
هذا البشير باذعان الحجاز وذا * داعى دمشق وذا المبعوث من حلبا

(ذكر استيلاء السلطان ألب ارسلان على حلب)

في هذه السنة سار السلطان الب ارسلان الى حلب وجعل طريقه على ديار بكر فخرج اليه صاحبها نصر بن مروان وخدمه بمائة ألف دينار وحمل اليه اقامة عرف السلطان أنه قسطها على البلاد فامر بردها ووصل الى آمد فرآها ثغرا منيعا فتبرك به وجعل يمر يده على السور ويمسح بها صدره وسار الى الرها فحصرها فلم يظفر منها بطائل فسار الى حلب وقد وصلها نقيب النقباء أبو الفوارس طراد بالرسالة القائمية والخلع فقال له محمود صاحب حلب اسألك الخروج الى السلطان واستعفاءه لى من الحضور عنده فخرج نقيب النقباء وأخبر السلطان بانه قد لبس الخلع القائمية وخطب فقال أى شئ تساوى خطبتهم وهم يؤذنون حى على خير العمل ولا بد من الحضور ودوس بساطى فامتنع محمود من ذلك فاشتد الحصار على البلد وغلت الاسعار وعظم القتال وزحف السلطان يوما وقرب من البلد فوقع حجر منجنيق في فرسه فلما عظم الامر على محمود خرج ليلا ومعه والدته منيعة بنت وثاب النميرى فدخلا على السلطان وقالت له هذا ولدى فافعل به ما تحب فتلقاهما بالجميل وخلع على محمود واعاده الى بلده فانفذ الى السلطان مالا جزيلا

*(ذكر خروج ملك الروم الى خلاط واسره)

في هذه السنة خرج ارمانوس ملك الروم في مائتى الف من الروم والفرنج والعرب والروس والبجناك والكرج وغيرهم من طوائف تلك البلاد فى تجمل كثير وزى عظيم وقصد بلاد الاسلام فوصل الى ملازكرد من اعمال خلاط فبلغ السلطان الب ارسلان الخبر وهو بمدينة خوى من اذربيجان قد عاد من حلب وسمع ما فيه ملك الروم

اليوم عند سعودى الحناوى بسوق الزلط وحارة المقس وركب قبيل العصر وذهب الى بولاق وأمر العساكر بالخروج ولا يتخلف أحد لخامس ساعة من الليل وعدى بمن معه الى برانبابة (وفى ليلة الاربعاء) وقع بين الالفى والعسكر معركة وانحاز العسكر وتترسوا بداخل الكفور والبلاد ووصل منهم جرحى الى البلد واستمر الامر على ذلك وهم يهابون البروز الى الميدان وأخصامهم لا يحاربون المتاريس والحيطان (وفى يوم الثلاثاء) ثامن عشره ركب الالفى بجيوشه وتوجه الى ناحية قناطر شبرامنت فلما عاينهم الباشا ومن معه مادبر ركب بعسكره من ناحية كفر حكيم وما حوله وساروا الى جهة الجيزة ونصب وطاقه بحريها وباتوا تلك الليلة وعملوا شنكا فى صبحها وهم يشيعون هروب الالفى والحال انه مر فى جيش كثيف وصورة هائلة وقد رتب جنوده وعساكره طوابير و بين يديه النظام الذى رتبه على هيئة عسكر الفرنسيس ومعهم طبول بكيفية خرجت عقولهم والباشا واقف بجيوشه ينظر اليه تارة بعينه وتارة بالنظارة و يقول هذا طهماز الزمان ويتعجب وقال لطائفة الدلاة تقدموا لمحاربته وأنا أعطيكم كذا وكذا من المال فلم يجسروا على التقدم لما سبق لهم معه (وفى يوم الخميس) حضر اشخاص من العرب الى الباشا واخبروه بان الالفى قدمات يوم وصوله الى

الروم من كثرة الجموع فلم يتمكن من جمع العساكر لبعدها وقرب العدو فسير الاثقال مع زوجته ونظام الملك الى همذان وسار هو فيمن عنده من العساكر وهم خمسة عشر الف فارس وجد فى السير وقال لهم انى اقاتل محتسبا صابرا فان سلمت فنعمة من الله تعالى وان كانت الشهادة فان ابنى ملكشاه ولى عهدى فساروا فلما قارب العدو جعل له مقدمة فصادفت مقدمته عند خلاط مقدم الروسية فى نحو عشرة آلاف من الروم فاقتتلوا فانهزمت الروسية واسر مقدمهم وحمل الى السلطان فجدع انفه وانفذ بالسلب الى نظام الملك وامره ان يرسله الى بغداد فلما تقارب العسكران ارسل السلطان الى ملك الروم يطلب منه المهادنة فقال لاهدنة الا بالرى فانزعج السلطان لذلك فقال له امامه وفقيهه أبو نصر محمد بن عبد الملك البخارى الحنفى انك تقاتل عن دين وعد الله بنصره واظهاره على سائر الاديان وارجو ان يكون الله تعالى قد كتب باسمك هذا الفتح فالقهم يوم الجمعة بعد الزوال فى الساعة التى تكون الخطباء على المنابر فانهم يدعون للمجاهدين بالنصر والدعاء مقرون بالاجابة فلما كان تلك الساعة صلى بهم وبكى السلطان فبكى الناس لبكائه ودعا ودعوا معه وقال لهم من اراد الانصراف فلينصرف فما ههنا سلطان يامر وينهى والقى القوس والنشاب واخذ السيف والدبوس وعقد ذنب فرسه بيده وفعل عسكره مثله ولبس البياض وتحنط وقال ان قتلت فهذا كفنى وزحف الى الروم وزحفوا اليه فلما قاربهم ترجل وعفر وجهه على التراب وبكى واكثر الدعاء ثم ركب وحمل وحملت العساكر معه فحصل المسلمون فى وسطهم وحجز الغبار بينهم فقتل المسلمون فيهم كيف شاؤا وانزل الله نصره عليهم فانهزم الروم وقتل منهم مالا يحصى حتى امتلأت الارض بجثث القتلى واسر ملك الروم اسره بعض غلمان كوهرائين فاراد قتله ولم يعرفه فقال له خادم مع الملك لا تقتله فانه الملك وكان هذا الغلام قد عرضه كوهرائين على نظام الملك فرده استحقارا له فاثنى عليه كوهرائين فقال نظام الملك عسى ان ياتينا بملك الروم اسيرا فكان كذلك فلما اسر الغلام الملك احضره عند كوهرائين فقصد السلطان واخبره باسر الملك فامر باحضاره فلما احضر ضربه السلطان الب ارسلان ثلاث مقارع بيده وقال له ألم ارسل اليك فى الهدنة فابيت فقال دعنى من التوبيخ وافعل ما تريد فقال السلطان ما عزمت ان تفعل بى ان اسرتنى فقال افعل القبيح قال له فما تظن اننى افعل بك قال اما ان تقتلنى واما أن تشهرنى فى بلاد الاسلام والاخرى بعيدة وهى العفو وقبول الاموال واصطناعى نائبا عنك قال ما عزمت على غير هذا ففدى نفسه بالف الف دينار وخمسمائة ألف دينار وان يرسل اليه عساكر الروم اى وقت طلبها وان يطلق كل اسير فى بلاد الروم واستقر الامر على ذلك وانزله فى خيمة وارسل اليه عشرة آلاف دينار يتجهز بها فاطلق له جماعة من البطارقة وخلع عليه من الغد فقال ملك الروم اين جهة الخليفة فدل عليها فقام وكشف رأسه واوما الى الارض بالخدمة وهادنه السلطان خمسين سنة وسيره الى بلاده وسير معه عسكرا أوصلوه الى مامنه وشيعه السلطان فرسخا وأما الروم

الملك الحطة وذلك ليلة الاربعاء تاسع عشره وقد نزل به خلط دموى فتقايا ثم مات وذلك بناحية المحرقة بالقرب من دهشور وان مماليكه اجتمعوا وامروا عليهم شاهين بك وذلك باشارة استاذهم وان طائفة اولاد على انفصلوا عنهم ورجعوا الى بلادهم وآخرين يطلبون الامان فاشتبه الحال وشاع الخبر وصارت الناس ما بين مصدق ومكذب واستمر الاشتباه والاضطراب أياما حتى ان الباشا خلع على ذلك المخبر بعد ان تحقق خبره فروة سمور وركب بها وشق من وسط المدينة والناس ما بين مصدق ومكذب ويظنون ان ذلك من مكايده وتحيلاته لامور يدبرها الى ان حضر بعض الخدم الى دوره واخبروا بحقيقة الحال كما ذكر فعند ذلك زال الاشتباه وعد ذلك من تمام سعد محمد على باشا الدنيوى حتى انه قال فى مجلس خاصته الآن ملكت مصر ولما مات الالفى ارتحلت اجناده ومماليكه وأمراؤه وارتفعوا الى ناحية قبلى فسبحان الحى الذى لا يموت قال الشاعر

فقل للشامتين بنا أفيقوا
سيلقى الشامتون كما لقينا

ثم ان الباشا ارسل الى امرائه مكاتبة يستميلهم ويطلبهم للصلح ويدعوهم للانضمام اليه ويعدهم ان يعطيهم فوق مامولهم ونحو ذلك وارسل تلك المكاتبة صحبة قادرى اغا الذى كان طرده الالفى ونفاه واخذ محمد على باشا فى الاهتمام والركوب واللحوق بهم وفى

فلما بلغهم خبر الوقعة وثب ميخائيل على المملكة فملك البلاد فلما وصل أرمانوس الملك الى قلعة دوقية بلغه الخبر فلبس الصوف وأظهر الزهد وأرسل الى ميخائيل يعرفه ما تقرر مع السلطان وقال ان شئت ان تفعل ما استقر وان شئت امسكت فاجابه ميخائيل بايثار ما استقر وطلب وساطته وسؤال السلطان فى ذلك وجمع أرمانوس ما عنده من المال فكان مائتى ألف دينار فارسله الى السلطان وطبقا ذهبا عليه جواهر بتسعين ألف دينار وحلف انه لا يقدر على غير ذلك ثم ان أرمانوس استولى على اعمال الارمن و بلادهم ومدح الشعراء السلطان وذكروا هذا الفتح فاكثروا

(ذكر ملك اتسز الرملة و بيت المقدس)

فى هذه السنة قصد اتسز بن أوق الخوارزمى وهو من أمراء السلطان ملكشاه بلاد الشام فجمع الاتراك وسار الى فلسطين ففتح مدينة الرملة وسار منها الى البيت المقدس وحصره وفيه عساكر المصريين ففتحه وملك ما يجاورهما من البلاد ما عدا عسقلان وقصد دمشق فحصرها وتابع النهب لاعمالها حتى خربها وقطع الميرة عنها فضاق الامر بالناس فصبروا ولم يملكوه من ملك البلد فعاد عنه وادام قصد أعماله وتخريبها حتى قلت الاقوات عندهم

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة توفى ابو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن فوران الفورانى الفقيه الشافعى مصنف كتاب الابانة وغيرها وفى هذه السنة فى ذى الحجة توفى الخطيب ابو بكر احمد بن على بن ثابت البغدادى صاحب التاريخ والمصنفات الكثيرة ببغداد وكان امام الدنيا فى زمانه وممن حمل جنازته الشيخ ابو اسحق الشيرازى وتوفى ايضا فيها فى شهر رمضان ابو يعلى محمد بن الحسين بن حمزة الجعفرى فقيه الامامية وحسان بن سعيد بن حسان بن محمد بن عبد الله المنيعى المخزومى من اهل مروالروذ كان كثير الصدقة والمعروف والعبادة والقنوع بالقليل من القوت والاعراض عن زينة الدنيا وبهجتها وكان السلاطين يزورونه ويتبركون به واكثر من بناء المساجد والخانقاهات والقناطر وغير ذلك من مصالح المسلمين وتوفيت أيضا كريمة بنت أحمد بن محمد المروزية وهى التى تروى صحيح البخارى توفيت بمكة واليها انتهى علو الاسناد للصحيح الى ان جاء ابو الوقت

(ثم دخلت سنة اربع وستين وأربعمائة)

(ذكر ولاية سعد الدولة كوهرائين شحنكية بغداد)

فى ربيع الاول من هذه السنة ورد ايتكين السليمانى شحنة بغداد من عند السلطان الى بغداد فقصد دار الخلافة وسال العفو عنه وأقام أياما فلم يجب الى ذلك وكان سبب غضب الخليفة عليه انه كان قد استخلف ابنه عند مسيره الى السلطان وجعله شحنة ببغداد فقتل أحد المماليك الدارية فانفذ قميصه من الديوان الى السلطان ووقع الخطاب فى عزله وكان نظام الملك يعنى بالسليمانى فاضاف الى أقطاعه تكريت

كل يوم ينادى على العسكر بالمدينة بالخروج وقوى نشاطهم ورفعوا رؤسهم وسعوا فى قضاء اشغالهم وخطفوا الجمال والحمير وحضر الباشا الى بيته بالازبكية وبات به ليلة الاحد وصرح بسفره يوم الخميس وخرج الى العرضى ثانيا وطلب السلف والمال ومضى الخميس والجمعة ولم يسافر (وفى ليلة السبت تاسع عشرينه) نزل به حادر وتحرك عنده خلط وحصل له اسهال وقئ واشاع الناس موته يوم السبت وتناقلوه وكاد العسكر ينهبون العرضى ثم حصلت له افاقة وخرج السيد عمر والمشايخ للسلام عليه يوم الاحد وليهنئوه بالعافية وكذلك خرجوا لوداعه قبل ذلك مرارا (وفيه) حضر قادرى بجوابات الرسالة من امراء الالفى احدها للباشا وعليه ختم شاهين بك وباقى خشداشينه الكبار وآخر خطابا لمصطفى كاشف اغا الوكيل وعلى كاشف الصابونجى ومن كان كاتبهم بالمعنى السابق يذكرون فى جوابهم ان سيدهم قد مات وهو شخص واحد فقد خلف رجالا وأمراء وهم على طريقة أستاذهم فى الشجاعة والرأى والتدبير ونحو ذلك وليس كل مدع تسلم له دعواه ومن امثال المغاربة ما كل حمراء لحمة ولا كل بيضاء شحمة وذكروا فى الجواب ايضا انه ان اصطلح مع كبرائهم الكائنين بقبلى وهم ابراهيم بك فكتب

فيكوتب واليها من ديوان الخلافة بالتوقف عن تسليمها فلما رأى نظام الملك والسلطان اصرار الخليفة على الاستقالة من ولايته شحنكية بغداد سير سعد الدولة كوهرائين الى بغداد شحنة وعزل السلماني عنها اتباعا لما امر به الخليفة القائم بامر الله ولما ورد سعد الدولة خرج الناس لتلقيه وجاس له الخليفة

(ذكر تزويج ولى العهد بابنة السلطان)

فى هذه السنة ارسل الامام القائم بامر الله عميد الدولة بن جهير ومعه الخلع للسلطان ولولده ملكشاه وكان السلطان قد ارسل يطلب من الخليفة ان ياذن فى ان يجعل ولده ملكشاه ولى عهده فاذن وسيرت له الخلع مع عميد الدولة وأمر عميد الدولة ان يخطب ابنة السلطان الب ارسلان من سفرى خاتون لولى العهد المقتدى بامر الله فلما حضر عند السلطان خطب ابنته فاجيب الى ذلك وعقد النكاح بظاهر نيسابور وكان عميد الدولة الوكيل فى قبول النكاح ونظام الملك الوكيل من جهة السلطان فى العقد وكان النثار جواهر وعاد عميد الدولة من عند السلطان الى ملكشاه وكان ببلاد فارس فلقيه باصبهان فافاض عليه الخلع فلبسها وسار الى والده وعاد عميد الدولة الى بغداد فدخلها فى ذى الحجة

(ذكر ولاية أبى الحسن بن عمار طرابلس)

فى هذه السنة فى رجب توفى القاضى أبو طالب بن عمار قاضى طرابلس وكان قد استولى عليها واستبد بالامر فيها فلما توفى قام مكانه ابن اخيه جلال الملك ابو الحسن بن عمار وضبط البلد احسن ضبط ولم يظهر لفقد عمه اثر لكفايته

(ذكر ملك السلطان الب ارسلان قلعة فضلون بفارس)

فى هذه السنة سير السلطان الب ارسلان وزيره نظام الملك فى عسكر الى بلاد فارس وكان بها حصن من أمنع الحصون والمعاقل وفيه صاحبه فضلون وهو لا يعطى الطاعة فنازله وحصره ودعاه الى طاعة السلطان فامتنع فقاتله فلم يبلغ بقتاله غرضا لعلو الحصن وارتفاعه فلم يطل مقامهم عليه حتى نادى أهل القلعة بطلب الامان ليسلموا الحصن اليه فعجب الناس من ذلك وكان السبب فيه ان جميع الآبار التى بالقلعة غارت مياهها فى ليلة واحدة فقادتهم ضرورة العطش الى التسليم فلما طلبوا الامان امنهم نظام الملك وتسلم الحصن والتجا فضلون الى قلة القلعة وهى أعلى موضع فيها وفيه بناء مرتفع فاحتمى فيها فسير نظام الملك طائفة من العسكر الى الموضع الذى فيه أهل فضلون وأقاربه ليحملوهم اليه وينهبوا اموالهم فسمع فضلون الخبر ففارق موضعه مستخفيا فيمن عنده من الجند وسار ليمنع عن أهله فاستقبله طلائع نظام الملك فخافهم فتفرق من معه واختفى فى نبات الارض فوقع فيه بعض العسكر فاخذه اسيرا وحمله الى نظام الملك فاخذه وسار به الى السلطان فامنه واطلقه

(ذكر عدة حوادث)

الكبير وعثمان بك حسن وباقى امرائهما كنا مثلهم وان كان يريد صلحنا دونهم فيعطينا ما كان يطلبه أستاذنا من الاقاليم ونحو ذلك

(واستهل شهر ذى الحجة بيوم الاثنين سنة ١٢٢١)

فيه ارتحل الباشا بالعرضى الى ساقية مكى بالجيزة متوجها لقبلى (وفيه) طلبوا المراكب من كل ناحية وعزوجودها وامتنعت الواردون ومراكب المعاشات والتجارات مع استمرار الطلب للمغارم والسلف ونحو ذلك وفى منتصفه وردت مكاتبات من وزير الدولة العثمانية وفيها الخبر بوقوع الغزو بين العثمانى والموسكوب والامر بالتيقظ والتحفظ وتحصين الثغور فربما اغاروا على بعضها على حين غفلة وكذلك وردت أخبار بمعنى ذلك من حاكم ازميروحاكم رودس وان الانكليز معاونون لطائفة الموسكوب لاستمرار عداوتهم مع الفرنساوية لكون الفرانساوية متصادقين مع العثمانى والخبر عن مجمل القضية ان بونابارته أمير جيش الفرانساوية وعساكرهم خرجوا فى العام الماضى واغاروا على القرانات والممالك الافرنجية واستولوا على النيمسة التى هى اعظم القرانات وبينهم وبين الموسكوب مصادقة ونسب فارسل الموسكوب جندا كثيفا مساعدة للنيمساوية مع كبير من قرابة قرانهم فقتلا قوامع بونابارته بعد استيلائه على تخت النيمسة فهزموهم أيضا وأسر

فى هذه السنة توفى القاضى أبو الحسين محمد بن أحمد بن عبد الصمد بن المهتدى بالله الخطيب بجامع المنصور وكان قد أضر ومولده سنة أربع وثمانين وثلثمائة وكان اليه قضاء واسط وخليفته عليها ابو محمد بن السمال

(ثم دخلت سنة خمس وستين واربعمائة)

(ذكر قتل السلطان الب ارسلان)

فى اول هذه السنة قصد السلطان الب ارسلان واسمه محمد وانما غلب عليه الب ارسلان ماوراء النهر وصاحبه شمس الملك تكين فعقد على جيحون جسرا وعبر عليه فى نيف وعشرين يوما وعسكره يزيد على مائتى الف فارس فاتاه اصحابه بمستحفظ قلعة يعرف بيوسف الخوارزمى فى سادس شهر ربيع الاول وحمل الى قرب سريره مع غلامين فتقدم ان تضرب له أربعة اوتاد وتشد اطرافه اليها فقال له يوسف يا مخنث مثلى يقتل هذه القتلة فغضب السلطان الب ارسلان وأخذ القوس والنشاب وقال للغلامين خلياه ورماه السلطان بسهم فاخطاه ولم يكن يخطئ سهمه فوثب يوسف يريده والسلطان على سدة فلما رأى يوسف يقصده قام عن السدة ونزل عنها فعثر فوقع على وجهه فبرك عليه يوسف وضربه بسكين كانت معه فى خاصرته وكان سعد الدولة واقفا فجرحه يوسف ايضا جراحات ونهض السلطان فدخل الى خيمة أخرى وضرب بعض الفراشين يوسف بمرزبة على رأسه فقتله وقطعه الاتراك وكان اهل سمرقند لما بلغهم عبور السلطان النهر وما فعل عسكره بتلك البلاد لاسيما بخارا اجتمعوا وختموا ختمات وسالوا الله ان يكفيهم أمره فاستجاب لهم ولما جرح السلطان قال مامن وجه قصدته وعدو اردته الا استعنت بالله عليه ولما كان أمس صعدت على تل فارتجت الارض تحتى من عظم الجيش وكثرة العسكر فقلت فى نفسى انا ملك الدنيا وما يقدر احد على فعجزنى الله تعالى باضعف خلقه وانا استغفر الله تعالى واستقيله من ذلك الخاطر فتوفى عاشر ربيع الاول من السنة فحمل الى مرو ودفن عند ابيه ومولده سنة أربع وعشرين واربعمائة وبلغ من العمر اربعين سنة وشهورا وقيل كان مولده سنة عشرين وأربعمائة وكانت مدة ملكه منذ خطب له بالسلطنة الى ان قتل تسع سنين وستة اشهر واياما ولما وصل خبر موته الى بغداد جلس الوزير فخر الدولة بن جهير للعزاء به فى صحن السلام

(ذكر نسب الب ارسلان وبعض سيرته)

هو الب ارسلان محمد بن داود جغرى بك بن ميكائيل بن سلجوق وكان كريما عادلا عاقلا لا يسمع السعايات واتسع ملكه جدا ودان له العالم وبحق قيل له سلطان العالم وكان رحيم القلب رفيقا بالفقراء كثير الدعاء بدوام ما انعم الله به عليه اجتاز يوما بمرو على فقراء الخرائين فبكى وسال الله تعالى ان يغنيه من فضله وكان يكثر الصدقة فيتصدق فى رمضان بخمسة عشر الف دينار وكان فى ديوانه اسماء خلق كثير من الفقراء فى جميع ممالكه عليهم الادارات والصلات ولم يكن فى جميع بلاده جناية ولا

عظماءهم وسار بجيوشه الى الروسية واستولى على عدة أساكل وكلما استولى على جهة قرر بها احكامها وشرط عليهم شروطه التى منها معاداة الانكليز ومنابذتهم وراسله العثمانى وراسله هو أيضا ورأى العثمانى قوة باسه فصادقه وأرسل اليه من طرفه ايلجى الى اسلامبول فدخلها فى أبهة عظيمة وأنزلوه منزلا حسنا وأرسل صحبته هدايا وقوبل باعظم منها وكذلك ارسل الى خصوص بونابارته تحفا وهدايا وتاجا من الجوهر فعند ذلك انتبذ الموسكوب ونقض الهدنة بينه وبين العثمانى وطلب المحاربة فخافه العثمانى لما يعلمه منه من القوة والكثرة وسعى الانكليز بينهما بالصلح واجتهد فى ذلك حتى أمضاه بشروط قبيحة وصلت الينا صورتها وظهر لنا منها اثنا عشر شرطا ونصها الاول ان امراء القلاع والبغازات يحتاج ان يتغيروا باذن الانكليز والموسكوب الثانى مشيخة السبع جزائر من الآن فصاعدا لا تكون تابعة غير الموسكوب الثالث تعريفة الديوان فى بلاد العثمانى هى التى كانوا ياخذونها قبل النظام الجديد الرابع الدولة العلية تسمح للموسكوب فى طريق ثلثمائة ألف مقاتل يدخلون الى أى محل أرادوه من بلاد العثمانى وذلك مدة اتفاق الانكليز والموسكوب وهو تسعة سنين الخامس يكون مسموحا لعمارة الموسكوب انها تدخل

مصدرة

مصادرة فقد قنع من الرعايا بالخراج الاصلي يؤخذ منهم كل سنة دفعتين رفقا بهم وكتب اليه بعض السعاة سعاية في نظام الملك وزيره وذكر ماله في ممالكه من الرسوم والاموال وتركت على مصلاه فاخذها فقرأها ثم سلمها الى نظام الملك وقال له خذ هذا الكتاب فان صدقوا في الذي كتبوه فهذب اخلاقك واصلح احوالك وان كذبوا فاغفر لهم زلتهم واشغلهم بمهم يشتغلون به عن السعاية بالناس وهذه حالة لايذكر عن احد من الملوك احسن منها وكان كثيرا مايقرأ عليه تواريخ الملوك وآدابهم واحكام الشريعة ولما اشتهر بين الملوك حسن سيرته ومحافظته على عهوده اذعنوا له بالطاعة والموافقة بعد الامتناع وحضروا عنده من اقاصي ماوراء النهر الى اقصى الشام وكان شديد العناية بكف الجند عن اموال الرعية بلغه ان بعض خواص مماليكه سلب من بعض الرستاقية ازارا فاخذ المملوك وصلبه فارتدع الناس عن التعرض الى مال غيرهم ومناقبه كثيرة لايليق بهذا الكتاب اكثر من هذا القدر منها وخلف الب ارسلان من الاولاد ملكشاه وهو الذي صار السلطان بعده واياز وتكش وبوري برش وتتش وارسلان ارغو وسارة وعائشة وبنتا اخرى

(ذكر ملك السلطان ملكشاه)

لما جرح السلطان الب ارسلان اوصى بالسلطنة لابنه ملكشاه وكان معه وامر ان يحلف له العسكر فحلفوا جميعهم وكان المتولي للامر في ذلك نظام الملك وارسل ملكشاه الى بغداد يطلب الخطبة له فخطب له على منابرها واوصى الب ارسلان ابنه ملكشاه ايضا ان يعطي اخاه قاورت بك ابن داود اعمال فارس وكرمان وشيئا عينه من المال وان يزوج بزوجته وكان قاورت بك بكرمان واوصى ان يعطى ابنه اياز بن الب ارسلان ما كان لابيه داود وهو خمسمائة الف دينار وقال كل من لم يرض بما اوصيت له فقاتلوه واستعينوا بما جعلته له على حربه وعاد ملكشاه من بلاد ماوراء النهر فعبر العسكر الذي قطع النهر في نيف وعشرين يوما في ثلاثة ايام وقام بوزارة ملكشاه نظام الملك وزاد الاجناد في معايشهم سبعمائة الف دينار وعادوا الى خراسان وقصدوا نيسابور وراسل ملكشاه جماعة الملوك اصحاب الاطراف يدعوهم الى الخطبة له والانقياد اليه واقام اياز ارسلان ببلخ وسار السلطان ملكشاه في عساكره من نيسابور الى الري

(ذكر ملك صاحب سمرقند مدينة ترمذ)

في هذه السنة في ربيع الآخر ملك التكين صاحب سمرقند مدينة ترمذ وسبب ذلك انه لما بلغه وفاة الب ارسلان وعود ابنه ملكشاه عن خراسان طمع في البلاد المجاورة له فقصد ترمذ اول ربيع الآخر وفتحها ونقل مافيها من ذخائر وغيرها الى سمرقند وكان اياز ابن الب ارسلان قد سار عن بلخ الى الجوزجان فخاف اهل بلخ فارسلوا الى التكين يطلبون منه الامان فامنهم فخطبوا له فيها وورد اليها فنهب عسكره شيئا من اموال الناس وعاد الى ترمذ فثار اوباش بلخ بجماعة من اصحابه فقتلوهم فعاد اليهم وامر باحراق المدينة

لمينة الترسخانه باسلامبول لاجل أنهم ياخذون من هناك كامل الذي يلزمهم السادس من جميع الرعايا والحمايات التي للموسكوب من جديد وقديم لهم الاقامة والتجارة وشراء الاملاك في كامل بلاد العثماني السابع كامل مراكب الموسكوب التجارية التي كانوا عن بعض الاسباب نزلوا بيارقها يقدرون أن يتوجهوا بها الى قنصولية الموسكوب باسلامبول وحالا تعطى لهم بطانات جديدة الثامن كامل الاروام الموجودين في بلاد العثماني ويريدون أن يدخلوا في حماية الموسكوب يمكنهم بكل حرية التاسع البراتلية والفرماتلية يحصلون على قوتهم التي كانوا بها سابقا العاشر الجى الفرنساوية ملزوم يسافر من اسلامبول بعد واحد وثلاثين يوما الحادي عشر مراكب الاروام والعثماني لايسافرون بها لبلاد فرانسا مادام الحرب بين الموسكوب والفرانساوية فلما تقررت هذه الشروط واطلع عليها الفرانساوي فكانه لم يرض بها وقال للعثماني لم يبق بيدك مملكة وأشار عليه بنقضها وتكفل بمساعدته ومقاومتهم فركن اليه ونقض تلك الشروط فعند ذلك نبذوا صداقة العثماني واظهروا مخاصمته ووافقهم على ذلك الانكليز لكونه صادق الفرنساوية وأغاروا على بعض النواحي وأخذوا الختن وغيرها وشرع اهل الاسكندرية في تحصين قلاعها وأبراجها وكذلك أبو

فخرج اليه اعيان اهلها وسالوه الصفح واعتذروا فعفا عنهم لكنه اخذ اموال التجار فغنم شيئا عظيما فلما وصل الخبر الى اياز عاد من الجوزجان الى بلخ فوصل غرة جمادى الاولى فاطاعه اهلها وسار عنها الى ترمذ في عشرة آلاف فارس في الثالث والعشرين من جمادى الآخرة فلقيهم عسكر التكين فانهزم اياز فغرق من عسكره في جيحون اكثرهم وقتل كثير منهم ولم ينج الا القليل

(ذكر قصد صاحب غزنة سكلكند)

وفي هذه السنة ايضا في جمادى الاولى وردت طائفة كثيرة من عسكر غزنة الى سكلكند وبها عثمان عم السلطان ملكشاه ويلقب بامير الامراء فاخذوه اسيرا وعادوا به الى غزنة مع خزائنه وحشمه فجمع الامير كمشتكين بلكابك وهو من اكابر الامراء فتبع آثارهم وكان معه انوشتكين جد ملوك خوارزم في زماننا فنهبوا مدينة سكلكند

(ذكر الحرب بين السلطان ملكشاه وعمه قاورت بك)

لما بلغ قاورت بك وهو بكرمان وفاة اخيه الب ارسلان سار طالبا للري يريد الاستيلاء على الممالك فسبقه اليها السلطان ملكشاه ونظام الملك وسارا منها اليه فالتقوا بالقرب من همذان في شعبان وكان العسكر يميلون الى قاورت بك فحملت ميسرة قاورت على ميمنة ملكشاه فهزموها وحمل شرف الدولة مسلم بن قريش وبهاء الدولة منصور بن دبيس بن مزيد وهما مع ملكشاه ومن معهما من العرب والاكراد على ميمنة قاورت بك فهزموها وتمت الهزيمة على اصحاب قاورت بك ومضى المنهزمون من اصحاب السلطان ملكشاه الى حلل شرف الدولة وبهاء الدولة فنهبوها غيظا منهم حيث هزموا عسكر قاورت بك ونهبوا ايضا ما كان لنقيب النقباء طراد بن محمد الزينبي رسول الخليفة وجاء رجل سوادي الى السلطان ملكشاه فاخبره ان عمه قاورت بك في بعض القرى فارسل من اخذه واحضره فامر سعد الدولة كوهرائين فخنقه واقر كرمان بيد اولاده وسير اليهم الخلع واقطع العرب والاكراد اقطاعات كثيرة لما فعلوه في الوقعة وكان السبب في حضور شرف الدولة وبهاء الدولة عند ملكشاه ان السلطان الب ارسلان كان ساخطا على شرف الدولة فارسل الخليفة نقيب النقباء طراد بن محمد الزينبي الى شرف الدولة بالموصل فاخذه وسار به الى الب ارسلان ليشفع فيه عند الخليفة فلما بلغ الزاب وقف على ملطفات كتبها وزيره ابو جابر بن صقلاب فاخذها شرف الدولة فغرقها وسار مع طراد فبلغهما الخبر بوفاة الب ارسلان ومسير ابنه ملكشاه فتمما اليه واما بهاء الدولة فانه كان قد سار بمال ارسله به ابوه الى السلطان فحضر الحرب بهذا السبب

(ذكر تفويض الامور الى نظام الملك)

ثم ان عسكر ملكشاه بسطوا ومدوا ايديهم في اموال الرعية وقالوا ما يمنع السلطان أن يعطينا الاموال الا نظام الملك فنال الرعية اذى شديد فذكر ذلك نظام الملك للسلطان فبين له ما في هذا الفعل من الوهن وخراب البلاد وذهاب السياسة فقال له افعل في هذا

قبر وأرسل كتخدا بك من يتقيد ببناء قلعة بابراس وحصل لمصر قلق ولغط وغلت الاسعار في البضائع المجلوبة

وعملوا جمعيات ببيت كتخدا بك وبيت السيد عمر النقيب واتفقوا على ارسال ثلاث المراسلات الى محمد علي باشا بالجهة القبلية صحبة ديوان افندي (وفي عشرينه) اجتمعوا بالازهر لقراءة صحيح البخاري في أجزاء صغار (وفيه) حضر ديوان افندي بمكاتبات وفيها طلب جماعة من الفقهاء ليسعوا في اجراء الصلح بين الامراء المصريين وبين الباشا فوقع الاتفاق على تعيين ثلاثة أشخاص وهم ابن الشيخ الامير وابن الشيخ العروسي والسيد محمد الدواخلي فسافروا في يوم الاحد سادس عشرينه ووصلت الاخبار بان الانكليز حضروا في اثني عشر مركبا وعبروا بغاز اسلامبول وكانوا محترسين فضربوا عليهم بالمدافع من الجهتين فلم يكترثوا ولم ينزعجوا ولم يتأخروا ولم يصب الضرب الا مركبا واحدة من الاثني عشر وعمروا ثلمتها في الحال ولم يزالوا سائرين حتى رسوا بير اسلامبول فهاج كل اهلها وصرخوا وانزعجوا انزعاجا عظيما وايقنوا باخذ الانكليز البلدة ولو ارادوا حرقها لاحرقوها عن آخرها فعند ذلك نزل اليهم السيد علي باشا القبطان وهو أخو علي باشا

الذي كان أخذ يسيرا مع البرديسي من برج مغيزل برشيد فتكلم معهم وصالحهم وخرجوا من البغاز سالمين

ما تراه

ماتراه مصلحة فقال له نظام الملك ما يمكنني ان أفعل الا بامرك فقال السلطان قد رددت الامور كلها كبيرها وصغيرها اليك فانت الوالد وحلف له وأقطعه اقطاعا زائدا على ما كان من جملته طوس مدينة نظام الملك وخلع عليه ولقبه القابا من جملتها أتابك ومعناه الامير الوالد فظهر من كفايته وشجاعته وحسن سيرته ما هو مشهور فمن ذلك ان امرأة ضعيفة استغاثت اليه فوقف يكلمها وتكلمه فدفعها بعض حجابه فانكر ذلك عليه وقال انما استخدمتك لامثال هذه فان الامراء والاعيان لا حاجة بهم اليك ثم صرفه عن حجبته

(ذكر قتل ناصر الدولة بن حمدان)

في هذه السنة قتل ناصر الدولة أبو علي الحسن بن حمدان وهو من أولاد ناصر الدولة بن حمدان بمصر وكان قد تقدم فيما تقدم ما عظم ونذكر ههنا الاسباب الموجبة لقتله فانها فتبع بعضها بعضا في حروب وتجارب وكان أول ذلك انحلال امر الخلافة وفساد احوال المستنصر بالله العلوي صاحبها وسببه ان والدته كانت غالبة على امره وقد اصطنعت اباسعيد ابراهيم التستري اليهودي وصار وزيرها فاشار عليها بوزارة ابي نصر الفلاحي فولته الوزارة واتفقا مدة ثم صار الفلاحي ينفرد بالتدبير فوقع بينهما وحشة فخاف الفلاحي ان يفسد أمره مع أم المستنصر فاصطنع الغلمان الاتراك واستمالهم وزاد في أرزاقهم فلما وثق بهم وضعهم على قتل اليهودي فقتلوه فعظم الامر على أم المستنصر وأغرت به ولدها فقبض عليه وأوسلت من قتله تلك الليلة وكان بينهما في القتل تسعة أشهر ووزر بعده أبو البركات حسن بن محمد فوضعه على الغلمان الاتراك فافسد أحوالهم وشرع يشتري العبيد للمستنصر واستكثر منهم فوضعته أم المستنصر ليغري العبيد المجردين بالاتراك فخاف عاقبة ذلك وعلم انه يورث شرا وفسادا فلم يفعل فتنكرت له وعزلته عن الوزارة وولي بعده الوزارة ابو محمد اليازوري من قرية من قرى الرملة اسمها يازور فامرته أيضا بذلك فلم يفعل واصلح الامور الى ان قتل ووزر بعده ابو عبد الله الحسين بن البابلي فامرته بما أمرت به غيره من الوزراء من اغراء العبيد بالاتراك ففعل فتغيرت نياتهم ثم ان المستنصر ركب ليشيع الحجاج فاجرى بعض الاتراك فرسه فوصل به الى جماعة العبيد المحدثين وكانوا يحيطون بالمستنصر فضربه أحدهم فجرحه فعظم ذلك على الاتراك ونشبت بينهم الحرب ثم اصطلحوا على تسليم الجارح اليهم واستحكمت العداوة فقال الوزير للعبيد خذوا حذركم فاجتمعوا في محالهم وعرف الاتراك ذلك فاجتمعوا الى مقدميهم وقصدوا ناصر الدولة بن حمدان وهو أكبر قائد بمصر وشكوا اليه واستمالوا المصامدة وكتامة وتعاهدوا وتعاقدوا فقوي الاتراك وضعف العبيد المحدثون فخرجوا من القاهرة الى الصعيد ليجتمعوا هناك فانضاف اليهم خلق كثير يزيدون على خمسين ألف فارس وراجل فخاف الاتراك وشكوا الى المستنصر فاعاد الجواب انه لا علم له بما فعل العبيد وانه لا حقيقة له فظنوا

ومجبوطاتهم بعفوهم مع المقدرة وانقضت السنة بحوادثها (واما من مات بها من العلماء والامراء ممن له ذكر) مات العمدة الفاضل صدر المدرسين وعمدة المحققين الفقيه الورع الشيخ محمد الحفني الشافعي تخرج على الشيخ عطية الاجهوري وغيره من اشياخ العصر المتقدمين كالحفني والعدوي ومسكنه بخطة السيدة نفيسة ويأتي الى الازهر في كل يوم فيقرأ دروسه ثم يعود الى داره متقللا في معيشته منعزلا عن مخالطة غالب الناس وهو آخر الطبقة وتمرض شهورا بمنزله الذي بالمشهد النفيسي وكان دائما يسأل عن الشيخ سليمان البجيرمي وكان يقول لا أموت حتى يموت البجيرمي لانه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وقال له أنت آخر اقرانك موتا ولم يكن من اقرانه سوى البجيرمي فلذلك كان يسال عنه ثم مات البجيرمي بقرية تسمى مصطيه ومات هو بعده بنحو ثلاثة أشهر وكانت وفاته في يوم الاثنين خامس عشرين ذي الحجة ولم يحضروا بجنازته الى الازهر بل صلي عليه بالمشهد النفيسي ودفن هناك رحمة الله تعالى عليه * ومات الشيخ الفقيه المحدث خاتمة المحققين وعمدة المدققين بقية السلف وعمدة الخلف الشيخ سليمان ابن محمد بن عمر البجيرمي

٥ ينخ مل عا الشافعي الازهري المنتهي نسبه الى الشيخ جمعة الزيدي المدفون ببجيرم نسبة الى زيدة

قوله حيلة عليهم ثم قوى الخبر بقرب العبيد منهم بكثرتهم فاجفل الاتراك وكتامة والمصامدة وكانت عدتهم ستة آلاف فالتقوا بموضع يعرف بكوم الريش واقتتلوا فانهزم الاتراك ومن معهم الى القاهرة وكان بعضهم قد كمن في خمسمائة فارس فلما انهزم الاتراك خرج الكمين على ساقة العبيد ومن معهم وحملوا عليهم حملة منكرة وضربت البوقات فارتاع العبيد وظنوها مكيدة من المستنصر وانه قد ركب في باقي العسكر فانهزموا وعاد عليهم الاتراك وحكموا فيهم السيوف فقتل منهم وغرق نحو أربعين ألفا وكان يوما مشهودا وقويت نفوس الاتراك وعرفوا حسن رأي المستنصر فيهم وتجمعوا وحشدوا واقتضاعفت عدتهم وزادت واجباتهم للانفاق فيهم فخلت الخزائن واضطربت الامور وتجمع باقي العسكر من الشام وغيره الى الصعيد فاجتمعوا مع العبيد فصاروا خمسة عشر ألف فارس وراجل وساروا الى الجيزة فخرج عليهم الاتراك ومن معهم واقتتلوا في الماء عدة أيام ثم عبر الاتراك النيل اليهم مع ناصر الدولة ابن حمدان فاقتتلوا فانهزم العبيد الى الصعيد وعاد ناصر الدولة والاتراك منصورين ثم ان العبيد اجتمعوا بالصعيد في خمسة عشر الف فارس وراجل فقلق الاتراك لذلك فحضر مقدموهم دار المستنصر لشكوى حالهم فامرت ام المستنصر من عندها من العبيد بالهجوم على المقدمين والفتك بهم ففعلوا ذلك وسمع ناصر الدولة الخبر فهرب الى ظاهر البلد واجتمع الاتراك اليه ووقعت الحرب بينهم وبين العبيد ومن تبعهم من مصر والقاهرة وحلف الامير ناصر الدولة بن حمدان أنه لا ينزل عن فرسه ولا يذوق طعاما حتى ينفصل الحال بينهم فبقيت الحرب ثلاثة ايام ثم ظفر بهم ناصر الدولة واكثر القتل فيهم ومن سلم هرب وزالت دولتهم من القاهرة وكان بالاسكندرية جماعة كثيرة من العبيد فلما كانت هذه الحادثة طلبوا الامان فامنوا واخذت منهم الاسكندرية وبقي العبيد الذين بالصعيد فلما خلت الدولة للاتراك طمعوا في المستنصر وقل ناموسه عندهم وطلبوا الاموال فخلت الخزائن فلم يبق فيها شئ البتة واختل ارتفاع الاعمال وهم يطالبون واعتذر المستنصر بعدم الاموال عنده فطلب ناصر الدولة العروض فاخرجت اليهم وقومت بالثمن البخس وصرفت الى الجند قيل ان واجب الاتراك كان في الشهر عشرين الف دينار فصار الآن في الشهر اربعمائة الف دينار واما العبيد بالصعيد فانهم افسدوا وقطعوا الطريق واخافوا السبيل فسار اليهم ناصر الدولة في عسكر كثير فمضى العبيد من بين يديه الى الصعيد الاعلى فادركهم فقاتلهم وقاتلوه فانهزم ناصر الدولة منهم وعاد الى الجيزة بمصر واجتمع اليه من سلم من أصحابه وشغبوا على المستنصر واتهموه بتقوية العبيد والميل اليهم ثم جهزوا جيشا وسيروه الى طائفة من العبيد بالصعيد وقاتلوهم فقتل تلك الطائفة من العبيد فوهن الباقون وزالت دولتهم وعظم امر ناصر الدولة وقويت شوكته وتفرد بالامر دون الاتراك فامتنعوا من ذلك وعظم عليهم وفسدت نياتهم له فشكوا ذلك الى الوزير وقالوا كلما خرج من الخليفة مال أخذ اكثره له ولحاشيته ولا يصل الينا منه الا القليل فقال الوزير انما وصل الى هذا وغيره بكم فلو

فارقتموه

بالقرب من منية ابن خصيم وينتهي نسب الشيخ جمعة المذكور الى سيدي محمد بن الحنفية ولد ببجيرم قرية من الغربية سنة احدى وثلاثين ٣ ومائة وألف وحضر الى مصر صغيرا دون البلوغ ورباه قريبه الشيخ موسى البجيرمي وحفظ القرآن ولازم الشيخ المذكور حتى تأهل لطلب العلوم وحضر على الشيخ العشماوي في الصحيحين وأبي داود والترمذي والشفاء والمواهب وشرح المنهج لشيخ الاسلام وشرحي المنهاج لكل من الرملي وابن حجر وحضر دروس الشيخ الحفني وأجازه الملوي والجوهري والمدابغي وأخذ عن الديربي وغيره وحضر أيضا دروس الشيخ علي الصعيدي والسيد البليدي وشارك كثيرا من الاشياخ كالشيخ عطية الاجهوري وغيره وكان انسانا حسنا حميد الاخلاق منجمعا عن مخالطة الناس مقبلا على شانه وقد انتفع به أناس كثيرون وكف بصره سنينا وعمر وتجاوز المائة سنة ومن تاليفه بايدي الطلبة حاشية على المنهج وأخرى على الخطيب وغير ذلك وقبل وفاته سافر الى مصطيه بالقرب من بجيرم

٣ قوله سنة احدى وثلاثين الخ هكذا في النسخ لكن لا يظهر بقوله الآتي وتجاوز المائة اذ لا يتأتى مجاوزته المائة الا ان يكون ولد قبل هذا التاريخ بنحو عشر سنوات اه مصحح

فارقتموه لم يتم له أمر فاتفق رأيهم على مفارقة ناصر الدولة واخراجه من مصر فاجتمعوا
وشكوا الى المستنصر وسألوه ان يخرج عنهم ناصر الدولة فارسل اليه يامره بالخروج
ويتهدده ان لم يفعل فخرج من القاهرة الى الجيزة ونهبت داره ودور حواشيه واصحابه
فلما كان الليل دخل ناصر الدولة مستخفيا الى القائد المعروف بتاج الملوك شادى
فقبل رجله وقال اصطنعنى فقال أفعل فحالفه على قتل مقدم من الاتراك اسمه الدكز
والوزير الخطير وقال ناصر الدولة لشادى تركب فى اصحابك وتسير بين القصرين فاذا
امكنتك الفرصة فيهما فاقتلهما وعاد ناصر الدولة الى موضعه الى الجيزة وفعل شادى
ما امره فركب الدكز الى القصر فرأى شادى فى جمعه فانكره واسرع فدخل القصر
ففاته ثم اقبل الوزير فى موكبه فقتله شادى وارسل الى ناصر الدولة يامره بالركوب
فركب الى باب القاهرة فقال الدكز للمستنصر ان لم تركب والا هلكت انت ونحن
فركب ولبس سلاحه وتبعه خلق عظيم من العامة والجند واصطفوا للقتال فحمل
الاتراك على ناصر الدولة فانهزم وقتل من اصحابه خلق كثير ومضى منهزما على وجهه
لا يلوى على شئ وتبعه فل اصحابه فوصل الى بنى سنبس فاقام عندهم وصاهرهم فقوى
بهم وتجهزت العساكر اليه ليبعدوه فساروا حتى قربوا منه وكانوا ثلاث طوائف فاراد
أحد المقدمين ان يفوز بالظفر وحده دون اصحابه فعبر فيمن معه الى ناصر الدولة وحمل
عليه فقاتله فظفر به ناصر الدولة فاخذه اسيرا واكثر القتل فى اصحابه وعبر العسكر
الثانى ولم يشعروا بما جرى على اصحابهم فحمل ناصر الدولة عليهم ورفع رؤس القتلى على
الرماح فوقع الرعب فى قلوبهم فانهزموا وقتل اكثرهم وقويت نفس ناصر الدولة وعبر
العسكر الثالث فهزمهم واكثر القتل فيهم واسر مقدمهم وعظم أمره ونهب الريف
فاقطعه وقطع الميرة عن مصر برا وبحرا فغلت الاسعار بها وكثر الموت بالجوع وامتدت
ايدى الجند بالقاهرة الى النهب والقتل وعظم الوباء حتى ان اهل البيت الواحد كانوا
يموتون كلهم فى ليلة واحدة واشتد الغلاء حتى حكى ان امرأة اكلت رغيفا بالف دينار
فاستبعد ذلك فقيل انها باعت عروضا قيمتها ألف دينار بثلثمائة دينار واشترت بها
حنطة وحملها الحمال على ظهره فنهبت الحنطة فى الطريق فنهبت هى مع الناس
فكان الذى حصل لها مما عملته رغيفا واحدا وقطع ناصر الدولة الطريق برا وبحرا
فهلك العالم ومات اكثر اصحاب المستنصر وتفرق كثير منهم فراسل الاتراك من
القاهرة ناصر الدولة فى الصلح فاصطلحوا على ان يكون تاج الملوك شادى نائبا عن ناصر
الدولة بالقاهرة يحمل المال اليه ولا يبقى معه لاحد حكم فلما دخل تاج الملوك الى
القاهرة تغير عن القاعدة واستبد بالاموال دون ناصر الدولة ولم يرسل اليه منها شيئا فسار
ناصر الدولة الى الجيزة واستدعى اليه شادى وغيره من مقدمى الاتراك فخرجوا اليه الا
اقلهم فقبض عليهم كلهم ونهب ناحيتى مصر واحرق كثيرا منها فسير اليه المستنصر
عسكرا فكبسوه فانهزم منهم ومضى هاربا فجمع جمعا وعاد اليهم فقاتلهم فهزمهم
وقطع خطبة المستنصر بالاسكندرية ودمياط وكانا معه وكذلك جميع الريف وارسل

قد توفى بها ليلة الاثنين وقت السحر ثالث عشر رمضان من السنة المذكورة ٣٥ ودفن هناك رحمة الله تعالى عليه * ومات
الاجل العلامة والفاضل الفهامة فريد عصره علما وعملا ووحيد دهره تفصيلا وجملا الشيخ مصطفى العقباوى المالكى نسبة لمنية عقبة بالجيزة حضر الى الازهر صغيرا ولازم السيد حسنا البقلى ثم الشيخ محمدا العقاد المالكى ثم الشيخ محمدا عبادة العدوى ملازمة كلية حتى تمهر فى مذهبه فى المنقولات وفى المعقولات وحضر دروس أشياخ العصر كالشيخ الدردير والشيخ محمد البيلى والشيخ الامير وغيرهم وتصدر لالقاء الدروس وانتفع به الطلبة واشتهر فضله وكان انسانا حسن الاخلاق مقبلا على الافادة والاستفادة لا يتداخل فيما لا يعنيه ويأتيه من بلدته ما يكفيه قانعا متورعا متواضعا ومن مناقبه انه كان يحب افادة العوام حتى انه كان اذا ركب مع المكارى يعلمه عقائد التوحيد وفرائض الصلاة الى ان توفى يوم الخميس تاسع عشر جمادى الآخرة ولم يخلف بعده مثله رحمه الله تعالى وعفا عنا وعنه * ومات الاجل المعظم المبجل المحقق المدقق المفضل العالم العامل الفاضل الكامل الشيخ على النجارى المعروف
بالقبانى الشافعى مذهبا المكى مولدا المدنى اصلا ابن العالم الفاضل الشيخ احمد تقى الدين ابن السيد تقى الدين المنتهى

الى الخليفة ببغداد يطلب خلعا ليخطب له بمصر واضمحل أمر المستنصر وبطل ذكره وتفرق الناس من القاهرة وارسل ناصر الدولة اليه أيضا يطلب المال فرآه الرسول جالسا على حصير وليس حوله غير ثلاثة خدم ولم ير الرسول شيأ من آثار المملكة فلما أدى الرسالة قال أما يكفى ناصر الدولة ان اجلس فى مثل هذا البيت على مثل هذا الحصير فبكى الرسول وعاد الى ناصر الدولة فاخبره الخبر فاجرى له كل يوم مائة دينار وعاد الى القاهرة وحكم فيها واذل السلطان واصحابه وكان الذى حمله على ذلك أنه كان يظهر التسنن من بين أهله ويعيب المستنصر وكان المغاربة كذلك فاعانوه على ما أراد وقبض على ام المستنصر وصادرها بخمسين ألف دينار وتفرق عن المستنصر أولاده وكثير من أهله الى الغرب وغيره من البلاد فمات كثير منهم جوعا وانقضت سنة اربع وستين وما قبلها بالفتن وانحط السعر سنة خمس وستين ورخصت الاسعار وبالغ ناصر الدولة فى اهانة المستنصر وفرق عنه عامة اصحابه وكان يقول لاحدهم انى أريد ان أوليك عمل كذا فيسير اليه فلا يمكنه من العمل ويمنعه من العود وكان غرضه بذلك أن يخطب للخليفة القائم بامر الله ولا يمكنه مع وجودهم ففطن لفعله قائد كبير من الاتراك اسمه الدكز وعلم انه متى تم ما اراد تمكن منه ومن اصحابه فاطلع على ذلك غيره من قواد الاتراك فاتفقوا على قتل ناصر الدولة وكان قد امن لقوته وعدم عدوه فتواعدوا ليلة على ذلك فلما كان سحر الليلة التى تواعدوا فيها على قتله جاؤا الى باب داره وهى التى تعرف بمنازل العز وهى على النيل فدخلوا من غير استئذان الى صحن داره فخرج اليهم ناصر الدولة فى رداء لانه كان آمنا منهم فلما دنا منهم ضربوه بالسيوف فسبهم وهرب منهم يريد الحرم فلحقوه فضربوه حتى قتلوه وأخذوا رأسه ومضى رجل منهم يعرف بكوكب الدولة الى فخر العرب أخى ناصر الدولة وكان فخر العرب كثير الاحسان اليه فقال للحاجب استأذن لى على فخر العرب وقل صنيعتك فلان على الباب فاستأذن له فاذن له وقال لعله قد دهمه أمر فلما دخل عليه اسرع نحوه كانه يريد السلام عليه وضربه بالسيف على كتفه فسقط الى الارض فقطع رأسه واخذ سيفه وكان ذا قيمة وافرة واخذ جارية له اردفها خلفه وتوجه الى القاهرة وقتل أخوهما تاج المعالى وانقطع ذكر الحمدانية بمصر بالكلية فلما كان سنة ست وستين واربعمائة ولى الامر بمصر بدر الجمالى امير الجيوش وقتل الدكز والوزير ابن كدينة وجماعة من المسلحية وتمكن من الدولة الى ان مات وولى بعده ابنه الافضل وسيرد ذكرهم ان شاء الله تعالى

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة أقيمت الدعوة العباسية بالبيت المقدس وفيها توفى الامير ايث بن منصور صدقة بن الحسين بالدامغان والشريف أبو الغنائم عبد الصمد بن على بن محمد بن المامون ببغداد وكان موته فى شوال ومولده سنة أربع وسبعين وثلثمائة وكان عالى الاسناد فى الحديث وفيها فى ذى الحجة توفى الشريف ابو الحسين محمد بن على بن عبد الله

نسبه الى ابى سعيد الخدرى وهو سعد بن مالك بن دينار بن تيم الله بن ثعلبة النجارى احد بطون الخزرج وينتهى نسب أخواله الى السيد احمد الناسك بن عبد الله بن ادريس بن عبد الله بن الحسن الانور ابن سيدنا الحسن السبط رضى الله تعالى عنه ولد المترجم بمكة سنة اربع وثلاثين ومائة وقدم الى مصر مع ابيه وأخيه السيد حسن سنة احدى وسبعين ومائة فليلة وصولهم مرض أخوه المذكور وتوفى صبح ثالث يوم فجزع والده لذلك جزعا شديدا وتشاءم به وعزم على السفر الى مكة ثانيا ولم يتيسر له ذلك الاواخر شوال من السنة المذكورة وبقى المترجم واشتغل بتحصيل العلوم وشراء الكتب النافعة واستكتابها ومشاركة اشياخ العصر فى الافادة والاستفادة مع مباشرة شغل تجارتهم من بيع الارساليات التى ترد اليه من اولاد أخيه من جدة ومكة وشراء ما يشترى وارساله لهم الى ان تمرض وانقطع ببيته الذى بخطة عابدين قريبا من الاستاذ الحنفى سنة تسع ومائتين وكان عالما ماهرا واديبا شاعرا تخرج على والده وعلى غيره بمكة وعلى كثير من اشياخ العصر المتقدمين كالشيخ العشماوى ٣ والشيخ الحفنى والشيخ العدوى

٣ قوله العشماوى فى بعض النسخ العماوى اه

ابن

ابن عبد الصمد بن المهتدى بالله المعروف بابن الغريق وكان يسمى راهب بنى العباس وهو آخر من حدث عن الدارقطنى وابن شاهين وغيرهما وكان موته ببغداد وفيها قتل ناصر الدولة أبو على الحسين بن حمدان بمصر قتله الدكز التركى وقد تقدم شرحه مستوفى وفيها توفى الامام ابو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيرى النيسابورى مصنف الرسالة وغيرها وكان اماما فقيها اصوليا مفسرا كاتبا ذا فضائل جمة وكان له فرس قد اهدى اليه فركبه نحو عشرين سنة فلما مات الشيخ لم يأكل الفرس شيئا فعاش اسبوعا ومات وفيها ايضا توفى على بن الحسن بن على بن الفضل ابو منصور الكاتب المعروف بابن صر بعر وكان نظام الملك قال له انت ابن صردر لا صر بعر فبقى ذلك عليه وهو من الشعراء المجيدين وهجاه ابن البياضى فقال

لئن نبز الناس قدما اباك * فسموه من شعره صر بعرا
فانك تنثر ما صره * عقوقا له وتسميه شعرا

وهذا ظلم من ابن البياضى فانه كان شاعرا محسنا ومن شعر ابن صردر قوله

تزاورن عن اذرعات يمينا * نواشز ليس يطعن البرينا
كلفن بنجد كأن الرياض * اخذن لنجد عليها يمينا
واقسمن يحملن الا نحيلا * اليه ويبلغن الا حزينا
فلما استمعن زفير المشوق * ونوح الحمام تركن الحنينا
اذا جئتما بانة الواديين * فارخوا النسوع وحلوا الوضينا
فثم علائق من اجلهن * ملاء الدجى والضحى قد طوينا
وقد انباتهم مياه الجفون * بان بقلبك داء دفينا

(ثم دخلت سنة ست وستين واربعمائة)

(ذكر تقليد السلطان ملكشاه السلطنة والخلع عليه)

فى هذه السنة فى صفر ورد كوهرائين الى بغداد من عند السلطان وجلس له الخليفة القائم بامر الله ووقف على رأسه ولى العهد المقتدى بامر الله وسلم الخليفة الى كوهرائين عهد السلطان ملكشاه بالسلطنة وقرأ الوزير اوله وسلم اليه ايضا لواء عقده الخليفة بيده ولم يمنع يومئذ احد من الدخول الى دار الخلافة فامتلأ صحن السلام بالعامة حتى كان الانسان تهمه نفسه ليتخلص وهنأ الناس بعضهم بعضا بالسلامة

(ذكر غرق بغداد)

فى هذه السنة غرق الجانب الشرقى وبعض الغربى من بغداد وسببه ان دجلة زادت زيادة عظيمة وانفتح القورج عند المسناة المعزية وجاء فى الليل سيل عظيم وطفح الماء من البرية مع ريح شديدة وجاء الماء الى المنازل من فوق ونبع من البلاليع والآبار بالجانب الشرقى وهلك خلق كثير تحت الهدم وشدت الزواريق تحت التاج خوف الغرق وقام الخليفة يتضرع ويصلى وعليه البردة وبيده القضيب واتى ايتكين

وغيرهم وتخرج فى الادب على والده وعلى الشيخ على بن تاج الدين المكى وعلى الشيخ عبدالله الادكاوى وغيرهم وله مؤلفات منها نفع الاكام على منظومته فى علم الكلام ومنها تقريره على الرملى وهو مجلد ضخم ومنها شرح بديعيته التى سماها مراقى الفرج فى مدح عالى الدرج وله ديوان شعر صغير غالبه جيد وكان فى مدة انقطاعه لا يشتغل بغير المطالعة وتحصيل الكتب الغريبة وقيد ولده السيد سلامة باشغال تجارتهم وولده السيد أحمد بملازمته واسماعه فيما يريد مطالعته وكانت داره فى غالب الاوقات لا تخلو من المترددين الى ان توفى ليلة السابع والعشرين من رجب من السنة المذكورة وعمره سبع وثمانون سنة وصلى عليه بالازهر ودفن بمقبرة اخيه بباب الوزير وخلف ولديه المذكورين وكان وجيها لطيفا محبوبا للنفوس ورعا رحمة الله تعالى عليه * ومات صاحبنا الاجل المعظم والوجيه المكرم الاميرذو الفقار البكرى نسبة ونسابة وهو مملوك السيد محمد ابن على افندى البكرى الصديقى اشتراه سيده المذكور عام احدى وسبعين ومائة والف ورباه وادبه واعتقه وزوجه ابنته ونشأ فى عزورفاهية وسيادة وعفة وطيب خيم وعلو همة ولما توفى سيده اتحد بولده السيد محمد افندى وهو اخو زوجته اتحادا كليا بحيث صارا كالاخوين لا يصبر أحدهما عن الآخر ساعة واحدة وسكنهما

السليماني من عكبرا فقال للوزير ان الملاحين يؤذون الناس في المعابر فاحضرهم وتهددهم بالقتل وامر باخذ ما جرت به العادة وجمع الناس واقيمت الخطبة للجمعة في الطيار مرتين وغرق من الجانب الغربي مقبرة احمد ومشهد باب التبن وتهدم سوره فاطلق شرف الدولة الف دينار تصرف في عمارته ودخل الماء من شبابيك البيمارستان العضدي ومن عجيب ما يحكى في هذا الغرق ان الناس في العام الماضي كانوا قد انكروا كثرة المغنيات والخمور فقطع بعضهم أوتار عود مغنية كانت عند جندي فثار بها الجندي الذي كانت عنده فضربه فاجتمعت العامة ومعهم كثير من الائمة منهم ابو اسحق الشيرازي واستغاثوا الى الخليفة وطلبوا هدم المواخير والحانات وتبطيلها فوعدهم ان يكاتب السلطان في ذلك فسكنوا وتفرقوا ولازم كثير من الصالحين الدعاء بكشفه فاتفق ان غرقت بغداد ونال الخليفة والجند من ذلك امر عظيم وعمت مصيبته كافة الناس فرأى الشريف ابو جعفر بن موسى بعض الحجاب الذين يقولون نحن نكاتب السلطان ونسعى في تفريق الناس ويقول اسكنوا الى ان يرد الجواب فقال له ابو جعفر قد كتبنا وكتبتم فجاء جوابنا قبل جوابكم يعني انهم شكوا ما حل بهم الى الله تعالى وقد اجابهم بالغرق قبل ورود جواب السلطان

(ذكر ملك السلطان ملكشاه ترمذ والهدنة بينه وبين صاحب سمرقند)

قد ذكرنا ان خاقان التكين صاحب سمرقند ملك ترمذ بعد قتل السلطان الب ارسلان فلما استقامت الامور للسلطان ملكشاه سار الى ترمذ وحصرها وطم العسكر خندقها ورماها بالمجانيق فخاف من بها فطلبوا الامان فامنهم وخرجوا منها وسلموها وكان بها اخ لخاقان التكين فاكرمه السلطان وخلع عليه واحسن اليه واطلقه وسلم قلعة ترمذ الى الامير ساوتكين وامره بعمارتها وتحصينها وعمارة سورها بالحجر المحكم وحفر خندقها وتعميقه ففعل ذلك وسار السلطان ملكشاه يريد سمرقند ففارقها صاحبها وانفذ يطلب المصالحة ويضرع الى نظام الملك في اجابته الى ذلك ويعتذر من تعرضه الى ترمذ فاجيب الى ذلك واصطلحوا وعاد ملكشاه عنه الى خراسان ثم منها الى الري واقطع بلخ وطخارستان لاخيه شهاب الدين تكش

(ذكر عدة حوادث)

فيها توفي زعيم الدولة ابو الحسن بن عبد الرحيم بالنيل فجاة وله سبعون سنة وقد تقدم من اخباره ما فيه كفاية وفيها توفي اياز اخو السلطان ملكشاه وكفي شره كما كفي شر عمه قاورت بك وفيها في ربيع الاول توفي القاضي ابو الحسين بن ابي جعفر السمناني حمو قاضي القضاة ابي عبد الله الدامغاني وولي ابنه ابو الحسن ما كان اليه من القضاء بالعراق والموصل وكان مولده سنة اربع وثمانين وثلثمائة بسمنان وكان هو وابوه من المغالين في مذهب الاشعري ولابيه فيه تصانيف كثيرة وهذا مما يستطرف ان يكون حنفي اشعريا وفيها في جمادى الآخرة توفي عبد العزيز بن احمد بن محمد بن علي

ابو

واحد في بيتهم الكبير بالازبكية ولما توفي السيد محمد افندي اشتغل المترجم بالسكنى في الدار الى ان حضر الفرنساوية فخرج مع من خرج من مصر الى ناحية الشام ونهبت كتبه وداره ثم رجع بامان في أيام الفرنساوية فوجد الدار قد سكنها الفرنساوية فاشترى دارا غيرها بخطة عابدين وجدد بها نظاما ولما حصلت حادثة عسكر الاروام العثمانية مع الامراء المصريين التي خرج فيها ابراهيم بك والبرديسي وأمراؤهم نهبت داره المذكورة أيضا فيما نهب فانتقل الى ناحية الازهر ثم سكن بحارة السبع قاعات بالاجرة واقتنى كتبا شراء واستكتابا وجمع عدة أجزاء متفرقة من تاريخ مرآة الزمان لابن الجوزي وخطط المقريزي وغيرها الى ان اخترمته المنية ومات فجاة يوم الثلاثاء في ثاني عشرين رجب من السنة قبيل الغروب وصلى عليه في صبحها بالازهر في مشهد حافل ودفن بتربة البكرية ظاهر قبة الامام الشافعي وكان انسانا حسنا محبوبا لجميع الناس وجيه الذات مليح الصفات حسن المفاكهة والمعاشرة متوقد الفطنة صادق الفراسة ساكن الجاش وقورا اديبا محتشما وخلف من بعده السيد محمد المعروف بالغزاوي المرزوق له من ابنة سيده المذكور لكونه ولد بغزة حين كانوا بالشام انشاه الله انشاء صالحا وبارك فيه

ابو محمد الكتانى الدمشقى الحافظ وكان مكثرا فى الحديث ثقة وممن سمع منه الخطيب ابو بكر البغدادى

(ثم دخلت سنة سبع وستين واربعمائة)

(ذكر وفاة القائم بامر الله وذكر بعض سيرته)

فى هذه السنة ليلة الخميس ثالث عشر شعبان توفى القائم بامر الله أمير المؤمنين رضى الله عنه واسمه عبد الله ابو جعفر بن القادر بالله أبى العباس أحمد ابن الامير اسحق بن المقتدر بالله ابى الفضل جعفر بن المعتضد بالله ابى العباس احمد وكان سبب موته انه كان قد اصابه ماشرا فافتصد ونام منفردا فانفجر فصاده وخرج منه دم كثير ولم يشعر فاستيقظ وقد ضعف وسقطت قوته فايقن بالموت فاحضر ولى العهد ووصاه بوصايا واحضر النقيبين وقاضى القضاة وغيرهم مع الوزير ابن جهير واشهدهم على نفسه انه جعل ابن ابنه ابا القاسم عبد الله بن محمد بن القائم بامر الله ولى عهده ولما توفى غسله الشريف ابو جعفر ابن ابى موسى الهاشمى وصلى عليه المقتدى بامر الله وكان عمره ستا وسبعين سنة وثلاثة اشهر وخمسة ايام وخلافته اربعا واربعين سنة وثمانية اشهر وايام وقيل كان مولده ثامن عشر ذى الحجة سنة احدى وتسعين وثلثمائة وعلى هذا يكون عمره ستا وسبعين سنة وتسعة اشهر وخمسة وعشرين يوما وامه ام ولد تسمى قطر الندى ارمنية وقيل رومية ادركت خلافته وقيل اسمها علم وماتت فى رجب سنة اثنتين وخمسين واربعمائة وكان القائم جميلا مليح الوجه ابيض مشربا بحمرة حسن الجسم ورعا دينا زاهدا عالما قوى اليقين بالله تعالى كثير الصبر وكان للقائم عناية بالادب ومعرفة حسنة بالكتابة ولم يكن يرتضى اكثر ما يكتب من الديوان فكان يصلح فيه اشياء وكان مؤثرا للعدل والانصاف يريد قضاء حوائج الناس لا يرى المنع من شئ يطلب منه قال محمد بن على بن عامر الوكيل دخلت يوما الى المخزن فلم يبق أحد الا اعطانى قصة فامتلأت اكمامى منها فقلت فى نفسى لو كان الخليفة أخى لاعرض عن هذه كلها فالقيتها فى بركة والقائم ينظر ولا أشعر فلما دخلت اليه أمر الخدم باخراج الرقاع من البركة فاخرجت ووقف عليها ووقع فيها باغراض أصحابها ثم قال لى يا عامى ما حملك على هذا فقلت خوف الضجر منها فقال لا تعد الى مثلها فانا ما أعطيناهم من اموالنا شيئا انما نحن وكلاء ووزر للقائم أبو طالب محمد بن أيوب وأبو الفتح بن دارست ورئيس الرؤساء وأبو نصر بن جهير وكان قاضيه ابن ماكولا وأبو عبد الله الدامغانى

(ذكر خلافة المقتدى بامر الله)

لما توفى القائم بامر الله بويع المقتدى بامر الله عبد الله بن محمد بن القائم بالخلافة وحضر مؤيد الملك بن نظام الملك والوزير فخر الدولة بن جهير وابنه عميد الدولة والشيخ أبو اسحق وأبو نصر بن الصباغ ونقيب النقباء طراد والنقيب الطاهر المعمر بن محمد وقاضى القضاة أبو عبد الله الدامغانى وغيرهم من الاعيان والاماثل فبايعوه وقيل كان

*ومات الامير الكبير والضرغام الشهير محمد بك الالفى المرادى جلبه بعض التجار الى مصر فى سنة تسع وثمانين ومائة وألف فاشتراه أحمد جاويش المعروف بالمجنون فاقام بيته أياما فلم تعجبه أوضاعه لكونه كان ممانجنا سفيها مازحا فطلب منه بيع نفسه فباعه لسليم أغا الغزاوى المعروف بتمرلنك فاقام عنده شهورا ثم اهداه الى مراد بك فاعطاه فى نظيره ألف اردب من الغلال فلذلك سمى بالالفى وكان جميل الصورة فاحبه مراد بك وجعله جوخداره ثم أعتقه وجعله كاشفا بالشرقية وعمر دارا بناحية الخطة المعروفة بالشيخ ضلام وانشأ هنالك حماما بتلك الخطة عرفت به وكان صعب المراس قوى الشكيمة وكان بجواره على أغا المعروف بالتوكلى فدخل عليه وتشفع عنده فى أمر فقبل رجاءه ثم نكث فحنق منه واحتد ودخل عليه فى داره يغادره ويعاتبه فرد عليه بغلاظة فامر الخدم بضربه فبطحوه وضربوه بالعصى المعروفة بالنبابيت فتالم لذلك ومات بعد يومين فشكوه الى استاذه مراد بك فنفاه الى بحرى فعسف بالبلاد مثل فوة ومطوبس وبارنبال ورشيد واخذ منهم ارزا واموالا فتشكوا منه الى أستاذه وكان يحبه ذلك وفى اثناء ذلك وقع خلاف بمصر بين الامراء ونفوا سليمان بك الاغا وأخاه ابراهيم بك ومصطفى بك كاشف كذلك فى محله وارسل اليه مراد بك وأمره ان يتعين

أوّل من بايعه الشريف أبو جعفر بن ابي موسى الهاشمي فانه لما فرغ من غسل القائم بايعه وأنشده

* اذا سيد منا مضى قام سيد * قوول بما قال الكرام فعول *

ثم ارتج عليه فقال المقتدى

فلما فرغوا من البيعة صلى بهم العصر ولم يكن للقائم من أعقابه ذكر سواه فان الذخيرة أبا العباس محمد بن القائم توفي في ايام أبيه ولم يكن له غيره فايقن الناس بانقراض نسله وانتقال الخلافة من البيت القادرى الى غيره ولم يشكوا في اختلال الاحوال بعد القائم لان من عدا البيت القادرى كانوا يخالطون العامة في البلد ويجرون مجرى السوقة فلو اضطر الناس الى خلافة احدهم لم يكن له ذلك القبول ولا تلك الهيبة فقدر الله تعالى ان الذخيرة أبا العباس كان له جارية اسمها ارجوان وكان يلم بها فلما توفي ورأت ما نال القائم من المصيبة واستعظمه من انقراض عقبه ذكرت انها حامل فتعلقت النفوس بذلك فولدت بعد موت سيدها بستة أشهر المقتدى فاشتد فرح القائم وعظم سروره وبالغ في الاشفاق عليه والمحبة له فلما كان حادثة البساسيري كان للمقتدى قريب اربع سنين فاخفاه اهله وحمله أبو الغنائم بن المحلبان الى حران كما ذكرنا ولما عاد القائم الى بغداد أعيد المقتدى اليه فلما بلغ الحلم جعله ولي عهد ولما ولي الخلافة اقر فخر الدولة بن جهير على وزارته بوصية من القائم بذلك وسير عميد الدولة بن فخر الدولة ابن جهير الى السلطان ملكشاه لاخذ البيعة وكان مسيره في شهر رمضان وارسل معه من انواع الهدايا ما يجل عن الوصف

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في شوال وقعت نار ببغداد في دكان خباز بنهر المعلى فاحترقت من السوق مائة وثمانون دكانا سوى الدور ثم وقعت نار في المأمونية ثم في الظفرية ثم في درب المطبخ ثم في دار الخليفة ثم في حمام السمرقندي ثم في باب الازج ودرب خراسان ثم في الجانب الغربي في نهر طابق ونهر القلائين والقطيعة وباب البصرة واحترق ما لا يحصى وفيها ارسل المستنصر بالله العلوى صاحب مصر الى صاحب مكة ابن ابي هاشم رسالة وهدية جليلة وطلب منه ان يعيد له الخطبة بمكة حرسها الله تعالى وقال ان أيمانك وعهودك كانت للقائم وللسلطان الب ارسلان وقد ماتا فخطب له بمكة وقطع خطبة المقتدى وكانت مدة الخطبة العباسية بمكة اربع سنين وخمسة اشهر ثم اعيدت في ذي الحجة سنة ثمان وستين وفيها كانت حرب شديدة بين بني رياح وزغبة ببلاد افريقية فقويت بنو رياح على زغبة فهزموهم واخرجوهم من البلاد وفيها جمع نظام الملك والسلطان ملكشاه جماعة من اعيان المنجمين وجعلوا النيروز اول نقطة من الحمل وكان النيروز قبل ذلك عند حلول الشمس نصف الحوت وصار ما فعله السلطان مبدأ التقاويم وفيها أيضا عمل الرصد للسلطان ملكشاه واجتمع جماعة من أعيان المنجمين في عمله منهم

على مصطفى بك ويذهب به الى اسكندرية منفيا ثم يعود هو الى مصر ففعل ورجع المترجم الى مصر فعند ذلك قلدوه الصنجقية وذلك في سنة اثنتين وتسعين ومائة وألف واشتهر بالفجور فخافته الناس وتحاموا شدته وسكن أيضا بدار بناحية قيصون وذلك عندما اتسعت دائرته وهدم داره القديمة أيضا ووسعها وأنشاها انشاء جديدا واشترى المماليك الكثيرة وامر منهم امراء وكشافا فنشؤا على طبيعة استاذهم في التعدي والعسف والفجور ويخافون من تجبره عليهم والتزم باقطاع فرشوط وغيرها من البلاد القبلية ومن البلاد البحرية محلة دمنة ومليج وزوبر وغيرها وتقلد كشوفية شرقية بلبيس ونزل اليها وكان يغير على ما بتلك الناحية من اقطاعات وغيرها واخاف جميع عربان تلك الجهة وجميع قبائل الناحية ومنعهم من التعدي والجور على الفلاحين بتلك النواحي حتى خافه الكثير من العربان والقبائل وكانوا يخشونه وصادهم باشراك منهم وقبض على الكثير من كبرائهم وسجنهم في الجنزير وصادرهم في أموالهم ومواشيهم وفرض عليهم المغارم والجمال ولم يزل على حالته وسطوته الى ان حضر حسن باشا الجزايرلي الى مصر فخرج المترجم مع عشيرته الى ناحية قبلي ثم رجع معهم في اواخر سنة خمس ومائتين بعد الالف بعد الطاعون الذي مات فيه اسمعيل بك وذلك بعد

عمر بن ابراهيم الخيامى وأبو المظفر الاسفزارى وميمون بن النجيب الواسطى وغيرهم وخرج عليه من الاموال شئ عظيم وبقى الرصد دائرا الى ان مات السلطان سنة خمس وثمانين واربعمائة فبطل بعد موته

(ثم دخلت سنة ثمان وستين واربعمائة)

(ذكر ملك الاقسيس دمشق)

قد ذكرنا سنة ثلاث وستين ملك اقسيس الرملة والبيت المقدس وحصره مدينة دمشق فلما عاد عنها جعل يقصدها عاما كل سنة عند ادراك الغلات فيأخذها فيقوى هو وعسكره ويضعف اهل دمشق وجندها فلما كان رمضان سنة سبع وستين سار الى دمشق فحصرها واميرها المعلى بن حيدرة من قبل الخليفة المستنصر فلم يقدر عليها فانصرف عنها فى شوال فهرب اميرها المعلى فى ذى الحجة وكان سبب هربه انه اساء السيرة مع الجند والرعية وظلمهم فكثر الدعاء عليه وثار به العسكر واعانهم العامة فهرب منهما الى بانياس ثم منها الى صور ثم اخذ الى مصر فحبس بها فمات محبوسا فلما هرب من دمشق اجتمعت المصامدة وولوا عليهم انتصار بن يحيى المصمودى المعروف برزين الدولة وغلت الاسعار بها حتى أكل الناس بعضهم بعضا ووقع الخلف بين المصامدة وأحداث البلد وعرف اقسيس ذلك فعاد الى دمشق فنزل عليها فى شعبان من هذه السنة فحصرها فعدمت الاقوات فبيعت الغرارة اذا وجدت بأكثر من عشرين دينارا فسلموها اليه بامان وعوض انتصار عنها بقلعة بانياس ومدينة يافا من الساحل ودخلها هو وعسكره فى ذى القعدة وخطب بها يوم الجمعة لخمس بقين من ذى القعدة للمقتدى بامر الله الخليفة العباسى وكان آخر ما خطب فيها للعلويين المصريين وتغلب على اكثر الشام ومنع الاذان بحى على خير العمل ففرح اهلها فرحا عظيما وظلم اهلها واساء السيرة فيهم

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة ملك نصر بن محمود بن مرداس مدينة منبج واخذها من الروم وفيها قدم سعد الدولة كوهرائين شحنة الى بغداد من عسكر السلطان ومعه العميد ابو نصر ناظرا فى اعمال بغداد وفيها وثب الجند بالبطيحة على اميرها ابى نصر بن الهيثم وخالفوا عليه فهرب منهم وخرج من مملكته والذخائر والاموال التى جمعها فى المدة الطويلة ولم يصحبه من ذلك جميعه شئ وصار نزيلا على كوهرائين شحنة العراق وفيها انفجر البثوق بالفلوجة وانقطع الماء من النيل وغيره من تلك الاعمال من بلاد دبيس بن مزيد فخلا اهل البلاد ووقع الوباء فيهم ولم يزل كذلك الى ان سده عميد الدولة بن جهير سنة اثنتين وسبعين وفى هذه السنة توفى أبو على الحسن بن القاسم بن محمد المقرى المعروف بغلام الهراس الواسطى بها وكان محدثا علامة فى كثير من العلوم وفى شعبان توفى القاضى ابو الحسين محمد بن محمد بن البيضاوى الفقيه الشافعى وكان يدرس الفقه بدرب السلولى

اقامتهم بالصعيد زيادة عن اربع سنوات فى تلك المدة ترزن دقله وانهضمت نفسه وتعلق قلبه بمطالعة الكتب والنظر فى جزئيات العلوم والفلكيات والهندسيات واشكال الرمل والزايرجات والاحكام النجومية والتقاويم ومنازل القمر وأنوائها ويسال عمن له المام بذلك فيطلبه ليستفيد منه واقتنى كتبا فى انواع العلوم والتواريخ واعتكف بداره القديمة ورغب فى الانفراد وترك الحالة التى كان عليها قبل ذلك واقتصر على مماليكه والاقطاعات التى بيده واستمر على ذلك مدة من الزمان فثقل هذا الامر على أهل دائرته وبدا يصغر فى اعين خشداشينه ويضعف جانبه وطفقوا ينكتونه ويتجاسروا عليه وطمعوا فيما لديه وتطلع أدونهم للترفع عليه فلم يسهل به ذلك واستعمل الامر الاوسط وسكن بدار أحمد جاويش المجنون بدرب سعادة وعمر القصر الكبير بمصر القديمة بشاطئ النيل تجاه المقياس وانشا ايضا قصرا فيما بين باب النصر والدمرداش وجعل غالب اقامته فيهما واكثر من شراء المماليك وصار يدفع فيهم الاموال الكثيرة للجلابين ويدفع لهم امولا مقدما يشترونهم بها وكذلك الجوارى حتى اجتمع عنده نحو الالف مملوك خلاف الذى عند كشافه وهم نحو الاربعين كشفا الواحد منهم دائرته قدر دائرة صنجق من

بالكرخ وهو زوج ابنة القاضى ابى الطيب الطبرى وعبد الرحمن بن محمد بن المظفر بن محمد بن داود ابو الحسن بن أبى طلحة الداودى راوى صحيح البخارى ولد سنة اربع وسبعين وثلثمائة وسمع الحديث وتفقه للشافعى على أبى بكر القفال وأبى حامد الاسفراينى وصحب اباعلى الدقاق وأباعبد الرحمن السلمى وكان عابدا خيرا قصده نظام الملك فجلس بين يديه فوعظه وكان فى قوله ان الله تعالى سلطك على عباده فانظر كيف تجيبه اذا سالك عنهم فبكى وكان موته ببوشنج وفيها توفى ابو الحسن على بن احمد بن محمد ابن متويه الواحدى المفسر مصنف الوسيط والبسيط والوجيز فى التفسير وهو نيسابورى امام مشهور وأبو الفتح منصور بن أحمد بن دارست وزير القائم توفى بالاهواز ومحمد بن القاسم بن حبيب بن عبدوس أبو بكر الصفار النيسابورى الفقيه الشافعى تفقه على ابى محمد الجوينى وسمع من الحاكم أبى عبد الله وأبى عبد الرحمن السلمى وغيرهما وفيها توفى مسعود بن المحسن بن الحسن بن عبد الرزاق أبو جعفر البياضى الشاعر له شعر مطبوع فمنه قوله

يامن لبست لبعده ثوب الضنا * حتى خفيت به عن العواد
وانست بالسهر الطويل فانسيت * اجفان عينى كيف كان رقادى
ان كان يوسف بالجمال مقطع الايدى فانت مفتت الاكباد

(ثم دخلت سنة تسع وستين واربعمائة)

(ذكر حصر اقسيس مصر وعوده عنها)

فى هذه السنة سار الاقسيس من دمشق الى مصر وحصرها وضيق على اهلها ولم يبق غير ان يملكها فاجتمع اهلها مع ابن الجوهرى الواعظ فى الجامع وبكوا وتضرعوا ودعوا فقبل الله دعاءهم فانهزم الاقسيس من غير قتال وعاد على اقبح صورة بغير سبب فوصل الى دمشق وقد تفرق اصحابه فراى اهلها قد صانوا مخلفيه وامواله فشكرهم ورفع عنهم الخراج تلك السنة واتى البيت المقدس فراى اهله قد قبحوا على اصحابه ومخلفيه وحصروهم فى محراب داود عليه السلام فلما قارب البلد تحصن اهله منه وسبوه فقاتلهم ففتح البلد عنوة ونهبه وقتل من اهله فاكثر حتى قتل من التجا الى المسجد الاقصى وكف عمن كان عند الصخرة وحدها هكذا يذكر الشاميون هذا الاسم اقسيس والصحيح انه اتسز وهو اسم تركى وقد ذكر بعض مؤرخى الشام ان اتسز لما وصل الى مصر جمع امير الجيوش بدر العساكر واستمد العرب وغيرهم من اهل البلاد فاجتمع معه خلق كثير واقتتلوا فانهزم اتسز وقتل اكثر اصحابه وقتل اخ له وقطعت يد اخ آخر وعاد منهزما الى الشام فى نفر قليل من عسكره فوصل الى الرملة ثم سار منها الى دمشق وحكى لى من اثق به عن جماعة من فضلاء مصر ان اتسز لما وصل الى مصر ونزل بظاهر القاهرة اساء اصحابه السيرة فى الناس وظلموهم واخذوا اموالهم وفعلوا الافاعيل القبيحة فارسل رؤساء القرى ومقدموها الى الخليفة المستنصر بالله العلوى يشكون اليه ما نزل

الامراء السابقين وكل مدة قليلة يزوج من يختاره من مماليكه لمن تصلح له من الجوارى ويجهزهم بالجهاز الفاخر ويسكنهم الدور الواسعة ويعطيهم الفائظ والمناصب وقلد كشوفية الشرقية لبعض مماليكه ترفعا لنفسه عن ذلك وينزل هو اليهم ايضا على سبيل التروح وبنى له قصرا خارج بلبيس وآخر بالدماميين واخمد شوكة عربان الشرق وجبى منهم الاموال والجمال واخمد ناموسهم الذى كان يغشى ابدان الفلاحين وارواحهم واضعف شوكتهم واخفى صولتهم وكان يقيم بناحية الشرق شهورا ثلاثة أو اربعة ثم يعود الى مصر واصطنع قصرا من خشب مفصلا قطعا ويركب بشناكل واغربه متينة قوية يحمل على عدة جمال فاذا اراد النزول فى محطة تقدم الفراشون وركبوه خارج الصيوان فيصير مجلسا لطيفا يصعد اليه بثلاث درج مفروش بالطنافس والوسائد يسع ثمانية اشخاص وهو مسقوف وله شبابيك من الاربع جهات تفتح وتغلق بحسب الاختيار وحوله الاسرة من كل جانب وكل ذلك من داخل دهليز الصيوان وكان له داران بالازبكية احداهما كانت لرضوان بك بلغيا والاخرى للسيد احمد بن عبد السلام فبداله فى سنة اثنتى عشرة ومائتين والف ان ينشى دارا عظيمة خلاف ذلك بالازبكية فاشترى قصر ابن السيد

بهم فاعاد الجواب بانه عاجز عن دفع هذا العدو فقالوا له نحن نرسل اليك من عندنا من الرجال المقاتلة يكونون معك ومن ليس له سلاح نعطيه من عندك سلاحا وعسكر هذا العدو قد أمنوا وتفرقوا فى البلاد فنثور بهم فى ليلة واحدة ونقتلهم وتخرج أنت اليه فمن اجتمع عندك من الرجال فلا يكون له بك قوة فاجابهم الى ذلك وارسلوا اليه الرجال وثاروا كلهم فى ليلة واحدة بمن عندهم فاوقعوا بهم وقتلوهم عن آخرهم ولم يسلم منهم الا من كان عنده فى عسكره وخرج اليه العسكر الذى عند المستنصر بالقاهرة فلم يقدر على الثبات لهم فولى منهزما وعاد الى الشام وكفى اهل مصر شره وظلمه

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة ورد بغداد ابو نصر ابن الاستاذ ابى القاسم القشيرى حاجا وجلس فى المدرسة النظامية يعظ الناس وفى رباط شيخ الشيوخ وجرى له مع الحنابلة فتن لانه تكلم على مذهب الاشعرى ونصره وكثر اتباعه والمتعصبون له وقصد خصومه من الحنابلة ومن تبعهم سوق المدرسة النظامية وقتلوا جماعة وكان من المتعصبين للقشيرى الشيخ ابو اسحق وشيخ الشيوخ وغيرهما من الاعيان وجرت بين الطائفتين امور عظيمة وفيها تزوج الامير على بن ابى منصور بن فرامرز بن علاء الدولة ابى جعفر بن كاكويه ارسلان خاتون بنت داود عمة السلطان ملكشاه التى كانت زوجة القائم بامر الله وفيها كان بالجزيرة والعراق والشام وباء عظيم وموت كثير حتى بقى من كثير الغلات ليس لها من يعملها لكثرة الموت فى الناس وفيها مات محمود بن مرداس صاحب حلب وملك بعده ابنه نصر فمدحه ابن حيوس بقصيدة يقول فيها

ثمانية لم تفترق مذ جمعتها * فلا افترقت ماذب عن ناظر شفر
ضميرك والتقوى وجودك والغنى * ولفظك والمعنى وعزمك والنصر
وكان لمحمود ابو نصر سجية * وغالب ظنى ان سيخلفها نصر

فقال والله لو قال سيضعفها نصر لاضعفتها له وأمر له بما كان يعطيه ابوه وهو الف دينار فى طبق فضة وكان على بابه جماعة من الشعراء فقال بعضهم

على بابك المعمور منا عصابة * مفاليس فانظر فى امور المفاليس
وقد قنعت منك العصابة كلها * بعشر الذى اعطيته لابن حيوس
وما بيننا هذا التفاوت كله * ولكن سعيد لا يقاس بمنحوس

فقال لو قال بمثل الذى اعطيته لاعطيتهم ذلك وامر لهم بمثل نصفه وفيها توفى اسبهدوست ابن محمد بن الحسن أبو منصور الديلمى الشاعر وكان قد لقى ابن الحجاج وابن نباتة وغيرهما وكان يتشيع وتركه وقال فى ذلك

واذا سئلت عن اعتقادى قلت ما * كانت عليه مذاهب الابرار
وأقول خير الناس بعد محمد * صديقه وانيسه فى الغار

وفيها توفى رئيس العراقين ابو احمد النهاوندى الذى كان عميد بغداد والشريف ابو جعفر

سعودى الذى بخطة الساكن فيما بينه وبين قنطرة الدكة من احمد أغا شويكار وهدمه واوقف فى شيادته على العمارة كتخداه ذا الفقار ارسله قبل مجيئه من ناحية الشرقية ورسم له صورة وضعه فى كاغد كبير فاقام جدرانه وحيطانه وحضر هو فى أثناء ذلك فوجده قد اخطا الرسم فاغتاظ وهدم غالب ذلك وهندسه على مقتضى عقله واجتهد فى بنائه واوقف اربعة من كبار امرائه على تلك العمارة كل امير فى جهة من جهاته الاربع يحثون الصناع ومعهم اكثر أتباعهم وعماليكهم وعملوا عدة قمين لحرق الاحجار وعمل النورة وكذلك ركب طواحين الجبس لطحنه وكل ذلك بجانب العمارة وقطعوا الاحجار الكبار ونقلوها فى المراكب من طرا الى جنب العمارة بالازبكية ثم نشروها بالمناشير الواحا كبارا لتبليط الارض وعمل الدرج والفسحات واحضروا لها الاخشاب المتنوعة من بولاق واسكندرية ورشيد ودمياط واشترى بيت حسن كتخدا الشعراوى المطل على بركة الرطلى من عتقائه وهدمه ونقل اخشابه وانقاضه الى العمارة وكذا نقلوا اليه انواع الرخام والاعمدة ولم يزل الاجتهاد فى العمل حتى تم على المنوال الذى اراده ولم يجعل له خرجات ولا حرمدانات بارزة عن اصل البناء ولا رواشن بل جعله ساذجا حرصا على المتانة وطول البقاء ثم ركبوا على فرجاته

ابن أبي موسى الهاشمي الحنبلي ورزق الله بن محمد بن احمد بن علي ابو سعد الانباري الخطيب الفقيه الحنفي سمع الحديث الكثير وكان ثقة حافظا وطاهر بن احمد بن بابشاذ النحوي المصري توفي في رجب سقط من سطح جامع عمرو بن العاص بمصر فمات لوقته وعبد الله بن محمد بن عبد الله بن عمر بن احمد المعروف بابن هزارمرد الصريفيني راوية احاديث علي بن الجعد وهو آخر من رواها وكان ثقة صالحا ومن طريقه سمعناها

(ثم دخلت سنة سبعين واربعمائة)

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة ورد مؤيد الملك بن نظام الملك الى بغداد من العسكر وفيها اصطلح تميم بن المعز بن باديس صاحب افريقية مع الناصر بن علناس وهو من بني حماد عمهم جده وزوجه تميم ابنته بلارة وسيرها اليه من المهدية في عسكر واصحبها من الحلي والجهاز مالا يحد وحمل الناصر ثلاثين الف دينار فاخذ منها تميم دينارا واحدا ورد الباقي وفيها استعمل تميم ابنه مقادا على مدينة طرابلس الغرب وكان ببغداد في هذه السنة فتنة بين اهل سوق المدرسة وسوق الثلاثاء بسبب الاعتقاد فنهب بعضهم بعضا وكان مؤيد الملك بن نظام الملك ببغداد بالدار التي عند المدرسة فارسل الى العميد والشحنة فحضروا ومعهم الجند فضربوا الناس فقتل بينهم جماعة وانفصلوا وفي هذه السنة في ربيع الاول توفي القاضي ابو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن البيضاوي الفقيه الشافعي وكان القاضي ابو الطيب الطبري جده لامه وفيها توفي احمد بن محمد بن احمد بن عبد الله بن النقور ابو الحسين البزاز في رجب وكان مكثرا من الحديث ثقة في الرواية واحمد بن عبد الملك بن علي ابو صالح المؤذن النيسابوري كان يعظ ويؤذن وكان كثير الرواية حافظا ومولده سنة ثمان وثمانين وثلثمائة وعبد الرحمن بن محمد بن اسحق بن محمد بن يحيى بن منده الاصبهاني ابو القاسم بن ابي عبد الله الحافظ له تصانيف كثيرة منها تاريخ اصبهان وله طائفة ينتمون اليه في الاعتقاد من اهل اصبهان يقال لهم العبدرحمانية وفي شوال منها توفيت ابنة نظام الملك زوجة عميد الدولة بن جهير نفساء بولد مات من يومه ودفنا بدار الخلافة ولم تجر بذلك عادة لاحد فعل ذلك اكراما لابيها وجلس الوزير فخر الدولة بن جهير وابنه عميد الدولة زوجها للعزاء في دار بباب العامة ثلاثة ايام

(ثم دخلت سنة احدى وسبعين واربعمائة)

(ذكر عزل ابن جهير من وزارة الخليفة)

في هذه السنة عزل فخر الدولة ابو نصر بن جهير من وزارة الخليفة المقتدي بامر الله ووزر بعده ابو شجاع محمد بن الحسين وكان السبب في ذلك ان ابا نصر بن القشيري ورد الى بغداد على ما تقدم ذكره وجرى له الفتن مع الحنابلة لما ذكر مذهب الاشعرية ونصره وعاب من سواهم وفعلت الحنابلة ومن معهم ما ذكرناه فنسب اصحاب نظام الملك ما جرى الى الوزير فخر الدولة والى الخدم وكتب ابو الحسن محمد بن علي بن ابي الصقر

التحف والاشياء والتحف العظيمة التي أهداها اليه الافرنج وعملوا بقاعة الجلوس السفلى فسقية عظيمة بسلسبيل من الرخام قطعة واحدة ونوفرة كبيرة حولها نوفرات من الصفر يخرج الماء من أفواهها وجعل بها حمامين علويا وسفليا وبنوا بدائر حوشه عدة كبيرة من الطباق السكنى المماليك وجعله دورا واحدا ولما تم البناء والبياض والدهان فرشه بانواع الفرش والوسائد والمساند والستائر المقصبات وجعل خلفه بستانا عظيما وانشا به جملونا مستطيلا متسعا به دكك واعمدة وهو من الجهة البحرية ينتهي آخره الى الدور المتصلة بقنطرة الدكة واهدى اليه أيضا الافرنج فسقية رخام في غاية العظم فيها صورة أسماك مصورة يخرج من افواهها الماء جعلها بالبستان ونجز البناء والعمل وسكن به هو وعياله وحريمه في آخر شهر شعبان من سنة اثنتي عشرة واستهل شهر رمضان فاوقدوا فيها الوقدات والاحمال المملثة بالقناديل بدائر الحوش والرحبة الخارجة وكذلك بقاعة الجلوس أحمال النجف والشموع

والصحب والفنيارات الزجاج وهنته الشعراء ونظم مولانا الاستاذ الفاضل الشيخ

الواسطى الفقيه الشافعى الى نظام الملك

يا نظام الملك قد حل ببغداد النظام ... وبقى القاطن فيها * مستهانا مستضام

وبها اودى له قتـ ... ـلى غلام وغلام * والذى منهم تبقى ... سالما فيه سهام

يا قوام الدين لم يبـ ... ـق ببغداد مقام * عظم الخطب وللحر ... ب اتصال ودوام

فمتى لم تحسم الدا ... ء اياديك الحسام * ويكف القوم فى بغـ ... ـداد قتل وانتقام

فعلى مدرسة فيـ ... ـها ومن فيها السلام * واعتصام بحريم ... لك من بعد حرام

فلما سمع نظام الملك ما جرى من الفتن وقصد مدرسته والقتل بجوارها مع ان ابنه مؤيد الملك فيها اعظم عليه فاعاد كوهرائين الى شحنكية العراق وحمله رسالة الى الخليفة المقتدى بامر الله تتضمن الشكوى من بنى جهير وسال عزل فخر الدولة من الوزارة وامر كوهرائين باخذ اصحاب بنى جهير وايصال المكروه اليهم والى حواشيهم فسمع بنو جهير الخبر فسار عميد الدولة الى المعسكر يريد نظام الملك ليستعطفه وتجنب الطريق وسلك الجبال خوفا ان يلقاه كوهرائين ويناله فيها اذى فلما وصل كوهرائين الى بغداد اجتمع بالخليفة وابلغه رسالة نظام الملك فامر فخر الدولة بلزوم منزله ووصل عميد الدولة الى المعسكر السلطانى ولم يزل يستصلح نظام الملك حتى عاد الى ما الفه منه وزوجه بابنة بنت له وعادا الى بغداد فى العشرين من جمادى الاولى فلم يرد الخليفة اباه الى وزارته وامرهما بملازمة منازلهما واستوزر اباشجاع محمد بن الحسين ثم ان نظام الملك راسل الخليفة فى اعادة بنى جهير الى الوزارة وشفع فى ذلك فاعيد عميد الدولة الى الوزارة واذن لابيه فخر الدولة فى فتح بابه وكان ذلك فى صفر سنة اثنتين وسبعين

(ذكر استيلاء تتش على دمشق)

فى هذه السنة ملك تاج الدولة تتش بن الب ارسلان دمشق وسبب ذلك أن اخاه السلطان ملكشاه اقطعه الشام وما يفتحه فى تلك النواحى سنة سبعين واربعمائة فاتى حلب وحصرها ولحق اهلها مجاعة شديدة وكان معه جمع كثير من التركمان فانفذ اليه الاقسيس صاحب دمشق يستنجده ويعرفه ان عساكر مصر قد حصرته بدمشق وكان امير الجيوش بدر قد سير عسكرا من مصر ومقدمهم قائد يعرف بنصر الدولة فحصر دمشق فارسل اقسيس الى تاج الدولة تتش يستنصره فسار الى نصرة الاقسيس فلما سمع المصريون بقربه اجفلوا من بين يديه شبه المنهزمين وخرج الاقسيس اليه يلتقيه عند سور البلد فاغتاظ منه تتش حيث لم يبعد فى تلقيه وعاتبه على ذلك فاعتذر بامور لم يقبلها تتش فقبض عليه فى الحال وقتله من ساعته وملك البلد واحسن السيرة فى اهله وعدل فيهم وقد ذكر ابن الهمذانى وغيره من العراقيين ان ملك تتش دمشق كان هذه السنة وذكر الحافظ أبو القاسم بن عساكر الدمشقى فى كتاب تاريخ دمشق ان ملكه اياها كان سنة اثنتين وسبعين

(ذكر عدة حوادث)

حسن العطار بتاريخ القاعة الجلوس فى بيتين نقشوهما بالازميرعلى اسكفة باب القاعة وموهوهما بالذهب وهما

شموس التهانى قد اضاءت بقاعة ... محاسنها للعين تزداد بالالف
على بابها قال السرور مؤرخا ... تم اسعادا تى تجدد بالالف

وازدحمت خيول الامراء ببابه فاقام على ذلك الى منتصف شهر رمضان وبدا له السفر الى الشرقية فابطلوا الوقدة واطفؤا السرج والشموع فكان ذلك فالا فكانت مدة سكناه به ستة عشر يوما بلياليها وانما اطنبنا فى ذكر ذلك ليعتبر اولوا الالباب ولا يجتهد العاقل فى تعمير الخراب وفى اثناء غيبته بالشرقية وصلت الفرنساوية الى الاسكندرية ثم الى مصر وجرى ما جرى مما سبق ذكره وذهب مع عشيرته الى قبلى وعند وصول الفرنساوية الى برانبابة بالبر الغربى وتحاربوا مع المصريين ابلى المترجم وجنده فى تلك الواقعة بلاء حسنا وقتل من كشافه ومماليكه عدة وافرة ولم يزل مدة اقامة الفرنساوية بمصر ينتقل فى الجهات القبلية والبحرية والشرقية والغربية ويعمل معهم مكايد ويصطاد منهم بالمصايد ولما وصل عرضى الوزير الى ناحية الشام ذهب اليه وقابله وأنعم عليه وكان معه رؤساء من الفرنساويه وعدة أسرى وأسد عظيم اصطاده فى سروحه فشكره الوزير وخلع عليه الخلع السنية وأقام بعرضيه

في هذه السنة ولد الملك بركيارق ابن السلطان ملكشاه وفيها في المحرم وصل سعد الدولة كوهرائين الى بغداد وضرب الطبل على باب داره اوقات الصلاة وكان قد طلب ذلك من قبل فلم يجب اليه لانه لم تجر به عادة وفيها توفي سيف الدولة ابو النجم بدر بن وردام الكردي الجاواني في شهر ربيع الاول ودفن بطسفونج وفي رجب توفي ابو علي بن البناء المقرى الحنبلي وله مصنفات كثيرة وسليم الجوري بناحية جو رمن دجيل وكان زاهدا يعمل ويأكل من كسبه ولم يكلف احدا حاجة وأقام بطنزة من ديار بكر وهي كثيرة الفواكه فلم يأكل بها فاكهة البتة

(ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين واربعمائة)

(ذكر فتوح ابراهيم صاحب غزنة في بلاد الهند)

في هذه السنة غزا الملك ابراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين بلاد الهند فحصر قلعة اجود وهي على مائة وعشرين فرسخا من لهاوور وهي قلعة حصينة في غاية الحصانة كبيرة تحوي عشرة آلاف رجل من المقاتلة فقاتلوه وصبروا تحت الحصر وزحف اليهم غير مرة فرأوا من شدة حربه ما ملأ قلوبهم خوفا ورعبا فسلموا القلعة اليه في الحادي والعشرين من صفر هذه السنة وكان في نواحي الهند قلعة يقال لها قلعة روبال على رأس جبل شاهق وتحتها غياض اشبة وخلفها البحر وليس عليها قتال الا من مكان ضيق وهو مملوء بالفيلة المقاتلة وبها من رجال الحرب الوف كثيرة فتابع عليهم الوقائع والح عليهم بالقتال بجميع انواع الحرب وملك القلعة واستنزلهم منها وفي موضع يقال له دره نوره أقوام من أولاد الخراسانيين الذين جعل اجدادهم فيها افراسياب التركي من قديم الزمان ولم يتعرض اليهم احد من الملوك فسار اليهم ابراهيم ودعاهم الى الاسلام أولا فامتنعوا من اجابته وقاتلوه فظفر بهم واكثر القتل فيهم وتفرق من سلم في البلاد وسبي واسترق من النسوان والصبيان مائة ألف وفي هذه القلعة حوض للماء يكون قطره نحو نصف فرسخ لا يدرك قعره يشرب منه أهل القلعة وجميع ما عندهم من دابة ولا يظهر فيه نقص وفي بلاد الهند موضع يقال له وره وهو بر بين خليجين فقصده الملك ابراهيم فوصل اليه في جمادى الاولى وفي طريقه عقبات كثيرة وفيها اشجار ملتفة فاقام هناك ثلاثة أشهر ولقي الناس من الشتاء شدة ولم يفارق الغزوة حتى انزل الله نصره على اوليائه وذله على اعدائه وعاد الى غزنة سالما مظفرا وهذه الغزوات لم اعرف تاريخها واما الاولى فكانت هذه السنة فلهذا اوردتها متتابعة في هذه السنة

(ذكر ملك شرف الدولة مسلم مدينة حلب)

في هذه السنة ملك شرف الدولة مسلم بن قريش العقيلي صاحب الموصل مدينة حلب وسبب ذلك ان تاج الدولة تتش بن الب أرسلان حصرها مرة بعد اخرى فاشتد الحصار باهلها وكان شرف الدولة يواصلهم بالغلات وغيرها ثم ان تتش حصرها هذه السنة واقام عليها اياما ورحل عنها وملك بزاعة والبيرة واحرق ربض عزاز وعاد الى دمشق

أياما ثم رجع الى ناحية مصر وذهب الى الصعيد ثم رجع الى الشام والفرنساوية يأخذون خبره ويرصدونه في الطرق فيروغ منهم ويكبسهم في غفلاتهم وينال منهم ولما وصل الوزير وحصل انتقاض الصلح وانحصر المصريون والعثمانيون بداخل المدينة وقع له مع الفرنساوية الوقائع الهائلة فكان يكر ويفر هو وحسن بك الجداوي ويعمل الحيل والمكايد وقتل من كشافه في تلك الحروب رجال معدودة منهم اسمعيل كاشف المعروف بابي قطية احترق هو وجنده ببيت أحمد أغا شويكار الذي كان أنشاه مرصيف الخشاب وكانت الفرنساوية قد عملوا تحته اغم بارود في أسفل جدرانه ولم يعلم به أحد فلما تترس فيه اسمعيل كاشف ومن معه أرسلوا من ألهبه النار فالتهب على من فيه واحترقوا بأجمعهم وتطايروا في الهواء ولما اصطلح مراد بك مع الفرنساويه لم يوافقه على ذلك واعتزله ولما اشتد الامر بين الفريقين وشاطت طبخة العثمانيين ومن تبعهم طفق يسعى بين الفريقين في الصلح ويمشي مع رسل الفرنساوية في دخولهم بين العسكر وخروجهم ليمنع من يتعدى عليهم من أوباش العسكر خوفا من ازدياد الشر الى ان تم الصلح وخرج المترجم مع العثمانية الى نواحي الشام ثم رجع الى الجهة الشرقية فجعل يحارب من يصادفه من الفرنسيس ويقتل منهم

فلما

فلما رحل عنها تاج الدولة استدعى أهلها شرف الدولة ليسلموها اليه فلما قاربها امتنعوا من ذلك وكان مقدمهم يعرف بابن الحتيتي العباسي فاتفق أن ولده خرج يتصيد بضيعة له فاسره احد التركمان وهو صاحب حصن بنواحي حلب وارسله الى شرف الدولة فقرر معه أن يسلم البلد اليه اذا اطلقه فاجاب الى ذلك فاطلقه فعاد الى حلب واجتمع بابيه وعرفه ما استقر فاذعن الى تسليم البلد ونادى بشعار شرف الدولة وسلم البلد اليه فدخله سنة ثلاث وسبعين وحصر القلعة واستنزل منها سابقا ووثابا ابني محمود بن مرداس فلما ملك البلد ارسل ولده وهو ابن عمة السلطان الى السلطان يخبره بملك البلد وأنفذ معه شهادة فيها خطوط المعدلين بحلب بضمانها وسال ان يقرر عليه الضمان فاجابه السلطان الى ما طلب واقطع ابن عمته مدينة بالس

(ذكر مسير ملكشاه الى كرمان)

في اول هذه السنة سار السلطان ملكشاه الى بلاد كرمان فلما سمع صاحبها سلطانشاه بن قاورت بك وهو ابن عم السلطان بوصوله اليها خرج الى طريقه ولقيه وحمل له الهدايا الكثيرة وخدمه وبالغ في الخدمة فاقره السلطان على البلاد واحسن اليه وعاد عنه في المحرم سنة ثلاث وسبعين الى اصبهان

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة ولد للخليفة المقتدي بامر الله امير المؤمنين ولد سماه موسى وكناه ابا جعفر وزينت بغداد سبعة ايام وفيها وصل السلطان ملكشاه الى خوزستان متصيدا فوصل معه خمارتكين وكوهرائين في قتل ابن علان اليهودي ضامن البصرة وكان ملتجئا الى نظام الملك وكان بين نظام الملك وبين خمارتكين الشرابي وكوهرائين عداوة فسعيا باليهودي لذلك فامر السلطان بتغريقه فغرق وانقطع نظام الملك عن الركوب ثلاثة ايام واغلق بابه ثم اشير عليه بالركوب فركب وعمل السلطان دعوة عظيمة قدم له فيها أشياء كثيرة وعاتبه على فعله فاعتذر اليه وكان امر اليهودي قد عظم الى حد أن زوجته توفيت فمشى خلف جنازتها كل من في البصرة الا القاضي وكان له نعمة عظيمة واموال كثيرة فاخذ السلطان منه مائة ألف دينار وضمن خمارتكين البصرة كل سنة بمائة الف دينار ومائة فرس وفيها زاد الفرات تسعة اذرع فخربت بعض دواليب هيت وخرب فوهة نهر عيسى وزاد تامرا نيفا وثلاثين ذراعا وعلا على قنطرتي طراستان وخانقين الكسر ويتين فقطعهما وفيها في ذي الحجة توفي نصر بن مروان صاحب ديار بكر وملك بعده ابنه منصور ودبر دولته ابن الانباري وفيها توفي ابو منصور محمد بن عبد العزيز العكبري ومولده سنة اربع وثمانين وثلثمائة وهو من المحدثين المعروفين وكان صدوقا ومحمد بن هبة الله بن الحسن بن منصور ابو بكر بن ابي القاسم الطبري اللالكائي ومولده سنة تسع واربعمائة وحدث عن هلال الحفار وغيره وتوفي في جمادى الاولى وفيها توفي ابو الفتيان محمد بن سلطان بن حيوس الشاعر المشهور وحدث عن

فاذا جمعوا جيشهم واتوا لحربه لم يجدوه ويمر من خلف الجبل ويمر بالحاج الى الصعيد فلا يعلم أين ذهب ثم يظهر بالبر الغربي ثم يسير مشرقا ويعود الى الشام وهكذا كان دأبه بطول السنة التى تخللت بين الصلحين الى ان نظم العثمانية أمرهم وتعاونوا بالانكليز ورجع الوزير على طريق البر وقبطان باشا بصحبة الانكليز من البحر فحضر المترجم وباقى الامراء واستقر الجميع بداخل مصر والانكليز ببر الجيزة وارتحلت الفرنساوية وخلت منهم مصر فعند ذلك قلق المترجم وداخله وسواس وفكر لانه كان صحيح النظر في عواقب الامور فكان لا يستقر له قرار ولم يدخل الى الحريم ولم يبت بداره الا ليلتين على سجادة ومخدة في القاعة السفلى ولم يكن بها حريم (يقول الفقير) ذهبت اليه مرة في ظرف اليومين فوجدته جالسا على السجادة فجلست معه ساعة فدخل عليه بعض أمرائه يستأذنه في زواج احدى زوجات من مات من خشداشينه فنترفيه وشتمه وطرده وقال لي انظر الى عقول هؤلاء المغفلين يظنون انهم استقروا بمصر ويتزوجوا ويتأهلوا مع ان جميع ما تقدم من حوادث الفرنسيس وغيرها أهون من الورطة التى نحن فيها الآن ولما أطلق الوزير لابراهيم بك الكبير التصرف وألبسه خلعة وجعله شيخ البلد كعادته وان أوراق التصرفات في الاقطاعات والاطيان وغيرها تكون

جده لامه القاضى ابى نصر محمد بن هرون بن الجندى

(ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين واربعمائة)

(ذكر استيلاء تكش على بعض خراسان واخذها منه)

فى هذه السنة فى شعبان سار السلطان ملكشاه الى الرى وعرض العسكر فاسقط منهم سبعة آلاف رجل لم يرض حالهم فمضوا الى اخيه تكش وهو ببوشنج فقوى بهم واظهر العصيان على اخيه ملكشاه واستولى على مروالروذ ومرو والشاهجان وترمذ وغيرها وسار الى نيسابور طامعا فى ملك خراسان وقيل بان نظام الملك قال للسلطان لما امر باسقاطهم ان هؤلاء ليس فيهم كاتب ولا تاجر ولا خياط ولا من له صنعة غير الجندية فاذا اسقطوا لا نامن ان يقيموا منهم رجلا وقالوا هذا السلطان فيكون لنا منهم شغل ويخرج عن ايدينا اضعاف مالهم من الجارى الى ان نظفر بهم فلم يقبل السلطان قوله فلما مضوا الى اخيه واظهر العصيان ندم على مخالفة وزيره حيث لم ينفع الندم واتصل خبره بالسلطان ملكشاه فسار مجدا الى خراسان فوصل الى نيسابور قبل ان يستولى تكش عليها فلما سمع تكش بقربه منها سار عنها وتحصن بترمذ وقصده السلطان فحصره بها وكان تكش قد اسر جماعة من اصحاب السلطان فاطلقهم واستقر الصلح بينهما ونزل تكش الى اخيه السلطان ملكشاه ونزل عن ترمذ

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة تسلم مؤيد الملك بن نظام الملك تكريت من صاحبها المهرباط وفيها توفى ابو على بن شبل الشاعر المشهور ومن شعره فى الزهد

اهم بترك الذنب ثم يردنى * طموح شباب بالغرام موكل
فمن لى اذا اخرت ذا اليوم توبة * بان المنايا الى الشيب تمهل
اعجز ضعفا عن اداء حق خالقى * واحمل وزرا فوق ما يتحمل

وفيها ايضا توفى العميد ابو منصور بالبصرة وفيها توفى عبد السلام بن احمد بن محمد بن جعفر ابو الفتح الصوفى من اهل فارس سافر الكثير وسمع الحديث بالعراق والشام ومصر واصبهان وغيرها وكانت وفاته بفارس ويوسف بن الحسن بن محمد بن الحسن ابو القسم التفكرى الزنجانى ولد سنة خمس وتسعين وثلثمائة وسمع من ابى نعيم الحافظ وغيره وتفقه على ابى اسحق الشيرازى وادرك ابا الطيب الطبرى وكان من العلماء العاملين المشتغلين بالعبادة

(ثم دخلت سنة اربع وسبعين واربعمائة)

(ذكر خطبة الخليفة ابنة السلطان ملكشاه)

فى هذه السنة ارسل الخليفة الوزير فخر الدولة ابانصر بن جهير الى السلطان يخطب ابنته لنفسه فسار فخر الدولة الى اصبهان الى السلطان يخطب ابنته فامر نظام الملك ان يمضى معه الى خاتون زوجة السلطان فى المعنى فمضيا اليها وخاطباها فقالت ان ملك غزنة

وملوك

بختمه وعلامته اغتر هو وباقى الامرا بذلك وتناقلوا فى الحديث فذكروا ملاطفة الوزير ومحبته لهم واقامته لناموسهم فقال المترجم لا تغتروا بذلك فانما هى حيل ومكايد وكأنها تروج عليكم فانظروا فى امركم وتفطنوا لما عساه يحصل فان سوء الظن من الحزم فقالوا له وما الذى يكون قال ان هؤلاء العثمانيين لهم السنين العديدة والازمان المديدة يتمنون نفوذ احكامهم وتملكهم لهذا الاقليم ومضت الاحقاب وأمراء مصر قاهرون لهم وغالبون عليهم ليس لهم معهم الا مجرد الطاعة الظاهرة وخصوصا دولتنا الاخيرة وما كنا نفعله معهم من الاهانة ومنع الخزينة وعدم الامتثال لاوامرهم وكل ذلك مكمون فى نفوسهم زيادة على ما جبلوا عليه من الطمع والخيانة والشره وقد وجدوا البلاد الآن وملكوها على هذه الصورة وتآمروا علينا فلا يهون بهم ان يتركوها لنا كما كانت بايدينا ويرجعوا الى بلادهم بعد ما ذاقوا حلاوتها فدبروا رأيكم وتيقظوا من غفلتكم فلما سمعوا منه ذلك صادق عليه بعضهم وقال بعضهم هذا من وساوسك وقال آخر هذا لا يكون بعد ما كنا نقاتل معهم ثلاث سنوات وأشهرا بأموالنا وأنفسنا وهم لا يعرفون طرائق البلاد ولا سياستها فلا غنى

وملوك الخانية بما وراء النهر طلبوها وخطبوها لاولادهم وبذلوا اربعمائة الف دينار فان حمل الخليفة هذا المال فهو احق منهم فعرفتها ارسلان خاتون التي كانت زوجة القائم بامر الله ما يحصل لها من الشرف والفخر بالاتصال بالخليفة وان هؤلاء كلهم عبيده وخدمه ومثل الخليفة لا يطلب منه المال فاجابت الى ذلك وشرطت ان يكون الحمل المعجل خمسين الف دينار وانه لا يبقى له سرية ولا زوجة غيرها ولا يكون مبيته الا عندها فاجيبت الى ذلك فاعطى السلطان يده وعاد فخر الدولة الى بغداد

(ذكر وفاة نور الدولة بن مزيد وامارة ولده منصور)

في هذه السنة في شوال توفي نور الدولة ابو الاغر دبيس بن علي بن مزيد الاسدي بمطيراباذ وكان عمره ثمانين سنة وامارته سبعا وخمسين سنة ومازال ممدحا في كل زمان مذكورا بالتفضل والاحسان ورثاه الشعراء فاكثروا وولي بعده ما كان اليه ابنه ابو كامل منصور ولقبه بهاء الدولة فاحسن السيرة واعتمد الجميل وسار الى السلطان ملكشاه في ذي القعدة واستقر له الامر وعاد في صفر سنة خمس وسبعين وخلع الخليفة ايضا عليه

(ذكر محاصرة تميم بن المعز مدينة قابس)

في هذه السنة حصر الامير تميم بن المعز بن باديس صاحب افريقية مدينة قابس حصارا شديدا وضيق على اهلها وعاث عساكره في بساتينها المعروفة بالغابة فافسدوها

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة سار تتش بعد عود شرف الدولة عن دمشق وقصد الساحل الشامي فافتتح انطرطوس وبعض الحصون وعاد الى دمشق وفيها ملك شرف الدولة صاحب الموصل مدينة حران واخذها من بني وثاب النميريين وصالحه صاحب الرها ونقش السكة باسمه وفيها سد ظفر القائمي بثق نهر عيسى وكان خرابا منذ ثلاث وعشرين سنة وسد مرارا وتخرب الى ان سده ظفر وفيها ارسل السلطان الى بغداد ليخرج الوزير ابو شجاع الذي وزر للخليفة بعد بني جهير فارسله الخليفة الى نظام الملك وسير معه رسولا وكتب معه الى نظام الملك كتابا بخطه يامره بالرضا عن ابي شجاع فرضي عنه واعاده الى بغداد وفيها مات ابن السلطان ملكشاه واسمه داود فجزع عليه جزعا شديدا وحزن حزنا عظيما ومنع من اخذه وغسله حتى تغيرت رائحته واراد قتل نفسه مرات فمنعه خواصه ولما دفن لم يطق المقام فخرج يتصيد وامر بالنياحة عليه في البلد ففعل ذلك عدة ايام جلس له وزير الخليفة في العزاء ببغداد وفيها توفي عبد الله بن احمد بن رضوان ابو القاسم وهو من اعيان اهل بغداد وكان مرضه شقيقة وبقي ثلاث سنين في بيت مظلم لا يقدر ان يسمع صوتا ولا يبصر ضوءا وفيها في ذي الحجة توفي ابو محمد بن ابي عثمان المحدث وكان صالحا يقرئ القرآن بمسجده بنهر القلائين وتوفي علي بن احمد بن علي ابو القاسم البسري البندار وولد سنة ست وثمانين وثلثمائة سمع المخلص وغيره وكان ثقة صالحا وفيها توفي ابو اسحق ابراهيم بن عقيل بن حبش القرشي النحوي

لهم هنا وقال آخر غير ذلك ثم قالوا له وما رأيك الذي تراه فقال الرأي عندي ان قبلتموه ان نعدي باجمعنا الى بر الجيزة ونتصب خيامنا هناك ونجعل الانكليز واسطة بيننا وبين الوزير والقبطان وتتمم الشروط التي نرتاح نحن وهم عليها بكفالة الانكليز ولا نرجع الى البر الشرقي ولا ندخل مصر حتى يخرجوا منها ويرجعوا الى بلادهم ويبقى منهم من يبقى مثل من يقلدونه الولاية والدفتردارية ونحو ذلك وكان ذلك هو الرأي ووافق عليه البعض ولم يوافق البعض الآخر وقال كيف ننابذهم ولم يظهر لنا منهم خيانة ونذهب الى الانكليز وهم اعداء الدين فيحكم العلماء بردتنا وخيانتنا للدولة الاسلام على انهم ان قصدوا بنا شيئا قمنا باجمعنا عليهم وفينا ولله الحمد الكفاية وعند ذلك تتوسط بيننا وبينهم الانكليز فتكون لنا المندوحة والعذر فقال المترجم اما الاستنكاف من الالتجاء للانكليز فان القوم لم يستنكفوا من ذلك واستعانوا بهم ولولا مساعدتهم لما ادركوا هذا المحصول ولا قدروا على اخراج الفرنساوية من البلاد وقد شاهدنا ما حصل في العام الماضي لما حضروا بدون الانكليز على ان هذا قياس مع الفارق فان تلك مساعدة حرب واما هذه فهي وساطة مصلحة لا غير واما انتظار حصول المنابذة فقد لا يمكن التدارك بعد الوقوع لامور والرأي لكم فسكتوا وتفرقوا على كتمان ما دار

بينهم ولما لم يوافقوا المترجم على ما اشار به عليهم اخذ يدبر في خلاص نفسه فانضم الى محمود افندى رئيس الكتاب

(ثم دخلت سنة خمس وسبعين واربعمائة)

(ذكر وفاة جمال الملك بن نظام الملك)

في هذه السنة في رجب توفي جمال الملك منصور بن نظام الملك وورد الخبر بوفاته الى بغداد في شعبان فجلس اخوه مؤيد الملك للعزاء وحضر فخر الدولة بن جهير وابنه عميد الملك معزيين وارسل الخليفة اليه في اليوم الثالث فاقامه من العزاء وكان سبب موته ان مسخرة كان للسلطان ملكشاه يعرف بجعفرك يحاكي نظام الملك ويذكره في خلواته مع السلطان فبلغ ذلك جمال الملك وكان يتولى مدينة بلخ واعمالها فسار من وقته يطوي المراحل الى والده والسلطان وهما باصبهان فاستقبله اخواه فخر الملك ومؤيد الملك فاغلظ لهما القول في اغضائهما على ما بلغه عن جعفرك فلما وصل الى حضرة السلطان رأى جعفرك يساره فانتهره وقال مثلك يقف هذا الموقف وينبسط بحضرة السلطان في هذا الجمع فلما خرج من عند السلطان أمر بالقبض على جعفرك وامر باخراج لسانه من قفاه وقطعه فمات ثم سار مع السلطان وابيه الى خراسان واقاموا بنيسابور مدة ثم ارادوا العود الى اصبهان وتقدمهم نظام الملك فاحضر السلطان عميد خراسان وقال له ايما احب اليك رأسك أم رأس جمال الملك فقال بل رأسي فقال ان لم تعمل في قتله لاقتلنك فاجتمع بخادم يختص بخدمة جمال الملك وقال له سرا الاولى ان تحفظوا نعمتكم ومناصبكم وتدبروا في قتل جمال الملك فان السلطان يريد ان يأخذه ويقتله ولأن تقتلوه انتم سرا اصلح لكم من ان يقتله السلطان ظاهرا فظن الخادم ان ذلك صحيح فجعل له سما في كوز فقاع فطلب جمال الملك فقاعا فاعطاه الخادم ذلك الكوز فشربه فمات فلما علم السلطان بموته سار مجدا حتى لحق نظام الملك فاعلمه بموت ابنه وعزاه وقال انا ابنك وانت اولى من صبر واحتسب

(ذكر الفتنة ببغداد بين الشافعية والحنابلة)

ورد الى بغداد هذه السنة الشريف ابو القاسم البكري المغربي الواعظ وكان اشعري المذهب وكان قد قصد نظام الملك فاحبه ومال اليه وسيره الى بغداد واجرى عليه الجراية الوافرة فوعظ بالمدرسة النظامية وكان يذكر الحنابلة ويعيبهم ويقول وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا والله ما كفر احمد ولكن اصحابه كفروا ثم انه قصد يوما دار قاضي القضاة ابي عبد الله الدامغاني بنهر القلائين فجرى بين بعض اصحابه وبين قوم من الحنابلة مشاجرة ادت الى الفتنة وكثر جمعه فكبس دور بني الفراء واخذ كتبهم واخذ منها كتاب الصفات لابي يعلى فكان يقرأ بين يديه وهو جالس على الكرسي للوعظ فيشنع به عليهم وجرى له معهم خصومات وفتن ولقب البكري من الديوان بعلم السنة ومات ببغداد ودفن عند قبر ابي الحسن الاشعري

(ذكر مسير الشيخ ابي اسحق الى السلطان في رسالة)

في هذه السنة في ذي الحجة وصل الخليفة المقتدي بامر الله الشيخ ابا اسحق الشيرازي الى

حضرته

لقربه من الوزير وقبوله عنده واوهمه النصيحة للوزير بتحصيل مقادير عظيمة من الاموال من جهة الصعيد ان قلده الوزير امارة الصعيد فانه يجمع له اموالا جمة من تركات الاغنياء الذين ماتوا بالطاعون في العام الماضي وخلافه ولم يكن لهم ورثة وغير ذلك من الجهات التي لا يحيط بها خلافه والمال والغلال الميرية فلما عرف الرئيس الوزير بذلك لم يكن باسرع من اجابته لوجهين الاول طمعا في تحصيل المال والثاني لتفريق جمعهم فانهم كانوا يحسبون حسابه دون باقي الجماعة لكثرة حشمه وشدة احترازه فانه كان اذا ذهب عند الوزير لا يذهب في الغالب الا وحوله جميع جنوده ومماليكه وعندما اجاب الوزير الى سفره كتب له فرمانا بامارة الجهة القبلية واطلق له الاذن ورخص له في جميع ما يؤدي اليه اجتهاده من غير معارض وتم الرئيس القصد وفي الوقت حضر المترجم فاخذ المرسوم ولبس الخلعة بنفسه وودع الوزير والرئيس وركب في الوقت والساعة وخرج مسافرا وجعل رئيس افندي وكيلا عنه وسفيرا بينه وبين الوزير بعدما اسكنه في داره ولم يشعر بذلك احد ولم ير الوزير وجها بعد ذلك وعندما

حضرته وحمله رسالة الى السلطان ملكشاه ونظام الملك تتضمن الشكوى من العميد
أبي الفتح بن ابي الليث عميد العراق وامره ان ينهي مايجري على البلاد من النظار وفساد
فكان كلما وصل الى مدينة من بلاد العجم يخرج اهلها اليه بنسائهم واولادهم
يتمسحون بركابه ويأخذون تراب بغلته للبركة وكان في صحبته جماعة من اعيان بغداد
منهم الامام أبو بكر الشاشي وغيره ولما وصل الى ساوة خرج جميع اهلها وساله
فقهاؤها كل منهم ان يدخل بيته فلم يفعل ولقيه اصحاب الصناعات ومعهم ماينثرونه
على محفته فخرج الخبازون ينثرون الخبز وهو ينهاهم فلم ينتهوا وكذلك اصحاب
الفاكهة والحلواء وغيرهم وخرج اليه الاساكفة وقد عملوا مداسات لطافا تصلح لارجل
الاطفال ونثروها فكانت تسقط على رؤس الناس فكان الشيخ يتعجب ويذكر ذلك
لاصحابه بعد رجوعه ويقول ماكان حظكم من ذلك النثار فقال له بعضهم ماكان حظ
سيدنا منه فقال اما انا فغطيت بالمحفة وهو يضحك فاكرمه السلطان ونظام الملك وجرى
بينه وبين امام الحرمين ابي المعالي الجويني مناظرة بحضرة نظام الملك وأجيب الى
جميع ماالتمسه ولما عاد أهين العميد وكسر عما كان يعتمده ورفعت يده عن جميع
مايتعلق بحواشي الخليفة ولما وصل الشيخ الى بسطام خرج اليه السهلكي شيخ
الصوفية بها وهو شيخ كبير فلما سمع الشيخ ابو اسحق بوصوله خرج اليه ماشيا فلما رآه
السهلكي ألقى نفسه من دابة كان عليها وقبل يد الشيخ أبي اسحق فقبل أبو اسحق رجله
واقعده موضعه وجلس ابو اسحق بين يديه وأظهر كل واحد منهما من تعظيم صاحبه
كثيرا وأعطاه شيئا من حنطة ذكر انها من عهد ابي يزيد البسطامي ففرح بها ابو اسحق

(ذكر حصر شرف الدولة دمشق وعوده عنها)

في هذه السنة جمع تاج الدولة تتش جمعا كثيرا وسار عن بغداد وقصد بلاد الروم انطاكية
وماجاورها فسمع شرف الدولة صاحب حلب الخبر فخافه فجمع أيضا العرب من عقيل
والاكراد وغيرهم فاجتمع معه جمع كثير فراسل الخليفة بمصر يطلب منه ارسال
نجدة اليه ليحصر دمشق فوعده ذلك فسار اليها فلما سمع تتش الخبر عاد الى دمشق
فوصلها أول المحرم سنة ست وسبعين ووصل شرف الدولة أواخر المحرم وحصر المدينة
وقاتله أهلها وفي بعض الايام خرج اليه عسكر دمشق وقاتلوه وحملوا على عسكره حملة
صادقة فانكشفوا وتضعضعوا وانهزمت العرب وثبت شرف الدولة واشرف على
الاسر وتراجع اليه اصحابه فلما رأى شرف الدولة ذلك ورأى ايضا ان مصر لم يصل اليه
منها عسكر واتاه عن بلاده الخبر ان اهل حران عصوا عليه فرحل عن دمشق الى بلاده
واظهر انه يريد البلاد بفلسطين فرحل اولا الى مرج الصفر فارتاع اهل دمشق وتتش
واضطربوا ثم انه رحل من مرج الصفر مشرقا في البرية وجد في مسيره فهلك من المواشي
الكثير مع عسكره ومن الدواب شئ كثير وانقطع خلق كثير

(ذكر عدة حوادث)

اشيع ذلك حضر الى الوزير من اعترض عليه في هذه الغفلة واشار عليه بنقض ذلك فارسل يستدعيه لامر
تذكره على ظن تأخره فلم
يدركوه الا وقد قطع مسافة
بعيدة ورجعوا على غير طائل
وذهب هو الى أسيوط وشرع
في جبي الاموال وارسل
للوزير دفعة من المال واغناما
وعبيدا طواشية وغلالا ثم
لم يمض على ذلك الانحو ثلاثة
شهور وسافر طائفة من
الانكليز الى سكندرية
وكذلك حسين باشا القبطان
ونصبوا للمصريين الفخاخ
وأرسل القبطان يطلب
طائفة منهم فاوقع بهم ماوقع
وقبض الوزير على من بمصر
من الامراء وحبسهم وجرى
ماهو مسطور في محله وعينوا
على المترجم طاهر باشا
بعساكر وحصلت المقاقمة
وقتل من قتل والتجا من بقي
الى الانكليز ولم يندمل الجرح
بعد تقريحه وذهب الجميع
الى الناحية القبلية وارسلوا
لهم التجاريد وتصدى المترجم
لحروبهم ثم حضر الى ناحية
بحري ونزل بظاهر الجيزة
وسار الى ناحية البحيرة بعد
حروب ووقائع فاجتهد محمد باشا
خسرو في اخراج تجريدة
عظيمة وساري عسكرها
كتخداه وهو يوسف كتخدا
بك وهي التجريدة التي
سماها العوام تجريدة الحمير
لانهم جمعوا من جملة ذلك حمير
الحمارة والتراسين وحمير المكاف والسقائين وحملوا على اهل بولاق ألف حمار وكذلك مصر ومصر القديمة

فى هذه السنة قدم مؤيد الملك بن نظام الملك الى بغداد من اصبهان فخرج عميد الدولة ابن جهير الى لقائه ونزل بالمدرسة النظامية وضرب على بابه الطبول اوقات الصلوات الثلاث فاعطى مالا جليلا حتى قطعه وارسل الطبول الى تكريت وفيها توفى ابو عمرو عبد الوهاب بن محمد بن اسحق بن منده الاصبهانى فى جمادى الآخرة باصبهان وكان حافظا فاضلا والامير ابو نصر على ابن الوزير ابى القاسم هبة الله بن على بن جعفر بن ما كولا مصنف كتاب الاكمال ومولده سنة عشرين واربعمائة وكان فاضلا حافظا قتله مماليكه الاتراك بكرمان واخذوا ماله

(ثم دخلت سنة ست وسبعين واربعمائة)

(ذكر عزل عميد الدولة بن جهير عن وزارة الخليفة ومسير والده فخر الدولة الى ديار بكر)

فى هذه السنة فى صفر عزل عميد الدولة بن جهير عن وزارة الخليفة ووصل يوم عزل رسول من السلطان ونظام الملك الى الخليفة يطلبان ان يرسل اليهما بنى جهير فاذن لهم فى ذلك وساروا بجميع اهلهم ونسائهم الى السلطان فصادفوا منه ومن نظام الملك الاكرام والاحترام وعقد السلطان لفخر الدولة بن جهير على ديار بكر وخلع عليه واعطاه الكوسات وسير معه العساكر وامره ان يقصدها ويأخذها من بنى مروان وان يخطب لنفسه ويذكر اسمه على السكة فسار اليها ولما فارق بنو جهير بغداد رتب فى الديوان ابو الفتح المظفر بن رئيس الرؤساء وكان قبل ذلك على ابنية الدار وغيرها

(ذكر عصيان اهل حران على شرف الدولة وفتحها)

فى هذه السنة عصى اهل حران على شرف الدولة مسلم بن قريش واطاعوا قاضيهم ابن حلبة واراد هو وابن عطير النميرى تسليم البلد الى جبق امير التركمان وكان شرف الدولة على دمشق يحاصر تاج الدولة تتش بها فبلغه الخبر فعاد الى حران وصالح ابن ملاعب صاحب حمص واعطاه سلمية ورفنية وبادر بالمسير الى حران فحصرها ورماها بالمنجنيق فخرب من سورها بدنة وفتح البلد فى جمادى الاولى واخذ القاضى ومعه ابنين له فصلبهم على السور

(ذكر وزارة ابى شجاع محمد بن الحسين للخليفة)

فى هذه السنة عزل الخليفة ابا الفتح بن رئيس الرؤساء من النيابة فى الديوان واستوزر ابا شجاع محمد بن الحسين وخلع عليه خلع الوزارة فى شعبان ولقبه ظهير الدين ومدحه الشعراء فاكثروا فممن مدحه وهناه ابو المظفر محمد بن العباس الابيوردى بالقصيدة المشهورة التى اولها

هاانها مقل الظباء العين * فتكت بسر فؤادى المكنون

ومنها

وطفقوا يخطفون حمير الناس ويكبسون البيوت ويأخذون ما يجدونه وكان يأتى بعض معاكيس العسكر عند الدور ويضع أحدهم فمه عند الباب ويقول زر فينهق الحمار فيأخذونه فلما تم مرادهم من جمع الحمير اللازمة لهم سافروا الى ناحية البحيرة فكانت بينهم واقعة عظيمة بأرض من الانكليز وكانت الغلبة له على العسكر وأخذ منهم جملة أسرى وانهزم الباقون شرهزيمة وحضروا الى مصر فى أسوا حال وهذه الكسرة كانت سببا لحصول الوحشة بين الباشا والعسكر فانه غضب عليهم وامرهم بالخروج من مصر فطلبوا علائفهم فقال باى شئ تستحقون العلائف ولم يخرج من ايديكم شئ فامتنعوا من الخروج وكان المشار اليه فيهم محمد على سرششمه فاراد الباشا اصطياده فلم يتمكن منه لشدة احتراسه فغار به فوقع له ما ذكر فى محله وخرج الباشا هاربا الى دمياط ومن ذلك الوقت ظهر اسم محمد على ولم يزل ينمو ذكره بعد ذلك واما المترجم فانه بعد كسرته للعسكر ذهب ناحية دمنهور وذهبت كشافه وامراؤه الى المنوفية والغربية والدقهلية وطلبوا منهم المال والكلف ثم رجعوا الى البحيرة ثم بعد هذه الوقائع سافر المترجم مع الانكليز الى بلادهم واختار من مماليكه خمسة عشر شخصا اخذهم صحبته واقام عوضه احد مماليكه المسمى بشتك بك وسمى الالفى الصغير فانهل

فانهل اسراب الدموع كانها * منحج يتابعها ظهير الدين

(ذكر قتل أبي المحاسن بن أبي الرضا)

فى هذه السنة فى شوال قتل سيد الرؤساء أبو المحاسن بن كمال الملك أبى الرضا وكان قد قرب من السلطان ملكشاه قربا عظيما وكان أبوه يكتب بالطغراء فقال ابو المحاسن للسلطان سلم الى نظام الملك وأصحابه وانا اسلم اليك منهم ألف ألف دينار فانهم ياكلون الاموال ويقتطعون الاعمال وعظم عنده ذخائرهم فبلغ ذلك نظام الملك فعمل سماطا عظيما وأقام عليه مماليكه وهم الوف من الاتراك واقام خيلهم وسلاحهم على حيالهم فلما حضر السلطان قال له انني قد خدمتك وخدمت اباك وجدك ولى حق خدمة وقد بلغك اخذى لعشر اموالك وصدق هذا انا آخذه واصرفه الى هؤلاء الغلمان الذين جمعتهم لك واصرفه ايضا الى الصدقات والصلات والوقوف التى اعظم ذكرها وشكرها واجرها لك واموالى وجميع ما املكه بين يديك وانا اقنع بمرقعة وزاوية فامر السلطان بالقبض على ابى المحاسن وان تسمل عيناه وانفذه الى قلعة ساوة وسمع ابوه كمال الملك الخبر فاستجار بدار نظام الملك فسلم وبذل مائتى الف دينار وعزل عن الطغراء ورتب مكانه مؤيد الملك بن نظام الملك

(ذكر استيلاء مالك بن علوى على القيروان واخذها منه)

فى هذه السنة جمع مالك بن علوى الصخرى العرب فاكثر وسار الى المهدية فحصرها فقام الامير تميم بن المعز قياما تاما ودحله عنها ولم يظفر منها بشئ فسار مالك منها الى القيروان فحصرها وملكها فجرد اليه تميم العساكر العظيمة فحصروه بها فلما رأى مالك أنه لا طاقة له بتميم خرج عنها وتركها فاستولى عليها عسكر تميم وعادت الى ملكه كما كانت

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة عم الرخص جميع البلاد فبلغ الكر الحنطة الجيدة ببغداد عشرة دنانير وفيها فى جمادى الآخرة توفى الشيخ ابو اسحق الشيرازى وكان مولده سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة واكثر الشعراء مراثيه فمنهم ابو الحسن الخباز والبندنيجى وغيرهما وكان رحمة الله عليه واحد عصره علما وزهدا وعبادة وسخاء وصلى عليه فى جامع القصر وجلس اصحابه للعزاء فى المدرسة النظامية ثلاثة ايام ولم يتخلف احد عن العزاء وكان مؤيد الملك بن نظام الملك ببغداد فرتب فى التدريس ابا سعد عبد الرحمن بن المامون المتولى فلما بلغ ذلك نظام الملك انكره وقال كان يجب ان تغلق المدرسة بعد الشيخ ابى اسحق سنة وصلى عليه بباب الفردوس وهذا لم يفعل على غيره وصلى عليه الخليفة المقتدى بامر الله وتقدم فى الصلاة عليه ابو الفتح بن رئيس الرؤساء وهو ينوب فى الوزارة ثم صلى عليه بجامع القصر ودفن بباب ابرز

(ثم دخلت سنة سبع وسبعين واربعمائة)

(ذكر الحرب بين فخر الدولة بن جهير وابن مروان وشرف الدولة)

وامره على مماليكه وامرائه وامرهم بطاعته واوصاه وصايا وسافر وغاب سنة وشهرا او بعض ايام لانه سافر فى منتصف شهر شوال سنة سبع عشرة وحضر فى اول شهر القعدة سنة ثمان عشرة وجرى فى مدة غيابه من الحوادث التى تقدم من ذكرها ما يغنى عن اعادتها من خروج محمد باشا خسرو وتولية طاهر باشا ثم قتله ودخول الامراء المصريين وتحكمهم بمصر سنة ثمان عشرة وتامير صناجق من أتباع المترجم وما جرى بها من الوقائع بتقدير الله تعالى البارز بتدبير محمد على ونفاقه وحيله فانه سعى أولا فى نقض دولة مخدومه محمد باشا خسرو بتواطئه مع طاهر باشا وخازنداره محمد باشا المحافظ للقلعة ثم الاغراء على طاهر باشا حتى قتل ثم معاونته للامراء المصريين ودخولهم وتملكهم واظهار المساعدة الكلية لهم ومصادقتهم وخدمتهم ومعاونتهم والرمح فى غفلتهم وخصوصا عثمان بك البرديسى فانه كان مغرقا غشوما يحب الترؤس فاظهر له الصداقة والمؤاخاة والمصافاة حتى قضى منهم اغراضه من قتل الدفتردار والكتخدا وعلى باشا الطرابلسى ومحاربة محمد باشا وأخذه اسيرا من دمياط واخيه السيد على القبطان برشيد ونسبة جميع هذه الافعال والقبائح اليهم فلما انقضى ذلك كله لم يبق الا الالفى وجماعته والبرديسى الذى

قد تقدم ذكر مسير فخر الدولة بن جهير في العساكر السلطانية الى ديار بكر فلما كانت هذه السنة سير السلطان اليه ايضا جيشا فيهم الامير ارتق بن اكسب وامرهم بمساعدته وكان ابن مروان قد مضى الى شرف الدولة وساله نصرته على ان يسلم اليه آمد وحلف كل واحد لصاحبه وكل منهما يرى ان صاحبه كاذب لما كان بينهما من العداوة المستحكمة واجتمعا على حرب فخر الدولة وسارا الى آمد وقد نزل فخر الدولة بنواحيها فلما رأى فخر الدولة اجتماعهما مال الى الصلح وقال لا اوثران يحل بالعرب بلاء على يدي فعرف التركمان ما عزم عليه فركبوا ليلا واتوا الى العرب واحاطوا بهم في ربيع الاول والتحم القتال واشتد فانهزمت العرب ولم يحضر هذه الوقعة الوزير فخر الدولة ولا ارتق وغنم التركمان حلل العرب ودوابهم وانهزم شرف الدولة وحمى نفسه حتى وصل الى فصيل آمد وحصره فخر الدولة ومن معه فلما رأى شرف الدولة انه محصور خاف على نفسه فراسل الامير ارتق وبذل له مالا وساله ان يمن عليه بنفسه ويمكنه من الخروج من آمد وكان هو على حفظ الطرق والحصار فلما سمع ارتق ما بذل له شرف الدولة اذن له في الخروج فخرج منها في الحادي والعشرين من ربيع الاول وقصد الرقة وارسل الى ارتق بما كان وعده به وسار ابن جهير الى ميافارقين ومعه من الامراء الامير بهاء الدولة منصور بن مزيد وابنه سيف الدولة صدقة ففارقوه وعادوا الى العراق وسار فخر الدولة الى خلاط ولما استولى العسكر السلطاني على حلل العرب وغنموا اموالهم وسبوا حريمهم بذل سيف الدولة صدقة بن منصور بن مزيد الاموال وافتك اسرى بني عقيل ونساءهم واولادهم وجهزهم جميعهم وردهم الى بلادهم ففعل امرا عظيما واسدى مكرمة شريفة ومدحه الشعراء في ذلك فاكثروا فمنهم محمد بن محمد بن خليفة السنبسي يذكر ذلك في قصيدة

كما احرزت شكر بني عقيل * بآمد يوم كظهم الحذار
غداة رمتهم الاتراك طرا * بشهب في حوافلها ازورار
فاجبنوا ولكن فاض بحر * عظيم لا تقاومه البحار
فحين تنازلوا تحت المنايا * وفيهن الرزية والدمار
مننت عليهم وفككت عنهم * وفي اثناء حبلهم انتشار
ولولا انت لم ينفك منهم * اسير حين اعلقه الاسار

في ابيات كثيرة وذكر ايضا البندنيجي ابياتا فاحسن ولولا خوف التطويل لذكرت ابياته

(ذكر استيلاء عميد الدولة على الموصل)

لما بلغ السلطان ان شرف الدولة انهزم وحصر بآمد لم يشك في اسره فخلع على عميد الدولة بن جهير وسيره في جيش كثيف الى الموصل وكاتب امراء التركمان بطاعته وسير معه من الامراء آقسنقر قسيم الدولة جد ملوكنا اصحاب الموصل وهو الذي اقطعه السلطان بعد ذلك حلب وكان الامير ارتق قد قصد السلطان فعاد صحبة عميد الدولة

من

هو خشداشه محمد علي ويقاومه ويعلم انه اذا حضر لا يبقى له معه ذكر وتخمد انفاسه فيتناجيا ويتشاورا في امر المترجم ويتذاكرا تعاظم وكيله وخشداشينه ونقضهم عليه ما يبرمونه مع غياب استاذهم فكيف بهم اذا حضر ويوهمه المساعدة والمعاضدة ويكون خادماله وعساكره وجنده الى ان حضر المترجم فاوقعا به ما تقدم ذكره ونجا بنفسه واختفى عند عشيرة البدوي بالوادي فلما خلا الجو من الالفي وجماعته فاوقع محمد علي عند ذلك بالبرديسي وعشيرته ما اوقع وظهر بعد ذلك المترجم من اختفائه وذهب الى ناحية قبلي هو ومملوكه صالح بك واجتمعت عليه امراؤه واجناده واستقل امره واصطلح مع عشيرته والبرديسي على ما في نفوسهما وما زال منجمعا عن مخالطتهم وجرى ما جرى من مجيئهم حوالي مصر وحروبهم مع العساكر في ايام خورشيد احمد باشا وانفصالهم عنها بدون طائل لتفاشلهم واختلاف آرائهم وفساد تدبيرهم ورجعوا الى ناحية قبلي ثم عادوا الى ناحية بحري بعد حروب ووقائع مع حسن باشا ومحمد علي وعساكرهم ثم لما حصلت المفاقمة بينهما وبين خورشيد احمد باشا وانتصر محمد علي بالسيد عمر مكرم النقيب والمشايخ والقاضي واهل البلدة والرعايا وهاجت الحروب بين الباشا واهل البلدة كما هو مذكور كانت الامراء

من الطريق فسار عميد الدولة حتى وصل الى الموصل فارسل الى اهلها يشير عليهم بطاعة السلطان وترك عصيانه ففتحوا له البلد وسلموه اليه وسار السلطان بنفسه وعساكره الى بلاد شرف الدولة ليملكها فاتاه الخبر بخروج أخيه تكش بخراسان على ما نذكره ورأى شرف الدولة قد خلص من الحصر فارسل مؤيد الملك بن نظام الملك الى شرف الدولة وهو مقابل الرحبة فاعطاه العهود والمواثيق واحضره عند السلطان وهو بالبوازيج فخلع عليه آخر رجب وكانت امواله قد ذهبت فاقترض ما خدم به وحمل للسلطان خيلا وائقة من جملتها فرسه بشار وهو فرسه المشهور والذى نجا عليه من المعركة ومن آمد ايضا وكان سابقا لا يجارى فامر السلطان بان يسابق به الخيل فجاء سابقا فقام السلطان قائما لما تداخله من العجب وارسل الخليفة النقيب طراد الزينبي فى لقى شرف الدولة فلقيه بالموصل فزاد أمر شرف الدولة قوة وصالحه السلطان وأقره على بلاده وعاد الى خراسان لحرب أخيه

(ذكر عصيان تكش على اخيه السلطان ملكشاه)

قد تقدم ذكره وذكر مصالحته للسلطان فلما كان الآن ورأى بعد السلطان عنه عاود العصيان وكان أصحابه يؤثرون الاختلاط فحسنوا له مفارقة طاعة أخيه فاجابهم وسار معهم فملك مرو الروذ وغيرها الى قلعة تقار بسرخس وهى لمسعود بن الامير ياخز وقد حصنها جهده فحصروه بها ولم يبق غير أخذها منه فاتفق أبو الفتوح الطوسى صاحب نظام الملك وهو بنيسابور وعميد خراسان وهو أبو على على أن يكتب أبو الفتوح ملطفا الى مسعود بن ياخز وكان خط ابى الفتوح اشبه شئ بخط نظام الملك يقول فيه كتبت هذه الرقعة من الرى يوم كذا ونحن سائرون من الغد نحوك فاحفظ القلعة ونحن نكبس العدو فى ليلة كذا واستدعيا فيجا يثقون به واعطياه دنانير صالحة وقالا سر نحو مسعود فاذا وصلت الى المكان الفلانى فاقم به ونم واخف هذا الملطف فى بعض حيطانه فستاخذك طلائع تكش فلا تعترف لهم حتى يضربوك فاذا فعلوا ذلك وبالغوا فاخرجه لهم وقل انك فارقت السلطان بالرى ولك منا الحباء والكرامة ففعل ذلك وجرى الامر على ما وصفا واحضر بين يدى تكش وضرب وعرض على القتل فاظهر الملطف وسلمه اليهم واخبرهم انه فارق السلطان ونظام الملك بالرى فى العساكر وهو سائر فلما وقفوا على الملطف وسمعوا كلام الرجل ساروا من وقتهم وتركوا خيامهم ودوابهم والقدور على النار فلم يصبروا على ما فيها وعادوا الى قلعة وبخ وكان هذا من الفرج العجيب فنزل مسعود واخذ ما فى المعسكر وورد السلطان الى خراسان بعد ثلاثة اشهر ولولا هذا الفعل لنهب تكش الى باب الرى ولما وصل السلطان قصد تكش واخذه وكان قد حلف له بالايمان انه لا يؤذيه ولا يناله منه مكروه فافتاه بعض من حضر بان يجعل الامر الى ولده احمد ففعل ذلك فامر احمد بكحله فكحل وسجن

(ذكر فتح سليمان بن قتلمش انطاكية)

المصريون بناحية التبين والمترجم منعزل عنهم بناحية الطرانة والسيد عمر يراسله ويعده ويذكر له بان هذا القيام من اجلك واخراج هذه الاوباش ويعود الامر اليكم كما كان وانت المعنى بذلك لظننا فيك الخير والصلاح والعدل فيصدق هذا القول ويساعده بارسال المال ليصرفه فى مصالح المقاتلين والمحاربين ومحمد على يداهن السيد عمر سرا ويتملق اليه ويأتيه ويراسله ويأتى اليه فى اواخر الليل وفى اوساطه مترددا عليه فى غالب اوقاته حتى تم له الامر بعد المعاهدة والمعاقدة والايمان الكاذبة على سيره بالعدل واقامة الاحكام والشرائع والاقلاع عن المظالم ولا يفعل امرا الا بمشورته ومشورة العلماء وانه متى خالف الشروط عزلوه واخرجوه وهم قادرون على ذلك كما يفعلون الآن فيتورط المخاطب بذلك القول ويظن صحته وان كل الوقائع زلابية وكل ذلك سر لم يشعر به خلافهم الى ان عقد السيد عمر مجلسا عند محمد على واحضر المشايخ والاعيان وذكر لهم ان هذا الامر وهذه الحروب ما دامت على هذه الحالة لا تزداد الا فشلا ولا بد من تعيين شخص من جنس القوم للولاية فانظروا من تجدونه وتختارونه لهذا الامر ليكون قائم مقام حتى يتعين من طرف الدولة من يتعين فقال الجميع الرأى ما تراه فاشار الى محمد على فاظهر التمنع وقال انا لا اصلح لذلك

فى هذه السنة سار سليمان بن قتلمش صاحب قونية واقصرا واعمالها من بلاد الروم الى الشام فملك مدينة انطاكية من ارض الشام وكانت بيد الروم من سنة ثمان وخمسين وثلثمائة وسبب ملك سليمان المدينة ان صاحبها الفردوس الرومى كان قد سار عنها الى بلاد الروم ورتب بها شحنة وكان الفردوس مسيئا الى اهلها والى جنده ايضا حتى انه حبس ابنه فاتفق ابنه والشحنة على تسليم البلد الى سليمان بن قتلمش وكاتبوه يستدعونه فركب البحر فى ثلثمائة فارس وكثير من الرجالة وخرج منه وسار فى جبال وعرة ومضايق شديدة حتى وصل اليها للوعد فنصب السلالم باتفاق من الشحنة ومن معه وصعد السور واجتمع بالشحنة واخذ البلد فى شعبان فقاتله اهل البلد فهزمهم مرة بعد اخرى وقتل كثيرا من اهلها ثم عفا عنهم وتسلم القلعة المعروفة بالقسيان واخذ من الاموال ما يجاوز الاحصاء واحسن الى الرعية وعدل فيهم وامرهم بعمارة ما خرب ومنع اصحابه من النزول فى دورهم ومخالطتهم ولما ملك سليمان انطاكية ارسل الى السلطان ملكشاه يبشره بذلك وينسب هذا الفتح اليه لانه من اهله وممن يتولى طاعته فاظهر ملكشاه البشارة به وهنأه الناس فممن قال فيه الابيوردى من قصيدة مطلعها

لمعت كناصية الحصان الاشقر * نار بمعتلج الكثيب الاعفر
وفتحت انطاكية الروم التى * نشرت معاقلها على الاسكندر
وطئت مناكبها جيادك فانثنت * تلقى اجنتها بنات الاصفر

وهى طويلة

(ذكر قتل شرف الدولة وملك اخيه ابراهيم)

قد تقدم ذكر ملك سليمان بن قتلمش مدينة انطاكية فلما ملكها ارسل اليه شرف الدولة مسلم بن قريش يطلب منه ما كان يحمله اليه الفردوس من المال ويخوفه معصية السلطان فاجابه اما طاعة السلطان فهى شعارى ودثارى والخطبة له والسكة فى بلادى وقد كاتبته بما فتح الله على يدى بسعادته من هذا البلد واعمال الكفار واما المال الذى كان يحمله صاحب انطاكية قبلى فهو كان كافرا وكان يحمل جزية رأسه واصحابه وانا بحمد الله مؤمن ولا احمل شيئا فنهب شرف الدولة بلد انطاكية فنهب سليمان ايضا بلد حلب فلقيه اهل السواد يشكون اليه نهب عسكره فقال انا كنت اشد كراهية لما يجرى ولكن صاحبكم احوجنى الى ما فعلت ولم تجر عادتى بنهب مال مسلم ولا اخذ ما حرمته الشريعة وامر اصحابه باعادة ما اخذوه منهم فاعاده ثم ان شرف الدولة جمع الجموع من العرب والتركمان وكان ممن معه جبق امير التركمان فى اصحابه وسار الى انطاكية ليحصرها فلما سمع سليمان الخبر جمع عساكره وسار اليه فالتقيا فى الرابع والعشرين من صفر سنة ثمان وسبعين واربعمائة فى طرف من اعمال انطاكية واقتتلوا فمال تركمان جبق الى سليمان فانهزمت العرب وتبعهم شرف الدولة منهزما

ولست من الوزراء ولا من الامراء ولا من أكابر الدولة فقالوا جميعا قد اخترناك لذلك برأى الجميع والكافة والعبرة رضا اهل البلاد وفى الحال احضروا فروة والبسوها له وباركوا له وهنؤه وجهروا بخلع خورشيد أحمد باشا من الولاية واقامة المذكور فى النيابة حتى يأتى المتولى او يأتى له تقرير بالولاية ونودى فى المدينة بعزل الباشا واقامة محمد على فى النيابة الى ان كان ما هو مسطور قبل ذلك فى محله فلما بلغ المترجم ذلك وكان ببر الجيزة وبراسل السيد عمر مكرم والمشايخ فانقبض خاطره ورجع الى البحيرة واراد منوف فامتنع عليه اهلها وحاربوه وحاربهم ولم ينل منهم غرضا والسيد عمر يقويهم ويمدهم ويرسل اليهم البارود وغيره من الاحتياجات وظهر للمترجم تلاعب السيد عمر مكرم معه وكأنه كان يقويه على نفسه فقبض على السفير الذى كان بينهما وحبسه وضربه واراد قتله ثم اطلقه ثم عاد الى بر الجيزة وسكنت الفتنة واستقر الامر لمحمد على باشا وحضر قبطان باشا الى ساحل أبى قير ووصل سلحداره الى مصر وانزل احمد باشا المخلوع عن الولاية من القلعة الى بولاق ليسافر ومنع محمد على من الذهاب والمجىء الى المصريين واوقف اشخاصا براو بحرا يرصدون من يأتى من قبلهم او يذهب اليهم بشيء من متاع وملبوس وسلاح وغير ذلك ومن عثروا

فقتل

فقتل بعد ان صبر وقتل بين يديه اربعمائة غلام من أحداث حلب وكان قتله يوم الجمعة
الرابع والعشرين من صفر سنة ثمان وسبعين وذكرته ههنا لتتبع الحادثة بعضها بعضا
وكان احول وكان قد ملك من السندية التي على نهر عيسى الى منبج من الشام وما والاها
من البلاد وكان في يده ديار ربيعة ومضر من أرض الجزيرة والموصل وحلب وما كان
لابيه وعمه قرواش وكان عادلا حسن السيرة والامن في بلاده عام والرخص شامل
وكان يسوس بلاده سياسة عظيمة بحيث يسير الراكب والراكبان فلا يخافان شيئا
وكان له في كل بلد وقرية عامل وقاض وصاحب خبر بحيث لا يتعدى احد على احد
ولما قتل قصد بنو عقيل اخاه ابراهيم بن قريش وهو محبوس فاخرجوه وملكوه امرهم
وكان قد مكث في الحبس سنين كثيرة بحيث انه لم يمكنه المشي والحركة لما اخرج ولما
قتل شرف الدولة سار سليمان بن قتلمش الى حلب فحصرها مستهل ربيع الاول سنة
ثمان وسبعين فاقام عليها الى خامس ربيع الآخر من السنة فلم يبلغ منها غرضا
فرحل عنها

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في صفر انقض كوكب من المشرق الى المغرب كان حجمه كالقمر وضوءه
كضوئه وسار مدى بعيدا على مهل وتؤدة في نحو ساعة ولم يكن له شبيه من الكواكب
وفيها ولد السلطان سنجر بن ملكشاه في الخامس والعشرين من رجب بمدينة سنجار من
ارض الجزيرة مقارب الموصل بينهما يومان عند نزول السلطان بها وسماه احمد وانما
قيل له سنجر باسم المدينة التي ولد فيها وامه ام ولد وفي هذه السنة في جمادى الاولى
توفي الشيخ ابو نصر عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد بن الصباغ الفقيه الشافعي صاحب
الشامل والكامل وكفاية المسائل وغيرها من التصانيف بعد ان اضر عدة سنين وكان
مولده سنة اربعمائة والقاضي ابو عبد الله الحسين بن علي البغدادي المعروف بابن
البقال وهو من شيوخ أصحاب الشافعي وكان اليه القضاء بباب الازج ولما انقطع
الحج على سبيل التجريد واسمعيل بن مسعدة بن اسمعيل بن احمد بن ابراهيم ابو القاسم
الاسمعيلي الجرجاني ومولده سنة اربع واربعمائة وكان اماما فقيها شافعيا محدثا
اديبا وداره مجمع العلماء

(ثم دخلت سنة ثمان وسبعين واربعمائة)

(ذكر استيلاء الفرنج على مدينة طليطلة)

في هذه السنة استولى الفرنج لعنهم الله على مدينة طليطلة من بلاد الاندلس واخذوها
من المسلمين وهي من أكبر البلاد واحصنها وسبب ذلك ان الاذفونش ملك الفرنج
بالاندلس كان قد قوي شانه وعظم ملكه وكثرت عساكره مذ تفرقت بلاد الاندلس
وصار كل بلد بيد ملك فصاروا مثل ملوك الطوائف فحينئذ طمع الفرنج فيهم واخذوا
كثيرا من ثغورهم وكان قد خدم قبل ذلك صاحبها القادر بالله بن المأمون بن يحيى

عليه بشيء قبضوا عليه وأخذوا ما معه وعاقبوه فامتنع الباعة والمتسببون وغيرهم من الذهاب اليهم بشيء مطلقا
فضاق خناق المترجم فاحتال
بان ارسل محمد كتخداه يطلب
الصلح مع الباشا فانسر لذلك
وفرح واعتقد صحة ذلك
وانعم على الكتخدا وعين هدية
جليلة لمخدومه من ملابس
وفراوي واسلحة وخيام ونقود
وغير ذلك وعندما قضى
الكتخدا اشغاله من مطلوبات
مخدومه واحتياجاته له ولاتباعه
وامرائه ووسق مراكب وذهب
بها جهارا من غير ان يتعرض
له احد وذهب صحبته
السلحدار وموسى البارودي
ثم عاد الكتخدا ثانيا وصحبته
السلحدار وموسى البارودي
وذكروا انه يطلب كشوفية
الفيوم وبني سويف والجيزة
والبحيرة ومائتي بلد من
الغربية والمنوفية والدقهلية
يستغل فائظها ويجعل
اقامته بالجيزة ويكون تحت
الطاعة فلم يرض الباشا بذلك
وقال انما صالحنا باقي الامراء
واعطيناهم من حدود جرجا
بالشروط التي شرطناها عليهم
وهو داخل في ضمنهم فرجع
محمد كتخداه بالجواب بعد ان
قضى اشغاله واحتياجاته
ولوازمه من امتعة وخيام
وسروج وغير ذلك وتمت
حيلته وقضى اغراضه وذهب
الى الفيوم وحارب جنده مع
جند ياسين بك وانخذل فيها
ياسين بك ثم عاد شاهين بك الالفي بجند كثير بعد شهور الى بر الجيزة وخرج محمد علي باشا

وهي بنت حسن بك شنن رآه
الاخصام متجملا فظنوه الباشا
فاحاطوا به واخذوه اسيرا ثم
قتلوه ورجع الباشا الى برمصر
واجتهد في تشهيل تجريدة
أخرى وكل ذلك مع طول
المدى (وفي اثناء ذلك)
مات بشتك بك المعروف
بالالفي الصغير مبطونا بناحية
قبلي ثم ان المترجم خرج من
الفيوم في اوائل المحرم من
السنة المذكورة وكان حسن
باشا طاهر بناحية جزيرة الهواء
بمن معه من العساكر فكانت
بينهما واقعة عظيمة انهزم فيها
حسن باشا الى الرقق وادركه
أخوه عابدين بك فاقام معه
بالرقق كما تقدم وحضر الالفي
الى براجيزة وانبابة وخرجت
اليهم العساكر فكانت بينهم
واقعة بسوق الغنم ظهر عليهم
فيها ايضا ثم سار بحرا وعدى
من عسكره وجنده جملة الى
السبكية فاخذوا منها ما اخذوه
وعادوا الى أستاذهم بالطرانة
ثم انه انتقل راحلا الى البحيرة
وحرب دمنهور ومحاصرتها
وكانوا قد حصنوها غاية
التحصين فلم يقدر عليها فعاد
الى ناحية وردان ثم رجع الى
حوش ابن عيسى لانه بلغه
وصول حراكب وبها امين
بك تابعه وعدة عساكر من
النظام الجديد واشخاص من
الانكليز لانه كان مع ماهو فيه من التنقلات والحروب يراسل الدولة والانكليز وارسل بالخصوص امين بك الى صغيرا

ابن ذي النون وعرف من اين يؤتى البلد وكيف الطريق الى ملكه فلما كان الآن جمع الاذفونش عساكره وسار الى مدينة طليطلة فحصرها سبع سنين واخذها من القادر فازداد قوة الى قوته وكان المعتمد على الله ابو عبد الله محمد بن عباد اعظم ملوك الاندلس من المسلمين وكان يملك اكثر البلاد مثل قرطبة واشبيلية وكان يؤدي الى الاذفونش ضريبة كل سنة فلما ملك الاذفونش طليطلة ارسل اليه المعتمد الضريبة على عادته فردها عليه ولم يقبلها منه فارسل اليه يتهدده ويتوعده انه يسير الى مدينة قرطبة ويتملكها الا ان يسلم اليه جميع الحصون التي في الجبل ويبقى السهل للمسلمين وكان الرسول في جمع كثير كانوا نحو خمسمائة فارس فانزله محمد بن عباد وفرق اصحابه على قواد عسكره ثم امر كل من عنده منهم رجل ان يقتله واحضر الرسول وصفعه حتى خرجت عيناه وسلم من الجماعة ثلاثة نفر فعادوا الى الاذفونش فاخبروه الخبر وكان متوجها الى قرطبة ليحاصرها فلما بلغه الخبر عاد الى طليطلة ليجمع آلات الحصار ورحل المعتمد الى اشبيلية

(ذكر استيلاء ابن جهير على آمد)

في المحرم من هذه السنة ملك ابن جهير مدينة آمد وسبب ذلك ان فخر الدولة بن جهير كان قد انفذ اليها ولده زعيم الرؤساء ابا القاسم ومعه جناح الدولة المعروف بالمقدم السالار وارادوا قلع كرومها وبساتينها ولم يطمع مع ذلك في فتحها لحصانتها فاهلها الجوع وتعذرت الاقوات وكادوا يهلكون وهم صابرون على الحصار غير مكترثين به فاتفق ان بعض الجند نزل من السور لحاجة لهم وتركوا اسلحتهم مكانها فصعد الى ذلك المكان عدد من العامة تقدمهم رجل من السواد يعرف بابي الحسن فلبس السلاح ووقف على ذلك المكان ونادى بشعار السلطان وفعل من معه كفعله وطلبوا زعيم الرؤساء فاتاهم وملك البلد واتفق اهل المدينة على نهب بيوت النصارى لما كانوا يلقون من نواب بني مروان من الجور والحكم وكان اكثرهم نصارى فانتقموا منهم

(ذكر ملكه ايضا ميافارقين)

وفي هذه السنة ايضا في سادس جمادى الآخرة ملك فخر الدولة ميافارقين وكان مقيما على حصارها فوصل اليه سعد الدولة كوهرائين في عسكره نجدة له فجد في القتال فسقط من سورها قطعة فلما رأى اهلها ذلك نادوا بشعار ملكشاه وسلموا البلد الى فخر الدولة واخذ جميع ما استولى عليه من اموال بني مروان وانفذه الى السلطان مع ابنه زعيم الرؤساء فانحدر هو وكوهرائين الى بغداد وسار زعيم الرؤساء منها الى اصبهان فوصلها في شوال واوصل ما معه الى السلطان

(ذكر ملك جزيرة ابن عمر)

في هذه السنة ارسل فخر الدولة جيشا الى جزيرة ابن عمر وهي لبني مروان ايضا فحصروها فثار اهل بيت من اهلها يقال لهم بنو وهبان وهم من اعيان اهلها وقصدوا بابا للبلد

صغيرا يقال له باب البوبية لا يسلكه الا الرجالة لانه يصعد اليه من ظاهر البلد بدرج فكسروه وادخلوا العسكر فملكه وانقرضت دولة بني مروان فسبحان من لا يزول ملكه وهؤلاء بنو وهبان الى يومنا هذا كلما جاء الى الجزيرة من يحصرها يخرجون من البلد ولم يبق منهم من له شوكة ولا منزلة يفعل بها شيئا واعابت تلك الحركة يؤخذون الى الآن

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في ربيع الاول وصل أمير الجيوش في عساكر مصر الى الشام فحصر دمشق وبها صاحبها تاج الدولة تتش فضيق عليه وقاتله فلم يظفر منها بشئ فرحل عنها عائدا الى مصر وفيها كانت الفتنة بين اهل الكرخ وسائر المحال من بغداد واحرقوا من نهر الدجاج درب الآجر وما قاربه وارسل الوزير أبو شجاع جماعة من الجند ونهاهم عن سفك الدماء تحرجا من الاثم فلم يمكنهم تلافي الخطب فعظم وفيها كانت زلزلة شديدة بخوزستان وفارس وكان أشدها بارجان فسقطت الدور وهلك تحتها خلق كثير وفيها في ربيع الاول هاجت ريح عظيمة سوداء بعد العشاء وكثر الرعد والبرق وسقط على الارض رمل احمر وتراب كثير وكانت النيران تضطرم في اطراف السماء وكان اكثرها بالعراق وبلاد الموصل فالقت النخيل والاشجار وسقط معها صواعق في كثير من البلاد حتى ظن الناس ان القيامة قد قامت ثم انجلى ذلك نصف الليل وفيها في ربيع الآخر توفي امام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني ومولده سنة سبع عشرة واربعمائة وهو الامام المشهور في الفقه والاصولين وغيرهما من العلوم وسمع الحديث من أبي محمد الجوهري وغيره وفيها في ذي الحجة توفي محمد بن احمد بن عبد الله بن احمد بن الوليد أبو علي المتكلم كان احد رؤساء المعتزلة وائمتهم ولزم بيته خمسين سنة لم يقدر على ان يخرج منه من عامة بغداد واخذ الكلام عن أبي الحسين البصري وعبد الجبار الهمذاني القاضي ومن جملة تلاميذه ابن برهان وهو أكبر منه وفي هذه السنة توفي القاضي أبو الحسن هبة الله بن محمد بن السيبي قاضي الحريم بنهر معلى ومولده سنة أربع وتسعين وثلثمائة وكان يذاكر الامام المقتدي بامر الله وولي ابنه أبو الفرج عبد الوهاب بين يدي قاضي القضاة بن الدامغاني وفيها في جمادي الاولى توفي أبو العز بن صدقة وزير شرف الدولة ببغداد وكان قد قبض عليه شرف الدولة وسجنه بالرحبة فهرب منها الى بغداد فمات بعد وصوله الى مامنه باربعة أشهر وكان كريما متواضعا عالما تغيره الولاية عن اخوانه وفيها في رجب توفي قاضي القضاة أبو عبد الله بن الدامغاني ومولده سنة ثمان وتسعين وثلثمائة ودخل بغداد سنة تسع عشرة واربعمائة وكان قد صحب القاضي أبا العلاء بن صاعد وحضر ببغداد مجلس أبي الحسين القدوري وولي قضاء القضاة بعده القاضي أبو بكر بن المظفر بن بكران الشامي وهو من اكبر اصحاب القاضي أبي الطيب الطبري وفيها توفي عبد الرحمن بن مامون بن علي

الانكليز فسعوا مع الدولة بمساعدته وحضروا اليه بطلوبه فعمل لهم بجوش ابن عيسى شنكا وارسلهم مع امين بك الى الامراء القبليين فلما بلغ محمد علي باشا ذلك راسل الامراء القبليين وداهنهم وارسل لهم الهدايا فراجت أموره عليهم مع ما في صدورهم من الغل للترجم (وفي) اثر ذلك حضر قبطان باشا الى الاسكندرية وورد السعاة بخبر وروده وان بعده واصل موسى باشا والياعلى مصر وبالعفو عن المصريين وكان من خبر هذه القضية والسبب في حركة القبطان ارساليات الالفي للانكليز ومخاطبة الانكليز الدولة ووزيرها المسمى محمد باشا السلحدار واصله مملوك السلطان مصطفى ولا يخفى الميل الى الجنسية فاتفق انه اختلى بسليمان اغا تابع صالح بك الوكيل الذي كان يوسف باشا الوزير قلده سلحدارا وارسله الى اسلامبول وساله عن المصريين هل بقي منهم غير الالفي فقال له جميع الرؤساء موجودون وعددهم له وهم ومماليكهم يبلغون الفين وزيادة فقال اني ارى ابقاءهم ورجوعهم على شروط نشترطها عليهم أولى من تمادي العداوة بينهم وبين هذا الذي ظهر من العسكر وهو رجل جاهل متحيل وهم لا يسهل بهم اجلاؤهم عن أوطانهم وأولادهم وسيادتهم التي ورثوها عن اسلافهم وتمادى الحال والحروب بينهم وبينه واحتياج الفريقين الى جمع العساكر وكثرة

ابو سعد المتولى مدرس النظامية وهو من اصحاب القاضى حسين المروزى وتمم كتاب الابانة

(ثم دخلت سنة تسع وسبعين واربعمائة)

(ذكر قتل سليمان بن قتلمش)

لما قتل سليمان بن قتلمش شرف الدولة مسلم بن قريش على ما ذكرناه ارسل الى ابن الحتيتى العباسى مقدم اهل حلب يطلب منه تسليمها اليه فانفذ اليه واستمهله الى ان يكاتب السلطان ملكشاه وأرسل ابن الحتيتى الى تتش صاحب دمشق يعده ان يسلم اليه حلب فسار تتش طالبا لحلب فعلم سليمان بذلك فسار نحوه مجدا فوصل الى تتش وقت السحر على غير تعبية فلم يعلم به حتى قرب منه فعبى اصحابه وكان الامير ارتق ابن أكسب مع تتش وكان منصور الميشهد حربا الا وكان الظفر له وقد ذكرنا فيما تقدم حضوره مع ابن جهير على آمد واطلاقه شرف الدولة من آمد فلما فعل ذلك خاف ان ينهى ابن جهير ذلك الى السلطان ففارق خدمته ولحق بتاج الدولة تتش فاقطعه البيت المقدس وحضر معه هذه الحرب فابلى فيها بلاء حسنا وحرض العرب على القتال فانهزم اصحاب سليمان وثبت هو فى القلب فلما رأى انهزام عسكره اخرج سكينا معه فقتل نفسه وقيل بل قتل فى المعركة واستولى تتش على عسكره وكان سليمان بن قتلمش فى السنة الماضية فى صفر قد انفذ جثة شرف الدولة الى حلب على بغل ملفوفة فى ازار وطلب من اهلها ان يسلموها اليه وفى هذه السنة فى صفر ارسل تتش جثة سليمان فى ازار ليسلموها اليه فاجابه ابن الحتيتى انه يكاتب السلطان ومهما امره فعل فحصر تتش البلد واقام عليه وضيق على اهله وكان ابن الحتيتى قد سلم كل برج من ابراجها الى رجل من اعيان البلد ليحفظه وسلم برجا فيها الى انسان يعرف بابن الرعوى ثم ان ابن الحتيتى اوحشه بكلام اغلظ له فيه وكان هذا الرجل شديدا لقوة وراى ما الناس فيه من الشدة فدعاه ذلك الى ان ارسل الى تتش يستدعيه وواعده ليلة يرفع الرجال الى السور فى الحبال فاتى تتش للميعاد الذى ذكره فاصعد الرجال فى الحبال والسلاليم وملك تتش المدينة واستجار ابن الحتيتى بالامير ارتق فشفع فيه واما القلعة فكان بها سالم بن مالك بن بدران وهو ابن عم شرف الدولة مسلم بن قريش فاقام تتش يحصر القلعة سبعة عشر يوما فبلغه الخبر بوصول مقدمة اخيه السلطان ملكشاه فرحل عنها

(ذكر ملك السلطان حلب وغيرها)

كان ابن الحتيتى قد كاتب السلطان ملكشاه يستدعيه ليسلم اليه حلب لما خاف تاج الدولة تتش فسار اليه من اصبهان فى جمادى الآخرة وجعل على مقدمته الامير برسق و بوزان وغيرهما من الامراء وجعل طريقه على الموصل فوصلها فى رجب وسار منها فلما وصل الى حران سلمها اليه ابن الشاطر فاقطعها السلطان محمد بن شرف الدولة

النفقات والعلائف والمصاريف فيجمعونها ٥٦ من أى وجه كان ويؤدى ذلك الى خراب الاقليم فالاولى والمناسب صرف هذا المتغلب واخراجه وتولية خلافه فما رأيك فى ذلك فقال له سليمان لا رأى عندى فى ذلك وخاف ان يكون كلامه له باطنا خلاف الظاهر وادرك منه ذلك فحلف له عند ذلك الوزير ان كلامه وخطابه له على ظاهره وحقيقته لكن لابد من مصلحة للخزينة العامرة فقال له سليمان اغا اذا كان كذلك ابعثوا الى الالفى باحضار كتخداه محمد اغا لانه رجل يصلح للمخاطبة لمثل ذلك ففعل وحضر المذكور فى اقرب وقت وتمموا الامر على مصلحة ألف وخمسمائة كيس كفلها محمد كتخدا المذكور يدفعها القبطان باشا عند وصوله بيد سليمان أغا المذكور وكفالته أيضا محمد كتخدا بعد اتمام الشروط التى قررها لمخدومه ومن جملتها اطلاق بيع المماليك وشرائهم وجلب الجلابين لهم الى مصر كعادتهم فانهم كانوا منعوا ذلك من نحو ثلاث سنوات وغير ذلك وسافر كل من سليمان اغا ووكيل ومحمد كتخدا بصحبة قبودان باشا حتى طلعوا على ثغر سكندرية فركب صحبة سلحدار القبودان قتلاقوا مع المترجم بالبحيرة وأعلموه بما حصل فامتلأ فرحا وسرورا وقال لسليمان أغا اذهب الى اخواننا بقبلى واعرض عليهم الامر ولا يخفى اننا الآن ثلاثة وسار

وسار الى الرها وهى بيد الروم فحصرها وملكها وكانوا قد اشتروها من ابن عطير وتقدم ذكر ذلك وسار الى قلعة جعبر فحصرها يوما وليلة وملكها وقتل من بها من بني قشير وأخذ جعبر من صاحبها وهو شيخ أعمى وولدين له وكانت الاذية بهم عظيمة يقطعون الطرق ويلجؤن اليها ثم عبر الفرات الى مدينة حلب فملك فى طريقه مدينة منبج فلما قارب حلب رحل عنها أخوه تتش وكان قد ملك المدينة كما ذكرناه وسار عنها يسلك البرية ومعه الامير أرتق فاشار بكبس عسكر السلطان وقال انهم قد وصلوا وبهم وبدوابهم من التعب ماليس عندهم معه امتناع ولو فعل لظفر بهم فقال تتش لا أكسر جاه أخى الذى أنا مستظل بظله فانه يعود بالوهن على أولا وسار الى دمشق ولما وصل السلطان الى حلب تسلم المدينة وسلم اليه سالم بن مالك القلعة على ان يعوضه عنها قلعة جعبر وكان سالم قد امتنع بها أولا فامر السلطان ان يرمى اليه رشقا واحدا بالسهام فرمى الجيش فكادت الشمس تحتجب لكثرة السهام فصانع عنها بقلعة جعبر وسلمها وسلم السلطان اليه قلعة جعبر فبقيت بيده وبيد أولاده الى ان أخذها منهم نور الدين محمود بن زنكي على ما نذكره ان شاء الله تعالى وأرسل اليه الامير نصر بن على ابن منقذ الكنانى صاحب شيزر فدخل فى طاعته وسلم اليه لاذقية وكفرطاب وفامية فاجابه الى المسالمة وترك قصده وأقر عليه شيزر ولما ملك السلطان حلب سلمها الى قسيم الدولة آقسنقر فعمرها وأحسن السيرة فيها وأما ابن الحتيتى فانه كان واثقا باحسان السلطان ونظام الملك اليه فانه استدعاهما فلما ملك السلطان البلد طلب أهله ان يعفيهم من ابن الحتيتى فاجابهم الى ذلك واستصحبه معه وأرسله الى ديار بكر فافتقر وتوفى بها على حال شديدة من الفقر وقتل ولده بانطاكية قتله الفرنج لما ملكوها

(ذكر وفاة بهاء الدولة منصور بن مزيد وولاية ابنه صدقة)

فى هذه السنة فى ربيع الاول توفى بهاء الدولة أبو كامل منصور بن دبيس بن على بن مزيد الاسدى صاحب الحلة والنيل وغيرهما مما يجاورهما ولما سمع نظام الملك خبر وفاته قال مات أجل صاحب عمامة وكان فاضلا قرأ على على بن برهان فبرع بذكائه فى الذى استفاده منه وله شعر حسن فمنه

فان أنا لم أحمل عظيما ولم أقد * لهاما ولم أصبر على فعل معظم
ولم أجر الجانى وأمنع حوزه * علام أنادى للفخار وأنتمى

وله فى صاحب له يكنى أبا مالك يرثيه

فان كان اودى خدنة ونديمنا * ابو مالك فالنائبات تنوب
فكل ابن انثى لا محالة ميت * وفى كل حى للمنون نصيب
ولو رد حزن او بكاء لهالك * بكيناه ماهبت صبا وجنوب

ولما توفى ارسل الخليفة الى ولده سيف الدولة صدقة نقيب العلويين أبا الغنائم يعزيه وسار سيف الدولة الى السلطان ملكشاه فخلع عليه وولاه ما كان لابيه وا كثر الشعراء

فرق كبيرنا ابراهيم بك وجماعته والمرادية وكبيرهم هناك عثمان بك البرديسى وانا واتباعى فيكون مايخص كل طائفة خمسمائة كيس فاذا استلمت منهم الالف كيس ورجعت الى سلطنتك الخمسمائة كيس فركب المذكور وذهب اليهم واجتمع بهم واخبرهم بصورة الواقع وطلب منهم ذلك القدر فقال البرديسى حيث ان الالفى بلغ من قدره انه يخاطب الدول والقرانات ويراسلهم ويتمم أغراضه منهم ويولى الوزراء ويعزلهم بمراده ويتعين قبودان باشا فى حاجته فهو يقوم بدفع المبلغ بتمامه لانه صار الآن هو الكبير ونحن الجميع اتباع له وطوائف خلفه بما فيه والدنا وكبيرنا ابراهيم بك وعثمان بك حسن وخلافه فقال سليمان اغا هو على كل حال واحد منكم واخوكم ثم انه اختلى مع ابراهيم بك الكبير وتكلم معه فقال ابراهيم بك انا ارضى بدخولى اى بيت كان واعيش مابقى من عمرى مع عيالى واولادى تحت امارة اى من كان من عشيرتنا اولى من هذا الشتات الذى نحن فيه ولكن كيف افعل فى الرفيق المخالف وهذا الذى حصل لنا كله بسوء تدبيره ونحسه وعشت انا ومراد بك المدة الطويلة بعد موت استاذنا وانا اتغاضى عن افعاله وافعال اتباعه واساءتهم فى زلاتهم كل ذلك حذرا وخوفا من وقوع الشر والقتل والعداوة الى ان مات

مراعي بهاء الدولة

(ذكر وقعة الزلاقة بالاندلس وهزيمة الفرنج)

قد تقدم ذكر ملك الفرنج طليطلة وما فعله المعتمد بن عباد برسول الاذفونش ملك الفرنج وعود المعتمد الى اشبيلية فلما عاد اليها وسمع مشايخ قرطبة بما جرى ورأوا قوة الفرنج وضعف المسلمين واستعانة بعض ملوكهم بالفرنج على بعض اجتمعوا وقالوا هذه بلاد الاندلس قد غلب عليها الفرنج ولم يبق منها الا القليل وان استمرت الاحوال على ماترى عادت نصرانية كما كانت وساروا الى القاضي عبد الله بن محمد بن ادهم فقالوا له الا تنظر الى مافيه المسلمون من الصغار والذلة واعطائهم الجزية بعد أن كانوا ياخذونها وقد رأينا رأيا نعرضه عليك قال ماهو قالوا نكتب الى عرب افريقية ونبذل لهم اذا وصلوا الينا قاسمناهم اموالنا وخرجنا معهم مجاهدين في سبيل الله قال نخاف اذا وصلوا الينا يخربون بلادنا كما فعلوا بافريقية ويتركون الفرنج ويبدؤن بكم والمرابطون اصلح منهم واقرب الينا قالوا له فكاتب امير المسلمين وارغب اليه ليعبر الينا ويرسل بعض قواده وقدم عليهم المعتمد بن عباد وهم في ذلك فعرض عليه القاضي ابن ادهم ما كانوا فيه فقال له ابن عباد انت رسولي اليه في ذلك فامتنع وانما اراد ان يبرئ نفسه من تهمة فالح عليه المعتمد فسار الى امير المسلمين يوسف بن تاشفين فابلغه الرسالة واعلمه مافيه المسلمون من الخوف من الاذفونش وكان امير المسلمين بمدينة سبتة ففي الحال امر بعبور العساكر الى الاندلس وارسل الى مراكش في طلب من بقي من عساكره فاقبلت اليه تتلو بعضها بعضا فلما تكاملت عنده عبر البحر وسار فاجتمع بالمعتمد بن عباد باشبيلية وكان قد جمع عساكره ايضا وخرج من اهل قرطبة عسكر كثير وقصده المطوعة من سائر بلاد الاندلس ووصلت الاخبار الى الاذفونش فجمع فرسانه وسار من طليطلة وكتب الى امير المسلمين كتابا كتبه له بعض ادباء المسلمين يغلظ له القول ويصف ماعنده من القوة والعدد والعدد وبالغ الكاتب في الكتاب فامر امير المسلمين ابا بكر بن القصيرة ان يجيبه وكان كاتبا مفلقا فكتب فاجاد فلما قراه على امير المسلمين قال هذا كتاب طويل احضر كتاب الاذفونش واكتب في ظهره الذي يكون ستراه فلما عاد الكتاب الى الاذفونش ارتاع لذلك وعلم انه بلي برجل له عزم وحزم فازداد استعدادا فرأى في منامه كانه راكب فيلا وبين يديه طبل صغير وهو ينقر فيه فقص رؤياه على القسيسين فلم يعرفوا تاويلها فاحضر رجلا مسلما عالما بتعبير الرؤيا فقصها عليه فاستعفاه من تعبيرها فلم يعفه فقال تاويل هذه الرؤيا من كتاب الله العزيز وهو قوله تعالى ألم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل السورة وقوله تعالى فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير ويقتضي هلاك هذا الجيش الذي تجمعه فلما اجتمع جيشه رأى كثرته فاعجبته فاحضر ذلك المعبر وقال له بهذا الجيش ألقى اله محمد صاحب كتابكم فانصرف المعبر وقال لبعض المسلمين هذا الملك هالك وكل من معه

وخاف هؤلاء الجماعة الحسانين وترأس البرديسي عليهم مع غياب اخيه الالفي وداخله الغرور وركن الى ابناء جنسه وصادقهم واغتر بهم وقطع رحمه وفعل بالالفي الذي هو خشداشه واخوه مافعل ولا يستمع لنصح ناصح اولا وآخرا ومازال سليمان اغا يتفاوض معهم في ذلك اياما الى ان اتفق مع ابراهيم بك على دفع نصف المصلحة ويقوم المترجم بالنصف الثاني فقال سلموني القدر اذهب به واخبره بما حصل فقالوا حتى ترجع اليه وتعلمه وتطيب خاطره على ذلك لئلا يقبضه ثم يطالبنا بغيره فلما رجع اليه واخبره بما دار بينهم قال أما قولهم اني اكون اميرا عليهم فهذا لا يتصور ولا يصح اني اتعاظم على مثل والدي ابراهيم بك وعثمان بك حسن ولا على من هو في طبقتي من خشداشيني على ان هذا لا يعيبهم ولا ينقص مقدارهم بان يكون المتامر عليهم واحدا منهم ومن جنسهم وذلك امر لم يخطر لي ببال أو ارضى بادنى من ذلك ويأخذوا على عهدا بما اشترطه على نفسي انا اذا عدنا الى اوطاننا ان لا اداخلهم في شيء ولا اقارشهم في امر وان يكون كبيرنا والدنا ابراهيم بك على عادته ويسمحوا لي باقامتي بالجيزة ولا اعارضهم في شيء واقنع بايرادي الذي كان بيدي سابقا فانه يكفيني وان اعتقدوا غدري لهم في المستقبل بسبب مافعلوه معي

وذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات الحديث وفيه واعجاب المرء بنفسه وسار امير المسلمين والمعتمد بن عباد حتى أتوا ارضا يقال لها الزلاقة من بلد بطليوس وأتى الاذفونش فنزل موضعا بينه وبينهم ثمانية عشر ميلا فقيل لامير المسلمين ان ابن عباد ربما لم ينصح ولا يبذل نفسه دونك فارسل اليه امير المسلمين يامره ان يكون في المقدمة ففعل ذلك وسار وقد ضرب الاذفونش خيامه في لحف جبل والمعتمد في سفح جبل يتراءون وينزل أمير المسلمين وراء الجبل الذى عنده المعتمد وظن الاذفونش ان عساكر المسلمين ليس الا الذى يراه وكان الفرنج في خمسين الفا فتيقنوا الغلب وارسل الاذفونش الى المعتمد في ميقات القتال وقصده الملك فقال غدا الجمعة وبعده الاحد فيكون اللقاء يوم الاثنين فقد وصلنا على حال تعب واستقر الامر على هذا وركب ليلة الجمعة سحرا وصبح بجيشه جيش المعتمد بكرة الجمعة غدرا وظنا منه ان ذلك المخيم هو جميع عسكر المسلمين فوقع القتال بينهم فصبر المسلمون فاشرفوا على الهزيمة وكان المعتمد قد ارسل الى امير المسلمين يعلمه بمجىء الفرنج للحرب فقال احملوني الى خيام الفرنج فسار اليها فبينما هم في القتال وصل امير المسلمين الى خيام الفرنج فنهبها وقتل من فيها فلما رأى الفرنج ذلك لم يتمالكوا أن انهزموا واخذهم السيف وتبعهم المعتمد من خلفهم ولقيهم امير المسلمين من بين يديهم ووضع فيهم السيف فلم يفلت منهم احد ونجا الاذفونش في نفر يسير وجعل المسلمون من رؤس القتلى أكواما كثيرة فكانوا يؤذنون عليها الى ان جيفت فاحرقوها وكانت الوقعة يوم الجمعة في العشر الاول من شهر رمضان سنة تسع وسبعين واصاب المعتمد جراحات في وجهه وظهرت ذلك اليوم شجاعته ولم يرجع من الفرنج الى بلادهم غير ثلثمائة فارس وغنم المسلمون كل مالهم من مال وسلاح ودواب وغير ذلك وعاد ابن عباد الى اشبيلية ورجع امير المسلمين الى الجزيرة الخضراء وعبر الى سبتة وسار الى مراكش فاقام بها الى العام المقبل وعاد الى الاندلس وحضر معه المعتمد بن عباد في عسكره وعبد الله ابن بلكين الصنهاجي صاحب غرناطة في عسكره وساروا حتى نزلوا على ليط وهو حصن منيع بيد الفرنج فحصروه حصرا شديدا فلم يقدروا على فتحه فرحلوا عنه بعد مدة ولم يخرج اليهم احد من الفرنج لما اصابهم في العام الماضي فعاد ابن عباد الى اشبيلية وعاد امير المسلمين على غرناطة وهي طريقه ومعه عبد الله بن بلكين فغدر به امير المسلمين واخذ غرناطة منه واخرجه منها فرأى في قصوره من الاموال والذخائر ما لم يحوه ملك قبله بالاندلس ومن جملة ما وجد سبحة فيها اربعمائة جوهرة قومت كل جوهرة بمائة دينار ومن الجواهر ماله قيمة جليلة الى غير ذلك من الثياب والعدد وغيرها واخذ معه عبد الله واخاه تميما ابني بلكين الى مراكش فكانت غرناطة اول ما ملكه من بلاد الاندلس وقد ذكرنا فيما تقدم سبب دخول صنهاجة الى الاندلس وعود من عاد منهم الى المعز بافريقية وكان آخر من بقي منهم بالاندلس هذا عبد الله واخذت مدينته ورحل الى العدوة ولما رجع امير المسلمين الى مراكش اطاعه من

من قتلهم حسين بك تابعي وتعصبهم وحرصهم على قتلي واهذا امي انا واتباعي فبعض مانحن فيه الآن أنساني ذلك كله فان حسين بك المذكور مملوكي وليس هو ابي ولا ابني من صلبي وانما هو مملوكي اشتريته بالدراهم واشترى غيره ومملوكي مملوكهم وقد قتل لي عدة امراء ومماليك في الحروب فافرضه من جملتهم ولا يصيبني ويصيبهم الا ما قدره الله علينا وعلى ان الذى فعلوه بي لم يكن لسابق ذنب ولا جرم حصل مني في حقهم بل كنا جميعا اخوانا وتذكروا اشارتي عليهم السابقة في الالتجاء الى الانكليز وندموا على مخالفتي بعد الذى وقع لهم ورجعوا الى ثم أجمع رأيهم على سفري الى بلاد الانكليز فامتثلت ذلك وتجشمت المشاق وخاطرت بنفسي وسافرت الى بلاد الانكلترة وقاسيت أهوال البحار سنة وأشهرا كل ذلك لاجل راحتي وراحتهم وحصل ما حصل في غيابي ودخلوا مصر من غير قياس وبنوا قصورهم على غير اساس واطمانوا الى عدوهم وتعاونوا به على هلاك صديقهم وبعد أن قضى غرضه منهم غدرهم وأحاط بهم وأخرجهم من البلدة وأهانهم وشردهم واحتال عليهم ثانيا يوم قطع الخليج فراجت حيلته عليهم أيضا وأرسلت اليهم فنصحتهم فاستغشوني وخالفوني ودخل الكثير منهم البلد وانحصروا في ازقتها وجرى عليهم ماجرى من القتل الشنيع والامر

كان لم يطعه من بلاد السوس وورغة وقلعة مهدي وقال له علماء الاندلس انه ليست طاعته بواجبة حتى يخطب للخليفة ويأتيه تقليد منه بالبلاد فارسل الى الخليفة المقتدي بامر الله ببغداد فاتاه الخلع والاعلام والتقليد ولقب بامير المسلمين وناصر الدين

﴿ذكر دخول السلطان الى بغداد﴾

في هذه السنة دخل السلطان ملكشاه بغداد في ذي الحجة بعد ان فتح حلب وغيرها من بلاد الشام والجزيرة وهي اول قدمة قدمها ونزل بدار المملكة وركب من الغد الى الحلبة ولعب بالجوكان والكرة وارسل الى الخليفة هدايا كثيرة فقبلها الخليفة ومن الغد ارسل نظام الملك الى الخليفة خدمة كثيرة فقبلها وزار السلطان ونظام الملك مشهد موسى بن جعفر وقبر معروف واحمد بن حنبل وابي حنيفة وغيرها من القبور المعروفة فقال ابن زكرويه الواسطي يهني نظام الملك بقصيدة منها

زرت المشاهد زورة مشهودة * ارضت مضاجع من بها مدفون
فكانك الغيث استهل بتربها * وكانها بك روضة ومعين
فازت قداحك بالثواب وانجحت * ولك الاله على النجاح ضمين

وهي مشهورة وطلب نظام الملك الى دار الخلافة ليلا فمضى في الزبزب وعاد من ليلته ومضى السلطان ونظام الملك الى الصيد في البرية فزارا المشهدين مشهد امير المؤمنين علي ومشهد الحسين عليهما السلام ودخل السلطان البر فاصطاد شيئا كثيرا من الغزلان وغيرها وامر ببناء منارة القرون بالسبيعي وعاد السلطان الى بغداد ودخل الى الخليفة فخلع عليه الخلع السلطانية ولما خرج من عنده لم يزل نظام الملك قائما يقدم اميرا اميرا الى الخليفة وكلما قدم اميرا يقول هذا العبد فلان بن فلان واقطاعه كذا وكذا وعدة عسكره كذا وكذا الى ان أتى على آخر الامراء وفوض الخليفة الى السلطان امر البلاد والعباد وامره بالعدل فيهم وطلب السلطان ان يقبل يد الخليفة فلم يجبه فسال ان يقبل خاتمه فاعطاه اياه فقبله ووضعه على عينه وامره الخليفة بالعود فعاد وخلع الخليفة ايضا على نظام الملك ودخل نظام الملك الى المدرسة النظامية وجلس في خزانة الكتب وطالع فيها كتبا وسمع الناس عليه بالمدرسة جزء حديث واملى جزأ آخر واقام السلطان ببغداد الى صفر سنة ثمانين وسار منها الى اصبهان

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة في المحرم جرى بين اهل الكرخ واهل باب البصرة فتنة قتل فيها جماعة من جملتهم القاضي ابو الحسن ابن القاضي ابي الحسين بن الغريق الهاشمي الخطيب اصابه سهم فمات منه ولما قتل تولى ابنه الشريف ابو تمام ما كان اليه من الخطابة وكان العميد كمال الملك الدهستاني ببغداد فسار بخيله ورجله الى القنطرة العتيقة واعان اهل الكرخ ثم جرت بينهم فتنة ثانية في شوال منها فاعان الحجاج على اهل الكرخ فانهزموا

الفظيع ولم ينج الامن تخلف منهم أو ذهب من غير الطريق ثم انه الآن أيضا يراسلهم ويداهنهم ويهاديهم ويصالحهم ويثبطهم عما فيه النجاح لهم وما أظن ان الغفلة استحكمت فيهم الى هذا الحد فارجع اليهم وذكرهم بما سبق لهم من الوقائع فلعلهم ينتبهون من سكراتهم ويرسلون معك الثلثين أو النصف الذي سمع به والدنا ابراهيم بك وهذا القدر ليس فيه كبير مشقة فانهم اذا وزعوا على كل أمير عشرة أكياس وعلى كل كاشف خمسة أكياس وكل جندي أو مملوك كيسا واحدا اجتمع المبلغ وزيادة وأنا افعل مثل ذلك مع قومي والحمد لله لسواهم ولا نحن مفاليس وثمرة المال قضاء مصالح الدنيا وما نحن فيه الآن من أهم المصالح وقل لهم البدار قبل فوات الفرصة والخصم ليس بغافل ولا مهمل والعثمانيون عبيد الدرهم والدينار فلما فرغ من كلامه ودعه سليمان أغا ورجع الى قبلي فوجد الجماعة أصروا على عدم دفع شئ ورجع ابراهيم بك أيضا الى قولهم ورأيهم ولما أتى لهم سليمان أغا العبارات التي قالها صاحبهم وانه يكون تحت أمرهم ونهيهم ويرضى بادنى المعاش معهم ويسكن الجيزة الى آخر ما قال قالوا هذا والله كله كلام لا أصل له ولا ينسى ثاره وما فعلناه في حقه وحق أتباعه ولو اعتزل عنا وسكن قلعة الجبل فهو الاولى الذى

وبلغ

وبلغ الناس الى درب اللؤلؤ وكاد اهل الكرخ يهلكون فخرج ابو الحسن بن برغوث العلوى الى مقدم الاحداث من السنة فسأله العفو فعاد عنهم ورد الناس وفيها زاد الماء بدجلة تاسع عشر حزيران وجاء المطر يومين ببغداد وفيها فى ربيع الاول ارسل العميد كمال الملك الى الانبار فتسلمها من بنى عقيل وخرجت من ايديهم وفيها فى ربيع الآخر فرغت المنارة بجامع القصر واذن فيها وفيها فى جمادى الاولى ورد الشريف أبو القاسم على بن ابى يعلى الحسنى الدبوسى الى بغداد فى تجمل عظيم لم ير مثله لفقيه ورتب مدرسا بالنظامية بعد أبى سعد المتولى وفيها أمر السلطان ان يزاد فى اقطاع وكلاء الخليفة نهر برزى من طريق خراسان وعشرة آلاف دينار من معاملة بغداد وفيها اقطع السلطان ملكشاه محمد بن شرف الدولة مسلم مدينة الرحبة واعمالها وحران وسروج والرقة والخابور وزوجه باخته زليخا خاتون فتسلم البلاد جميعها ماعدا حران فان محمد بن الشاطر امتنع من تسليمها فلما وصل السلطان الى الشام نزل عنها ابن الشاطر فسلمها السلطان الى محمد وفيها وقع ببغداد صاعقتان فكسرت احداهما اسطوانتين وأحرقت قطنا فى صناديق ولم تحترق الصناديق وقتلت الثانية رجلا وفيها كانت زلازل بالعراق والجزيرة والشام وكثير من البلاد فخربت كثيرا من البلاد وفارق الناس مساكنهم الى الصحراء فلما سكنت عادوا وفيها عزل فخر الدولة ابن جهير عن ديار بكر وسلمها السلطان الى العميد أبى على البلخى وجعله عاملا عليها وفيها اسقط اسم الخليفة المصرى من الحرمين الشريفين وذكر اسم الخليفة المقتدى بامر الله وفيها أسقط السلطان المكوس والاجتيازات بالعراق وفيها احصر تميم بن المعز بن باديس صاحب افريقية مدينتى قابس وسفاقس فى وقت واحد وفرق عليها العساكر وفيها فى ربيع الاول توفى أبو الحسن بن فضال الهاشمى النحوى المقرى وفى ربيع الآخر توفى شيخ الشيوخ أبو سعد الصوفى النيسابورى وهو الذى تولى بناء الرباط بنهر المعلى وبنى وقوفه وهو رباط شيخ الشيوخ الآن وبنى وقوف المدرسة النظامية وكان عالى الهمة كثير التعصب لمن يلتجئ اليه وجدد تربة معروف الكرخى بعد ان احترقت وكانت له منزلة كبيرة عند السلطان وكان يقال نحمد الله الذى أخرج رأس ابى سعد من مرقعة ولو اخرجه من قباء لهلكنا وفيها توفى ابو على محمد بن احمد الشيرى البصرى وكان خيرا حافظا للقرآن ذا مال كثير وهو آخر من روى سنن ابى داود السجستانى عن ابى عمر الهاشمى وفيها توفى الشريف ابو نصر الزينبى العباسى نقيب الهاشميين وهو محدث مشهور عالى الاسناد

(ثم دخلت سنة ثمانين واربعمائة)

(ذكر زفاف ابنة السلطان الى الخليفة)

فى المحرم نقل جهاز ابنة السلطان ملكشاه الى دار الخلافة على مائة وثلاثين جملا مجللة بالديباج الرومى وكان أكثر الاحمال الذهب والفضة وثلاث عماريات وعلى اربعة وسبعين

شاع ذكره فى الآفاق ولا تخاطب الدولة غيره وقد كنا فى غيبته لا نطيق عفريتا من عفاريته فكيف يكون هو وعفاريته الجميع ومن ينشئه خلافهم وداخلهم الحقد وزاد فى وساوسهم الشيطان فقال لهم سليمان أغا اقصوا اشغالكم فى هذا الحين حتى تنجلى عنكم الاعداء الاغراب ثم اقتلوه بعد ذلك وتستريحوا منه فقالوا هيهات بعد ان يظهر علينا فانه يقتلنا واحدا بعد واحد ويخرجنا الى البلاد ثم يرسل يقتلنا وهو بعيد المكر فلا نأمن اليه مطلقا وغرهم الخصم بتمويهاته وارسل اليهم هدايا وخيولا وسروجا واقمشة هذا وارسل القبودان تذهب وتأتى بالمخاطبات والعرضحالات حتى عموا الامر كما تقدم (وفى اثناء ذلك) ينتظر القبودان جوابا كافيا وسلحداره مقيم أيضا عند المترجم والمترجم يشاغل القبودان بالهدايا والاغنام والذخيرة من الارز والغلال والسمن والعسل وغير ذلك الى ان رجع اليه سليمان أغا بخفى حنين محزونا مهموما متحيرا فيما وقع فيه من الورطة مكسوف البال مع القبودان ووزير الدولة وكيف يكون جوابه للذكورو القبودان جعل فى الابرة خيطين ليتبع الاروج فلما وصل اليه سليمان أغا واخبره ان الجماعة القبليين لا راحة عندهم وامتنعوا من الدفع ومن الحضور وان المترجم يقوم

بغلا مجللة بانواع الديباج الملكي واجراسها وقلائدها من الذهب والفضة وكان على ستة منها اثنا عشر صندوقا من فضة لا يقدر ما فيها من الجواهر والحلي وبين يدي البغال ثلاثة وثلاثون فرسا من الخيل الرائقة عليها مراكب الذهب مرصعة بانواع الجوهر ومهد عظيم كثير الذهب وسار بين يدي الجهاز سعد الدولة كوهرائين والامير برسق وغيرهما ونثر اهل نهر معلى عليهم الدنانير والثياب وكان السلطان قد خرج عن بغداد متصيدا ثم ارسل الخليفة الوزير ابا شجاع الى تركان خاتون زوجة السلطان وبين يديه نحو ثلثمائة موكبية ومثلها مشاعل ولم يبق في الحريم دكان الا وقد اشعل فيها الشمعة والاثنتان واكثر من ذلك وارسل الخليفة مع ظفر خادمه محفة لم ير مثلها حسنا وقال الوزير لتركان خاتون سيدنا ومولانا امير المؤمنين يقول ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها وقد اذن في نقل الوديعة الى داره فاجابت بالسمع والطاعة وحضر نظام الملك فمن دونه من اعيان دولة السلطان وكل منهم معه من الشمع والمشاعل الكثير وجاء نساء الامراء الكبار ومن دونهم كل واحدة منهن منفردة في جماعتها وتجملها وبين ايديهن الشمع الموكبيات والمشاعل يحمل ذلك جميعه الفرسان ثم جاءت الخاتون ابنة السلطان بعد الجميع في محفة مجللة عليها من الذهب والجواهر اكثر شيء وقد احاط بالمحفة مائتا جارية من الاتراك بالمراكب العجيبة وسارت الى دار الخلافة وكانت ليلة مشهودة لم ير ببغداد مثلها فلما كان الغد احضر الخليفة امراء السلطان لسماط امر بعمله حكى ان فيه اربعين الف منا من السكر وخلع عليهم كلهم وعلى كل من له ذكر في العسكر وارسل الخلع الى الخاتون زوجة السلطان والى جميع الخواتين وعاد السلطان من الصيد بعد ذلك

* (ذكر عدة حوادث) *

في هذه السنة ولد للسلطان ابن من تركان خاتون وسماه محمودا وهو الذي خطب له بالمملكة بعده وفيها سلم السلطان ملكشاه مدينة حلب والقلعة الى مملوكه آقسنقر فوليها واظهر فيها العدل وحسن السيرة وكان زوج دادة السلطان ملكشاه وهي التي حضنته وتربيه وماتت بحلب سنة اربع وثمانين وفيها استبق ساعيان احدهما للسلطان فضلي والآخر للامير قماج مرعوش فسبق ساعي السلطان وقد تقدم ذكر الفضلي والمرعوش ايام معز الدولة بن بويه وفيها جعل السلطان ولي عهده ولده اباشجاع احمد ولقبه ملك الملوك عضد الدولة وتاج الملة عدة امير المؤمنين وارسل الى الخليفة بعد مسيره من بغداد ليخطب له ببغداد بذلك فخطب له في شعبان ونثر الذهب على الخطباء وفيها في شعبان انحدر سعد الدولة كوهرائين الى واسط لمحاربة مهذب الدولة بن ابي الجبر صاحب البطائح ولما فارق بغداد كثرت فيها الفتن وفيها في ذي القعدة ولد للخليفة من ابنة السلطان ولد سماه جعفرا وكناه ابا الفضل وزين البلد لاجل ذلك وفيها استولى العميد كمال الملك ابو الفتح الدهستاني عميد العراق على مدينة هيت اخذها

بدفع القدر الذي يقدر عليه والذي يبقى ويتجمع عليه يقوم بدفعه فاغتاظ القبودان وقال أنت تضحك على ذقني وذقن وزير الدولة وقد تحركنا هذه الحركة على ظن ان الجماعة على قلب رجل واحد واذا حصل من المماليك للبلدة عصيان ومخالفة ولم يكن فيهم مكافاة لمقاومته امددناهم بجيش من النظام الجديد وغيره وحيث انهم متنافرون ومتحاسدون ومتباغضون فلا خير فيهم وصاحبك هذا لا يكفي في المقاومة وحده ويحتاج الى كثير المعاونة وهي لا تكون الا بكثرة المصاريف * ولما ظهر لسليمان أغا الغيظ والتغير من القبودان خاف على نفسه ان يبطش به وعرف منه ان المانع له من ذلك غياب السلحدار عند المترجم لانه قال له واين سلحداري قال هو عند الالفي بالبحيرة فقال اذهب فاتني به واحضر صحبته وكان موسى باشا المتولي قد حضر أيضا فقصد سليمان أغا بقوله ذلك وخلاصه من بين يديه فركب في الوقت وخرج من الاسكندرية فما هو الا ان بعد عنها مقدار غلوة الا والسلحدار قادم الى سكندرية فسأله الى اين يذهب فقال ان مخدومك ارسلني في شغل وها أنا راجع اليكم وذهب عند المترجم ولم يرجع (وفي اثناء هذه الايام) كان المترجم يحارب دمنهور وبعث اليه محمد علي باشا التجريدة العظيمة التي بذل فيها جهده وفيها جميع عساكر الدلاة

صلحا

صلحا ومضى اليها وعاد عنها فى ذى القعدة وفيها وقعت فتنة بين اهل الكرخ وغيرها من المحال قتل فيها كثير من الناس وفيها كسفت الشمس كسوفا كليا وفيها توفى الامير ابو منصور قتلغ امير الحاج وحج اميرا اثنتى عشرة سنة وكانت له فى العرب عدة وقعات وكانوا يخافونه ولما مات قال نظام الملك مات اليوم الف رجل وولى امارة الحاج نجم الدولة خمارتكين وفيها فى جمادى الاولى توفى اسمعيل بن عبد الله بن موسى بن سعد أبو القاسم الساوى سمع الحديث الكثير من ابى سعيد الصيرفى وغيره وروى عنه الناس وكان ثقة وطاهر بن الحسين ابو الوفاء البندنيجى الهمذانى كان شاعرا اديبا وكان يمدح لا لعرض الدنيا ومدح نظام الملك بقصيدتين كل واحدة منهما تزيد على اربعين بيتا احداهما ليس فيها نقطة والاخرى جميع حروفها منقوطة وفيها توفيت فاطمة بنت على المؤدب المعروفة بنت الاقرع الكاتبة كانت من احسن الناس خطا على طريقة ابن البواب وسمعت الحديث واسمعته وفيها فى ذى القعدة توفى غرس النعمة أبو الحسن محمد بن الصابى صاحب التاريخ وظهر له مال كثير وكان له معروف وصدقة

(ثم دخلت سنة احدى وثمانين واربعمائة)

❁(ذكر الفتنة ببغداد)❁

فى هذه السنة فى صفر شرع أهل باب البصرة فى بناء القنطرة الجديدة ونقلوا الآجر فى اطباق الذهب والفضة وبين ايديهم الدبادب واجتمع اليهم أهل المحال وكثر عندهم أهل باب الازج فى خلق لا يحصى واتفق ان كوهرائين سار فى سميرية وأصحابه يسيرون على شاطئ دجلة بسيره فوقف أهل باب الازج على امرأة كانت تسقى الناس من مزملة لها على دجلة فحملوا عليها على عادتهم وجعلوا يكسرون الجرار ويقولون الماء للسبيل فلما رأت سعد الدولة كوهرائين استغاثت به فامر بابعادهم عنها فضربهم الاتراك بالمقارع فسل العامة سيوفهم وضربوا وجه فرس حاجبه سليمان وهو أخص أصحابه فسقط عن الفرس فحمل كوهرائين الخنق على ان خرج من السميرية اليهم راجلا فحمل أحدهم عليه فطعنه باسفل رمحه فالقاه فى الماء والطين فحمل أصحابه على العامة فقاتلوهم وحرصوا على الظفر بالذى طعنه فلم يصلوا اليه وأخذ ثمانية نفر فقتل أحدهم وقطع اعصاب ثلاثة نفر وأرسل قباءه الى الديوان وفيه اثر الطعنة والطين يستنفر على أهل باب الازج ثم ان اهل الكرخ عقدوا لانفسهم طاقا آخر على باب طاق الحرانى وفعلوا كفعل أهل باب البصرة

❁(ذكر اخراج الاتراك من حريم الخلافة)❁

فى هذه السنة فى ربيع الآخر امر الخليفة باخراج الاتراك الذين مع الخاتون زوجته ابنة السلطان من حريم دار الخلافة وسبب ذلك ان تركيا منهم اشترى من طواف فاكهة فتماكسا فشتم الطواف التركى فاخذ التركى صنجة من الميزان وضرب بها رأس

وطاهر باشا ومن معه من عساكر الارنؤد والاتراك وعسكر المغاربة فحاربهم وكسرهم وهزمهم شر هزيمة حتى القوا بانفسهم فى البحر ورجعوا فى أسوا حال فلو تجاسر المترجم وتبعهم لهرب الباقون من البلدة وخرجوا جميعا على وجوههم من شدة ما داخلهم من الرعب ولكن لم يرد الله ذلك ولم يجسروا للخروج عليه بعد ذلك❁ ولما تنحت عنه عشيرته ولم يلبوا دعوته واتلفوا الطبخة وسافر القبودان وموسى باشا من ثغر سكندرية على الصورة المذكورة استانف المترجم أمرا آخر وراسل الانكليز يلتمس منهم المساعدة وان يرسلوا له طائفة من جنودهم ليقوى بهم على محاربة الخصم كما التمس منهم فى العام الماضى فاعتذروا له بانهم صلح مع العثمانى وليس فى قانون الممالك اذا كانوا اصلحا ان يتعدوا على المتصادقين معهم ولا يوجهون نحوها عساكر الا باذن منهم أو بالتماس المساعده فى أمرهم فغاية ما يكون المكالمة والترجى ففعلوا وحصل ما تقدم ذكره ولم يتم الامر فلما خاطبهم بعد الذى جرى صادف ذلك وقوع النفرة بينهم وبين العثمانى فارسلوا الى المترجم يعدون بانفاذ ستة آلاف لمساعدته فاقام بالبحيرة ينتظر حضورهم نحو ثلاثة شهور وكان ذلك أوان القيظ وليس ثم زرع ولا نبات فضاقت على جيوشهم الناحية وقد طال انتظاره للانكليز فتشكى العربان

الطواف فشجه فاجتمعت العامة وكادوا يكون بينهم وبين الاتراك شر واستغاثوا وشنعوا فامر الخليفة باخراج الاتراك فاخرجوا عن آخرهم في ساعة واحدة على اقبح صورة وقت العشاء الآخرة

(ذكر ملك الروم مدينة زويلة وعودهم عنها)

في هذه السنة فتح الروم مدينة زويلة من أفريقية وهي بقرب المهدية وسبب ذلك ان الامير تميم بن المعز بن باديس صاحبها أكثر غزو بلادهم في البحر فخربها وشتت أهلها فاجتمعوا من كل جهة واتفقوا على انشاء الشواني لغزو المهدية ودخل معهم البيسانيون والجنويون وهما من الفرنج فاقاموا يعمرون الاسطول اربع سنين واجتمعوا بجزيرة قوصرة في أربعمائة قطعة فكتب أهل قوصرة كتابا على جناح طائر يذكرون وصولهم وعددهم وحكمهم على الجزيرة فاراد تميم ان يسير عثمان بن سعيد المعروف بالمهر مقدم الاسطول الذي له ليمنعهم من النزول فمنعه من ذلك بعض قواده اسمه عبد الله بن منكوت لعداوة بينه وبين المهر فجاءت الروم وأرسوا وطلعوا الى البر ونهبوا وخربوا وأحرقوا ودخلوا زويلة ونهبوها وكانت عساكر تميم غائبة في قتال الخارجين عن طاعته ثم صالح تميم الروم على ثلاثين ألف دينار ورد جميع ماحووه من السبي وكان تميم يبذل المال الكثير في الغرض الحقير فكيف في الغرض الكبير حكي عنه انه بذل للعرب لما ساروا ولوا على حصن له يسمى قناطة ليس بالعظيم اثنى عشر الف دينار حتى هدمه فقيل له هذا سرف في المال فقال هو شرف في الحال

(ذكر وفاة الناصر بن علناس وولاية ولده المنصور)

في هذه السنة مات الناصر بن علناس بن حماد وولي بعده ابنه المنصور فاقتفى آثار ابيه في الحزم والعزم والرياسة ووصله كتب الملوك ورسلهم بالتعزية بابيه والتهنئة بالملك منهم يوسف بن تاشفين وتميم بن المعز وغيرهما

(ذكر وفاة ابراهيم ملك غزنة وملك ابنه مسعود)

في هذه السنة توفي الملك المؤيد ابراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين صاحب غزنة وكان عادلا كريما مجاهدا وقد ذكرنا من فتوحه ماوصل الينا وكان عاقلا ذا راي متين فمن آرائه ان السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي جمع عساكره وسار يريد غزنة ونزل باسفرار فكتب ابراهيم بن مسعود كتابا الى جماعة من أعيان أمراء ملكشاه يشكرهم ويعتذر لهم بما فعلوا من تحسين قصد ملكشاه بلاده ليتم لنا ما استقر بيننا من الظفر به وتخليصهم من يده ويعدهم الاحسان على ذلك وأمر القاصد بالكتب ان يتعرض لملكشاه في الصيد ففعل ذلك فاخذ واحضر عند السلطان فساله عن حاله فانكره فامر السلطان بجلده فجلد فدفع الكتب اليه بعد جهد ومشقة فلما وقف ملكشاه عليها تخيل من أمرائه وعاد ولم يقل لاحد من أمرائه في هذا الامر شيئا خوفا ان يستوحشوا منه وكان يكتب بخطه كل سنة مصحفا ويبعثه مع الصدقات الى مكة وكان

المجتمعون عليه وغيرهم اشدة ماهم فيه من الجهد وفي كل حين يعدهم بالفرج ويقول لهم أصبروا ولم يبق الا القليل فلما اشتد بهم الجهد اجتمعوا اليه وقالوا له اما أن تنتقل معنا الى ناحية قبلي فان ارض الله واسعة واما ان تاذن لنا في الرحيل في طلب القوت فما وسعه الا الرحيل مكظوما مقهورا من معاندة الدهر في بلوغ المآرب الاول مجيء القبودان وموسى باشا على هذه الهيئة والصورة ورجوعهما على غير طائل الثاني عدم ملكه دمنهور وكان قصده ان يجعلها معقلا ويقيم بها حتى تاتيه النجدة الثالث تاخر مجيء النجدة حتى قحطوا واضطروا الى الرحيل الرابع وهو اعظمها مجانبة اخوانه وعشيرته وخذلانهم له وامتناعهم عن الانضمام اليه فارتحل من البحيرة بجيوشه ومن يصحبه من العربان حتى وصل الى الاخصاص فنادى محمد علي باشا على العساكر بالخروج ولا يتاخر منهم واحد فخرجوا أفواجا ليلا ونهارا حتى وصلوا الى ساحل بولاق وعدوا الى بر انبابة وجيشوا بظاهرها وقد وصل المترجم الى كفر حكيم يوم الثلاثاء ثامن عشر القعدة وانتشرت جيوشه بالبر الغربي ناحية انبابة والجيزة وركب الباشا واصناف العساكر ووقفوا على ظهر خيولهم واصطفت الرجالة ببنادقهم واسلحتهم ومرا المترجم في هيئة عظيمة هائلة وجيوش تسد الفضاء

يقول

يقول لو كنت موضع أبي مسعود وبعد وفاة جدي محمود لما انفصمت عرى مملكتنا ولكني الآن عاجز عن أن استرد ما أخذوه واستولى عليه ملوك قد اتسعت ممالكهم وعظمت عساكرهم ولما توفي ملك بعده ابنه مسعود ولقبه جلال الدين وكان قد زوجه أبوه بابنة السلطان ملكشاه وأخرج نظام الملك في هذا الاملاك والزفاف مائة ألف دينار

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة حج الوزير أبو شجاع وزير الخليفة واستناب ابنه ربيب الدولة أبا منصور ونقيب النقباء طراد بن محمد الزينبي وفيها أسقط السلطان ما كان يؤخذ من الحجاج من الخفارة وفيها جمع آقسنقر صاحب حلب عسكره وسار الى قلعة شيزر فحصرها وصاحبها ابن منقذ وضيق عليها ونهب ربضها ثم صالحه صاحبها وعاد الى حلب وفيها توفي أبو بكر أحمد بن ابي حاتم عبد الصمد بن أبي الفضل الغورجي الهروي والقاضي محمود بن محمد بن القاسم أبو عامر الازدي المهلبي راويا جامع الترمذي عن أبي محمد الجراحي رواه عنهما ابو الفتح الكروخي وتوفي عبد الله بن محمد بن علي بن محمد أبو اسمعيل الانصاري الهروي شيخ الاسلام ومولده سنة خمس وتسعين وثلثمائة وكان شديد التعصب في المذاهب ومحمد بن اسحق بن ابراهيم بن مخلد الباقرحي ومولده في شعبان وهو من أهل الحديث والرواية وفي المحرم توفيت ابنة الغالب بالله بن القادر ودفنت عند قبر أحمد وكانت ترجع الى دين ومعروف كثير لم يبلغ أحد في فعل الخير ما بلغت وفي شعبان توفي عبد العزيز الصرصراوي الزاهد وفيها توفي الملك أحمد ابن السلطان ملكشاه بمرو وكان ولي عهد أبيه في السلطنة وكان عمره احدى عشرة سنة وجلس الناس ببغداد للعزاء سبعة أيام في دار الخلافة ولم يركب احد فرسا وخرج النساء ينحن في الاسواق واجتمع الخلق الكثير في الكرخ للتفرج والمناحات وسود اهل الكرخ أبواب عقودهم اظهارا للحزن به

(ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين واربعمائة)

(ذكر الفتنة ببغداد بين العامة)

في هذه السنة في صفر كبس أهل باب البصرة الكرخ فقتلوا رجلا وجرحوا آخر فاغلق أهل الكرخ الاسواق ورفعوا المصاحف وحملوا ثياب الرجلين وهي بالدم ومضوا الى دار العميد كمال الملك أبي الفتح الدهستاني مستغيثين فارسل الى النقيب طراد بن محمد يطلب منه احضار القاتلين فقصد طراد دار الامير بوزان بقصر ابن المأمون فطالبه بوزان بهم ووكل به فارسل الخليفة الى بوزان يعرفه حال النقيب طراد ومحله ومنزلته فخلى سبيله واعتذر اليه فسكن العميد كمال الملك الفتنة وكف الناس بعضهم عن بعض ثم سار الى السلطان فعاد الناس الى ما كانوا فيه من الفتنة ولم ينقض يوم الا عن قتلى وجرحى

(ذكر ملك السلطان ملكشاه ما وراء النهر)

وهم مرتبون طوابير ومعهم طبول وصحبته قبائل العرب من اولاد علي والهنادي وعربان الشرق في كبكبة زائدة والباشا والعسكر وقوف ينظرون اليهم من بعيد وهو يتعجب ويقول هذا طهماز الزمان والا ايش يكون ثم يقول للدلاة والخيالة تقدموا وحاربوا وانا أعطيكم كذا وكذا من المال ويذكر لهم مقادير عظيمة ويرغبهم فلم يتجاسروا على الاقدام وصاروا باهتين ومتعجبين ويتناجون فيما بينهم ويتشاورون في تقدمهم وتأخرهم وقد أصابوه باعينهم ولم يزل سائرا حتى وصل الى قريب قناطر شبرامنت فنزل على علوة هناك وجلس عليها وزاد به الهاجس والقهر ونظر الى جهة مصر وقال يا مصر انظري الى أولادك وهم حولك مشتتين متباعدين مشردين واستوطنك اجلاف الاتراك واليهود واراذل الارنؤد وصاروا يقبضون خراجك ويحاربون اولادك ويقاتلون ابطالك ويقاومون فرسانك ويهدمون دورك ويسكنون قصورك ويفسقون بولدانك وحورك ويطمسون بهجتك ونورك ولم يزل يردد هذا الكلام وأمثاله وقد تحرك به خلط دموي وفي الحال تقايا دما وقال قضي الامر وخاصت مصر لمحمد علي وماثم من ينازعه ويغالبه ويجري حكمه على المماليك المصرية فما أظن ان تقوم لهم راية بعد اليوم ثم انه احضر امراءه وامر عليهم شاهين بك واوصاه بخشداشينه

في هذه السنة ملك السلطان ملكشاه ما وراء النهر وسبب ذلك ان سمرقند كان قد ملكها أحمد خان بن خضر خان أخو شمس الملك الذى كان قبله وهو ابن أخى تركان خاتون زوجة السلطان ملكشاه وكان صبيا ظالما قبيح السيرة يكثر مصادرة الرعية فنفروا منه وكتبوا الى السلطان سرا يستغيثون به ويسألونه القدوم عليهم ليملك بلادهم وحضر الفقيه أبو طاهر بن علك الشافعى عند السلطان شاكيا وكان يخاف من احمد خان لكثرة ماله فاظهر السفر للتجارة والحج فاجتمع بالسلطان وشكا اليه وأطمعه فى البلاد فتحركت دواعى السلطان الى ملكها فسار من أصبهان وكان قد وصل اليه وهو فيها رسول ملك الروم ومعه الخراج المقرر عليه فاخذه نظام الملك معهم الى ما وراء النهر وحضر فتح البلاد فلما وصل الى كاشغر اذن له نظام الملك فى العود الى بلاده وقال أحب ان يذكر عنا فى التواريخ ان ملك الروم حمل الجزية واوصلها الى باب كاشغر لينهى الى صاحبه سعة ملك السلطان ليعظم خوفه منه ولا يحدث نفسه بخلاف الطاعة وهذا يدل على همة عالية تعلو على العيوق ولما سار السلطان من أصبهان الى خراسان جمع العساكر من البلاد جميعها فعبر النهر بجيوش لا يحصرها ديوان ولا تدخل تحت الاحصاء فلما قطع النهر قصد بخارا واخذ ما على طريقه ثم سار اليها وملكها وما جاورها من البلاد وقصد سمرقند ونازلها وكانت الملطفات قد قدمها الى أهل البلد يعدهم النصر والخلاص مما هم فيه من الظلم وحصر البلد وضيق عليه وأعانه أهل البلد بالاقامات وفرق أحمد خان صاحب سمرقند ابراج السور على الامراء ومن يثق اليه من اهل البلد وسلم برجا يقال له برج العيار الى رجل علوى كان مختصا به فنصح فى القتال فاتفق ان ولدا لهذا العلوى أخذ أسيرا ببخارا فهدد الاب بقتله فتراخى عن القتال فسهل الامر على السلطان ملكشاه ورمى من السور عدة ثلم بالمنجنيقات وأخذ ذلك البرج فلما صعد عسكر السلطان الى السور هرب أحمد خان واختفى فى بيوت بعض العامة فغمز عليه وأخذ وحمل الى السلطان وفى رقبته حبل فاكرمه السلطان واطلقه وأرسله الى اصبهان ومعه من يحفظه ورتب بسمرقند الامير العميد أبا طاهر عميد خوارزم وسار السلطان قاصدا الى كاشغر فبلغ الى يوزكند وهو بلد يجرى على بابه نهر وأرسل منها رسلا الى ملك كاشغر يامره باقامة الخطبة وضرب السكة باسمه ويتوعده ان خالف بالمسير اليه ففعل ذلك وأطاع وحضر عند السلطان فاكرمه وعظمه وتابع الانعام عليه واعاده الى بلده ورجع السلطان الى خراسان فلما بعد عن سمرقند لم يتفق اهلها وعسكرها المعروفون بالجكلية مع العميد ابى طاهر نائب السلطان عندهم حتى كادوا يثبون عليه فاحتال حتى خرج من عندهم ومضى الى خوارزم

(ذكر عصيان سمرقند)

كان مقدم العسكر المعروف بالجكلية واسمه عين الدولة قد خاف السلطان لهذا الحادث فكاتب يعقوب تكين اخا ملك كاشغر ومملكته تعرف بآب نباشي وبيده قلعتها

واوصاهم به وان يحرصوا على دوام الالفة بينهم وترك التنازع الموجب للتفرق والتفاشل وان يحذروا من مخادعة عدوهم وأوصاهم انه اذا مات يحملونه الى وادى البهنسا ويدفنونه بجوار قبور الشهداء فمات فى ثلث الليلة وهى ليلة الاربعاء تاسع عشر ذى القعدة فلما مات غسلوه وكفنوه وصلوا عليه وحملوه على بعير وارسلوه الى البهنسا ودفنوه هناك بجوار الشهداء وانقضى نحبه فسبحان من له سرمدية البقاء وفى الحال حضر المبشر الى محمد على باشا وبشره بموت المترجم فلم يصدقه واستغرب ذلك وحبس البدوى الذى أتاه بالبشارة اربعة أيام وذلك لان اتباعه كانوا كتموا أمر موته ولم يذيعوه فى عرضيه والذى اشاع الخبر واتى بالبشارة رفيق البدوى الذى حمله على بعيره ولما ثبت موته عند الباشا امتلأ فرحا وسرورا وكذلك خاصته ورفعوا رؤسهم واحضر ذلك المبشر فالبسه فروة سمور واعطاه مالا وامره ان يركب بتلك الخلعة ويشق بها من وسط المدينة ليراه اهل البلدة وشاع ذلك الخبر فى الناس من وقت حضور المبشر وهم يكذبون ذلك الخبر ويقولون هذا من جملة تحيلاته فانه لما سافر الى بلاد الانكليز لم يعلم بسفره احد ولم يظهر سفره الا بعد مضى اشهر فلذلك امر الباشا ذلك المبشر ان يركب بالخلعة ويمر بها من وسط المدينة ومع ذلك استمروا فى شكهم نحو

واستحضره

واستحضره فحضر عنده بسمرقند واتفقا ثم ان يعقوب علم ان امره لا يستقيم معه فوضع عليه الرعية الذين كان اساء اليهم حتى ادعوا عليه دماء قوم كان قتلهم واخذ الفتاوى عليه وقتله واتصلت الاخبار بالسلطان ملكشاه بذلك فعاد الى سمرقند

❁(ذكر فتح سمرقند الفتح الثاني)❁

لما اتصلت الاخبار بعصيان سمرقند بالسلطان ملكشاه وقتل عين الدولة مقدم الجكلية عاد الى سمرقند فلما وصل الى بخارا هرب يعقوب المستولي على سمرقند ومضى الى فرغانة ولحق بولايته ووصل جماعة من عسكره الى السلطان مستامنين فلقوه بقرية تعرف بالطواويس ولما وصل السلطان الى سمرقند ملكها ورتب بها الامير ابر وسار في اثر يعقوب حتى نزل بيوزكند وارسل العساكر الى سائر الاكناف في طلبه وارسل السلطان الى ملك كاشغر وهو اخو يعقوب ليجد في امره ويرسله اليه فاتفق ان عسكر يعقوب شغبوا عليه ونهبوا خزائنه واضطروه الى ان هرب على فرسه ودخل الى اخيه بكاشغر مستجيرا به فسمع السلطان بذلك فارسل الى ملك كاشغر يتوعده ان لم يرسله اليه ان يقصد بلاده ويصير هو العدو فخاف ان يمنع السلطان وانف ان يسلم اخاه بعد ان استجار به وان كانت بينهما عداوة قديمة ومنافسة في الملك عظيمة لما يلزمه فيه العار فاداه اجتهاده الى ان قبض على اخيه يعقوب واظهر انه كان في طلبه فظفر به وسيره مع ولده وجماعة من اصحابه وكلهم بيعقوب وارسل معهم هدايا كثيرة للسلطان وامر ولده انه اذا وصل الى قلعة بقرب السلطان أن يسمل يعقوب ويتركه فان رضى السلطان بذلك والا سلمه اليه فلما وصلوا الى القلعة عزم ابن ملك كاشغر ان يسمل عمه وينفذ فيه ما امره به ابوه فتقدم فكتفه والقاه على الارض ليفعلوا به ذلك فبينما هم على تلك الحال وقد احموا الميل ليسملوه اذ سمعوا ضجة عظيمة فتركوه وتشاوروا بينهم وظهر عليهم انكسار ثم ارادوا بعد ذلك سمله ومنع منه بعض فقال لهم يعقوب اخبروني عن حالكم وما يفوتكم الذي تريدونه مني واذا فعلتم بي شيئا ربما ندمتم عليه فقيل له ان طغرل بن ينال اسرى من ثمانين فرسخا في عشرات الوف من العساكر وكبس اخاك بكاشغر فاخذه اسيرا ونهب عسكره وعاد الى بلاده فقال لهم هذا الذي تريدون تفعلونه بي ليس مما تتقربون به الى الله تعالى وانما تفعلونه اتباعا لامر اخي وقد زال امره ووعدهم الاحسان فاطلقوه فلما راى السلطان ذلك ورأى طمع طغرل ابن ينال ومسيره الى كاشغر وقبض صاحبها وملكه لها مع قربه منه خاف ان يختل بعض امره وتزول هيبته وعلم انه متى قصد طغرل سار من بين يديه فان عاد عنه رجع الى بلاده وكذلك يعقوب اخو صاحب كاشغر وانه لا يمكنه المقام لسعة البلاد ووراءه وخوف الموت بها فوضع تاج الملك على أن يسعى في اصلاح امر يعقوب معه ففعل ما امره به السلطان فاتفق هو ويعقوب وعاد الى خراسان وجعل يعقوب مقابل طغرل يمنعه من القوة وملك البلاد وكل منهما يقوم في وجه الآخر

شهرين حتى قويت عندهم القرائن بما حصل بعد ذلك فانه لما مات تفرقت ٧١ قبائل العربان التي كانت مجتمعة حوله وبعضهم ارسل يطلب امانا من الباشا وغير ذلك مما تقدم ذكره وخبره في ضمن ما تقدم وكان محمد علي باشا يقول مادام هذا الالفي موجودا لا يهنا لي عيش ومثالي انا وهو مثال بهلوانين يلعبان على الحبل لكن هو في رجليه قبقاب فلما اتاه المبشر بموته قال بعد ان تحقق ذلك الآن طابت لي مصر وما عدت احسب لغيره حسابا (وكان المترجم) اميرا جليلا مهيبا محتشما مدبرا بعيد الفكر في عواقب الامور صحيح الفراسة اذا نظر في سحنة انسان عرف حاله واخلاقه بمجرد النظر اليه قوي الشكيمة صعب المراس عظيم الباس ذا غيرة حتى على من ينتمي اليه او ينسب الى طرفه يحب علو الهمة في كل شئ حتى ان التجار الذين يعاملهم في المشتروات لا يساومهم ولا يفاصلهم في اثمانها بل يكتبون الاثمان بانفسهم كما يحبون ويريدون في قوائم وياخذها الكاتب ليعرضها عليه فيمضي عليها ولا ينظر فيها ويرى أن النظر في مثل ذلك او المحاققة فيه عيب ونقص يخل بالامرية ولا تمضي السنة الا والجميع قد استوفوا حقوقهم ويستانفوا احتياجات العام الجديد ولذلك راج حال المعاملين له رواجا عظيما لكثرة ربحهم عليه ومكاسبهم

(ذكر عود ابنة السلطان زوجة الخليفة الى ابيها)

وفي هذه السنة ارسل السلطان الى الخليفة يطلب ابنته طلبا لابد منه وسبب ذلك انها ارسلت تشكو من الخليفة وتذكر انه كثير الاطراح لها والاعراض عنها فاذن لها في المسير فسارت في ربيع الاول وسار معها ابنها من الخليفة ابو الفضل جعفر بن المقتدي بامر الله ومعهما اسائراد باب الدولة ومشى مع محفتها سعد الدولة كوهرائين وخدم دار الخلافة الاكابر وخرج الوزير يشيعهم الى النهروان وعاد وسارت الخاتون الى اصبهان فاقامت بها الى ذي القعدة وتوفيت وجلس الوزير ببغداد للعزاء سبعة ايام واكثر الشعراء مراثيها ببغداد وبعسكر السلطان

(ذكر فتح عسكر مصر عكا وغيرها من الشام)

في هذه السنة خرجت عساكر مصر الى الشام في جماعة من المقدمين فحصر وامدينة صور وكان قد تغلب عليها القاضي عين الدولة بن أبي عقيل وامتنع عليهم ثم توفي ووليها أولاده فحصرهم العسكر المصري فلم يكن لهم من القوة ما يمتنعون بها فسلموها اليهم ثم سار العسكر عنها الى مدينة صيدا ففعلوا بها كذلك ثم ساروا الى مدينة عكا فحصروها وضيقوا على اهلها ففتحوها وقصدوا مدينة جبيل فملكوها أيضا واصلحوا أحوال هذه البلاد وقرروا قواعدها وساروا عنها الى مصر عائدين واستعمل امير الجيوش على هذه البلاد الامراء والعمال

(ذكر الفتنة بين أهل بغداد ثانية)

وفي هذه السنة في جمادى الاولى كثرت الفتن ببغداد بين اهل الكرخ وغيرها من المحال وقتل بينهم عدد كثير واستولى اهل المحال على قطعة كبيرة من نهر الدجاج فنهبوها واحرقوها فنزل شحنة بغداد وهو خمارتكين النائب عن كوهرائين على دجلة في خيله ورجله ليكف الناس عن الفتنة فلم ينتهوا وكان أهل الكرخ يجرون عليه وعلى اصحابه الجرايات والاقامات وفي بعض الايام وصل اهل باب البصرة الى سويقة غالب فخرج من اهل الكرخ من لم تجر عادته بالقتال فقاتلوهم حتى كشفوهم فركب خدم الخليفة والحجاب والنقباء وغيرهم من اعيان الحنابلة كابن عقيل والكلوذاني وغيرهما الى الشحنة وساروا معه الى اهل الكرخ فقرأ عليهم مثالا من الخليفة يأمرهم بالكف ومعاودة السكون وحضور الجماعة والجمعة والتدين بمذهب اهل السنة فاجابوا الى الطاعة فبينما هم كذلك اتاهم الصارخ من نهر الدجاج بان اهل السنة قد قصدوهم والقتال عندهم فضوا مع الشحنة ومنعوا من الفتنة وسكن الناس وكتب اهل الكرخ على ابواب مساجدهم خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ومن عند هذا اليوم ثار اهل الكرخ وقصدوا شارع ابن ابي عوف ونهبوه وفي جملة ما نهبوا دار ابي الفضل بن خيرون المعدل فقصد الديوان مستنفرا ومعه الناس ورفع العامة الصلبان وهجموا على الوزير في حجرته واكثروا من الكلام الشنيع

ومع ذلك يواسيهم في جملة أحبابه والمنتسبين اليه بارسال الغلال لمؤنة بيوتهم وعيالهم وكساوى العيد وينتصر لاتباعه ولمن انتمى اليه ويحب لهم رفعة القدر عن غيرهم مع انه اذا حصل من احد منهم هفوة تخل بالمروءة عنفه وزجره فترى كشافه وعماليكه مع شدة مراسهم وقوة نفوسهم وصعوبتهم يخافونه خوفا شديدا ويهابون خطابه * ومن عجيب امره ومناقبه التي انفرد بها عن غيره امتثال جميع قبائل العربان الكائنين بالقطر المصري لامره وتسخيرهم وطاعتهم له لا يخالفونه في شئ وكان له معهم سياسة غريبة ومعرفة باحوالهم وطبائعهم فكانما هو مربي فيهم او ابن خليفتهم أو صاحب رسالتهم يقومون ويقعدون لامره مع انه يصادرهم في اموالهم وجمالهم ومواشيهم ويحبسهم ويطلقهم ويقتل منهم ومع ذلك لا ينفرون منه وقد تزوج كثيرا من بناتهم فالتي تعجبه يبقيها حتى يقضي وطره منها والتي لا توافق مزاجه يسرحها الى اهلها ولم يبق في عصمته غير واحدة وهي التي أعجبته فمات عنها فلما بلغ العرب موته اجتمعت بنات العرب وصرن يندبنه بكلام عجيب تناقلته أرباب المغاني يغنون به على آلات اللهو المطربة وركبوا عليه ادوارا وقوافي وغير ذلك والعجب منه رحمه الله انه لما كان في دولتهم السابقة وينزل في كل سنة الى

وقتل

وقتل ذلك اليوم رجل هاشمى من اهل باب الازج بسهم اصابه فثار العامة هناك بعلوى كان مقيما بينهم فقتلوه وحرقوه وجرى من النهب والقتل والفساد امور عظيمة فارسل الخليفة الى سيف الدولة صدقة بن مزيد فارسل عسكرا الى بغداد فطلبوا المفسدين والعيارين فهربوا منهم فهدمت دورهم وقتل منهم ونفى وسكنت الفتنة وامن الناس

(ذكر حيلة لامير المسلمين ظهرت ظهورا غريبا)

كان بالمغرب انسان اسمه محمد بن ابراهيم الكزولى سيد قبيلة كزولة وما لك جبلها وهو جبل شامخ وهى قبيلة كبيرة وبينه وبين امير المسلمين يوسف بن تاشفين مودة واجتماع فلما كان هذه السنة ارسل يوسف الى محمد بن ابراهيم يطلب الاجتماع به فركب اليه محمد فلما قاربه خافه على نفسه فعاد الى جبله واحتاط لنفسه فكتب اليه يوسف وحلف له انه ما اراد به الا الخير ولم يحدث نفسه بغدر فلم يركن محمد اليه فدعا يوسف حجاما واعطاه مائة دينار وضمن له مائة دينار اخرى ان هو سار الى محمد بن ابراهيم واحتال على قتله فسار الحجام ومعه مشاريط مسمومة فصعد الجبل فلما كان الغد خرج ينادى اصناعته بالقرب من مسكن محمد فسمع محمد الصوت فقال هذا الحجام من بلدنا فقيل انه غريب فقال اراه يكثر الصياح وقد ارتبت بذلك ائتونى به فاحضر عنده فاستدعى حجاما آخر وامره ان يحجمه بمشاريطه التى معه فامتنع الحجام الغريب فامسك وحجم فمات وتعجب الناس من فطنته فلما بلغ ذلك يوسف ازداد غيظه ولج فى السعى فى اذى يوصله اليه فاستمال قوما من اصحاب محمد فالوا اليه فارسل اليهم جرارا من عسل مسموم فحضروا عند محمد وقالوا قد وصل الينا قوم معهم جرار من عسل احسن ما يكون واردنا تحافك به واحضروها بين يديه فلما رآها امر باحضار خبز وامر اولئك الذين اهدوا اليه العسل ان يأكلوا منه فامتنعوا واستعفوه من اكله فلم يقبل منهم وقال من لم يأكل قتل بالسيف فاكلوا فماتوا عن آخرهم فكتب الى يوسف بن تاشفين انك قد اردت قتلى بكل وجه فلم يظفرك الله بذلك فكف عن شرك فقد اعطاك الله المغرب باسره ولم يعطنى غير هذا الجبل وهو فى بلادك كالشامة البيضاء فى الثور الاسود فلم تقنع بما اعطاك الله عز وجل فلما رأى يوسف ان سره قد انكشف وانه لا يمكنه فى امره شئ لحصانة جبله اعرض عنه وتركه

(ذكر ملك العرب مدينة سوسة واخذها منهم)

فى هذه السنة نقض ابن علوى ما بينه وبين تميم بن المعز بن باديس امير افريقية من العهد وسار فى جمع من عشيرته العرب فوصل الى مدينة سوسة من بلاد افريقية واهلها غارون لم يعلموا به فدخلها عنوة وجرى بينه وبين من بها من العسكر والعامة قتال قتل من الطائفتين جماعة وكثر القتل فى اصحابه والاسر وعلم انه لا يتم له مع تميم حال ففارقها وخرج منها الى حلته من الصحراء وكان بافريقية هذه السنة غلاء شديد وبقى

شرقية بلبيس ويحكم فى عربانها ويسومهم سوء العذاب بالقبض عليهم ووضعهم فى الزناجير ويتعاون على البعض منهم بالبعض الآخر وياخذ منهم الاموال والخيول والاباعر والاغنام ويفرض عليهم الفرض الزائدة ويمنعهم من التسلط على فلاحى البلاد ثم انه لما رجع من بلاد الانكليز وتعصب عليه البرديسى والعسكر واحاطوا به من كل جانب فاختفى منهم وهرب الى الوادى عند عشيرة البدوى فآووه واخفوه وكتم امره والبرديسى ومن معه يبالغون فى الفحص والتفتيش وبذل الاموال والرغائب لمن يدل عليه او ياتى به فلم يطمعوا فى شئ من ذلك ولم يفشوا سره وقيدوا بالطرق الموصلة له انفارا منهم تحرس الطريق من طارق ياتى على حين غفلة وهذا من العجائب حتى كان كثير من الناس يقولون انه يسحرهم او معه سر يسخرهم به فلما مات تفرق الجميع ولم يجتمعوا على احد بعده وذهبوا الى اماكنهم وبعضهم طلب من الباشا الامان واما مماليكه واتباعه فلم يفلحوا بعده وذهبوا الى الامراء القبليين فوجدوا طباعهم متنافرة عنهم ولم يحصل بينهم التئام ولا صفا كدر الفريقين من الآخر فانعزلوا عنهم الى أن جرى ماجرى من صلحهم مع الباشا واوقع بهم ما سيتلى عليك بعد ان شاء الله تعالى وبعد موت

كذلك الى سنة اربع وثمانين وصلحت احوال اهلها واخصبت البلاد ورخصت الاسعار واكثر اهلها الزرع

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة قطعت الحرامية الطريق على قفل كبير بولاية حلب فركب آقسنقر فى جماعة من عسكره وتبعهم ولم يزل حتى اخذهم وقتلهم فامنت الطرق بولايته وفيها ورد العميد الاغر ابو المحاسن عبد الجليل بن على الدهستانى الى بغداد عميدا وعزل اخوه كمال الملك على ماذكرناه وفيها درس الامام ابو بكر الشاشى فى المدرسة التى بناها تاج الملك مستوفى السلطان بباب ابرز من بغداد وهى المدرسة التاجية المشهورة وفيها احترقت منارة جامع حلب وفيها توفى الخطيب ابو عبد الله الحسين بن احمد بن عبد الواحد بن ابى الحديد السلمى خطيب دمشق فى ذى الحجة وفيها توفى احمد بن محمد بن صاعد بن محمد ابو نصر النيسابورى رئيسها ومولده سنة عشر واربعمائة وكان من العلماء وعاصم بن الحسن بن محمد بن على بن عاصم العاصمى البغدادى من اهل الكرخ كان ظريفا كيسا له شعر حسن فمنه

ماذا على متلون الاخلاق * لو زارنى فابثه اشواقى
وابوح بالشكوى اليه تذللا * وافض ختم الدمع من آماقى
فعساه يسمح بالوصال لمدنف * ذى لوعة وصبابة مشتاق
اسر الفؤاد ولم يرق لموثق * ماضره لو جاد بالاطلاق
ان كان قد لسبت عقارب صدغه * قلبى فان رضابه درياقى

وقال أيضا

فديت من ذبت شوقا من محبته * وصرت من هجره فوق الفراش لقا
سمعته يتغنى وهو مصطبح * افديه مصطبحا منه ومغتبقا
واخلفتك ابنة البكرى ما وعدت * واصبح الحبل منها واهيا خلقا

والصحيح انه توفى سنة ثلاث وثمانين وفيها فى جمادى الآخرة توفى الشريف ابو القاسم العلوى الدبوسى المدرس بالنظامية ببغداد وكان فاضلا فصيحا

(ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين واربعمائة)

(ذكر وفاة فخر الدولة ابى نصر بن جهير)

فى هذه السنة فى المحرم توفى فخر الدولة ابو نصر محمد بن محمد بن جهير الذى كان وزير الخليفة بمدينة الموصل ومولده بها سنة ثمان وتسعين وثلثمائة وتروج الى ابى العقارب شيخها ونظر فى املاك جارية قرواش المعروفة بسرهنك ثم خدم بركة بن المقلد حتى قبض على اخيه قرواش وحبسه ومضى بهدايا الى ملك الروم فاجتمع هو ورسول نصر الدولة ابن مروان فتقدم فخر الدولة عليه فنازعه رسول ابن مروان فقال فخر الدولة لملك الروم انا استحق التقدم عليه لان صاحبه يؤدى الخراج الى صاحبى فلما عاد الى قريش بن

المترجم بنحو الاربعين يوما وصلت نجدة الانكليز الى ثغر الاسكندرية وطلعوا اليه فبلغهم عند ذلك موت المذكور فلم يسهل بهم الرجوع فارسلوا رسلهم الى الجماعة المصريين ظانين أن فيهم أثر الهمة والنخوة يطلبونهم للحضور ويساعدهم الانكليز على ردهم لمملكتهم وأوطانهم وكان محمد على باشا حين ذاك بناحية قبلى يحاربهم فطلبهم للصلح معه وأرسل اليهم بعض فقهاء الازهر وخادعهم وثبطهم فقعدوا عن الحركة وجرى ماجرى على طائفة الانكليز كما سيتلى عليك خبره ثم عليهم بعد ذلك وكان أمر الله مفعولا (وكان للمترجم) ولوع ورغبة فى مطالعة الكتب خصوصا العلوم الغريبة مثل الجفريات والجغرافيا والاسطرنوميا والاحكام النجومية والمناظرات الفلكية وماتدل عليه من الحوادث الكونية ويعرف أيضا مواضع المنازل واسماءها وطبائعها والخمسة المتحيرة وحركات الثوابت ومواقعها كل ذلك بالنظر والمشاهدة والتلقى على طريقة العرب من غير مطالعة فى كتاب ولا حضور درس واذا طالع أحد بحضرته فى كتاب أو أسمعه ناضله مناضلة متضلع وناقشه مناقشة متطلع وله أيضا معرفة بالاشكال الرملية واستخراجات الضمائر بالقواعد الحرفية وكان له فى ذلك اصابات ومنها ما اخبرنى به بعض اتباعه انه لما وصل الى ثغر سكندرية راجعا من

بدران

بدران اراد القبض عليه فاستجار بابي الشداد وكانت عقيل تجير على امرائها وسار الى حلب فوزر لمعز الدولة ابي ثمال بن صالح ثم مضى الى ملطية ومنها الى ابن مروان فقال له كيف امنتني وقد فعلت برسولي ما فعلت عند ملك الروم فقال حملني على ذلك نصح صاحبي فاستوزره فعمر بلاده ووزر بعد نصر الدولة لولده ثم سار الى بغداد وولي وزارة الخليفة على ما ذكرناه وتولى اخذ ديار بكر من بني مروان على ما ذكرناه ايضا ثم أخذها منه السلطان فسار الى الموصل فتوفي بها

(ذكر نهب العرب البصرة)

وفي هذه السنة في جمادى الاولى نهب العرب البصرة نهبا قبيحا وسبب ذلك انه ورد الى بغداد في بعض السنين رجل اشقر من سواد النيل يدعي الادب والنجوم ويستجدي الناس فلقبه اهل بغداد تليا وكان نازلا في بعض الخانات فسرق ثيابا من الديباج وغيره واخفاها في حلفاء وسار بها فرآها الذين يحفظون الطريق فاخذوه من السفر اتهاما له وحملوه الى المقدم عليهم فاطلقه لحرمة العلم فسار الى أمير من امراء العرب من بني عامر وبلاده متاخمة الاحساء وقال له أنت تملك الارض وقد فعل اجدادك بالحاج كذا وكذا واوقعا لهم مشهورة مذكورة في التواريخ وحسن له نهب البصرة واخذها فجمع من العرب ما يزيد على عشرة آلاف مقاتل وقصد البصرة وبها العميد عصمة وليس معه من الجند الا اليسير لكون الدنيا آمنة من ذاعر ولان الناس في جنة من هيبة السلطان فخرج اليهم في أصحابه وحاربهم ولم يمكنهم من دخول البلد فاتاه من اخبره ان اهل البلد يريدون ان يسلموه الى العرب فخاف ففارقهم وقصد الجزيرة التي هي مكان القلعة بنهر معقل فلما علم أهل البلد بذلك فارقوا ديارهم وانصرفوا ودخل العرب حينئذ البصرة وقد قويت نفوسهم وملكوها ونهبوا ما فيها نهبا شنيعا فكانوا ينهبون نهارا واصحاب العميد عصمة ينهبون ليلا وأحرقوا مواضع عدة وفي جملة ما أحرقوا داران للكتب احداهما وقفت قبل ايام عضد الدولة بن بويه فقال عضد الدولة هذه مكرمة سبقنا اليها وهي أول دار وقفت في الاسلام والاخرى وقفها الوزير أبو منصور بن شاه مردان وكان بها نفائس الكتب واعيانها واحرقوا أيضا النحاسين وغيرها من الاماكن وخربت وقوف البصرة التي لم يكن لها نظير من جملتها وقوف على الجمال الدائرة على شاطئ دجلة وعلى الدواليب التي تحمل الماء وترقيه الى قني الرصاص الجارية الى المصانع وهي على فراسخ من البلد وهي من عمل محمد بن سليمان الهاشمي وغيره وكان فعل العرب بالبصرة أول خرق جرى في أيام السلطان ملكشاه فلما فعلوا ذلك وبلغ الخبر الى بغداد انحدر سعد الدولة كوهرائين وسيف الدولة صدقة بن مزيد الى البصرة لاصلاح امورها فوجدوا العرب قد فارقوها ثم ان تليا اخذ بالبحرين وارسل الى السلطان فشهره ببغداد سنة اربع وثمانين على جمل وعلى راسه طرطور وهو يصفع بالدرة والناس يشتمونه ويسبونه ثم امر به فصلب

بلاد الانكليز رسم شكلا وتامل فيه وقطب وجهه ثم قال اني ارى حادثا في ٧٠ طريقنا وربما اني افترق منكم واغيب عنكم نحو اربعين يوما فلذلك احب ان يخفي امره وياتي على حين غفلة وكان البرديسي قد اقام بالثغر رقيبا يوصل خبر وروده فلما وصل ارسل ذلك الرقيب ساعيا في الحال وكان ما ذكرناه في سياق التاريخ من غدرهم او قتلهم حسين بك ابو شاش بالبر الغربي وهروب بشتك بك من القصر وارسال العسكر لملاقاة المترجم على حين غفلة ليقتلوه وهروبه واختفاؤه ثم ظهوره واجتماعهم عليه بعد انقضاء تلك المدة او قريب منها وكان رحمه الله اذا سمع بانسان فيه معرفة بمثل هذه الاشياء احضره ومارسه فيها فان راى فيه فائدة او مزية اكرمه وواساه وصاحبه وقربه اليه وادناه وكان له مع جلسائه مباسطة مع الحشمة والترفع عن الهذيان والمجون وكان غالب اقامته بقصوره التي عمرها خارج مصر وهو القصر الكبير بمصر القديمة تجاه المقياس بشاطئ النيل والقصر الآخر الكائن بالقرب من زاوية الدمرداش والقصر الذي بجانب قنطرة المغربي على الخليج الناصري وكان اذا خرج من داره لبعض تلك القصور لا يمر من وسط المدينة واذا رجع كذلك فسئل عن سبب ذلك فقال استحي ان امر من وسط الاسواق واهل الحوانيت والمارة

*(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة قدم الامام ابو عبد الله الطبرى بغداد فى المحرم بمنشور من نظام الملك بتوليته تدريس المدرسة النظامية ثم ورد بعده فى شهر ربيع الآخر من السنة ابو محمد عبد الوهاب الشيرازى وهو ايضا معه منشور بالتدريس فاستقر أن يدرس يوما والطبرى يوما

(ثم دخلت سنة اربع وثمانين واربعمائة)

(ذكر عزل الوزير ابى شجاع ووزارة عميد الدولة بن جهير)

فى هذه السنة فى ربيع الاول عزل الوزير ابو شجاع من وزارة الخليفة وكان سبب عزله ان انسانا يهوديا ببغداد يقال له ابو سعد بن سمحا كان وكيل السلطان ونظام الملك فلقيه انسان يبيع الحصر فصفعه صفعة ازالت عمامته عن راسه فاخذ الرجل وحمل الى الديوان وسئل عن السبب فى فعله فقال هو وضعنى على نفسه فسار كوهرائين ومعه ابن سمحا اليهودى الى العسكر يشكيان وكانا متفقين على الشكاية من الوزير ابى شجاع فلما سارا اخرج توقيع الخليفة بالزام اهل الذمة بالغيار ولبس ما شرط عليهم امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فهربوا كل مهرب واسلم بعضهم فممن اسلم ابو سعد العلاء بن الحسن بن وهب بن موصلايا الكاتب وابن اخيه ابو نصر هبة الله ابن الحسن بن على صاحب الخبر اسلما على يدى الخليفة ونقل ايضا عنه الى السلطان ونظام الملك انه يكسر اغراضهم ويقبح افعالهم حتى انه لما ورد الخبر بفتح السلطان سمرقند قال وما هذا مما يبشر به كانه قد فتح بلاد الروم هل أتى الا الى قوم مسلمين موحدين فاستباح منهم ما لا يستباح من المشركين فلما وصل كوهرائين وابن سمحا الى العسكر وشكيا من الوزير الى السلطان ونظام الملك واخبراهما بجميع ما يقول عنهما ويكسر من اغراضهما ارسلا الى الخليفة فى عزله فعزله وامره بلزوم بيته وكان عزله يوم الخميس فلما أمر بذلك انشد

تولاها وليس له عدوّ * وفارقها وليس له صديق

فلما كان الغد يوم الجمعة خرج من داره الى الجامع راجلا واجتمع الخلق العظيم عليه فامر ان لا يخرج من بيته ولما عزل استنيب فى الوزارة ابو سعد بن موصلايا كاتب الانشاء وارسل الخليفة الى السلطان ونظام الملك يستدعى عميد الدولة بن جهير ليستوزره فسير اليه فاستوزره فى ذى الحجة من هذه السنة وركب اليه نظام الملك فهناه بالوزارة فى داره واكثر الشعراء تهنئته بالعود الى الوزارة

(ذكر ملك امير المسلمين بلاد الاندلس التى للمسلمين)

فى هذه السنة فى رجب ملك امير المسلمين يوسف بن تاشفين صاحب بلاد المغرب من بلاد الاندلس ما هو بيد المسلمين قرطبة واشبيلية وقبض على المعتمد بن عباد صاحبها وملك غيرها من الاندلس ولقد جرى للرشيد بن المعتمد حادثة شبيهة بحادثة الامين محمد بن

هرون

ينظرون الى وافر جهم على نفسى * وللمترجم اخبار وسير ووقائع لو سطرت لكانت سيرة مستقلة خصوصا وقائعه وسياحته ثلاث سنوات وثلاثة اشهر ايام اقام الفرنساوية بالقطر المصرى ورحلته بعد ذلك الى بلاد الانكليز وغيابه بها سنة وشهورا وقد تهذبت اخلاقه بما اطلع عليه من عمارة بلادهم وحسن سياسة احكامهم وكثرة اموالهم ورفاهيتهم وصنائعهم وعدلهم فى رعيتهم مع كفرهم بحيث لا يوجد فيهم فقير ولا مستجد ولا ذو فاقة ولا محتاج وقد اهدوا له هدايا وجواهر وآلات فلكية واشكال هندسية واسطرلابات وكرات ونظارات وفيها ما اذا نظر الانسان فيها فى الظلمة يرى اعيان الاشكال كما يراها فى النور ومنها المخصوص للنظر فى الكواكب فيرى بها الانسان الكوكب الصغير عظيم الجرم وحوله عدة كواكب لا تدرك بالبصر الحديد ومن انواع الاسلحة الحربية اشياء كثيرة واهدوا له آلة موسيقى تشبه الصندوق بداخله اشكال تدور بحركات فيظهر منها اصوات مطربة على ايقاع الانغام وضروب الالحان وبها نشانات وعلامات لتبديل الانغام بحسب ما يشتهى السامع الى غير ذلك نهب ذلك جميعه العسكر الذين أرسلهم اليه البرديسى ليقتلوه وطفقوا يبيعونه فى اسواق البلدة واغلبه تكسر وتلف وتبدد (واخبرنى) بعض

هرون الرشيد قال أبو بكر عيسى بن اللبانة الدانى من مدينة دانية كنت يوما عند الرشيد ابن المعتمد فى مجلس أنسه سنة ثلاث وثمانين واربعمائة فجرى ذكر غرناطة وملك امير المسلمين لها وقد ذكرنا أخذها فى وقعة الزلاقة فلما ذكرناها فجع وتلهف واسترجع وذكر قصرها فدعونا لقصره بالدوام ولملكه بتراخى الايام فامر عند ذلك أبا بكر الاشبيلى بالغناء فغنى

يا دارمية بالعلياء فالسند * أقوت وطال عليها سالف الابد

فاستحالت مسرته وتجهمت أسرته ثم أمر بالغناء من ستارته فغنى

ان شئت ان لا ترى صبرا لمصطبر * فانظر الى أى حال اصبح الطلل

فتأكد تطيره واشتد ربدا وجهه وتغيره وامر مغنية اخرى بالغناء فغنت

يالهف نفسى على مال افرقه * على المقلين من اهل المروآت

ان اعتذارى الى من جاء يسألنى * ماليس عندى من احدى المصيبات

قال ابن اللبانة فتلافيت الحال بان قمت فقلت

محل مكرمة لا هد مبناه * وشمل مأثرة لا شتته الله

البيت كالبيت لكن زاد ذا شرفا * ان الرشيد مع المعتد ركناه

ثاوٍ على أنجم الجوزاء مقعده * وراحل فى سبيل الله مثواه

حتم على الملك ان يقوى وقد وصلت * بالشرق والغرب يمناه ويسراه

باس توقد فاحمرت لواحظه * ونائل شب فاخضرت عذاراه

فلعمرى قد بسطت من نفسه واعدت عليه بعض انسه على انى وقعت فيما وقع فيه الكل بقولى البيت كالبيت وامر اثر ذلك بالغناء فغنى

ولما قضينا من منى كل حاجة * ولم يبق الا أن تزم الركائب

فايقنا ان هذه الطير تعقب الغير فلما اراد امير المسلمين ملك الاندلس سار من مراكش الى سبتة وأقام بها وسير العساكر مع سير بن أبى بكر وغيره الى الاندلس فعبروا الخليج فاتوا مدينة مرسية فملكوها واعمالها واخرجوا صاحبها أبا عبد الرحمن بن طاهر منها وساروا الى مدينة شاطبة ومدينة دانية فملكوهما وكانت بلنسية قد ملكها الفرنج قديما بعد ان حصروها سبع سنين فلما سمعوا بوقعة الزلاقة فارقوها فملكها المسلمون أيضا وعمروها وسكنوها فصارت الآن للمرابطين وكانوا قد ملكوا غرناطة نوبة الزلاقة فقصدوا مدينة اشبيلية وبها صاحبها المعتمد بن عباد فحصروه بها وضيقوا عليه فقاتل أهلها قتالا شديدا وظهر من شجاعة المعتمد وشدة باسه وحسن دفاعه عن بلده ما لم يشاهد من غيره ما يقاربه فكان يلقى نفسه فى المواقف التى لا يرجى خلاصه منها فيسلم بشجاعته وشدة نفسه ولكن اذا انفدت المدة لم تغن العدة وكانت الفرنج قد سمعوا بقصد عساكر المرابطين بلاد الاندلس فخافوا ان يملكوها ثم يقصدوا بلادهم فجمعوا فاكثروا وساروا ليساعدوا المعتمد ويعينوه على المرابطين فسمع سير بن أبى بكر مقدم المرابطين بسيرهم ففارق اشبيلية وتوجه الى لقاء الفرنج فلقيهم وقاتلهم وهزمهم وعاد الى

ثم خرج لملاقاته عنده خوف العليا انه لما طلع اليها وقابله سليمان بك البواب أخلى له الحمام فى ثلث الليلة وكان قد بلغه كافة افعاله بالمنوفية من العسف والتكاليف وكذا باقى اخوانه وافعالهم بالاقاليم فكان مسامرتهم معه تلك الليلة فى ذكر العدالة الموجبة لعمار البلاد ويقول لسليمان بك فى التمثيل الانسان الذى يكون له ماشية يقتات هو وعياله من لبنها وسمنها وجبنها يلزمه أن يرفق بها فى العلف حتى تدر وتسمن وتنتج له النتاج بخلاف ما اذا أجاعها واجحفها واتعبها واشقاها واضعفها حتى اذا ذبحها لا يجد بها لحما ولا دهنا فقال هذا ما اعتدناه وربينا عليه فقال ان اعطانى الله سيادة مصر والامارة فى هذا القطر لامنعن هذه الوقائع واجرى فيه العدل ليكثر خيره وتعمر بلاده وترتاح اهله ويكون احسن بلاد الله ولكن الاقليم المصرى ليس له بخت ولا سعد واهله تراهم مختلفين فى الاجناس متنافرى القلوب منحرفى الطباع فلم يمض على هذا الكلام الا بقية الليل وساعات من النهار حتى احاطوا به وفر هاربا ونجا بنفسه وجرى ما تقدم ذكره من اختفائه وظهوره وانتقاله الى الجهة القبلية واجتماع الجيوش عليه وحكمت عليه الصورة التى ظهر فيها وحصل له ما حصل (واخبرنى) من اجتمع عليه فى البحيرة وسامره فقال يا فلان والله يخيل لى ان اقتل نفسى

اشبيلية فحصرها ولم يزل الحصار دائما والقتال مستمرا الى العشرين من رجب من هذه السنة فعظم الحرب ذلك اليوم واشتد الامر على أهل البلد ودخله المرابطون من واديه ونهب جميع مافيه ولم يبقوا على سبد ولا لبد وسلبوا الناس ثيابهم فخرجوا من مساكنهم يسترون عوراتهم بايديهم وسبي المخدرات وانتهكت الحرمات فاخذ المعتمد أسيرا ومعه أولاده الذكور والاناث بعد ان استاصلوا جميع مالهم فلم يصحبهم من ملكهم بلغة زاد وقيل ان المعتمد سلم البلد بامان وكتب نسخة الامان والعهد واستحلفهم به لنفسه وأهله وماله وعبيده وجميع ما يتعلق باسبابه فلما سلم اليهم اشبيلية لم يفوا له وأخذوهم أسراء ومالهم غنيمة وسير المعتمد وأهله الى مدينة اغمات فحبسوا فيها وفعل أمير المسلمين بهم أفعالا لم يسلكها احد ممن قبله ولا يفعلها أحد ممن ياتي بعده الا من رضي لنفسه بهذه الرذيلة وذلك أنه سجنهم فلم يجر عليهم ما يقوم بهم حتى كان بنات المعتمد يغزلن للناس باجرة ينفقونها على أنفسهم وذكر ذلك المعتمد في أبيات ترد عند ذكر وفاته فابان أمير المسلمين بهذا الفعل عن صغر نفس ولؤم قدرة وهذه اغمات مدينة في سفح جبل بالقرب من مراكش وسيرد من ذكر المعتمد عند موته سنة ثمان وثمانين ما يعرف به محله قال أبو بكر بن اللبانة زرت المعتمد بعد أسره باغمات وقلت أبيات عند دخولي اليه منها

لم أقل في الثقاف كان ثقافا * كنت قلبا به وكان شغافا
يمكث الزهر في الكمام ولكن * بعد مكث الكمام يدنو قطافا
واذا ما الهلال غاب بغيم * لم يكن ذلك المغيب انكسافا
انما أنت درة للمعالي * ركب الدهر فوقها اصدافا
حجب البيت منك شخصا كريما * مثل ما تحجب الدنان السلافا
أنت للفضل كعبة ولو اني * كنت استطيع لالتزمت الطوافا

قال وجرت بيني وبينه مخاطبات ألذ من غفلات الرقيب وأشهى من رشفات الحبيب وأدل على السماح من فجر على صباح ولما أخذ المعتمد وأهله قتل ولداه الفتح ويزيد بين يديه صبرا فقال في ذلك

يقولون صبرا لا سبيل الى الصبر * سابكي وأبكي ما تطاول من عمري
أفتح لقد فتحت لي باب رحمة * كما بيزيد الله قد زاد في أجري
هوى بكما المقدار عني ولم أمت * فادعى وفيا قد نكصت الى الغدر
ولو عدتما لاخترتما العود في الثرى * اذا أنتما أبصرتماني في الاسر
أبا خالد أورثتني البث خالدا * أبا نصر مذ ودعت ودعني نصري

وكان المعتمد يكاتبه فضلاء البلاد وهو محبوس بالنثر والنظم يتوجعون له ويذمون الزمان وأهله حيث مثله منكوب فمن ذلك ماقاله عبد الجبار بن أبي بكر بن حمديس وكتبه اليه يذكر مسيرهم عن اشبيلية الى أغمات

جرى لك جد بالكرام عثور * وجار زمان كنت منه تجير

والكن لاتهون على وقد صرت الآن واحدا بين الوف من الاعداء وهؤلاء قومي وعشيرتي فعلوا بي ما فعلوا وتجنبوني وعادوني من غير جرم ولا ذنب سبق مني في حقهم واشقوني واشقوا انفسهم وملكوا البلاد لاعدائي واعدائهم وسعيت واجتهدت في مراضاتهم ومصالحتهم والنصح لهم فلم يزدهم ذلك الا نفورا وتباعدا عني ثم هذه الجنود ورئيسهم الذين ولجوا البلاد وذاقوا حلاوتها وشبعوا بعد جوعهم وترفهوا بعد ذلهم يحيشون علي ويحاربوني ويكيدوني ويقاتلوني ثم ان هؤلاء العربان المجتمعين على اصانعهم واسوسهم واغاضبهم واراضيهم وكذلك جندي ومماليكي وكل منهم يطلب مني رياسة وامارة ويظنون بغفلتهم ان البلاد تحت حكمي ويظنون اني مقصر في حقهم فتارة اعاملهم باللطف وتارة ازجرهم بالعنف فانا بين الكل مثل الفريسة والجميع حولي مثل الكلاب الجياع يريدون نهشي واكلي وليس بيدي كنوز قارون فانفق على هؤلاء الجموع منها فيضطرني الحال الى التعدي على عباد الله واخذ أموالهم واكل مزارعهم ومواشيهم فان قدر الله لي بالظفر عوضت عليهم ذلك ورفقت بحالهم وان كانت الاخرى فالله يلطف بنا وبهم ولابد ان يترحموا علينا ويسترضوا عن ظلمنا وجورنا بالنسبة لما يحل بهم بعدنا

لقد اصبحت بيض الظبا في غمودها * اناثا لترك الضرب وهي ذكور
ولما رحلتم بالندى في أكفكم * وقلقل رضوى منكم وثبير
رفعت لساني بالقيامة قد أتت * الا فانظروا كيف الجبال تسير

وقال شاعره ابن اللبانة في حادثته أيضا

تبكي السماء بدمع رائح غادي * على البها ليل من أبناء عباد
على الجبال التي هدت قواعدها * وكانت الارض منها تحت أوتاد
عريسة دخلتها النائبات على * اساود منهم فيها وآساد
وكعبة كانت الآمال تعمرها * فاليوم لا عاكف فيها ولا بادي

ولما استقصى عسكر أمير المسلمين ملوك الاندلس وأخذ بلادهم جمع ملوكهم وسيرهم الى بلاد الغرب وفرقهم فيها ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة اهلها اذلة ولما فرغ سير من اشبيلية سار الى المرية فنازلها وكان صاحبها محمد بن معن بن صمادح فقال لولده مادام المعتمد باشبيلية فلا نبالي بالمرابطين فلما سمع بملكهم لها وماجرى للمعتمد مات في تلك الايام غما وكمدا فلما مات سار ولده الحاجب واهله في مراكب ومعهم كل مالهم وقصدوا بلاد بني حماد فاحسنوا اليهم وكان عمر بن الافطس صاحب بطليوس ممن اعان سيرا على المعتمد فلما فتحت اشبيلية رجع ابن الافطس الى بلده فسار اليه سير وحاربه فغلبه واخذ بلده منه واخذه اسيرا هو وولده الفضل فقتلهما فقال عمر حين اراد واقتله قدموا ولدي قبلي للقتل ليكون في صحيفتي فقتل ولده قبله وقتل هو بعده واحتوى سير على ذخائرهم واموالهم ولم يترك من ملوك الاندلس سوى بني هود فانه لم يقصد بلادهم وهي شرق الاندلس وكان صاحبها حينئذ المستعين بالله بن هود وهو من الشجعان الذين يضرب المثل بهم وكان قد اعد كل مايحتاج اليه في الحصار وترك عنده مايكفيه عدة سنين بمدينة روطة وكانت قلعة حصينة وكانت رعيته تخافه ولم يزل يهادي امير المسلمين قبل ان يقصد بلاد الاندلس ويملكها ويواصله ويكثر مراسلته فرعي له ذلك حتى انه اوصى ابنه علي بن يوسف عند موته بترك التعرض لبلاد بني هود وقال اتركهم بينك وبين العدو فانهم شجعان

(ذكر ملك الفرنج جزيرة صقلية)

في هذه السنة استولى الفرنج لعنهم الله على جميع جزيرة صقلية اعادها الله تعالى الى الاسلام والمسلمين وسبب ذلك ان صقلية كان الامير عليها سنة ثمان وثمانين وثلثمائة ابا الفتوح يوسف بن عبد الله بن محمد بن ابي الحسين ولاه عليها العزيز العلوي صاحب مصر وافريقية فاصابه هذه السنة فالج فتعطل جانبه الايسر وضعف الجانب الايمن فاستناب ابنه جعفرا فبقي كذلك ضابطا للبلاد حسن السيرة في اهلها الى سنة خمس واربعمائة فخالف عليه اخوه علي واعانه جمع من البربر والعبيد فاخرج اليه اخوه جعفر جندا من المدينة فاقتتلوا سابع شعبان وقتل من البربر والعبيد خلق كثير

(وبالجملة) فكان آخر من ادركنا من الامراء المصريين شهامة وصرامة ونظرا في عواقب الامور وكان وحيدا في نفسه فريدا في ابناء جنسه وبموته اضمحلت دولتهم وتفرقت جمعيتهم وانكسرت شوكتهم وزادت نفرتهم ومازالوا في نقص وادبار وذلة وهوان وصغار ولم تقم لهم بعده راية وانقرضوا وطردوا الى اقصى البلاد في النهاية * واما مماليكه وصناجقه فانهم تركوا نصيحته ونسوا وصيته وانضموا الى عدوهم وصادقوه ولم يزل بهم حتى قتلهم وابادهم عن آخرهم كما سيتلى عليك خبر ذلك فيما بعد (وكانت) صفة المترجم معتدل القامة ابيض اللون مشربا بحمرة جميل الصورة مدور اللحية أشقر الشعر قد وخطه الشيب مليح العينين مقرون الحاجبين معجبا بنفسه مترفها في زيه وملبسه كثير الفكر كتوما لا يبيح بسر ولا لاعز أحبابه الا انه لم يسعفه الدهر وجنى عليه بالقهر وخاب أمله وانقضى أجله وخانه الزمان وذهب في خبر كان ومات وله من العمر نحو الخمسة والخمسين سنة غفر الله له * ومات الامير عثمان بك البرديسي المرادي وسمي البرديسي لانه تولى كشوفية برديس بقبلي فعرف بذلك واشتهر به تقلد الامرية والصنجقية في سنة عشر ومائتين والف وتزوج ببنت احمد كتخدا علي وهي اخت علي كاشف الشرقية وعمل لها مهما وذلك قبل ان

وهرب من بقى منهم واخذ على اسير افقتله اخوه جعفر وعظم قتله على ابيه فكان بين
خروجه وقتله ثمانية ايام وامر جعفر حينئذ ان ينفى كل بربرى بالجزيرة فنفوا الى افريقية
وامر بقتل العبيد فقتلوا عن آخرهم وجعل جنده كلهم من اهل صقلية فقل العسكر
بالجزيرة وطمع اهل الجزيرة فى الامراء فلم يمض الا يسير حتى ثار به اهل صقلية واخرجوه
وخلعوه وارادوا قتله وسبب ذلك انه ولى عليهم انسانا صادرهم واخذ الاعشار من
غلاتهم واستخف بقوادهم وشيوخ البلد وقهر جعفر اخوته واستطال عليهم فلم يشعر
الا وقد زحف اليه اهل البلد كبيرهم وصغيرهم فحصروه فى قصره فى المحرم سنة عشر
واربعمائة واشرفوا على اخذه فخرج اليهم ابوه يوسف فى محفة وكانوا له محبين فلاطف
بهم ورفق فبكوا رحمة له من مرضه وذكروا له ما احدث ابنه عليهم وطلبوا ان يستعمل
ابنه احمد المعروف بالاكحل ففعل ذلك وخاف يوسف على ابنه جعفر منهم فسيره فى مركب
الى مصر وسار ابوه يوسف بعده ومعهما من الاموال ستمائة الف دينار وسبعون الفا
وكان ليوسف من الدواب ثلاثة عشر الف حجرة سوى البغال وغيرها ومات بمصر وليس
له الا دابة واحدة ولما ولى الاكحل اخذ امره بالحزم والاجتهاد وجمع المقاتلة وبث
سراياه فى بلاد الكفرة فكانوا يحرقون ويغنمون ويسبون ويخربون البلاد واطاعه
جميع قلاع صقلية التى للمسلمين وكان للاكحل ابن اسمه جعفر كان يستنيبه اذا سافر
فى سيرة ابيه ثم ان الاكحل جمع اهل صقلية وقال احب ان اشليكم على الافريقيين
الذين قد شاركوكم فى بلادكم والراى اخراجهم فقالوا قد صاهرناهم وصرنا شيئا واحدا
نصرفهم ثم ارسل الى الافريقيين فقال لهم مثل ذلك فاجابوه الى ما اراد فجمعهم حوله
فكان يحمى املاكهم وياخذ الخراج من املاك اهل صقلية فسار من اهل صقلية
جماعة الى المعز بن باديس وشكوا اليه ما حل بهم وقالوا نحب ان نكون فى طاعتك
والا سلمنا البلاد الى الروم وذلك سنة سبع وعشرين واربعمائة فسير معهم ولده عبد الله
فى عسكر فدخل المدينة وحصر الاكحل فى الخالصة ثم اختلف اهل صقلية واراد
بعضهم نصرة الاكحل فقتله الذين احضروا عبد الله بن المعز ثم ان الصقليين رجع
بعضهم على بعض وقالوا ادخلتم غيركم عليكم والله لا كانت عاقبة امركم فيه الى خير فعزموا
على حرب عسكر المعز فاجتمعوا وزحفوا اليهم فاقتتلوا فانهزم عسكر المعز وقتل منهم
ثمانمائة رجل ورجعوا فى المراكب الى افريقية وولى اهل الجزيرة عليهم حسنا
الصمصام اخا الاكحل فاضطربت احوالهم واستولى الاراذل وانفرد كل انسان
ببلد واخرجوا الصمصام فانفرد القائد عبد الله بن منكوت بمازر وطرابنش وغيرهما
وانفرد القائد على بن نعمة المعروف بابن الحواس بقصريانة وجرجنت وغيرهما
وانفرد ابن الثمنة بمدينة سرقوسة وقطانية وتزوج باخت ابن الحواس ثم انه جرى بينها
وبين زوجها كلام اغلظ كل منهما لصاحبه وهو سكران فامر ابن الثمنة بفصدها فى
عضديها وتركها تموت فسمع ولده ابراهيم فحضر واحضر الاطباء وعالجها الى ان عادت
قوتها ولما اصبح ابوه ندم واعتذر اليها بالسكر فاظهرت قبول عذره ثم انها طلبت منه بعد

يتقلد الصنجقية وسكن بندار على كتخدا الطويل بالازبكية واشتهر ذكره وصار معدودا من جملة الامراء ولما قتل
عثمان بك البرديسى المرادى
بساحل ابو قير ورجع من
رجع الى قبلى كان الالفى
هو المتعين بالرياسة على
المرادية فلما سافر الالفى
الى بلاد الانكليز تعين المترجم
بالرياسة على خشداشينه مع
مشاركة بشتك بك الذى
عرف بالالفى الصغير فلما
حضروا الى مصر فى سنة ثمان
عشرة بعد خروج محمد باشا
خسرو وقتل طاهر باشا
انضم اليه محمد على باشا وكان
اذذاك سرششمة العساكر
وتواخى معه وصادقه ومرح
فى ميدان غفلته وتحالفا
وتعاهدا وتعاقدا على المحبة
والمصافاة وعدم خيانة احدهما
للآخر وان يكون محمد على
باشا وعساكره الاروام اتباعا
له وهو الامير المتبوع فانتفخ
جاشه لانه كان طائش العقل
مقتبل الشبيبة فاغتر بظاهر
محمد على باشا لانه حين عمل
شغله فى مخدومه محمد باشا
وبعده طاهر باشا دعا الامراء
المصريين وادخلهم الى
مصر وانتسب الى ابراهيم
بك الكبير لكونه رئيس
القوم وكبيرهم وعين لابراهيم
بك خرجا وعلوفة مثل اتباعه
وسبره واختبره فلم ترج سلعته
عليه ووجده حريصا على دوام
التراحم والالفة والمحبة وعدم
التفاشل فى عشيرته وابناء جنسه متحرزا من وقوع ما يوجب التقاطع والتنافر فى قبيلته فلما أيس منه مال

مدة

مدة ان تزور أخاها فاذن لها وسير معها التحف والهدايا فلما وصلت ذكرت لاخيها ما فعل
بها فخاف انه لا يعيدها اليه فارسل ابن الثمنة يطلبها فلم يردها اليه فجمع ابن الثمنة
عسكره وكان قد استولى على أكثر الجزيرة وخطب له بالمدينة وسار وحصر ابن الحواس
بقصريانة فخرج اليه فقاتله فانهزم ابن الثمنة وتبعه الى قرب مدينة قطانية وعاد عنه
بعد ان قتل من أصحابه فاكثر فلما رأى ابن الثمنة ان عساكره قد تمزقت سولت له نفسه
الانتصار بالكفار لما يريده الله تعالى فسار الى مدينة مالطة وهي بيد الفرنج قد ملكوها
لما خرج بردويل الفرنجي الذي تقدم ذكره سنة اثنتين وسبعين وثلثمائة واستوطنها
الفرنج الى الآن وكان ملكها حينئذ رجار الفرنجي في جمع الفرنج فوصل اليهم ابن
الثمنة وقال انا املككم الجزيرة فقالوا ان فيها جندا كثيرا ولا طاقة لنا بهم فقال انهم
مختلفون واكثرهم يسمع قولي ولا يخالفون أمري فساروا معه في رجب سنة اربع
واربعين واربعمائة فلم يلقوا من يدافعهم فاستولوا على ما مروا به في طريقهم وقصد
بهم الى قصريانة فحصروها فخرج اليهم ابن الحواس فقاتلهم فهزمه الفرنج فرجع
الى الحصن فرحلوا عنه وساروا في الجزيرة واستولوا على مواضع كثيرة وفارقها كثير
من اهلها من العلماء والصالحين وسار جماعة من اهل صقلية الى المعز بن باديس
وذكروا له ما الناس فيه بالجزيرة من الخلف وغلبة الفرنج على كثير منها فعمر اسطولا
كبيرا وشحنه بالرجال والعدد وكان الزمان شتاء فساروا الى قوصرة فهاج عليهم البحر
فغرق أكثرهم ولم ينج الا القليل وكان ذهاب هذا الاسطول مما أضعف المعز وقوى عليه
العرب حتى اخذوا البلاد منه فملك حينئذ الفرنج أكثر البلاد على مهل وتؤدة لا يمنعهم
أحد واشتغل صاحب افريقية بما دهمه من العرب ومات المعز سنة ثلاث وخمسين
واربعمائة وولي ابنه تميم فبعث أيضا اسطولا وعسكرا الى الجزيرة وقدم عليه ولديه
أيوب وعليا فوصلوا الى صقلية فنزل أيوب والعسكر المدينة ونزل علي جرجنت ثم انتقل
ايوب الى جرجنت فامر علي بن الحواس ان ينزل في قصره وارسل هدية كثيرة فلما اقام
ايوب فيها احبه أهلها فحسده ابن الحواس فكتب اليهم ليخرجوه فلم يفعلوا فسار اليه في
عسكره وقاتله فشد اهل جرجنت من ايوب وقاتلوا معه فبينما ابن الحواس يقاتل أتاه
سهم غرب فقتله فملك العسكر عليهم ايوب ثم وقع بعد ذلك بين اهل المدينة وبين عبيد
تميم فتنة ادت الى القتال ثم زاد الشر بينهم فاجتمع ايوب وعلي أخوه ورجعا في
الاسطول الى افريقية سنة احدى وستين وصحبهم جماعة من اعيان صقلية والاسطولية
ولم يبق للفرنج ممانع فاستولوا على الجزيرة ولم يثبت بين ايديهم غير قصريانة وجرجنت
فحصرهما الفرنج وضيقوا على المسلمين بهما فضاق الامر على اهلهما حتى أكلوا الميتة
ولم يبق عندهم ما يأكلونه فاما اهل جرجنت فسلموها الى الفرنج وبقيت قصريانة بعدها
ثلاث سنين فلما اشتد الامر عليهم اذعنوا الى التسليم فتسلمها الفرنج لعنهم الله سنة أربع
وثمانين واربعمائة وملك رجار جميع الجزيرة واسكنها الروم والفرنج مع المسلمين ولم
يترك لاحد من اهلها حماما ولا دكانا ولا طاحونا ومات رجار بعد ذلك قبل التسعين

عنه وانضم الى المترجم واستخفه واحتوى على عقله وصاحبه وصادقه وصار يختلي معه ويتعاقر معه الشراب ويسامره
ويسايره حتى باح له بما في
ضميره من الحقد لاخوانه
وتطلب الانفراد بالرياسة
فصار يقوي عزمه ويزيد في
اغرائه ويعده بالمعاونة
والمساعدة على اتمام قصده
ولم يزل به حتى رسخ في ذهن
المترجم نصحه وصدقه كل
ذلك توصلا لما هو كامن
في نفسه من اهلاك الجميع ثم
أشار عليه ببناء ابراج حول
داره التي سكن بها بالناصرية
فلما اتمها اسكن بها طائفة
من عساكره كانهم محافظون
لما عساه أن يكون ثم سار
معه الى حرب محمد باشا خسرو
بدمياط فحاربوه وأتوا به أسيرا
وحبسوه ثم فعلوا بالسيد علي
القبطان مثل ذلك ثم كائنة
علي باشا الطرابلسي وقتله
وقد تقدم خبر ذلك كله
وجميعه ينسب فعله للمصريين
ولم يبق الا الايقاع بينهم
فكان وصول الالفي عقب
ذلك فاوقعوا به وبجنده
ما تقدم ذكره وتفاشلوا
وتفرقوا بعد جمعهم وقلوا بعد
الكثرة ثم أشار على المترجم
المصادق الناصح بتفريق
أكثر الجمع الباقي في النواحي
والجهات البعض منهم لرصد
الالفي والقبض عليه وعلى
جنده والبعض الآخر لظلم
الفلاحين في البلاد ولم يبق
بالمدينة غير المترجم وابراهيم بك الكبير وبعض أمرائه فعند ذلك سلط محمد علي

والار بعمائة وملك بعده ولده وجار فسلك طريق ملوك المسلمين من الجنائب والحجاب والسلاحية والجاندارية وغير ذلك وخالف عادة الفرنج فانهم لا يعرفون شيئا منه وجعل له ديوان المظالم ترفع اليه شكوى المظلومين فينصفهم ولو من ولده واكرم المسلمين وقربهم ومنع عنهم الفرنج فاحبوه وعمر اسطولا كبيرا وملك الجزائر التى بين المهدية وصقلية مثل مالطة وقوصرة وجربة وقرقنة وتطاول الى سواحل افريقية فكان منه ما نذكره ان شاء الله

(ذكر وصول السلطان الى بغداد)

فى هذه السنة فى شهر رمضان وصل السلطان الى بغداد وهى المرة الثانية ونزل بدار المملكة ونزل أصحابه متفرقين ووصل اليه أخوه تاج الدولة تتش وقسيم الدولة آقسنقر صاحب حلب وغيرهما من زعماء الاطراف وعمل الميلاد ببغداد وتانقوا فى عمله فذكر الناس انهم لم يروا ببغداد مثله ابدا واكثر الشعراء وصف تلك الليلة فممن قال المطرز

وكل نار على العشاق مضرمة * من نار قلبى اومن ليلة السذق
نار تجلت بها الظلماء واشتبهت * بسدفة الليل فيه غرة الفلق
وزارت الشمس فيها البدر واصطلحا * على الكواكب بعد الغيظ والحنق
مدت على الارض بسطا من جواهرها * ما بين مجتمع وار ومفترق
مثل المصابيح الا انها نزلت * من السماء بلا رجم ولا حرق
أعجب بنار ورضوان يسعرها * ومالك قائم منها على فرق
فى مجلس ضحكت روض الجنان له * لما جلى ثغره عن واضح يقق
وللشموع عيون كلما نظرت * تظلمت من يديها انجم الغسق
من كل مرهفة الاعطاف كالغصن الـ * ـمياد لكنه عار من الورق
انى لاعجب منها وهى وادعة * تبكى وعيشتها من ضربة العنق

وفى هذه المرة أمر بعمارة جامع السلطان فابتدئ فى عمارته فى المحرم سنة خمس وثمانين واربعمائة وعمل قبلته بهرام منجمه وجماعة من أصحاب الرصد وابتدأ بعده نظام الملك وتاج الملك والامراء الكبار بعمل دور لهم يسكنونها اذا قدموا بغداد فلم تطل مدتهم بعدها وتفرق شملهم بالموت والقتل وغير ذلك فى باقى سنتهم ولم تغن عنهم عساكرهم وما جمعوا شيئا فسبحان الدائم الذى لا يزول أمره

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة وصل ابن أبى هاشم من مكة مستغيثا من التركمان وفى آخرها مرض نظام الملك ببغداد فعالج نفسه بالصدقة فكان يجتمع بمدرسته من الفقراء والمساكين من لا يحصى وتصدق عنه الاعيان والامراء من عسكر السلطان فعوفى وأرسل له الخليفة خلعا نفيسة وفيها فى تاسع شعبان كان بالشام وكثير من البلاد زلازل كثيرة وكان أكثرها بالشام ففارق الناس مساكنهم وانهدم بانطاكية كثير من المساكن وهلك

العساكر بطلب علائفهم المنكسرة فعجزوا عنها فاراد المترجم أن يفرض على فقراء البلدة فرضة بعد أن استشار
الاخ النصوح وطافت
الكتاب فى الحارات والازقة
يكتبون اسماء الناس ودورهم
ففزعوا وصرخوا فى وجوه
العسكر فقالوا نحن ليس لنا
عندكم شئ ولا نرضى بذلك
وعلائفنا عند امرائكم ونحن
مساعدون لكم فعند ذلك
قاموا على ساق وخرجت نساء
الحارات وبايديهم الدفوف
يغنون ويقولون ايش تاخذ
من تفليسى يا برديسى
وصاروا يسخطون على
المصريين ويترضون عن
العسكر وفى الحال أحاطت
العسكر ببيوت الامراء ولم
يشعر البرديسى الا والعسكر
الذين اقامهم بالابراج التى
بناها حوله ليكونوا له عزا
ومنعة يضربون عليه
ويحاربونه ويريدون قتله
وتسلقوا عليه فلم يسع الجميع
الا الهروب والفرار وخرجوا
خروج الضب من الوجار
وذهب المترجم الى الصعيد
مذؤما مدحورا مذموما
مطرودا وجوزى مجازاة من
ينتصر بعدوه ويعول عليه
ويقص اجنحته برجليه
وكالباحث على حتفه بظلفه
والجادع بظفره مارن انفه
ولم يزل فى هياج وحروب كما
سطر فى السياق ولم ينتصر فى
معركة ولم يزل مصرا على
معاداة اخيه الالفى وحاقدا عليه وعلى اتباعه حريصا على زلاته واعظمها قضية القبودان وموسى باشا الى

تحتها عالم كثير وخرب من سورها تسعون برجا فأمر السلطان ملكشاه بعمارتها وفيها في شوال توفي أبو طاهر عبد الرحمن بن محمد بن علك الفقيه الشافعي وهو من رؤساء الفقهاء الشافعية وهو الذي تقدم ذكره في فتح سمرقند ومشى أرباب الدولة السلطانية كلهم في جنازته الا نظام الملك فانه اعتذر بعلو السن وأكثر البكاء عليه ودفن عند الشيخ أبي اسحق بباب أبرز وزار السلطان قبره وتوفي محمد بن عبد الله بن الحسين ابو بكر الناصح الحنفي قاضي الري وكان من أعيان الفقهاء الحنفية يميل الى الاعتزال وكان موته في رجب وفيها في شعبان توفي ابو الحسن علي بن الحسين بن طاوس المقرى بمدينة صور

(ثم دخلت سنة خمس وثمانين واربعمائة)

(ذكر الحرب بين المسلمين والفرنج بجيان)

في هذه السنة جمع اذفونش عساكره وجموعه وغزا بلاد جيان من الاندلس فلقيه المسلمون وقاتلوه واشتد الحرب فكانت الهزيمة اولا على المسلمين ثم ان الله تعالى ردلهم الكرة على الفرنج فهزموهم واكثروا القتل فيهم ولم ينج الا الاذفونش في نفر يسير وكانت هذه الوقعة من اشهر الوقائع بعد الزلاقة واكثر الشعراء ذكرها في اشعارهم

(ذكر استيلاء تتش على حمص وغيرها من ساحل الشام)

لما كان السلطان ببغداد قدم اليه اخوه تاج الدولة تتش من دمشق وقسيم الدولة آقسنقر من حلب وبوزان من الرها فلما اذن لهم السلطان في العود الى بلادهم امر قسيم الدولة وبوزان ان يسيرا مع عساكرهما في خدمة اخيه تاج الدولة حتى يستولي على ما للخليفة المستنصر العلوي بساحل الشام من البلاد ويسيروهم معه الى مصر ليملكها فساروا اجمعون الى الشام ونزل على حمص وبها ابن ملاعب صاحبها وكان الضرر به وباولاده عظيما على المسلمين فحصروا البلد وضيقوا على من به فملكه تاج الدولة واخذ ابن ملاعب وولديه وسار الى قلعة عرقة فملكها عنوة وسار الى قلعة افامية فملكها أيضا وكان بها خادم للمصري فنزل بالامان فامنه ثم سار الى طرابلس فنازلها فرأى صاحبها جلال الملك بن عمار جيشا لا يدفع الا بحيلة فارسل الى الامراء الذين مع تاج الدولة واطمعهم ليصلحوا حاله فلم ير فيهم مطمعا وكان مع قسيم الدولة آقسنقر وزير له اسمه زرين كمر فراسله ابن عمار فرأى عنده لينا فاتحفه واعطاه فسعى مع صاحبه قسيم الدولة في اصلاح حاله ليدفع عنه وحمل له ثلاثين الف دينار وتحفا بمثلها وعرض عليه المناشير التي بيده من السلطان بالبلد والتقدم الى النواب بتلك البلاد بمساعدته والشد معه والتحذير من محاربته فقال آقسنقر لتاج الدولة تتش لا اقاتل من هذه المناشير بيده فاغلظ له تاج الدولة وقال هل انت الا تابع لي فقال آقسنقر انا اتابعك الا في معصية السلطان ورحل من الغد عن موضعه فاضطر تاج الدولة الى الرحيل فرحل غضبان وعاد بوزان أيضا الى بلاده فانتقض هذا الامر

غير ذلك وكان ظالما غشوما طائشا سيئ التدبير وقد اوجده الله جل جلاله وجعله سببا لزوال عزهم ودولتهم واختلال أمرهم وخراب دورهم وهتك اعراضهم ومذلتهم وتشتيت جمعهم ولم يزل على خبثه حتى مرض ومات بمنفلوط ودفن هناك * ومات الامير بشتك بك وهو الملقب بالالفي الصغير وهو مملوك محمد بك الالفي الكبير أمره وجعله وكيلا عنه مدة غيابه في بلاد الانكليز وكان قبل ذلك سلحداره وامر كشافه ومماليكه وجنده بطاعته وامتثال أمره فلما حضر الامراء المصريون في سنة ثمان عشرة اقام هو بقصر مراد بك بالجيزة فلم يحسن السياسة وداخله الغرور واعجب بنفسه وشمخ على نظرائه وعلى اعمامه الذين هم خشداشون لاستاذه بل وعلى ابراهيم بك الكبير الذي هو بمنزلة جده وكان مراد بك الذي هو استاذ استاذه يراعي حقه ويتأدب معه ويقبل يده في مثل الاعياد ويقول هو اميرنا وكبيرنا وكذلك استاذ المترجم كان اذا دخل على ابراهيم بك قبل يده ولا يجلس بحضرته الا بعد أن يأذن له فلم يقتف المترجم في ذلك اسلافه بل سلك مسلك التعاظم والتكبر على الجميع واستعمل العسف في اموره مع الترفع على الجميع واذا عقدوا أمرا يبدونه حله أوحلوا شيئا يبدونه عقده فضاق لذلك خناق الجميع منه وكرهوه وكرهوا استاذه وكان هو من جملة اسباب

(ذكر ملك السلطان اليمن)

وكان ممن حضر أيضا عند السلطان ببغداد جبق أمير التركمان وهو صاحب قرميسين وغيرها فامره السلطان أن يسير هو وجماعة من امراء السلطان كانوا معه الى الحجاز واليمن ويكون أمرهم الى سعد الدولة كوهرائين ليفتحوا البلاد هنالك فاستعمل عليهم سعد الدولة أميرا اسمه ترشك فساروا حتى وردوا اليمن فاستولوا عليها وأساؤا السيرة فى أهلها ولم يتركوا فاحشة ولا سيئة الا ارتكبوها وملكوا عدن وظهر على ترشك الجدرى فتوفى فى سابع يوم من وصوله اليها وكان عمره سبعين سنة فعاد أصحابه الى بغداد وحملوه ودفنوه عند قبر أبى حنيفة رحمة الله عليه

(ذكر مقتل نظام الملك)

فى هذه السنة عاشر رمضان قتل نظام الملك أبو على الحسن بن على بن اسحق الوزير بالقرب من نهاوند وكان هو والسلطان فى اصبهان وقد عاد الى بغداد فلما كان بهذا المكان بعد ان فرغ من افطاره وخرج فى محفته الى خيمة حرمه اتاه صبى ديلمى من الباطنية فى صورة مستميح أو مستغيث فضربه بسكين كانت معه فقضى عليه وهرب فعثر بطنب خيمة فادركوه فقتلوه وركب السلطان الى خيمه فسكن عسكره وأصحابه وبقى وزير السلطان ثلاثين سنة سوى ما وزر للسلطان الب ارسلان صاحب خراسان أيام عمه طغرلبك قبل أن يتولى السلطنة وكان قد علت سنه فانه كان مولده سنة ثمان واربعمائة وكان سبب قتله ان عثمان بن جمال الملك بن نظام الملك كان قد ولاه جده نظام الملك رياسة مرو وأرسل السلطان اليها شحنة يقال له قودن وهو من أكبر مماليكه ومن أعظم الامراء فى دولته فجرى بينه وبين عثمان منازعة فى شئ فحملت عثمان حداثة سنه وعكنه وطمعه بجده على ان قبض عليه واخرق به ثم أطلقه فقصد السلطان مستغيثا شاكيا فارسل السلطان الى نظام الملك رسالة مع تاج الدولة ومجد الملك البلاسانى وغيرهما من أرباب دولته يقول له ان كنت شريكى فى الملك ويدك مع يدى فى السلطنة فلذلك حكم وان كنت نائبى وبحكمى فيجب ان تلزم حد التبعية والنيابة وهؤلاء أولادك قد استولى كل واحد منهم على كورة عظيمة وولى ولاية كبيرة ولم يقنعهم ذلك حتى تجاوزوا أمر السياسة وطمعوا الى ان فعلوا كذا وكذا وأطال القول وأرسل معهم الامير يلبرد وكان من خواصه وثقاته وقال له تعرفنى ما يقول فربما كتم هؤلاء شيئا فحضروا عند نظام الملك وأوردوا عليه الرسالة فقال لهم قولوا للسلطان ان كنت ما علمت انى شريكك فى الملك فاعلم فانك ما نلت هذا الامر الا بتدبيرى ورأيى أما يذكر حين قتل أبوه فقمت بتدبير أمره وقمعت الخوارج عليه من أهله وغيرهم منهم فلان وفلان وذكر جماعة من خرج عليه وهو ذلك الوقت يتمسك بى ويلزمنى ولا يخالفنى فلما قدت الامور اليه وجمعت الكلمة عليه وفتحت له الامصار القريبة والبعيدة وأطاعه القاصى والدانى أقبل يتجنى لى الذنوب ويسمع فى السعايات قولوا له عنى ان ثبات تلك القلنسوة معذوق

بنفورهم من استاذه وانحراف قلوبهم عنه فلما رجع استاذه وظهر من اختفائه وبلغه افعاله مقته وابعده ولم يزل ممقوتا عنده حتى مات مبطونا فى حياة استاذه بناحية قبلى فى تلك السنة *ومات غير هؤلاء ممن له ذكر مثل سليمان بك المعروف بابو دياب بناحية قبلى أيضا ومات أيضا أحمد بك المعروف بالهنداوى الالفى فى واقعة النخيلة ومات أيضا صالح بك الالفى وهو أيضا ممن تامر فى غياب استاذه وعند حضور أستاذه من بلاد الانكليز كان هو متوليا كشوفية الشرقية وغائبا هنالك فارسلوا له تجريدة ليقتلوه وكان بناحية شلشلمون فوصله الخبر فترك خيامه وأحماله وأثقاله وهرب واختفى فلما وقعت حادثة الامراء مع العسكر وخرجوا من مصر هاربين وظهر الالفى من الوادى ذهب اليه وامده بما معه من الاموال وذهب مع استاذه الى قبلى ولم يزل حتى مات أيضا فى هذه السنة وغير أولئك كثير لم تحضر فى اسماؤهم ولا وفاتهم

(ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين ومائتين والف)

وكان ابتداء المحرم يوم الاربعاء فيه وصل القابجى الذى على يده التقرير لمحمد على باشا على ولاية مصر وطلع الى بولاق (وفيه) وردت مكاتبات من الجهة القبلية فيها انهم كبسوا على عرضى الالفية وصحبتهم سليمان بك البواب وحاربوهم وهزموهم بهذه

بهذه الدواة وان اتفقا فهما رباط كل رغيبة وسبب كل غنيمة ومتى أطبقت هذه زالت تلك فان عزم على تغيير فليتزود للاحتياط قبل وقوعه وليأخذ الحذر من الحادث امام طروقه واطال فيما هذا سبيله ثم قال لهم قولوا للسلطان عنى مهما أردتم فقد أهمنى ما لحقنى من توبيخه وفت فى عضدى فلما خرجوا من عنده اتفقوا على كتمان ما جرى من السلطان وان يقولوا له ما مضمونه العبودية والتنصل ومضوا الى منازلهم وكان الليل قد انتصف ومضى يلبرد الى السلطان فاعلمه ما جرى وبكر الجماعة الى السلطان وهو ينتظرهم فقالوا له من الاعتذار والعبودية ما كانوا اتفقوا عليه فقال لهم السلطان انه لم يقل هذا وانما قال كيت وكيت فاشاروا حينئذ بكتمان ذلك رعاية لحق نظام الملك وسابقته فوقع التدبير عليه حتى تم عليه من القتل ما تم ومات السلطان بعده بخمسة وثلاثين يوما وانحلت الدولة ووقع السيف وكان قول نظام الملك شبه الكرامة له وأكثر الشعراء مراثيه فمن جيد ما قيل فيه قول شبل الدولة مقاتل بن عطية

كان الوزير نظام الملك لؤلؤة * يتيمة صاغها الرحمن من شرف

عزت فلم تعرف الايام قيمتها * فردها غيرة منه الى الصدف

ورأى بعضهم نظام الملك بعد قتله فى المنام فسأله عن حاله فقال كان يعرض على جميع عملى لولا الحديدة التى أصبت بها يعنى القتل

(ذكر ابتداء حاله وشئ من أخباره)

أما ابتداء حاله فكان من ابناء الدهاقين بطوس فزال ما كان لابيه من مال وملك وتوفيت امه وهو رضيع فكان ابوه يطوف به على المرضعات فيرضعنه حسبة حتى شب وتعلم العربية ويسر الله فيه ما يدعوه الى علو الهمة والاشتغال بالعلم فتفقه وصار فاضلا وسمع الحديث الكثير ثم اشتغل بالاعمال السلطانية ولم يزل الدهر يعلو به ويخفض حضرا وسفرا وكان يطوف بلاد خراسان ووصل الى غزنة فى صحبة بعض المتصرفين ثم لزم أبا على بن شاذان متولى الامور ببلخ لداود والد السلطان الب ارسلان فحسنت حاله معه وظهرت كفايته وامانته وصار معروفا عندهم بذلك فلما حضرت ابا على بن شاذان الوفاة اوصى الملك الب ارسلان به وعرفه حاله فولاه شغله ثم صار وزيراً له الى ان ولى السلطنة بعد عمه طغرلبك واستمر على الوزارة | لانه ظهرت منه كفاية عظيمة وآراء سديدة قادت السلطنة الى الب ارسلان فلما توفى الب ارسلان قام بامر ابنه ملكشاه وقد تقدم ذكر هذه الجمل مستوفى مشروحا وقيل ان ابتداء امره انه كان يكتب للامير تاجر صاحب بلخ وكان الامير يصادره فى راس كل سنة ويأخذ ما معه ويقول له قد سمنت يا حسن ويدفع اليه فرسا ومقرعة ويقول هذا يكفيك فلما طال ذلك عليه اخذ اولاده فخر الملك ومؤيد الملك وهرب الى جغرى بك داود والد الب ارسلان فوقف فرسه فى الطريق فقال اللهم انى اسألك فرسا تخلصنى عليه فسار غير بعيد فلقيه تركمانى وتحته فرس جواد فقال انظام الملك انزل عن فرسك فنزل عنه فاخذه التركمانى

وتهبوا محلاتهم وقطعوا منهم عدة رؤس وهى واصلة فى طريق البحر وصادفت هذه البشارة مع بشارة ورود القابجى ووصوله فعمل لذلك شنك وضربت لذلك مدافع كثيرة من القلعة فى كل وقت من الاوقات الخمسة ثلاثة أيام آخرها الجمعة ثم انه مضى عدة أيام ولم تحضر الرؤس التى اخبروا عنها واختلفت الروايات فى ذلك (وفى يوم الثلاثاء سابعه) عملوا جمعية ببيت القاضى حضرها المشايخ والاعيان وذكروا انه لما وردت الاوامر بتحصين الثغور فارسل الباشا سليمان أغا ومعه طائفة من العسكر وأرسل الى اهالى الثغور والمحافظين عليها مكاتبات بانهم ان كانوا يحتاجون الى عساكر فيرسل لهم الباشا عساكر زيادة على الذين أرسلهم فاجابوا بان فيهم الكفاية ولا يحتاجون الى عساكر زيادة تأتيهم من مصر فانهم اذا كثروا فى البلد تأتى منهم الفساد والافساد فعملوا هذه الجمعية لاثبات هذا القول والخلاص عهدة الباشا لئلا يتوجه عليه اللوم من السلطنة وينسب اليه التفريط (وفى تاسعه) وردت مكاتبات مع السعاة من ثغر سكندرية وذلك يوم الخميس وقت العصر وفيها الاخبار بورود مراكب الانكليز وعدتها اثنان واربعون مركبا فيها عشرون قطعة كبارا والباقى صغار فطلبوا الحاكم والقنصل وتكلموا معهم وطلبوا الطلوع الى الثغر فقالوا لهم

واعطاه فرسه فركبه وقال له لاتنسني ياحسن قال نظام الملك فقويت نفسي بذلك وعلمت انه ابتداء سعادة فسار نظام الملك الى مرو ودخل على داود فلما رآه اخذ بيده وسلمه الى ولده الب ارسلان وقال له هذا حسن الطوسي فتسلمه واتخذه والدا لاتخالفه وكان الامير تاج الماسمع بهرب نظام الملك سار فى اثره الى مرو فقال لداود هذا كاتبي ونائبي قد اخذ اموالي فقال له داود حديثك مع محمد يعني الب ارسلان وكان اسمه محمدا فلم يتجاسر تاج على خطابه فتركه وعاد❁ واما اخباره فانه كان عالما دينا جوادا عادلا حليما كثير الصفح عن المذنبين طويل الصمت كان مجلسه عامرا بالقراء والفقهاء وأئمة المسلمين واهل الخير والصلاح امر ببناء المدارس فى سائر الامصار والبلاد واجرى لها الجرايات العظيمة وامل الحديث بالبلاد ببغداد وخراسان وغيرها وكان يقول انى لست من اهل هذا الشان لماتولاه ولكنى احب ان اجعل نفسي على قطار نقلة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اذا سمع المؤذن امسك عن كل ماهو فيه وتجنبه فاذا فرغ لايبدا بشئ قبل الصلاة وكان اذا غفل المؤذن ودخل الوقت يامره بالاذان وهذا غاية حال المنقطعين الى العبادة فى حفظ الاوقات ولزوم الصلوات واسقط المكوس والضرائب وازال لعن الاشعرية من المنابر وكان الوزير عميد الملك الكندري قد حسن للسلطان طغرلبك التقدم بلعن الرافضة فامره بذلك فاضاف اليهم الاشعرية ولعن الجميع فلهذا فارق كثير من الائمة بلادهم مثل امام الحرمين وابى القاسم القشيري وغيرهما فلما ولى الب ارسلان السلطنة اسقط نظام الملك ذلك جميعه واعاد العلماء الى اوطانهم وكان نظام الملك اذا دخل عليه الامام ابو القاسم القشيري والامام ابو المعالي الجويني يقوم لهما ويجلس فى مسنده كما هو واذا دخل ابو على الفارمذى يقوم اليه ويجلسه فى مكانه ويجلس هو بين يديه فقيل له فى ذلك فقال ان هذين وامثالهما اذا دخلوا على يقولون لى أنت كذا وكذا يثنون على بما ليس فى فيزيدنى كلامهم عجبا وتيها وهذا الشيخ يذكر لى عيوب نفسي وما أنا فيه من الظلم فتنكسر نفسي لذلك وارجع عن كثير مما أنا فيه وقال نظام الملك كنت أتمنى أن يكون لى قرية خالصة ومسجدا أتفرد فيه لعبادة ربى ثم بعد ذلك تمنيت أن يكون لى قطعة أرض اتقوت بريعها ومسجدا اعبد الله فيه وأما الآن فانا أتمنى ان يكون لى رغيف كل يوم ومسجد أعبد الله فيه وقيل كان ليلة ياكل الطعام وبجانبه اخوه ابو القاسم وبالجانب الآخر عميد خراسان والى جانب العميد انسان فقير مقطوع اليد فنظر نظام الملك فرأى العميد يتجنب الاكل مع المقطوع فامره بالانتقال الى الجانب الآخر وقرب المقطوع اليه فاكل معه وكانت عادته ان يحضر الفقراء طعامه ويقربهم اليه ويدنيهم وأخباره مشهورة كثيرة قد جمعت لها المجاميع السائرة فى البلاد

❁(ذكر وفاة السلطان وذكر بعض سيرته)❁

سار السلطان ملكشاه بعد قتل نظام الملك الى بغداد ودخلها فى الرابع والعشرين من

شهر

لاتمكنكم من الطلوع الا بمرسوم سلطاني فقالوا لم يكن معنا مراسيم ولا ساعة جئنا لمحافظة الثغر من الفرنسيس فانهم ربما طرقوا البلاد على حين غفلة وقد أحضر ناصحبتنا خمسة آلاف من العسكر نقيمهم بالابراج لحفظ البلدة والقلعة والثغر فقالوا لهم لم يكن معنا اذن وقد أتقنا مراسيم بمنع كل من وصل عن الطلوع من أى جنس كان فقالوا لابد من ذلك فاما ان تسمحوا لنا فى الطلوع بالرضا والتسليم واما بالقهر والحرب والمهلة فى رد الجواب باحد الامرين أربعة وعشرون ساعة ثم تندمون على الممانعة فكتبوا بذلك الى مصر فلما وصلت تلك المكاتبات اجتمع كتخدا بك وحسن باشا وبوتابارته الخازندار وطاهر باشا والدفتردار والروزنامجي و باقى اعيانهم وذلك بعد الغروب وتشاوروا فى ذلك ثم أجمع رأيهم على ارسال الخبر بذلك الى محمد على باشا و يطلبونه للحضور هو ومن بصحبته من العساكر ليستعدوا لما هو أولى واحق بالاهتمام ففعلوا ذلك وانصرفوا الى منازلهم بعد حصة من الليل وارسلوا تلك المكاتبة اليه فى صبح يوم الجمعة صحبة هجانين وشاع الخبر وكثر لغط الناس فى ذلك ولما انقضت الاربعة وعشرون ساعة التى جعلها الانكليز أجلا بينهم وبين أهل الاسكندرية وهم فى الممانعة ضربوا عليهم بالقنابر والمدافع الهائلة من البحر فهدموا جانبا

شهر رمضان ولقبه وزير الخليفة عميد الدولة بن جهير وظهرت من تاج الملك كفاية عظيمة وكان السلطان قد أمر ان تفصل خلع الوزارة لتاج الملك وكان هو الذي سعى بنظام الملك فلما فرغ من الخلع ولم يبق غير لبسها والجلوس في الدست اتفق ان السلطان خرج الى الصيد وعاد ثالث شوال مريضا وانشب الموت اظفاره فيه ولم يمنع عنه سعة ملكه وكثرة عساكره وكان سبب مرضه انه أكل لحم صيد فحم وافتصد ولم يستوف اخراج الدم فثقل مرضه وكانت حمى محرقة فتوفي ليلة الجمعة النصف من شوال ولما ثقل نقل ارباب دولته أموالهم الى حريم دار الخلافة ولما توفي سترت زوجته تركان خاتون المعروفة بخاتون الجلالية موته وكتمته وأعادت جعفر ابن الخليفة من ابنة السلطان الى أبيه المقتدي بامر الله وسارت من بغداد والسلطان معها محمولا وبذلت الاموال للامراء سرا واستحلفتهم لابنها محمود وكان تاج الملك يتولى ذلك لها وارسلت قوام الدولة كربوقا الذي صار صاحب الموصل الى اصبهان بخاتم السلطان فاستنزل مستحفظ القلعة وتسلمها وأظهر ان السلطان أمره بذلك ولم يسمع بسلطان مثله لم يصل عليه احد ولم يلطم عليه وجه وكان مولده سنة سبع وأربعين واربعمائة وكان من أحسن الناس صورة ومعنى وخطب له من حدود الصين الى آخر الشام ومن أقاصي بلاد الاسلام في الشمال الى آخر بلاد اليمن وحمل اليه ملوك الروم الجزية ولم يفته مطلب وانقضت ايامه على امن عام وسكون شامل وعدل مطرد ومن أفعاله انه لما خرج عليه أخوه تكش بخراسان اجتاز بمشهد علي بن موسى الرضا بطوس فزاره فلما خرج قال لنظام الملك باي شئ دعوت قال دعوت الله ان ينصرك فقال اما أنا فلم ادع بهذا بل قلت اللهم انصر اصلحنا للمسلمين وانفعنا للرعية وحكي عنه ان سواديا لقيه وهو يبكي فاستغاث به وقال كنت ابتعت بطيخا بدريهمات لا املك سواها فغلبني عليه ثلاثة نفر من الاتراك فاخذوه مني فقال السلطان له اقعد ثم أحضر فراشا وقال قد اشتهيت بطيخا وكان ذلك عند أول استوائه وأمره بطلبه من العسكر فذهب ثم عاد ومعه البطيخ فامره باحضار من وجده عنده فاحضره فسأله السلطان من أين لك ذلك البطيخ فقال غلماني جاؤني به فامر ان يجيء بهم اليه فخفي وأمرهم بالهرب وعاد دقة ال لم أجدهم فقال للسوادي خذ هذا مملوكي قد وهبته لك عوضا عن بطيخك أو يحضر الذين أخذوه والله لئن اطلقته لاضربن عنقك فاخذه السوادي فاشترى الغلام نفسه منه بثلثمائة دينار فعاد السوادي الى السلطان وقال قد بعته نفسه بثلثمائة دينار فقال ارضيت بذلك قال نعم قال امض مصاحبا للسلامة وقال عبد السميع بن داود العباسي شاهدت ملكشاه وقد اتاه رجلان من أرض العراق السفلى من قرية الحدادية يعرفان بابني غزال فلقياه فوقف لهما فقالا ان مقطعنا الامير خمارتكين قد صادرنا بالف وستمائة دينار وقد كسر ثنيتي أحدنا وأراهما السلطان وقد قصدناك لتقتص لنا منه فان أخذت بحقنا كما أوجب الله عليك والا فالله يحكم بيننا قال فرأيت السلطان وقد نزل عن دابته وقال ليمسك كل واحد منكما بطرف كمي واسحباني الى خواجه حسن يعني نظام الملك فامتنعا من ذلك

من البرج الكبير وكذلك الابراج الصغار والسور فعند ذلك طلبوا الامان فرفعوا عنهم الضرب ودخلوا البلدة وذلك يوم الجمعة التالي (وفي ليلة الاثنين ثالث عشره) ووردت مكاتبة من رشيد بذلك الخبر على سبيل الاجمال من غير معرفة حقيقة الحال بل بالعلم بانهم طلعوا الى الثغر ودخلوا البلدة وعدم علمهم بالكيفية وتغيب الحال واشتبه الامر (وفيه حضر) قنصل الفرنساوية الى مصر وكان بالاسكندرية فلما وردت مراكب الانكليز انتقل الى رشيد فلما بلغه طلوعهم الى البر حضر الى مصر وذكر انه يريد السفر الى الشام وهو باقي الفرنساوية القاطنين بمصر (وفي ليلة الخميس سادس عشره) ووردت مكاتبة من الباشا يذكر فيها انه تحارب مع المصريين وظهر عليهم واخذ منهم اسيوط وقبض على انفار منهم وقتل في المعركة كثير من كشافهم ومماليكهم فعملوا في ذلك اليوم شنكا وضربوا مدافع كثيرة من القلعة والازبكية ثلاثة ايام في الاوقات الخمسة آخرها السبت واشاعوا أيضا ان الاسكندرية ممتنعة على الانكليز وانهم طلعوا الى رأس التين والعجمي فخرج عليهم أهل البلاد والعساكر وحاربوهم وأجلوهم عن البر ونزلوا الى المراكب مهزومين وأحرقوا منهم مركبين وانه وصل اليهم عمارة العثمانيين والفرنساوية

واعتذر اذا قسم عليهما الاقطاع فاخذ كل واحد منهما بكمه من كميه ومشى معه الى
نظام الملك فبلغه الخبر فخرج مسرعا فلقيه وقبل الارض وقال ياسلطان العالم ما حملك
على هذا فقال كيف يكون حالي غدا عند الله اذا طولبت بحقوق المسلمين وقد قلدتك
هذا الامر لتكفيني مثل هذا الموقف فان نال الرعية اذى فانت المطالب فانظر لي
ولنفسك فقبل الارض ومشى في خدمته وعاد من وقته وكتب بعزل الامير خمارتكين
عن اقطاعه ورد المال عليهما واعطاهما مائة دينار من عنده وأمرهما باثبات البينة
انه قلع ثنيتيه ليقلع ثنيتيه عوضهما فرضيا وانصرفا وقيل انه ورد بغداد ثلاث دفعات
فخافه الناس من غلاء الاسعار وتعدي الجند فكانت الاسعار أرخص منها قبل قدومه
وكان الناس يخترقون عساكره ليلا ونهارا فلا يخافون أحدا ولم يتعد عليهم احد واسقط
المكوس والمؤن من جميع البلاد وعمر الطرق والقناطر والربط التي في المفاوز وحفر
الانهار الخراب وعمر الجامع ببغداد وعمل المصانع بطريق مكة وبنى البلد باصبهان وبنى
منارة القرون بالسبيعي بطريق مكة وبنى مثلها بما وراء النهر واصطاد مرة صيدا كثيرا
فامر بعده فكان عشرة آلاف رأس فامر بصدقة عشرة آلاف دينار وقال انني خائف من
الله تعالى كيف ازهقت ارواح هذه الحيوانات بغير ضرورة ولا مأكلة وفرق من الثياب
والاموال بين أصحابه ما لا يحصى وصار بعد ذلك كلما اصطاد شيئا تصدق بعدده دنانير
وهذا فعل من يحاسب نفسه على حركاته وسكناته وقد أكثر الشعراء مراثيه أيضا وقيل
ان بعض امراء السلطان كان نازلا بهراة مع بعض العلماء اسمه عبد الرحمن في داره فقال
يوما ذلك الامير للسلطان وهو سكران ان عبد الرحمن يشرب الخمر ويعبد الاصنام من
دون الله تعالى ويحلل الحرام فلم يجبه ملكشاه فلما كان الغد صحا ذلك الامير فاخذ
السلطان السيف وقال له اصدقني عن فلان والا قتلتك فطلب منه الامان فامنه فقال
ان عبد الرحمن له دار حسناء وزوجة جميلة فاردت ان تقتله فافوز بداره وزوجته فابعده
السلطان وشكر الله تعالى على التوقف عن قبول سعايته وتصدق باموال جليلة المقدار

﴿ذكر ملك ابنه الملك محمود وما كان من حال ابنه الاكبر بركيارق الى ان ملك﴾

لما مات السلطان ملكشاه كتمت زوجته تركان خاتون موته كما ذكرناه وأرسلت الى
الامراء سرا فارضتهم واستحلفتهم لولدها محمود وعمره اربع سنين وشهور وأرسلت الى
الخليفة المقتدي في الخطبة لولدها أيضا فاجابها وشرط أن يكون اسم السلطنة لولدها
والخطبة له ويكون المدبر لعامة الجيوش ورعاية البلاد هو الامير أنز ويصدر عن راي
تاج الملك ويكون ترتيب العمال وجباية الاموال الى تاج الملك أيضا وكان تاج الملك
هو الذي يدبر الامر بين يدي خاتون فلما جاءت رسالة الخليفة الى خاتون بذلك امتنعت
من قبوله فقيل لها ان ولدك صغير ولا يجيز الشرع ولايته وكان المخاطب لها في ذلك
الغزالي فاذعنت له واجابت اليه فخطب لولدها ولقب ناصر الدنيا والدين وكانت
الخطبة يوم الجمعة الثاني والعشرين من شوال من السنة وخطب له بالحرمين الشريفين
ولما

وحاربوهم في البحر واحرقوا مراكبهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ولم يبق منهم الا القليل واستمر الامر في هذا الخلاط
القبلي والبحري عدة ايام ولم
يات من الاسكندرية سعاة
ولا خبر صحيح (وفيه) وصل
الكثير من اهالي الفيوم
ودخلوا الى مصر وهم في اسوا
حال من الشتات والعري مما
فعل بهم ياسين بك فخرجوا
على وجوههم وجلوا عن
أوطانهم ولم يمكنهم الخروج
من بلادهم حتى ارتحل منهم
المذكور يريد الحضور الى
ناحية مصر عندما بلغه خبر
حضور الانكليز الى ثغر
سكندرية (وفي سابع عشره)
وصل ياسين بك المذكور
الى ناحية دهشور وأرسل
مكاتبة خطابا للسيد عمر
والقاضي وسعيد أغا يذكر فيها
انه لما بلغه وصول الانكليز
أخذته الحمية الاسلامية وحضر
وصحبته ستة آلاف من العسكر
ليرابطهم بالجيزة أو بقليوب
ويجاهد في سبيل الله فكتبوا
له أجوبة مضمونها ان كان
حضوره بقصد الجهاد فينبغي
ان يتقدم بمن معه الى الاسكندرية
واذا حصل له النصر تكون له
اليد البيضاء والمنقبة والذكر
والشهرة الباقية فانه لا فائدة
باقامته بالجيزة او قليوب
وخصوصا قليوب بالبر الشرقي
وكان حسن باشا خرج بعرضيه
في موكب الى ناحية الحلي
قبل ذلك بايام ويرجع الى داره
آخر النهار فيبيت بها ثم يخرج في الصباح والمساء كرهوا وباشه ينتشرون بتلك النواحي يعيثون ويخطفون

ولما مات السلطان ملكشاه ارسلت تركان خاتون الى اصبهان فى القبض على بركيارق ابن السلطان وهو اكبر اولاده خافته ان ينازع ولدها فى السلطنة فقبض عليه فلما ظهر موت ملكشاه وثب المماليك النظامية على سلاح كان لنظام الملك باصبهان فاخذوه وثاروا فى البلد واخرجوا بركيارق من الحبس وخطبوا له باصبهان وملكوه وكانت والدة بركيارق زبيدة ابنة ياقوتى بن داود وهى ابنة عم ملكشاه خائفة على ولدها من خاتون أم محمود فاتاها الفرج بالمماليك النظامية وسارت تركان خاتون من بغداد الى اصبهان فطالب العسكر تاج الملك بالاموال فوعدهم فلما وصلوا الى قلعة برجين صعد اليها لينزل الاموال منها فلما استقر فيها اعصى على خاتون ولم ينزل خوفا من العسكر فساروا عنه ونهبوا خزائنه فلم يجدوا بها شيئا فانه كان قد علم ما جرى فاستظهر واخفاه ولما وصلت تركان خاتون الى اصبهان لحقها تاج الملك واعتذر بان مستحفظ القلعة حبسه وانه هرب منه اليها فقبلت عذره واما بركيارق فانه لما قاربت خاتون وابنها محمود اصبهان خرج منها هو ومن معه من النظامية وساروا نحو الرى فلقيهم ارغش النظامى فى عساكره ومعه جماعة من الامراء وصاروا يدا واحدة وانما حمل النظامية على الميل الى بركيارق كراهتهم لتاج الملك لانه كان عدو نظام الملك والمتهم بقتله فلما اجتمعوا حصروا قلعة طبرك وأخذوها عنوة فسيرت خاتون العساكر الى قتال بركيارق فالتقى العسكران بالقرب من بروجرد فانحاز جماعة من الامراء الذين فى عسكر خاتون الى بركيارق منهم الامير يلبرد وكمشتكين الجاندار وغيرهما فقوى بهم وجرى الحرب بينهم أواخر ذى الحجة واشتد القتال فانهزم عسكر خاتون وعادوا الى اصبهان وسار بركيارق فى اثرهم فحصرهم باصبهان

(ذكر قتل تاج الملك)

كان تاج الملك مع عسكر خاتون وشهد الوقعة فهرب الى نواحى بروجرد فاخذ وحمل الى عسكر بركيارق وهو يحاصر أصبهان وكان يعرف كفايته فاراد ان يستوزره فشرع تاج الملك فى اصلاح كبار النظامية وفرق فيهم مائتى ألف دينار سوى العروض فزال ما فى قلوبهم فلما بلغ عثمان نائب نظام الملك الخبر ساءه فوضع الغلمان الاصاغر على الاستغاثة وان لا يقنعوا الا بقتل قاتل صاحبهم ففعلوا فانفسخ ما دبره تاج الملك وهجم النظامية عليه فقتلوه وفصلوه اجزاء وكان قتله فى المحرم سنة ست وثمانين وحمل الى بغداد احدى اصابعه وكان كثير الفضائل جم المناقب وانما غطى جميع محاسنه ممالأته على قتل نظام الملك وهو الذى بنى تربة الشيخ ابى اسحق الشيرازى وعمل المدرسة التى الى جانبها ورتب بها الشيخ ابا بكر الشاشى وكان عمره حين قتل سبعا وأربعين سنة

(ذكر ما فعله العرب بالحجاج والكوفة)

سار الحجاج هذه السنة من بغداد فقدموا الكوفة ورحلوا منها فخرجت عليهم خفاجة

متاع الناس ومبيعات الفلاحين وأهل بولاق وفى كل يوم يشيعون بانه مسافر الى جهة البحيرة لمحاربة الانكليز فلما ورد خبر مجىء ياسين بك تأخر عن السفر وعملوا مشورة فاقتضى رأيهم ان حسن باشا يعدى الى البر الغربى ويقيم بالجيزة لئلا يأتى ياسين بك ويملكها فعدى حسن باشا فى يوم الاثنين عشرينه واقام بها واعرض عن السفر الى جهة البحيرة (وفيه) وردت الاخبار الصحيحة باخذ الاسكندرية واستيلاء الانكليز عليها يوم الخميس المتقدم تاسع الشهر ودخلوها وملكوا الابراج يوم الاحد صبيحة النهار وسكن سارى عسكرهم بوكالة القنصل وشرطوا مع اهالى البلد شروطا منها انهم لا يسكنون البيوت قهرا عن اصحابها بل بالمؤاجرة والتراضى ولا يمتهنون المساجد ولا يبطلون منها الشعائر الاسلامية واعطوا امين اغا الحاكم امانا على نفسه وعلى من معه من العسكر واذنوا لهم بالذهاب الى اى محل ارادوه ومن كان له دين على الديوان يأخذ نصفه حالا والنصف الثانى مؤجلا ومن اراد السفر فى البحر من التجار وغيرهم فليسافر فى خفارتهم الى اى جهة اراد ما عدا اسلامبول واما الغرب والشام وتونس وطرابلس ونحوها فطلق السراح لا حرج ذهابا وايابا ومن شروطهم التى

شرطوها مع اهل البلد انهم ان احتاجوا الى قومانية او مال لا يكلفون اهل

وقد طمعوا بموت السلطان و بعد العسكر فاوقعوا بهم وقتلوا أكثر الجند الذين معهم وانهزم باقيهم ونهبوا الحجاج وقصدوا الكوفة فدخلوها وأغاروا عليها وقتلوا في أهلها فرماهم الناس بالنشاب فخرجوا بعد ان نهبوا واخذوا ثياب من لقوه من الرجال والنساء فوصل الخبر الى بغداد فسيرت العساكر منها فلما سمع بهم بنو خفاجة انهزموا فادركهم العسكر فقتل منهم خلق كثير ونهبت أموالهم وضعفت خفاجة بعد هذه الوقعة

(ذكر عدة حوادث)

فيها في ربيع الاول عاد السلطان من بغداد الى أصبهان وأخذ معه الامير أبا الفضل جعفر ابن الخليفة المقتدي بامر الله من ابنة السلطان وتفرق الامراء الى بلادهم ثم عاد الى بغداد فتوفي كما ذكرناه وفيها في جمادي الاولى احترق نهر المعلى فاحترق عقد الحديد الى خربة الهراس الى باب دار الضرب واحترق سوق الصاغة والصيارف والمخلطين والريحانيين وكان الحريق من الظهر الى العصر فاحترق منها الامر العظيم في الزمان القليل واحترق من الناس خلق كثير ثم ركب عميد الدولة بن جهير وزير الخليفة وجمع السقائين ولم يزل راكبا حتى طفئت النار وفي هذه السنة توفي عبد الباقي بن محمد بن الحسين بن ناقيا الشاعر البغدادي سمع الحديث وكان يتهم بانه يطعن على الشرائع فلما مات كانت يده مقبوضة فلم يطق الغاسل فتحها فبعد جهد فتحت فاذا فيها مكتوب

نزلت بجار لا يخيب ضيفه * ارجي نجاتي من عذاب جهنم
واني على خوفي من الله واثق * بانعامه والله اكرم منعم

وفيها توفي هبة الله بن عبد الوارث بن علي بن احمد ابو القاسم الشيرازي الحافظ احد الرحالين في طلب الحديث شرقا وغربا وقدم الموصل من العراق وهو الذي اظهر سماع الجعديات لابي محمد الصريفيني ولم يكن يعرف ذلك

(ثم دخلت سنة ست وثمانين واربعمائة)

(ذكر وزارة عز الملك بن نظام الملك لبركيارق)

كان عز الملك ابو عبد الله الحسين بن نظام الملك مقيما بخوارزم حاكما فيها وفي كل ما يتعلق بها اليه المرجع في كل امورها السلطانية فلما كان قبل ان يقتل ابوه حضر عنده خدمة له وللسلطان فقتل ابوه ومات السلطان فاقام باصبهان الى الآن فلما حصرها بركيارق وكان اكثر عسكره النظامية خرج من اصبهان هو وغيره من اخوته فلما اتصل ببركيارق احترمه واكرمه وفوض امور دولته اليه وجعله وزيراله

(ذكر حال تتش بن الب ارسلان)

كان تتش بن الب ارسلان صاحب دمشق وما جاورها من بلاد الشام فلما كان قبل موت اخيه السلطان ملكشاه سار من دمشق اليه ببغداد فلما كان بهيت بلغه موته فاخذ هيت واستولى عليها وعاد الى دمشق يتجهز لطلب السلطنة فجمع العساكر واخرج الاموال وسار نحو حلب وبها قسيم الدولة آقسنقر فرأى قسيم الدولة اختلاف اولاد

الاسكندرية بشئ من ذلك وان محكمة الاسلام تكون مفتوحة تحكم بشرائعها ولا يكلفون اهل الاسلام بقيام دعوى عند الانكليز بغير رضاهم والحمايات من اى بنديرة تكون مقبولة عند الانكليز الموجودين في الاسكندرية ويقيمون مامونين رعاية لخاطر أهل الاسكندرية ولم يحصل لهم شئ من المكروه من كامل الوجوه حتى الفرنساوية والجمارك من كل الجهات على كل مائة اثنان ونصف وعلى ذلك انتهت الشروط وليعلم ان هذه الطائفة من الانكليز ومن انضم اليهم وعدتهم على ما قيل ستة آلاف لم تات الى الثغر طمعا في اخذ مصر بل كان ورودهم ومجيئهم مساعدة ومعاونة للالفي على أخصامه باستدعائه لهم واستنجاده بهم قبل تاريخه وسبب تاخرهم في المجئ لما بينهم وبين العثمانى من الصلح فلا يتعدون على ممالكه من غير اذنه لمحافظتهم على القوانين فلما وقعت الفرقة بينهم وبينه بما تقدم فعند ذلك انتهزوا الفرصة وأرسلوا هذه الطائفة وكان الالفي ينتظر حضورهم بالبحيرة فلما طال عليه الانتظار وضاقت عليه البحيرة ارتحل بجيوشه مقبلا وقضى الله موته باقليم الجيزة وحضر الانكليز بعد ذلك الى الاسكندرية فوجدوه قدمات فلم يسعهم الرجوع فارسلوا الى الامراء القبليين يستدعونهم ليكونوا مساعدين لهم على عدوهم ويقولون لهم انما جئنا الى بلادكم باستدعاء

صاحبه ملكشاه وصغرهم فعلم انه لايطيق دفع تتش فصالحه وصار معه وارسل الى باغى سيان صاحب انطاكية والى بوزان صاحب الرها وحران يشير عليهما بطاعة تاج الدولة تتش حتى يروا مايكون من اولاد ملكشاه ففعلوا وصاروا معه وخطبوا له فى بلادهم وقصدوا الرحبة فحصروها وملكوها فى المحرم من هذه السنة وخطب لنفسه بالسلطنة ثم ساروا الى نصيبين فحصروها فسب اهلها تاج الدولة ففتحها عنوة وقهرا وقتل من اهلها خلقا كثيرا ونهبت الاموال وفعل فيها الافعال القبيحة ثم سلمها الى الامير محمد بن شرف الدولة العقيلى وسار يريد الموصل واتاه الكافى بن فخر الدولة بن جهير وكان فى جزيرة ابن عمر فاكرمه واستوزره

(ذكر وقعة المضيع واخذ الموصل من العرب)

كان ابراهيم بن قريش بن بدران امير بنى عقيل قد استدعاه السلطان ملكشاه سنة اثنتين وثمانين واربعمائة ليحاسبه فلما حضر عنده اعتقله وانفذ فخر الدولة بن جهير الى البلاد فملك الموصل وغيرها و بقى ابراهيم مع ملكشاه وسار معه الى سمرقند وعاد الى بغداد فلما مات ملكشاه اطلقته تركان خاتون من الاعتقال فسار الى الموصل وكان ملكشاه قد اقطع عمته صفية مدينة بلد وكانت زوجة شرف الدولة ولها منه ابنها على وكانت قد تزوجت بعد شرف الدولة باخيه ابراهيم فلما مات ملكشاه قصدت الموصل ومعها ابنها على فقصدها محمد بن شرف الدولة واراد اخذ الموصل فافترقت العرب فرقتين فرقة معه واخرى مع صفية وابنها على واقتتلوا بالموصل عند الكناسة فظفر على وانهزم محمد وملك على الموصل فلما وصل ابراهيم الى جهينة وبينه وبين الموصل اربعة فراسخ سمع ان الامير على ابن اخيه شرف الدولة قد ملكها ومعه امه صفية عمة ملكشاه فاقام مكانه وراسل صفية خاتون وترددت الرسل فسلمت البلد اليه فاقام به فلما ملك تتش نصيبين ارسل اليه يامره ان يخطب له بالسلطنة و يعطيه طريقا الى بغداد لينحدر و يطلب الخطبة بالسلطنة فامتنع ابراهيم من ذلك فسار تتش اليه وتقدم ابراهيم ايضا نحوه فالتقوا بالمضيع من اعمال الموصل فى ربيع الاول وكان ابراهيم فى ثلاثين الفا وكان تتش فى عشرة آلاف وكان آقسنقر على ميمنته وبوزان على ميسرته فحمل العرب على بوزان فانهزم وحمل آقسنقر على العرب فهزمهم وتمت الهزيمة على ابراهيم والعرب واخذ ابراهيم اسيرا وجماعة من امراء العرب فقتلوا صبرا ونهبت اموال العرب ومامعهم من الابل والغنم والخيل وغير ذلك وقتل كثير من نساء العرب انفسهن خوفا من السبي والفضيحة وملك تتش بلادهم الموصل وغيرها واستناب بها على بن شرف الدولة مسلم وامه صفية عمة تتش وارسل الى بغداد يطلب الخطبة وساعده كوهرائين على ذلك فقيل لرسوله انا ننتظر وصول الرسل من العسكر فعاد الى تتش بالجواب

(ذكر ملك تتش ديار بكر واذربيجان وعوده الى الشام)

فلما فرغ تاج الدولة تتش من امر العرب وملك الموصل وغيرها من بلادهم سار الى

الالفى لمساعدته ومساعدتكم فوجدنا الالفى قدمات وهو شخص واحد منكم وأنتم جمع فلا يكون عندكم تاخير فى الحضور لقضاء شغلكم فانكم لاتجدون فرصة بعد هذه وتندمون بعد ذلك ان تلكأتم فلما وصلتهم مراسلة الانكليز تفرق رأيهم وكان عثمان بك حسن منعزلا عنهم وهو يدعى الورع وعنده جيش كبير فارسلوا اليه يستدعونه فقال أنا مسلم هاجرت وجاهدت وقاتلت فى الفرنساوية والآن أختم عملى والتجئ الى الافرنج وانتصر بهم على المسلمين أنا لا أفعل ذلك وعثمان بك يوسف كان بناحية الهو وكان الباشا يحارب الذين بناحية أسيوط وهم المرادية والابراهيمية والالفى والتقى معهم وانكسروا منه وقتل منهم أشخاص فلما ورد عليه خبر الانكليز انفعل لذلك وداخله وهم كبير وأرسل اليهم المشايخ وخلافهم يطلبهم للصلح وكان ماسيتلى عليك قريبا وما كان الا ما أراده المولى جل جلاله من تعسة الانكليز والقطر وأهله الا أن يشاء الله (وفيه) وصل مكتوب من محمد على باشا بطلب مصطفى أغا الوكيل وعلى كاشف الصابونجى ليرسلهم الى الامراء القبالى فتراخوا فى الذهاب لكونهم وجدوا تاريخ المكتوب حادى عشر الشهر فعلموا ان ذلك قبل تحقق خبر الانكليز (ثم ورد) منه مكتوب آخر يذكر فيه عزمه على الرجوع الى مصر قريبا فان العساكر يطالبونه بالعلائف ويأمرهم فيه بتحصيل ذلك

ديار بكر في ربيع الآخر فملك ميافارقين وسائر ديار بكر من ابن مروان وسار منها الى
اذربيجان فانتهى خبره الى ابن اخيه ركن الدين بركيارق وكان قد استولى على كثير
من البلاد منها الري وهمذان وما بينهما فلما تحقق الحال سار في عساكره ليمنع عمه عن
البلاد فلما تقارب العسكران قال قسيم الدولة آقسنقر لبوزان انما اطعنا هذا الرجل
لننظر ما يكون من اولاد صاحبنا والآن فقد ظهر ابنه ونريد أن نكون معه
فاتفقا على ذلك وفارقا تتش وصارا مع بركيارق فلما راى تاج الدولة تتش ذلك علم انه
لا قوة له بهم فعاد الى الشام واستقامت البلاد لبركيارق فلما قوى امره سار كوهرائين
الى العسكر يعتذر من مساعدته لتاج الدولة تتش واعانه برسق وتعصب عليه
كمشتكين الجاندار فاخذ اقطاعه واعطى الامير يلبرد زيادة وولى شحنكية بغداد عوض
كوهرائين وتفرق عن كوهرائين اصحابه فكان ما ياتي ذكره ان شاء الله تعالى

* (ذكر حصر عسكر مصر صور وملكهم لها) *

في هذه السنة في جمادى الآخرة ملك عسكر المستنصر بالله العلوي صاحب مصر
مدينة صور وسبب ذلك ما ذكرناه سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة أن أمير الجيوش
بدرا وزير المستنصر سير العساكر الى مدينة صور وغيرها من ساحل الشام وكان من بها
قد امتنع من طاعتهم فملكها وقرر أمورها وجعل فيها الامراء وكان قد ولى مدينة صور
امير يعرف بمنير الدولة الجيوشي فعصى على المستنصر وأمير الجيوش وامتنع بصور
فسيرت العساكر من مصر اليه وكان أهل صور قد أنكروا على منير الدولة عصيانه على
سلطانه فلما وصل العسكر المصري الى صور وحصروها وقاتلوها ثار أهلها ونادوا
بشعار المستنصر وأمير الجيوش وسلموا البلد وهجم العسكر المصري بغير مانع ولا مدافع
ونهب من البلد شئ كثير وأسر منير الدولة ومن معه من أصحابه وحملوا الى مصر وقطع
على أهل البلد ستون ألف دينار فاجحفت بهم ولما وصل منير الدولة الى مصر ومعه
الاسرى قتلوا جميعهم ولم يعف عن واحد منهم

* (ذكر قتل اسمعيل بن ياقوتي خال بركيارق) *

في هذه السنة في شعبان قتل اسمعيل بن ياقوتي بن داود وهو خال بركيارق وابن عم
ملكشاه وسبب قتله انه كان باذربيجان أميرا عليها فارسلت اليه تركان خاتون زوجة
ملكشاه تطمعه ان تتزوج به وتدعوه الى محاربة بركيارق فاجابها الى ذلك وجمع خلقا
كثيرا من التركمان وغيرهم وصار أصحاب سرهنك ساوتكين في خيله وأرسلت اليه
تركان خاتون كربوقا وغيره من الامراء في عسكر كثير مددا له فجمع بركيارق عساكره
وسار الى حرب خاله اسمعيل فالتقوا عند الكرج فانحاز الامير يلبرد الى بركيارق وصار
معه فانهزم اسمعيل وعسكره وتوجه الى اصبهان فاكرمته تركان خاتون وخطبت له
وضربت اسمه على الدينار بعد ابنها محمود بن ملكشاه وكاد الامر في الوصلة يتم بينهما
فامتنع الامراء من ذلك لاسيما الامير أنز وهو مدبر الامر وصاحب الجيش وآثروا خروج

اسمعيل

وتنظيمه ليستلموها عند حصولهم بمصر ٩٢ ويتجهزوا لمحاربة الانكليز (وفي ثالث عشرينه) ورد مكتوب من أهالي دمنهور
خطابا الى السيد عمر النقيب
مضمونه انه لما دخلت المراكب
الانكليزية الى سكندرية هرب
من كان بها من العساكر وحضروا
الى دمنهور فعندما شاهدهم
الكاشف الكائن بدمنهور
ومن معه من العسكر انزعجوا
انزعاجا شديدا وعزموا على
الخروج من دمنهور فخاطبهم
أكابر الناحية قائلين لهم
كيف تتركونا وتذهبوا ولم
تروا منا خلافا وقد كنا فيما
تقدم من حروب الالفي من
اعظم المساعدين لكم فكيف
لا نساعد الآن بعضنا بعضا
في حروب الانكليز فلم يستمعوا
لقولهم لشدة ما داخلهم من
الخوف وعبوا متاعهم واخرج
الكاشف أثقاله وجبخانته
ومدافعه وتركها وعدى
وذهب الى فوه من ليلته ثم
ارسل في ثاني يوم من اخذ
الاثقال فهذا ما حصل اخبرنا كم
به واما بونابارته الخازندار
الذي سافر لحرب الانكليز
فانه نزل على القليوبية وفعل
ما أمكنه وقدر عليه بالبلاد
من السلب والنهب والجور
والتكاليف والتساويف حتى
وصل الى المنوفية وكذلك
طاهر باشا الذي سافر في اثره
واسمعيل كاشف المعروف
بالطوبجي فرض على البلاد
جمالا وخيولا وابقارا وغير ذلك ومن جملة افاعيلهم انهم يوزعون الاغنام المنهوبة على البلاد ويلزمونهم بعلفها

اسمعيل عنهم وخافوه وخاف هو أيضا منهم ففارقهم وراسل أخته زبيدة والدة بركيارق
في اللحاق بهم فاذنت له في ذلك فوصل اليهم وأقام عندهم اياما يسيرة فخلا به كمشتكين
الجاندار وآقسنقر وبوزان وبسطوه في القول فاطلعهم على سره وانه يريد السلطنة
وقتل بركيارق فوثبوا عليه فقتلوه واعلموا أخته خبره فسكتت عنه

٥(ذكر أخذ الحجاج)*

في هذه السنة انقطع الحج من العراق لاسباب أوجبت ذلك وسار الحاج من دمشق
مع امير أقامه تاج الدولة تتش صاحبها فلما قضوا حجهم وعادوا سائرين سير امير مكة وهو
محمد بن أبي هاشم عسكرا فلحقوهم بالقرب من مكة ونهبوا كثيرا من اموالهم وجمالهم
فعادوا اليها ولقوه وسالوه ان يعيد عليهم ما أخذ منهم وشكوا اليه بعد ديارهم فاعاد
بعض ما اخذ منهم فلما ايسوا منه ساروا من مكة عائدين على اقبح صورة فلما أبعدوا
عنها ظهر عليهم جموع من العرب في عدة جهات فصانعوهم على مال أخذوه من الحاج
بعد ان قتل منهم جماعة وافرة وهلك فيه بالضعف والانقطاع وعاد السالم على أقبح صورة

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في جمادى الاولى قدم الى بغداد اردشير بن منصور ابو الحسين الواعظ
العبادي واكثر الوعظ بالمدرسة النظامية وهو مروزي وقدم بغداد قاصدا الحج
وكان له قبول عظيم بحيث ان الغزالي وغيره من الأئمة ومشايخ الصوفية الكبار
يحضرون مجلسه وذرع في بعض المجالس الارض التي فيها الرجال فكان طولها مائة
وخمسة وسبعين ذراعا وعرضها مائة وعشرين ذراعا وكانوا يزدحمون ازدحاما كثيرا
وكان النساء اكثر من ذلك وكان له كرامات ظاهرة وعبادات كثيرة وكان سبب منعه
من الوعظ انه نهى ان يتعامل الناس بقراضة بالصحيح وقال هو ربا فمنع من الوعظ
واخرج من البلد وفيها وقعت الفتنة ببغداد بين العامة وقصد كل فريق الفريق
الآخر وقطعوا الطرقات بالجانب الغربي وقتل أهل النصرية مصليا فارسل كوهرائين
أحرقها واتصلت الفتنة بين أهل الكرخ وباب البصرة وكان للعميد الاغر أبي المحاسن
الدهستاني في اطفاء هذه الفتنة اثر حسن وفيها في شعبان سار سيف الدولة صدقة بن
مزيد الى السلطان بركيارق فلقيه بنصيبين وسار معه الى بغداد على الموصل فوصلها
في ذي القعدة ومعه وزيره عز الملك بن نظام الملك وخرج عميد الدولة والناس الى لقائه
من عقرقوف وفيها ولد للمستظهر بالله ولد سمى الفضل وكنى أبا منصور ولقب عمدة
الدين وهو المسترشد بالله وفيها في رمضان قتل الامير يلبرد قتله بركيارق وكان من
الامراء الكبار مع أبيه فزاده بركيارق اقطاع كوهرائين وشحنكية بغداد فسار ووصل
الى دقوقا أعيد منها لانه تكلم فيما يتعلق بوالدة السلطان بركيارق بكلام شنيع فلما
وصل اليه أصبح مقتولا وفيها في المحرم توفي على بن أحمد بن يوسف أبو الحسن القرشي
الهكاري المعروف بشيخ الاسلام وكان فاضلا عابدا كثير السماع الا ان الغرائب في

وكلفهاثم يطلبون أثمانها مضاعفة بما يضاف الى ذلك من حق طرق المعينين وامثال ذلك (وفي يوم الجمعة رابع
عشرينه) وردت اخبار من
ثغر رشيد يذكرون بان طائفة
من الانكليز وصلت الى
رشيد في صبح يوم الثلاثاء
حادي عشرينه ودخلوا الى
البلد وكان اهل البلدة ومن
معهم من العساكر منتبهين
ومستعدين بالازقة والعطف
وطيقان البيوت فلما حصلوا
بداخل البلدة ضربوا عليهم
من كل ناحية فالقوا ما بايديهم
من الاسلحة وطلبوا الامان
فلم يلتفتوا الى ذلك وقبضوا عليهم
وذبحوا منهم جملة كثيرة
واسروا الباقين وفر طائفة
الى ناحية دمنهور وكان
كاشفها عندما بلغه ما حصل
برشيد اطمان خاطره ورجع
الى ناحية ديبي ومحلة الامير
وطلع بمن معه الى البر فصادف
تلك الشرذمة فقتل بعضهم
واخذ ما بقي منهم اسرى
وارسلوا السعاة الى مصر
بالبشارة فضربوا مدافع وعملوا
شنكا وخلع كتخدا بك على
السعاة الواصلين واسرعت
المبشرون من اتباع العثمانيين
وهم القواسة الاتراك بالسعي
الى بيوت الاعيان يبشرونهم
وياخذون منهم البقاشيش
والخلع وصار الناس ما بين
مصدق ومكذب فلما كان
يوم الاحد سادس عشرينه
أشيع وصول رؤس القتلى
ومن معهم من الاسرى الى بولاق فهرع الناس بالذهاب للفرجة ووصل الكثير منهم الى ساحل بولاق وركب

حديثه كثيرة لا يدرى ما سببها والامير أبو نصر على بن هبة الله بن على بن جعفر العجلى المعروف بابن ما كولا مصنف كتاب الاكمال قتله غلمانه الاتراك بكرمان ومولده سنة اثنتين وأربعمائة وكان حافظا وفيها فى صفر توفى أبو محمد عامر الضرير وكان فقيها شافعيا مقرئا نحويا وكان يصلى فى رمضان بالامام المقتدى بامر الله وفى جمادى الاولى توفى الامير أبو الفضل جعفر بن المقتدى وأمه ابنة السلطان ملكشاه ومولده فى ذى القعدة سنة ثمانين واليه تنسب الجعفريات وفى رجب توفى الشيخ أبو سعد عبد الواحد ابن أحمد بن الحسن الوكيل بالمخزن وكان فقيها شافعيا كثير الاحسان الى أهل العلم وكان محمودا فى ولايته وفيها توفى كمال الملك الدهستانى الذى كان عميد بغداد وفى رمضان توفى المشطب بن محمد الحنفى بالكحيل من أرض الموصل وكان الخليفة قد ارسله الى بركيارق وكان بالموصل ومعه تاج الرؤساء أبو نصر بن الموصلايا وكان شيخا كبيرا عالما مكرما عند الملوك وحمل الى العراق ودفن عند أبى حنيفة وفيه توفى القاضى أبو على يعقوب بن ابراهيم المرزبانى قاضى باب الازج وولى مكانه القاضى ابو المعالى عزيزى وكان ابو المعالى شافعيا اشعريا مغاليا وله مع اهل باب الازج اقاصيص وحكايات عجيبة وفيها توفى نصر بن الحسن بن القاسم بن الفضل ابو الليث وابو الفتح التنكتى له كنيتان سافر البلاد شرقا وغربا وروى صحيح مسلم وغيره وكان ثقة ومولده سنة ست وأربعمائة وفى ذى الحجة منها توفى ابو الفرج عبد الواحد بن محمد بن على الحنبلى الفقيه وكان وافر العلم غزير الدين حسن الوعظ والسمت

(ثم دخلت سنة سبع وثمانين وأربعمائة)

(ذكر الخطبة للسلطان بركيارق)

فى هذه السنة يوم الجمعة رابع عشر المحرم خطب ببغداد للسلطان بركيارق بن ملكشاه وكان قدمها أواخر سنة ست وثمانين وأرسل الى الخليفة المقتدى بامر الله يطلب الخطبة فاجيب الى ذلك وخطب له ولقب ركن الدين وحمل الوزير عميد الدولة بن جهير الخلع الى بركيارق فلبسها وعرض التقليد على الخليفة ليعلم عليه فعلم فيه وتوفى فجاة على ما نذكره ان شاء الله تعالى وولى ابنه الامام المستظهر بالله الخلافة فارسل الخلع والتقليد الى السلطان بركيارق فاقام ببغداد الى ربيع الاول من السنة وسار عنها الى الموصل

(ذكر وفاة المقتدى بامر الله)

فى هذه السنة يوم السبت خامس عشر المحرم توفى الامام المقتدى بامر الله ابو القاسم عبد الله بن الذخيرة بن القائم بامر الله امير المؤمنين فجاة وكان قد احضر عنده تقليد السلطان بركيارق ليعلم فيه فقرأه وتدبره وعلم فيه ثم قدم اليه طعام فأكل منه وغسل يديه وعنده قهرمانته شمس النهار فقال لها ما هذه الاشخاص التى دخلت على بغير اذن قالت فالتفت فلم ار شيئا ورأيته قد تغيرت حالته واسترخت يداه ورجلاه وانحلت قوته

ايضا كبار العسكر ومعهم طوائفهم الاقاتم فطلعوا بهم الى البر وصحبتهم جماعة العسكر المسفرين معهم فأتوا بهم من خارج مصر ودخلوا بهم من باب النصر وشقوا بهم من وسط المدينة وفيهم فسيال كبير وآخر كبير فى السن وهما راكبان على حمارين والبقية مشاة فى وسط العسكر ورؤس القتلى معهم على نبابيت وقد تغيرت وانتنت رائحتها وعدتها أربعة عشر راسا والاحياء خمسة وعشرون ولم يزالوا سائرين بهم الى بركة الازبكية وضربوا عند وصولهم شنكا ومدافع وطلعوا بالاحياء مع فسيالهم الى القلعة (وفيه) نبه السيد عمر النقيب على الناس وأمرهم بحمل السلاح والتاهب للجهاد فى الانكليز حتى مجاورى الازهر وأمرهم بترك حضور الدروس وكذلك أمر المشايخ المدرسين بترك القاء الدروس (وفيه) وصل عابدين بك وعمر بك وأحمد أغا لاظ أوغلى من ناحية قبلى واشيع وصول الباشا بعد يومين (وفى يوم الاثنين) وصل ايضا جملة من الرؤس والاسرى الى بولاق فطلعوا بها على الرسم المذكور وعدتها مائة راس واحد وعشرون راسا وثلاثة عشر اسيرا وفيهم جرحى ومات احدهم على بولاق فقطعوا راسه وشقوها مع الرؤس وشقوا بهما من وسط المدينة آخر النهار (وفى يوم الثلاثاء) حصلت جمعية ببيت القاضى وحضر حسن باشا وسقط

وسقط الى الارض فظننتها غشية قد لحقته فحللت ازرار ثوبه فوجدته قد ظهرت عليه أمارات الموت ومات لوقته قالت فتماسكت وقلت لجارية عندي ليس هذا وقت اظهار الجزع والبكاء فان صحت قتلتك واحضرت الوزير فاعلمته الحال فشرعوا فى البيعة لولى العهد وجهزوا المقتدى وصلى عليه ابنه المستظهر بالله ودفنوه وكان عمره ثمانا وثلاثين سنة وثمانية أشهر وسبعة أيام وكانت خلافته تسع عشرة سنة وثمانية أشهر غير يومين وأمه ام ولد ارمنية تسمى ارجوان وتدعى قرة العين ادركت خلافته وخلافة ابنه المستظهر بالله وخلافة ابن ابنه المسترشد بالله ووزر له فخر الدولة ابو نصر بن جهير ثم ابو شجاع ثم عميد الدولة ابو منصور بن جهير وقضاته ابو عبد الله الدامغانى ثم ابو بكر الشامى وكانت ايامه كثيرة الخير واسعة الرزق وعظمت الخلافة اكثر مما كان من قبله وانعمرت ببغداد عدة محال فى خلافته منها البصلية والقطيعة والحلبة والمقتدية والاجمة ودرب القيار وخربة ابن جردة وخربة الهراس والخانونيتين وامر بنفى المغنيات والمفسدات من بغداد وبيع دورهن فنفين ومنع الناس ان يدخل احد الحمام الا بمئزر وقلع الهرادى والابراج التى للطيور ومنع من اللعب بها لاجل الاطلاع على حرم الناس ومنع من اجراء ماء الحمامات الى دجلة والزم اربابها بحفر آبار للمياه وامر ان من يغسل السمك المالح يعبر الى النجمى فيغسله هناك ومنع الملاحين ان يحملوا الرجال والنساء مجتمعين وكان قوى النفس عظيم الهمة من رجال بنى العباس

❁(ذكر خلافة المستظهر بالله)❁

لما توفى المقتدى بامر الله احضر ولده ابو العباس احمد المستظهر بالله واعلم بموته وحضر الوزير فبايعه وركب الى السلطان بركيارق فاعلمه الحال واخذ بيعته للمستظهر بالله فلما كان اليوم الثالث من موت المقتدى اظهر ذلك وحضر عز الملك بن نظام الملك وزير بركيارق واخوه بهاء الملك وامراء السلطان وجميع ارباب المناصب النقيبان طراد العباسى والمعمر العلوى فى اصحابهما وقاضى القضاة والغزالى والشاشى وغيرهما من العلماء فجلسوا فى العزاء وبايعوا وكان للمستظهر بالله لما بويع ست عشرة سنة وشهران

❁(ذكر قتل قسيم الدولة آقسنقر وملك تتش حلب والجزيرة وديار بكر وأذربيجان وهمذان والخطبة له ببغداد)❁

فى هذه السنة فى جمادى الاولى قتل قسيم الدولة آقسنقر جد ملوكنا بالموصل الآن اولاد الشهيد زنكى بن آقسنقر وسبب قتله ان تاج الدولة تتش لما عاد من اذربيجان منهزما لم يزل يجمع العساكر فكثرت جموعه وعظم حشده فسار فى هذا التاريخ عن دمشق نحو حلب ليطلب السلطنة فاجتمع قسيم الدولة آقسنقر وبوزان وامدهما ركن الدين بركيارق بالامير كربوقا الذى صار بعد صاحب الموصل فلما اجتمعوا ساروا الى طريقه فلقوه عند نهر سبعين قريبا من تل السلطان بينه وبين حلب ستة

وعمر بك والدفتردار وكتخدا بك والسيد عمر النقيب والشيخ الشرقاوى ٩٥ والشيخ الامير وباقى المشايخ فتكلموا فى شان حادثة الانكليز والاستعداد لحربهم وقتالهم وطردهم فانهم اعداء الدين والملة وقد صاروا ايضا اخصاما للسلطان فيجب على المسلمين دفعهم ويجب ايضا ان يكون الناس والعسكر على حال الالفة والشفقة والاتحاد وان تمتنع العساكر عن التعرض للناس بالايذاء كما هو شانهم وان يساعدوا بعضهم بعضا على دفع العدو ثم تشاوروا فى تحصين المدينة وحفر خنادق فقال بعضهم ان الانكليز لا ياتون الا من البر الغربى والنيل حاجز بين الفريقين وان الفرنساوية كانوا اعلم بامر الحروب وانهم لم يحفروا الا الخندق المتصل من الباب الحديد الى البر فينبغى الاعتناء باصلاحه ولو لم يكن كوضعهم واتقانهم اذ لا يمكن فعل ذلك واتفقوا على ذلك (وفيه) حضر مكتوب من ثغر رشيد عليه امضاء على بك حاكم رشيد وأحمد بك المعروف ببونابارته مؤرخ بيوم الجمعة رابع عشرينه يذكرون فيه ان الانكليز لما حضروا الى رشيد وحصل لهم ما حصل من القتل والاسر ورجعوا خائبين حصل لباقيهم غيظ عظيم وهم شارعون فى الاستعداد للعود والمحاربة والقصد أن تسعفونا وتمدونا بارسال الرجال والمحاربين والاسلحة والجبخانه بسرعة وعجلة والا فلا لوم علينا

فراسخ واقتتلوا واشتد القتال فخامر بعض العسكر الذين مع آقسنقر فانهزموا وتبعهم الباقون فتمت الهزيمة وثبت آقسنقر فاخذ اسيرا واحضر عند تتش فقال له لوظفرت بي ما كنت صنعت قال كنت اقتلك فقال له انا احكم عليك بما كنت تحكم على فقتله صبرا وسار نحو حلب وكان قد دخل اليها كربوقا وبوزان فحفظاها منه وحصرها تتش وجد في قتالها حتى ملكها اسلمها اليه المقيم بقلعة الشريف ومنها دخل البلد واخذهما اسيرين وارسل الى حران والرها ليسلمهما من بهما وكانتا لبوزان فامتنعوا من التسليم اليه فقتل بوزان وارسل رأسه اليهم وتسلم البلدين واما كربوقا فانه ارسله الى حمص فسجنه بها الى ان اخرجه الملك رضوان بعد قتل ابيه تتش وكان قسيم الدولة احسن الامراء سياسة لرعيته وحفظا لهم وكانت بلاده بين رخص عام وعدل شامل وامن واسع وكان قد شرط على اهل كل قرية من بلاده متى اخذ عندهم قفل أو احد من الناس غرم اهلها جميع ما يؤخذ من الاموال من قليل وكثير فكانت السيارة اذا بلغوا قرية من بلاده القوا رحالهم وناموا وحرسهم اهل القرية الى ان يرحلوا فامنت الطرق واما وفاؤه وحسن عهده فيكفيه فخرا انه قتل في حفظ بيت صاحبه وولي نعمته فلما ملك تتش حران والرها سار الى الديار الجزرية فملكها جميعها ثم ملك ديار بكر وخلاط وسار الى اذربيجان فملك بلادها كلها ثم سار منها الى همذان فملكها ورأى بها فخر الملك بن نظام الملك وكان بخراسان فسار منها الى السلطان بركيارق ليخدمه فوقع عليه الامير قماج وهو من عسكر محمود ابن السلطان ملكشاه باصبهان فنهب فخر الملك فهرب منه ونجا بنفسه فجاء الى همذان فصادفه تتش بها فاراد قتله فشفع فيه باغي سيان واشار عليه ان يستوزره لميل الناس الى بيته فاستوزره وارسل الى بغداد يطلب الخطبة من الخليفة المستظهر بالله وكان شحنته ببغداد ايتكين جب فلازم الخدمة بالديوان والح في طلبها فاجيب الى ذلك بعد ان سمعوا ان بركيارق قد انهزم من عسكر عمه تتش على مانذكره

(ذكر انهزام بركيارق من عمه تتش وملكه اصبهان بعد ذلك)

في هذه السنة في شوال انهزم بركيارق من عسكر عمه تتش وكان بركيارق بنصيبين فلما سمع بسير عمه الى اذربيجان سار هو من نصيبين وعبر دجلة من بلد من فوق الموصل وسار الى اربل ومنها الى بلد سرخاب بن بدر الى ان بقي بينه وبين عمه تسعة فراسخ ولم يكن معه غير ألف رجل وكان عمه في خمسين ألف رجل فسار الامير يعقوب بن ابق من عسكر عمه فكبسه وهزمه ونهب سواده ولم يبق معه الا برسق وكمشتكين الجاندار واليارق وهم من الامراء الكبار فساروا الى اصبهان وكانت خاتون أم اخيه محمود قد ماتت على مانذكره فمنعه من بها من الدخول اليها ثم اذنوا له خديعة منهم ليقبضوا عليه فلما قاربها خرج اخوه الملك محمود فلقيه ودخل البلد واحتاطوا عليه فاتفق ان اخاه محمودا احم وجدر فاراد الامراء ان يكحلوا بركيارق فقال لهم امين الدولة ابن التلميذ

الطبيب

بعد ذلك وقد اخبرناكم وعرفناكم بذلك فارسلوا في ذلك اليوم عدة من المقاتلين وكتبوا مكاتبات الى البلاد والعرب بان الكائنين ببلاد البحيرة يدفعونهم للمحاربة والمجاهدة وكذلك ارسلوا في ثاني يوم عدة من العسكر (وفي يوم الاربعاء تاسع عشرينه) ركب السيد عمر النقيب والقاضي والاعيان المتقدم ذكرهم ونزلوا الى ناحية بولاق لترتيب أمر الخندق المذكور وصحبتهم قنصل الفرنساوية وهو الذي أشار عليهم بذلك وصحبتهم الجمع الكثير من الناس والاتباع والكل بالاسلحة (وفيه) وصل المشايخ الثلاثة الذين كانوا ذهبوا الى الامراء الصلح بين الباشا والامراء القبالي وذهبوا الى دورهم وكان من خبرهم انهم لما وصلوا الى الباشا بناحية ملوى استأذنوه في الذهاب فيما أتوا بسببه من السعي في الصلح فاستمهلهم وتركهم بناحية ملوى واستعد وذهب الى أسيوط وأودع الجماعة بمنفلوط وتلاقى مع الامراء وحاربهم وظهر عليهم وقتل من الامراء في تلك المعركة سليمان بك المرادي المعروف بريحة بتشديد الياء وسليمان بك الاغا ورجع الامراء القبالي الى ناحية بحرى فعند ذلك حضر المشايخ وكتب مكاتبات الى الامراء وأرسلها صحبة المشايخ المذكورين الى الامراء وكانوا بالجانب الغربي بناحية ملوى فتفاوضوا

الطبيب ان الملك محمودا قد جدر وما كانه يسلم منه وارا لم تكرهون ان يليكم ويملك ابلاد تاج الدولة فلا تعجلوا على بركيارق فان مات محمود أقيموه ملكا وان سلم محمود فانتم تقدرون على كحله فمات محمود سلخ شوال فكان هذا من الفرج بعد الشدة وجلس بركيارق للعزاء باخيه وكان مولد محمود في صفر سنة ثمانين واربعمائة وقصده مؤيد الملك بن نظام الملك فاستوزره في ذي الحجة وكان اخوه عز الملك بن نظام الملك قد مات لما كان مع بركيارق بالموصل وحمل الى بغداد فدفن بالنظامية وكان اصبح الناس وجها واحسنهم خلقا وسيرة وكان قد اجرى الناس على ما بايديهم من توقيعات ابيه في الاطلاقات من خاصه منها ببغداد ما ثنتا كرغلة وثمانية عشر الف دينارا اميري ثم ان بركيارق جدر بعد اخيه وعوفي وسلم فلما عوفي كاتب مؤيد الملك وزيره الامراء العراقيين والخراسانيين واستمالهم فعادوا كلهم الى بركيارق فعظم شانه وكثر عسكره

(ذكر وفاة أمير الجيوش بمصر)

في هذه السنة في ذي القعدة توفي امير الجيوش بدر الجمالي صاحب الجيش بمصر وقد جاوز ثمانين سنة وكان هو الحاكم في دولة المستنصر والمرجوع اليه وكان قد استعمله على الشام سنة خمس وخمسين واربعمائة وجرى بينه وبين الرعية والجند بدمشق ما خاف على نفسه فخرج عنها هاربا وجمع وحشد وقدم الى الشام فاستولى عليه باسره سنة ست وخمسين ثم خالفه اهل دمشق مرة اخرى فهرب منهم سنة ستين وخرب العامة والجند قصر الامارة ثم مضى امير الجيوش الى مصر وتقدم بها وصار صاحب الامر قال علقمة بن عبد الرزاق العليمي قصدت بدرا الجمالي بمصر فرأيت اشراف الناس وكبراءهم وشعراءهم على بابه قد طال مقامهم ولم يصلوا اليه قال فبينا انا كذلك اذ خرج بدر يريد الصيد فخرج علقمة في اثره واقام الى ان رجع من صيده فلما قاربه وقف على نشز من الارض واومأ برقعة في يده وانشا يقول

نحن التجار وهذه اعلاقنا * در وجود يمينك المبتاع
قلب وفتشها بسمعك انما * هي جوهر يختاره الاسماع
كسدت علينا بالشآم وكلما * قل النفاق تعطل الصناع
فاتاك يحملها اليك تجارها * ومطيها الآمال والاطماع
حتى اناخوها ببابك والرجا * من دونك السمسار والبياع
فوهبت ما لم يعطه في دهره * هرم ولا كعب ولا القعقاع
وسبقت هذا الناس في طلب العلا * فالناس بعدك كلهم اتباع
يا بدر أقسم لو بك اعتصم الورى * ولجوا اليك جميعهم ما ضاعوا

وكان على يد بدر بازي فالقاه وانفرد عن الجيش وجعل يستردد الابيات وهو ينشدها الى ان استقر في مجلسه ثم قال لجماعة غلمانه وخاصته من احبني فليخلع على هذا الشاعر فخرج من عنده ومعه سبعون بغلا يحمل الخلع والتحف وامر له بعشرة آلاف درهم

معهم فيما أتوا بسببه من أمر الصلح مع الباشا وكف الحروب فقالوا كم من مرة يراسلنا في الصلح ثم يغدر بنا ويحاربنا فاحتجوا عليهم بما اتفق لهم من مخالفتهم لاكثر الشروط التي كان اشترطها عليهم من ارسال الاموال الميرية والغلال وتعديهم على الحدود التي يحددها معهم في الشروط ثم انهم اختلوا مع بعضهم وتشاوروا فيما بينهم وكان عثمان بك حسن منعزلا عنهم بالبر الشرقي ولم يكن معهم في الحرب ولا في غيره وبعد انقضاء الحرب استعلى الى جهة قبلي وعثمان بك يوسف كان أيضا بناحية الهو والدوم الاحمر (وفي اثناء ذلك) ورد على الباشا خبر الانكليز واخذهم الاسكندرية وارسلوا ارسالهم الى الامراء القبالي فارتبك في امره وارسل الى المشايخ يستعجلهم في اجراء الصلح وقبولهم كل ما اشترطوه على الباشا ولا يخالفهم في شيء يطلبونه ابدا ولما وصلتهم رسل الانكليز اختلفت آراؤهم وارسلوا الى عثمان بك حسن يخبرونه ويستدعونه للحضور فامتنع وتورع وقال انا لا انتصر بالكفار ووافقه على رأيه ذلك عثمان بك يوسف واختلفت آراء باقي الجماعة وهم ابراهيم بك الكبير وشاهين بك المرادي وشاهين بك الالفي وباقي امرائهم فاجتمعوا ثانيا بالمشايخ وقالوا لهم ما المراد بهذا الصلح فقالوا المراد منه راحة الطرفين ورفع الحروب

فخرج من عنده وفرق كثيرا من ذلك على الشعراء والمامات بدر وقام بما كان اليه ابنه الافضل

(ذكر وفاة المستنصر وولاية ابنه المستعلى)

فى هذه السنة ثامن عشر ذى الحجة توفى المستنصر بالله ابو تميم معد بن ابى الحسن على الظاهر لاعزاز دين الله العلوى صاحب مصر والشام وكانت خلافته ستين سنة واربعة اشهر وكان عمره سبعا وستين سنة وهو الذى خطب له البساسيرى ببغداد وقد ذكرنا ذلك وكان الحسن بن الصباح رئيس هذه الطائفة الاسماعيلية قد قصده فى زى تاجر واجتمع به وخاطبه فى اقامة الدعوة له ببلاد العجم فعاد ودعا الناس اليه سرا ثم اظهرها وملك القلاع كما ذكرناه وقال للمستنصر من امامى بعدك فقال ابنى نزار وهو اكبر اولاده والاسماعيلية الى يومنا هذا يقولون بامامة نزار ولقى المستنصر شدائد واهوالا وانفتقت عليه الفتوق بديار مصر اخرج فيها امواله وذخائره الى ان بقى لا يملك غير سجادته التى يجلس عليها وهو مع هذا صابر غير خاشع وقد اتينا على ذكر هذا سنة سبع وستين واربعمائة وغيرها ولما مات ولى بعده ابنه ابو القاسم احمد المستعلى بالله ومولده فى المحرم سنة سبع وستين واربعمائة وكان قد عهد فى حياته بالخلافة لابنه نزار فخلعه الافضل وبايع المستعلى بالله وسبب خلعه أن الافضل ركب مرة أيام المستنصر ودخل دهليز القصر من باب الذهب راكبا ونزار خارج والمجاز مظلم فلم يره الافضل فصاح به نزار انزل يا ارمنى كلب عن الفرس ما اقل ادبك فحقدها عليه فلما مات المستنصر خلعه خوفا منه على نفسه وبايع المستعلى فهرب نزار الى الاسكندرية وبها ناصر الدولة افتكين فبايعه أهل الاسكندرية وسموه المصطفى لدين الله فخطب الناس ولعن الافضل وأعانه أيضا القاضى جلال الدولة بن عمار قاضى الاسكندرية فسار اليه الافضل وحاصره بالاسكندرية فعاد عنه مقهورا ثم ازداد عسكرا وسار اليه فحصره واخذه واخذ افتكين فقتله وتسلم المستعلى نزارا فبنى عليه حائطا فمات وقتل القاضى جلال الدولة بن عمار ومن اعانه

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة فى ربيع الآخر راى بعض اليهود بالغرب رؤيا انهم سيطيرون فاخبر اليهود بذلك فوهبوا اموالهم وذخائرهم وجعلوا ينتظرون الطيران فلم يطيروا وصاروا ضحكة بين الامم وفى هذا الشهر كانت بالشام زلازل كثيرة متتابعة يطول مكثها الا انها لم يكن الهدم كثيرا وفيها كانت الفتنة بين اهل نهر طابق واهل باب الارحاء فاحترقت نهر طابق وصارت تلولا فلما احترقت عبر يمن صاحب الشرطة فقتل رجلا مستورا فنفر الناس منه وعزل فى اليوم الثالث وفيها توفى محمد بن أبى هاشم الحسينى امير مكة وقد جاوز سبعين سنة ولم يكن له ما يمدح به وكان قد نهب بعض الحجاج سنة ست وثمانين وقتل منهم خلقا كثيرا وفيها فى ربيع الاول قتل السلطان بركيارق

جمه

واجتماع الكلمة ولا يخفى كما ان الانكليز تخاصمت مع سلطان الاسلام واغارت على ممالكه وطرقت ثغر اسكندرية ودخلتها وقصدهم اخذ الاقليم المصرى كما فعل الفرنساوية فقالوا انهم اتوا باستدعاء الالفى انصرتنا ومساعدتنا فقالوا لا تصدقوا اقوالهم فى ذلك واذا تملكوا البلاد لا يبقون على احد من المسلمين وحالهم ليس كحال الفرنساوية فان الفرنساوية لا يتدينون بدين و يقولون بالحرية والتسوية واما هؤلاء الانكليز فانهم نصارى على دينهم ولا تخفى عداوة الاديان ولا يصح ولا ينبغى منكم الانتصار بالكفار على المسلمين ولا الالتجاء اليهم ووعظوهم وذكروا لهم الآيات القرآنية والاحاديث النبوية وان الله هداهم فى طفوليتهم واخرجهم من الظلمات الى النور وقد نشؤا فى كفالة اسيادهم وتربوا فى حجور الفقهاء و بين اظهر العلماء وقرؤا القرآن وتعلموا الشرائع وقطعوا ما مضى من اعمارهم فى دين الاسلام واقامة الصلوات والحج والجهاد ثم يفسدون أعمالهم آخر الامر ويوادون من حاد الله ورسوله ويستعينون بهم على اخوانهم المسلمين و يملكونهم بلاد الاسلام يتحكمون فى اهلها فالعياذ بالله من ذلك وكان بصحبة المشايخ مصطفى افندى كتخدا القاضى العسكرى يكلمهم باللغة التركية ويترجم لهم ذلك وهو فصيح مكالم فقالوا كل ما قلتموه وابديتموه

عمه تتش وغرقه وقتل ولده معه وكان ملكشاه قد اخذه لما خرج عليه وكحله
وحبسه بقلعة تكريت فلما ملك بركيارق احضره اليه ببغداد وسار بسيره فظفر
بالطفات اليه من أخيه تتش يحثه على اللحاق به وقيل انه اراد المسير الى بلخ لان
اهلها كانوا يريدونه فقتله فلما غرق بقي بسر من رأى فحمل الى بغداد فدفن عند
قبر أبي حنيفة وفيها في جمادى الآخرة كانت وقعة بين الامير انز وتورانشاه بن قاورت
بك وكانت تركان خاتون الجلالية والدة محمود بن ملكشاه قد ارسلته في عسكر
لياخذ بلاد فارس من تورانشاه ولم يحسن الامير انز تدبير بلاد فارس فاستوحش منه
الاجناد واجتمعوا مع تورانشاه وهزموا انز ومات تورانشاه بعد الكسرة بشهر من سهم
اصابه فيها وفيها استولى اصبهبذ بن ساوتكين على مكة حرسها الله عنوة وهرب
منها الامير قاسم بن ابي هاشم العلوي صاحبها واقام بها الى شوال وجمع الامير قاسم
وكبسه بعسفان وجرى بينهما حرب في شوال من هذه السنة فانهزم اصبهبذ ودخل
قاسم الى مكة ومضى اصبهبذ الى الشام وقدم الى بغداد وفيها في رجب احرق
شحنة بغداد وهو ايتكين جب باب البصرة وسبب ذلك ان النقيب طراد الزينبي كان
له كاتب يعرف بابن سنان فقتل فانفذ النقيب الى الشحنة يستدعي منه من يقيم
السياسة فانفذ حاجبه محمدا فرجمه أهل باب البصرة وأدموه فرجع الى صاحبه فشكا
اليه منهم فامر أخاه بقصدهم ومعاقبتهم على فعلهم فسار اليهم في جماعة كثيرة وتبعهم
أهل الكرخ فاحرقوا ونهبوا فارسل الخليفة الى الشحنة يامره بالكف عنهم فكف
وفيها في رمضان توفيت تركان خاتون الجلالية باصبهان وهي ابنة طفغاج خان وهو
من نسل فراسياب التركي وكانت قد برزت من اصبهان لتسير الى تاج الدولة تتش
لتتصل به فمرضت وعادت وماتت واوصت الى الامير أنز والى الامير سرمز شحنة اصبهان
بحفظ المملكة على ابنها محمود ولم يكن بقي بيدها سوى قصبة اصبهان ومعها عشرة
آلاف فارس اتراك وفيها في ذي القعدة توفي ابو الحسين بن الموصلايا كاتب ديوان
الزمام ببغداد

(ثم دخلت سنة ثمان وثمانين واربعمائة)

(ذكر دخول جمع من الترك افريقية وما كان منهم)

في هذه السنة غدر شاهملك التركي بيحيى بن تميم بن المعز بن باديس وقبض عليه وكان
هذا شاهملك من اولاد بعض الامراء الاتراك ببلاد الشرق فناله في بلده امر اقتضى
خروجه منه فسار الى مصر في مائة فارس فاكرمه الافضل امير الجيوش واعطاه اقطاعا
ومالا ثم بلغه عنه اسباب اوجبت اخراجه من مصر فخرج هو واصحابه هاربين فاحتالوا
حتى اخذوا سلاحا وخيلا وتوجهوا الى المغرب فوصلوا الى طرابلس الغرب واهل
البلد كارهون لواليها فادخلوهم البلد واخرجوا الوالي وصار شاهملك امير البلد فسمع
تميم الخبر فارسل العساكر اليها فحصروها وضيقوا على الاتراك ففتحوها ووصل شاهملك

نعلمه ولو تحققنا الامن والصدق من مرسلكم ما حصل منا خلاف ومحاربتنا وقاتلنا بين يديه ولكنه غدار لا يفي بعهد
ولا بوعد ولا يبر في يمين ولا
يصدق في قول وقد تقدم انه
يصطلح معنا وفي اثر ذلك ياتي
يحاربنا ويقتلنا ويمنع عنا من
ياتي الينا باحتياجاتنا من
مصر ويعاقب على ذلك حتى
من ياتي من الباعة والمنتسبين
الى الناحية التي نحن فيها
ولا يخفاكم انه لما اتى
القبودان ومعه الاوامر بالرضا
والعفو الكامل عنا والامر له
بالخروج فلم يمتثل وارسل
الينا وخدعنا وتحيل علينا
بارسال الهدايا وصدقناه
واصطلحنا معه فلما تم له الامر
غدر بنا ومامراده بصلحنا
الا تاخرنا عن ذهابنا الى
الانكليز فلا نذهب اليهم ولا
نستعين بهم وان كان مراده
يعطينا بلادا يصالحنا عليها
فها هي البلاد بايدينا وقد
عمها الخراب باستمرار الحروب
من الفريقين وقد تفرق
شملنا وانهدمت دورنا ولم يبق
لنا ما نأسف عليه أو نتحمل
المذلة من اجله وقد ماتت
اخواننا ومماليكنا فنحن
نستمر على ما نحن معه عليه
حتى نموت عن آخرنا ويرتاح
قلبه من جهتنا فقال لهم
الجماعة هذه المرة هي الاخرى
وليس بعدها شر ولا حرب بل
بعدها الصداقة والمصافاة
ويعطيكم كل ما طلبتموه من
بلاد وغيرها فلو طلبتم من الاسكندرية الى اسوان لا يمنع ذلك بشرط أن تكونوا معنا بالمساعدة في حرب الانكليز

معهم الى المهدية فسر به تميم و بمن معه وقال ولدلي مائة ولد انتفع بهم وكانوا الايخطئ لهم سهم فلم تطل الايام حتى جرى منهم امر غير تميما عليهم فعلم شاهملك ذلك وكان داهيا خبيثا فخرج يحيى بن تميم الى الصيد في جماعة من اعيان اصحابه نحو مائة فارس ومعه شاهملك وكان ابو تميم قد تقدم اليه ان لا يقرب شاهملك فلم يقبل فلما ابعدوا في طلب الصيد غدر به شاهملك فقبض عليه وسار به و بمن اخذ معه من اصحابه الى مدينة سفاقس وبلغ الخبر تميما فركب وسير العساكر في اثرهم فلم يدركوهم ووصل شاهملك بيحيى بن تميم الى سفاقس فركب صاحبها واسمه حمو وكان قد خالف على تميم ولقى يحيى ومشى في ركابه راجلا وقبل يده وعظمه واعترف له بالعبودية فاقام عنده اياما ولم يذكره ابوه بكلمة وكان قد جعله ولى عهده فلما اخذ اقام أبوه مقامه ابنا له آخر اسمه مثنى ثم ان صاحب سفاقس خاف يحيى على نفسه ان يثور معه الجند واهل البلد و يملكوه عليهم فارسل الى تميم كتابا يساله في انفاذ الاتراك وأولادهم اليه ليرسل ابنه يحيى ففعل ذلك بعد امتناع وقدم يحيى فحجبه ابوه عنه مدة ثم اعاده الى حاله ورضى عنه ثم جهز تميم عسكرا الى سفاقس ويحيى معهم فساروا اليها وحصروها برا و بحرا وضيقوا على الاتراك بها واقاموا عليها شهرين واستولوا عليها وفارقها الاتراك الى قابس وكان تميم لما رضى عن ابنه يحيى عظم ذلك على ابنه الآخر المثنى وداخله الحسد فلم يملك نفسه فنقل عنه الى ابيه ما غير قلبه عليه فامر باخراجه من المهدية باهله واصحابه فركب في البحر ومضى الى سفاقس فلم يمكنه عاملها من الدخول اليها وقصد مدينة قابس وبها امير يقال له مكين بن كامل الدهمانى فانزله واكرمه فحسن له مثنى الخروج معه الى سفاقس والمهدية واطمعه فيهما وضمن الانفاق على الجند من ماله فجمع مكين من يمكنه جمعه وسار الى سفاقس ومعهما شاهملك التركى واصحابه فنزلوا على سفاقس وقاتلوها وسمع تميم فجرد اليها جندا فلما علم المثنى ومن معه انهم لا طاقة لهم بها ساروا عنها الى المهدية فنزلوا عليها وقاتلوها وكان الذى تولى القتال من المهدية يحيى بن تميم وظهرت منه شهامة وشجاعة وحزم وحسن تدبير فلم يبلغ أولئك منها غرضا فعادوا خائبين وقد تلف ما كان مع المثنى من مال وغيره وعظم امر يحيى وصار هو المشار اليه

(ذكر قتل احمدخان صاحب سمرقند)

فى هذه السنة فى المحرم قتل احمدخان صاحب سمرقند وكان قد كرهه عسكره واتهموه بفساد الاعتقاد وقالوا هو زنديق وكان سبب ذلك ان السلطان ملكشاه لما فتح سمرقند واسر هذا احمدخان قد وكل به جماعة من الديلم فحسنوا له معتقدهم واخرجوه الى الاباحة فلما عاد الى سمرقند كان يظهر منه اشياء تدل على انحلاله من الدين فلما كرهه اصحابه وعزموا على قتله قالوا المستحفظ قلعة كاسان وهو طغرل ينال بك ليظهر العصيان ليسير احمدخان معهم من سمرقند الى قتاله فيتمكنوا من قتله فعصى طغرل ينال بك فسار أحمدخان والعسكر الى قتاله فلما نازل القلعة تمكن العسكر منه وقبضوا عليه وعادوا

ودفعهم عن البلاد وايضا اسيرون باجمعكم من البر الغربي والباشا وعساكره من البر الشرقي وعند انقضاء امر الانكليز ورجوعكم الى بر الجيزة ينعقد مجلس الصلح بحضرة المشايخ الكبار والنقيب والوجاقلية وأكابر العسكر وان شئتم عقدنا مجلس الصلح بالجيزة قبل التوجه لمحاربة الانكليز ولا شر بعد ذلك أبدا فانخدعوا لذلك وكتبوا أجوبة ورجع بها مصطفى افندى كتخدا القاضى وصحبته يحيى كاشف ثم رجع اليهم ثانيا وسار الفريقان الى جهة مصر وحضر المشايخ وأخبروا بما حصل (وفيه) شرعوا فى حفر الخندق المذكور ووزعوا حفره على مياسير الناس واهل الوكائل والخانات والتجار وارباب الحرف والروزنامجى وجعلوا على البعض أجرة مائة رجل من الفعلة وعلى البعض أجرة خمسين وعشرين وكذلك أهل بولاق ونصارى ديوان المكس والنصارى الاروام والشوام والاقباط واشتروا المقاطف والغلقان والفوس والقزم وآلات الحفر وشرعوا فى بناء حائط مستدير أسفل تل قلعة السبتية (وفى يوم الخميس غايته) ورد مكتوب من السيد حسن كريت نقيب الاشراف برشيد والمشار اليه بها يذكر فيه ان الانكليز لما وقع لهم ما وقع برشيد ورجعوا فى هزيمتهم الى الاسكندرية استعدوا وحضروا الى ناحية الحماد قبلى رشيد ومعهم

الى

الى سمرقند واحضروا القضاة والفقهاء واقاموا خصوما ادعوا عليه الزندقة فجحد فشهد عليه جماعة بذلك فافتى الفقهاء بقتله فخنقوه واجلسوا ابن عمه مسعودا مكانه واطاعوه

(ذكر ما فعله يوسف بن ابق ببغداد)

فى هذه السنة فى صفر سير الملك تتش يوسف بن ابق التركمانى شحنة لبغداد ومعه جمع من التركمان فمنع من دخول بغداد وورد اليه صدقة بن مزيد صاحب الحلة وكان يكره تتش ولم يخطب له فى بلاده فلما سمع ابن ابق بوصوله عاد الى طريق خراسان ونهب باجسرا وقاتله العسكر بيعقوبا فهزمهم ونهبهم الخش نهب واكثر معه من التركمان وعاد الى بغداد وكان صدقة قد رجع الى الحلة فدخل يوسف بن ابق الى بغداد واراد نهبها والايقاع باهلها فمنعه امير كان معه من ذلك ثم وصل اليه الخبر بقتل تتش فرحل عن بغداد الى الموصل وسار من هناك الى حلب

(ذكر الحرب بين بركيارق وتتش وقتل تتش)

فى هذه السنة فى صفر قتل تتش بن الب ارسلان وكان سبب ذلك انه لما هزم السلطان بركيارق كما ذكرناه سار من موضع الوقعة الى همذان وقد تحصن بها امير آخر فرحل تتش عنها فتبعه امير آخر لاجل اثقاله فعاد عليه تتش فكسره فعاد الى همذان واستامن اليه وصار معه وبلغ تتش مرض بركيارق فسار الى اصبهان فاستاذنه امير آخر فى قصد جرباذقان لاقامة الضيافة وما يحتاج اليه فاذن له فسار اليها ومنها الى اصبهان وعرفهم خبر تتش وعلم تتش خبره فنهب جرباذقان وسار الى الرى وارسل الى الامراء الذين باصبهان يدعوهم الى طاعته ويبذل لهم البذول الكثيرة وكان بركيارق مريضا بالجدرى فاجابوه يعدونه بالانحياز اليه وهم ينتظرون ما يكون من بركيارق فلما عوفى ارسلوا الى تتش ليس بيننا غير السيف وساروا مع بركيارق من اصبهان وهم فى نفر يسير فلما بلغوا جرباذقان اقبلت اليهم العساكر من كل مكان حتى صاروا فى ثلاثين الفا فالتقوا بموضع قريب من الرى فانهزم عسكر تتش وثبت هو فقتل قيل قتله بعض اصحاب آقسنقر صاحب حلب اخذا بثار صاحبه وكان قد قبض على فخر الملك بن نظام الملك وهو معه فاطلق واستقام الامر والسلطنة لبركيارق واذا اراد الله امرا هيا اسبابه بالامس ينهزم من عمه تتش ويصل الى اصبهان فى نفر يسير فلا يتبعه احد ولو تبعه عشرون فارسا لاخذوه لانه بقى على باب اصبهان عدة ايام ثم لما دخلها اراد الامراء كحله فاتفق ان اخاه حم ثانى يوم وصوله وجدر فمات فقام فى الملك مقامه ثم جدر هو واصابه معه سرسام فعوفى وبقى مذ كسره عمه الى ان عوفى وسار عن اصبهان اربعة اشهر لم يتحرك عمه ولا عمل شيئا ولو قصده وهو مريض او وقت مرض اخيه لملك البلاد ولله سر فى علاك وانما * كلام العدا ضرب من الهذيان

(ذكر حال الملك رضوان واخيه دقاق بعد قتل أبيهما)

المدافع الهائلة والعدد ونصبوا متاريسهم من ساحل البحر الى الجبل عرضا وذلك ليلة الثلاثاء ثامن عشريه فهذا ماحصل أخبرناكم به ونرجو الاسعاف والامداد بالرجال والجبخانه والعدة والعدد وعدم التانى والاهمال فلما وصل ذلك الجواب قرأه السيد عمر النقيب على الناس وحثهم على التاهب والخروج للجهاد فامتثلوا ولبسوا الاسلحة وجمع اليه طائفة المغاربة واتراك خان الخليلى وكثير من العدوية والاسيوطية واولاد البلد وركب فى صبحها الى كتخدا بك واستاذنه فى الذهاب فلم يرض وقال حتى ياتى افندينا الباشا ويرى رأيه فى ذلك فسافر من سافر وبقى من بقى وانقضى الشهر وحوادثه (وفيه) ورد الخبر بان ركب الحاج الشامى رجع من منزلة هدية ولم يحج فى هذا العام وذلك انه لما وصل الى المنزلة المذكورة أرسل الوهابى الى عبد الله باشا امير الحاج يقول له لاتات الا على الشرط الذى شرطناه عليك فى العام الماضى وهو أن ياتى بدون المحمل ومايصحبهم من الطبل والزمر والاسلحة وكل ما كان مخالفا للشرع فلما سمعوا ذلك رجعوا من غير حج ولم يتركوا منا كيرهم

(واستهل شهر صفر بيوم الجمعة سنة ١٢٢٢)

فيه كتبوا مراسلة الى الامراء القبالى وختم عليها كثير من مشايخ الازهر وغيرهم وارسلوها اليهم (وفى يوم السبت ثانيه) وردت مكاتبة

أيضا من ثغر رشيد وعليها امضاء علي بك السنانكلي حاكم الثغر وطاهر باشا واحمد أغا المعروف ببونابارته بمعنى
مكتوب السيد حسن السابق
ويذكرون فيه ان الانكليز
ملكوا أيضا كوم الافراح
وابو منضور ويستعجلون
النجدة (وفي تلك الليلة)
اعني ليلة الاحد وصل محمد
علي باشا ودخل الى داره
بالازبكية في سادس ساعة
من الليل وكان اشيع وصوله
قبل ذلك اليوم وخرج السيد
عمر النقيب والمشايخ والمحروقي
لملاقاته يوم الجمعة فبعضهم
ذهب الى الآثار وبات هناك
وبعضهم بات بالقرافة بضريح
الامام الشافعي ورجعوا
في ثاني يوم ولم يحصل لهم
ملاقاة فلما طلع نهار ذلك اليوم
وأشيع حضوره الى داره
ركب الجميع وذهبوا للسلام
عليه ودار بينهم الكلام
في أمر الانكليز فاظهر الاهتمام
وأمر كتخدا بك وحسن باشا
بالخروج في ذلك اليوم فاخرجوا
مطلوباتهم وغازتهم الى
بولاق وسخط على أهل
الاسكندرية والشيخ المسيري
وأمين أغا حيث مكنوا
الانكليز من الثغر وملكوهم
البلدة ولم يقبل لهم عذرا في
ذلك ثم قالوا له انا نخرج جميعا
للجهاد مع الرعية والعسكر
فقال ليس على رعية البلد
خروج وانما عليهم المساعدة
بالمال لعلائف العسكر وانقضى
المجلس وركبوا الى دورهم (وفيه) وصل حجاج المغاربة الى مصر من طريق البر واخبروا أنهم حجوا وقضوا

كان تاج الدولة تتش قد أوصى اصحابه بطاعة ابنه الملك رضوان وكتب اليه من بلد الجبل قبل المصاف الذي قتل فيه يامره أن يسير الى العراق ويقيم بدار المملكة فسار في عدد كثير منهم ايلغازي بن ارتق وكان قد سار الى تتش فتركه عند ابنه رضوان ومنهم الامير وثاب بن محمود بن صالح بن مرداس وغيرهما فلما قارب هيت بلغه قتل ابيه فعاد الى حلب ومعه والدته فملكها وكان بها ابو القاسم الحسن بن علي الخوارزمي قد سلمها اليه تتش وحكمه في البلد والقلعة ولحق برضوان زوج امه جناح الدولة الحسين بن ايتكين وكان مع تتش فسلم من المعركة وكان مع رضوان أيضا أخواه الصغيران أبو طالب وبهرام وكانوا كلهم مع ابي القاسم كالاضياف لتحكمه في البلد واستمال جناح الدولة المغاربة وكانوا أكثر جند القلعة فلما انتصف الليل نادوا بشعار الملك رضوان واحتاطوا على أبي القاسم وارسل اليه رضوان يطيب قلبه فاعتذر فقبل عذره وخطب لرضوان على منابر حلب واعمالها ولم يكن يخطب له بل كانت الخطبة لابيه بعد قتله نحو شهرين وسار جناح الدولة في تدبير المملكة سيرة حسنة وخالف عليهم الامير باغيسيان بن محمد بن الب التركماني صاحب انطاكية ثم صالحهم واشار على الملك رضوان بقصد ديار بكر لخلوها من وال يحفظها فساروا جميعا وقدم عليهم امراء الاطراف الذين كان تتش رتبهم فيها وقصدوا سروج فسبقهم اليها الامير سقمان بن ارتق جد اصحاب الحصن اليوم واخذها ومنعهم عنها وامر اهل البلد فخرجوا الى رضوان وتظلموا اليه من عساكره وما يفسدون من غلاتهم ويسالونه الرحيل فرحل عنهم الى الرها وكان بها رجل من الروم يقال له الفارقليط وكان يضمن البلد من بوزان فقاتل المسلمين بمن معه واحتمى بالقلعة وشاهدوا من شجاعته ما كانوا لا يظنونه ثم ملكها رضوان وطلب باغيسيان القلعة من رضوان فوهبها له فتسلمها وحصنها ورتب رجالها وارسل اليهم أهل حران يطلبونهم ليسلموا اليهم حران فسمع ذلك قراجة أميرها فاتهم ابن المفتي وكان هذا ابن المفتي قد اعتمد عليه تتش في حفظ البلد فاخذه وأخذ معه بني اخيه فصلبهم ووصل الخبر الى رضوان وقد اختلف جناح الدولة وباغيسيان واضمر كل واحد منهما الغدر بصاحبه فهرب جناح الدولة الى حلب فدخلها واجتمع بزوجته ام الملك رضوان وسار رضوان وباغيسيان فعبرا الفرات الى حلب فسمعوا بدخول جناح الدولة اليها ففارق باغيسيان الملك رضوان وسار الى انطاكية ومعه ابو القاسم الخوارزمي وسار رضوان الى حلب واما دقاق بن تتش فانه كان قد سيره ابوه الى عمه السلطان ملكشاه ببغداد وخطب له ابنة السلطان وسار بعد وفاة السلطان مع خاتون الجلالية وابنها محمود الى أصبهان وخرج الى السلطان بركيارق سرا وصار معه ثم لحق بابيه وحضر معه الوقعة التي قتل فيها فلما قتل أبوه أخذه غلام لابيه اسمه ايتكين الحلبي وسار به الى حلب وأقام عند اخيه الملك رضوان فراسله الامير ساوتكين الخادم الوالي بقلعة دمشق سرا يدعوه ليملكه دمشق فهرب من حلب سرا وجد في السير فارسل أخوه رضوان عدة من الخيالة فلم يدركوه فلما وصل الى دمشق فرح به

الخادم واظهر الاستبشار ولقيه فلما دخلها ارسل اليه باغيسيان يشير عليه بالتفرد بملك دمشق عن اخيه رضوان واتفق وصول معتمد الدولة طغدكين الى دمشق ومعه جماعة من خواص تتش وعسكره وقد سلم وافانه كان قد شهد الحرب مع صاحبه واسر فبقي الى الآن وخلص من الاسر فلما وصل الى دمشق لقيه الملك دقاق وارباب دولته وبالغوا في اكرامه وكان زوج والدة دقاق فمال اليه لذلك وحكمه في بلاده وعملوا على قتل الخادم ساوتكين فقتلوه وسار اليهم باغيسيان من انطاكية ومعه ابو القاسم الخوارزمي فجعله وزير الدقاق وحكمه في دولته

(ذكر وفاة المعتمد بن عباد)

في هذه السنة توفي المعتمد بن عباد الذي كان صاحب الاندلس مسجونا باغمات من بلاد المغرب وقد ذكرنا كيف اخذت بلاده منه سنة اربع وثمانين واربعمائة فبقي مسجونا الى الآن وتوفي وكان من محاسن الدنيا كرما وعلما وشجاعة ورياسة تامة واخباره مشهورة وآثاره مدونة وله اشعار حسنة فمنها ما قاله لما اخذ ملكه وحبس

سلت علي يد الخطوب سيوفها * فجذذن من جسدي الخصيف الامتنا
ضربت بها ايدي الخطوب وانما * ضربت رقاب الآملين بها المنى
يا آملي العادات من نفحاتنا * كفوا فان الدهر كف اكفنا

وله من قصيدة يصف القيد في رجله

تعطف في ساقي تعطف ارقم * يساورها عضا بانياب ضيغم
واني من كان الرجال بسيبه * ومن سيفه في جنة وجهنم

وقال في يوم عيد

فيما مضى كنت بالاعياد مسرورا * فصرت كالعيد في اغمات ماسورا
قد كان دهرك ان تامره ممتثلا * فردك الدهر منهيا ومامورا
من بات بعدك في ملك يسر به * فانما بات بالاحلام مسرورا

وكان شاعره ابو بكر بن اللبانة يأتيه وهو مسجون فيمدحه لا لجدوى ينالها منه بل رعاية لحقه واحسانه القديم اليه فلما توفي أتاه فوقف على قبره يوم عيد والناس عند قبور اهاليهم وانشد بصوت عال

ملك الملوك اسامع فانادي * ام قد عداك عن الجواب عوادي
لما خلت منك القصور ولم تكن * فيها كما قد كنت في الاعياد
قبلت في هذا الثرى لك خاضعا * وتخذت قبرك موضع الانشاد

واخذ في اتمام القصيدة فاجتمع الناس كلهم عليه يبكون ولو اخذنا في تفصيل مناقبه ومحاسنه لطال الامر فلنقف عند هذا

(ذكر وفاة الوزير ابي شجاع)

في هذه السنة توفي الوزير ابو شجاع محمد بن الحسين بن عبد الله وزير الخليفة في جمادى

مناسكهم وان مسعود الوهابي وصل الى مكة بجيش كثيف وحج مع الناس بالامن وعدم الضرر ورخاء الاسعار واحضر مصطفى جاويش أمير الركب المصري وقال له ما هذه العويدات والطبول التي معكم يعني بالعويدات المحمل فقال هو اشارة وعلامة على اجتماع الناس بحسب عادتهم فقال لا تأت بذلك بعد هذا العام وان أتيت به احرقته وانه هدم القباب وقبة آدم وقباب ينبع والمدينة وابطل شرب التنباك والنارجيلة من الاسواق وبين الصفا والمروة وكذلك البدع (وفي ثالث الليلة) أرسل الباشا وطلب السيد عمر في وقت العشاء الاخيرة والزمه بتحصيل ألف كيس لنفقة العسكر وان يوزعها بمعرفته (وفي يوم الاثنين رابعه) دخلت طوائف العسكر الواصلين من الجهة القبلية الى المدينة وطلبوا سكنى البيوت كعادتهم ولم يرجعوا الى الدور التي كانوا ساكنين بها واخربوها (وفي يوم الثلاثاء) وردت مكاتبة من رشيد وعليها امضاء السيد حسن كريت يخبر فيها بان الانكليز محتاطون بالثغر ومتحلقون حوله ويضربون على البلد بالمدافع والقنابر وقد تهدم الكثير من الدور والابنية ومات كثير من الناس وقد ارسلنا لكم قبل تاريخه نطلب الاغاثة والنجدة فلم تسعفونا بارسال شيء وما عرفنا الاي شيء هذا الحال وما هذا الاهمال فالله الله في

الآخرة واصله من روذروار وولد بالاهواز وقرأ الفقه على الشيخ أبي اسحق الشيرازي وكان عالما بالعربية وله تصانيف منها ذيل تجارب الامم وكان عفيفا عادلا حسن السيرة كثير الخير والمعروف وكان موته بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مجاورا فيها ولما حضره الموت أمر فحمل الى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فوقف بالحضرة وبكى وقال يا رسول الله قال الله عز وجل ولو أنهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما وقد جئت معترفا بذنوبي وجرائمي ارجو شفاعتك وبكى فاكثر وتوفي من يومه ودفن عند قبر ابراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم

(ذكر الفتنة بنيسابور)

في هذه السنة في ذي الحجة جمع أمير كبير من أمراء خراسان جمعا كثيرا وسار بهم الى نيسابور ليحصرها فاجتمع أهلها وقاتلوه أشد قتال ولازم حصارهم نحو أربعين يوما فلما لم يجد له مطمعا فيها سار عنها في المحرم سنة تسع وثمانين فلما فارقها وقعت الفتنة بها بين الكرامية وسائر الطوائف من أهلها فقتل بينهم قتلى كثيرة وكان مقدم الشافعية أبا القاسم بن امام الحرمين أبي المعالي الجويني ومقدم الحنفية القاضي محمد بن احمد بن صاعد وهما متفقان على الكرامية ومقدم الكرامية محمشاد فكان الظفر للشافعية والحنفية على الكرامية فخربت مدارسهم وقتل كثير منهم ومن غيرهم وكانت فتنة عظيمة

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في ربيع الآخر شرع الخليفة في عمل سور على الحريم واذن الوزير عميد الدولة بن جهير للعامة في التفرج والعمل فزينوا البلد وعملوا القباب وجدوا في عمارته وفيها في شهر رمضان جرح السلطان بركيارق جرحه انسان سيرله من أهل سجستان في عضده ثم أخذ الرجل واعانه رجلان أيضا من أهل سجستان فلما ضرب الرجل الجارح اعترف ان هذين الرجلين وضعاه واعترفا بذلك فضربا بالضرب الشديد ليقرا على من امرهما بذلك فلم يقرا فقربا الى الفيل ليجعلا تحت قوائمه وقدم احدهما فقال اتركوني وأنا أعرفكم فتركوه فقال لصاحبه يا أخي لابد من هذه القتلة فلا تفضح أهل سجستان بافشاء الاسرار فقتلا وفيها توجه الامام أبو حامد الغزالي الى الشام وزار القدس وترك التدريس في النظامية واستناب أخاه وتزهد ولبس الخشن وأكل الدون وفي هذه السفرة صنف احياء علوم الدين وسمعه منه الخلق الكثير بدمشق وعاد الى بغداد بعدما حج في السنة التالية وسار الى خراسان وفيها في ربيع الاول خطب لولي العهد أبي الفضل منصور بن المستظهر بالله وفيها عزل بركيارق وزيره مؤيد الملك ابن نظام الملك واستوزر أخاه فخر الملك وسبب ذلك ان بركيارق لما هزم عمه تتش وقتله ارسل خادما يحضر والدته زبيدة خاتون من أصبهان فاتفق مؤيد الملك مع جماعة من الامراء واشاروا عليه بتركها فقال لا أريد الملك الا هاو بوجودها عندي فلما

لاسعاف فقد ضاق الخناق وبلغت القلوب الحناجر من توقع المكروه وملازمة المرابطة والسهر على المتاريس ونحو ذلك من الكلام وهي خطاب للسيد عمر النقيب والمشايخ ومؤرخة في ثاني شهر صفر (وفي ذلك اليوم) اهتم الباشا وعزم على السفر بنفسه وركب الى بولاق وصحبته حسن باشا وعابدين بك وعمر بك فسافروا في تلك الليلة (وفي يوم الاربعاء) سافر ايضا جويك وخرج معه بعض المتطوعة من الاتراك وغيرهم تهيؤا واتفقوا مع المسافرين معهم وامدهم الكثير من اخوانهم بالاحتياجات والذخيرة والمؤن ونصبوا لهم بيرقا وخرجوا ومعهم طبل وزمر (وفي يوم الجمعة) ركب ايضا احمد اغا لاظ وشق بعساكره الذين كان بهم بالمدينة وتداخل فيهم الكثير من أجناسهم وغيرهم من مغاربة وأتراك بلدية ومر الجميع من وسط المدينة في عدة وافرة وذهب الجميع الى بولاق يوهمون انهم مسافرون على قدم الاستعجال بهمة ونشاط واجتهاد فاذا وصلوا الى بولاق تفرقوا ورجع الكثير منهم ويراهم الناس في اليوم الثاني والثالث بالمدينة ومن تقدم منهم وسافر بالفعل ذهب فريق منهم الى المنوفية وفريق الى الغربية يجمعوا في طريقهم من أهل البلاد والقرى ما تصل اليه قدرة عسفهم من المال والمغارم والكلف وخطف البهائم وصلت

وصلت اليه وعلمت الحال انكرت على مؤيد الملك وكان مجد الملك أبو الفضل البلاساني قد صحبها في طريقها وعلم أنه لا يتم له أمر مع مؤيد الملك وكان بين مؤيد الملك واخيه فخر الملك تباعد بسبب جواهر خلفها ابوهما نظام الملك فلما علم فخر الملك تنكر السلطان على اخيه مؤيد الملك ارسل وبذل اموالا جزيلة في الوزارة فاجيب الى ذلك وعزل اخوه وولي هو وفي هذه السنة في جمادى الاولى توفي ابو محمد رزق الله ابن عبد الوهاب التميمي الفقيه الحنبلي وكان عارفا بعدة علوم وكان قريبا من السلاطين وفيها في رجب توفي ابو الفضل احمد بن الحسن بن خيرون المعروف بابن الباقلاني وهو مشهور ومولده سنة ست واربعمائة وفيها في شعبان توفي قاضي القضاة ابو بكر محمد بن المظفر الشامي وكان من اصحاب أبي الطيب الطبري ولم يأخذ على القضاء اجرا واقر الحق مقره ولم يحاب احدا من خلق الله ادعى عنده بعض الاتراك على رجل شيأ فقال الك بينة قال نعم فلان والمشطب الفقيه الفرغاني فقال لا اقبل شهادة المشطب لانه يلبس الحرير فقال التركي فالسلطان ونظام الملك يلبسان الحرير فقال لو شهدا عندي على باقة بقل لم أقبل شهادتهما وولي القضاء بعده أبو الحسن علي بن قاضي القضاة أبي عبد الله محمد الدامغاني وفيها مات القاضي أبو يوسف عبد السلام بن محمد القزويني ومولده سنة احدى عشرة وأربعمائة وكان مغاليا في الاعتزال وقيل كان زيدي المذهب وفيها توفي القاضي أبو بكر بن الرطبي قاضي دجيل وكان شافعي المذهب وولي بعده أخوه أبو العباس أحمد بن الحسن بن أحمد أبو الفضل الحداد الاصفهاني صاحب أبي نعيم الحافظ روى عنه حلية الاولياء وهو أكبر من أخيه أبي المعالي وأبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله بن حميد الحميدي الاندلسي ولد قبل العشرين وأربعمائة وسمع الحديث ببلده ومصر والحجاز والعراق وهو مصنف الجمع بين الصحيحين وكان ثقة فاضلا وتوفي في ذي الحجة ووقف كتبه فانتفع بها الناس

(ثم دخلت سنة تسع وثمانين وأربعمائة)

(ذكر قتل يوسف بن ابق والمجن الحلبي)

في هذه السنة في المحرم قتل يوسف بن ابق الذي ذكرنا انه سيره تاج الدولة تتش الى بغداد ونهب سوادها وكان سبب قتله انه كان بحلب بعد قتل تاج الدولة وكان بحلب انسان يقال له المجن وهو رئيس الاحداث بها وله اتباع كثير فحضر عند جناح الدولة حسين وقال له ان يوسف بن أبق يكاتب باغيسيان وهو على عزم الفساد واستاذنه في قتله فاذن له وطلب ان يعينه بجماعة من الاجناد ففعل ذلك فقصد المجن الدار التي بها يوسف فكبسها من الباب والسطح وأخذ يوسف فقتله ونهب كل ما في داره وبقي بحلب حاكما فحدثته نفسه بالتفرد بالحكم عن الملك رضوان فقال لجناح الدولة ان الملك رضوان أمرني بقتلك فخذ لنفسك فهرب جناح الدولة الى حمص وكانت له فلما انفرد المجن بالحكم تغير عليه رضوان وأراد منه ان يفارق البلد فلم يفعل وركب في أصحابه

ورعي المزارع وخطف النساء والبنات والصبيان وغير ذلك (وفيه) سافر أيضا حسن باشا طاهر وفيه نزل الدلاتية الى بولاق وكذلك الكثير من العسكر وحصل منهم الازعاج في أخذ الحمير والجمال قهرا من أصحابها ونزلوا بخيولهم على ربب البرسيم والغلال الطائبة التي بناحية بولاق وجزيرة بدران وخلافها فرعتها وأكلتها بهائمهم في يوم واحد ثم انتقلوا الى ناحية منية السيرج وشبرا والزاوية الحمراء والمطرية والاميرية فاكلوا زروعات الجميع وخطفوا مواشيهم وفجروا بالنساء وافتضوا الابكار ولاطوا بالغلمان وأخذوهم وباعوهم فيما بينهم حتى باعوا البعض بسوق مسكة وغيره وهكذا تفعل المجاهدون واشتدة قهر الخلائق منهم وقبح أفعالهم عنوا مجيء الافرنج من أي جنس كان وزوال هؤلاء الطوائف الخاسرة الذين ليس لهم ملة ولا شريعة ولا طريقة يمشون عليها فكانوا يصرخون بذلك بمسمع منهم فيزداد حقدهم وعداوتهم ويقولون أهل هذه البلاد ليسوا مسلمين لانهم يكرهوننا ويحبون النصارى ويتوعدونهم اذا خلصت لهم البلاد ولا ينظرون لقبح أفعالهم (وفي يوم الاثنين حادي عشره) حضر جماعة من الططر الذين من عادتهم يأتون بالاخبار والبشارات بالمناصب وقد وصلوا من طريق الشام يبشرون بولاية

فلوهم بالمحاربة فعل ثم أمر أصحابه ان ينهبوا ماله واثاثه ودوابه ففعلوا ذلك واختفى قطلب فوجد بعد ثلاثة أيام فاخذ وعوقب وعذب ثم قتل هو وأولاده وكان من السواد يشق الخشب ثم بلغ هذه الحالة

(ذكر وفاة منصور بن مروان)

في هذه السنة في المحرم توفي منصور بن نظام الدين بن ناصر الدولة بن مروان صاحب ديار بكر وهو الذي انقرض أمر بني مروان على يده حين حاربه فخر الدولة بن جهير وكان جكرمش قد قبض عليه بالجزيرة وتركه عند رجل يهودي فمات في داره وحملته زوجته الى تربة آبائه فدفنته ثم حجت وعادت الى بلد البشنوية فابتاعت ديرا من بلد فنك بقرب جزيرة ابن عمر وأقامت فيه تعبد الله وكان منصور شجاعا شديد البخل له في البخل حكايات عجيبة فتعسا لطالب الدنيا المعرض عن الآخرة الا تنظر الى فعلها بابنائها بينما هذا منصور ملك من بيت ملك آل أمره الى ان مات في بيت يهودي نسال الله تعالى ان يحسن اعمالنا ويصلح عاقبة أمرنا في الدنيا والآخرة بمنه وكرمه

(ذكر ملك تميم مدينة قابس أيضا)

في هذه السنة ملك تميم بن المعز مدينة قابس واخرج منها اخاه عمرا وسبب ذلك انها كان بها انسان يقال له قاضي بن ابراهيم بن بلمونه فمات فولى اهلها عليهم عمرو بن المعز فاساء السيرة وكان قاضي بن ابراهيم عاصيا على تميم وتميم يعرض عنه فسلك عمرو طريقه في ذلك فاخرج تميم العساكر الى أخيه عمرو ليأخذ المدينة منه فقال له بعض اصحابه يا مولانا لما كان فيها قاضي توانيت عنه وتركته فلما وليها أخوك جردت اليه العساكر فقال لما كان فيها غلام من عبيدنا كان زواله سهلا علينا واما اليوم وابن المعز بالمهدية وابن المعز بقابس هذا ما لا يمكن السكوت عليه وفي فتحها يقول ابن خطيب سوسة القصيدة المشهورة التي أولها

ضحك الزمان وكان يلقى عابسا * لما فتحت بحد سيفك قابسا
الله يعلم ماحويت ثمارها * الا وكان أبوك قبل الغارسا
من كان في زرق الاسنة خاطبا * كانت له قلل البلاد عرائسا
فابشر تميم بن المعز بفتكة * تركتك من اكناف قابس قابسا
ولوا فكم تركوا هناك مصانعا * ومقاصرا ومخالدا ومجالسا
فكأنها قلب وهن وساوس * جاء اليقين فذاد عنه وساوسا

(ذكر ملك كربوقا الموصل)

في هذه السنة في ذي القعدة ملك قوام الدولة أبو سعيد كربوقا مدينة الموصل وقد ذكرنا ان تاج الدولة تتش أسره لما قتل آقسنقر وبوزان فلما أسره أبقى عليه طمعا في استصلاح حمية الامير أنر ولم يكن له بلد يملكه اذا قتله كما فعل بالامير بوزان فانه قتله واستولى على بلاده الرها وحران ولم يزل قوام الدولة محبوسا بحلب الى ان قتل تتش وملك

السيد علي باشا قبودان باشا وعزل صالح قبودان عن رياسة الدونانمه ويذكرون أنه خرج بالدونانمه التي تسمى بالعمارة وصحبته عدة مراكب فرنساوية قاصدين جهة مالطة ليقطعوا على الانكليز الطرق وان هؤلاء الططر الواصلين لم يعلموا بورود الانكليز الى الاسكندرية الا عند وصولهم صيدا وذكروا ان سبب عزل صالح القبودان ان الانكليز وردوا بغاز اسلامبول بائني عشر مركبا وقيل أربعة عشر ودخلوا داخلين والمدافع تضرب عليهم من القلاع المتقابلة فلم يبالوا بذلك حتى حصلوا بداخل المينة تجاه البلد فانزعج أهالي البلد انزعاجا شديدا وصرخت النساء وهاجت المدينة وماجت باناسها ولو ضرب عليها الانكليز لاحترقت عن آخرها لكنهم لم يفعلوا بل استمروا يومهم ورموا مراسيهم ثم اخذوها وولوا راجعين ولسان حالهم يقول ها نحن وجئنا بغازكم الذي تزعمون انه لا أحد يقدر على عبوره وقدرنا عليكم وعفونا عنكم ولو شئنا اخذ دار سلطنتكم لاخذناها أو احرقناها وعندما فعلوا ذلك طلب السلطان قبودان باشا فوجدوه يتعاطى الشراب في بعض الاماكن فعند ذلك احضروا السيد علي وقلدوه رياسة الدونانمه ونزل الى الانكليز وتكلم معهم الى ان خرجوا من البغاز واخرجوا صالح

وملك ابنه الملك رضوان حلبا فارسل السلطان بركيارق رسولا يامره باطلاقه واطلاق اخيه التونتاش فلما أطلقا سارا واجتمع عليهما كثير من العساكر البطالين فاتيا حران فتسلماها وكاتبهما محمد بن شرف الدولة مسلم بن قريش وهو بنصيبين ومعه ثروان بن وهيب وأبو الهيجاء الكردي يستنصرون بهما على الامير على بن شرف الدولة وكان بالموصل قد جعله بها تاج الدولة تتش بعد وقعة المضيع فسار كربوقا اليهم فلقيه محمد بن شرف الدولة على مرحلتين من نصيبين واستحلفهما لنفسه فقبض عليه كربوقا بعد اليمين وحمله معه وأتى نصيبين فامتنعت عليه فحصرها أربعين يوما وتسلمها وسار الى الموصل فحصرها فلم يظفر منها بشئ فسار عنها الى بلد وقتل بها محمد بن شرف الدولة وغرقه وعاد الى حصار الموصل ونزل على فرسخ منها بقرية باحلافا وترك التونتاش شرقي الموصل فاستنجد على بن مسلم صاحبها بالامير جكرمش صاحب جزيرة ابن عمر فسار اليه نجدة له فلما علم التونتاش بذلك سار الى طريقه فقاتله فانهزم جكرمش وعاد الى الجزيرة منهزما وصار في طاعة كربوقا واعانه على حصر الموصل وعدمت الاقوات بها وكل شئ حتى ما يوقدونه فاوقدوا القير وحب القطن فلما ضاق بصاحبها على الامر فارقها وسار الى الامير صدقة بن مزيد بالحلة وتسلم كربوقا البلد بعد ان حصره تسعة أشهر وخافه أهله لانه بلغهم ان التونتاش يريد نهبهم وان كربوقا يمنعه من ذلك فاشتغل التونتاش بالقبض على اعيان البلد ومطالبتهم بودائع البلد واستطال على كربوقا فامر بقتله فقتل في اليوم الثالث وأمن الناس شره وأحسن كربوقا السيرة فيهم وسار نحو الرحبة فمنع عنها فاهلكها ونهبها واستناب بها وعاد

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة اجتمع ستة كواكب في برج الحوت وهي الشمس والقمر والمشترى والزهرة والمريخ وعطارد فحكم المنجمون بطوفان يكون في الناس يقارب طوفان نوح فاحضر الخليفة المستظهر بالله ابن عيسون المنجم فساله فقال ان طوفان نوح اجتمعت الكواكب السبعة في برج الحوت والآن فقد اجتمع ستة منها وليس منها زحل فلو كان معها لكان مثل طوفان نوح ولكن أقول ان مدينة او بقعة من الارض يجتمع فيها عالم كثير من بلاد كثيرة فيغرقون فخافوا على بغداد لكثرة من يجتمع فيها من البلاد فاحكمت المسنيات والمواضع التي يخشى منها الانفجار والغرق فاتفق ان الحجاج نزلوا بوادى المياقت بعد نخلة فاتاهم سيل عظيم فاغرق أكثرهم ونجا من تعلق بالجبال وذهب المال والدواب والازواد وغير ذلك فخلع الخليفة على المنجم وفيها في صفر درس الشيخ أبو عبد الله الطبرى الفقيه الشافعي بالمدرسة النظامية ببغداد رتبه فيها فخر الملك بن نظام الملك وزير بركيارق وفيها أغارت خفاجة على بلد سيف الدولة صدقة بن مزيد فارسل في اثرهم عسكرا مقدمه ابن عمه قريش بن بدران ابن دبيس بن مزيد فاسرته خفاجة وأطلقوه وقصدوا مشهد الحسين بن على عليهما

قبودان منفيا الى بعض الجهات (وفى ذلك اليوم) طلع الباشا الى القلعة وصحبته قنصل الفرنساوية بمهندس معه الاماكن ومواطن الحصار والقنصل المذكور مظهر الاهتمام والاجتهاد ويسهل الامر ويبذل النصح ويكثر من الركوب والذهاب والاياب وامامه الخدم وبايديهم الحراب المفضضة وخلفه ترجمانه واتباعه (وفيه) ارسل الامراء القبليون جوابا عن جواب ارسل اليهم قبل ذلك وعليه ختوم كثيرة باستدعائهم واستعجالهم للحضور فارسلوا هذا الجواب يعتذرون فيه بان السبب فى تأخرهم انهم لم يتكاملوا وان اكثرهم متفرقون بالنواحي مثل عثمان بك حسن وغيره وانهم الى الآن لم يثبت عندهم حقيقة الامر لان من الثابت عندهم صداقة الانكليز مع العثمانى من قديم الزمان وان المراسيم التي وردت بالتحذير والتحفظ من الموسكوب ولم يذكر الانكليز فاتفق الحال بان يرسلوا لهم جوابا بالحقيقة صحبة مصطفى افندى كتخدا القاضى ويصحب معه المراسيم التي وردت فى شان ذلك وفيها ذكر الانكليز ومنابذتهم للدولة فسافر الكتخدا المذكور فى صبحها اليهم وكانوا حضروا الى ناحية المنية واما ياسين بك فانه اذعن للصلح على ان يعطيه الباشا أربعمائة كيس بعد ترداد المراسلات بينه وبين الباشا ثم انه عدى الى ناحية شرق اطفيح وفرض

السلام فتظاهر روافيه بالفساد والمنكر فوجه اليهم صدقة جيشا فكبسوهم وقتلوا منهم خلقا كثيرا في المشهد حتى عند الضريح والتى رجل منهم نفسه وهو على فرسه من على السور فسلم هو والفرس وفي هذه السنة في صفر توفي القاضي ابو مسلم وادع بن سليمان قاضي معرة النعمان والمستولى على أمورها وكان رجل زمانه همة وعلما وفيها في ربيع الاول توفي أبو بكر محمد بن عبد الباقي المعروف بابن الخاضبة المحدث وكان عالما وفيها في رمضان توفي أبو بكر عمر بن السمرقندي ومولده سنة ثمان وثمانين وثلثمائة وفيها في رمضان توفي أبو الفضل عبد الملك بن ابراهيم المقدسي المعروف بالهمذاني وكان عالما في عدة علوم وقد قارب ثمانين سنة

(ثم دخلت سنة تسعين واربعمائة)

(ذكر قتل ارسلان ارغون)

في هذه السنة في المحرم قتل ارسلان ارغون بن الب ارسلان أخو السلطان ملكشاه بمرو وكان قد ملك خراسان وسبب قتله انه كان شديدا على غلمانه كثير الاهانة لهم والعقوبة وكانوا يخافونه خوفا عظيما فاتفق انه الآن طلب غلاما له فدخل عليه وليس معه أحد فانكر عليه تأخره عن الخدمة فاعتذر فلم يقبل عذره وضربه فاخرج الغلام سكينا معه وقتله وأخذ الغلام فقيل له لم فعلت هذا فقال لاريح الناس من ظلمه وكان سبب ملكه خراسان انه كان له أيام أخيه ملكشاه من الاقطاع ما مقداره سبعة آلاف دينار وكان معه ببغداد لما مات فسار الى همذان في سبعة غلمان واتصل به جماعة فسار الى نيسابور فلم يجد فيها مطمعا فسار الى مرو وكان شحنة مرو أميرا اسمه قودن من مماليك ملكشاه وهو الذى كان سبب تنكر السلطان ملكشاه على نظام الملك وقد تقدم ذلك في قتل نظام الملك فمال الى ارسلان أرغون وسلم البلد اليه فاقبلت العساكر اليه وقصد بلخ وبها فخر الملك بن نظام الملك فسار عنها ووزر لتاج الدولة تتش على ما ذكرناه وملك ارسلان ارغون بلخ وترمذ ونيسابور وعامة خراسان وارسل الى السلطان بركيارق والى وزيره مؤيد الملك بن نظام الملك يطلب ان يقر عليه خراسان كما كانت لجده داود ما عدا نيسابور ويبذل الاموال ولا ينازع في السلطنة فسكت عنه بركيارق لاشتغاله باخيه محمود وعمه تتش فلما عزل السلطان بركيارق مؤيد الملك عن وزارته ووليها أخوه فخر الملك واستولى على الامور مجد الملك البلاساني قطع ارسلان ارغون مراسلة بركيارق وقال لا أرضى لنفسي مخاطبة البلاساني فندب بركيارق حينئذ عمه بوربرس بن الب ارسلان وسيره في العساكر لقتاله وكان قد اتصل بارسلان عماد الملك أبو القاسم بن نظام الملك ووزر له فلما وصلت العساكر الى خراسان لقيهم ارسلان ارغون وقاتلهم وانهزم منهم وسار منهزما الى بلخ واقام بوربرس والعساكر التى معه بهراة ثم جمع ارغون عساكر جمة وسار الى مرو فحصرها اياما وفتحها عنوة وقتل فيها واكثر وقلع ابواب سورها وهدمه فسار اليه بوربرس من هراة فالتقيا وتصافا فانهزم

بوربرس

عليهم الاموال الجسيمة وكان اهل ثلاث البلاد اجتمعوا بصول والبرنبل بمتاعهم واموالهم ومواشيهم فقتل عليهم وطلب منهم الاموال فعصوا عليه فاوقد فيهم النيران وحرق جرونهم ونهبهم (وفي عصر يوم الثلاثاء) حضر جماعة من العرب وصحبتهم ثلاثة انفار من الانكليز قبضوا عليهم من البرية واحضروهم الى مصر فمثلوا بين يدى الباشا وكلمهم ثم امر بطلوعهم الى القلعة وفيهم شخص كبير يقال انه من قباطينهم (وفي يوم الخميس رابع عشره) عملوا ديوانا ببيت القاضي اجتمع فيه الدفتردار والمشايخ والوجاقلية وقرؤا مرسوما تقدم حضوره قبل وصول الانكليز الى الاسكندرية مضمونه ضبط تعلقات الانكليز ومالهم من المال والودائع والشركات مع التجار بمصر والثغور (وفي ذلك اليوم) حضر شخصان من السعاة واخبرا بالنصر على الانكليز وهزيمتهم وذلك انه اجتمع الجم الكثير من اهالي بلاد البحيرة وغيرها واهالي رشيد ومن معهم من المتطوعة والعساكر واهل دمنهور وصادف وصول كتخدا بك واسمعيل كاشف الطوبجي الى تلك الناحية فكان بين الفريقين مقتلة كبيرة واسروا من الانكليز طائفة وقطعوا منهم عدة رؤس فخلع الباشا على الساعين جوختين وفي اثر ذلك وصل ايضا شخصان من الاتراك بمكاتبات بتحقيق ذلك الخبر وبالغافي

بوربرس سنة ثمان وثمانين وسبب هزيمته أنه كان معه من جملة العساكر الذين سيرمعه بركيارق اميرآخر ملكشاه وهو من اكابر الامراء والاميرمسعود بن تاجر وكان ابوه مقدم عسكرداود جدملكشاه ولمسعود منزلة كبيرة ومحل عظيم عند كافة الناس وكان بين امير آخر وبين ارسلان مودة قديمة فارسل اليه ارسلان ارغون يستميله ويدعوه الى طاعته فاجابه الى ذلك ثم ان مسعود بن تاجر قصد اميرآخر زائراله ومعه ولده فاخذهما وقتلهما فضعف امربوربرس وانهزم من ارسلان ارغون وتفرق عسكره واسروحمل الى ارسلان ارغون وهواخوه فحبسه بترمذ ثم امر به فخنق بعد سنة من حبسه وقتل اكابرعسكر خراسان ممن كان يخافه ويخشى تحكمه عليه وصادروزيره عماد الملك بثلثمائة الف دينار وقتله وخرب اسوارمدن خراسان منها سور سبزوار وسورمرو الشاهجان وقلعة سرخس وقهندزنيسابوروسورشهرستان وغيرذلك خربه جميعه سنة تسع وثمانين ثم انه قتل هذه السنة كما ذكرنا

(ذكر استيلاء عسكرمصر على مدينة صور)

في هذه السنة في ربيع الاول وصل عسكر كثيرمن مصرالى ثغرصور بساحل الشام فحصرها وملكها وسبب ذلك ان الوالي بها ويعرف بكتيلة اظهر العصيان على المستعلي صاحب مصروالخروج عن طاعته فسيراليه جيشا فحصروه بها وضيقوا عليه وعلى من معه من جندي وعامي ثم افتتحها عنوة بالسيف وقتل بها خلق كثيرونهب منها المال الجزيل واخذ الوالي اسيرا بغيرامان وحمل الى مصرفقتل بها

(ذكرملك بركيارق خراسان وتسليمها الى اخيه سنجر)

كان بركيارق قد جهز العساكرمع اخيه الملك سنجروسيرها الى خراسان لقتال عمه ارسلان ارغون وجعل الاميرقماج اتابك سنجرورتب في وزارته اباالفتح علي بن الحسين الطغرائي فلما وصلوا الى الدامغان بلغهم خبرقتله فاقاموا حتى لحقهم السلطان بركيارق وساروا الى نيسابور فوصل اليها خامس جمادى الاولى من السنة وملكها بغيرقتال وكذلك سائرالبلاد الخراسانية وساروا الى بلخ وكان عسكر ارسلان ارغون قد ملكوا بعد قتله ابنا له صغيراعمره سبع سنين فلما سمعوا بوصول السلطان ابعدوا الى جبال طخارستان وارسلوا يطلبون الامان فاجابهم الى ذلك فعادوا ومعهم ابن ارسلان ارغون فاحسن السلطان لقاءه واعطاه ما كان لابيه من الاقطاع ايام ملكشاه وكان وصوله الى السلطان في خمسة عشرالف فارس فما انقضى يومهم حتى فارقوه واتصلت كل طائفة منهم باميرتخدمه وبقي وحده مع خادم لابيه فاخذته والدة السلطان بركيارق اليها واقامت له من يتولى خدمته وتربيته وسار بركيارق الى ترمذ فسلمت اليه واقام عند بلخ سبعة اشهروارسل الى ماوراء النهرفاقيمت له الخطبة بسمرقند وغيرها ودانت له البلاد

(ذكرخروج اميراميران بخراسان مخالفا)

الاخباروان الانكليزانجلوا عن متاريس رشيد وابي منصوروالحماد ولم تزل المقاتلون من اهل القرى خلفهم الى ان توسطوا البرية وغنموا جبخاناتهم واسلحتهم ومدافعهم ومهراسين عظيمين وذكرا انه واصل خلفهم اسرى ورؤس قتلى كثيرة في عدة مراكب وانه وصل معهما من جملة المتطوعين رجلان من اهل مكة التجار المقيمين بمصركانا في الواقعة بنحو مائة من البدو والمغاربة وغيرهم ينفقان عليهم ويحرضانهم على القتال ويعينان المقاتلين من الاهالي بما في ايديهما ويقاتلان بانفسهما وبذلا جهدهما في ذلك وانهما بعد هزم الانكليز وسلبهم فرقا ما غنماه وما بقي معهما من الاشياء على من خرج خلف الانكليز وحضرامعهما وهما السيد احمد النجاري واخوه السيد سلامة فطلبهما الباشا وسالهما عن الخبرفاخبراه بخبرالتركيين فانسرالباشا لذلك سرورا عظيما وشكر فعلهما وانعم عليهما وخلع عليهما ورتب لهما مرتبا ووعدهما بالاستخدام في مصالحه وخلع على ذينك التركيين فروتين سمور وحضرا بصحبة الساعيين الى منزل السيد عمرالنقيب بعد الغروب وتعشوا عنده وطلبوا البقشيش وبعدان اخذوه توسل التركيان به بان يسعى لهما عند الباشا في انه ينعم عليهما بمناصب فوعدهما بذلك وترجى الباشا لهما فضاعف مرتبهما وضربوا في

في هذه السنة لما كان السلطان بركيارق بخراسان خالف عليه امير اسمه محمد بن سليمان و يعرف باميراميران وهو ابن عم ملكشاه وتوجه الى بلخ واستمد من صاحب غزنة فامده بجيش كثير وفيله وشرط عليه أن يخطب له في جميع ما يفتحه من خراسان فقويت شوكته ومديده في البلاد فسيراليه الملك سنجر بن ملكشاه جريدة ولا يعلم به أمير اميران فكبسه فجرى بينهما قتال ساعة ثم أسر وحمل الى بين يدى سنجر فامر به فكحل

(ذكر عصيان الامير قودن و يارقطاش على السلطان واستعمال حبشي على خراسان)

في هذه السنة عصى يارقطاش وقودن على السلطان بركيارق وسبب ذلك ان الامير قودن كان قد صار في جملة الامير قماج فتوفي والسلطان بمرو فاستوحش قودن واظهر المرض وتأخر بمرو بعد مسير السلطان الى العراق وكان من جملة أمراء السلطان أمير اسمه اكنجي وقد ولاه السلطان خوارزم ولقبه خوارزمشاه فجمع عساكره وسار في عشرة آلاف فارس ليلحق السلطان فسبق العسكر الى مرو في ثلثمائة فارس وتشاغل بالشرب فاتفق قودن وأمير آخر اسمه يارقطاش على قتله فجمعا خمسمائة فارس وكبسوه وقتلوه وساروا الى خوارزم واظهروا ان السلطان قد استعملهما عليها فتسلماها وبلغ الخبر الى السلطان فتمم المسير الى العراق لما بلغه من خروج الامير انر ومؤيد الملك عن طاعته واعاد أميرداذ حبشي بن التونتاق في جيش الى خراسان لقتالهما فسار الى هراة وأقام ينتظر اجتماع العساكر معه فعاجلاه في خمسة عشر ألفا فعلم أميرداذ أنه لا طاقة له بهما فعبر جيحون فسارا اليه وتقدم يارقطاش ليلحقه قودن فعاجله يارقطاش وحده وقاتله فانهزم يارقطاش واخذ أسيرا وبلغ الخبر الى قودن فثار به عسكره ونهبوا خزائنه وما معه فبقي في سبعة نفر فهرب الى بخارا فقبض عليه صاحبها ثم أحسن اليه و بقي عنده وسار من هناك الى الملك سنجر ببلخ فقبله أحسن قبول و بذل له قودن ان يكفيه أموره ويقوم بجمع العساكر على طاعته فقدر انه مات عن قريب واما يارقطاش فبقي اسيرا الى ان قتل اميرداذ وكان من امره ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر ابتداء دولة محمد بن خوارزمشاه)

في هذه السنة أمر بركيارق الامير حبشي بن التونتاق على خراسان كما ذكرناه فلما صفت له وقتل قودن كما ذكرناه قبل ولى خوارزم الامير محمد بن انوشتكين وكان أبوه أنوشتكين مملوك أمير من السلجوقية اسمه بلكباك قد اشتراه من رجل من غرشستان فقيل له أنوشتكين غرشحه فكبر وعلا امره وكان حسن الطريقة كامل الاوصاف وكان مقدما مرجوعا اليه وولد له ولد سماه محمدا وهذا وعلمه وخرجه وأحسن تاديبه وتقدم بنفسه و بالعناية الازلية فلما ولى أميرداذ حبشي خراسان كان خوارزمشاه اكنجي قد قتل وقد تقدم ذكره ونظر الامير حبشي فيمن يوليه خوارزم فوقع اختياره

صبح ذلك اليوم مدافع كثيرة من القلعة والازبكية وبولاق والجيزة وذلك بين الظهر والعصر (وفي يوم الجمعة خامس عشره) حضروا باسرى وعدتهم تسعة عشر شخصا وعدة رؤس فمروا بهم من وسط الشارع الاعظم واما الرؤس فمروا بها من طريق باب الشعرية وعدتها نيف وثلاثون رأسا موضوعة على نبابيت رشقوها بوسط بركة الازبكية مع الرؤس الاولى صفين على يمين السالك من باب الهواء الى وسط البركة وشماله (وفيه) وصل ثلاث داوات من جدة الى ساحل السويس فيها أتراك وشوام وأجناس آخرون وذكروا ان الوهابي نادى بعد انقضاء الحج ان لا يأتي الى الحرمين بعد هذا العام من يكون حليق الذقن وتلا في المناداة قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا واخرجوا هؤلاء الواصلين الى مصر (وفي يوم السبت) وصل ايضا تسعة اشخاص أسرى من الانكليز وفيهم فسيال (وفي يوم الاحد) وصل أيضا نيف وستون وفيهم راس واحدة مقطوعة فمروا بهم على طريق باب النصر من وسط المدينة وهرع الناس للتفرج عليهم و بعد الظهر ايضا مروا بثلاثة وعشرين أسيرا وثمانية رؤس وبعد العصر بثلاثة وعشرين رأسا وأربعة وأربعين أسيرا من ناحية باب الشعرية وطلعوا

على

بالجميع الى القلعة (وفي يوم الاربعاء) وصل الى ساحل بولاق مراكب وفيها الاسرى وقتلى وجرحى فطلعوا
بهم الى البروسار وابهم على
طريق باب النصر وشقوا
بهم من وسط المدينة الى
الازبكية فرشقوا الرؤس
بالازبكية مع الرؤس الاول
وهي نحو المائة واثنين
واربعين والاحياء والمجاريح
نحو المائتين وعشرين فطلعوا
بهم الى القلعة عند اخوانهم
فكان مجموع الاسرى
أربعمائة اسير وستة وستين
أسيرا والرؤس ثلثمائة ونيف
واربعون وفي الاسرى نحو
العشرين من فسيالاتهم
وهذه الواقعة حصلت على
غير قياس وصادف بناؤها
على غير اساس وقد افسد الله
رأى كل من طائفة
الانكليز والامراء المصرية
واهل الاقليم المصري ليبرز
ما كتبه وقدره في مكنون
غيبه على اهل الاقليم من
الدمار الحاصل وما سيكون
بعد كما ستسمع به ويتلى عليك
بعضه أما فساد رأى الانكليز
فلتعديهم الاسكندرية مع
قلتهم وسماعهم بموت الالفي
وتغريرهم بانفسهم واما
الامراء المصريون فلا يخفى
فساد رايهم بحال واما اهالي
الاقليم فلانتصارهم لمن
يضرهم ويسلب نعمهم وما
اصاب من مصيبة فبما كسبت
أيدي الناس وما اصابك من
سيئة فمن نفسك ولم يخطر في الظن حصول هذا الواقع ولا ان الرعايا والعسكر لهم قدرة على حروب الانكليز

على محمد بن أنوشتكين فولاه خوارزم ولقبه خوارزمشاه فقصر أوقاته على معدلة ينشرها ومكرمة يفعلها وقرب أهل العلم والدين فازداد ذكره حسنا ومحله علوا ولما ملك السلطان سنجر خراسان أقر محمدا خوارزمشاه على خوارزم وأعمالها فظهرت كفايته وشهامته فعظم سنجر محله وقدره ثم ان بعض ملوك الاتراك جمع جموعا وقصد خوارزم ومحمد غائب عنها وكان طغرلتكين بن اكنجي الذي كان أبوه خوارزمشاه قبل عند السلطان سنجر فهرب منه والتحق بالاتراك على خوارزم فلما سمع خوارزمشاه محمد الخبر بادر الى خوارزم وأرسل الى سنجر يستمده وكان بنيسابور فسار في العساكر اليه فلم ينتظر محمد فلما قارب خوارزم هرب الاتراك الى منقشلاغ وطغرلتكين أيضا رحل الى جند خان وكفى خوارزمشاه شرهم ولما توفي خوارزمشاه ولي بعده ابنه اتسز فمد ظلال الامن وأفاض العدل وكان قد قاد الجيوش أيام أبيه وقصد بلاد الاعداء وباشر الحروب فملك مدينة منقشلاغ ولما ولي بعد أبيه قربه السلطان سنجر وعظمه واعتضد به واستصحبه معه في أسفاره وحروبه فظهرت منه الكفاية والشهامة فزاده تقدما وعلوا وهو ابتداء ملك بيت خوارزمشاه تكش وابنه محمد الذي ظهرت التتر عليه على مانذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر الحرب بين رضوان وأخيه دقاق)

في هذه السنة سار الملك رضوان الى دمشق وبها أخوه دقاق عازما على اخذها منه فلما قاربها ورأى حصانتها وامتناعها علم عجزه عنها فرحل الى نابلس وسار الى القدس ليأخذه فلم يمكنه وانقطعت العساكر عنه فعاد ومعه باغيسيان صاحب انطاكية وجناح الدولة ثم ان باغيسيان فارق رضوان وقصد دقاق وحسن له محاصرة أخيه بحلب جزاء لما فعله فجمع عساكر كثيرة وسار ومعه باغيسيان فارسل رضوان رسولا الى سقمان بن ارتق وهو بسروج يستنجده فاتاه في خلق كثير من التركمان فسار نحو أخيه فالتقيا بقنسرين فاقتتلا فانهزم دقاق وعسكره ونهبت خيامهم وجميع مالهم وعاد رضوان الى حلب ثم اتفقا على ان يخطب لرضوان بدمشق قبل دقاق وبانطاكية وقيل كانت هذه الحادثة سنة تسع وثمانين

(ذكر الخطبة للعلوي المصري بولاية رضوان)

في هذه السنة خطب الملك رضوان في كثير من ولايته للمستعلي بامر الله العلوي صاحب مصر وسبب ذلك انه كان عنده الامير جناح الدولة وهو زوج أمه فرأى من رضوان تغيرا فسار الى حمص وهي له فلما رأى باغيسيان بعده عن رضوان صالحه وقدم اليه بحلب ونزل بظاهرها وكان لرضوان منجم يقال له الحكيم اسعد وكان يميل اليه فقدمه بعد مسير جناح الدولة فحسن له مذاهب العلويين المصريين واتته رسل المصريين يدعونه الى طاعتهم ويبذلون له المال وانفاذ العساكر اليه ليملك دمشق فخطب لهم بشيزر وجميع الاعمال سوى انطاكية وحلب والمعرة اربع جمع ثم حضر عنده

سقمان بن ارتق وباغيسيان صاحب انطاكيه فانكرا ذلك واستعظماه فاعاد الخطبة العباسية في هذه السنة وارسل الى بغداد يعتذر مما كان منه وسار باغيسيان الى انطاكية فلم يقم بها غير ثلاثة ايام حتى وصل الفرنج اليها وحصروها وكان مانذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة كانت فتنة عظيمة بخراسان بين اهل سبزوار واهل خسروجرد وقتال عظيم قتل بينهم جماعة كثيرة وانهزم اهل خسروجرد وفيها قتل عثمان وكيل دار نظام الملك وكان سبب قتله انه كان كاتب صاحب غزنة بالاخبار من قبل السلطان فاخذ وحبس بترمذ مدة ثم اطلع عليه وهو في الحبس انه كان يكاتبه ايضا فقتل وفي صفر منها قتل عبد الرحمن السميرمي وزير ام السلطان بركيارق قتله باطني غيلة وقتل الباطني بعده وفيها في شعبان ظهر كوكب كبير له ذؤابة واقام يطلع عشرين يوما ثم غاب ولم يظهر وفيها توفي النقيب الطاهر ابو الغنائم محمد بن عبد الله وكان دينا سخيا كريما متعصبا حنفي المذهب وولي النقابة بعده ولده ابو الفتوح حيدرة وفيها توفي ابو القاسم يحيى بن احمد السيبي وهو ابن مائة سنة وسنتين وهو صحيح الحواس وكان مقرئا محدثا حاضر القلب وفيها قتل ارغش النظامي مملوك نظام الملك بالري وكان قد بلغ مبلغا عظيما بحيث انه تزوج ابنة ياقوتي عم السلطان بركيارق قتله باطني وقتل قاتله وقتل برسق في شهر رمضان وهو من اكابر الامراء قتله باطني وكان برسق من اصحاب السلطان طغرلبك وهو اول شحنة كان ببغداد

(ثم دخلت سنة احدى وتسعين واربعمائة)

(ذكر ملك الفرنج مدينة انطاكية)

كان ابتداء ظهور دولة الفرنج واشتداد امرهم وخروجهم الى بلاد الاسلام واستيلائهم على بعضها سنة ثمان وسبعين واربعمائة فملكوا مدينة طليطلة وغيرها من بلاد الاندلس وقد تقدم ذكر ذلك ثم قصدوا سنة اربع وثمانين واربعمائة جزيرة صقلية وملكوها وقد ذكرته ايضا وتطرقوا الى اطراف افريقية فملكوا منها شيئا واخذ منهم ثم ملكوا غيره على ماتراه فلما كان سنة تسعين واربعمائة خرجوا الى بلاد الشام وكان سبب خروجهم ان ملكهم بردويل جمع جمعا كثيرا من الفرنج وكان نسيب رجار الفرنجي الذي ملك صقلية فارسل الى رجار يقول له قد جمعت جمعا كثيرا وانا واصل اليك وسائر من عندك الى افريقية افتحها واكون مجاورا لك فجمع رجار اصحابه واستشارهم في ذلك فقالوا وحق الانجيل هذا جيد لنا ولهم وتصبح البلاد بلاد النصرانية فرفع رجله وحبق حبقة عظيمة وقال وحق ديني هذه خير من كلامكم قالوا وكيف ذلك قال اذا وصلوا الى احتاج الى كلفة كثيرة ومراكب تحملهم الى افريقية وعساكر من عندي ايضا فان فتحوا البلاد كانت لهم وصارت المؤنة لهم من صقلية وينقطع عني

وخصوصا اشهرتهم باتقان الحروب وقد تقدم لك انهم هم الذين حاربوا الفرنساوية واخرجوهم من مصر (ولما شاع) اخذهم الاسكندرية داخل العسكر والناس وهم عظيم وعزم اكثر العسكر على الفرار الى جهة الشام وشرعوا في قضاء اشغالهم واستخلاص اموالهم التي اعطوها للمتضايقين والمستقرضين بالربا وابدال ما بايديهم من الدراهم والقروش والفرانسه التي يثقل حملها بالذهب البندقي والمحبوب الزر لخفة حملها حتى انها زادت في المصارفة بسبب كثرة الطلب لها وبلغ صرف البندقي المشخص الناقص في الوزن اربعمائة وعشرين نصفا والزر مائتين وعشرين والفرانسه مائتين واستمرت تلك الزيادة بعد ذلك وسيزيد الامر فحشا وسعوا في مشترى ادوات الارتحال والامور اللازمة لسفر البر وفارق الكثير منهم النساء وباعوا ما عندهم من الفرش والامتعة حتى ان محمد علي باشا لما بلغه حصولهم بالاسكندرية وكان يحارب المصريين ويشدد عليهم فعند ذلك انحلت عزائمه وارسل بصالحهم على ما يريدونه ويطلبونه وثبت في يقينه استيلاء الانكليز على الديار المصرية وعزم على العود متلكئا في السير يظن سرعة ورودهم الى المدينة فيسير مشرقا على طريق الشام ويكون له عذر بغيبته في الجملة فلما وصلت الشرذمة ما يصل

مايصل من المال من ثمن الغلات كل سنة وان لم يفعلوا رجعوا الى بلادى وتاذيت بهم
ويقول تميم غدرت بي ونقضت عهدى وتنقطع الوصلة والاسفار بيننا وبلاد افريقية
باقية لنا متى وجدنا قوة اخذناها واحضر رسوله وقال له اذا عزمتم على جهاد المسلمين
فافضل ذلك فتح بيت المقدس تخلصونه من ايديهم ويكون لكم الفخر واما افريقية
فبيني وبين اهلها ايمان وعهود فتجهزوا وخرجوا الى الشام وقيل ان اصحاب مصر من
العلويين لما رأوا قوة الدولة السلجوقية وتمكنها واستيلاءها على بلاد الشام الى غزة ولم
يبق بينهم وبين مصر ولاية أخرى تمنعهم ودخول الاقسيس الى مصر وحصرها خافوا
وارسلوا الى الفرنج يدعونهم الى الخروج الى الشام ليملكوه ويكون بينهم وبين المسلمين
والله اعلم فلما عزم الفرنج على قصد الشام ساروا الى القسطنطينية ليعبروا المجاز الى بلاد
المسلمين ويسيروا فى البر فيكون اسهل عليهم فلما وصلوا اليها منعهم ملك الروم من
الاجتياز ببلاده وقال لا أمكنكم من العبور الى بلاد الاسلام حتى تحلفوا لى انكم
تسلمون الى انطاكية وكان قصده يحثهم على الخروج الى بلاد الاسلام ظنا منه ان
الاتراك لا يبقون منهم احدا لما رأى من صرامتهم وملكهم البلاد فاجابوه الى ذلك
وعبروا الخليج عند القسطنطينية سنة تسعين ووصلوا الى بلاد قلج ارسلان بن سليمان
ابن قتلمش وهى قونية وغيرها فلما وصلوا اليها لقيهم قلج ارسلان فى جموعه ومنعهم
فقاتلوه فهزموه فى رجب سنة تسعين واجتازوا فى بلاده الى بلاد ابن الارمنى فسلكوها
وخرجوا الى انطاكية فحصروها ولما سمع صاحبها باغيسيان بتوجههم اليها خاف من
النصارى الذين بها فاخرج المسلمين من أهلها ليس معهم غيرهم وأمرهم بحفر الخندق ثم
اخرج من الغد النصارى لعمل الخندق أيضا ليس معهم مسلم فعملوا فيه الى العصر
فلما أرادوا دخول البلد منعهم وقال لهم انطاكية لكم تهبونها لى حتى أنظر ما يكون
منا ومن الفرنج فقالوا له من يحفظ ابناءنا ونساءنا فقال انا اخلفكم فيهم فامسكوا
وأقاموا فى عسكر الفرنج فحصروها تسعة أشهر وظهر من شجاعة باغيسيان وجودة
رأيه وحزمه واحتياطه ما لم يشاهد من غيره فهلك أكثر الفرنج موتا ولو بقوا على
كثرتهم التى خرجوا فيها لطبقوا بلاد الاسلام وحفظ باغيسيان أهل نصارى انطاكية
الذين اخرجهم وكف الايدى المتطرقة اليهم فلما طال مقام الفرنج على انطاكية راسلوا
احد المستحفظين للابراج وهو زراد يعرف بروزبه وبذلوا له مالا واقطاعا وكان يتولى
حفظ برج يلى الوادى وهو مبنى على شباك فى الوادى فلما تقرر الامر بينهم وبين هذا
الملعون الزراد جاؤا الى الشباك ففتحوه ودخلوا منه وصعد جماعة كثيرة بالحبال فلما
زادت عدتهم على خمسمائة ضربوا البوق وذلك عند السحر وقد تعب الناس من كثرة
السهر والحراسة فاستيقظ باغيسيان فسأل عن الحال فقيل ان هذا البوق من القلعة
ولا شك انها قد ملكت ولم يكن من القلعة وانما كان من ذلك البرج فدخله الرعب
وفتح باب البلد وخرج هاربا فى ثلاثين غلاما على وجهه فجاء نائبه فى حفظ البلد فسأل
عنه فقيل انه هرب فخرج من باب آخر هاربا وكان ذلك معونة للفرنج ولو ثبت ساعة

الرؤس والاسرى واسرعت
المبشرون الى الباشا بالخبر فعند
ذلك تراجعت اليه نفسه
واسرع فى الحضور وتراجعت
نفوس العساكر وطمعوا عند
ذلك فى الانكليز وتجاسروا
عليهم وكذلك اهل البلاد
قويت همهم وتاهبوا
للبروز والجهاد به واشتروا
الاسلحة ونادوا على بعضهم
بالجهاد وكثر المتطوعون
ونصبوا لهم بيارق واعلاما
وجمعوا من بعضهم دراهم
وصرفوا على من انضم اليهم
من الفقراء وخرجوا فى مواكب
وطبول وزمور فلما وصلوا
الى متاريس الانكليز
دهموهم من كل ناحية على
غير قوانين حروبهم وترتيبهم
وصدقوا فى الحملة عليهم والقوا
انفسهم فى النيران ولم يبالوا
برميهم وهجموا عليهم
واختلطوا بهم وادهشوهم
بالتكبير والصياح حتى
أبطلوا رميهم ونيرانهم فالقوا
سلاحهم وطلبوا الامان فلم
يلتفتوا لذلك وقبضوا عليهم
وذبحوا الكثير منهم وحضروا
بالاسرى والرؤس على الصور
المذكورة وفر الباقون الى
من بقى بالاسكندرية وليت
العامة شكروا على ذلك او
نسب اليهم فعل بل نسب
كل ذلك للباشا وعساكره

وجوزيت العامة بضد الجزاء بعد ذلك ولما اصعدوا الاسرى الى القلعة طلع اليهم فتصل

لما ملكوا ثم ان الفرنج دخلوا البلد من الباب ونهبوه وقتلوا من فيه من المسلمين وذلك فى جمادى الاولى واما باغيسيان فانه لما طلع عليه النهار رجع اليه عقله وكان كالوالهان فرأى نفسه وقد قطع عدة فراسخ فقال لمن معه أين انا فقيل على أربعة فراسخ من انطاكية فندم كيف خلص سالما ولم يقاتل حتى يزيلهم عن البلد أو يقتل وجعل يتلهف و يسترجع على ترك اهله واولاده والمسلمين فلشدة ما لحقه سقط عن فرسه مغشيا عليه فلما سقط الى الارض أراد أصحابه ان يركبوه فلم يكن فيه مسكة قد قارب الموت فتركوه وساروا عنه واجتاز به انسان ارمنى كان يقطع الحطب وهو بآخر رمق فقتله واخذ راسه وحمله الى الفرنج بانطاكية وكان الفرنج قد كاتبوا صاحب حلب ودمشق باننا لا نقصد غير البلاد التى كانت بيد الروم لا نطلب سواها مكرا منهم وخديعة حتى لا يساعدوا صاحب انطاكية

(ذكر مسير المسلمين الى الفرنج وما كان منهم)

لما سمع قوام الدولة كربوقا بحال الفرنج وملكهم انطاكية جمع العساكر وسار الى الشام واقام بمرج دابق واجتمعت معه عساكر الشام تركها وعربها سوى من كان بحلب فاجتمع معه دقاق بن تتش وطغتكين اتابك وجناح الدولة صاحب حمص وارسلان تاش صاحب سنجار وسليمان بن أرتق وغيرهم من الامراء ممن ليس مثلهم فلما سمعت الفرنج عظمت المصيبة عليهم وخافوا لما هم فيه من الوهن وقلة الاقوات عندهم وسار المسلمون فنازلوهم على انطاكية وأساء كربوقا السيرة فيمن معه من المسلمين واغضب الامراء وتكبر عليهم ظنا منه انهم يقيمون معه على هذه الحال فاغضبهم ذلك واضمروا له فى انفسهم الغدر اذا كان قتال وعزموا على اسلامه عند المصدوقة واقام الفرنج بانطاكية بعد ان ملكوها اثنى عشر يوما ليس لهم ما يأكلونه وتقوت الاقوياء بدوابهم والضعفاء بالميتة وورق الشجر فلما رأوا ذلك أرسلوا الى كربوقا يطلبون منه الامان ليخرجوا من البلد فلم يعطهم ما طلبوا وقال لا تخرجوا الا بالسيف وكان معهم من الملوك بردويل وصنجيل وكندفرى والقمص صاحب الرها وبيمنت صاحب انطاكية وهو المقدم عليهم وكان معهم راهب مطاع فيهم وكان داهية من الرجال فقال لهم ان المسيح عليه السلام كان له حربة مدفونة بالقسيان الذى بانطاكية وهو بناء عظيم فان وجدتموها فانكم تظفرون وان لم تجدوها فالهلاك متحقق وكان قد دفن قبل ذلك حربة فى مكان فيه وعفا اثرها وامرهم بالصوم والتوبة ففعلوا ذلك ثلاثة ايام فلما كان اليوم الرابع ادخلهم الموضع جميعهم ومعهم عامتهم والصناع منهم وحفروا فى جميع الاماكن فوجدوها كما ذكر فقال لهم ابشروا بالظفر فخرجوا فى اليوم الخامس من الباب متفرقين من خمسة وستة ونحو ذلك فقال المسلمون لكربوقا ينبغى أن تقف على الباب فتقتل كل من يخرج فان امرهم الآن وهم متفرقون سهل فقال لا تفعلوا أمهلوهم حتى يتكامل خروجهم فنقتلهم ولم يمكن من معاجلتهم فقتل قوم

الفرنساوية ومعه الاطباء لمعالجة الجرحى ومهد لهم اماكن وميز الكبار منهم والقسيالات فى مكان يليق بهم وفرش لهم فرشات ورتب لهم تراتيب وصرف عليهم نفقات ولوازم واستمر يتعاهدهم فى غالب الايام والجرائحية يترددون اليهم فى كل يوم لمداواتهم كما هى عادة الافرنج مع بعضهم اذا وقع فى ايديهم جرحى من المحاربين لهم فعلوا بهم ذلك واكرموا الاسرى واما من وقع منهم فى ايدى العسكر من المردان فانهم اختصوا بهم والبسوهم من ملابسهم وباعوهم فيما بينهم ومنهم من احتال على الخلاص من يد الفاسق بحيلة لطيفة فمن ذلك ان غلاما منهم قال للذى هو عنده ان لى بواصة عند قنصل الفرنساوية وهى مبلغ عشرون كيسا ففرح وقال له ادنيها فاخرج له ورقة بخطهم وهو لا يعرف ما فيها فاخذها منه طمعا فى احرازها لنفسه وذهب مسرعا الى القنصل واعطاها له فلما قرأها قال له لا اعطيك هذا المبلغ الا بيد الباشا و يعطينى بذلك رجعة بختمه لتخلص ذمتى فلما صاروا بين يدى الباشا فاخبره القنصل فامر باحضار الغلام فلما حضر ساله الباشا فقال اريد الخلاص منه واحتلت عليه بهذه الحيلة لا توصل اليك فطيب الباشا خاطر العسكرى بدراهم وارسل الغلام الى اصحابه بالقلعة ولما انقضى امر الحرب من ناحية رشيد وانجلت الانكليز من

من المسلمين جماعة من الخارجين فجاءاليهم هو بنفسه ومنعهم ونهاهم فلما تكامل خروج الفرنج ولم يبق بانطاكية احدمنهم ضربوا مصافا عظيما فولى المسلمون منهزمين لما عاملهم به كربوقا اولا من الاستهانة لهم والاعراض عنهم وثانيا من منعهم عن قتل الفرنج وتمت الهزيمة عليهم ولم يضرب أحدمنهم بسيف ولا طعن برمح ولا رمى بسهم وآخر من انهزم سقمان بن ارتق وجناح الدولة لانهما كانا في الكمين وانهزم كربوقا معهم فلما راى الفرنج ذلك ظنوه مكيدة اذلم يجر قتال ينهزم من مثله وخافوا ان يتبعوهم وثبت جماعة من المجاهدين وقاتلوا احسبة وطلبا للشهادة فقتل الفرنج منهم الوفا وغنموا مافي العسكر من الاقوات والاموال والاثاث والدواب والاسلحة فصلحت حالهم وعادت اليهم قوتهم

❁(ذكر ملك الفرنج معرة النعمان)❁

لما فعل الفرنج بالمسلمين مافعلوا ساروا الى معرة النعمان فنازلوها وحصروها وقاتلهم أهلها قتالا شديدا وراى الفرنج منهم شدة ونكاية ولقوا منهم الجد في حربهم والاجتهاد في قتالهم فعملوا عند ذلك برجا من خشب يوازي سور المدينة ووقع القتال عليه فلم يضر المسلمين ذلك فلما كان الليل خاف قوم من المسلمين وتداخلهم الفشل والهلع وظنوا أنهم اذا تحصنوا ببعض الدور الكبار امتنعوا بها فنزلوا من السور واخلوا الموضع الذى كانوا يحفظونه فرآهم طائفة أخرى ففعلوا كفعلهم فخلا مكانهم أيضا من السور ولم تزل تتبع طائفة منهم التي تليها في النزول حتى خلا السور فصعد الفرنج اليه على السلاليم فلما علوه تحير المسلمون ودخلوا دورهم فوضع الفرنج فيهم السيف ثلاثة أيام فقتلوا مايزيد على مائة ألف وسبوا السبي الكثير وملكوه وأقاموا اربعين يوما وساروا الى عرقة فحصروها أربعة أشهر ونقبوا سورها عدة نقوب فلم يقدروا عليها وراسلهم منقذ صاحب شيزر فصالحهم عليها وساروا الى حمص وحصروها فصالحهم صاحبها جناح الدولة وخرجوا على طريق النواقير الى عكا فلم يقدروا عليها

❁(ذكر الحرب بين الملك سنجر ودولتشاه)❁

كان دولتشاه من ابناء الملوك السلجوقية فاجتمع عليه جمع من عساكر بيغو أخي طغرلبك وكان بطخارستان فاخذوا الواخ وكنج فسار اليهم السلطان سنجر وعساكره فوصل الى بلخ فدخلها في رجب من هذه السنة وخرج منها لقتال دولتشاه فلم يكن له من الجموع ما ثبت مقابل عسكر سنجر فقاتلوا شيئا من قتال وانهزموا واخذوا دولتشاه اسيرا واحضر عند سنجر فعفا عنه من القتل وحبسه ثم بعد ذلك كحله وسير سنجر جيشا الى مدينة ترمذ فملكوها وسلمها الى طغرل تكين

❁(ذكر عدة حوادث)❁

في هذه السنة فتح تميم بن المعز بن باديس صاحب افريقية جزيرة جربة وجزيرة قرقنة ومدينة تونس وكان بافريقية غلاء شديد هلك فيه كثير من الناس وفيها ارسل

عنها ورجعوا الى الاسكندرية تزل الاتراك على الجماد وماجاورها واستباحوا اهلها ونساءها واموالها ومواشيها زاعمين انها صارت دار حرب بنزول الانكليز عليها وعلكها حتى ان بعض الظاهرين كلمهم في ذلك فرد عليه بذلك الجواب فارسلوا الى مصر بذلك وكتبوا في خصوص ذلك سؤالا وكتب عليه المفتون بالمنع وعدم الجواز وحتى ياتي الترياق من العراق يموت الملسوع ومن يقرأ ومن يسمع وعلى انه لم يرجع طالب الفتوى بل أهملت عند المفتي وتركها المستفتي ثم احاطت العساكر ورؤساؤهم برشيد وضربوا على اهلها الضرائب وطلبوا منها الاموال والكلف الشاقة واخذوا ماوجدوه بها من الارز للعليق فخرج كبيرها السيد حسن كريت الى حسن باشا وكتخدا بك وتكلم معهما وشنع عليهما وقال اما كفانا ماوقع لنا من الحروب وهدم الدور وكلف العسكر ومساعدتهم ومحاربتنا معهم ومعكم وماقاسيناه من التعب والسهر وانفاق المال ونجازى منكم بعدها بهذه الافاعيل فدعونا نخرج باولادنا وعيالنا ولا ناخذ معنا شيئا ونترك لكم البلدة افعلوا بها ماشئتم فلاطفوه في الجواب واظهروا له الاهتمام بالمناداة والمنع وكتب المذكور أيضا مكاتبات بمعنى ذلك وارسلها الى الباشا والسيد عمر بمصر فكتبوا فرمانا وارسلوه اليهم بالكف والمنع وهيهات ولما وصل من وصل بالقتلى والاسرى

الخليفة رسولا الى السلطان بركيارق مستنفرا على الفرنج ومبالغا فى تعظيم الامر وتداركه قبل ان يزداد قوة وفى هذه السنة فى شعبان توفى ابو الحسن احمد بن عبد القادر ابن محمد بن يوسف ومولده سنة اثنتى عشرة واربعمائة وكان فاضلا فى الحديث وفيها توفى ابو الفضل عبد الوهاب بن ابى محمد التميمى الحنبلى وكان فاضلا فصيحا وفيها فى شوال توفى طراد بن محمد الزينبى وهو عالى الاسناد فى الحديث وولى نقابة العباسيين من بعده ابنه شرف الدين على بن طراد وفيها فى ذى القعدة توفى ابو الفتح المظفر بن رئيس الرؤساء ابى القاسم بن المسلمة وكان بيته مجمع الفضلاء واهل الدين ومن جملة من كان عنده الى أن توفى الشيخ ابو اسحق الشيرازى وفيها توفى ابو الفرج سهل بن بشر ابن أحمد الاسفراينى وهو من أعيان المحدثين

(ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة)

(ذكر عصيان الامير أنز وقتله)

لما سار السلطان بركيارق الى خراسان ولى الامير أنز بلاد فارس جميعها وكانت قد تغلب عليها الشوانكارة على اختلاف بطونهم وقبائلهم واستعانوا بصاحب كرمان ايران شاه بن قاورت فاجتمعوا وصافوا الامير أنز وكسروه وعاد مفلولا الى اصبهان وأرسل الى السلطان يستأذنه فى اللحاق به الى خراسان فامره بالمقام ببلد الجبل وولاه امارة العراق وكاتب العساكر بمجاورته له بطاعته فاقام باصبهان وسار منها الى أقطاعه باذربيجان وعاد وقد انتشر أمر الباطنية باصبهان فندب نفسه لقتالهم وحصر قلعة على جبل أصبهان واتصل به مؤيد الملك بن نظام الملك وكان ببغداد فسار منها الى الحلة فاكرمه صدقة وسار من عنده الى الامير انز فلما اجتمع بالامير أنز خوفه هو وغيره من السلطان بركيارق وعظموا عليه الاجتماع به وحسنوا له البعد عنه وأشاروا عليه بمكاتبة غياث الدين محمد بن ملكشاه وهو اذ ذاك بكنجة فعزم على المخالفة للسلطان وتحدث فيه فظهر ذلك فزاد خوفه من السلطان فجمع من العساكر المعروفين بالشجاعة نحو عشرة آلاف فارس وسار من اصبهان الى الرى وأرسل الى السلطان يقول انه مملوك ومطيع ان سلم اليه مجد الملك البلاسانى وان لم يسلمه فهو عاص خارج عن الطاعة فبينما هو يفطر وكانت عادته يصوم أياما من الاسبوع فلما قارب الفراغ من الافطار هجم عليه ثلاثة نفر من الاتراك المولدين بخوارزم وهم من جملة خيله فصدم أحدهم المشعل فالقاه وصدم الآخر الشمعة فاطفاها وضربه الثالث بالسكين فقتله وقتل معه جانداره واختلط الناس فى الظلمة ونهبوا خزائنه وتفرق عسكره وبقى ملقى فلم يوجد ما يحمل عليه ثم حمل الى داره باصبهان ودفن بها ووصل خبر قتله السلطان بركيارق وهو بخوار الرى قد خرج من خراسان عازما على قتاله وهو على غاية الحذر من قتاله وعاقبة أمره وفرح مجد الملك البلاسانى بقتله وكان له مثل يومه عن قريب وكان عمر أنز سبعا وثلاثين سنة وكان كثير الصوم والصلاة والخير والمحبة للصالحين

انعم الباشا على الواصلين منهم بالخلع والبقاشيش والبسهم شلنجات فضة على رؤسهم فازداد جبروتهم وتعديهم ولما رجع الانكليز الى ناحية الاسكندرية قطعوا السد فسالت المياه وغرقت الاراضى حول الاسكندرية (وفى يوم الاحد سابع عشره) وصل ياسين بك الى ناحية طرا وحضر ابوه الى مصر ودخل كثير من اتباعه الى المدينة وهم لابسون زى المماليك المصرية (وفيه) دفنوا رؤس القتلى من الانكليز وكانوا قطعوا آذانهم ودبغوها وملحوها ليرسلوها الى اسلامبول (وفيه) أرسل الباشا قبيالا كبيرا من الانكليز الى الاسكندرية بدلا عن ابن أخى عمر بك وقد كان المذكور سافر الى الاسكندرية قبل الحادثة ليذهب الى بلاده بما معه من الاموال فعوقه الانكليز فارسلوا هذا القبيال ليرسلوا بدله ابن أخى عمر بك (وفى يوم الاثنين ثامن عشره) وصلت خيام ياسين بك وحملاته ونصبوا وطاقه جهة شبرا ومنية السيرج (وفى سادس عشرينه) وصل ياسين بك المذكور وصحبته سليمان أغا صالح وكيل دار السعادة سابقا وهو الذى كان باسلامبول وحضر بصحبته القبودان فى الحادثة السابقة وتاخر عنه واستمر مع الالفى ثم مع أمرائه بعد موته وكان الباشا قد أرسل له يستدعيه بامان فاجاب الى الحضور بشرط أن يجرى عليه الباشا مرتبه بالضربخانه وقدره (ذكر

(ذكر ملك الفرنج لعنهم الله البيت المقدس) *

كان البيت المقدس لتاج الدولة تتش واقطعه للامير سقمان بن ارتق التركمانى فلما ظفر الفرنج بالاتراك على انطاكية وقتلوا فيهم ضعفوا وتفرقوا فلما رأى المصريون ضعف الاتراك ساروا اليه ومقدمهم الافضل بن بدر الجمالى وحصروه وبه الامير سقمان وايلغازى ابنا ارتق وابن عمهما سونج وابن أخيهما ياقوتى ونصب عليه نيفا واربعين منجنيقا فهدموا مواضع من سوره وقاتلهم أهل البلد فدام القتال والحصار نيفا وأربعين يوما وملكوه بالامان فى شعبان سنة تسع وثمانين وأربعمائة وأحسن الافضل الى سقمان وايلغازى ومن معهما واجزل لهم العطاء وسيرهم فساروا الى دمشق ثم عبروا الفرات فاقام سقمان ببلد الرها وسار ايلغازى الى العراق واستناب المصريون فيه رجلا يعرف بافتخار الدولة وبقى فيه الى الآن فقصده الفرنج بعدان حصروا عكا فلم يقدروا عليها فلما وصلوا اليه حصروه نيفا واربعين يوما ونصبوا عليه برجين أحدهما من ناحية صهيون واحرقه المسلمون وقتلوا كل من به فلما فرغوا من احراقه أتاهم المستغيث بان المدينة قد ملكت من الجانب الآخر وملكوها من جهة الشمال منه ضحوة نهار يوم الجمعة لسبع بقين من شعبان وركب الناس السيف ولبث الفرنج فى البلدة اسبوعا يقتلون فيه المسلمين واحتمى جماعة من المسلمين بمحراب داود فاعتصموا به وقاتلوا فيه ثلاثة أيام فبذل لهم الفرنج الامان فسلموه اليهم ووفى لهم الفرنج وخرجوا ليلا الى عسقلان فاقاموا بها وقتل الفرنج بالمسجد الاقصى ما يزيد على سبعين ألفا منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين وعلمائهم وعبادهم وزهادهم ممن فارق الاوطان وجاور بذلك الموضع الشريف واخذوا من عند الصخرة نيفا واربعين قنديلا من الفضة وزن كل قنديل ثلاثة آلاف وستمائة درهم وأخذوا تنورا من فضة وزنه أربعون رطلا بالشامى واخذوا من القناديل الصغار مائة وخمسين قنديلا نقرة ومن الذهب نيفا وعشرين قنديلا وغنموا منه مالا يقع عليه الاحصاء وورد المستنفرون من الشام فى رمضان الى بغداد صحبة القاضى أبى سعد الهروى فاوردوا فى الديوان كلاما أبكى العيون واوجع القلوب وقاموا بالجامع يوم الجمعة فاستغاثوا وبكوا وأبكوا وذكر ما دهم المسلمين بذلك الشريف المعظم من قتل الرجال وسبى الحريم والاولاد ونهب الاموال فلشدة ما اصابهم افطروا فامر الخليفة ان يسير القاضى أبو محمد الدامغانى وأبو بكر الشاشى وأبو القاسم الزنجانى وأبو الوفاء بن عقيل وأبو سعد الحلوانى وأبو الحسين بن سماك فساروا الى حلوان فبلغهم قتل مجد الملك البلاسانى على ما نذكره فعادوا من غير بلوغ ارب ولا قضاء حاجة واختلف السلاطين على ما نذكره فتمكن الفرنج من البلاد فقال أبو المظفر الابيوردى فى هذا المعنى ابياتا منها

مزجنا دماء بالدموع السواجم * فلم يبق منا عرضة للمراحم
وشر سلاح المرء دمع يفيضه * اذا الحرب شبت نارها بالصوارم
فايها بنى الاسلام ان وراءكم * وقائع يلحقن الذرى بالمناسم

لك ألف درهم فى كل يوم فاجابه الى ذلك وحضر صحبته ياسين بك وقابلا الباشا ١٢٧ وخلع عليهما خلعتى سمور ونزلا وركبا ولعبا مع اجنادهما بوسط البركة بالرماح وظهر من حسن رماحة سليمان اغا ما اعجب الباشا ومن حوله من الاتراك بل اصابوه باعينهم لانه بعد انقضاء ذلك سار مع ياسين بك الى ناحية بولاق يترامحون ويتلاعبون فاخرج طبنجته بيده اليمنى والرمح فى يده اليسرى وكان زنادها مرفوعا فانطلقت رصاصتها وخرقت كفه اليسار القابض به على سرع الجواد ونفذت من الجهة الاخرى فرجع الى داره بجراحته واذن له بردجانه وذهب ياسين بك الى بولاق فبات بها فى دار حسن الطويل بساحل النيل (وفيه) سافر المتسفر باآذان قتلى الانكليز وقد وضعوها فى صندوق وسافر بها على طريق الشام وصحبته أيضا شخصان من اسرى قبيلات الانكليز وكتبوا عرضا بصورة الحال من انشاء السيد اسمعيل الخشاب وبالغوا فيه (وفيه) حضر اسمعيل كاشف الطوبجى من ناحية بحرى ليقضى بعض الاغراض ثم يعود (وفى يوم الخميس ثامن عشرينه) سافر عمر بك تابع عثمان بك الاشقر وعلى كاشف بن احمد كتخدا الى ناحية القليوبية لاجل القبض على ايوب فوده بسبب رجل يسمى زغلول ينسب اليه بانه يقطع الطريق على المسافرين فى البحر وكلما مرت بناحية مركب حاربها

اتهويمة فى ظل امن وغبطة * وعيش كنوار الخميلة ناعم
وكيف تنام العين ملء جفونها * على هفوات ايقظت كل نائم
واخوانكم بالشام يضحى مقيلهم * ظهور المذاكى أوبطون القشاعم
تسومهم الروم الهوان وانتم * تجرون ذيل الخفض فعل المسالم
وكم من دماء قد ابيحت ومن دمى * توارى حياء حسنها بالمعاصم
بحيث السيوف البيض محمرة الظبا * وسمر العوالى داميات اللهاذم
وبين اختلاس الطعن والضرب وقفة * تظل لها الولدان شيب القوادم
وتلك حروب من يغب عن غمارها * ليسلم يقرع بعدها سن نادم
سللن بايدى المشركين قواضبا * ستغمد منهم فى الطلى والجماجم
يكاد لهن المستجن بطيبة * ينادى باعلى الصوت يا آل هاشم
أرى أمتى لا يشرعون الى العدا * رماحهم والدين واهى الدعائم
ويجتنبون النار خوفا من الردى * ولا يحسبون العار ضربة لازم
أترضى صناديد الاعاريب بالاذى * ويغضى على ذل كماة الأعاجم

ومنها

فليتهم اذ لم يذودوا حمية * عن الدين ضنوا غيرة بالمحارم
وان زهدوا فى الاجر اذ حمس الوغى * فهلا أتوه رغبة فى الغنائم
لئن اذعنت تلك الخياشيم للبرى * فلا عطسوا الا باجدع راغم
دعونا كم والحرب ترنو ملحة * الينا بالحاظ النسور القشاعم
تراقب فينا غارة عربية * تطيل عليها الروم عض الاباهم
فان أنتم لم تغضبوا بعد هذه * رمينا الى أعدائنا بالجرائم

(ذكر الحرب بين المصريين والفرنج)

فى هذه السنة فى رمضان كانت وقعة بين العساكر المصرية والفرنج وسببها ان المصريين لما بلغهم ماتم على أهل القدس جمع الافضل أمير الجيوش العساكر وحشد وسار الى عسقلان وأرسل الى الفرنج ينكر عليهم مافعلوا و يتهددهم فاعادوا الرسول بالجواب ورحلوا على اثره وطلعوا على المصريين عقيب وصول الرسول ولم يكن عند المصريين خبر من وصولهم ولا من حركتهم ولم يكونوا على أهبة القتال فنادوا الى ركوب خيولهم ولبسوا أسلحتهم وأعجلهم الفرنج فهزموهم وقتلوا منهم من قتل وغنموا مافى العسكر من مال وسلاح وغير ذلك وانهزم الافضل فدخل عسقلان ومضى جماعة من المنهزمين فاستتروا بشجر الجميز وكان هناك كثيرا فاحرق الفرنج بعض الشجر حتى هلك من فيه وقتلوا من خرج منه وعاد الافضل فى خواصه الى مصر ونازل الفرنج عسقلان وضايقوها فبذل لهم أهلها قطيعة اثنى عشر ألف دينار وقيل عشرين ألف

ونهب مافيها من بضائع التجار واموالهم أوانهم يفتدون انفسهم منه بما يرضيه من المال فكثر تشكى الناس منه فيرسلون الى ايوب فوده كبير الناحية فيتبرأ منه فلما زاد الحال عينوا من ذكر للقبض عليه وقتله فبلغه الخبر فهرب من بلده ابناس فلما وصلوا الى محله فلم يجدوه فاحاطوا بموجوداته وغلاله وبهائمه وماله من المواشى والودائع بالبلاد فلما جرى ذلك حضر الى السيد عمر وصالح على نفسه بثمانمائة كيس ورجع الحال الى حاله وذلك خلاف ما أخذه المعينون من الكلف والمغارم من البلاد التى مروا عليها واقاموا فيها واحتجوا عليها (وفيه) حضر الكثير من اهل رشيد بحريمهم واولادهم ورحلوا عنها الى مصر (وفيه) حضر كتخدا القاضى من عند الامراء القبالى واخبر انهم محتاجون الى مراكب لحمل الغلال الميرية والذخيرة فهيا الباشا عدة مراكب وارسلها اليهم ومع هذه الصورة واظهار المصالحة والمسالمة يمنعون ويحجزون من يذهب اليهم من دورهم بثياب ومتاع وكذلك يمنعون المتسببين والباعة الذين يذهبون بالمتاجر والامتعة التى يبيعونها عليهم واذا وقعوا بشخص اوغمزوا عليه عند الحاكم اوصادفه بعض العيون المترقبة عليه قبضوا عليه ونهبوا مامعه وعاقبوه وحبسوه بل ونهبوا داره وغرموه ولا دينار

دينار ثم عادوا الى القدس

(ذكر ابتداء ظهور السلطان محمد بن ملكشاه)

كان السلطان محمد وسنجر أخوين لام واب أمهما أم ولد ولما مات أبوه ملكشاه كان محمد معه ببغداد فسار مع أخيه محمود وتركان خاتون زوجة والده الى أصبهان ولما حصر بركيارق أصبهان خرج محمد مختفيا ومضى الى والدته وهى فى عسكر أخيه بركيارق وقصد أخاه السلطان بركيارق وسار معه الى بغداد سنة ست وثمانين وأربعمائة وأقطعه بركيارق كنجة وأعمالها وجعل معه أتابكا له الامير قتلغ تكين فلما قوى محمد قتله واستولى على جميع أعمال اران الذى من جملته كنجة فعرف ذلك الوقت شهامة محمد وكان السلطان ملكشاه قد أخذ تلك البلاد من فضلون بن أبى الاسوار الروادى وسلمها الى سرهنك ساوتكين الخادم واقطع فضلون استراباذ وعاد فضلون ضمن بلاده ثم عصى فيها لما قوى فارسل السلطان اليه الامير بوزان فحاربه واسره واقطع بلاده لجماعة منهم باغيسيان صاحب انطاكية ولما مات باغيسيان عاد ولده الى ولاية أبيه فى هذه البلاد وتوفى فضلون ببغداد سنة أربع وثمانين وهو على غاية من الاضاقة فى مسجد على دجلة وقد ذكرنا فيما تقدم تنقل الاحوال بمؤيد الملك عبيد الله بن نظام الملك وانه كان عند الامير أنر فحسن له عصيان السلطان بركيارق فلما قتل أنر سار الى الملك محمد فاشار عليه بمخالفة أخيه والسعى فى طلب السلطنة ففعل ذلك وقطع خطبة بركيارق من بلاده وخطب لنفسه بالسلطنة واستوزر مؤيد الملك واتفق قتل مجد الملك البلاسانى واستيحاش العسكر من السطان بركيارق وفارقوه وساروا نحو السلطان محمد فلقوه بخرقان فصاروا معه وساروا نحو الرى وكان السلطان بركيارق لما فارقه عسكره سار مجدا الى الرى فاتاه بها الامير ينال بن أنوشتكين الحسامى وهو من أكابر الامراء ووصل اليه أيضا عز الملك منصور بن نظام الملك وأمه ابنة ملك الابخاز ومعه عساكر جمة فبلغه مسير أخيه محمد اليه فى العساكر فسار من الرى الى اصبهان فلم يفتح أهلها له الابواب فسار الى خوزستان على ما نذكره وورد السلطان محمد الى الرى ثانى ذى القعدة فوجد زبيدة خاتون والدة أخيه السلطان بركيارق قد تخلفت بعد ابنها فاخذها مؤيد الملك وسجنها فى القلعة واخذ خطها بخمسة آلاف دينار واراد قتلها واشار عليه ثقاته ان لا يفعل ذلك فلم يقبل منهم وقالوا له العسكر محبون لولدها وانما استوحشوا منه لاجلها ومتى قتلت عدلوا اليه فلا تغتر بهؤلاء الجند فانهم غدروا بمن احسن اليهم أوثق ما كان بهم فلم يصغ الى قولهم ورفعها الى القلعة وخنقت وكان عمرها اثنتين واربعين سنة فلما أسر السلطان بركيارق مؤيد الملك رأى خطه فى تذكرته بخمسة آلاف دينار فكان اعظم الاسباب فى قتله

(ذكر الخطبة ببغداد للملك محمد)

لما قوى أمر السلطان محمد سار اليه سعد الدولة كوهرائين من بغداد وكان قد استوحش

يغفر ذنبه ولا تقال عثرته ويتبرأ منه كل من يعرفه وكذلك نبهوا على القلقات الذين يسمونهم الضوابط المتقيدين بابواب المدينة مثل باب النصر وباب الفتوح والبرقية والباب الحديد بمنع النساء عن الخروج خوفا من خروج النساء القبالى وذهابهن الى ازواجهن واتفق انهم قبضوا على شخص فى هذه الايام يريد السفر الى ناحية قبلى ومعه تليس ففتحوه فوجدوا بداخله مراكيب ونعالات مصرية ومغربية التى تسمى بالبلغ فقبضوا عليه واتهموه انه يريد الذهاب بذلك الى الامراء واتباعهم فنهبوا منه ذلك وغيره وقبضوا عليه وحبسوه واستمر محبوسا وكذلك اتفق ان الوالى ذهب الى جهة القرافة وقبض على اشخاص من التربية الذين يدفنون الموتى واتهمهم بان بعض اتباع الامراء القبالى يخرجون اليهم بالامتعة لاسيادهم ويخفونها عندهم بداخل القبور حتى يرسلوها الى اسيادهم فى الغفلات وضربهم وهجم على دورهم فلم يجد بها شيئا واجتمع عليه خدام الاضرحة واهل القرافة وشنعوا عليه وكادوا يقتلونه فهرب منهم وحضروا فى ضحيها عند السيد عمر والمشايخ يشكون من الوالى وما فعله مع الحفارين ونحو ذلك فاعجب لهذا التناقض (وفيه) وصل مكتوب من كبير الانكليز الذى بالاسكندريه مضمونه طلب اسماء الاسرى من الانكليز والوصية بهم

من السلطان بركيارق فاجتمع هو وكربوقا صاحب الموصل وجكرمش صاحب الجزيرة وسرخاب بن بدر صاحب كنكور وغيرها فساروا الى السلطان محمد فلقوه بقم فردسعد الدولة الى بغداد وخلع عليه وسار كربوقا وجكرمش فى خدمته الى اصبهان ولما وصل كوهرائين الى بغداد خاطب الخليفة فى الخطبة للسلطان محمد فاجاب الى ذلك وخطب له يوم الجمعة سابع عشر ذى الحجة ولقب غياث الدنيا والدين

(ذكر قتل مجد الملك البلاسانى)

قد ذكرنا تحكم مجد الملك ابى الفضل اسعد بن محمد فى دولة السلطان بركيارق وتمكنه منها فلما بلغ الغاية التى لا مزيد عليها جاءته نكبات الدنيا ومصائبها من حيث لا يحتسب واما سبب قتله فان الباطنية لما توالى منهم قتل الامراء الاكابر من الدولة السلطانية نسبوا ذلك اليه وانه هو الذى وضعهم على قتل من قتلوه وعظم ذلك قتل الامير برسق فاتهم أولاده زنكى واقبورى وغيرهما مجد الملك بقتله وفارقوا السلطان وسار السلطان الى زنجان لانه بلغه خروج السلطان محمد عليه على ماذكرناه فطمع حينئذ الامراء فارسل اميرآخر وبلكابك وطغايرك بن اليزن وغيرهم الى الامراء بنى برسق يستحضرونهم اليهم ليتفقوا معهم على مطالبة السلطان بتسليم مجد الملك اليهم ليقتلوه فحضروا عندهم فارسلوا الى السلطان بركيارق وهم بسجاس مدينة قريبة من همذان يلتمسون تسليمه اليهم ووافقهم على ذلك العسكر جميعه وقالوا ان سلم الينا فنحن العبيد الملازمون للخدمة وان منعنا فارقنا وأخذناه قهرا فمنع السلطان منه فارسل مجد الملك الى السلطان يقول له المصلحة ان تحفظ أمراء دولتك وتقتلنى انت لئلا يقتلنى القوم فيكون فيه وهن على دولتك فلم تطب نفس السلطان بقتله وارسل اليهم يستحلفهم على حفظ نفسه وحبسه فى بعض القلاع فلما حلفوا اسلمه اليهم فقتله الغلمان قبل ان يصل اليهم فسكنت الفتنة ومن العجب انه كان لا يفارقه كفنه سفرا وحضرا ففى بعض الايام فتح خازنه صندوقا فرأى الكفن فقال وما اصنع بهذا ان امرى لا يؤول الى كفن والله ما يبقى الا طريحا على الارض فكان كذلك ورب كلمة تقول لقائلها دعنى ولما قتل حمل رأسه الى مؤيد الملك بن نظام الملك وكان مجد الملك خيرا كثير الصلاة بالليل كثير الصدقة لاسيما على العلويين وارباب البيوتات وكان يكره سفك الدماء وكان يتشيع الا انه كان يذكر الصحابة ذكرا حسنا ويلعن من يسبهم ولما قتل ارسل الامراء يقولون للسلطان المصلحة ان تعود الى الرى ونحن نمضى الى اخيك فنقاتله ونقضى هذا المهم فسار بعد امتناع وتبعه مائتا فارس لاغير ونهب العسكر سرادق السلطان ووالدته وجميع اصحابه وعاد الى الرى وسار العسكر الى السلطان محمد

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة فى شعبان وصل الكيا أبو الحسن على بن محمد الطبرى المعروف بالهراس الفقيه الشافعى ولقبه عماد الدين شمس الاسلام برسالة من السلطان بركيارق الى

واكرامهم كما هم يفعلون بالاسرى من العسكر ١٢٠ فانهم لما دخلوا الى الاسكندرية اكرموا من كان بها منهم واذنوا لهم بالسفر بمتاعهم واحوالهم الى حيث شاؤا وكذلك من اخذوه أسيرا فى حرابة رشيد (واستهل شهر ربيع الاول بيوم السبت سنة ١٢٢٢) فيه كتبوا الكبير الانكليز جوابا عن رسالته (وفى يوم السبت خامس عشره) حضر على كاشف الكبير الالفى بكلام من طرف شاهين بك الالفى يعتذر عن التاخير الى هذا الوقت وانهم على صلحهم واتفاقهم الاول وحضورهم الى ناحية الجيزة وبات تلك الليلة فى بيته بمصر ثم أقام ثلاثة أيام ورجع الى مرسله وصحبته سليمان أغا الوكيل (وفيه) حضر عابدين بك أخو حسن باشا من ناحية بحرى وحضر أيضا فى اثره أحمد أغا لاظ وغيره من ناحية بحرى وذلك أنهم ذهبوا اخلف الانكليز الى قرب معدية البحيرة فخرج عليهم طائفة الانكليز من البر والبحر وضربوا عليهم مدافع ونيرانا كثيرة فولوا راجعين وحضروا الى مصر (وفيه) حضر ايضا القبطان الكبير الانكليزى الذى كان أرسل بدلا عن ابن أخى عمر بك وقيل انه ابن أخى صالح قوش فلما وصل اليهم اجابوا بان المذكور سافر مع من سافر الى الروم بمتاعهم واموالهم قبل الواقعة وحيث لم يكن المطلوب موجودا فلا وجه لابقاء الانكليزى المذكور فردوه

الخليفة

الخليفة وهو من اصحاب امام الحرمين ابى المعالى الجوينى ومولده سنة خمسين واربعمائة واعتنى بامره مجد الملك البلاسانى وقام له الوزير عميد الدولة بن جهير لما دخل عليه وفيها قتل أبو القاسم بن امام الحرمين ابى المعالى الجوينى بنيسابور وكان خطيبها واتهم العامة أبا البركات الثعلبى بانه هو الذى سعى فى قتله فوثبوا به فقتلوه واكلوا لحمه وفيها كان بخراسان غلاء شديد تعذرت فيه الاقوات ودام سنتين وكان سببه ان البرد اهلك الزروع جميعها ولحق الناس بعده وباء جارف فمات منهم خلق كثير عجزوا عن دفنهم لكثرتهم وفيها فى شعبان توفى ابو الغنائم الفارقى الفقيه الشافعى بجزيرة ابن عمر وكان اماما فاضلا زاهدا وفيها فى صفر توفى ابو عبد الله الحسين بن طلحة النعالى وعمره نحو تسعين سنة وكان عالى الاسناد فى الحديث وقيل توفى سنة ثلاث وتسعين وفيها فى شعبان توفى ابو غالب محمد بن على بن عبد الواحد بن الصباغ الفقيه الشافعى تفقه على ابن عمه ابى نصر وكان حسن الخلق متواضعا

(ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين واربعمائة)

*(ذكر اعادة خطبة السلطان بركيارق ببغداد)

فى هذه السنة اعيدت الخطبة للسلطان بركيارق ببغداد وسبب ذلك ان بركيارق سار فى العام الماضى من الرى الى خوزستان فدخلها وجميع من معه على حال سيئة وكان امير عسكره حينئذ ينال بن انوشتكين الحسامى واتاه غيره من الامراء وسار الى واسط فظلم عسكره الناس ونهبوا البلاد واتصل به الامير صدقة بن مزيد صاحب الحلة ووثب على السلطان قوم ليقتلوه فاخذوا واحضروا بين يديه فاعترفوا ان الامير سرمز شحنة اصبهان وضعهم على قتله فقتل احدهم وحبس الباقون وسار الى بغداد فدخلها سابع عشر صفر وخطب له ببغداد يوم الجمعة منتصف صفر قبل وصوله بيومين وكان سعد الدولة كوهرائين بالشفيعى وهو فى طاعة السلطان محمد فسار الى داى مرج ومعه ايلغازى بن ارتق وغيره من الامراء فارسل الى مؤيد الملك والسلطان محمد يستحثهما على الوصول اليه فارسلا اليه كربوقا صاحب الموصل وجكرمش صاحب جزيرة ابن عمر فاما جكرمش فاستاذن كوهرائين فى العود الى بلده وقال انه قد اختلت الاحوال فاذن له وبقى مع كوهرائين جماعة من الامراء فاتفقوا على ان يصدروا عن رأى واحد ولا يختلفوا ثم اتفقت آراؤهم على ان كتبوا الى السلطان بركيارق يقولون له اخرج الينا فانا من بقا تلك وكان الذى أشار بذا كربوقا وقال لكوهرائين اننا لم نظفر من محمد ومؤيد الملك بطائل وكان منحرفا عن مؤيد الملك فسار بركيارق اليهم فترجلوا وقبلوا الارض وعادوا معه الى بغداد واعاد الى كوهرائين جميع ما كان اخذ له من سلاح ودواب وغير ذلك واستوزر بركيارق ببغداد الاعز ابا المحاسن عبد الجليل بن على بن محمد الدهستانى وقبض على عميد الدولة بن جهير وزير الخليفة وطالبه بالحاصل من ديار بكر والموصل لما تولاها هو وابوه ايام ملكشاه فاستقر الامر على مائة الف دينار وستين الف دينار

بعد ان رفعوا منزلته ورتبته عندهم فلما رجع الى مصر خلى سبيله الباشا ولم يحبسه مع الاسرى بل أطلق له الاذن أيضا فى الرجوع الى الاسكندرية أو الى بلاده متى أحب واختار (وفى منتصفه) استوحش الباشا من ياسين بك وضاق خناقه منه وذلك انه لما حضر الى مصر وخلع عليه الباشا ودفع اليه ما كان وعده به من الاكياس وقدم له تقادم وانعامات على انه يسافر الى الاسكندرية لمحاربة الانكليز وطلب مطالب كثيرة له ولاتباعه وأخذ لهم الكساوى والسراويلات وأخذ جميع ما كان عند جبجى باشا من الاقمشة والخيام والجبخانه والاحتياجات من القرب وروايا الماء ولوازم العسكر فى سفر البر والافازة والمحاصرة الى غير ذلك وقلد أباه كشوفية الشرقية وخرج هو بعرضيه وخيامه الى ناحية الحلى ببولاق فانضم اليه الكثير من العسكر والدلاتية وغيرهم وصار كل من ذهب اليه يكتبه فى جملة عسكره فاجتمع عليه كل عاص وأزعر ومخالف وعاق وصرح بالخلاف وتطلعت نفسه للرياسة وكلما أرسل اليه الباشا يرده وينهاه عن فعله يعرض عن ذلك وداخله الغرور وانتشرت اوباشه يعبثون فى النواحى وبث أكابر جنده فى القرى والبلدان وعينهم لجمع الاموال والمغارم الخارجة عن المعقول ومن خالفهم نهبوا قريته وأحرقوها وأخذوا أهلها

أسرى فعند ذلك اخذ الباشا في التدبير عليه واستمال العسكر المنضمين اليه وحل عرى رباطاته فلما كان في ليلة الار بعاء تاسع عشره امر عساكر الارنؤد بالاجتماع والخروج الى ناحية بولاق فخرجوا بجمعهم الى نواحي السبتية والخندق وأحالوا بينه وبين بولاق ومصر (وفي ليلة السبت) ركب الباشا بجنوده وخرج الى تلك الناحية وحصن أبواب المدينة بالعساكر وايقن الناس بوقوع الحرب بين الفريقين وأرسل الباشا الى ياسين بك يقول له ان تستمر على الطاعة وتطرد عنك هذه اللموم وتكون من جملة كبار العسكر والا تذهب الى بلادك والا فانا واصل اليك ومحاربك فعند ذلك داخله الخوف وانحلت عزائم جيوشه وتفرق الكثير منهم فلما كان بعد الغروب طلب الركوب ولم يعلم عسكره أين يريد فركب الجميع وهم ثلاثة طوابير واشتبهت عليهم الطرق في ظلام الليل فسار هو بفريق منهم الى ناحية الجبل على طريق حلق الجرة وفرقة سارت الى ناحية بركة الحاج والثالثة ذهبت على طريق القليوبية وفيهم ابوه فلما علم الباشا بركوبهم ركب خلفهم وذهب خلف الطائفة التي توجهت الى ناحية البركة حصة فلما علموا انفرادهم عن اميرهم رجعوا متفرقين في النواحي ورجع الباشا الى داره ولم يزل ياسين بك في سيره حتى نزل بمن معه في التبين لما

بحمايها اليه وخلع الخليفة على السلطان بركيارق

(ذكر الوقعة بين السلطانين بركيارق ومحمد واعادة خطبة محمد ببغداد)

في هذه السنة سار بركيارق من بغداد الى شهرزور فاقام بها ثلاثة ايام والتحق به عالم كثير من التركمان وغيرهم فسار نحو اخيه السلطان محمد ليحاربه فكاتبه رئيس همذان ليسير اليها ويأخذ اقطاع الامراء الذين مع اخيه فلم يفعل وسار نحو أخيه فوقع الحرب بينهم رابع رجب وهو المصاف الاول بين بركيارق وأخيه السلطان محمد باسبيذروز ومعناه النهر الابيض وهو على عدة فراسخ من همذان وكان مع محمد نحو عشرين الف مقاتل وكان محمد في القلب ومعه الامير سرمز وعلى ميمنته أمير آخر وابنه اياز وعلى ميسرته مؤيد الملك والنظامية وكان السلطان بركيارق في القلب ووزيره الاعز ابو المحاسن وعلى ميمنته كوهرائين وعز الدولة بن صدقة بن مزيد وسرخاب بن بدر وعلى ميسرته كربوقا وغيره فحمل كوهرائين من ميمنة بركيارق على ميسرة محمد وبها مؤيد الملك والنظامية فانهزموا ودخل عسكر بركيارق في خيامهم فنهبوهم وحملت ميمنة محمد على ميسرة بركياق فانهزمت الميسرة وانضافت ميمنة محمد اليه في القلب على بركيارق ومن معه فانهزم بركيارق ووقف محمد مكانه وعاد كوهرائين من طلب المنهزمين الذين انهزموا بين يديه وكبا به فرسه فاتاه خراساني فقتله واخذ رأسه وتفرقت عساكر بركيارق وبقي في خمسين فارسا واما وزيره الاعز ابو المحاسن فانه اخذ اسيرا فاكرمه مؤيد الملك بن نظام الملك ونصب له خيما وخركاه وحمل اليه الفرش والكسوة وضمنه عمادة بغداد واعاده اليها وأمره بالمخاطبة في اعادة الخطبة للسلطان محمد ببغداد فلما وصل اليها خاطب في ذلك فاجيب اليه وخطب له يوم الجمعة رابع عشر رجب

(ذكر قتل سعد الدولة كوهرائين)

في هذه السنة في رجب قتل سعد الدولة كوهرائين في الحرب المذكورة قبل وكان ابتداء امره انه كان خادما للملك أبي كاليجار بن سلطان الدولة بن بويه انتقل اليه من امرأة من قرقوب بخوزستان وكان اذا توجه الى الاهواز حضر عندها واستعرض حوائجها واصاب اهلها منه خيرا كثيرا فارسله أبو كاليجار مع ابنه أبي نصر الى بغداد فلما قبض عليه السلطان طغرلبك مضى معه الى قلعة طبرك فلما مات ابو نصر انتقل الى خدمة السلطان الب ارسلان ووقاه بنفسه لما جرحه يوسف الخوارزمي وكان ألب ارسلان قد اقطعه واسط وجعله شحنة لبغداد فلما قتل الب ارسلان أرسله ابنه ملكشاه الى بغداد فاحضر له الخلع والتقليد ورأى ما لم يره خادم قبله من نفوذ الامر وتمام القدرة وطاعة أعيان الامراء وخدمتهم اياه وكان حليما كريما حسن السيرة لم يصادر أحدا من اهل ولايته ومناقبه كثيرة

(ذكر حال السلطان بركيارق بعد الهزيمة وانهزامه من أخيه سنجر أيضا وقتل أمير داذ حبشي)

لما انهزم السلطان بركيارق من أخيه السلطان محمد سار قليلا وهو في خمسين فارسا ونزل
عمة واستراح وقصد الري وارسل الى من كان يعلم انه يريده ويؤثر دولته فاستدعاه
فاجتمع معه جمع صالح فسار الى اسفراين وكاتب أميرداذ حبشي بن التونتاق وهو
بدامغان يستدعيه فاجابه يشير عليه بالمقام بنيسابور حتى يأتيه وكان بيده حينئذ أكثر
خراسان وطبرستان وجرجان فلما وصل بركيارق الى نيسابور قبض على رؤسائها وخرج
بهم واطلقهم بعد ذلك وتمسك بعميد خراسان أبي محمد وأبي القاسم بن أبي المعالى
الجويني فاما أبو القاسم فمات مسموما في قبضه وقد تقدم انه قتل سنة اثنتين وتسعين
وعاد بركيارق فاستدعى أميرداذ فاعتذر بقصد السلطان سنجر بلاده في عساكر بلخ
وسال السلطان بركيارق ان يصل اليه ليعينه على الملك سنجر فسار اليه في ألف فارس
فلم يعلم بقدومه الا الامراء الكبار من أصحاب سنجر ولم يعلم الاصاغر لئلا ينهزموا وكان مع
الاميرداذ عشرون ألف فارس فيهم من رجالة الباطنية خمسة آلاف ووقع المصاف بين
بركيارق وأخيه سنجر خارج النوشجان وكان الامير برغش في ميمنة سنجر والامير
كندكز في ميسرته والامير رستم في القلب فحمل بركيارق على رستم فطعنه فقتله وانهزم
اصحابه وأصحاب سنجر واشتغل العسكر بالنهب فحمل عليهم برغش وكندكز فقتلا
المنهزمين وانهزم الرجالة الى مضيق بين جبلين فارسل عليهم الماء فاهلكهم ووقعت
الهزيمة على اصحاب بركيارق وكان قد اخذ والدة اخيه سنجر لما انهزم اصحابه اولا
فخافت ان يقتلها بامه فاحضرها وطيب قلبها وقال انما أخذتك حتى يطلق اخي سنجر
من عنده من الاسرى ولست كفؤ الوالدتي حتى اقتلك فلما أطلق سنجر الاسرى اطلقها
بركيارق وهرب اميرداذ الى بعض القرى واخذه بعض التركمان فاعطاه في نفسه مائة
الف دينار فلم يطلقه وحمله الى برغش فقتله وسار بركيارق الى جرجان ثم الى دامغان
وسار في البرية ورؤي في بعض المواضع ومعه سبعة عشر فارسا وجمازة واحدة ثم كثر جمعه
وصار معه ثلاثة آلاف فارس منهم جاولي سقاوو وغيره وسار الى اصبهان بمكاتبة من
اهلها فسمع السلطان محمد فسبقه اليها فعاد الى سميرم

(ذكر فتح تميم بن المعز مدينة سفاقس)

في هذه السنة فتح تميم بن المعز مدينة سفاقس وكان صاحبها حمو قد عاد فتغلب عليها
واستدامره بوزير كان عنده قد قصده وهو من كتاب المعز كان حسن الراى والتدبير
فاستقامت به دولته وعظم شانه فارسل اليه تميم يطلبه ليستخدمه ووعده وبالغ في
استمالته فلم يقبل فسير تميم جيشا الى حصار سفاقس وامر الامير الذي جعله مقدم
الجيش ان يهدم ما حول المدينة ويحرقه ويقطع الاشجار سوى ما يتعلق بذلك الوزير فانه
لا يتعرض اليه ويبالغ في صيانته ففعل ذلك فلما راى حمو ما فعل باملاك الناس
ما عدا الوزير اتهمه فقتله فانحل نظام دولته وتسلم عسكر تميم المدينة وخرج حمو منها وقصد
مكن بن كامل الدهماني فاقام عنده فاحسن اليه ولم يزل عنده حتى مات

واستقر بها واما ابوه فانه التجا الى شيخ قليوب الشواربي فاخذه امانا وأحضره في ثاني يوم الى الباشا فالبسه
فروة وأمره ان يلحق بابنه
فنزل الى بولاق ونزل في مركب
مسافرا (وفي يوم الاثنين رابع
عشرينه) عين الباشا عسكرا
ورؤساء عساكر وخيالة
واصحب معهم شديدا وجملة
من عرب الحويطات للحوق
بياسين بك ومحاربته ولما
نزل ياسين بك بناحية التبين
نهب قرى الناحية باسرها
مثل التبين وحلوان وطرا
والمعصرة والبساتين وفعلوا
بها افاعيلهم الشنيعة من
السلب والنهب وأخذ النساء
ونهب الاجران والغلال
والاتبان والمواشي واخذ
الكلاف الشاقة ومن عجز عن
شئ من مطلوباتهم احرقوه بالنار
(وفي يوم الخميس) رجع العسكر
والعربان الذين كانوا ذهبوا
لمحاربة ياسين بك وذلك انهم
لما قربوا منه وطاقهم ارتحل
الى صول والبرنبل فولوا
راجعين وتمموا في ذهابهم
وايابهم تدمير القرى (وفيه)
ورد قاصد قابجي من اسلامبول
وعلى يده مرسوم بالبشارة
بولاية السيد علي باشا
قبودان الدونanmه
نحو ثلاثة أشهر فضربوا لقدومه
المدافع من القلعة (وفي
يوم السبت تاسع عشرينه)
رجع سليمان اغا من قبلي
الى مصر واخبر بقرب قدوم
الامراء المصريين وان شاهين بك وصل الى زاوية المصلوب وابراهيم بك جهة قنا العروس وانهم يستدعون

(ذكر عزل عميد الدولة من وزارة الخليفة ووفاته)

لما اطلق مؤيد الدولة وزير السلطان محمد الاعز ابا المحاسن وزير بركيارق وضمنه عمادة بغداد امره ان يخاطب الخليفة بعزل وزيره عميد الدولة بن جهير فسار من العسكر وسمع عميد الدولة الخبر فامر الاصبهبذ صباوة بن خمارتكين بالخروج الى طريق الاعز وقتله وكان الاصبهبذ قد حضر الحرب مع بركيارق ولما انهزم العسكر قصد بغداد فخرج الى طريق الاعز ابي المحاسن فلقيه قريبا من يعقوبا فاوقع بمن معه والتجا الاعز الى القرية واحتمى فلما رأى الاصبهبذ صباوة ذلك ارسل اليه يقول له انك وزير السلطان بركيارق وأنا مملوكه فان كنت على خدمته فاخرج الينا حتى نسير الى بغداد ونقيم الخطبة للسلطان وانت الصاحب الذى لا يخالف وان لم تجب الى هذا فما بيننا غير السيف فاجابه الاعز الى ذلك واجتمعا فعرفه صباوة الذى امره به عميد الدولة من قتله وباتا تلك الليلة وارسل الاعز الى الامير ايلغازى بن ارتق وكان قد ورد فى صحبته وفارقه نحو الراذان فحضر فى الليل فانقطع حينئذ امل صباوة منه وفارقه وسار الاعز الى بغداد وخاطب فى عزل عميد الدولة فعزل فى رمضان واخذ من ماله خمسة وعشرون الف دينار وقبض عليه وعلى اخوته وبقى معزولا الى سادس عشر شوال فتوفى محبوسا فى دار الخلافة ومولده فى المحرم سنة خمس وثلاثين واربعمائة وكان عاقلا كريما حليما الا انه كان عظيم الكبر يكاد يعد كلامه عدا وكان اذا كلم انسانا كلمات يسيرة هنئ ذلك الرجل بكلامه

(ذكر ظفر المسلمين بالفرنج)

فى ذى القعدة من هذه السنة لقى كمشتكين بن الدانشمند طايلو وانما قيل له ابن الدانشمند لان اباه كان معلما للتركمان وتقلبت به الاحوال حتى ملك وهو صاحب ملطية وسيواس وغيرهما بيمند الفرنجى وهو من مقدمى الفرنج قريب ملطية وكان صاحبها قد كاتبه واستقدمه اليه فورد عليه فى خمسة آلاف فلقيهم ابن الدانشمند فانهزم بيمند واسر ثم وصل من البحر سبعة قامصة من الفرنج وارادوا تخليص بيمند فاتوا الى قلعة تسمى انكورية فاخذوها وقتلوا من بها من المسلمين وساروا الى قلعة أخرى فيها اسمعيل بن الدانشمند وحصروها فجمع ابن الدانشمند جمعا كثيرا ولقى الفرنج وجعل له كمينا وقاتلهم وخرج الكمين عليهم فلم يفلت احد من الفرنج وكانوا ثلثمائة ألف غير ثلاثة آلاف هربوا ليلا وافلتوا مجروحين وسار ابن الدانشمند الى ملطية فملكها واسر صاحبها ثم خرج اليه عسكر الفرنج من انطاكية فلقيهم وكسرهم وكانت هذه الوقائع فى شهور قريبة

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة زاد امر العيارين بالجانب الغربى من بغداد فى شعبان وعظم ضررهم فامر الخليفة كمال الدولة يمن بتهذيب البلد فاخذ جماعة من اعيانهم وطلب الباقين فهربوا

اليهم مصطفى أغا الوكيل وعلى كاشف الصابونجى (واستهل شهر ربيع الثانى بيوم الاثنين سنة ١٢٢٢)

فيه سافر مصطفى أغا والصابونجى الى جهة قبلى وصحبتهما كتخدا القاضى (وفى سادسه) وصل شخص ططرى وعلى يده مرسوم فعمل الباشا ديوانا وقرأ المرسوم بحضرة الجمع مضمونه ان العرضى الهمايونى الموجه لحرب الموسكوب خرج من اسلامبول وذهب الى ناحية أدرنه وان العساكر سارت لمحاربة الاعداء ويذكرون فيه أن بشائر النصر حاصلة وقد وصل رؤس قتلى واسرى كثيرة وانه بلغ الدولة ورود نحو الاربع عشرة قطعة من المراكب الى ثغر الاسكندرية وان الكائنين بالثغر تراخوا فى حربهم حتى طلعوا الى الثغر فمن اللازم الاهتمام وخروج العساكر لمحاربتهم ودفعهم وطردهم عن الثغر وقد ارسلنا البيورلديات الى سليمان باشا والى صيدا والى يوسف باشا والى الشام بتوجيه العساكر الى مصر للمساعدة وان لزم الحال لحضور المذكورين لتمام المساعدة على دفع العدو الى آخر مانمقوه وسطروه ومحل القصد من ورود هذه البيورلديات والفرمانات والاغوات والقبجيات انما هو جر المنفعة لهم بما ياخذونه من خدمهم وحق طريقهم من الدراهم والتقادم والهدايا فان القادم منهم اذا ورد استعد والقدومه فان كان وفيها

وفيها أيضا انحلت الاسعار بالعراق وكان الكر الحطنة قد بلغ سبعين دينارا وربما زاد كثيرا في بعض الاوقات وانقطعت الامطار ويبست الانهار وكثر الموت حتى عجزوا عن دفن الموتى فحمل في بعض الاوقات ستة اموات على نعش واحد وعدمت الادوية والعقاقير وفيها في رجب سار بيمند الفرنجي صاحب انطاكية الى قلعة فامية فحصرها وقاتل أهلها اياما وافسد زروعها ثم رحل عنها وفيها في آخر رمضان قتل الامير بلكابك سرمز باصبهان بدار السلطان محمد وكان كثير الاحتياط من الباطنية لا يفارقه لبس الدرع ومن يمنع عنه ففي ذلك اليوم لم يلبس درعا ودخل دار السلطان في قلة فقتله الباطنية فقتل واحد ونجا آخر وفيها توفي أبو الحسن البسطامي الصوفي ورباطه مشهور على دجلة غربي بغداد بناه أبو الغنائم بن المحلبان وفيها مات أبو نصر بن ابي عبد الله بن جردة واصله من عكبرا واليه ينسب مسجد ابن جردة وخرابة ابن جردة ببغداد وفيها توفي ابو علي يحيي بن جزلة الطبيب وكان نصرانيا فاسلم وهو مصنف كتاب المنهاج وفيها في شوال توفي عبد الرزاق الصوفي الغزنوي المقيم برباط عتاب وحج عدة حجات على التجريد ولم يخلف ما يكفن فيه فقالت زوجته اذا مت افتضحنا قال لم نفتضح قالت لانك ليس لك ما تكفن فيه فقال انما افتضح اذا خلفت ما اكفن فيه وفيها في رمضان توفي عز الدولة أبو المكارم محمد بن سيف الدولة صدقة بن مزيد

(ثم دخلت سنة اربع وتسعين واربعمائة)

(ذكر الحرب بين السلطان بركيارق ومحمد وقتل مؤيد الملك)

في هذه السنة ثالث جمادى الآخرة كان المصاف الثاني بين السلطان بركيارق والسلطان محمد وقد ذكرنا سنة ثلاث وتسعين انهزام السلطان بركيارق من اخيه السلطان محمد وتنقله في البلاد الى اصبهان وانه لم يدخلها وسار منها الى خوزستان واتى عسكر مكرم فاتاه الاميران زنكي والبكي ابنا برسق وصارا معه واقام بها شهرين وسار منها الى همذان فاتصل به الامير اياز وكان سبب ذلك ان امير آخر قدمات منذ قريب فاتهم اياز مؤيد الملك بانه سقاه السم وقوى ذلك عنده ان وزير امير آخر هرب عقيب موته فازداد ظن اياز باتهامه فظفر بالوزير فقتله وكان اياز قد اتخذه امير آخر ولدا واتصل به العسكر ووصى له بجميع ماله فحين استوحش لهذا السبب كاتب السلطان بركيارق واتصل به ومعه خمسة آلاف فارس وصار من جملة عسكره وسار السلطان محمد الى لقاء أخيه فلما تقارب العسكران استامن الامير سرخاب بن كيخسرو صاحب آوة الى السلطان بركيارق فاكرمه ووقع المصاف ثالث جمادى الآخرة وكان مع السلطان بركيارق خمسون الفا ومع أخيه السلطان محمد خمسة عشر الفا فالتقوا فاقتتلوا يومهم اجمع وكان النفر بعد النفر يستامنون من عسكر محمد الى بركيارق فيحسن اليهم ومن العجب الدال على الظفران رجالة بركيارق احتاجوا الى تراس فوصل اليه يوم المصاف بكرة اثنا عشر حملا سلاحا من همذان منها ثمانية أحمال تراس ففرقت فيهم

داقد رومنزلة أعدواله منزلا يليق به ونظموه بالفرش والادوات اللازمة وخصوصا اذا كان حضر في امرهم او لتقرير المتولي على السنة الجديدة او بصحبته خلع رضا وهدايا فانه يقابل بالاعزاز الكبير ويشاع خبره قبل وروده الى الاسكندرية وتاتي المبشرون بوروده من الطتر قبل خروجه من دار السلطنة بنحو شهر او شهرين وياخذون خدمتهم وبشاراتهم بالاكياس واذا وصل هو ادخلوه في موكب جليل وعملوا له ديوانا ومدافع وشنكا وانزل في المنزل المعد له واقبلت عليه التقادم والهدايا من المتولي واعيان دولته ورتب له الرواتب والمصاريف لما كله هو واتباعه لمطبخه وشراب خانته ايام مكثه شهرا او شهورا ثم يعطى من الاكياس قدرا عظيما وذلك خلاف هدايا الترحيلة من قدور الشربات المتنوعة والسكر المكرر وانواع الطيب كالعود والعنبر والاقمشة الهندية والمقصبات لنفسه ورجال دولته وان كان دون ذلك انزلوه بمنزل بعض الاعيان باتباعه وخدمه ومتاعه في اعز مجلس ويقوم رب المنزل بمصرفهم ولوازمهم وكلفهم وما تستدعيه شهوات انفسهم ويرون ان لهم المنة عليه بنزولهم عنده ولا يرون له فضلا بل ذلك واجب عليه وفرض يلزمه القيام به مع التمام عليه وعلى اتباعه ويمكث على ذلك شهورا حتى ياخذ خدمته ويقبض اكياسه وبعد ذلك كله يلزم

فلما وصلت نزل السلطان بركيارق وصلى ركعتين شكرا لله تعالى ولم يزل القتال بينهم الى آخر النهار فانهزم السلطان محمد وعسكره وأسر مؤيد الملك أسره غلام لمجد الملك البلاساني وأحضر عند السلطان بركيارق فسبه ووقفه على ما اعتمده معه من سب والدته مرة ونسبته الى مذهب الباطنية اخرى ومن حمل اخيه محمد على عصيانه والخروج عن طاعته الى غير ذلك ومؤيد الملك ساكت لا يعيد كلمة فقتله بركيارق بيده والقى على الارض عدة ايام حتى سأل الامير اياز في دفنه فاذن فيه فحمل الى تربة ابيه باصبهان فدفن معه وكان بخيلا سيئ السيرة مع الامراء الا انه كان كثير المكر والحيل في اصلاح امر الملك وكان عمره لما قتل نحو خمسين سنة وكان السلطان بركيارق قد استوزر في صفر الاعز ابا المحاسن عبد الجليل بن على الدهستاني فلما قتل مؤيد الملك أرسل الوزير أبو المحاسن رسولا الى بغداد وهو ابو ابراهيم الاسترابادي لاخذ اموال مؤيد الملك فنزل ببغداد بدار مؤيد الملك وسلم اليه محمد الشرابي وهو ابن خالة مؤيد الملك فاخذت منه الاموال والجواهر بعد مكروه اصابه وعذاب ناله واخذله ذخائر من مواضع اخر ببلاد العجم منها قطعة بلخش وزنها احد وار بعون مثقالا ولما فرغ السلطان بركيارق من هذه الوقعة سار الى الرى فوصل اليه هناك قوام الدولة كربوقا صاحب الموصل ونور الدولة دبيس بن صدقة بن مزيد

(ذكر حال السلطان محمد بعد الهزيمة واجتماعه باخيه الملك سنجر)

لما انهزم السلطان محمد سار طالبا خراسان الى اخيه سنجر وهما لام واحدة فاقام بجرجان وراسل اخاه يطلب منه مالا وكسوة وغير ذلك فسير اليه ما طلب وترددت الرسل بينهما حتى تحالفا واتفقا ولم يكن بقى مع السلطان محمد غير امير ين فى نحو ثلثمائة فارس فلما استقرت القواعد بينهما سار الملك سنجر من خراسان فى عساكره نحو اخيه السلطان محمد فاجتمعا بجرجان وسارا منها الى دامغان فخربها العسكر الخراسانى ومضى اهلها هاربين الى قلعة كردكوه وخرب العسكر ما قدر واعليه من البلاد وعم الغلاء تلك الاصقاع حتى اكل الناس الميتة والكلاب واكل الناس بعضهم بعضا وساروا الى الرى فلما وصلوا اليها انضم اليهم النظامية وغيرهم فكثر جمعهم وعظمت شوكتهم وتمكنت من القلوب هيبتهم

(ذكر ما فعله السلطان بركيارق ودخوله بغداد)

لما كان السلطان بركيارق بالرى بعد انهزام اخيه محمد اجتمعت عليه العساكر الكثيرة فصار معه نحو مائة الف فارس ثم انهم ضاقت عليهم الميرة فتفرقت العساكر فعاد دبيس بن صدقة الى ابيه وخرج الملك مودود بن اسمعيل بن ياقوتى باذربيجان فسير اليه قوام الدولة كربوقا فى عشرة آلاف فارس واستاذن الامير اياز فى أن يقصد داره بهمذان يصوم بها شهر رمضان ويعود بعد الفطر فاذن له وتفرقت العساكر لمثل ذلك وبقى فى العدد القليل فلما بلغه ان أخويه قد جمعا الجموع وحشدا الجنود وانهما

صاحب المنزل ان يقدم له هدية ليجبر من عنده شاكرا ومثنيا عليه عند مخدومه واهل دولته اقضية يحسار العقل والنقل فى تصورها (وفى يوم الاحد سابعه) وصلت القافلة والحجاج من ناحية القلزم على مرسى السويس وحضر فيها اغوات الحرم والقاضى الذى توجه لقضاء المدينة وهو المعروف بسعد بك وكذلك خدام الحرم المكى وقد طردهم الوهابى جميعا واما القاضى المنفصل فنزل فى مركب ولم يظهر خبره وقاضى مكة توجه بصحبة الشاميين واخبر الواصلون انهم منعوا من زيارة المدينة وان الوهابى اخذ كل ما كان فى الحجرة النبوية من الذخائر والجواهر وحضر أيضا الذى كان أميرا على ركب الحجاج وصحبته مكاتبة من مسعود الوهابى ومكتوب من شريف مكة واخبروا انه امر بحرق المحمل واضطربت أخبار الاخبار بين عن الوهابى بحسب الاغراض ومكاتبة الوهابى بمعنى الكلام السابق فى نحو الكراسة وذكر فيها ما ينسبونه الناس اليه من الاقوال المخالفة لقواعد الشرع ويتبرأ عنها (وفيه ورد الخبر) بان ابراهيم بك وصل الى بنى سويف وان شاهين بك ذهب الى الفيوم لاختلاف وقع بينهم وان أمين بك واحمد بك الالفيين ذهبا الى ناحية الاسكندرية للانكليز (وفيه) كمل تحرير دفاتر الفرضة والمظالم التى ابتدعوها فى العام الماضى لما

لما بلغهما قلة من معه جدا في المسير اليه وطويا المنازل ليعاجلاه قبل ان يجمع جموعه وعساكره فلما قاربا ه سار من مكانه وقد طمع فيه من كان يهابه وايس منه من كان يرجوه فقصد نحو همذان ليجتمع هو واياز فبلغه ان اياز قد راسل السلطان محمدا ليكون معه ومن جملة أعوانه خوفا على ولايته وهي همذان وغيرها فلما سمع ذلك عاد عنها وقصد خوزستان فلما قرب من تستر كاتب الامراء بني برسق يستدعيهم اليه فلم يحضروا لما علموا ان اياز لم يحضر وللخوف من السلطان محمد فسار نحو العراق فلما بلغ حلوان اتاه رسول الامير اياز يسال التوقف ليصل اليه وسبب ذلك أن اياز راسل السلطان محمدا في الانضمام اليه والمصير في جملة عسكره فلم يقبله وسير العساكر الى همذان ففارقها منهزما ولحق بالسلطان بركيارق فاقام السلطان بركيارق بحلوان ووصل اليه اياز وساروا جميعهم الى بغداد واخذ عسكر محمد ما تخلف للامير اياز بهمذان من مال ودواب وبرك وغير ذلك فانه اعجل عنه وكان من جملته خمسمائة حصان عربية قيل كان يساوي كل حصان منها ما بين ثلثمائة دينار الى خمسمائة دينار ونهبوا داره وصادروا جماعة من اصحابه وصودر رئيس همذان بمائة الف دينار ولما وصل اياز الى بركيارق تكاملت عدتهم خمسة آلاف فارس وقد ذهبت خيامهم وثقلهم ووصل بركيارق الى بغداد سابع عشر ذي القعدة وأرسل الخليفة الى طريقه امين الدولة بن موصلايا يلتقيه في الموكب ولما كان عيد الاضحى أنفذ الخليفة منبرا الى دار السلطان وخطب عليه الشريف أبو الكرم وصلى صلاة العيد ولم يحضر بركيارق لانه كان مريضا وضاقت الاموال على بركيارق فلم يكن عنده ما يخرجه على نفسه وعلى عساكره فارسل الى الخليفة يشكو الضائقة وقلة المال ويطلب ان يعان بما يخرجه فتقرر الامر بعد المراجعات على خمسين ألف دينار حملها الخليفة اليه ومد بركيارق وأصحابه أيديهم الى أموال الناس فعم ضررهم وتمنى أهل البلاد زوالهم عنهم ودعتهم الضرورة الى ان ارتكبوا خطة شنعاء وذلك انه قدم عليهم أبو محمد عبيد الله بن منصور المعروف بابن صليحة قاضي جبلة من بلاد الشام وصاحبها منهزما من الفرنج على ما نذكره ومعه أموال جليلة المقدار فاخذوها منه

(ذكر خلاف صدقة بن مزيد على بركيارق)

في هذه السنة خرج الامير صدقة بن منصور بن دبيس بن مزيد صاحب الحلة عن طاعة السلطان بركيارق وقطع خطبته من بلاده وخطب فيها للسلطان محمد وسبب ذلك ان الوزير الاعز أبا المحاسن الدهستاني وزير السلطان بركيارق أرسل الى صدقة يقول له قد تخلف عندك لخزانة السلطان ألف ألف دينار وكذا وكذا دينارا السنين كثيرة فان أرسلتها والا سيرنا العساكر الى بلادك وأخذناها منك فلما سمع هذه الرسالة قطع الخطبة وخطب لمحمد فلما وصل السلطان بركيارق الى بغداد على هذه الحال ارسل اليه مرة بعد مرة يدعوه الى الحضور عنده فلم يجب الى ذلك فارسل اليه الامير اياز يشير

على القراريط واقطاعات الاراضي وكذلك أخذ نصف فائظ الملتزمين ١٢٧ وعينوا المعينين لتحصيله من المزارعين وذلك خلاف ما فرضوه على البنادر من الاكياس الكثيرة المقادير (وفي ذلك اليوم) أرسل الاغاوالي الشرطة اتباعهما لارباب الصنائع والحرف والبوابين بالوكائل والخانات يامرونهم بالحضور من الغد الى بيت القاضي فانزعجوا من ذلك ولم يعلموا لاي شئ هذا الطلب وهذه الجمعية وباتوا متفكرين ومتوهمين فلما اصبح يوم الاثنين واجتمع الناس ابرزوا لهم مرسوما قرئ عليهم بسبب زيادة صرف المعاملة وذلك ان الريال الفرانسه وصلت مصارفته الى مائتين وعشرة من الانصاف العددية والمحبوب الى مائتين وعشرين واكثروا المشخص البندقي وصل الى اربعمائة واربعين فضة ونحو ذلك فلما قرؤا عليهم المرسوم وامروهم بعدم الزيادة وان يكون صرف الفرانسه بمائتين فقط والمحبوب بمائتين وعشرين فضة والبندقي باربعمائة وعشرين فلما سمعوا ذلك قالوا نحن ليس لنا علاقة بذلك هذا الامر منوط بالصيارف وانفض المجلس (وفيه) وصلت مكاتبة من ابراهيم بك ومن الرسل مضمونها الاخبار بقدومهم وأرسل ابراهيم بك يستدعي اليه ابنه الصغير وولد ابنته المسمى نور الدين ويطلب بعض لوازم وامتعة (وفي يوم السبت

عليه بقصد خدمة السلطان ويضمن له كل ما بيده فقال لا أحضر ولا أطيع السلطان الا اذا سلم وزيره أبا المحاسن الى وان لم يفعل فلا يتصور منى الحضور عنده أبدا ويكون فى ذلك ما يكون فان سلمه الى فانا العبد المخلص فى العبودية بالحسن والطاعة فلم يجب الى ذلك فتم على مقاطعته وارسل الى الكوفة وطرد عنها النائب بها عن السلطان واستضافها اليه

(ذكر وصول السلطان محمد الى بغداد ورحيل السلطان بركيارق عنها)

فى هذه السنة فى السابع والعشرين من ذى الحجة وصل السلطان محمد وسنجر الى بغداد وكان السلطان محمد لما استولى على همذان وغيرها سار الى بغداد فلما وصل الى حلوان سار اليه ايلغازى بن ارتق فى عساكره وخدمه واحسن فى الخدمة وكان عسكر محمد يزيد على عشرة آلاف فارس سوى الاتباع فلما وصلت الاخبار بذلك كان بركيارق على شدة من المرض يرجف عليه خواصه بكرة وعشيا فماج أصحابه وخافوا واضطربوا وحاروا وعبروا به فى محفة الى الجانب الغربى فنزلوا بالرملة ولم يبق فى بركيارق غير روح يتردد وتيقن اصحابه موته وتشاوروا فى كفنه وموضع دفنه فبينما هم كذلك اذ قال لهم انى اجد نفسى قد قويت وحركتى قد تزايدت فطابت نفوسهم وساروا وقد وصل العسكر الآخر فتراءى الجمعان بينهما دجلة وجرى بينهما مراماة وسباب وكان أكثر ما يسبهم عسكر محمد يا باطنية يعيرونهم بذلك ونهبوا البلاد فى طريقهم الى ان وصلوا الى واسط ووصل السلطان محمد الى بغداد فنزل بدار المملكة فبرز اليه توقيع الخليفة المستظهر بالله يتضمن الامتعاض من سوء سيرة بركيارق ومن معه والاستبشار بقدومه وخطب له بالديوان ونزل الملك سنجر بدار كوهراثين وكان محمد قد استوزر بعد مؤيد الملك خطير الملك أبا منصور محمد بن الحسين وقدم اليه فى المحرم سنة خمس وتسعين الامير سيف الدولة صدقة وخرج الخلق كلهم الى لقائه

(ذكر حال قاضى جبلة)

هو أبو محمد عبيد الله بن منصور المعروف بابن صليحة وكان والده رئيسها ايام كان الروم مالكين لها على المسلمين يقضى بينهم فلما ضعف أمر الروم وملكها المسلمون وصارت تحت حكم جلال الملك ابى الحسن على بن عمار صاحب طرابلس كان منصور على عادته فى الحكم فيها فلما توفى منصور قام ابنه أبو محمد مقامه واحب الجندية واختار الجند فظهرت شهامته فاراد ابن عمار ان يقبض عليه فاستشعر منه وعصى عليه وأقام الخطبة العباسية فبذل ابن عمار لدقاق بن تتش مالا ليقصده ويحصره ففعل وحصره فلم يظفر منه بشئ واصيب صاحبه أتابك طغتكين بنشابة فى ركبته وبقى أثرها وبقى أبو محمد بها مطاعا الى ان جاء الفرنج لعنهم الله فحصروها فاظهر ان السلطان بركيارق قد توجه الى الشام وشاع هذا فرحل الفرنج فلما تحققوا اشتغال السلطان عنهم عاودوا حصاره فاظهر ان المصريين قد توجهوا لحربهم فرحلوا ثانيا ثم عادوا

ثالث عشره) سافر اولاد ابراهيم بك والمطلوبات التى ارسل بطلبها وصحبتهم فراشون وباعة ومتسببون وغير ذلك

(وفى يوم الاثنين) ورد سلحدار موسى باشا وعلى يده مرسوم بالعربى وآخر بالتركى مضمونهما جواب رسالة ارسلت الى سليمان باشا عكا بخبر حادثة الانكليز وملخصها انه ورد علينا جواب من سليمان باشا يخبر فيه بوصول طائفة الانكليز الى ثغر سكندرية ودخولهم اليها بمخامرة أهلها ثم زحفهم الى رشيد وقد حاربتهم أهل البلاد والعساكر وقتلوا الكثير منهم وأسروا منهم كذلك ونؤكد على محمد باشا والعلماء وأكابر مصر بالاستعداد والمحافظة وتحصين الثغور مثل السويس والقصير ومحاربة الكفار واخراجهم وابعادهم عن الثغر وقد وجهنا الكل من سليمان باشا وجنج يوسف باشا بتوجيه ما تريدون من العساكر للمساعدة ونحو ذلك (وفيه) احضروا أربعة رؤس من الانكليز وخمسة أشخاص أحياء فروا بهم من وسط المدينة ذكروا ان كاشف دمنهور حارب ناحية الاسكندرية فقتل منهم وأسر هؤلاء وقيل انهم كانوا يسيرون لبعض أشغالهم نواحى الريف فبلغ الكاشف خبرهم فاحاط بهم وفعل بهم ما فعل وارسلهم الى مصر وهم ليسوا من المعتبرين وكانهم مالطية وقيل انهم سألوهم فقالوا نحن متسببون طلعنا ناحية أبى قير وتهنا عن الطريق فصادفونا ونحن فقرد

تسعة لا غير فاخذونا وقتلوا منا من قتلوه وابقونا (وفيه) وصلت مكاتبة ١٢٩ من ابراهيم بك وارسل الباشا اليهم جوابا

فقر ومع النصارى الذين بها ان يراسلوا الفرنج ويواعدوهم الى برج من أبراج البلد ليسلموه اليهم ويملكوا البلد فلما اتتهم الرسالة جهزوا نحو ثلثمائة رجل من أعيانهم وشجعانهم فتقدموا الى ذلك البرج فلم يزالوا يرقون في الحبال واحدا بعد واحد وكلما صار عند ابن صليحة وهو على السور رجل منهم قتله الى ان قتلهم أجمعين فلما أصبحوا رمى الرؤس اليهم فرحلوا عنه وحصروه مرة أخرى ونصبوا على البلد برج خشب وهدموا برجا من ابراجه وأصبحوا وقد بناه أبو محمد ثم نقب في السور نقوبا وخرج من الباب وقاتلهم فانهزم منهم وتبعوه فخرج أصحابه من تلك النقوب فأتوا الفرنج من ظهورهم فولوا منهزمين وأسر مقدمهم المعروف بكند اصطبل فافتدى نفسه بمال جزيل ثم علم انهم لا يقعدون عن طلبه وليس له من يمنعهم عنه فارسل الى طغتكين أتابك يلتمس منه انفاذ من يثق به ليسلم اليه ثغر جبلة ويحميه ليصل هو الى دمشق بماله وأهله فاجابه الى ما التمس وسير اليه ولده تاج الملوك بورى فسلم اليه البلد ورحل الى دمشق وساله ان يسيره الى بغداد ففعل وسيره ومعه من يحميه الى ان وصل الى الانبار ولما صار بدمشق أرسل ابن عمار صاحب طرابلس الى الملك دقاق وقال سلم الى ابن صليحة عريانا وخذ ماله أجمع وأنا أعطيك ثلثمائة ألف دينار فلم يفعل فلما وصل الى الانبار أقام بها أياما ثم سار الى بغداد وبها السلطان بركيارق فلما وصل أحضره الوزير الاعز أبو المحاسن عنده وقال له السلطان محتاج والعساكر يطالبونه بمال ليس عنده ونريد منك ثلاثين ألف دينار وتكون لك منة عظيمة تستحق بها المكافأة والشكر فقال السمع والطاعة ولم يطلب ان يحط شيئا وقال ان رحلي ومالي في الانبار بالدار التي نزلتها فارسل الوزير اليها جماعة فوجدوا فيها مالا كثيرا وأعلاقا نفيسة فمن جملة ذلك ألف ومائة قطعة مصاغ عجيب الصنعة ومن الملابس والعمائم التي لا يوجد مثلها شئ كثير

* كان ينبغي ان نذكر هذه الحوادث التي بعد انهزام السلطان محمد الى هنا بعد قتل الباطنية فانها كانت أواخر السنة وكان قتلهم في شعبان وانما قدمناها لتتبع بعض الحادثة بعضا لا يفصل بينها شئ وأما تاج الملوك بورى فانه لما ملك جبلة وتمكن منها أساء السيرة هو وأصحابه مع أهلها وفعلوا بهم أفعالا أنكروها فراسلوا القاضي فخر الملك أبا علي عمار بن محمد بن عمار صاحب طرابلس وشكوا اليه ما يفعل بهم وطلبوا منه ان يرسل اليهم بعض أصحابه ليسلموا اليه البلد ففعل ذلك وسير اليهم عسكرا فدخلوا جبلة واجتمعوا بأهلها وقاتلوا تاج الملوك ومن معه فانهزم الاتراك وملك عسكر ابن عمار جبلة وأخذوا تاج الملوك أسيرا وحملوه الى طرابلس فأكرمه ابن عمار وأحسن اليه وسيره الى أبيه بدمشق واعتذر اليه وعرفه صورة الحال وانه خاف أن يملك الفرنج جبلة

* (ذكر قتل الباطنية) *

في هذه السنة في شعبان أمر السلطان بركيارق بقتل الباطنية وهم الاسماعيلية وهم الذين كانوا قديما يسمون قرامطة ونحن نبتدئ بأول أمرهم الآن ثم بسبب قتلهم فأول

صحبة انسان يسمى شريف أغا (وفي يوم الثلاثاء ثالث عشرينه) وردت اخبار من ناحية الشام بانه وقع باسلامبول فتنة بين الينكجرية والنظام الجديد وكانت الغلبة للينكجرية (وعزلوا) السلطان سليم وولوا السلطان مصطفى ابن عمه وهو ابن السلطان عبد الحميد بن أحمد وخطب له ببلاد الشام (وفي يوم الخميس) وصل ططري من طريق البر بتحقق ذلك الخبر وخطب الخطباء للسلطان مصطفى على منابر مصر وبلاد مصر وبولاق وذلك يوم الجمعة سادس عشرينه (وفي اواخره) أحدثوا طلب مال الاطيان المسموح الذي لمشايخ البلاد وحرروا به دفترا وشرعوا في تحصيله وهي حادثة لم يسبق مثلها اضرت بمشايخ البلاد وضيقت عليهم معايشهم ومضايفهم (وفيه) كتبوا أوراقا للبلاد والاقاليم بالبشارة بتولية السلطان الجديد وعينوا بها المعينين وعليها حق الطرق مبالغ لها صورة وكل ذلك من التحيل على سلب اموال الناس (وفيه) كتبوا مراسلة الى الامراء القبليين بالصلح وارسلوا بها ثلاثة من الفقهاء وهم الشيخ سليمان الفيومي والشيخ ابراهيم السجيني

١٧ يخ مل عا والسيد محمد الدواخلي وذلك انه لما رجع شريف اغا الذي كان توجه اليهم بمراسلتهم

ما عرف من أحوالهم أعني هذه الدعوة الاخيرة التي اشتهرت بالباطنية والاسماعيلية في أيام السلطان ملكشاه فانه اجتمع منهم ثمانية عشر رجلا فصلوا صلاة العيد في ساوة ففطن بهم الشحنة فاخذهم وحبسهم ثم سئل فيهم فاطلقهم فهذا أول اجتماع كان لهم ثم انهم دعوا مؤذنا من أهل ساوة كان مقيما باصبهان فلم يجبهم الى دعوتهم فخافوه أن ينم عليهم فقتلوه فهو أول قتيل لهم وأول دم أراقوه فبلغ خبره الى نظام الملك فامر باخذ من يتهم بقتله فوقعت التهمة على نجار اسمه طاهر فقتل ومثل به وجروا برجله في الاسواق فهو أول قتيل منهم وكان والده واعظا وقدم الى بغداد مع السلطان بركيارق سنة ست وثمانين فحظي منه ثم قصد البصرة فولي القضاء بها ثم توجه في رسالة الى كرمان فقتله العامة في الفتنة التي جرت وذكروا انه باطني ثم ان الباطنية قتلوا نظام الملك وهي أول فتكة مشهورة كانت لهم وقالوا قتل نجارا فقتلناه به وأول موضع غلبوا عليه وتحصنوا به بلد عند قاين كان مقدمه على مذهبهم فاجتمعوا عنده وقووا به فاجتازت بهم قافلة عظيمة من كرمان الى قاين فخرج عليهم ومعه أصحابه والباطنية فقتل أهل القفل أجمعين ولم ينج منهم غير رجل تركماني فوصل الى قاين فاخبر بالقصة فتسارع أهلها مع القاضي الكرماني الى جهادهم فلم يقدروا عليهم ثم قتل نظام الملك ومات السلطان ملكشاه فعظم أمرهم واشتدت شوكتهم وقويت اطماعهم وكان سبب قوتهم باصبهان ان السلطان بركيارق لما حصر أصبهان وبها أخوه محمود وأمه خاتون الجلالية وعاد عنهم ظهرت مقالة الباطنية بها وانتشرت وكانوا متفرقين في المحال فاجتمعوا وصاروا يسرقون من قدروا عليه من مخالفيهم ويقتلونهم فعلوا هذا بخلق كثير وزاد الامر حتى ان الانسان كان اذا تأخر عن بيته عن الوقت المعتاد تيقنوا قتله وقعدوا للعزاء به فحذر الناس وصاروا لا ينفرد واحد واخذوا في بعض الايام مؤذنا أخذه جار له باطني فقام أهله للنياحة عليه فاصعده الباطنية الى سطح داره وأروه اهله كيف يلطمون ويبكون وهو لا يقدر ان يتكلم خوفا منهم

(ذكر ما فعل بهم العامة باصبهان)

لما عمت هذه المصيبة الناس باصبهان اذن الله تعالى في هتك أستارهم والانتقام منهم فاتفق ان رجلا دخل دار صديق له فرأى فيها ثيابا ومداسات وملابس لم يعهدها فخرج من عنده وتحدث بما كان فكشف الناس عنها فعلموا انها من المقتولين وثار الناس كافة يبحثون عمن قتل منهم ويستكشفون فظهروا على الدروب التي هم فيها وانهم كانوا اذا اجتاز بهم انسان أخذوه الى دار منها وقتلوه وألقوه في بئر في الدار قد صنعت لذلك وكان على باب درب منها رجل ضرير فاذا اجتاز به انسان يسأله ان يقوده خطوات الى باب الدرب فيفعل ذلك فاذا دخل الدرب أخذوه وقتل فتجرد للانتقام منهم أبو القاسم مسعود بن محمد الخجندي الفقيه الشافعي وجمع الجم الغفير بالاسلحة وأمر بحفر أخاديد واوقد فيها النيران وجعل العامة يأتون بالباطنية أفواجا ومنفردين

ارسلوا يطلبون الشيخ الشرقاوي والشيخ الامير والسيد عمر النقيب لاجراء الصلح على ايديهم فارسلوا الثلاثة المذكورين بدلا عنهم (وفي هذه الايام) كثر خروج العساكر والدلاة وهم يعدون الى البر الغربي وعدى الباشا بحر النيل الى بر انبابة واقام هناك اياما

(واستهل شهر جمادى الاولى سنة ١٢٢٢)

فيه شرع الباشا في تعمير القلاع التي كانت انشأتها الفرنساوية خارج بولاق وعمل متاريس بناحية منية عقبة وغيرها ووزع على الجيارة جيرا كثيرا ووسق عدة مراكب وارسلها الى ناحية رشيد ليعمروا هناك سورا على البلد وابراجا وجمعوا البنائين والفعلة والنجارين وانزلوهم في المراكب قهرا (وفي منتصفه) وصل الى مصر نحو الخمسمائة من الدلاتية أتوا من ناحية الشام ودخلوا الى المدينة (وفيه) طلب الباشا من التجار نحو الالفي كيس على سبيل السلفة فوزعت على الاعيان وتجار البن واهل وكالة الصابون ووكالة التفاح ووكالة القرب وخلافها وحجزوا البضائع وأجلسوا العساكر على الحواصل والوكائل يمنعون من يخرج من حاصله او مخزنه شيئا الا بقصد الدفع من اصل المطلوب منهم ثم اردفوا ذلك بمطلوبات من افراد الناس المساتير فيكون الانسان جالسا في بيته فما يشعر الا والمعينون واصلون اليه فيلقون

فيلقون فى النار وجعلوا انسانا على اخاديد النيران وسموه مالكا فقتلوا منهم خلقا كثيرا

(ذكر قلاعهم التى استولوا عليها ببلاد العجم)

واستولوا على عدة حصون منها قلعة اصبهان وهذه القلعة لم تكن قديما وانما بناها السلطان ملكشاه وسبب بنائها انه كان قد اتاه رجل من مقدمى الروم فاسلم وصار معه فاتفق انه سار يوما الى الصيد فهرب منه كلب حسن الصيد وصعد هذا الجبل فتبعه السلطان والرومى معه فوجده موضع القلعة فقال له الرومى لو ان عندنا مثل هذا الجبل لجعلنا عليه حصنا ننتفع به فامر ببناء القلعة ومنع منها نظام الملك فلم يقبل قوله فلما فرغت جعل فيها دزدارا فلما انقضت ايام السلطان ملكشاه وصارت اصبهان بيد خاتون ازالت الدزدار وجعلت غيره فيها وهو انسان ديلمى اسمه زيار فمات وصار بالقلعة انسان خوزى فاتصل به أحمد بن عطاش وكان الباطنية قد البسوه تاجا وجمعوا له اموالا وقدموه عليهم مع جهله وانما كان أبوه مقدما فيهم فلما اتصل بالدزدار بقى معه ووثق به وقلده الامور فلما توفى الدزدار استولى أحمد بن عطاش عليها ونال المسلمين منه ضرر عظيم من اخذ الاموال وقتل النفوس وقطع الطريق والخوف الدائم فكانوا يقولون ان قلعة يدل عليها كلب ويشير بها كافر لابد وان يكون خاتمة أمرها الشر * ومنها ألموت وهى من نواحى قزوين قيل ان ملكا من ملوك الديلم كان كثير التصيد فارسل يوما عقابا وتبعه فرآه قد سقط على موضع هذه القلعة فوجده موضعا حصينا فامر ببناء قلعة عليه فسماها أله موت ومعناه بلسان الديلم تعليم العقاب ويقال لذلك الموضع وما يجاوره طالقان وفيها قلاع حصينة أشهرها ألموت وكانت هذه النواحى فى ضمان شرفشاه الجعفرى وقد استناب فيها رجلا علويا فيه بله وسلامة صدر وكان الحسن بن الصباح رجلا شهما كافيا عالما بالهندسة والحساب والنجوم والسحر وغير ذلك وكان رئيس الرى انسان يقال له أبو مسلم وهو صهر نظام الملك فاتهم الحسن بن الصباح بدخول جماعة من دعاة المصريين عليه فخافه ابن الصباح وكان نظام الملك يكرمه وقال له يوما من طريق الفراسة عن قريب يضل هذا الرجل ضعفاء العوام فلما هرب الحسن من ابى مسلم طلبه فلم يدركه وكان الحسن من جملة تلامذة ابن عطاش الطبيب الذى ملك قلعة اصبهان ومضى ابن الصباح فطاف البلاد ووصل الى مصر ودخل على المستنصر صاحبها فاكرمه واعطاه مالا وامره ان يدعو الناس الى امامته فقال له الحسن فمن الامام بعدك فاشار الى ابنه نزار وعاد من مصر الى الشام والجزيرة وديار بكر والروم ورجع الى خراسان ودخل كاشغر وما وراء النهر يطوف على قوم يضلهم فلما رأى قلعة ألموت واختبر أهل تلك النواحى أقام عندهم وطمع فى اغوائهم ودعاهم فى السر واظهر الزهد ولبس المسح فتبعه أكثرهم والعلوى صاحب القلعة حسن الظن فيه يجلس اليه يتبرك به فلما أحكم الحسن أمره دخل يوما على العلوى بالقلعة فقال له ابن الصباح اخرج من هذه القلعة فتبسم العلوى وظنه يمزح فامر ابن

ويدهم بصلة الطلب اما خمسة اكياس او عشرة او اقل او اكثر فاما ان يدفعها والا قبضوا عليه وسحبوه الى السجن فيحبس ويعاقب حتى يتم المطلوب منه فنزل بالناس امر عظيم وكرب جسيم وفى الناس من كان تاجرا ووقف حاله بتوالى الفتن والمغارم وانقطاع الاسباب والاسفار وافلس وصار يتعيش بالكد والقرض وبيع متاعه واساس داره وعقاره واسمه باق فى دفاتر التجار فما يشعر الا والطلب لاحقه بنحو ما تقدم لكونه كان معروفا فى التجار فيؤخذ ويحبس ويستغيث فلا يغاث ولا يجد شافعا ولا راحما وهذا الشئ خلاف الفرض المتوالية على البلاد والقرى فى خصوص هذه الحادثة وكذلك على البنادر مقادير لها صورة وما يتبعها من حق طرق المعينين والمباشرين وتوالى مرور العسكر آناء الليل واطراف النهار بطلب الكلف واللوازم واشياء يكل القلم عن تسطيرها ويستحى الانسان من ذكرها ولا يمكن الوقوف على بعض جزئياتها حتى خربت القرى وافتقر أهلها وجلوا عنها فكان يجتمع أهل عدة من القرى فى قرية واحدة بعيدة عنهم ثم يلحقها وبالهم فتخرب كذلك وأما غالب بلاد السواحل فانها خربت وهرب اهلها وهدموا دورها ومساجدها واخذوا اخشابها ومن جملة افاعيلهم الشنيعة التى لم يطرق الاسماع نظيرها

الصباح بعض اصحابه باخراج العلوى فاخرجوه الى دامغان واعطاه ماله وملك القلعة ولما بلغ الخبر الى نظام الملك بعث عسكرا الى قلعة الموت فحصروه فيها واخذوا عليه الطرق فضاق ذرعه بالحصر فارسل من قتل نظام الملك فلما قتل رجع العسكر عنها ثم ان السلطان محمد بن ملكشاه جهز نحوها العساكر فحصروها وسيرد ذكر ذلك ان شاء الله تعالى * ومنها طبس وبعض قهستان وكان سبب ملكهم لها ان قهستان كان قد بقى فيها بقايا من بنى سيمجور امراء خراسان ايام السامانية وكان قد بقى من نسلهم رجل يقال له المنور وكان رئيسا مطاعا عند الخاصة والعامة فلما ولى كلسارغ قهستان ظلم الناس وعسفهم واراد اخت المنور بغير حل فحمل ذلك المنور على ان التجأ الى الاسماعيلية وسار معهم فعظم حالهم فى قهستان واستولوا عليها * ومن جملتها خور وخوسف وزوزن وقاين وتون وتلك الاطراف المجاورة لها * ومنها قلعة وسنمكوه ملكوها وهى بقرب ابهر سنة اربع وثمانين وتأذى بهم الناس لا سيما اهل ابهر فاستغاثوا بالسلطان بركيارق فجعل عليها من يحاصرها فحوصرت ثمانية اشهر وأخذت منهم سنة تسع وثمانين وقتل كل من بها عن آخرهم * ومنها قلعة خالنجان على خمسة فراسخ من اصبهان كانت لمؤيد الملك بن نظام الملك وانتقلت الى جاولى سقاوو فجعل بها انسانا تركيا فصادقه نجار باطنى واهدى له هدية جليلة ولزمه حتى وثق به وسلم اليه مفاتيح القلعة فعمل دعوة للتركى واصحابه فسقاهم الخمر فاسكرهم واستدعى ابن عطاش فجاء فى جماعة من اصحابه فسلم اليهم القلعة فقتلوا من بها سوى التركى فانه هرب وقوى ابن عطاش بها وصار له على اهل اصبهان القطائع الكثيرة * ومن قلاعهم المذكورة استوناوند وهى بين الرى وآمل ملكوها بعد ملكشاه نزل منها صاحبها فقتل واخذت منه * ومنها اردهن ملكها ابو الفتوح ابن اخت الحسن بن الصباح * ومنها كردكوه وهى مشهورة ومنها قلعة الناظر بخوزستان وقلعة الطنبور وبينها وبين ارجان فرسخان اخذها ابو حمزة الاسكاف وهو من اهل ارجان سافر الى مصر وعاد داعية لهم وقلعة خلادخان وهى بين فارس وخوزستان واقام بها المفسدون نحو مائتى سنة يقطعون الطريق حتى فتحها عضد الدولة بن بويه وقتل من بها فلما صارت الدولة لملكشاه اقطعها الامير انز فجعل بها دزدارا فانفذ اليه الباطنية الذين بارجان يطلبون منه بيعها فابى فقالوا له نحن نرسل اليك من يناظرك حتى يظهر لك الحق فاجابهم الى ذلك فارسلوا اليه انسانا ديلميا يناظره وكان للدزدار مملوك قد رباه وسلم اليه مفاتيح القلعة فاستماله الباطنى فاجابه الى القبض على صاحبه وتسليم القلعة اليهم فقبض عليه وسلم القلعة اليهم ثم اطلقه واستولوا بعد ذلك على عدة قلاع هذه اشهرها

(ذكر ما فعله جاولى سقاوو بالباطنية)

فى هذه السنة قتل جاولى سقاوو خلقا كثيرا منهم وسبب ذلك ان هذا الامير كانت ولايته البلاد التى بين رامهرمز وارجان فلما ملك الباطنية القلاع المذكورة

بخوزستان

انهم قرروا فرضة من فرض المغارم على البلاد فكتبوا أوراقا وسموها بشارة الفرضة يتولاها بعض من يكون متطلعا لمنصب أو منفعة ثم يرتب له خدما وأعوانا ثم يسافر الى الاقليم المعين له وذلك قبل منصب الاصل وفى مقدمته يبعث أعوانه الى البلاد يبشرونهم بذلك ثم يقبضون ما رسم لهم فى الورقة من حق الطريق بحسب ما أدى اليه اجتهاده قليلا أو كثيرا وهذه لم يسمع بما يقاربها فى ملة ولا ظلم ولا جور وسمعت من بعض من له خبرة بذلك ان المغارم التى قررت على القرى بلغت سبعين ألف كيس وذلك خلاف المصادرات الخارجة (وفى) أواخره قوى عزم الباشا على السفر لناحية الاسكندرية وأمر باحضار اللوازم والخيام وما يحتاج اليه الحال من روايا الماء والقرب وباقى الادوات

(واستهل شهر جمادى الثانية بيوم الخميس سنة ١٢٢٢)

فى ثانيه وهو يوم الجمعة ركب الباشا الى بولاق وعدى الى ناحية برانبابة ونصبوا وطاقه هناك وخرجت طوائف العسكر الى ناحية بولاق وساحل البحر وطفقوا يأخذون ما يجدونه من البغال والحمير والجمال واستمروا على الدخول والخروج والذهاب والمجئ والرجوع والتعدية اياما وهم على ذلك النسق من خطف البهائم وامتنعت السقاؤن من نقل الماء من البحر حتى شح الماء وغلا سعره وعطشت الناس وامتنع جل

بخوزستان وفارس وعظم شرهم وقطعوا الطريق بتلك البلاد فوافق جماعة من أصحابه حتى اظهروا الشغب عليه وفارقوه وقصدوا الباطنية وأظهروا انهم معهم على رأيهم فاقاموا عندهم حتى وثقوا بهم ثم اظهر جاولى ان الامراء بنى برسق يريدون قصده واخذ بلاده وانه عازم على مفارقتها عجزه عنهم والمسير الى همذان فلما ظهر ذلك وسار قال من عند الباطنية من أصحابه لهم الرأى اننا نخرج الى طريقه ونأخذه وما معه من الاموال فساروا اليه فى ثلثمائة من اعيانهم وصناديدهم فلما التقوا صار من معهم من أصحاب جاولى عليهم ووضعوا السيف فيهم فلم يفلت منهم سوى ثلاثة نفر صعدوا الى الجبل وهربوا وغنم جاولى ما معهم من دواب وسلاح وغير ذلك

(ذكر قتل صاحب كرمان الباطنى وملك غيره)

كان تيرانشاه بن تورانشاه بن قاورت بك وهو الذى قتل الاتراك الاسماعيلية وليسوا منسوبين الى هذه الطائفة الباطنية انما نسبوا الى امير اسمه اسمعيل وكانوا من اهل السنة قتل منهم الفى رجل صبرا وقطع ايدى الفين ونفق عليه انسان يقال له ابو زرعة كان كاتبا بخوزستان فحسن له مذهب الباطنية فاجاب اليه وكان عنده فقيه حنفى يقال له احمد بن الحسين البلخى كان مطاعا فى الناس فاحضره عنده ليلا واطال الجلوس معه فلما خرج من عنده اتبعه من قتله فلما اصبح الناس دخلوا عليه وفيهم صاحب جيشه فقال لتيرانشاه ايها الملك من قتل هذا الفقيه فقال انت شحنة البلد تسالنى من قتله فقال انا اعرف قاتله ونهض من عنده ففارقه فى ثلثمائة فارس وسار الى اصبهان فارسل فى اثره الفى فارس ليردوه فقاتلهم وهزمهم وسار الى اصبهان وبها السلطان محمد ومؤيد الملك فاكرمه السلطان وقال انت والد الملوك وامتعض عسكر كرمان بعد مسيره واجتمعوا وقاتلوا تيرانشاه واخرجوه عن مدينة بردسير التى هى مدينة كرمان فلما فارقها اتفق القاضى والجند واقاموا ارسلانشاه بن كرمانشاه بن قاورت بك وسار تيرانشاه الى مدينة بم من كرمان فحاربه اهلها ومنعوه منها واخذوا ما معه من اموال وجواهر وقصد قلعة سميرم وتحصن بها وفيها امير يعرف بمحمد بهستون فارسل أرسلانشاه جيشا حصروا القلعة فقال محمد بهستون لتيرانشاه انصرف عنى فلست أرى الغدر بك وانا رجل مسلم ومقامك عندى يؤذينى وأتهم بك فى دينى فلما عزم على الخروج أرسل محمد بهستون الى مقدم الجيش الذين يحاصرونهم يعلمه بمسير تيرانشاه فجرد عسكرا الى طريقه فخرجوا عليه وأخذوه وما معه وأخذوا ايضا أبا زرعة فارسل ارسلانشاه فقتلهما وتسلم جميع بلاد كرمان

(ذكر السبب فى قتل بركيارق الباطنية)

لما اشتد أمر الباطنية وقويت شوكتهم وكثر عددهم صار بينهم وبين أعدائهم ذحول واحن فلما قتلوا جماعة من الامراء الاكابر وكان أكثر من قتلوا من هو فى طاعة محمد مخالف للسلطان بركيارق مثل شحنة أصبهان سرمز وأرغش وكمش النظاميين

البضائع (وفى ثالثه) طلبوا ايضا خيول الطواحين لجر المدافع والعربات حتى ١٣٣ تعطلت الطواحين عن طحن الدقيق ولما ذهبوا بها الى العرضى اختاروا منها جيادها واعطوا اربابها عن كل فرس خمسين قرشا وردوا البواقى لاصحابها (وفيه) طلبوا ايضا دراهم من طائفة القبانية والحطابة وباعة السمك القديد المعروف بالفسيخ فكان القدر المطلوب من طائفة القبانية مائة وخمسين كيسا فاغلقوا حوانيتهم وهربوا والتجؤا الى الجامع الازهر وكذلك الحطابة وغيرهم منهم من هرب ومنهم من التجا الى السيد عمر واستمر كذلك ثلاثة ايام وركب السيد عمر وعدى الى الباشا وتشفع فى الطوائف المذكورة فرفعوا عنهم غراماتهم وكتبوا لهم أمانا بذلك (وفى خامسه) حضر قابجى من طرف الانكليز وصحبته أشخاص فانزلهم الباشا فى خيمة بجنب خيمه بالنبابة فرقدوا بها ليأخذوا لهم راحة وناموا فلما استيقظوا فلم يجدوا ثيابهم وسطا عليها السراق فشلحوهم فارسلوا الى حارة الفرنساوية فاتوا لهم بثياب وقفوات لبسوها (وفى يوم السبت) مع ليلة الاحد حادى عشره عمل الفرنساوية عيدا ومولدا بحاراتهم وأولموا بينهم ولائم وأوقدوا قناديل كثيرة تلك الليلة وحراقات نفوط وسواريخ وشنكا حصة من الليل وهو عبارة عن مولد بونابارته السنوى (وفى يوم الثلاثاء ثالث عشره) طلب

الباشا حسين افندى الروزنامجى فعدى ١٣٤ اليه ببر انبابة فخلع عليه خلعة الدفترداريه وحضر الى داره الجديدة وهو بيت
المهايتم بالقرب من قنطرة درب
الجماميز وذهب اليه الناس
يهنؤنه وانفصل أحمد افندى
عاصم عن الدفترداريه (وفى
يوم الخميس خامس عشره) عمل
الباشا شنكا بالبر الغربى بين
المغرب والعشاء ولما أصبح
امر بالارتحال وتمهل حتى
تكامل ارتحال العساكر
فركب قريب الزوال الى
المنصورة (وفى يوم الجمعة
سادس عشره) الموافق لسادس
مسرى القبطى أوفى النيل
أذرعه وذلك بعد ان حصل فى
الناس ضجر وقلق بسبب
تأخر الوفاء ووقفات حصلت
فى الزيادة قبل الوفاء عدة أيام
حتى رفعوا الغلال من
العرصات وزادت اثمانها فلما
حصل الوفاء اطمان الناس
وتراجعت اليهم انفسهم
واظهروا الغلال فى العرصات
والرقع وركب كتخدا بك فى
فى صبح يوم السبت وكذلك
القاضى وطوسون ابن الباشا
والسيد عمر النقيب وكسر
السد بحضرتهم وجرى الماء
فى الخليج (وفيه) وصل قابجى
الى ثغر سكندرية وحضر بعد
ذلك الى ثغر بولاق من طريق
البر الى قبرص وتحرى
الوصول الى دمياط ثم حضر
الى بولاق وقابلنا الباشا فى
طريقه ووصل على يده سكة
ضرب المعاملة الجديدة بالضربخانه باسم السلطان الجديد وكذلك الامر بالخطبة والدعاء والاخبار برفع النظام فعاودوا

وصهره وغيرهم نسب اعداء بركيارق ذلك اليه واتهموه بالميل اليهم فلما ظفر السلطان بركيارق وهزم أخاه السلطان محمدا وقتل مؤيد الملك وزيره انبسط جماعة منهم فى العسكر واستغووا كثيرا منهم وادخلوهم فى مذهبهم وكادوا يظهرون بالكثرة والقوة وحصل بالعسكر منهم طائفة من وجوههم وزاد أمرهم فصاروا يتهددون من لا يوافقهم بالقتل فصار يخافهم من يخالفهم حتى انهم لم يتجاسر أحد منهم لا أمير ولا متقدم على الخروج من منزله حاسرا بل يلبس تحت ثيابه درعا حتى ان الوزير الاعز أبا المحاسن كان يلبس زردية تحت ثيابه واستاذن السلطان بركيارق خواصه فى الدخول عليه بسلاحهم وعرفوه خوفهم ممن يقاتلهم فاذن لهم فى ذلك واشاروا على السلطان ان يفتك بهم قبل ان يعجز عن تلافى أمرهم واعلموه ما يتهمه الناس به من الميل الى مذهبهم حتى ان عسكر اخيه السلطان محمد يشنعون بذلك وكانوا فى المصاف يكبرون عليهم ويقولون يا باطنية فاجتمعت هذه البواعث كلها فاذن السلطان فى قتلهم والفتك بهم وركب هو والعسكر معه وطلبوهم واخذوا جماعة من خيامهم ولم يفلت منهم الا من لم يعرف وكان ممن اتهم بانه مقدمهم الامير محمد بن دشمنزيار بن علاء الدولة أبى جعفر بن كاكويه صاحب يزد فهرب وسار يومه وليلته فلما كان اليوم الثانى وجد فى العسكر قد ضل الطريق ولا يشعر فقتل وهذا موضع المثل أتتك بحائن رجلاه ونهبت خيامه فوجد عنده السلاح المعد واخرج الجماعة المتهمون الى الميدان فقتلوا وقتل منهم جماعة براء لم يكونوا منهم سعى بهم اعداؤهم وفيمن قتل ولد كيقباذ مستحفظ تكريت فلم يغير والده خطبة بركيارق ولكن شرع فى تحصين القلعة وعمارتها ونقض جامع البلد وكان يقاربها لئلا يؤتى منه وجعل بيعة فى البلد جامعا وصلى الناس فيه وكتب الى بغداد بالقبض على أبى ابراهيم الاسداباذى الذى كان قد وصل اليها رسولا من بركيارق ليأخذ مال مؤيد الملك وكان من اعيانهم ورؤسهم فاخذ وحبس فلما ارادوا قتله قال هبوا أنكم قتلتمونى اتقدرون على قتل من بالقلاع والمدن فقتل ولم يصل عليه أحد والقى خارج السور وكان له ولد كبير قتل بالعسكر معهم وقد كان أهل عانة نسبوا الى هذا المذهب قديما فانهى حالهم الى الوزير أبى شجاع أيام المقتدى بامر الله فاحضرهم الى بغداد فسئل مشايخهم عن الذى يقال فيهم فانكروا وجحدوا فاطلقهم واتهم أيضا الكيا الهراس المدرس بالنظامية بانه باطنى ونقل ذلك عنه الى السلطان محمد فامر بالقبض عليه فارسل المستظهر بالله من استخلصه وشهد له بصحة الاعتقاد وعلو الدرجة فى العلم فاطلق

(ذكر حصر الامير برغش قهستان وطبس)

فى هذه السنة جمع الامير برغش وهو أكبر أمير مع السلطان سنجر جموعا كثيرة وقواهم بالمال والسلاح وسار الى بلد الاسماعيلية فنهبه وخربه وقتل فيهم فاكثر وحصر طبس وضيق عليها ورماها بالمنجنيق فخرب كثيرا من سورها واضعف من بها ولم يبق الا أخذها فارسلوا اليه الرشا الكثيرة واستنزلوه عما كان يريده منهم فرحل عنهم وتركهم

فعاودوا عمارة ما انهدم من سورها وما فيها من ذخائر من سلاح واقوات وغير ذلك ثم عاودهم بزغش سنة سبع وتسعين فكان ما نذكره ان شاء الله تعالى

﴿ذكر ما ملك الفرنج من الشام﴾

فيها سار كندفري ملك الفرنج بالشام وهو صاحب البيت المقدس الى مدينة عكا بساحل الشام فحصرها فاصابه سهم فقتله وكان قد عمر مدينة يافا وسلمها الى قمص من الفرنج اسمه طنكري فلما قتل كندفري سار اخوه بغدوين الى البيت المقدس في خمسمائة فارس وراجل فبلغ الملك دقاق صاحب دمشق خبره فنهض اليه في عسكره ومعه الامير جناح الدولة في جوعه فقاتله فنصر على الفرنج وفيها ملك الفرنج مدينة سروج من بلاد الجزيرة وسبب ذلك ان الفرنج كانوا قد ملكوا مدينة الرها بمكاتبة من اهلها لان اكثرهم ارمن وليس بها من المسلمين الا القليل فلما كان الآن جمع سقمان بسروج جمعا كثيرا من التركمان وزحف اليهم فلقوه وقاتلوه فهزموه في ربيع الاول فلما تمت الهزيمة على المسلمين سار الفرنج الى سروج فحصروها وتسلموها وقتلوا كثيرا من اهلها وسبوا حريمهم ونهبوا اموالهم ولم يسلم الا من مضى منهزما وفيها ملك الفرنج مدينة حيفا وهي بالقرب من عكا على ساحل البحر ملكوها عنوة وملكوا ارسوف بالامان واخرجوا أهلها منها وفيها في رجب ملكوا مدينة قيسارية بالسيف وقتلوا أهلها ونهبوا ما فيها

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة في شهر رمضان تقدم الخليفة المستظهر بالله بفتح جامع القصر وان يصلي فيه صلاة التراويح ولم يكن جرت بذلك عادة وامر بالجهر ببسم الله الرحمن الرحيم وهذا أيضا سالم تجر به عادة وانما ترك الجهر بالبسملة في جوامع بغداد لان العلويين اصحاب مصر كانوا يجهرون بها فترك ذلك مخالفة لهم لا اتباعا لمذهب احمد الامام وامر ايضا بالقنوت على مذهب الشافعي فلما كانت الليلة التاسعة والعشرون ختم في جامع القصر وازدحم الناس عنده وكان زعيم الرؤساء ابو القاسم علي بن فخر الدولة بن جهير اخو عميد الدولة قد اطلق من الاعتقال فاختلط بالناس وخرج الى ظاهر بغداد من ثلمة في السور وسار الى سيف الدولة صدقة بن مزيد فاستقبله وانزله وأكرمه وفيها في المحرم توفي جمال الدولة ابو نصر بن رئيس الرؤساء ابن المسلمة وهو استاذ دار الخليفة وفيه توفي القاضي احمد بن محمد بن عبد الواحد أبو منصور بن الصباغ الفقيه الشافعي وأخذ الفقه عن ابن عمه الشيخ أبي نصر بن الصباغ وكان يصوم الدهر وروى الحديث عن القاضي أبي الطيب الطبري وغيره وفيه توفي شرف الملك ابو سعد محمد بن منصور المستوفي الخوارزمي باصبهان وكان مستوفيا في ديوان السلطان ملكشاه فبذل مائة الف دينار حتى ترك الاستيفاء وبنى مشهدا على قبر أبي حنيفة رحمة الله عليه ومدرسة بباب الطاق ومدرسة بمرو وجميعها للحنفيين وفيها في صفر توفي القاضي ابو المعالي عزيزي وكان شافعيا أشعريا وهو من جيلان وله مصنفات كثيرة حسنة وكان ورعا وله مع اهل باب

الجديد وابطاله من اسلامبول ورجوع الوجاقات على قانونها الاول القديم ووصل في نيف وخمسين يوما فاجتمعوا في صبحها يوم الاحد بباب الباشا وأحضروا الاغاء وكب ودخل من باب النصر وقرئ الفرمان بحضرة الجميع وضربوا اشنكا ومدافع من ابراج القلعة ثلاثة أيام في الاوقات الخمسة (ومن الحوادث) انه ظهر في هذه الايام رجل بناحية بنها العسل يدعى بالشيخ سليمان فاقام مدة في عشة بالغيط واعتقد فيه الناس الولاية والسلوك والجذب فاجتمع اليه الكثير من اهل القرى وأكثرهم الاحداث ونصبوا له خيمة وكثر جمعه واقبلت عليه أهالي القرى بالنذور والهدايا وصار يكتب الى النواحي أوراقا يستدعي منهم القمح والدقيق ويرسلها مع المريدين يقول فيها الذي نعلم به أهل القرية الفلانية حال وصول الورقة اليكم تدفعون لحاملها خمسة ارادب قمح او اقل او اكثر برسم طعام الفقراء وكراء طريق المعين ثلاثون رغيفا او نحو ذلك فلا يتأخرون عن ارسال المطلوب في الحال وصار الذين حوله ينادون في تلك النواحي بقولهم لا ظلم اليوم ولا تعطوا الظلمة شيئا من المظالم التي يطلبونها منكم ومن اتاكم فاقتلوه فكان كل من ورد من العسكر المعينين الى تلك النواحي يطلب الكلف او الفرض التي يفرضونها فزعوا عليه وطردوه وان عاند قتلوه فثقل امره على

الازج اخبارظريفة وكان قاضيا عليهم وكانوا يبغضونه ويبغضهم وتوفى أسعد بن مسعود بن على بن محمد أبو ابراهيم العتبي من ولد عتبة بن غزوان نيسابورى ولد سنة أربع وار بعمائة وروى عن أبي بكر الحيرى وغيره وتوفى فى صفر محمد بن احمد بن عبد الباقى ابن الحسن بن محمد بن طوق ابو الفضائل الربعى الموصلى الفقيه الشافعى تفقه على ابى اسحق الشيرازى وسمع الحديث من ابى الطيب الطبرى وغيره وكان ثقة صالحا وتوفى فى ربيع الاول منها محمد بن على بن عبيد الله بن احمد بن صالح بن سليمان بن ودعان ابو نصر القاضى الموصلى وهو صاحب الاربعين الودعانية وقد تكلموا فيها فقيل انه سرقها وكانت تصنيف زيد بن رفاعة الهاشمى والغالب على حديثه المناكير وتوفى فيها فى ربيع الاول نصر بن احمد بن عبد الله بن البطر القارى ابو الخطاب ومولده سنة ثمان وتسعين وثلثمائة سمع ابن رزقويه وغيره وصارت اليه الرحلة لعلو اسناده وكان سماعه صحيحا

(ثم دخلت سنة خمس وتسعين وار بعمائة)

(ذكر وفاة المستعلى بالله وولاية الآمر باحكام الله)

فى هذه السنة توفى المستعلى بالله ابو القاسم احمد بن معد المستنصر بالله العلوى الخليفة المصرى لسبع عشرة خلت من صفر وكان مولده فى العشرين من شعبان سنة سبع وستين وار بعمائة وكانت خلافته سبع سنين وقريبا من شهرين وكان المدبر لدولته الافضل ولما توفى ولى بعده ابنه ابو على المنصور ومولده ثالث عشر المحرم سنة تسعين وار بعمائة وبويع له بالخلافة فى اليوم الذى مات فيه أبوه وله خمس سنين وشهر وار بعة ايام ولقب الآمر باحكام الله ولم يكن من تسمى بالخلافة قط اصغر منه ومن المستنصر وكان المستنصر اكبر من هذا ولم يقدر يركب وحده على الفرس لصغر سنه وقام بتدبير دولته الافضل بن امير الجيوش احسن قيام ولم يزل كذلك يدبر الامر الى ان قتل سنة خمس عشرة وخمسمائة

(ذكر الحرب بين السلطان بركيارق والسلطان محمد والصلح بينهما)

فى هذه السنة فى صفر كان المصاف الثالث بين السلطان بركيارق ومحمد وقد ذكرنا سنة اربع وتسعين قدوم السلطان محمد الى بغداد ورحيل السلطان بركيارق عنها الى واسط مريضا فاقام السلطان محمد ببغداد الى سابع عشر المحرم من هذه السنة وسار عنها هو واخوه السلطان سنجر عائدين الى بلادهم وسنجر يقصد خراسان والسلطان محمد يقصد همذان فلما سار محمد عن بغداد وصلت الاخبار ان بركيارق قد اعترض خاص الخليفة بواسط وسمع منه فى حق الخليفة ما يقبح نقله فارسل الخليفة واعاد السلطان محمدا الى بغداد وذكر له ما نقل اليه وعزم على الحركة مع محمد الى قتال بركيارق فقال السلطان محمد لا حاجة الى حركة امير المؤمنين فانى اقوم فى هذا القيام المرضى وسار عائدا ورتب ببغداد ابا المعالى المفضل بن عبد الرزاق فى جباية الاموال وايلغازى شحنة وكان لما

بالكشاف والعسكر وصار له عدة خيام واختصاص واجتمع لديه من المردان نحو المائة وستين امرد وغالبهم اولاد مشايخ البلاد وكان اذا بلغه ان بالبلد الفلانية غلاما وسيم الصورة ارسل يطلبه فيحضرونه اليه فى الحال ولو كان ابن عظيم البلدة حتى صاروا ياتون اليه من غير طلب ولا يخفى حال الاقليم المصرى فى التقليد فى كل شئ وهذا من جنس المرد ان وكذلك ذو واللحى هم كثيرون ايضا وعمل للمردان عقودا من الخرز الملون فى اعناقهم ولبعضهم اقراطا فى آذانهم ثم ان شيخا من فقهاء الازهر من اهالى بنها يقال له الشيخ عبد الله البنهاوى ادعى دعوى بطين مستاجره من اراضى بنها كان لاسلافه وان الملتزمين بالقرية استولوا على ذلك الطين من غير حق لهم فيه بل باغراء بعض مشايخ القرية والمذكور به رعونة ولم يحسن سبك دعواه وخصوصا كونه مفلسا وخليا من الدراهم التى لابد منها الآن فى الجعالات والبراطيل للوسايط وأرباب الاحكام واتباعهم ويظن فى نفسه انه يقضى قضيته يقال المصنف اكراما لعلمه ودرسه فتخاصم مع الملتزمين ومشايخ بلده وانعقدت بسببه مجالس ولم يحصل منها شئ سوى التشفيع عليه من المشايخ الازهرية والسيد عمر النقيب ثم كتب له عرضحال ورفع أمره الى كتخدا بك والباشا فامر الباشا بعقد

دخل

دخل بغداد قد خلف عسكره بطريق خراسان فنهبوا البلاد وخربوها فاخذهم السلطان محمد معه وجد السير الى روذراور واما السلطان بركيارق فقد تقدم سنة اربع وتسعين انه سار من بغداد عند وصول محمد اليها قاصدا الى واسط فلما سمع عسكر واسط بقربه منهم خافوا منه واخذوا نساءهم واولادهم واموالهم وجمعوا السفن جميعها وانحدروا الى الزبيدية فاقاموا هنالك ووصل السلطان وهو شديد المرض يحمل فى محفة وقد هلك من دواب عسكره ومتاعهم الكثير فانهم كانوا يجدون السير خوفا ان يتبعهم السلطان محمد والامير صدقة صاحب الحلة فكانوا كلما جازوا قنطرة هدموها ليمتنع من يجتاز بها من اتباعهم ولما وصلوا الى واسط عوفى بركيارق ولم يكن له ولاصحابه همة غير العبور من الجانب الغربى الى الجانب الشرقى فلم يجد هناك سفينة وكان الزمان شاتيا شديد البرد والماء زائدا وكان اهل البلد قد خافوهم فلزموا الجامع وبيوتهم فخلت الطرق والاسواق من مجتاز فيها فخرج القاضى ابو على الفارقى الى العسكر واجتمع بالامير اياز والوزير واستعطفهما للخلق وطلب انفاذ شحنة لتطمئن القلوب فاجابوه الى ملتمسه وقالوا له نريد ان تجمع لنا من يعبر دوابنا فى الماء وتسبح معها فجمع لهم من شباب واسط واعطاهم الاجرة الوافرة فعبروا دوابهم من الخيل والبغال والجمال وكان الامير اياز بنفسه يسوق الدواب ويفعل ما يفعله الغلمان ولم يكن معهم غير سفينة واحدة انحدرت مع السلطان من بغداد فعبروا اموالهم ورحالهم فيها فلما صاروا فى الجانب الشرقى اطمأنوا ونهب العسكر البلد فرجع القاضى وجدد الخطاب فى الكف عنهم فاجيب الى ذلك فارسل معه من يمنع من النهب ثم ان عسكر واسط ارسلوا الى بركيارق يطلبون الامان ليحضروا الخدمة السلطانية فامنهم فحضر اكثرهم عنده وساروا معه الى بلاد بنى برسق فحضروا ايضا عنده وخدموه واجتمعت العساكر عليه وبلغه مسير اخيه محمد عن بغداد فسار يتبعه على نهاوند فادركه بروذراور وكان العسكران متقاربين فى العدة كل واحد منهما اربعة آلاف فارس من الاتراك فتصافوا اول يوم جميع النهار لم يجر بينهم قتال لشدة البرد وعادوا فى اليوم الثانى ثم تواقفوا كذلك ثم كان الرجل يخرج من احد الصفين فيخرج اليه من يقاتله فاذا تقاربا اعتنق كل واحد منهما صاحبه وسلم عليه ويعود عنه ثم خرج الامير بلدجى وغيره من عسكر محمد الى الامير اياز والوزير الاعز فاجتمعوا واتفقوا على الصلح لما قد عم الناس من الضرر والملل والوهن فاستقرت القاعدة ان يكون بركيارق السلطان ومحمد الملك ويضرب له ثلاث نوب ويكون له من البلاد جنزة واعمالها واذربيجان وديار بكر والجزيرة والموصل وان يمده السلطان بركيارق بالعساكر حتى يفتح ما يمتنع عليه منها وحلف كل واحد منهما لصاحبه وانصرف الفريقان من المصاف رابع ربيع الاول وسار بركيارق الى مرج قراتكين قاصدا ساوه والسلطان محمد الى اسداباذ وتفرق العسكران وقصد كل امير اقطاعه

* (ذكر الحرب بين السلطان بركيارق ومحمد وانفساخ الصلح بينهما) *

مجالس بسببه بحضرة السيد عمر والمشايخ وقالوا للباشا انه غير محق وطروده فسافر الى بلده وسافر الباشا أيضا الى جهة البحيرة والاسكندرية فذهب الشيخ عبد الله المذكور الى الشيخ سليمان المذكور وأغراه على الحضور الى مصر وانه متى وصل اجتمع عليه المشايخ وأهل البلدة وقابلوه ويكون على يده الفتح والفتوح وبركته خساف العقول المحيطون به والمجتمعون حوله على المجىء الى مصر ويكون له شان لان ولايته اشتهرت بالمدينة ولهم فيه اعتقاد عظيم وحب جسيم ومن أوصاف ذلك الشيخ انه لا يتكلم الا بالذكر او الكلام النزر الذى لابد منه ويتكلم فى اكثر اوقاته بالاشارة ثم انه اطاع شياطينه وحضر برجاله وغلمانه ومعه طبول وكاسات على طريق مشايخ اهل العصر والاوان الذين يحسبون انهم يحسنون صنعا ودخلوا الى المدينة على حين غفلة وبايديهم فراقل يفرقعون بها فرقعة متتابعة وصياح وجلبة ومن خلفهم الغلمان والبدايات وشيخهم فى وسطهم فمازالوا فى سيرهم حتى دخلوا المشهد الحسينى وجلسوا بالمسجد يذكرون ودخل منهم طائفة الى بيت السيد عمر مكرم النقيب وهم يفرقعون بما فى ايديهم من الفرقلات فاقاموا بالمسجد الى العصر ثم دعاهم انسان من الاجناد يقال له اسمعيل كاشف ابو

في هذه السنة في جمادى الاولى كان المصاف الرابع بين السلطان بركيارق واخيه محمد وكان سببه ان السلطان محمدا سار من روذراور من الوقعة المذكورة الى اسداباذ ومنها الى قزوين ونسب الامراء الذين سعوا في ذلك الصلح الى المخامرة عليه والتقاعد به فوضع رئيس قزوين ان يتوسل اليه باولئك الامراء ليحضر دعوته فاستشفع الرئيس بهم الى السلطان فحضر دعوته بعد ان امتنع ووصى خواصه بحمل السلاح تحت اقبيتهم وحضر الدعوة ومعه الامير ايتكين وبسمل فقتل الامير بسمل وهو من اكابر الامراء وكحل الامير ايتكين وكان الامير ينال بن انوشتكين الحسامي قد فارق بركيارق واقام مجاهدا للباطنية الذين في القلاع والجبال فقصد الآن السلطان محمدا وسار معه الى الري يضرب النوب الخمس واجتمعت اليه العساكر واقام ثمانية ايام ووافاه اخوه السلطان بركيارق في اليوم التاسع ووقع بينهما المصاف عند الري وكانت عدة العسكرين متقاربة كل عسكر منهما عشرة آلاف فارس فلما اصطفوا حمل الامير سرخاب بن كيخسرو الديلمي صاحب آبه على الامير ينال فهزمه وتبعه في الهزيمة جميع عسكر محمد وتفرقوا ومضى معظمهم نحو طبرستان ولم يقتل في هذا المصاف غير رجل واحد قتل صبرا ومضى قطعة من المنهزمين نحو قزوين ونهبت خزائن محمد ومضى في نفر يسير الى أصبهان وحمل هو عليه بيده ليتبعه اصحابه وسار في طلبه الامير البكي بن برسق والامير اياز الى قم وتتبع السلطان بركيارق أصحاب اخيه محمد واخذ اموالهم

(ذكر حصار السلطان محمد باصبهان)

لما انهزم السلطان محمد من الوقعة التي ذكرناها بالري مضى الى اصبهان في سبعين فارسا والبلد في حكمه وفيه نائبه ومعه من الامراء الامير ينال وغيره من الامراء ودخل المدينة في ربيع الاول وامر بتجديد ما تشعث من السور وهذا السور هو الذي بناه علاء الدولة ابن كاكويه سنة تسع وعشرين واربعمائة عند خوفه من طغرلبك وامر محمد بتعميق الخندق حتى صعد الماء فيه وسلم الى كل امير بابا وكان معه في البلد الف ومائة فارس وخمسمائة راجل ونصب المجانيق ولما علم السلطان بركيارق بمسير اخيه محمد الى اصبهان سار يتبعه فوصلها في جمادى الاولى وعساكره كثيرة تزيد على خمسة عشر الف فارس ومعها مائة الف من الحواشي واقام يحاصر البلد وضيق عليه وكان السلطان محمد يدور كل ليلة على سور البلد ثلاث دفعات فلما زاد الامر في الحصار اخرج الضعفاء والفقراء من البلد حتى خلت المحال وعدمت الاقوات واكل الناس الخيل والجمال وغير ذلك وقلت الاموال فاضطر السلطان محمد الى ان يستقرض من اعيان البلد فاخذ مالا عظيما ثم عاود الجند الطلب فقسط على اهل البلد شيئا آخر واخذه منهم بالشدة والعنف فلم تزل الاسعار تغلو حتى بلغ عشرة امنان من الحنطة بدينار واربعة ارطال لحم بدينار وكل مائة رطل تبن باربعة دنانير ورخصت الامتعة وهانت لعدم الطالب وكانت الاسعار في عسكر بركيارق رخيصة فبقي الحصار على البلد الى عاشر

ذي

منا خيرله في الشيخ المذكور اعتقاد فذهبوا معه الى داره بعطفة عبد الله بك فعشاهم وباتوا عنده الى الصباح ولما طلع النهار ركب الشيخ بغلة ذلك الجندي وذهب بطائفته الى ضريح الامام الشافعي فجلس بالمسجد ايضا مع اتباعه يذكرون وبلغ خبره كتخدا بك وامثاله فكتب تذكرة وارسلها الى السيد عمر النقيب بطلب الشيخ المذكور ليتبركوا به واكد في الطلب وقصده ان يفتك به لقهرهم منه وعلم السيد عمر ما يراد به فارسل يقول له ان كنت من اهل الكرامة فاظهر سرك وكرامتك والا فاذهب وتغيب وكان صالح اغا قوج لما بلغه خبره ركب في عسكره وذهب الى مقام الشافعي واراد القبض عليه فخوفه الحاضرون وقالوا له لا ينبغي لك التعرض له في ذلك المكان فاذا خرج قدونك واياه فانتظره بقصر شويكار فتباطأ الشيخ الى قريب العصر واشاروا عليه بالخروج من الباب القبلي وتفرق عنه الكثير من المجتمعين عليه فذهب الى مقام الليث ابن سعد ثم سار من ناحية الجبل وذهبت بداياته وغلمانه الى دار اسمعيل كاشف التي بالتوابها ولما سار الى ناحية الصحراء لحقه الحاج سعودي الحناوي واقتفى اثره وبلغه رسالة السيد عمر ورجع الى السيد عمر فوجد كتخدا بك ورجب فاحضر الى السيد عمر رسالة انه عنه ولم يكتفوا بالطلب الاول فاخبرهما انه ذهب ولم تلحقه المراسيل فاغتاظوا

ذى الحجة فلما رأى السلطان محمد انه لا قدرة له على الدفع عن البلد وكلما جاء أمره يضعف قوى عزمه على مفارقته وقصد جهة أخرى يجمع فيها العساكر ويعود يدفع الخصم عن الحصار فسار عن البلد فى مائة وخمسين فارسا ومعه الامير ينال واستخلف بالبلد جماعة من الامراء الكبار فى باقى العسكر فلما فارق العسكر والبلد لم يكن فى دوابهم ما يدوم على السير لقلة العلف فى الحصار فنزل على ستة فراسخ فلما سمع بركيارق بمسيره سير وراءه الامير اياز فى عسكر كثير وامره بالجد فى السير فى طلبه فقيل ان محمدا سبقهم فلم يدركوه فرجعوا وقيل بل ادركوه فارسل الى الامير اياز يقول انت تعلم ان لى فى رقبتك عهودا وايمانا ما نقضت ولم يكن منى اليك ما تبالغ فى اذاى فعاد عنه وارسل له خيلا واخذ علمه والجتر وثلاثة احمال دنانير وعاد الى بركيارق فدخل عليه وراء الام اخيه السلطان محمد منكوسة فانكر بركيارق ذلك وقال ان كان قد اساء فلا ينبغى ان يعمل معه هذا فاخبره الخبر فاستحسن ذلك منه فلما فارق محمد اصبهان اجتمع من المفسدين والسوادية ومن يريد النهب ما يزيد على مائة الف نفس وزحفوا الى البلد بالسلاليم والدبابات وطموا الخندق بالتبن والتصقوا بالسور وصعد الناس فى السلاليم فقاتلهم أهل البلد قتال من يريد يحمى حريمه وماله فعادوا خائبين فحينئذ أشار الامراء على بركيارق بالرحيل فرحل ثامن عشر ذى الحجة من السنة واستخلف على البلد القديم الذى يقال له شهرستان ترشك الصوابى فى الف فارس مع ابنه ملكشاه وسار الى همذان وكان هذا من اعجب ما سطر ان سلطانا محصورا قد تقطعت مواده وهو يخطب له فى اكثر البلاد ثم يخلص من الحصر الشديد وينجو من العساكر الكثيرة التى كلها قد شرع اليه رمحه وفوق اليه سهمه

(ذكر قتل الوزير الاعز ووزارة الخطير أبى منصور)

فى هذه السنة ثانى عشر صفر قتل الوزير الاعز ابو المحاسن عبد الجليل بن محمد الدهستانى وزير السلطان بركيارق على اصبهان وكان مع بركيارق محاصر الها فركب هذا اليوم من خيمته الى خدمة السلطان فجاءه شاب أشقر قيل انه كان من غلمان أبى سعيد الحداد وكان الوزير قتله فى العام الماضى فانتهز الفرصة فيه وقيل كان باطنيا فجرحه عدة جراحات فتفرق اصحابه عنه ثم عادوا اليه فجرح أقربهم منه جراحات اثخنته وعاد الى الوزير فقتله بآخرمق وكان كريما واسع الصدر حسن الخلق كثير العمارة ونفر الناس منه لانه دخل فى الوزارة وقد تغيرت القوانين ولم يبق دخل ولا مال ففعل للضرورة ما خافه الناس بسببه وكان حسن المعاملة مع التجار فاستغنى به خلق كثير فكانوا يسالونه ليعاملهم فلما قتل ضاع منهم مال كثير * حكى ان بعض التجار باعه متاعا بالف دينار فقال له خذ بها حنطة من الراذان خمسين كرا كل كر بعشرين دينارا فامتنع التاجر من اخذها وقال لا اريد غير الدنانير فلما كان من الغد دخل اليه التاجر فقال له يهنيك يا فلان فقال وما هو وقال خبر حنطتك فقال مالى حنطة ولا اريدها قال بلى

وقالوا نرسل الى كاشف القليوبية بالقبض عليه أينما كان وانصرفوا واذا هم بين وقصدت العساكر بيت اسمعيل كاشف أبو مناخير فقبضوا على الغلمان واخذوهم الى دورهم ولم ينج منهم الا من كان بعيدا وهرب وتغيبا وتفرق أتباعه ذوو اللحى واما الشيخ فسار من طريق الصحراء حتى وصل الى بهتيم وذهب الى نوب فعرف بمكانه الشيخ عبد الله زفزوق البنهاوى الذى كان أغراه على الحضور الى مصر ولما سقط فى يده تبرأ عنه وذهب الى كتخدا بك وطلب له أمانا واخبره انه مختف بضريح الامام الشافعى فاعطاه أمانا وذهب اليه واحضره من نوب فلما احضر عند الكتخدا قال له أرخ لحيتك واترك ما انت عليه وأقم فى بلدك واعطيك طينا تزرعه ولا تتعرض لاحد ولا احد يتعرض لك والشيخ ساكت لا يتكلم وصحبته اربعة انفار من تلاميذهم الذين يخاطبون الكتخدا ويكلمونه ثم امر اشخاصا من العسكر فاخذوه وذهبوا به الى بولاق وانزلوه فى مركب وانحدروا به ثم غابوا حصة وانقلبوا راجعين ثم بعد ذلك تبين انهم قتلوه والقوه فى البحر الا واحدا من الاربعة القى بنفسه فى البحر وسبح فى الماء وطلع الى البر وهرب وانفض امره (وفيه) ارسل الباشا وهو بالرحمانية يطلب شيخ دسوق فحضر اليه طائفة من العسكر فلما اتوا اليه امتنع وقال ما يريد الباشا منى

اخبروني بطلبه وانا ادفعه ان كان غرامة او كلفة فقالوا الاندوي وانما امرنا باحضارك فشاغلهم بالطعام والقهوة ووزع

وقد بيعت كل كر بخمسين دينارا فقال انا لم اتقبل بها فقال الوزير ما كنت لافسخ عقدا عقدته قال فخرجت واخذت ثمن الحنطة الفين وخمسمائة دينار واضفت اليها مثلها وعاملته فقتل فضاع الجميع وكان قد نفق عليه عمل الكيمياء واختص به انسان كيميائي فكان يعده الشهر بعد الشهر والحول بعد الحول وقال له بعض اصحابه وقد احاله عليه بكر حنطة فاستزاده لو كان صادقا في عمله لما كان يستزيد من القدر القليل وقتل ولم يصح له منه شئ ولما قتل الاعز ابو المحاسن وزر بعده الوزير الخطير ابو منصور الميبذي الذي كان وزير السلطان محمد وكان سبب فراقه لوزارة محمد انه كان معه باصبهان وبركيارق يحاصره وقد سلم اليه محمد بابا من ابوابها يحفظها فقال له الامير ينال بن انوشتكين كنت قد كلفتنا ونحن بالري انه قصد همذان وقلت انا اقيم بالعسكر من مالي واحصل لهم ما يقوم بهم ولابد من ذلك فقال له الخطير انا افعل ذلك فلما كان الليل فارق البلد وخرج من الباب الذي كان مسلما اليه وقصد بلده ميبذ واقام بقلعتها متحصنا فارسل اليه السلطان بركيارق عسكرا فحصره فنزل منها مستامنا فحمل على بغل باكاف الى العسكر فوصله في طريقه قتل الوزير الاعز وكتاب السلطان له بالامان وطيب قلبه فلما وصل الى العسكر خلع عليه واستوزره

(حادثة يعتبر بها)

في سنة ثلاث وتسعين بيع رحل بني جهير ودورهم بباب العامة ووصل ثمن ذلك الى مؤيد الملك ثم قتل في سنة اربع وتسعين مؤيد الملك وبيع ماله وتركته واخذ الجميع وحمل الى الوزير الاعز وقتل الوزير الاعز هذه السنة وبيع رحله واقتسمت امواله واخذ السلطان ومن ولي بعده اكثرها وتفرقت ايدي سبا وهذا عاقبة خدمة الملوك

(ذكر الفتنة بين ايلغازي وعامة بغداد)

في هذه السنة في رجب كانت فتنة شديدة بين عسكر الامير ايلغازي بن ارتق شحنة بغداد وبين عامتها وسببها ان ايلغازي كان بطريق خراسان فعاد الى بغداد فلما وصل اتى جماعة من اصحابه الى دجلة فنادوا ملاحا ليعبر بهم فتاخر فرماه احدهم بنشابة فوقعت في مشعره فمات فاخذ العامة القاتل وقصدوا باب النوبي فلقيهم ولد ايلغازي مع جماعة فاستنقذوه وجرح العامة بسوق الثلاثاء فمضى الى ابيه مستغيثا فاخذ حاجب الباب من له في هذه الحادثة عمل فلم يقنع ايلغازي ذلك فعبر باصحابه الى محلة الملاحين المعروفة بمربعة القطانين وتبعهم خلق كثير فنهبوا ما وجدوا وقدروا عليه فعطف عليهم العيارون فقتلوا اكثرهم ونزل من سلم في السفن ليعبر دجلة فلما توسطوها القى الملاحون انفسهم في الماء وتركوهم فغرقوا فكان الغريق اكثر من القتيل وجمع ايلغازي التركمان واراد نهب الجانب الغربي فارسل اليه الخليفة قاضي القضاة والكيا الهراس المدرس بالنظامية فمنعاه من ذلك فامتنع

(ذكر قصد صاحب البصرة مدينة واسط وعوده عنها)

بهائمه وحريمه والذي يخاف عليه وفي الوقت وصلت مراكب وبها عساكر وطلعوا الى البر فركب شيخ البلد خيوله وخيالته واستعد لحربهم وحارب بهم وابلى معهم وقتل منهم عدة كبيرة ثم ولى هاربا فدخل العسكر الى البلد ونهبوها واخذوا ما وجدوه في دورها وعبروا مقام السيد الدسوقي وذبحوا من وجدوه من المجاورين وفيهم من طلبة العلم العواجز (وفيه) ركب كتخدا بك ومر على بيت الداودية وبه طائفة من الدلاة فراى شخصا منهم يرجم دجاجة بحجر ليرميها من سطح دار اخرى فانتهره واراد ضربه فقامت عليه رفقاؤه الدلاتية وفزعوا عليه فولى هاربا منهم فعدوا خلفه ولم يزل راكضا هو واتباعه حتى وصل الى ناحية الازبكية

(واستهل شهر رجب بيوم الجمعة سنة ١٢٢٢)

في رابعه وردت مكاتبات من الباشا بوقوع الصلح بينه وبين الانكليز واتفقوا على خروجهم من الاسكندرية وخلوها ونزولهم منها وارسل يطلب الاسرى من الانكليز (وفي عاشره) ورد قابجي ويسمى نجيب افندي فوصل الى بولاق يوم الاثنين حادي عشره وكان وروده من ناحية دمياط فلما علم ان الباشا بناحية

في

في هذه السنة في العشرين من شوال قصد الامير اسمعيل صاحب البصرة مدينة واسط
للاستيلاء عليها ونحن نبتدئ بذكر اسمعيل وتنقل الاحوال به الى ان ملك البصرة وهو
اسمعيل بن سلانجق وكان اليه في ايام ملكشاه شحنكية الري ولما وليها كان اهل
الري والرستاقية قد اعيوا من وليهم وعجز الولاة عنهم فسلك معهم طريقا اصلحهم بها
وقتل منهم مقتلة عظيمة فتهذبوا بها وارسل من شعورهم الى السلطان ما عمل منه
مقاود وشكالا للدواب ثم عزل عنها ثم ان السلطان بركيارق اقطع البصرة للامير قماج
فارسل اليها هذا الامير اسمعيل نائبا عنه فلما فارق قماج بركيارق وانتقل الى خراسان
حدثته نفسه بالتغلب على البصرة والاستبداد فانحدر مهذب الدولة بن ابي الجبر من
البطيحة اليه ليحاربه ومعه معقل بن صدقة بن منصور بن الحسين الاسدي صاحب
الجزيرة الدبيسية فاقبلا في جمع كثير من السفن والخيل ووصلوا الى مطارا فبينما معقل
يقاتل قريبا من القلعة التي بناها بمطارا وجددها اسمعيل واحكمها اتاه سهم
غرب فقتله فعاد ابن ابي الجبر الى البطيحة واخذ اسمعيل سفنه وذلك سنة احدى وتسعين
فاستمد ابن ابي الجبر كوهرائين فامده بابي الحسن الهروي وعباس بن ابي الجبر فلقياه
فكسرهما واسرهما واطلق عباسا على مال ارسله ابوه واصطلحا واما الهروي فبقي في
حبسه مدة ثم اطلقه على خمسة آلاف دينار فلم يصح له منها شئ وقوي حال اسمعيل
فبنى قلعة بالابلة وقلعة بالشاطئ مقابل مطارا وصار مخوف الجانب وامن البصريون
به واسقط شيئا من المكوس واتسعت امارته باشتغال السلاطين وملك المشان
واستضافها الى ما بيده فلما كان هذه السنة كاتبه بعض عسكر واسط بالتسليم اليه
فقوي طمعه في واسط فاصعد في السفن الى نهرابان وراسلهم في التسليم فامتنعوا من ذلك
وقالوا راسلناك وقد رأينا غير ذلك الرأي فاصعد الى الجانب الشرقي فخيم تحت النخيل
وسفنه بين يديه وخيم جند واسط حذاءه وراسلهم ووعدهم وهم لا يجيبونه واتفقت
العامة مع الجند وشتموه اقبح شتم فلما ايس منهم عاد الى البصرة وساروا بازائه من
الجانب الآخر فوصل الى العمر وعبر طائفة من اصحابه فوق البلد وهو يظن ان البلد
خال وان الناس قد خرجوا منه فلما رأى كثرة من بازائه فيوقع الحريق في البلد فاذا
رجع الاتراك عادوا من ورائهم فكان ظنه خائبا لان العامة كانوا على دجلة اولهم في
البلد وآخرهم مع الاتراك بازائه فلما عبر اصحابه عاد الاتراك عليهم ومعهم العامة
فقتلوا منهم ثلاثين رجلا واسروا خلقا كثيرا والقى الباقون انفسهم في الماء فاتاه من
ذلك مصيبة لم يظنها وصار اعيان اصحابه ماسورين وعاد الى البصرة وكان عوده من
سعادته فانه كان قد قصد الامير ابو سعد محمد بن مضر بن محمود البصرة ذلك الوقت وله
اعمال واسعة منها نصف عمان وجنابة وسيراف وجزيرة بني نفيس وكان سبب قصده
اياها انه كان قد صار مع اسمعيل انسان يعرف بجعفرك وآخر اسمه زنجويه والثالث
بابي الفضل الابلي فاطمعوه في ان يعمل مراكب يرسل فيها مقاتلة في البحر الى هذا ابي
سعد وغيره فعمل نيفا وعشرين قطعة فلما علم ابو سعد الحال ارسل جماعة كثيرة من

البحيرة ذهب اليه وقابله بدمنهور وبصحبته لخصوص الباشا قفطان وسيف وشلنج وخلع لكبار العسكر مثل
حسن باشا وطاهر باشا
وعابدين بك وعمر بك وصالح
قوج فنزل ببيت محمد الطويل
التتنجي ببولاق (وفيه) نزلوا
بالاسرى من الانكليز الى
المراكب ليسافروا الى
الاسكندرية (وفي يوم الاربعاء
ثالث عشره) وصل المبشر
بنزول الانكليز من ثغر
الاسكندرية الى المراكب
ودخل اليها كتخدا بك ونزل
بدار الشيخ المسيري واستمر
الباشا مقيما عند السد (وفي
يوم السبت سادس عشره)
ركب القابجي من بولاق
بالموكب وشق من وسط
المدينة وذهب الى بيت
الباشا وضربوا لقدومه مدافع
من القلعة (وفي يوم الاربعاء
سابع عشرينه) ولد لمحمد علي
باشا مولود من حظيته وحضر
المبشرون بنزول الانكليز من
الاسكندرية ودخول الباشا
بها فعملوا شنكا وضربوا مدافع
من القلعة ثلاثة ايام في
الاوقات الخمسة آخرها السبت
(وفي يوم الخميس والجمعة
والسبت) وصلت عساكر
كثيرة ودخلوا المدينة وطلبوا
سكنى البيوت وازعجوا الناس
واخرجوهم من اوطانهم
وضجت الخلائق وحضر
الكثير الى السيد عمر والمشايخ
فكتبوا عرضا في شان ذلك
وارسلوه الى كتخدا بك فاظهر الاهتمام واحضر طائفة من كبار العسكر وكلمهم في ذلك وقال لهم كل من كان ساكنا

اصحابه فى نحو خمسين قطعة فاتوا الى دجلة البصرة وذلك فى السنة الخالية فاقاموا بها محار بين وظفروا بطائفة من اصحاب اسمعيل وقتلوا صاحب قلعة الابلة وكاتبوا بنى برسق بخوزستان يطلبون ان يرسلوا عسكرا ليساعدوهم على اخذ البصرة فتمادى الجواب وركن الطائفتان الى الصلح على ان يسلم اليهم اسمعيل جعفرك ورفيقه ويقطعهم مواضع ذكروها من اعمال البصرة فلما رجعوا لم يفعل شيأ من ذلك واخذ مركبين لقوم من اصحاب ابى سعد فحمله ذلك على ان سار بنفسه فى قطع كثيرة تزيد على مائة قطعة بين كبيرة وصغيرة ووصل الى فوهة نهر الابلة وخرج عسكر اسمعيل فى عدة مراكب ووقع القتال بينهم وكان البحريون فى نحو عشرة آلاف واسمعيل فى سبعمائة واصعد البحريون فى دجلة فاحرقوا عدة مواضع وتفرق عسكر اسمعيل فبعضه بالابلة وبعضه بنهر الدير وبعضه فى مواضع أخر فلما ضعف اسمعيل عن مقاومة ابى سعد طلب من وكيل الخليفة على ما يتعلق بديوانه من البلاد ان يسعى فى الصلح فارسل اليه فى ذلك فاعاد الجواب يذكر قبح ما عامله به اسمعيل مرة بعد اخرى وتكررت الرسائل بينهم فاجاب الى الصلح فاصطلحا واجتمعا وعاد أبو سعد الى بلاده وحمل كل واحد منهما لصاحبه هدية جميلة

* (ذكر وفاة كربوقا وملك موسى التركمانى الموصل وجكرمش بعده وملك سقمان الحصن) *

فى هذه السنة فى ذى القعدة توفى قوام الدولة كربوقا عند مدينة خوى وكان السلطان بركيارق قد ارسله فى العام الماضى الى اذربيجان كما ذكرناه فاستولى على اكثرها واتى الى خوى فمرض بها ثلاثة عشر يوما وكان معه اصبهبذ صباوة بن خمارتكين وسنقرجه فوصى الى سنقرجه وامر الاتراك بطاعته واخذ له على عسكره العهود ومات على أربعة فراسخ من خوى واف فى زلية لعدم ما يكفن فيه ودفن بخوى وسار سنقرجه واكثر العسكر الى الموصل فتسلمها فاقام بها ثلاثة ايام وكان اعيان الموصل قد كاتبوا موسى التركمانى وهو بحصن كيفا ينوب عن كربوقا فيها وسالوه ان يبادر اليهم ليسلموا اليه البلد فسار مجدا فسمع سنقرجه بوصوله فظن انه جاء اليه خدمة له فخرج ليستقبله فى اهل البلد فلما تقاربا نزل كل واحد منهما لصاحبه عن فرسه واعتنقا وبكيا على قوام الدولة فتسايرا فقال سنقرجه لموسى فى جملة حديثه انا مقصودى من جميع ما كان لصاحبنا المخدة والمنصب والاموال والولايات لكم وبحكمكم فقال موسى من نحن حتى يكون لنا مناصب ودسوت الامر فى هذا الى السلطان يرتب فيه من يريد ويولى من يختار وجرى بينهما محاورات فجذب سنقرجه سيفه وضربه صفحا على رأسه فجرحه فالقى موسى نفسه الى الارض وجذب سنقرجه فالقاه الى الارض وكان مع موسى ولد منصور ابن مروان الذى كان أبوه صاحب ديار بكر فجذب سكينا وضرب بها رأس سنقرجه فابانه ودخل موسى البلد وخلع على اصحاب سنقرجه وطيب نفوسهم فصارت الولاية له ولما

قبل الحر وتج الى العرضى فى دائرة لم يرجع اليها ويسكنها ولا تعارض والناس فى مساكنهم فلم يفد كلامه فى ذلك شيئا لان البيوت التى كانوا بها أخربوها وحرقوا أخشابها وتركوها كيمانا وذلك دأبهم

* (واستهل شهر شعبان بيوم السبت سنة ١٢٢٢) *

فى ثالثه يوم الاثنين وصل الباشا الى ساحل بولاق فضربوا لقدومه مدافع من القلعة وعملوا له شنكا ثلاثة أيام واتفق ان الباشا فى حال رجوعه من الاسكندرية نزل فى سفينة صغيرة وصحبته حسن باشا طاهر وسليمان أغا الوكيل سابقا فانقلبت بهم واشرف ثلاثتهم على الغرق وتعلق بعضهم بحرف السفينة فلحقتهم مركب أخرى انقذتهم من الغرق وطلعوا سالمين وكان ذلك عند زفيتة (وفيه) كتبوا اوراق البشارة بذهاب الانكليز وسفرهم من الاسكندرية وأرسلوها الى البلاد والقرى وعليها حق الطريق أربعة آلاف والفين فضة وصورة ما حصل أنه لما وصل الباشا الى ناحية الاسكندرية راسل الانكليز وحضر اليه انفار منهم واختلى معهم ولم يعلم احد ما دار بينهم من الكلام وذهبوا من عنده واشيع الصلح وفرحت العسكر لانهم لما راوا صورة المتاريس والطوابى والخنادق وجرى المياه بين ذلك بالاوضاع المتقنة هالهم ذلك ثم حضر من عظمائهم اشخاص ولما علم الباشا بوصولهم ركب

سمع

سمع شمس الدولة جكرمش صاحب جزيرة ابن عمر الخبر فقصد نصيبين وتسلمها وسار موسى قاصدا الى الجزيرة فلما قارب جكرمش غدر به موسى عسكره وصاروا مع جكرمش فعاد موسى الى الموصل وقصده جكرمش وحصره مدة طويلة فاستعان موسى بالامير سقمان بن ارتق وهو يومئذ بديار بكر واعطاه حصن كيفا وعشرة آلاف دينار فسار سقمان اليه فرحل جكرمش عنه وخرج موسى لاستقبال سقمان فلما كان موسى عند قرية تسمى كراثا وثب عليه عدة من الغلمان القوامية فقتلوه رماه احدهم بنشابة فقتله فعاد اصحابه منهزمين ودفن على تل هناك يعرف الآن بتل موسى ورجع الامير سقمان الى الحصن فملكها وهي بيد اولاده الى يومنا هذا سنة عشرين وستمائة وصاحبها حينئذ غازي بن قرا ارسلان بن داود بن سقمان بن ارتق وقصد جكرمش الموصل وحصرها اياما ثم تسلمها صلحا واحسن السيرة فيها واخذ القوامية الذين قتلوا موسى فقتلهم واستولى بعد ذلك على الخابور وملك العرب والاكراد فاطاعوه

(ذكر حال صنجيل الفرنجي وما كان منه في حصار طرابلس)

كان صنجيل الفرنجي لعنه الله قد لقي قلج ارسلان بن سليمان بن قتلمش صاحب قونية وكان صنجيل في مائة الف مقاتل وكان قلج ارسلان في عدد قليل فاقتتلوا فانهزم الفرنج وقتل منهم كثير واسر كثير وعاد قلج ارسلان بالغنائم والظفر الذي لم يحتسبه ومضى صنجيل مهزوما في ثلثمائة فوصل الى الشام فارسل فخر الملك بن عمار صاحب طرابلس الى الامير ياخز خليفة جناح الدولة على حمص فالى الملك دقاق بن تتش يقول من الصواب ان يعاجل صنجيل اذ هو في هذه العدة القريبة فخرج الامير ياخز بنفسه وسير دقاق الفي مقاتل واتتهم الامداد من طرابلس فاجتمعوا على باب طرابلس وصافوا صنجيل هناك فاخرج مائة من عسكره الى اهل طرابلس ومائة الى عسكر دمشق وخمسين الى عسكر حمص وبقي هو في خمسين فاما عسكر حمص فانهم انكسروا عند المشاهدة وولوا منهزمين وتبعهم عسكر دمشق واما اهل طرابلس فانهم قاتلوا المائة الذين قاتلوهم فلما شاهد ذلك صنجيل حمل في المائتين الباقية فكسروا اهل طرابلس وقتلوا منهم سبعة آلاف رجل ونازل صنجيل طرابلس وحصرها واتاه اهل الجبل فاعانوه على حصارها وكذلك اهل السواد واكثرهم نصارى فقاتل من بها اشد قتال فقتل من الفرنج ثلثمائة ثم انه هادنهم على مال وخيل فرحل عنهم الى مدينة انطرسوس وهي من اعمال طرابلس فحصرها وفتحها وقتل من بها من المسلمين ورحل الى حصن الطوبان وهو يقارب رفنية ومقدمه يقال له ابن العريض فقاتلهم فنصر عليه اهل الحصن واسر ابن العريض منه فارسا من اكابر فرسانه فبذل صنجيل في فدائه عشرة آلاف دينار والف اسير فلم يجبه ابن العريض الى ذلك

(ذكر ما فعله الفرنج)

العساكر ونظم ديوانا وهياه واوقف العساكر صفوفا ميمنة وميسرة وعندما وصلوا اضربوا لهم مدافع كثيرة وشنكا وقدم لهم خيولا وهدايا واقمشة هندية وخلع عليهم خلعا وشيلانا كشميرية وغير ذلك ثم ركب معهم في قلة الى حيث منزلة سارى عسكرهم وكبيرهم فتلاقى معهم وقدم له الآخر هدايا وظرائف ثم ركب معه الى الاسكندرية وتسلم القلعة وذلك بعد دخول كتخدا بك بخمسة ايام وكان في اسرى الانكليز انفار من عظمائهم فاحضرهم الباشا مع باقي الاسرى وتم الصلح على رد المذكورين على انهم لم ياتوا اطماعا في البلاد كما تقدم ولما نزلوا بالمراكب لم يبعدوا عن الثغر الا مسافة قليلة واستمروا يقطعون على المراكب الواردين على الثغور وذلك لما بينهم وبين العثماني من المناقمة (هذا) ما كان من امر الانكليز (واما العساكر) فانهم افحشوا في التعدي على الناس وغصب البيوت من اصحابها فتاتي الطائفة منهم الى الدار المسكونة ويدخلونها من غير احتشام ولا اذن ويهجمون على سكن الحريم بحجة انهم يتفرجون على اعالي الدار فتصرخ النساء ويجتمع اهل الخطة ويكلمونهم فلا يلتفتون اليهم فيعالجونهم مرة بالملاطفة واخرى بكثرة الجمع ان كان بهم قوة او بمعونة ذي مقدرة واذا انفصلوا فلا يخرجون من الدار الا بصلحة او هدية لها قدر و يشترطون في ذلك الشيلان الكشميري

في هذه السنة أطلق الدانشمند بيمند الفرنجي صاحب انطاكية وكان قد اسره وقد تقدم ذكر ذلك واخذ منه مائة ألف دينار وشرط عليه اطلاق ابنة باغيسيان الذى كان صاحب انطاكية وكانت في أسره ولما خلص بيمند من اسره عاد الى انطاكية فقويت نفوس أهلها به ولم يستقر حتى ارسل الى أهل العواصم وقنسرين وماجاورها يطالبهم بالاتاوة فورد على المسلمين من ذلك ماطمس المعالم التى بناها الدانشمند وفيها سار صنجيل الى حصن الاكراد فحصره فجمع جناح الدولة عسكره ليسير اليه ويكبسه فقتله باطنى بالمسجد الجامع فقيل ان الملك رضوان ربيبه وضع عليه من قتله فلما قتل صبح صنجيل حمص من الغد ونازلها وحصر اهلها وملك اعمالها ونزل القمص على عكا في جمادى الآخرة وضيق عليها وكاد يأخذها ونصب عليها المنجنيقات والابراج وكان له في البحر ست عشرة قطعة فاجتمع المسلمون من سائر السواحل واتوا الى منجنيقاتهم وابراجهم فاحرقوها واحرقوا سفنهم أيضا وكان ذلك نصرا عجيبا اذل الله به الكفار وفيها سار القمص الفرنجي صاحب الرها الى بيروت من ساحل الشام وحصرها وضايقها واطال المقام عليها فلم ير فيها اطمعا فرحل عنها وفيها في رجب خرجت عساكر مصر الى عسقلان ليمنعوا الفرنج عما بقى في أيديهم من البلاد الشامية فسمع بهم بردويل صاحب القدس فسار اليهم في سبعمائة فارس وقاتلهم فنصر الله المسلمين وانهزم الفرنج وكثر القتل فيهم وانهزم بردويل فاختفى في اجمة قصب فاحرقت تلك الاجمة ولحقت النار بعض جسده ونجا منها الى الرملة فتبعه المسلمون وأحاطوا به فتنكر وخرج منها الى يافا وكثر القتل والاسر في أصحابه

*(ذكر عود قلعة خفتيذ كان الى سرخاب بن بدر)

في هذه السنة عادت قلعة خفتيذ كان الى الامير سرخاب بن بدر بن مهلهل وكان سبب اخذها منه ان القرابلى وهو من قبيل من التركمان يقال لهم سلغر كان قد اتى الى بلاد سرخاب فمنعه من المراعى وقتل جماعة من أصحابه فمضى قرابلى الى التركمان واستجاش بهم وجاء في عسكر كثير فلقيه سرخاب وقاتله فقتل قرابلى من أصحابه الاكراد قريبا من الفى رجل وانهزم سرخاب الى بعض جباله في عشرين رجلا فلما سمع المستحفظان بقلعة خفتيذ كان ذلك وكانا رجلين حدثتهما أنفسهما بالاستيلاء عليها وكان بها ذخائره وأمواله وقدرها يزيد على الفى ألف دينار فتملكاها واجتاز بها السلطان بركيارق فانفذا اليه مائتى ألف دينار واستولى التركمان على جميع بلاد سرخاب بن بدر سوى دقوقا وشهرزور فلما كان هذا الوقت قتل أحد المستحفظين الآخر وارسل الى سرخاب يطلب منه الامان ليسلم اليه القلعة فامنه على نفسه وعلى ماحصل بيده من أموالها فسلمها اليه ووفى له

(ذكر قتل قدرخان صاحب سمرقند)

قد ذكرنا قبل قدوم الملك سنجر مع أخيه السلطان محمد الى بغداد وعوده الى خراسان

فاذا أخضر والهم مظلوبهم فلا يجب كبيرهم ويطالب خلافه أحمر أو أصفر واتفق ان بعضهم دخل عليه بيته باشا بجماعته فلم يزل به حتى صانحه على شال يأخذه ويترك له داره فاتاه بشال أصفر فاظهر انه لا يريد الا الاحمر الدودة فلم يسعه الا الرضا واراد ان يرد الاصفر ويأتيه بالاحمر فحجزه وقال دعه حتى تأتى بالاحمر فاختار منهما الذى يعجبنى فلما أتاه بالاحمر ضمه الى الاصفر واخذ الاثنين ثم انصرف عنه وذلك خلاف ما يأخذونه من الدراهم فاذا انصرفوا وظن صاحب الدار انهم انحلوا عنه فيأتيه بعد يومين أو ثلاثة خلافهم ويقع في ورطة أخرى مثل الاولى او أخف او أعظم منها وبعضهم يدخل الدار ويسكنها بالتحيل والملاطفة مع صاحب الدار فيقول له يا أخى يا حبيبى أنا معى ثلاثة انفارا واربعة لاغير ونحن مسافرون بعد عشرة ايام والقصد ان تفسح لنا انقيم في محل الرجال وانت بحريمك في مكانهم اعلى الدار فيظن صدقهم ويرضى بذلك على تخوف وكره فيعبرون ويجلسون كما قالوا في محل الرجال ويربطون خيولهم في الحوش ويعلقون اسلحتهم ويقولون نحن صرنا ضيوفك فاذا اراد أن يرفع فرش المكان يقولون نحن نجلس على الحصير والبلاط واى شئ يصيب الفرش فيتركه حياء وقهرا ثم يطلبون الطعام والشراب فما يسعه الا ان يتكلف لهم ذلك في اوقاته

فلما

فلما وصل الى نيسابور خطب لاخيه محمد بخراسان جميعها ولما كان ببغداد طمع قدرخان جبريل بن عمر صاحب سمرقند فى خراسان لبعده عنها وجمع عساكر ملأت الارض قيل كانوا مائة ألف مقاتل فيهم مسلمون وكفار وقصد بلاد سنجر وكان امير من امراء سنجر اسمه كندغدى قد كاتب قدرخان بالاخبار واعلمه مرض سنجر بعد عوده الى بلاده وانه قد اشفى على الهلاك وقوى طمعه بالاختلاف الواقع بين السلطانين بركيارق ومحمد وبشدة عداوة بركيارق لسنجر واشار عليه بالسرعة مهما الاختلاف واقع وانه متى اسرع ملك خراسان والعراق فبادر قدرخان واقدم وقصد البلاد فبلغ السلطان سنجر الخبر وكان قد عوفى فبادر وسار نحوه وقاصدا قتاله ومنعه عن البلاد وكان من جملة من معه كندغدى المذكور وهو لا يتهمه بشئ مما فعل فوصل الى بلخ فى ستة آلاف فارس فبقى بينه وبين قدرخان نحو خمسة أيام فهرب كندغدى الى قدرخان وحلف كل واحد منهما لصاحبه على الاتفاق والمناصحة وسار من عنده الى ترمذ فملكها وكان الباعث للكندغدى على ما فعل حسده للامير برغش على منزلته ثم تقدم قدرخان فلما تدانى العسكران ارسل سنجر يذكر قدرخان العهود والمواثيق القديمة فلم يصغ الى قوله واذكى سنجر العيون والجواسيس على قدرخان فكان لا يخفى عنه شئ من خبره فاتاه من اخبره انه نزل بالقرب من بلخ وانه خرج متصيدا فى ثلثمائة فارس فندب سنجر عند ذلك الامير برغش لقصده فسار اليه فلحقه وهو على تلك الحال فقاتله فلم يصبر من مع قدرخان فانهزموا واسر كندغدى وقدرخان واحضرهما عند سنجر فاما قدرخان فانه قبل الارض واعتذر فقال له سنجر ان خدمتنا اولم تخدمنا فما جزاؤك الا السيف ثم امر به فقتل فلما سمع كندغدى الخبر نجا بنفسه ونزل فى قناة ومشى فيها فرسخين تحت الارض على ما به من النقرس وقتل فيها حيتين عظيمتين وسبق أصحابه الى مخرجها وسار منها فى ثلثمائة فارس الى غزنة وقيل بل جمع سنجر عساكر كثيرة والتقى هو وقدرخان وجرى بينهما مصاف وقتال عظيم كثر فيه القتل فيهم فانهزم قدرخان وعسكره وحمل اسيرا الى سنجر فقتله وحصر ترمذ وبها كندغدى فطلب الامان فامنه سنجر ونزل اليه وسلم ترمذ فامره سنجر بمفارقة بلاده فسار الى غزنة فلما وصل اليها أكرمه صاحبها علاء الدولة وحل عنده المحل الكبير واتفق ان صاحب غزنة عزم على قصد داوتان وهى جبال منيعة على أربعين فرسخا من غزنة وقد عصى عليه فيها قوم وتحصنوا بمعاقلها وعورمسالكها فقاتلهم عسكر علاء الدولة فلم يظفروا منهم بطائل فتقدم كندغدى منفردا عنهم فابلى بلاء حسنا ونصر عليهم واخذ غنائمهم وحملها الى علاء الدولة فلم يقبل منها شيئا ووفرها عليه فغضب العسكر وحسدوه على ذلك وعلى قربه من صاحبهم ونفاقه عليه فاشاروا بقبضه وقالوا انا لا نامن ان يقصد بعض الاماكن فيفعل فى أمر الدولة ما لا يمكن تلافيه فقال قد تحققت قصدكم ولكن بمن أقبض عليه فانى اخاف ان آمركم بالقبض عليه فينالكم منه ما تفتضحون به فقالوا الصواب ان توليه ولاية ويقبض عليه اذا سار اليها فولاه حصنين جرت عادته ان يسجن فيهما من

ويستعملون الاوانى ويطلبون ما يحتاجون اليه مثل الطشت والابريق وغير ذلك ثم تاتيهم رفقاؤهم شيئا فشيئا ويدخلون ويخرجون وبايديهم الاسلحة ويضيق عليهم المكان فيقولون اصحاب المكان أخل لنا محلا آخر فى الدار ووق لرفقائنا فان قال ليس عندنا محل آخر اوقصر فى مطلوب ابتدأوه بالقسوة فعند ذلك يعلم صاحب الدار أنهم لا انفكاك لهم عن المكان وربما مضت العشرة ايام او اقل او اكثر وظهرت قبائحهم وقذروا المكان وأحرقوا البسط والحصر بما يتساقط عليها من الجمر من شربهم النارجيلات والتنباك والدخان وشربوا الشراب وعربدوا وصرخوا وصفقوا وغنوا بلغاتهم المختلفة وفقعت رائحة العرقى فى المنزل فيضيق صدر الرجل وصدر اهل بيته ويطيب خاطرهم على الخروج والنقلة فيطلبون لانفسهم مسكنا ولو مشتركا عند اقاربهم او معارفهم وتخرج النساء فى غفلة بثيابهن وما يمكنهن حمله ثم يشرعون فى اخراج المتاع والاوانى والنحاس والفرش فيحجزونه منهم ويقولون اذا اخذتم ذلك فعلى اى شئ نجلس وفى اى شئ نطبخ وليس معنا فرش ولا نحاس والذى كان معنا استهلك منا فى السفر والجهاد ودفع الكفار عنكم وانتم مستريحون فى بيوتكم وعند حريمكم فيقع النزاع وينفصل الامر بينهم وبين صاحب الدار

يخاف جانبه فسار اليهما فلما قاربهما عرف ما اراد منه فاحرق جميع ماله ونحر جماله وسار جريدة وكان في مدة مقامه بغزنة يسال عن الطرق وتشعبها فانه ندم على قصد تلك الجهة فلما سار سال راعيا عن الطريق التي يريدها فدله فاخذه معه خوفا ان يكون قد غره ولم يزل سائرا الى ان وصل الى قريب هراة فمات هناك وهو من مماليك تتش ابن الب ارسلان الذي كحله اخوه ملكشاه وسجنه بتكريت وقد تقدم ذكر حادثته

(ذكر ملك محمد خان سمرقند)

في هذه السنة احضر السلطان سنجر محمد ارسلان خان بن سليمان بن داود بغراخان من مرو وملكه سمرقند بعد قتل قدرخان وكان هذا محمد خان من اولاد الخانية بما وراء النهر وامه ابنة السلطان ملكشاه فدفع عن ملك آبائه فقصد مرو واقام بها الى الآن فلما قتل قدرخان ولاه سنجر اعماله وسير معه العساكر الكثيرة فعبروا النهر فاطاعه العساكر بتلك البلاد جميعها وعظم شانه وكثرت جموعه الا انه انتصب له امير اسمه صاغو بك ونازعه في الملك فطمع فيه فجرى له معه حروب احتاج في بعضها الى الاستنجاد بعساكر سنجر على ما نذكره بعد ان شاء الله تعالى ولما ملك محمد خان البلاد احسن الى الرعايا بوصية من سنجر وحقن الدماء وصار بابه مقصدا وجنابه ملجا

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في ربيع الاول خرج تاج الرؤساء ابن اخت امين الدولة ابي سعد بن الموصلايا الى الحلة السيفية مستجيرا بسيف الدولة صدقة وسبب ذلك ان الوزير الاعز وزير السلطان بركيارق كان ينسب اليه انه هو الذي يميل جانب الخليفة الى السلطان محمد فسار خائفا واعتزل خاله امين الدولة الديوان وجلس في داره فلما قتل الوزير الاعز على ما ذكرناه عاد تاج الرؤساء من الحلة الى بغداد وعاد خاله الى منصبه وفي ربيع الاول ايضا ورد العميد المهذب ابو المجد اخو الوزير الاعز الى بغداد نائبا عن اخيه ظنا منه ان ايلغازي لا يخالفهم حيث كان بركيارق ومحمد قد اتفقا كما ذكرناه فقبض عليه ايلغازي ولم يتغير عن طاعة محمد وفيها في جمادى الاولى ورد الى بغداد ابن تكش بن الب ارسلان وكان قد استولى على الموصل فخدعه من كان بها حتى يسير عنها الى بغداد ففعل فلما وصل اليها زوجه ايلغازي بن ارتق ابنته وفيها في شهر رمضان استوزر الخليفة سديد الملك ابا المعالي بن عبد الرزاق ولقب عضد الدين وفيها في صفر قتل الربعيون بهيت قاضي البلد ابا علي بن المثنى وكان ورعا فقيها حنفيا من اصحاب القاضي ابي عبد الله الدامغاني وكان هذا القاضي على ما جرت به عادة القضاة هناك من الدخول بين القبائل فنسبوه في ذلك الى التحامل عليهم فقتله احدهم فندم الباقون على قتله وقد فات الامر وفيها بنى سيف الدولة صدقة بن مزيد الحلة بالجامعين وسكنها وانما كان يسكن هو وآباؤه قبله في البيوت العربية وفي جمادى الاولى قتل المؤيد بن شرف الدولة مسلم بن قريش امير بني عقيل قتله بنو نمير عند هيت قصاصا

اما بترك الدار عافيها او بالمقاسمة والمصالحة بالترجي والوسايط ونحو ذلك وهذا الامر يقع لاعيان الناس والمقيمين بالبلدة من الامراء والاجناد المصريين واتباعهم ونحوهم ثم انهم تعدوا الى الحارات والنواحي التي لم يتقدم لهم السكنى بها قبل ذلك مثل نواحي المشهد الحسيني وخلف الجامع المؤيدي والخرنفش والجمالية حتى ضاقت المساكن بالناس لقلتها وصار بعض المحتشمين اذا سكن بجواره عسكري يتحول من داره ولو كانت ملكه بعدا من جوارهم وخوفا من شرهم وتسلقهم على الدار لانهم يصعدون على الاسطح والحيطان ويتطلعون على من بجوارهم ويرمون بالبندقيات والطبنجات ومما اتفق ان كبيرا منهم دخل بطائفته الى منزل بعض الفقهاء المعتبرين وامره بالخروج منها ليسكن هو بها فاخبره انه من مشايخ العلم فلم يلتفت لقوله فتركه ولبس عمامته وركب بغلته وحضر الى اخوانه المشايخ واستغاث بهم فركب معه جماعة منهم وذهبوا الى الدار ودخلوا اليها راكبين بغالهم فعندما شاهدهم العسكر وهم واصلون في كبكبة اخذوا اسلحتهم وسحبوا عليهم السيوف فرجع البعض هاربا وثبت الباقون ونزلوا عن بغالهم وخاطبوا كبيرهم وعرفوه انه دار العالم الكبير وهذا لا يناسب وان النصارى واليهود يكرمون

وفيها

وفيها توفي القاضي البندنيجي الضرير الفقيه الشافعي انتقل الى مكة فجاور بها اربعين سنة يدرس الفقه ويسمع الحديث و يشتغل بالعبادة وفيها توفي ابو عبد الله الحسين ابن محمد الطبري باصبهان وكان يدرس فقه الشافعي بالمدرسة النظامية وقد جاوز تسعين سنة وهو من اصحاب ابي اسحق وفيها توفي الامير منظور بن عمارة الحسيني امير المدينة على ساكنها الصلاة والسلام وقام ولده مقامه وهو من ولد المهنا وقد كان قتل المعمار الذي انفذه مجد الملك البلاساني لعمارة القبة التي على قبر الحسن بن علي والعباس رضي الله عنهما وكان من اهل قم فلما قتل البلاساني قتله منظور بعد ان امنه وكان قد هرب منه الى مكة فارسل اليه بامانه

(ثم دخلت سنة ست وتسعين واربعمائة)

(ذكر استيلاء ينال على الري واخذها منه ووصوله الى بغداد)

كانت الخطبة بالري للسلطان بركيارق فلما خرج السلطان محمد من اصبهان على ماذكرناه ومعه ينال بن انوشتكين الحسامي استاذنه في قصد الري واقامة الخطبة له بها فاذن له فسار هو واخوه علي بن انوشتكين فوصلا اليها في صفر فاطاع من بها من نواب بركيارق وخطب لمحمد بالري واستولى ينال على البلد وعسف اهله وصادرهم بمائتي الف دينار واقام بها الى النصف من ربيع الاول فورد اليه الامير برسق بن برسق من عند السلطان بركيارق فوقع القتال بينهم على باب الري فانهزم ينال واخوه على فاما على فعاد الى ولايته قزوين وسلك ينال الجبال فقتل من اصحابه كثير وتشتتوا فاتى الى بغداد في سبعمائة رجل فاكرمه الخليفة واجتمع هو وايلغازي وسقمان ابنا ارتق بمشهد ابي حنيفة وتحالفوا على مناصحة السلطان محمد وساروا الى سيف الدولة صدقة فحالف لهم ايضا على ذلك وعادوا

(ذكر مافعله ينال بالعراق)

قد ذكرنا وصول ينال بن انوشتكين الى بغداد قبل فلما استقر ببغداد ظلم الناس بالبلاد جميعا وصادرهم واستطال اصحابه على العامة بالضرب والقتل والتقسيط وصادر العمال فارسل اليه الخليفة قاضي القضاة ابا الحسن الدامغاني ينهاه عن ذلك و يقبح عنده مايرتكبه من الظلم والعدوان وتردد ايضا الى ايلغازي وكان ينال قد تزوج هذه الايام باخته وهي التي كانت زوجة تاج الدولة تتش حتى توسط الامر معه فضوا اليه وحلفوه على الطاعة وترك ظلم الرعية وكف اصحابه ومنعهم فحلف ولم يف باليمين ونكث ودام على الظلم وسوء السيرة فارسل الخليفة الى سيف الدولة صدقة وعرفه مايفعله ينال من نهب الاموال وسفك الدماء وطلب منه ان يحضر بنفسه ليكف ينال فسار من حلته في رمضان ووصل بغداد رابع شوال وضرب خيامه بالنجمي واجتمع هو و ينال وايلغازي ونواب ديوان الخليفة وتقررت القواعد على مال ياخذه ويرحل عن العراق فطلب ينال المهلة فعاد صدقة عاشر شوال الى حلته وترك ولده

قسمهم وديانهم وانتم اولى بذلك لانكم مسلمون فقالوا لهم في الجواب انتم لستم بمسلمين لانكم كنتم تمشون علك النصارى لبلادكم وتقولون انهم خيرمنا ونحن مسلمون ومجاهدون طردنا النصارى واخرجناهم من البلاد فنحن أحق بالدور منكم ونحو ذلك من القول الشنيع ثم لم يزالوا في معالجتهم الى ثاني يوم ولم ينصرفوا عن الدار حتى دفعوا لهم مائتي قرش وشال كشمير لكبيرهم وفعل مثل ذلك بعدة بيوت دخلها على هذه الصورة وأخذ منها اكثر من ذلك ومنها دار اسمعيل أفندي صاحب العيار بالضربخانه وهو رجل معتبر اخذ منه خمسمائة قرش وشال كشمير وفعل مثل ذلك بغيرهم هو وامثاله ولما اكثر الناس من التشكي للباشا وللكتخدا قال الكتخدا الناس قاتلوا وجاهدوا اشهرا واياما وقاسوا ماقاسوه في الحر والبرد والطل حتى طردوا عنكم الكفار واجلوهم عن بلاد افلا تسعونهم في السكنى ونحو ذلك من القول (ولما) انقضى هذا الامر واستقر الباشا واطمان خاطره وخلص له الاقليم المصري وثغر الاسكندرية الذي كان خارجا عن حكمه حتى قبل مجئ الانكليز فان الاسكندرية كانت خارجة عن حكمه فلما حصل مجئ الانكليز وخروجهم صار الثغر في حكمه ايضا فاول مابدأ به انه ابطل مسموح المشايخ والفقهاء ومعافي البلاد التي التزموا

دبيسا ببغداد لمنعه من الظلم والتعدي عما استقر الامر عليه فبقي ينال الى مستهل ذي القعدة وسار الى اوانا فنهب وقطع الطريق وعسف الناس وبالغ في الفعل القبيح واقطع القرى لاصحابه فارسل الخليفة الى صدقة في ذلك فارسل الف فارس وساروا اليه ومعهم جماعة من اصحاب الخليفة وايلغازي شحنة بغداد فلما سمع ينال بقربهم منه عبر دجلة وسار الى باجسرى وشعثها وقصد شهرابان فمنعه اهلها فقاتلهم فقتل بينهم قتلى ورحل عنهم وسار الى اذربيجان قاصدا الى السلطان محمد وعاد دبيس بن صدقة وايلغازي شحنة بغداد الى مواضعهم

(ذكر وصول كمشتكين القيصري شحنة الى بغداد والفتنة بينه وبين ايلغازي وسقمان وصدقة)

في هذه السنة منتصف ربيع الاول ورد كمشتكين القيصري الى بغداد شحنة ارسله اليها السلطان بركيارق وقد ذكرنا في السنة المتقدمة رحيل بركيارق من اصبهان الى همذان فلما وصلها ارسل الى بغداد كمشتكين شحنة فلما سمع ايلغازي وهو شحنة ببغداد للسلطان محمد ارسل الى اخيه سقمان بن ارتق صاحب حصن كيفا يستدعيه اليه ليعتضد به على منعه وسار الى سيف الدولة صدقة بالحلة واجتمع به وساله تجديد عهد في دفع من يقصده من جهة بركيارق فاجابه الى ذلك وحلف له فعاد ايلغازي وورد سقمان في عساكره ونهب في طريقه تكريت وسبب تمكنه منها انه ارسل جماعة من التركمان الى تكريت معهم احمال جبن وسمن وعسل فباعوا وامامعهم واظهروا ان سقمان قد عاد عن الانحدار فاطمان اهل البلد ووثب التركمان تلك الليلة على الحراس فقتلوهم وفتحوا الابواب وورد اليها سقمان ودخلها ونهبها ولما وصل الى بغداد نزل بالرملة واما كمشتكين فوصل اول ربيع الاول الى قرميسين وارسل الى من له هوى مع بركيارق واعلمهم بقربه منهم فخرج اليه جماعة منهم فلقوه بالبندنيجين واعلموه الاحوال واشاروا عليه بالمعاجلة فاسرع السير فوصل الى بغداد منتصف ربيع الاول وفارق ايلغازي داره واجتمع باخيه سقمان واصعدا من الرملة ونهبا بعض قرى دجيل فسار طائفة من عسكر كمشتكين وراءهما ثم عادوا عنهما وخطب للسلطان بركيارق ببغداد فارسل كمشتكين القيصري الى سيف الدولة صدقة ومعه حاجب من ديوان الخليفة في طاعة بركيارق فلم يجب الى ذلك وكشف القناع ببغداد في مخالفته وسار من الحلة الى جسر صرصر فقطعت خطبة بركيارق ببغداد ولم يذكر على منابرها احد من السلاطين واقتصر الخطباء على الدعاء للخليفة لا غير ولما وصل سيف الدولة الى صرصر ارسل الى ايلغازي وسقمان وكانا بحربى يعرفهما انه قد اتى لنصرتهما فعادا ونهبا دجيلا ولم يبقيا على قرية كبيرة ولا صغيرة واخذت الاموال وافتضت الابكار ونهب العرب والاكراد الذين مع سيف الدولة نهر ملك الا انهم لم ينقل عنهم مثل التركمان من اخذ النساء والفساد معهن لكنهم استقصوا في اخذ الاموال بالضرب والاحراق وطلبت

بها لانه لما ابتدع المغارم والشهريات والغرض التي فرضها على القرى ومظالم الكشوفية جعل ذلك عاما على جميع الالتزامات والحصص التي بايدي جميع الناس حتى اكابر العسكر واصاغرهم ما عدا البلاد والحصص التي للمشايخ خارجة عن ذلك ولا يؤخذ منها نصف الفائظ ولا ثلثه ولا ربعه وكذلك من ينتسب لهم او يحتمي فيهم ويأخذون الجعالات والهدايا من اصحابها ومن فلاحيهم تحت حمايتها ونظير صيانتها واغتروا بذلك واعتقدوا دوامه واكثروا من شراء الحصص من اصحابها المحتاجين بدون القيمة وافتتنوا بالدنيا وهجروا مذاكرة المسائل ومدارسة العلم الا بقدر حفظ الناموس مع ترك العمل بالكلية وصار بيت احدهم مثل بيت احد الامراء الالوف الاقدمين واتخذوا الخدم والمقدمين والاعوان واجروا الحبس والتعزير والضرب بالفلقة والكرابيج المعروفة بزب الفيل واستخدموا كتبة الاقباط وقطاع الجرائم في الارساليات للبلاد وقدروا حق طرق لاتباعهم وصارت لهم استعجالات وتحذيرات وانذارات عن تاخر المطلوب مع عدم سماع شكاوى الفلاحين ومخاصمتهم القديمة مع بعضهم وموجبات التحاسد والكراهية المجبولة والمركوزة في طباعهم الخبيثة وانقلب الوضع فيهم بضده وصار ديدنهم واجتماعهم ذكر الامور الدنيوية والحصص

معايش

معايش الناس وغلت الاسعار فكان الخبز يساوى عشرة أرطال بقيراط فصار ثلاثة ارطال بقيراط وجميع الاشياء كذلك فارسل الخليفة الى سيف الدولة فى الاصلاح فلم تستقر قاعدة وعاد ايلغازى وسقمان ومعهما دبيس بن سيف الدولة صدقة من دجيل فخيموا بالرملة فقصدهم جماعة كثيرة من العامة فقاتلهم فقتل من العامة أربعة نفر واخذ منهم جماعة فاطلقوا بعد ان اخذت اسلحتهم واذداد الامر شدة على الناس فارسل الخليفة قاضى القضاة أبا الحسن بن الدامغانى وتاج الرؤساء بن الموصلايا الى سيف الدولة يامره بالكف عن الامر الذى هو ملابسه ويعرفه ما الناس فيه ويعظم الامر عليه فاظهر طاعة الخليفة ان أخرج القيصرى من بغداد والا فليس غير السيف وأرعد وأبرق فلما عاد الرسول استقر الامر على اخراج القيصرى من بغداد ففارقها ثانى عشر ربيع الآخر وسار الى النهروان وعاد سيف الدولة الى بلده واعيدت خطبة السلطان محمد ببغداد وسار القيصرى الى واسط فخاف الناس منه واراد والانحدار منها اليامنه وافنعهم القيصرى وخطب لبركيارق بواسط ونهبوا كثيرا من سوادها فلما سمع صدقة ذلك سار الى واسط فدخلها وعدل فى اهلها وكف عسكره عن اذاهم ووصل اليه ايلغازى بواسط وفارقها القيصرى ونزل متحصنا بدجلة فقيل لسيف الدولة ان هناك مخاضة فسار اليها بعسكره وقد لبسوا السلاح فلما رآهم عسكر القيصرى تفرقوا عنه وبقى فى خواص أصحابه فطلب الامان من سيف الدولة فامنه فحضر عنده فاكرمه وقال له قد سمعت قال وتركتنا نسمن أخرجتنا من بغداد ثم من واسط ونحن لانعقل ثم بذل صدقة الامان لجميع عسكر واسط ومن كان مع القيصرى سوى رجلين فعادوا اليه فامنهم وعاد القيصرى الى بركيارق وأعيدت خطبة السلطان محمد بواسط وخطب بعده لسيف الدولة وايلغازى واستناب كل واحد منهما فيها ولده وعادا عنها فى العشرين من جمادى الاولى وأمن أهل واسط مما كانوا يخافونه فاما ايلغازى فانه أصعد الى بغداد وأما سيف الدولة صدقة فانه عاد الى الحلة وأرسل ولده الاصغر منصورا مع ايلغازى الى المستظهر بالله يساله الرضا عنه فانه كان قد سخط بسبب هذه الحادثة فوصل الى بغداد وخاطب فى ذلك فاجيب اليه

(ذكر استيلاء صدقة على هيت)

كانت مدينة هيت لشرف الدولة مسلم بن قريش اقطعه اياها السلطان الب ارسلان ولم تزل معه حتى قتل فنظر فيها عمداء بغداد الى ان مات السلطان ملكشاه ثم أخذها اخوه تتش بن الب ارسلان فلما استولى السلطان بركيارق اقطعها لبهاء الدولة ثروان ابن وهيب بن وهيبة واقام هو وجماعة من بنى عقيل عند سيف الدولة صدقة وكانا متصافيين وكان صدقة يزوره كثيرا ثم تنافرا وكان سبب ذلك ان صدقة زوج بنتا له من ابن عمه وكان ثروان قد خطبها فلم يجبه الى ذلك فتحالفت عقيل وهم فى حلة سيف الدولة ان يكونوا يدا واحدة عليه فانكر صدقة ذلك وحج ثروان عقيب ذلك وعاد

والالتزام وحساب الميرى والغائظ والمضاف والرماية والمرافعات والمراسلات والتشكى والتشبى مع الاقباط واستدعاء عظمائهم فى جمعياتهم وولائمهم والاعتناء بشانهم والتفاخر بترددهم والتردادعليهم والمهاداة فيما بينهم الى غير ذلك مما يطول شرحه واوقع مع ذلك زيادة عما هو بينهم من التنافر والتحاسد والتحاقد على الرياسة والتفاقم والتكالب على سفاسف الامور وحظوظ الانفس على الاشياء الواهية مع ما جبلوا عليه من الشح والشكوى والاستجداء وفراغ الاعين والتطلع للتطفل فى ولائم الاغنياء والقراء والمعاتبة عليها ان لم يدعوا اليها والتعريض بالطلب واظهار الاحتياج لكثرة العيال والاتباع واتساع الدائرة وارتكابهم الامور المخلة بالمروءة المسقطة للعدالة كالاجتماع فى سماع الملاهى والاغانى والقيان والآلات المطربة واعطاء الجوائز والنقوط بمناداة الخلبوص وقوله واعلاماه فى السامر وهو يقول فى سامر الجمع بمسمع من النساء والرجال من عوام الناس وخواصهم برفع الصوت الذى يسمعه القاصى والدانى وهو يخاطب رئيسة المغانى ياستى حضرة شيخ الاسلام والمسلمين مفيد الطالبين الشيخ العلامة فلان منه كذا وكذا من النصيفات الذهب قدر مسماه كثير وجرمه قليل نتيجته التفاخر الكذب

مريضا فوكل به صدقة وقال لابد من هيت فارسل ثروان حاجبه وكتب خطه بتسليم البلد اليه وكان بهيت حينئذ محمد بن رافع بن رفاع بن ضبيعة بن مالك بن مقلد بن جعفر وارسل صدقة ابنه دبيسا مع الحاجب ليتسلمها فلم يسلم اليه محمد فعاد دبيس الى أبيه فلما اخذ صدقة واسطا هذه النوبة أصعد فى عسكره الى هيت فخرج اليه منصور ابن كثير ابن أخى ثروان ومعه جماعة من أصحابه فلقوا سيف الدولة وحاربوه ساعة من النهار ثم ان جماعة من الربعيين فتحوا لسيف الدولة البلد فدخله أصحابه فلما رأى ذلك منصور ومن معه سلموا البلد اليه فملكه يوم نزوله وخلع على منصور وجماعة من وجوه أصحابه وعاد الى حلته واستخلف عليه ابن عمه ثابت بن كامل

﴿ذكر الحرب بين بركيارق ومحمد﴾

فى هذه السنة ثامن جمادى الآخرة كان المصاف الخامس بين السلطان بركيارق والسلطان محمد وكانت كنجة وبلاد اران جميعها للسلطان محمد وبها عسكره ومقدمهم الامير غزغلى فلما طال مقام محمد باصبهان محصورا توجه غزغلى والامير منصور بن نظام الملك وابن أخيه محمد بن مؤيد الملك بن نظام الملك قاصدين لنصرته ليراهم بعين الطاعة كان آخر ما تقام فيه الخطبة لمحمد زنجان مما يلى اذربيجان فوصلوا الى الرى فى العشرين من ذى الحجة سنة خمس وتسعين ففارقه عسكر بركيارق ودخلوه واقاموا به ثلاثة ايام ووصلهم الخبر بخروج السلطان محمد من اصبهان وانه وصل الى ساوة فساروا اليه ولحقوه بهمذان ومعه ينال وعلى ابنا انوشتكين الحسامى فبلغ عدتهم ستة آلاف فارس فاقاموا بها الى اواخر المحرم فاتاهم الخبر بان السلطان بركيارق قد أتاهم فتلونوا فى رأيهم فسار ينال وعلى ابنا أنوشتكين الى الرى على ما ذكرناه وعزم السلطان محمد على التوجه الى شروان فوصل الى اردبيل فارسل اليه الملك مودود بن اسمعيل بن ياقوتى صاحب بعض اذربيجان وكانت قبله لابيه اسمعيل بن ياقوتى وهو خال السلطان بركيارق وكانت اخته زوجة السلطان محمد وهو مطالب السلطان بركيارق بثار ابيه وقد تقدم مقتله اول دولة بركيارق وقال له ينبغى ان تقدم الينا لتجتمع كلمتنا على طاعتك وقتال خصمنا فسار اليه محمد اوتصيد فى طريقه بين اردبيل وبيلقان وانفرد عن عسكره فوثب عليه نمر وهو غافل فجرح السلطان محمدا فى عضده فاخذ سكينا وشق بها جوف النمر فالقاه عن فرسه ونجا ثم ان مودود بن اسمعيل توفى فى النصف من ربيع الاول وعمره اثنتان وعشرون سنة ولما بلغ بركيارق اجتماع السلطان محمد والملك مودود سار غير متوقف فوصل بعد موت مودود وكان عسكر مودود قد اجتمعوا على طاعة السلطان محمد وحلفوا له وفيهم سكمان القبطى ومحمد بن باغيسيان الذى كان أبوه صاحب انطاكية وقزل ارسلان بن السبع الاحمر فلما وصل بركيارق وقعت الحرب بينهما على باب خوى من أذربيجان عند غروب الشمس ودامت الى العشاء الآخرة فاتفق ان الامير اياز أخذ معه خمسمائة فارس مستريحين

والازدراء بمقام العلم بين العوام واوباش الناس الذين اقتدوا بهم فى فعل المحرمات الواجب عليهم النهى عنها كل ذلك من غير احتشام ولا مبالاة مع التضاحك والقهقهة المسموعة من البعد فى كل مجمع ومواظبتهم على الهزليات والمضحكات والفاظ الحكاية المعبر عنها عند اولاد البلد بالانقاط والتنافس فى الاحداث الى غير ذلك (وفيه) فتحوا الطلب من الملتزمين ببواقى الميرى على اربع سنوات ماضية (وفى عاشره) فتحوا ايضا دفاتر الطلب بميرى السنة القابلة ووجهوا الطلب بها الى العسكر فدهى الناس بدواه متوالية منها خراب القرى بتوالى المظالم والمغارم والكلف وحق الطرق والاستعجالات والتساويف والبشارات فكان أهل القرية النازل بها ذلك ينتقلون الى القرية المحمية لشيخ من الاشياخ وقد بطلت الحماية ايضا حينئذ ثم انزلوا بالبنادر مغارم عظيمة لها قدر من الاكياس الكثيرة وذلك عقب فرضة البشارة مثل دمياط ورشيد والمحلة والمنصورة مائة كيس وخمسون كيسا ومائة وخمسون واكثر واقل (وفى اثناء ذلك) قرروا ايضا فرضة غلال وسمن وشعير وفول على البلاد والقرى وان لم يجد المعينون للطلب شيئا من الدراهم عند الفلاحين اخذوا مواشيهم وابقارهم لتاتى اربابها ويدفعوا

وجمل

وحمل بهم وقد اعيا العسكر من الجهتين على عسكر السلطان محمد فكسرهم وولوا الادبار لا يلوى أحد على أحد فاما السلطان بركيارق فانه قصد جبلا بين مراغة وتبريز كثير العشب والماء فاقام به أياما وسار الى زنجان وأما السلطان محمد فانه سار مع جماعة من أصحابه الى ارجيش من بلاد ارمينية على اربعين فرسخا من الوقعة وهى من اعمال خلاط من جملة اقطاع الامير سكمان القبطى وسار منها الى خلاط واتصل به الامير على صاحب ارزن الروم وتوجه الى آنى وصاحبها منوجهر اخو افضلون الروادى ومنها سار الى تبريز من اذربيجان وسنذكر باقى أخبارهم سنة سبع وتسعين عند صلحهم ان شاء الله تعالى وكان الامير محمد بن مؤيد الملك ابن نظام الملك مع السلطان محمد فى هذه الوقعة فرمنهزما ودخل ديار بكر وانحدر منها الى جزيرة ابن عمر وسار منها الى بغداد وكان فى حياة أبيه يقيم ببغداد فى سوق المدرسة فاتصلت الشكاوى منه الى أبيه فكتب الى كوهرائين بالقبض عليه فاستجار بدار الخلافة وتوجه سنة اثنتين وتسعين الى مجد الملك البلاسانى ووالده حينئذ بكنجة عند السلطان محمد قبل ان يخطب لنفسه بالسلطنة وتوجه بعد قتل مجد الملك الى والده وقد صار وزير السلطان محمد وخطب لمحمد بالسلطنة وبقى بعد قتل والده واتصل بالسلطان محمد وحضر معه هذه الحرب فانهزم

(ذكر عزل سديد الملك وزير الخليفة ونظر أبى سعد بن الموصلايا فى الوزارة)

فى هذه السنة منتصف رجب قبض على الوزير سديد الملك أبى المعالى وزير الخليفة وحبس فى دار بدار الخلافة وكان أهله قد وردوا عليه من أصبهان فنقلوا اليه وكان محبسه جميلا وسبب عزله جهله بقواعد ديوان الخلافة فانه قضى عمره فى اعمال السلاطين وليس لهم هذه القواعد ولما قبض عاد أمين الدولة بن الموصلايا الى النظر فى الديوان ومن عجيب ماجرى من الكلام الذى وقع بعد أيام ان سديد الملك كان يسكن فى دار عميد الدولة بن جهير وجلس فيها مجلسا عاما يحضره الناس لوعظ المؤيد عيسى الغزنوى فانشدوا أبياتا ارتجلها

سديد الملك سدت وخضت بحرا * عميق اللج فاحفظ فيه روحك
وأحى معالم الخيرات واجعل * لسان الصدق فى الدنيا فتوحك
وفى الماضين معتبر فاسرج * مروحك فى السلامة أو جموحك

ثم قال سديد الملك من شرب من مرقة السلطان احترقت شفتاه ولو بعد زمان ثم أشار الى الدار وقرأ وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم فقبض على الوزير بعد أيام

(ذكر ملك الملك دقاق مدينة الرحبة)

فى هذه السنة فى شعبان ملك الملك دقاق بن تتش صاحب دمشق مدينة الرحبة وكانت بيد انسان اسمه قايماز من مماليك السلطان ألب ارسلان فلما قتل كربوقا استولى عليها فسار دقاق وطغتكين اتابكه اليه وحصراه بها ثم رحل عنه وتوفى قايماز هذه

ماتقرر عليهم ويأخذوها ويتركونها بالجوع والعطش فعند ذلك يدعونها على الجزارين ويرمونها عليهم قهرا باقصى القيمة ويلزمونهم باحضار الثمن فان تراخوا وعجزوا اشتدوا عليهم بالحبس والضرب (وفى يوم الخميس ثالث عشره) مر الباشا فى ناحية سويقة العزى سائرا الى ناحية بيت بلغيا وهناك المكتب فوق السبيل الذى بين الطريقين تجاه من ياتى من تلك الناحية فطلع الى ذلك المكتب شخصان من العسكر يرصدان الباشا فى مروره فحينما اتى مقابلا لذلك المكتب اطلقا فى وجهه بروتين فاخطاتاه واصابت احدى الرصاصتين فرس فارس من الملازمين حوله فسقط ونزل الباشا عن جواده على مصطبة حانوت مغلقة وأمر الخدم باحضار الكامنين بذلك المكتب فطلعوا اليهما وقبضوا عليهما ثم حضر كبيرهم من دار قريبة من ذلك المكان واعتذر الى الباشا بانهما مجنونان وسكرانان فامره باخراجهما وسفرهما من مصر وركب وذهب الى داره (وفى يوم الاثنين ثالث عشرينه) اجتمع عسكر الارنؤد والترك على بيت محمد على باشا وطلبوا علائفهم فوعدهم بالدفع فقالوا الانصبر وضربوا بنادق كثيرة ولم يزالوا واقفين ثم انصرفوا وتفرقوا وتحت البلد وارسل السيد عمر الى أهل الغورية والعقادين والاسواق يامرهم برفع

بضائعهم من الحوانيت ففعلوا واغلقوها ١٥٣ فلما كان قبيل الغروب وصل الى بيت الباشا طائفة الدلاتيه وضربوا
أيضا بنادق فضرب عليهم
عسكر الباشا كذلك فقتل
من الدلاة أربعة أنفار وانجرح
بعضهم فانكفوا ورجعوا وبات
الناس متخوفين وخصوصا
نواحى الازهر واغلقوا
البوابات من بعد الغروب
وسهروا خلفها بالاسلحة
ولم تفتح الا بعد طلوع الشمس
واصبح يوم الثلاثاء والحال
على ما هو عليه من الاضطراب
ونقل الباشا امتعته الثمينة
تلك الليلة الى القلعة وكذلك
فى ثانى يوم ثم انه طلع الى القلعة
فى ليلة الاربعاء وشيعه حسن
باشا الى القلعة ورجع الى
داره ويقال ان طائفة من
العسكر الذين معه بالدار أرادوا
غدره تلك الليلة وعلم ذلك منهم
باشارة بعضهم لبعض رمزا
ففطن لهم وخرج مستخفيا من
البيت ولم يعلم بخروجه الا بعض
خواصه الملازمين له وأكثرهم
أقاربه وبلدياته ولما تحققوا
خروجه من الدار وطلوعه
الى القلعة صرف بونابارته
الخازندار الحاضرين فى
الحال ونقل الامتعة والخزينة
فى الحال وكذلك الخيول
والسروج وخرجت عساكره
يحملون ما بقى من المتاع
والفرش والاوانى الى القلعة
وأشيع فى البلدة ان العساكر
نهبوا بيت الباشا وزاد اللغط
والاضطراب ولم يعلم أحد من الناس حقيقة الحال حتى ولا كبار العسكر وزاد تخوف الناس من العسكر البيت

السنة فى صفر وقام مقامه غلام تركى اسمه حسن فابعد عنه كثيرا من جنده وخطب لنفسه وخاف من دقاق فاستظهر وأخذ جماعة من السلارية الذين يخافهم فقبض عليهم وقتل جماعة من أعيان البلد وحبس آخرين وصادرهم فتوجه دقاق اليه وحصره فسلم العامة البلد اليه واعتصم حسن بالقلعة فامنه دقاق فسلم القلعة اليه فاقطعه اقطاعا كثيرا بالشام وقرر أمر الرحبة وأحسن الى أهلها وجعل فيها من يحفظها ورحل عنها الى دمشق

(ذكر اخبار الفرنج بالشام)

كان الافضل أمير الجيوش بمصر قد أنفذ مملوكا لابيه لقبه سعد الدولة ويعرف بالطواشى الى الشام لحرب الفرنج فلقيهم بين الرملة ويافا ومقدم الفرنج يعرف ببغدوين لعنه الله تعالى وتصافوا واقتتلوا فحملت الفرنج حملة صادقة فانهزم المسلمون وكان المنجمون يقولون لسعد الدولة انك تموت مترديا فكان يحذر من ركوب الخيل حتى انه ولى بيروت وأرضها مفروشة بالبلاط فقلعه خوفا ان تزلق به فرسه أو يعثر فلم ينفعه الحذر عند نزول القدر فلما كانت هذه الوقعة انهزم فتردى به فرسه فسقط ميتا وملك الفرنج خيمه وجميع ما للمسلمين فارسل الافضل بعده ابنه شرف المعالى فى جمع كثير فالتقوا هم والفرنج بيازور بقرب الرملة فانهزم الفرنج وقتل منهم مقتلة عظيمة وعاد من سلم منهم مفلولين فلما رأى بغدوين شدة الامر وخاف القتل والاسر ألقى نفسه فى الحشيش واختفى فيه فلما بعد المسلمون خرج منه الى الرملة وسار شرف المعالى بن الافضل من المعركة ونزل على قصر بالرملة وبه سبعمائة من أعيان الفرنج وفيهم بغدوين فخرج متخفيا الى يافا وقاتل ابن الافضل من بقى خمسة عشر يوما ثم اخذهم فقتل منهم اربعمائة صبرا واسر ثلثمائة الى مصر ثم اختلف اصحابه فى مقصدهم فقال قوم نقصد البيت المقدس ونتملكه وقال قوم نقصد يافا ونملكها فبينما هم فى هذا الاختلاف اذ وصل الى الفرنج خلق كثير فى البحر قاصدين زيارة البيت المقدس فندبهم بغدوين للغزو معه فساروا الى عسقلان وبها شرف المعالى فلم يكن يقوى بهم فلطف الله تعالى بالمسلمين فرأى الفرنج البحرية حصانة عسقلان وخافوا البيات فرحلوا الى يافا وعاد ولد الافضل الى ابيه فسير رجلا يقال له تاج العجم فى البر وهو من اكبر مماليك ابيه وجهز معه اربعة آلاف فارس وسير فى البحر رجلا يقال له القاضى ابن قادوس فى الاسطول على يافا ونزل تاج العجم على عسقلان فاستدعاه ابن قادوس اليه ليتفقا على حرب الفرنج فقال تاج العجم ما يمكننى ان انزل اليك الا بامر الافضل ولم يحضر عنده ولا اعانه فارسل القادوسى الى قاضى عسقلان وشهودها واعيانها واخذ خطوطهم بانه اقام على يافا عشرين يوما واستدعى تاج العجم فلم يأته ولا أرسل رجلا فلما وقف الافضل على الحال أرسل من قبض على تاج العجم وأرسل رجلا لقبه جمال الملك فاسكنه عسقلان وجعله مقدم العساكر الشامية وخرجت هذه السنة وبيد الفرنج لعنهم الله

البيت المقدس وفلسطين ماعدا عسقلان ولهم أيضا يافا وارسوف وقيسارية وحيفا وطبرية ولاذقية وانطاكية ولهم بالجزيرة الرها وسروج وكان صنجيل يحاصر مدينة طرابلس الشام والمواد تاتيها وبها فخر الملك بن عمار وكان يرسل أصحابه فى المراكب يغيرون على البلاد التى بيد الفرنج ويقتلون من وجدوا وقصد بذلك أن يخلوا السواد عن يزرع لتنقل المواد عن الفرنج فيرحلوا عنه

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة سادس المحرم توفيت بنت امير المؤمنين القائم بامر الله التى كانت زوجة السلطان طغرلبك وكانت موصوفة بالدين وكثرة الصدقة وكان الخليفة المستظهر بالله قد الزمها بيتها الانه أبلغ عنها انها تسعى فى ازالة دولته وفيها فى شعبان ايضا استوزر المستظهر بالله زعيم الرؤساء أبا القاسم بن جهير واستقدمه من الحلة من عند سيف الدولة صدقة وقد ذكرنا فى السنة المتقدمة سبب مسيره اليها فلما قدم الى بغداد خرج كل أرباب الدولة فاستقبلوه وخلع عليه الخلع التامة واجلس فى الديوان ولقب قوام الدين وفيه أيضا قتل ابو المظفر بن الخجندى بالرى وكان يعظ الناس فقتله رجل علوى حين نزل من كرسيه وقتل العلوى ودفن الخجندى بالجامع وأصل بيت الخجندى من مدينة خجندة بما وراء النهر وينسبون الى المهلب بن ابى صفرة وكان نظام الملك قد سمع ابا بكر محمد بن ثابت الخجندى يعظ بمرو فاعجبه كلامه وعرف محله من الفقه والعلم فحمله الى اصبهان وصار مدرسا بمدرسته بها فنال جاها عريضا ودنيا واسعة وكان نظام الملك يتردد اليه ويزوره وفيها جمع ساغربك بما وراء النهر جموعا كثيرة وهو من أولاد الخانية وقصد محمد خان الذى ملكه السلطان سنجر سمرقند ونازعه فى ملكها فضعف محمد خان عنه فارسل الى السلطان سنجر يستنجده فسار الى سمرقند فابعد عنه ساغربك وخافه واحتمى منه وارسل يطلب الامان من سنجر والعفو فاجابه الى ما طلب وحضر ساغربك عنده وقرر الصلح بينه وبين محمد خان وحلف كل واحد منهما لصاحبه وعاد الى خراسان فوصل الى مرو فى ربيع الاول سنة سبع وتسعين واربعمائة وفيها توفى ابو المعالى الصالح ساكن باب الطاق وكان مقلا من الدنيا له كرامات ظاهرة

(ثم دخلت سنة سبع وتسعين واربعمائة)

(ذكر ملك بلك بن بهرام بن ارتق مدينة عانة)

فى هذه السنة فى المحرم استولى بلك بن بهرام بن ارتق وهو ابن أخى ايلغازى بن ارتق على مدينة عانة والحديثة وكان له مدينة سروج فاخذها الفرنج منه فسار عنها الى عانة واخذها من بنى يعيش بن عيسى بن خلاط فقصد بنو يعيش سيف الدوله صدقة بن مزيد ومعهم مشايخهم فسالوه الاصعاد اليها وان يتسلمها منهم ففعل واصعد معهم فرحل التركمان وبهرام عنها وأخذ صدقة رهائنهم وعاد الى حلته فرجع بلك اليها ومعه الفارجل من التركمان فنازعه أصحابه قليلا واستدل على المخاضة اليها فخاضها وعبر

وحصل منهم عربدات وخطف عمائم وثياب وقتل اشخاص وأصبح يوم الخميس وباب القلعة مفتوح والعساكر مرابطون به وواقفون باسلحتهم وطلع افراد من كبار العسكر بدون طوائفهم ونزلوا واستمر الحال على ذلك يوم الجمعة والعسكر والناس فى اضطراب وكل طائفة متخوفة من الاخرى والارنؤد فرقتان فرقة تميل الى الاتراك وفرقة تميل الى جنسها والدلاة تميل الى الاتراك وتكره الارنؤد وهم كذلك والناس متخوفة من الجميع ومنهم من يخشى من قيام الرعية ويظهر التوددلهم وقد صاروا مختلطين بهم فى المساكن والحارات وتاهلوا وتزوجوا منهم (وفى يوم السبت) طلع طائفة من المشايخ الى القلعة وتكلموا وتشاوروا فى تسكين هذا الحال باى وجه كان ثم نزلوا (وفى ليلة الاحد) كانت رؤية هلال رمضان فلم يعمل الموسم المعتاد وهو الاجتماع ببيت القاضى وما يعمل به من الحراقة والنفوط والشنك وركوب المحتسب ومشايخ الحرف والزمور والطبول واجتماع الناس للفرجة بالاسواق والشوارع وبيت القاضى فبطل ذلك كله ولم تثبت الرؤية تلك الليلة وأصبح يوم الاحد والناس مفطرون فلما كان وقت الضحوة نودى بالامساك ولم تعلم الكيفية

(واستهل شهر رمضان بيوم الاثنين سنة ١٢٢٢)

وملكوهم ونهبوهم وسبى جميع حرمهم وانحدر طالباهيت من الجانب الشامى فبلغ الى قريب منها ثم رجع من يومه ولما سمع صدقة جهز العساكر ثم أعادهم عند عوده بلك

(ذكر غارة الفرنج على الرقة وقلعة جعبر)

فى هذه السنة فى صفر اغار الفرنج من الرها على مرج الرقة وقلعة جعبر وكانوا المانح جوا من الرها افترقوا فرقتين واتعدوا يوما واحدا تكون الغارة على البلدين فيه ففعلوا ما استقر بينهم واغاروا واستاقوا المواشى واسروا من وقع بايديهم من المسلمين فكانت القلعة والرقة لسالم بن مالك بن بدران بن المقلد بن المسيب سلمها اليه السلطان ملكشاه سنة تسع وسبعين وقد ذكرناه فيها

(ذكر الصلح بين السلطان بركيارق ومحمد)

فى هذه السنة فى ربيع الآخر وقع الصلح بين السلطانين بركيارق ومحمد ابنى ملكشاه وكان سببه ان الحروب تطاولت بينهما وعم الفساد فصارت الاموال منهوبة والدماء مسفوكة والبلاد مخربة والقرى محرقة والسلطنة مطموع فيها محكوم عليها واصبح الملوك مقهورين بعد ان كانوا قاهرين وكان الامراء الاكابر يؤثرون ذلك ويختارونه ليدوم تحكمهم وانبساطهم وادلالهم وكان السلطان بركيارق حينئذ بالرى والخطبة له بها وبالجبل وطبرستان وخوزستان وفارس وديار بكر والجزيرة وبالحرمين الشريفين وكان السلطان محمد باذربيجان والخطبة له فيه وببلاد ارانية وارمينية واصبهان والعراق كلها ما عدا تكريت واما اعمال البطائح فيخطب ببعضها لبركيارق وببعضها لمحمد واما البصرة فكان يخطب فيها لهما جميعا واما خراسان فان السلطان سنجر كان يخطب له فى جميعها وهى من حد جرجان الى ماوراء النهر ولاخيه السلطان محمد فلما راى السلطان بركيارق المال عنده معدوما والطمع من العسكر زائدا ارسل القاضى ابا المظفر الجرجانى الحنفى وابا الفرج احمد بن عبد الغفار الهمذانى المعروف بصاحب قراتكين الى اخيه محمد فى تقرير قواعد الصلح فسارا اليه وهو بالقرب من مراغة فذكرا له ما ارسلا فيه ورغباه فى الصلح وفضيلته وما شمل البلاد من الخراب وطمع عدو الاسلام فى اطراف الارض فاجاب الى ذلك وارسل فيه رسلا واستقر الامر وحلف كل واحد منهما لصاحبه وتقررت القاعدة ان السلطان بركيارق لا يعترض اخاه محمدا فى الطبل وان لا يذكر معه على سائر البلاد التى صارت له وان لا يكاتب احدهما الآخر بل تكون المكاتبة من الوزيرين ولا يعارض احد من العسكر فى قصد ايهما شاء وان يكون للسلطان محمد من النهر المعروف باسبيذرو الى باب الابواب وديار بكر والجزيرة والموصل والشام ويكون له من بلاد العراق بلاد سيف الدولة صدقة فاجاب بركيارق الى هذا وزال الخلف والشغب وارسل السلطان محمد الى اصحابه باصبهان يامرهم بالانصراف عن البلد وتسليمه الى اصحاب اخيه وسار السلطان بركيارق الى اصبهان فلما سلمه اليه اصحاب اخيه دعاهم الى ان يكونوا معه وفى خدمته فامتنعوا وراعوا الزوم

وفى ليلته بين العصر والمغرب ضربوا مدافع كثيرة من القلعة وأردفوا ذلك بالبنادق الكثيرة المتتابعة وكذلك العسكر الكائنون بالبلدة فعلوا كفعلهم من كل ناحية ومن أسطحة الدور والمساكن وكان شيئا هائلا واستمر ذلك الى بعد الغروب وذلك شنك لقدوم رمضان فى دخوله وانقضائه (وفى رابعه) انكشفت القضية عن طلب مبلغ ألفى كيس بعد جمعيات ومشاورات تارة ببيت السيد عمر النقيب وتارة فى امكنة اخرى كبيت السيد المحروقى وخلافه حتى رتبوا ذلك ونظموه فوزع منه جانب على رجال دائرة الباشا وجانب على المشايخ الملتزمين نظير مسموحهم فى فرض حصصهم التى اكلوها وهى مبلغ مائتى كيس وزعت على القراريط على كل قيراط ثلاثة آلاف نصف فضة على سبيل القرض لاجل ان تردأو تحسب لهم فى الكشوفات من رفع المظالم ومال الجهات ياخذونها من فلاحيهم وفرض من ذلك مبالغ على ارباب الحرف واهل الغورية ووكالة الصابون ووكالة القرب والتجار الآفاقية واستقر ديوان الطلب ببيت ابن الصاوى بما يتعلق بالفقهاء واسمعيل الطوبجى بالمطلوب من طائفة الاتراك واهل خان الخليلى والمرجع فى الطلب والدفع والرفع الى السيد عمر النقيب واجتمع الكثير من اهل الحرف كالصرماتية وامثالهم والتجؤا

خدمة

خدمة صاحبهم فسماهم اهل العسكرين جميعا اهل الوفاء وتوجهوا من اصبهان ومعهم حريم السلطان محمد اليه واكرمهم بركيارق وحمل لاهل اخيه المال الكثير ومن الدواب ثلثمائة جمل ومائة وعشرين بغلا تحمل الثقل وسير معهم العساكر يخدمونهم ولما وصلت رسل السلطان بركيارق الى الخليفة المستظهر بالله بالصلح وما استقرت القواعد عليه حضر ايلغازى بالديوان وسال فى اقامة الخطبة لبركيارق فاجيب الى ذلك وخطب له بالديوان يوم الخميس تاسع عشر جمادى الاولى وخطب له من الغد بالجوامع وخطب له أيضا بواسط ولما خطب ايلغازى ببغداد لبركيارق وصار فى جملته ارسل الامير صدقة الى الخليفة يقول كان أمير المؤمنين ينسب الى كل ما يتجدد من ايلغازى من اخلال بواجب الخدمة وشرط الطاعة ومن اطراح المراقبة والآن فقد ابدى صفحته لسلطانى الذى استنابه وأنا غير صابر على ذلك بل أسير لاخراجه عن بغداد فلما سمع ايلغازى ذلك شرع فى جمع التركمان وورد صدقة بغداد فنزل مقابل التاج وقبل الارض ونزل فى مخيمه بالجانب الغربى ففارق ايلغازى بغداد الى بعقوبا وأرسل الى صدقة يعتذر من طاعته لبركيارق بالصلح الواقع وان اقطاعه حلوان وغيرها فى جملة بلاده وان بغداد التى هو شحنة فيها قد صارت له فذلك الذى ادخله فى طاعته فرضى عنه صدقة وعاد الى الحلة وفى ذى القعدة سيرت الخلع من الخليفة للسلطان بركيارق وللامير ايازولوزير بركيارق وهو الخطير والعهد بالسلطنة وحلفوا جميعهم للخليفة وعادوا

(ذكر ملك الفرنج جبيل وعكا من الشام)

فى هذه السنة وصلت مراكب من بلاد الفرنج الى مدينة لاذقية فيها التجار والاجناد والحجاج وغير ذلك واستعان بهم صنجيل الفرنجى على حصار طرابلس فحصروها معه برا وبحرا وضايقوها وقاتلوها اياما فلم يروا فيها مطمعا فرحلوا عنها الى مدينة جبيل فحصروها وقاتلوا عليها قتالا شديدا فلما راى اهلها عجزهم عن الفرنج اخذوا امانا وسلموا البلد اليهم فلم تف الفرنج لهم بالامان واخذوا اموالهم واستنقذوها بالعقوبات وانواع العذاب فلما فرغوا من جبيل ساروا الى مدينة عكا استنجدهم الملك بغدوين ملك الفرنج صاحب القدس على حصارها فنازلوها وحصروها فى البر والبحر وكان الوالى بها اسمه بنا ويعرف بزهر الدولة الجيوشى نسبة الى ملك الجيوش الافضل فقاتلهم أشد قتال فزحفوا اليه غير مرة فعجز عن حفظ البلد فخرج منه وملك الفرنج البلد بالسيف قهرا وفعلوا باهله الافعال الشنيعة وسار الوالى به الى دمشق فاقام بها ثم عاد الى مصر واعتذر الى الافضل فقبل عذره

(ذكر غزو سقمان وجكرمش الفرنج)

لما استطال الفرنج خذلهم الله تعالى بما ملكوه من بلاد الاسلام واتفق لهم اشتغال عساكر الاسلام وملوكه بقتال بعضهم بعضا فتفرقت حينئذ بالمسلمين الآراء واختلفت

الى الجامع الازهر واقاموا به ليالى واياما لم ينفعهم ذلك وانبث المعينون بالطلب وبايديهم الاوراق بمقدار المبلغ المطلوب من الشخص وعليها حق الطريق وهم قواسة اتراك وعسكر ودلاة وقواسة بلدى ودهى الناس بهذه الداهية فى الشهر المبارك فيكون الانسان نائما فى بيته ومتفكرا فى قوت عياله فيدهمه الطلب ويأتيه المعين قبل الشروق فيزعجه ويصرخ عليه بل ويطلع الى جهة حريمه فينتبه كالمفلوج من غير اصطباح ويلاطف المعين ويعده ويأخذ بخاطره ويدفع له كراء طريقه المرسوم له فى الورقة المعين بها المبلغ المطلوب قبل كل شئ فما يفارقه الا ومعين آخر واصل اليه على النسق المتقدم وهكذا (وفيه) حضر محمد كتخدا شاهين بك الالفى بجواب عن مراسلة أرسلها الباشا الى مخدومه فاقام أياما يتشاور مع الباشا فى مصالحته مع شاهين بك وحصل الاتفاق على حضور شاهين بك الى الجيزة ويتراضى مع الباشا على امر وسافر فى ثانى عشره وصحبته صالح اغا السلحدار (وفى يوم الخميس ثامن عشره) قصد الباشا نفى رجب اغا الارنؤدى وارسل اليه يامره بالخروج والسفر بعد ان قطع خرجه وأعطاه علوفته فامتنع من الخروج وقال أنا لى عنده خمسون كيسا ولا اسافر حتى أقبضها وذلك انه فى حياة

الاهواء وتمزقت الاموال وكانت حران لمملوك من مماليك ملكشاه اسمه قراجه فاستخلف عليها انسانا يقال له محمد الاصبهانى وخرج فى العام الماضى فعصى الاصبهانى على قراجه وأعانه أهل البلد لظلم قراجه وكان الاصبهانى جلدا شهما فلم يترك بحران من أصحاب قراجه سوى غلام تركى يعرف بجاولى وجعله اصفهسلار العسكر وانس به فجلس معه يوما للشرب فاتفق جاولى مع خادم له على قتله فقتلاه وهو سكران فعند ذلك سار الفرنج الى حران وحصروها فلما سمع معين الدولة سقمان وشمس الدولة جكرمش ذلك وكان بينهما حرب وسقمان يطالبه بقتل ابن أخيه وكل منهما يستعد للقاء صاحبه واناذكر سبب قتل جكرمش له ان شاء الله تعالى أرسل كل منهما الى صاحبه يدعوه الى الاجتماع معه لتلافى امر حران و يعلمه انه قد بذل نفسه لله تعالى وثوابه فكل واحد منهما اجاب صاحبه الى ما طلب منه وسارا فاجتمعا على الخابور وتحالفا وسارا الى لقاء الفرنج وكان مع سقمان سبعة آلاف فارس من التركمان ومع جكرمش ثلاثة آلاف فارس من الترك والعرب والاكراد فالتقوا على نهر البليخ وكان المصاف بينهم هناك فاقتتلوا فاظهر المسلمون الانهزام فتبعهم الفرنج نحو فرسخين فعاد عليهم المسلمون فقتلوهم كيف شاؤا وامتلأت أيدى التركمان من الغنائم ووصلوا الى الاموال العظيمة لان سواد الفرنج كان قريبا وكان بيمند صاحب انطاكية وطنكرى صاحب الساحل قد انفردا وراء جبل ليأتيا المسلمين من وراء ظهورهم اذا اشتدت الحرب فلما خرجا رأيا الفرنج منهزمين وسوادهم منهوبا فاقاما الى الليل وهربا فتبعهم المسلمون وقتلوا من أصحابهما كثيرا وأسروا كذلك وافلتا فى ستة فرسان وكان القمص بردويل صاحب الرها قد انهزم مع جماعة من قمامصتهم وخاضوا نهر البليخ فوحلت خيولهم فاسرتركمانى من أصحاب سقمان فاخذهم وحمل بردويل الى خيم صاحبه وقد سار فيمن معه لاتباع بيمند فرأى اصحاب جكرمش ان اصحاب سقمان قد استولوا على مال الفرنج و يرجعون هم من الغنيمة بغير طائل فقالوا لجكرمش اى منزلة تكون لنا عند الناس وعند التركمان اذا انصرفوا بالغنائم دوننا وحسنوا له أخذ القمص فانفذ فاخذ القمص من خيم سقمان فلما عاد سقمان شق عليه الامر وركب اصحابه للقتال فردهم وقال لهم لا يقوم فرح المسلمين فى هذه الغزاة بغمهم باختلافنا ولا اوثر شفاء غيظى بشماتة الاعداء بالمسلمين ورحل لوقته واخذ سلاح الفرنج وراياتهم وألبس اصحابه لبسهم واركبهم خيلهم وجعل يأتى حصون شيحان وبها الفرنج فيخرجون ظنا منهم ان اصحابهم نصروا فيقتلهم ويأخذ الحصن منهم فعل ذلك بعدة حصون واما جكرمش فانه سار الى حران فتسلمها واستخلف بها صاحبه وسار الى الرها فحصرها خمسة عشر يوما وعاد الى الموصل ومعه القمص الذى اخذه من خيام سقمان ففاداه بخمسة وثلاثين دينارا ومائة وستين اسيرا من المسلمين وكان عدة القتلى من الفرنج يقارب اثنى عشر ألف قتيل

(ذكر وفاة دقاق وملك ولده)

الالفى الكبير اتفق مع الباشا بان يذهب عند الالفى و ينضم اليه ويتحيل فى اغتياله وقتله فان فعل ذلك وقتله وتمت حيلته عليه أعطاه خمسين كيسا فذهب عند الالفى والتجا اليه واظهر انه راغب فى خدمته وكره الباشا وظلمه فرحب به وقبله وأكرمه مع التحذر منه فلما طال به الامد ولم يتمكن من قصده رجع الى الباشا فلما امره بالذهاب أخذ يطالبه بالخمسين كيسا فامتنع الباشا وقال جعلت له ذلك فى نظير شئ يفعله ولم يخرج من يده فعله فلا وجه لمطالبته به واستمر رجب اغا فى عناده وذلك انه لا يهون بهم مفارقة مصر التى صاروا فيها امراء واكابر بعد ان كانوا يحتطبون فى بلادهم و يتكسبون بالصنائع الدنيئة ثم انه جمع جيشه اليه من الارنؤد بناحية سكنه وهو بيت حسن كتخدا الجرباز بباب اللوق فارسل اليه الباشا من يحاربه فحضر حسن أغا سرششمه من ناحية قنطرة باب الخرق وحضر ايضا الجم الكثير من الاتراك وكبرائهم من جهة المدابغ وعمل كل منهم متاريس من الجهتين وتقدموا قليلا حتى قربوا من مساكن الارنؤد تجاه بيت البارودى فلم يتجاسروا على الاقدام عليهم من الطريق بل دخلوا من البيوت التى فى صفهم ونقبوا من بيت الى آخر حتى انتهوا الى اول منزل من مساكنهم فنقبوا البيت الذى يسكن به الشيخ محمد سعد البكرى ونفذوا منه الى المنزل الذى بجواره

فى

في هذه السنة في شهر رمضان توفي الملك دقاق بن تتش بن الب أرسلان صاحب دمشق وخطب اتابكه طغتكين لولده صغير له سنة واحدة وجعل اسم المملكة فيه ثم قطع خطبته وخطب لبكتاش بن تتش عم هذا الطفل في ذي الحجة وله من العمر اثنتا عشرة سنة ثم ان طغتكين أشار عليه بقصد الرحبة فخرج اليها فملكها وعاد فمنعه طغتكين من دخول البلد فمضى الى حصون له وأعاد طغتكين خطبة الطفل ولد دقاق وقيل ان سبب استيحاش بكتاش من طغتكين ان والدته خوفته منه وقالت انه زوج والدة دقاق وهي لا تتركه حتى تقتلك ويستقيم الملك لولدها فخاف ثم انه حسن له من كان يحسد طغتكين مفارقة دمشق وقصد بعلبك وجمع الرجال والاستنجاد بالفرنج والعود الى دمشق واخذها من طغتكين فخرج من دمشق سرا في صفر سنة ثمان وتسعين ولحقه الامير ايتكين الحلبي وهو من جملة من قرر مع بكتاش ذلك وهو صاحب بصرى فعاثا في نواحي حوران ولحق بهما كل من يريد الفساد وراسلا بغدوين ملك الفرنج يستنجدانه فاجابهما الى ذلك وسارا اليهما فاجتمعا به وقررا القواعد معه واقاما عنده مدة فلم يريا منه غير التحريض على الافساد في اعمال دمشق وتخريبها فلما ايسا من نصره عادا من عنده وتوجها في البرية الى الرحبة فملكها بكتاش وعاد عنها واستقام امر طغتكين بدمشق واستبد بالامر واحسن الى الناس وبث فيهم العدل فسروا به سرورا كثيرا

(ذكر استيلاء صدقة على واسط)

في هذه السنة في شوال انحدر سيف الدولة صدقة بن مزيد من الحلة الى واسط في عسكر كثير وامر فنودي بها في الاتراك من أقام فقد برئت منه الذمة فسار جماعة منهم الى بركيارق وجماعة الى بغداد وصار مع صدقة جماعة منهم ثم انه احضر مهذب الدولة بن أبي الجبر صاحب البطيحة وضمنه البلد لمدة آخرها آخر السنة بخمسين ألف دينار وعاد الى الحلة واقام مهذب الدولة بواسط الى سادس ذي القعدة وانحدر الى بلده

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في ربيع الاول اطلق سديد الملك ابو المعالي من الاعتقال وهو الذي كان وزير الخليفة ولما اطلق هرب الى الحلة السيفية ومنها الى السلطان بركيارق فولاه الاشراف على ممالكه وفيها توفي أمين الدولة ابو سعد العلاء بن الحسن بن الموصلايا فجاة وكان اقد اضر وكان بليغا فصيحا وكان ابتداء خدمته للقائم بامر الله سنة اثنتين وثلاثين واربعمائة خدم الخلفاء خمسا وستين سنة كل يوم تزداد منزلته حتى ناب عن الوزارة وكان نصرانيا فاسلم سنة اربع وثمانين وكان كثير الصدقة جميل المحضر صالح النية ووقف أملاكه على أبواب البر ومكاتباته مشهورة حسنة ولما مات خلع على ابن أخته ابي نصر ولقب نظام الحضرتين وقلد ديوان الانشاء وفيها كانت ببغداد بين العامة فتن كثيرة وانتشر العيارون وفيها قتل أبو نعيم بن ساوة الطبيب الواسطي وكان

ثم منه الى منزل علي أغا الشعراوي الى بيت سيدي محمد واخيه سيدي محمود المعروف بابي دفية الملاصق لمسكن طائفة من الارنؤود وعبثوا في الدور وازعجوا اهلها بقبيح افعالهم فانهم عندما يدخلون في اول بيت يصعدون الى الحريم بصورة منكرة من غير دستور ولا استئذان وينقبون من مساكن الحريم العليا فيهدمون الحائط ويدخلون منها الى محل حريم الدار الاخرى وتصعد طائفة منهم الى السطح وهم يرمون بالبنادق في الهواء في حال مشيهم وسيرهم وهكذا ولا يخفى ما يحصل للنساء من الانزعاج ويصرن يصرخن ويحضن باطفالهن ويهربن الى الحارات الاخرى مثل حارة قواديس وناحية حارة عابدين بظاهر الدور المذكورة بغاية الخوف والرعب والمشقة وطفقت العساكر تنهب الامتعة والثياب والفرش ويكسرون الصناديق وياخذون ما فيها وياكلون ما في القدور من الاطعمة في نهار رمضان من غير احتشام ولقد شاهدت اثر قبيح فعلهم ببيت ابي دفية المذكور من الصناديق المكسرة وانتشار حشو الوسائد والمراتب التي فتقوها واخذوا ظروفها ولم يسلم لاصحاب المساكن سوى ما كان لهم خارج دورهم وبعيدا عنها أو وزعوه قبل الحادثة واصيب محمد افندي أبو دفية برصاصة أطلقها بعضهم من النقب الذي نقب عليهم نفذت من كتفه وكذلك فعل العساكر التي اتت من ناحية المدابغ

من الحذاق في الطب وله فيه اصابات حسنة وفيها عزل السلطان سنجر وزيره الخطير ابا الفتح الطغرائي وسبب ذلك ان الامير برغش وهو اصفهسلار العسكر السنجري التي اليه ملطف فيه لا يتم لك امر مع هذا السلطان ووقع الى سنجر لا يتم لك امر مع الامير برغش مع كثرة جموعه فجمع برغش اصحاب العمائم وعرض عليهم الملطفين فاتفقوا على كاتب الطغرائي وظهرت عليه فقتل وقبض سنجر على الطغرائي واراد قتله فمنعه برغش وقال له حق خدمة فابعده الى غزنة وفيها جمع برغش كثيرا من عساكر خراسان وأتاه كثير من المتطوعة وسار الى قتال الاسماعيلية فقصد طبس وهي لهم فخربها وما جاورها من القلاع والقرى وأكثر فيهم القتل والنهب والسبي وفعل بهم الافعال العظيمة ثم ان أصحاب سنجر أشاروا بان يؤمنوا ويشرط عليهم انهم لا يبنون حصنا ولا يشترون سلاحا ولا يدعون أحدا الى عقائدهم فسخط كثير من الناس هذا الامان وهذا الصلح ونقموه على سنجر ثم ان برغش بعد عوده من هذه الغزاة توفي وكانت خاتمة أمره الجهاد رحمه الله وفي هذه السنة توفي أبو بكر علي بن احمد بن زكريا الطريثيني وكان صوفيا محدثا مشهورا وفي رجب توفي القاضي أبو الحسين احمد بن محمد الثقفي قاضي الكوفة ومولده في ربيع الاول سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة وهو من ولد عروة بن مسعود ومن تلاميذ القاضي الدامغاني وولي القضاء بعده ابنه أبو البركات وفي ربيع الآخر توفي أبو عبد الله الحسين بن علي بن البسري البندار المحدث ومولده سنة اربع واربعمائة

(ثم دخلت سنة ثمان وتسعين واربعمائة)

(ذكر وفاة السلطان بركيارق)

في هذه السنة ثاني شهر ربيع الآخر توفي السلطان بركيارق بن ملكشاه وكان قد مرض باصبهان بالسل والبواسير فسار منها في محفة طالبا بغداد فلما وصل الى بروجرد ضعف عن الحركة فاقام بها اربعين يوما فاشتد مرضه فلما ايس من نفسه خلع على ولده ملكشاه وعمره حينئذ اربع سنين وثمانية اشهر وخلع على الامير اياز واحضر جماعة الامراء واعلمهم انه قد جعل ابنه ولي عهده في السلطنة وجعل الامير اياز اتابكه وامرهم بالطاعة لهما ومساعدتهما على حفظ السلطنة لولده والذب عنها فاجابوا كلهم بالسمع والطاعة وبذل النفوس والاموال في حفظ ولده وسلطنته عليه واستحلفهم على ذلك فحلفوا وامرهم بالمسير الى بغداد فساروا فلما كانوا على اثني عشر فرسخا من بروجرد وصلهم خبر وفاته وكان بركيارق قد تخلف على عزم العود الى اصبهان فعاجلته منيته فلما سمع الامير اياز بموته امر وزيره الخطير الميبذي وغيره بان يسيروا مع تابوته الى اصبهان فحمل اليها ودفن في تربة جددتها السرية ثم ماتت بعد ايام فدفنت بازائه واحضر اياز السرادقات والخيام والجتر والشمسة وجميع ما يحتاج اليه السلطان فجعله برسم ولده ملكشاه

بالبيوت الاخرى واستمروا على هذه الافعال ثلاثة أيام بلياليها فلما كان ليلة الاثنين ثاني عشريه حضر عمر بك كبير الارنؤد الساكن ببولاق وصالح قوج الى رجب اغا المذكور واركباه واخذاه الى بولاق وبطل الحرب بينهم ورفعوا المتاريس في صبحها وانكشفت الواقعة عن نهب البيوت ونقبها وازعاج أهلها ومات فيما بينهم أنفار قليلة وكذلك مات اناس وانجرح أناس من اهل البلد (وفي يوم السبت) وصل شاهين بك الالفي الى دهشور ووصل صحبته مراكب بها سفار وهدية من ابراهيم بك ومحمد بك المرادى المعروف بالمنفوخ برسم الباشا وهي نحو الثلاثين حصانا ومائة قنطار بن قهوة ومائة قنطار سكر وأربع خصيان وعشرون جارية سوداء فلما وصل شاهين بك الى دهشور حضر محمد كتخداه وعلي كاشف الكبير فارسل الباشا اليه صحبتهما هدية ومعهما ولده وديوان افندى (وفي خامس عشرينه) سافر رجب أغا وتخلف عنه كثير من عساكره واتباعه وذهب من ناحية دمياط (وفيه) حضر ديوان افندى من دهشور وابن الباشا أيضا وخلع شاهين بك على ابن الباشا فروة وقدم له تقدمة وسلاحا نفيسا انكليزيا (وفي ثامن عشرينه) وصل شاهين بك الى شبرامنت وقد امر الباشا بان يخلوا الجيزة وينتقل منها الكاشف والعسكر فعدى الجميع

ذكر

(ذكر عمره وشيء من سيرته)

لما توفي بركيارق كان عمره خمسا وعشرين سنة ومدة وقوع اسم السلطنة عليه اثنتى عشرة سنة وأربعة أشهر وقاسى من الحروب واختلاف الامور عليه مالم يقاسه أحد واختلفت به الاحوال بين رخاء وشدة وملك وزواله واشرف في عدة نوب بعد اسلام النعمة على ذهاب المهجة ولما قوى امره في هذا الوقت واطاعه المخالفون وانقادوا له ادركته منيته ولم يهزم في حروبه غير مرة واحدة وكان امراؤه قد طمعوا فيه للاختلاف الواقع حتى انهم كانوا يطلبون نوابه ليقتلوهم فلا يمكنه الدفع عنهم وكان متى خطب له ببغداد وقع الغلاء ووقفت المعايش والمكاسب وكان اهلها مع ذلك يحبونه ويختارون سلطانه وقد ذكرنا من تغلب الاحوال به ما وقفت عليه ومن اعجب ما دخل له اصبهان هاربا من عمه تتش فمكنه عسكر اخيه محمود وصاحبها من دخولها ليقبضوا عليه فاتفق ان اخاه محمودا مات فاضطروا الى ان يملكوه وهذا من احسن الفرج بعد الشدة وكان حليما كريما صبورا عاقلا كثير المداراة حسن القدرة لا يبالغ في العقوبة وكان عفوه اكثر من عقوبته

(ذكر الخطبة لملكشاه بن بركيارق)

في هذه السنة خطب لملكشاه بن بركيارق بالديوان يوم الخميس سلخ ربيع الآخر وخطب له بجوامع بغداد من الغد يوم الجمعة وكان سبب ذلك ان ايلغازى شحنة بغداد سار في المحرم الى السلطان بركيارق وهو باصبهان يحثه على الوصول الى بغداد ورحل مع بركيارق فلما مات بركيارق سار مع ولده ملكشاه والامير اياز الى بغداد فوصلوها سابع عشر ربيع الآخر ولقوا في طريقهم بردا شديدا لم يشاهدوا مثله بحيث انهم لم يقدروا على الماء لجموده وخرج الوزير ابو القاسم على بن جهير فلقيهم من ديالى وكانوا خمسة آلاف فارس وحضرا ايلغازى والامير طغايرك بالديوان وخاطبوا في اقامة الخطبة لملكشاه بن بركيارق فاجيب اليها وخطب له ولقب بالقاب جده ملكشاه وهي جلال الدولة وغيره من الالقاب ونثرت الدنانير عند الخطبة له

(ذكر حصر السلطان محمد جكرمش بالموصل)

لما اصطلح السلطان بركيارق والسلطان محمد كما ذكرناه في السنة الخالية وسلم محمد مدينة اصبهان الى بركيارق وسار اليها أقام محمد بتبريز من اذربيجان الى ان وصل أصحابه الذين باصبهان فلما وصلوا استوزر سعد الملك أبا المحاسن لحسن اثره كان في حفظ اصبهان وأقام الى صفر من هذه السنة وسار الى مراغة ثم الى اربل يريد قصد جكرمش صاحب الموصل ليأخذ بلاده فلما سمع جكرمش بمسيره اليه جدد سور الموصل ورم ما احتاج الى اصلاح وأمر أهل السواد بدخول البلد واذن لاصحابه في نهب من لم يدخل وحصر محمد المدينة وأرسل الى جكرمش يذكر له الصلح بينه وبين أخيه وان في جملة ما استقر ان تكون الموصل وبلاد الجزيرة له وعرض عليه الكتب من بركيارق اليه بذلك

الى البر الشرقي وتسلم على كاشف الكبير الالفي القصر وماحوله ومابه من الجبخانه والمدافع وآلات الحرب وغيرها

(واستهل شهر شوال بيوم الثلاثاء سنة ١٢٢٢)

ولم يعمل العسكر شنكهم تلك الليلة من رميهم الرصاص والبارود الكثير المزعج من سائر النواحي والبيوت والاسطحة لانقباض نفوسهم وانما ضربوا مدافع من القلعة مدة ثلاثة ايام العيد في الاوقات الخمسة (وفي خامسه) اعتنى الباشا بتعمير القصر لسكن شاهين بك بالجيزة وكان العسكر أخربوه وكذلك بيوت الجيزة ولم يتركوا بها دارا عامرة الا القليل فرسم الباشا للمعمارجية بعمارة القصر فجمعوا البنائين والنجارين والخراطين وحملوا الاخشاب من بولاق وغيرها وهدموا بيت أبي الشوارب وأحضروا الجمال والحمير لنقل اخشابه وانقاضه وأخرجوا منه اخشابا عظيمة في غاية العظم والثخن ليس لها نظير في هذا الوقت والاوان (وفي سابعه) حضر شاهين بك الى بر الجيزة وبات بالقصر وضربوا لقدومه مدافع كثيرة من الجيزة وعمل له علي جربجي موسى الجيزاوي وليمة وفرض مصروفها وكلفتها على أهل البلدة وأعطاه الباشا اقليم الفيوم بتمامه التزاما وكشوفية وأطلق له فيها التصرف وأنعم عليه أيضا بثلاثين بلدة من اقليم البهنسا مع كشوفيتها وعشرة بلاد من بلاد الجيزة من البلاد التي ينتقيها ويختارها وتجبى مع كشوفية الجيزة وكتب له

والايمان على تسليمها اليه وقال له ان اطعت فانا لا آخذها منك بل أقرها بيدك وتكون الخطبة لي بها فقال جكرمش ان كتب السلطان وردت الي بعد الصلح تامرني ان لا اسلم البلد الى غيره فلما رأى محمد امتناعه باكره القتال وزحف اليه بالنقابين والدبابات وقاتل أهل البلد أشد قتال وقتلوا خلقا كثيرا لمحبتهم لجكرمش لحسن سيرته فيهم فامر جكرمش ففتح في السور ابواب لطاف يخرج منها الرجالة يقاتلون فكانوا يكثرون القتل في العسكر ثم زحف محمد مرة فنقب في السور أصحابه وادركهم الليل فاصبحوا وقد عمره اهل البلد وشحنوه بالمقاتلة وكانت الاسعار عندهم رخيصة في الحصار كانت الحنطة تساوي كل ثلاثين مكوكا دينارا والشعير خمسون مكوكا بدينار وكان بعض عسكر جكرمش قد اجتمعوا بتل يعفر فكانوا يغيرون على اطراف العسكر ويمنعون الميرة عنهم فدام القتال عليهم الى عاشر جمادى الاولى فوصل الخبر الى جكرمش بوفاة السلطان بركيارق فاحضر اهل البلد واستشارهم فيما يفعله بعد موت السلطان فقالوا أموالنا وارواحنا بين يديك وانت اعرف بشانك فاستشر الجند فهم اعرف بذلك فاستشار امراءه فقالوا لما كان السلطان حيا قدرنا على الامتناع ولم يتمكن احد من طروق بلدنا وحيث توفي فليس للناس اليوم سلطان غير هذا والدخول تحت طاعته أولى فارسل الى محمد يبذل الطاعة ويطلب وزيره سعد الملك ليدخل اليه فحضر الوزير عنده واخذ بيده وقال المصلحة ان تحضر الساعة عند السلطان فانه لا يخالفك في جميع ما تلتمسه وأخذ بيده وقام فسار معه جكرمش فلما رآه أهل الموصل قد توجه الى السلطان جعلوا يبكون ويضجون ويحثون التراب على رؤسهم فلما دخل على السلطان محمد اقبل عليه واكرمه وعانقه ولم يمكنه من الجلوس وقال ارجع الى رعيتك فان قلوبهم اليك وهم متطلعون الى عودك فقبل الارض وعاد ومعه جماعة من خواص السلطان وسأل السلطان من الغد ان يدخل البلد ليتزين له فامتنع من ذلك فعمل سماطا بظاهر الموصل عظيما وحمل الى السلطان من الهدايا والتحف ولوزيره أشياء جليلة المقدار

(ذكر وصول السلطان الى بغداد وصلحه مع ابن أخيه والامير اياز)

لما وصل خبر وفاة السلطان بركيارق الى أخيه السلطان محمد وهو يحاصر الموصل جلس للعزاء وأصلح جكرمش صاحب الموصل كما ذكرناه وسار الى بغداد ومعه سكمان القطبي وهو ينسب الى قطب الدولة اسمعيل بن ياقوتي بن داود واسمعيل ابن عم ملكشاه وسار معه جكرمش وغيرهما من الامراء وكان سيف الدولة صدقة صاحب الحلة قد جمع خلقا كثيرا من العساكر فبلغت عدتهم خمسة عشر ألف فارس وعشرة آلاف راجل وأرسل ولديه بدران ودبيسا الى السلطان محمد يستحثه على المجيء الى بغداد فاستصحبهما معه الى بغداد فلما سمع الامير اياز بمسيره اليه خرج هو والعسكر الذين معه من الدور ونصبوا الخيام بالزاهر خارج بغداد وجمع الامراء واستشارهم فيما يفعله فبذلوا له الطاعة واليمين على قتاله وحربه ومنعه عن السلطنة والاتفاق معه على طاعة ملكشاه بن

كشوفية البحيرة بتمامها الى حد الاسكندرية وأطلق له التصرف في جميع ذلك بذلك تقاسيط ديوانية وضم له مرسومانه نافذة في سائر البر الغربي (وفي صبح يوم الاربعاء) تاسعه ركب السيد عمر افندي النقيب والمشايخ وطلعوا الى القلعة باستدعاء ارسالية أرسلت اليهم في تلك الليلة فلما طلعوا الى القلعة ركب معهم ابن الباشا طوسون بك ونزل الجميع وساروا الى ناحية مصر القديمة وكان شاهين بك عدى الى البر الشرقي بطائفة من الكشاف والمماليك والهوارة فسلموا عليه وكان بصحبتهم طائفة من الدلاة ساروا امام القوم بطبلاتهم وسفافيرهم ومن خلفهم طائفة من الهوارة ومن خلفهم الكشاف والمماليك والسيد عمر النقيب والمشايخ ثم شاهين بك وبجانبه ابن الباشا وخلفهم الطوائف والاتباع والخدم وخلفهم النقاقير فساروا الى ناحية جهة القرافة وزاروا ضريح الامام الشافعي ثم ركبوا وساروا الى القلعة وطلعوا من باب العزب الى سراية الديوان وانفصل عنهم المشايخ ونزلوا الى دورهم وقابلوا الباشا وسلم شاهين بك عليه فخلع عليه الباشا فروة سمور مثمنة وسيفا وخنجرا مجوهرا وتعابي وقدم له خيولا بسروجها وعزم عليه ابن الباشا فاذن له ان يتوجه صحبته الى سرايته فركب معه

بركيارق وكان أشدهم فى ذلك ينال وصباوو وفانهم بالغوا فى الاطماع فى السلطان محمد والمنع له من السلطنة فلما تفرقوا قال له وزيره الصفى أبو المحاسن يامولانا ان حياتى مقرونة بثبات نعمتك ودولتك وأنا اكثر التزامابك من هؤلاء وليس الراى ما اشاروا به فان كلا منهم يقصد ان يسلك طريقا وان يقيم سوقا لنفسه بك واكثرهم يناويك فى المنزلة وانما يقعدبهم عن منازعتك قلة العدد والمال والصواب مصالحة السلطان محمد وطاعته وهو يقرك على اقطاعك ويزيدك عليه مهما اردت فتردد راى الامير اياز فى الصلح والمباينة الا ان حركته فى المباينة ظاهرة وجمع السفن التى ببغداد عنده وضبط المشارع من متطرق الى عسكره والى البلد ووصل السلطان محمد الى بغداد يوم الجمعة لثمان بقين من جمادى الاولى ونزل عند الجانب الغربى باعلى بغداد وخطب له بالجانب الغربى ولملكشاه بن بركيارق بالجانب الشرقى واما جامع المنصور فان الخطيب قال فيه اللهم اصلح سلطان العالم وسكت وخاف الناس من امتداد الشر والنهب فركب اياز فى عسكره وهم عازمون على الحرب وساروا الى ان اشرف على عسكر السلطان محمد وعاد الى مخيمه فدعا الامراء الى اليمين مرة ثانية على المخالصة لملكشاه فاجاب البعض وتوقف البعض وقالوا قد حلفنا مرة ولا فائدة فى اعادة اليمين لاننا ان وفينا بالاولى وفينا بالثانية وان لم نف بالاولى فلا نفى بالثانية فامر اياز حينئذ وزيره الصفى ابا المحاسن بالعبور الى السلطان محمد فى الصلح وتسليم السلطنة اليه وترك منازعته فيها فعبر يوم السبت لسبع بقين من الشهر الى عسكر محمد واجتمع بوزيره سعد الملك ابى المحاسن سعد ابن محمد فعرفه ما جاء فيه فحضر عند السلطان محمد وادى الصفى رسالة صاحبه اياز واعتذر مما كان منه ايام بركيارق فاجابه محمد جوابا لطيفا سكن به قلبه وطيب نفسه واجاب الى ما التمسه منه من اليمين فلما كان الغد حضر قاضى القضاة والنقيبان والصفى وزير اياز عند السلطان محمد فقال له وزيره سعد الملك ان اياز يخاف لما تقدم منه وهو يطلب العهد لملكشاه ابن اخيك ولنفسه وللامراء الذين معه فقال السلطان اما ملكشاه فانه ولدى ولا فرق بينى وبين اخى واما اياز والامراء فاحلف لهم الا ينال الحسامى وصباوو فاستحلفه الكيا الهراس مدرس النظامية على ذلك وحضر الجماعة اليمين فلما كان من الغد حضر الامير اياز عند السلطان محمد فلقيه وزير السلطان وكافة الناس ووصل سيف الدولة صدقة ذلك الوقت ودخلا جميعا الى السلطان فاكرمهما واحسن اليهما وقيل بل ركب السلطان ولقيهما ووقف احدهما عن يمينه والآخر عن يساره واقام السلطان ببغداد الى شعبان وسار الى اصبهان وفصل فيها ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر قتل الامير اياز)

فى هذه السنة ثالث عشر جمادى الآخرة قتل الامير اياز قتله السلطان محمد وسبب ذلك ان اياز لما سلم السلطنة الى السلطان محمد وسار فى جملته واستحلفه لنفسه فلما

وتغدى عنده ثم ركب بصحبته ونزلا من القلعة وذهب عند حسن باشا فقابله ايضا وسلم عليه وخلع عليه ايضا وقدم له خيولا وركب بصحبتهما وذهبوا عند طاهر باشا ابن اخت الباشا فسلم عليه ايضا وقدم له تقادم ثم ركب عائدا الى الجيزة وذهب الى مخيمه بشبرامنت واستمر مقيما بالمخيم حتى تمم عمارة القصر وتردد كشافهم واجنادهم الى بيوتهم بالمدينة فيبيتون الليلة والليلتين ويرجعون الى مخيمهم (وفيه) قطع الباشا رواتب طوائف من الدلاة وامروا بالسفر الى بلادهم (وفى يوم الجمعة) انتقل الالفية بعرضيهم وخيامهم الى بحرى الجيزة (وفى يوم السبت ثانى عشره) وصل اربعة من صناجق الالفية وهم احمد بك ونعمان بك وحسين بك ومراد بك فطلعوا الى القلعة وخلع عليهم الباشا فراوى وقلدهم سيوفا وقدم لهم تقادم ثم نزلوا الى حسن باشا فسلموا عليه وخلع عليهم ايضا خلعا ثم ذهبوا الى بيت صالح اغا السلحدار فاقاموا عنده الى اواخر النهار ثم ذهبوا الى البيوت التى بها حريمهم فباتوا بها وذهبوا فى الصباح الى الجيزة (وفى يوم الثلاثاء خامس عشره) عملت وليمة وعقدوا لاحمد بك الالفى على عديلة هانم بنت ابراهيم بك الكبير والوكيل فى العقد شيخ السادات وقبل منه محمد كتخدا ابو كاتمه عن احمد بك ودفع الصداق الباشا من

كان ثامن جمادى الآخرة عمل دعوة عظيمة في داره وهي دار كوهرائين ودعا السلطان اليها وقدم له شيئا كثيرا من جملته الجبل البلخش الذي اخذ من تركة مؤيد الملك بن نظام الملك وقد تقدم ذكر ذلك وحضر مع السلطان سيف الدولة صدقة بن مزيد وكان من الاتفاق الردي ان اياز تقدم الى غلمانه ليلبسوا السلاح من خزانته ليعرضهم على السلطان فدخل عليهم رجل من ابهر يتطايب معهم ويضحكون منه مع كونه يتصوف فقالوا له لابد من ان نلبسك درعا ونعرضك فالبسوه الدرع تحت قميصه وتناولوه بايديهم وهو يسألهم ان يكفوا عنه فلم يفعلوا فلشدة ما فعلوا به هرب منهم ودخل بين خواص السلطان معتصما بهم فرآه السلطان مذعورا وعليه لباس عظيم فاستراب به فقال لغلام له بالتركية ليلمسه من غير ان يعلم احد ففعل فرأى الدرع تحت قميصه فاعلم السلطان بذلك فاستشعر وقال اذا كان اصحاب العمائم قد لبسوا السلاح فكيف الاجناد وقوي استشعاره لكونه في داره وفي قبضته فنهض وفارق الدار وعاد الى داره فلما كان ثالث عشر الشهر استدعى السلطان الامير صدقة واياز وجكرمش وغيرهم من الامراء فلما حضروا ارسل اليهم انه بلغنا ان قلج ارسلان بن سليمان بن قتلمش قصد ديار بكر ليتملكها ويسير منها الى الجزيرة وينبغي ان تجتمع آراؤكم على من يسير اليه ليمنعه ويقاتله فقال الجماعة ليس لهذا غير الامير اياز فقال اياز ينبغي ان أجتمع انا وسيف الدولة صدقة بن مزيد على هذا الامر والدفع لهذا القاصد فقيل ذلك للسلطان فاعاد الجواب يستدعي اياز وصدقة والوزير سعد الملك ليحرر الامر في حضرته فنهضوا اليه ليدخلوا اليه وكان قد اعد جماعة من خواصه ليقتلوا اياز اذا دخل اليه فلما دخلوا ضرب احدهم رأسه فابانه فاما صدقة فغطى وجهه بكمه واما الوزير فانه غشي عليه ولف اياز في مسح والقي على الطريق عند دار المملكة وركب عسكر اياز فنهبوا ما قدروا عليه من داره فارسل السلطان من حماها من النهب وتفرق اصحابه من يومهم وكان زوال تلك النعمة العظيمة والدولة الكبيرة في لحظة بسبب هزل ومزاح فلما كان من الغد كفنه قوم من المتطوعة ودفنوه في المقابر المجاورة لقبر ابي حنيفة رحمه الله وكان عمره قد جاوز اربعين سنة وهو من جملة مماليك السلطان ملكشاه ثم صار بعده وهو في جملة أمير آخر فاتخذه ولدا وكان غزير المروأة شجاعا حسن الراي في الحرب واما وزيره الصفي فانه اختفى ثم اخذ وحمل الى دار الوزير سعد الملك ثم قتل في رمضان وعمره ست وثلاثون سنة وكان من بيت رياسة بهمذان

(ذكر وفاة سقمان بن ارتق)

كان فخر الملك بن عمار صاحب طرابلس قد كاتب سقمان يستدعيه الى نصرته على الفرنج ويبذل له المعونة بالمال والرجال فبينما هو يتجهز للسير اتاه كتاب طغتكين صاحب دمشق يخبره انه مريض قد اشفى على الموت وانه يخاف ان مات وليس بدمشق من يحميها ان يملكها الفرنج ويستدعيه ليوصي اليه وبما يعتمده في حفظ البلد فلما

راى

الى ابراهيم بك الكبير لاجراء الصلح (وفيه) ايضا ارادوا اجراء عقد زينب هانم ابنة ابراهيم بك على نعمان بك فامتنعت وقالت لا يكون ذلك الا عن اذن ابي وها هو مسافر اليه فليستأذنه ولا اخالف أمره فاجيبت الى ذلك واراد شاهين بك ان يعقد لنفسه على زوجة حسين بك المقتول المعروف بالوشاش وهو خشداشه وهي ابنة السفطي فاستأذن الباشا فقال اني أريد أن أزوجك ابنتي وتكون صهري وهي واصلة عن قريب أرسلت بحضورها من بلدي قوله فان تأخر حضورها جهزت لك سرية وزوجتك اياها (وفي يوم الاربعاء) نزل الباشا من القلعة وذهب الى مضرب النشاب واستدعى شاهين بك من الجيزة وعمل معه ميدانا وترامحوا وتسابقوا ولعبوا بالرماح والسيوف ثم طلع الجميع الى القلعة واستمر شاهين بك عند الباشا الى بعد الظهر ثم نزل مع نعمان بك الى بيت عديلة هانم فمكثا الى قبيل المغرب ثم ارسل اليهما الباشا فطلعا الى القلعة فباتا عنده ونزلا في الصباح وعديا الى الجيزة قال الشاعر

أمور تضحك السفهاء منها * ويبكي من عواقبها اللبيب (وفيه) تقلد حسن اغا سر چشمه

رأى ذلك أسرع فى السير عازما على اخذ دمشق وقصد الفرنج طرابلس وابعادهم عنها فوصل الى القريتين واتصل خبره بطغتكين فخاف عاقبة ماصنع واقوه فكره زاد مرضه ولامه اصحابه على مافرط فى تدبيره وخوفوه عاقبة مافعل وقالوا له قد رأيت سيدك تاج الدولة لما استدعاه الى دمشق ليمنعه كيف قتله حين وقعت عينه عليه فبينما هم يدبرون الرأى باى حيلة يردونه أتاهم الخبر بانه وصل القريتين ومات وحمله اصحابه وعادوا به فاتاهم فرج لم يحتسبوه وكان مرضه الذى مات به الخوانيق يعتريه دائما فاشار عليه أصحابه بالعود الى حصن كيفا فامتنع وقال بل أسير فان عوفيت تممت ماعزمت عليه ولا يرانى الله تثاقلت عن قتال الكفار خوفا من الموت وان ادركنى اجلى كنت شهيدا سائرا فى جهاد فساروا فاعتقل لسانه يومين ومات فى صفر وبقى ابنه ابراهيم فى اصحابه وجعل فى تابوت وحمل الى الحصن وكان حازما داهيا ذا رأى كثير الخير وقد ذكرنا سبب أخذه لحصن كيفا واما ملكه ماردين فان كربوقا خرج من الموصل فقصد آمد وحارب صاحبها فاستنجد صاحبها وهو تركمانى بسقمان فحضر عنده وصاف كربوقا وكان عماد الدين زنكى بن آقسنقر حينئذ صبيا قد حضر مع كربوقا ومعه جماعة كثيرة من اصحاب أبيه فلما اشتد القتال ظهر سقمان فالقى اصحاب آقسنقر زنكى ولد صاحبهم بين ارجل الخيل وقالوا قاتلوا عن ابن صاحبكم فقاتلوا حينئذ قتالا شديدا فانهزم سقمان واسروا ابن اخيه ياقوتى بن ارتق فسجنه كربوقا بقلعة ماردين وكان صاحبها انسانا مغنيا للسلطان بركيارق فطلب منه ماردين واعمالها فاقطعه اياها فبقى ياقوتى فى حبسه مدة فمضت زوجة ارتق الى كربوقا وسألته اطلاقه فاطلقه فنزل عند ماردين وكانت قد أعجبته فاقام ليعمل فى تملكها والاستيلاء عليها وكان من عند ماردين من الاكراد قد طمعوا فى صاحبها المغنى واغاروا على اعمال ماردين عدة دفعات فراسله ياقوتى يقول قد صار بيننا مودة وصداقة وأريد ان اعمر بلدك بان امنع عنه الاكراد واغير على الاماكن وآخذ الاموال انفقها فى بلدك وأقيم فى الربض فاذن له فى ذلك فجعل يغير من باب خلاط الى بغداد فصار ينزل معه بعض أجناد القلعة طلبا للكسب وهو يكرمهم ولا يتعرضهم فامنوا اليه فاتفق ان فى بعض الاوقات نزل معه أكثرهم فلما عادوا من الغارة أمر بقبضهم وتقييدهم وسبقهم الى القلعة ونادى من بها من أهليهم ان فتحتم الباب والا ضربت أعناقكم فامتنعوا فقتل انسانا منهم فسلم القلعة من بها اليه وبقى بها ثم انه جمع جمعا وسار الى نصيبين واغار على بلد جزيرة ابن عمر وهى لجكرمش فلما عاد أصحابه بالغنيمة أتاهم جكرمش وكان ياقوتى قد أصابه مرض عجز معه عن لبس السلاح وركوب الخيل فحمل الى فرسه فركبه وأصابه سهم فسقط منه فاتاه جكرمش وهو يجود بنفسه فبكى عليه وقال له ماحملك على ماصنعت ياياقوتى فلم يجبه فمات ومضت زوجة ارتق الى ابنها سقمان وجمعت التركمان وطلبت بثار ابن ابنها وحصر سقمان نصيبين وهى لجكرمش فسير جكرمش الى سقمان مالا كثيرا سرا فاخذه ورضى وقال انه قتل فى الحرب ولا يعرف قاتله وملك ماردين بعد

امارة دمياط عوضا عن احمد بك وتقلد عبد الله كاشف الدرندلى امارة المنصورة عوضا عن مزير اغا (وفى يوم الاربعاء ثالث عشرينه) وصل قابجى ومعه مرسومات يتضمن أحدها التقرير لمحمد على باشا على ولاية مصر وآخر بالدفتردارية باسم ولده ابراهيم وآخر بالعفو عن جميع العسكر جزاء عن اخراجهم الانكليز من ثغر الاسكندرية وآخر بالتأكيد فى التشهيل والسفر لمحاربة الخوارج بالحجاز واستخلاص الحرمين والوصية بالرعية والتجار وصحبته أيضا خلع وشلنجات فاركبوه فى موكب فى صبح يوم الخميس وطلع الى القلعة وقرئت المراسيم المذكورة بحضرة الباشا والمشايخ وكبار العسكر وشاهين بك وخشداشينه الالفية وضربوا مدافع وشنكا (وفيه) سافر ابراهيم بك ابن الباشا على طريق القليوبية وصحبته طائفة من مباشرى الاقباط وفيهم جرجس الطويل وهو كبيرهم وافندية من افندية الروزنامه وكتبة مسلمين للكشف على الاطيان التى رويت من ماء النيل والشراقى فانزلوا بالقرى النوازل من الكلف وحق الطرقات وقرروا على كل فدان رواه النيل اربعمائة وخمسين نصف فضة تقبض للديوان وذلك خلاف ماللملتزم والمضاف والبرانى وما يضاف الى ذلك من حق الطرق والكلف المتكررة *(واستهل شهر ذى القعدة

ياقوتي اخوه على وصار في طاعة جكرمش واستخلف بها أميرا اسمه على أيضا فارسل على الوالي بماردين الى سقمان يقول له ابن اخيك يريد أن يسلم ماردين الى جكرمش فسار سقمان بنفسه وسلمها الجاء اليه على ابن أخيه وطلب اعادة القلعة اليه فقال انما أخذتها لئلا يخرب البيت فاقطعه جبل جور ونقله اليه وكان جكرمش يعطى عليا كل سنة عشرين الف دينار فلما أخذ عمه سقمان ماردين منه ارسل على الى جكرمش يطلب منه المال فقال انما كنت اعطيتك احتراما لماردين وخوفا من مجاور تك والآن فاصنع ما انت صانع فلا قدرة لك على

(ذكر حال الباطنية هذه السنة بخراسان)

في هذه السنة سار جمع كثير من الاسماعيلية من طريثيث من بعض اعمال بيهق وشاعت الغارة في تلك النواحي واكثروا القتل في اهلها والنهب لاموالهم والسبي لنسائهم ولم يقفوا على الهدنة المتقدمة وفي هذه السنة اشتد امرهم وقويت شوكتهم ولم يكفوا ايديهم عمن يريدون قتله لاشتغال السلاطين عنهم فمن جملة فعلهم ان قفل الحاج تجمع هذه السنة مما وراء النهر وخراسان والهند وغيرها من البلاد فوصلوا الى جوار الري فاتاهم الباطنية وقت السحر فوضعوا فيهم السيف وقتلوهم كيف شاؤا وغنموا اموالهم ودوابهم ولم يتركوا شيئا وقتلوا هذه السنة ابا جعفر بن المشاط وهو من شيوخ الشافعية اخذ الفقه عن الخجندى وكان يدرس بالري ويعظ الناس فلما نزل من كرسيه اتاه باطني فقتله

(ذكر حال الفرنج هذه السنة مع المسلمين بالشام)

في هذه السنة في شعبان كانت وقعة بين طنكرى الفرنجى صاحب انطاكية وبين الملك رضوان صاحب حلب انهزم فيها رضوان وسببها ان طنكرى حصر حصن ارتاح وبها نائب الملك رضوان فضيق الفرنج على المسلمين فارسل النائب بالحصن الى رضوان يعرفه ما هو فيه من الحصر الذى اضعف نفسه ويطلب النجدة فسار رضوان في عسكر كثير من الخيالة وسبعة آلاف من الرجالة منهم ثلاثة آلاف من المتطوعة فساروا حتى وصلوا الى قنسرين وبينهم وبين الفرنج قليل فلما راى طنكرى كثرة المسلمين ارسل الى رضوان يطلب الصلح فاراد ان يجيب فمنعه اصبهبذ صباوو وكان قد قصده وسار معه بعد قتل اياز فامتنع من الصلح واصطفوا للحرب فانهزمت الفرنج من غير قتال ثم قالوا نعود ونحمل عليهم حملة واحدة فان كانت لنا والا انهزمنا فحملوا على المسلمين فلم يثبتوا وانهزموا وقتل منهم واسر كثير واما الرجالة فانهم كانوا قد دخلوا معسكر الفرنج لما انهزموا فاشتغلوا بالنهب فقتلهم الفرنج ولم ينج الا الشريد فاخذ اسيرا وهرب من في ارتاح الى حلب وملكه الفرنج لعنهم الله تعالى وهرب اصبهبذ صباوو الى طغتكين اتابك بدمشق فصار معه ومن اصحابه

(ذكر حرب الفرنج والمصريين)

يوم الاربعا سنة ١٢٢٢) * (وبقيه) فرضوا على مساتير الناس سلفا كياس ويحسب لهم ما يؤخذ منهم من اصل ما يتقرر على حصصهم من المغارم في المستقبل وعينوا العساكر بطلبها فتغيب غالبهم وتوارى لعدم ما بايديهم وخلوا كياسهم من المال والتجا الكثير منهم الى ذوى الجاه ولازموا اعتابهم حتى شفعوا فيهم وكشفوا غمتهم (وفي عاشره) ورد الخبر من الجهة القبلية بان الامراء المصريين تحاربوا مع ياسين بك بناحية المنية وذلك عن امر الباشا وهزموه فدخل الى المنية ونهبوا حملته ومتاعه (وفي اثر ذلك) حضر ابو ياسين بك الى مصر وعينت عساكر الى جهة قبلي واميرها بونابارته الخازندار وتقدمهم سليمان بك الالفي في آخرين (وفي عشرينه) تعين أيضا عدة عساكر الى ناحية بحرى وفيهم عمر بك تابع الاشقر المصرلي لمحافظة رشيد وآخرين الى الاسكندرية ثم تعوق عمر بك عن السفر وسبب ذلك انه ورد قائف الانكليز الى ثغر سكندرية واخبر بخروج عمارة الفرنسيس الى البحر بسيسليه وربما استولوا عليها وكذلك مالطه فلما ورد هذا الخبر حضر البطروش قنصل الانكليز المقيم برشيد الى مصر باهله وعياله (وفي أواخره) جمعوا عدة كبيرة من البنائين والنجارين وارباب الاشغال لعمارة اسوار وقلاع الاسكندرية وابي قير والسواحل في

في ذي الحجة من هذه السنة كانت وقعة بين الفرنج والمسلمين كانوا فيها على السواء وسببها ان الافضل وزير صاحب مصر كان قد سير ولده شرف المعالي في السنة الخالية الى الفرنج فقهرهم واخذ الرملة منهم ثم اختلف المصريون والعرب وادعى كل واحد منهما ان الفتح له فاتاهم سرية الفرنج فتقاعد كل فريق منهما بالآخر حتى كاد الفرنج يظهرون عليهم فرحل عند ذلك شرف المعالي الى ابيه بمصر فنفذ ولده الآخر وهو سناء الملك حسين في جماعة من الامراء منهم جمال الملك النائب بعسقلان للمصريين وارسلوا الى طغتكين اتابك بدمشق يطلبون منه عسكرا فارسل اليهم اصبهبذ صباوو ومعه الف وثلثمائة فارس وكان المصريون في خمسة آلاف وقصدهم بغدوين الفرنجي صاحب القدس وعكا ويافا في الف وثلثمائة فارس وثمانية آلاف راجل فوقع المصاف بينهم بين عسقلان ويافا فلم تظهر احدى الطائفتين على الاخرى فقتل من المسلمين الف ومائتان ومن الفرنج مثلهم وقتل جمال الملك امير عسقلان فلما رأى المسلمون انهم قد تكافؤا في النكاية قطعوا الحرب وعادوا الى عسقلان وعاد صباوو الى دمشق وكان مع الفرنج جماعة من المسلمين منهم بكتاش بن تتش وكان طغتكين قد عدل في الملك الى ولد اخيه دقاق وهو طفل وقد ذكرناه فدعاه ذلك الى قصد الفرنج والكون معهم

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة عظم فساد التركمان بطريق خراسان من اعمال العراق وقد كانوا قبل ذلك ينهبون الاموال ويقطعون الطريق الا انهم عندهم مراقبة فلما كان هذه السنة اطرحوا المراقبة وعملوا الاعمال الشنيعة فاستعمل ايلغازي بن ارتق وهو شحنة العراق على ذلك البلد ابن اخيه بلك بن بهرام بن ارتق وامره بحفظه وحياطته ومنع الفساد عنه فقام في ذلك القيام المرضي وحمى البلاد وكف الايدي المتطاولة وسار بلك الى حصن خانيجار وهو من اعمال سرخاب بن بدر فحصره وملكه وفيها في شعبان جعل السلطان محمد قسيم الدولة سنقر البرسقي شحنة بالعراق وكان موصوفا بالخير والدين وحسن العهد لم يفارق محمدا في حروبه كلها وفيها اقطع السلطان محمد الكوفة للامير قايماز واوصى صدقة ان يحمي اصحابه من خفاجة فاجاب الى ذلك وفيها في شهر رمضان وصل السلطان محمد الى اصبهان فامن اهلها وتقوا بزوال ما كان يشملهم من الخبط والعسف والمصادرة وشتان بين خروجه منها هاربا متخفيا وعوده اليها سلطانا متمكنا وعدل في اهلها وازال عنهم ما يكرهون وكف الايدي المتطرقة اليهم من الجند وغيرهم فصار كلمة العامي اقوى من كلمة الجندي ويد الجندي قاصرة عن العامي من هيبة السلطان وعدله وفيها كثر الجدري في كثير من البلدان لا سيما العراق فانه كان به كله ومات به من الصبيان ما لا يحصى وتبعه وباء كثير وموت عظيم وتوفي في هذه السنة في شوال احمد بن محمد بن احمد ابو علي البرداني الحافظ ومولده سنة ست وعشرين واربعمائة سمع ابن غيلان والبرمكي والعشاري وغيرهم وتوفي ابو المعالي ثابت بن

(واستهل شهر ذي الحجة بيوم الجمعة سنة ١٢٢٢) في ثاني عشره ورد الخبر بان سليمان بك الالفي لما وصل الى المنية ونزل بفنائها خرج اليه ياسين بك بجموعه وعساكره وعربانه فوقع بينهما وقعة عظيمة وانهزم ياسين بك وولى هاربا الى المنية فتبعه سليمان بك في قلة وعدى الخندق خلفه فاصيب من كمين بداخل الخندق ووقع ميتا بعد ان نهب جميع متاع ياسين بك وجماله واثقاله وشتت جموعه وانحصر هو وعساكره وعربانه وما بقي منهم بداخل المنية وكانت الواقعة يوم الاربعاء سادس الشهر فلما ورد الخبر بذلك على الباشا اظهر انه اغتم على سليمان بك وتأسف على موته واقام العزاء عليه خشداشينه بالجيزة وفي يوم تم وطفق الباشا يلوم على جراءة المصريين واقدامهم وكيف ان سليمان بك يخاطر بنفسه ويلقي بنفسه من داخل الخندق ويقول انا ارسلت اليه احذره واقول له انه ينتظر ربونا بارته الخازندار وير اسل ياسين بك ويطلعه على ما بيده من المراسيم فان ابى وخالف ما في ضمنها فعند ذلك يجتمعون على حربه وتقدم عسكر الاتراك لمعرفتهم وصبرهم على محاصرة الابنية فلم يستمع لما قلت له وغرر بنفسه وايضا ينبغي لكبير الجيش التاخر عن عسكره فان الكبير عبارة عن المدير الرئيس وبعصابته تنكسر قلوب قومه وهؤلاء القوم بخلاف ذلك يلقون بانفسهم في

بندار بن ابراهيم البقال ومولده سنة ست عشرة واربعمائة سمع أبا بكر البرقاني وأبا على ابن شاذان وكانت وفاته فى جمادى الآخرة من هذه السنة وفى رابع جمادى الاولى توفى أبو الحسن محمد بن على بن أبى الصقر الفقيه الشافعى ومولده سنة تسع واربعمائة وكان اديبا شاعرا فمن قوله

من قال لى جاه ولى حشمة * ولى قبول عند مولانا
ولم يعد ذاك بنفع على * صديقه لا كان من كانا

وفيها أيضا توفى أبو نصر بن أخت ابن الموصلايا وكان كاتبا للخليفة جيد الكتابة وكان عمره سبعين سنة ولم يخلف وارثا لانه أسلم وأهله نصارى فلم يرثوه وكان يبخل الا انه كان كثير الصدقة وأبو المؤيد عيسى بن عبد الله بن القاسم الغزنوى كان واعظا شاعرا كاتبا قدم بغداد ووعظ بها ونصر مذهب الاشعرى وكان له قبول عظيم وخرج منها فمات باسفراين

(ثم دخلت سنة تسع وتسعين واربعمائة)

(ذكر خروج منكبرس على السلطان محمد)

فى هذه السنة فى المحرم أظهر منكبرس ابن الملك بوربرس بن البارسلان وهو ابن عم السلطان محمد العصيان للسلطان محمد والخلاف عليه وسبب ذلك انه كان مقيما باصبهان فلحقته ضائقة شديدة وانقطعت المواد عنه فخرج منها وسار الى نهاوند فاجتمع عليه بها جماعة من العسكر وظاهره على امره جماعة من الامراء وتغلب على نهاوند وخطب لنفسه بها وكاتب الامراء بنى برسق يدعوهم الى طاعته ونصرته وكان السلطان محمد قد قبض على زنكى بن برسق فكاتب زنكى اخوته وحذرهم من طاعة منكبرس وما فيها من الاذى والخطر وامرهم بتدبير الامر فى القبض عليه فلما أتاهم كتاب اخيهم بذلك أرسلوا الى منكبرس يبذلون له الطاعة والموافقة فسار اليهم وساروا اليه فاجتمعوا به وقبضوا عليه بالقرب من أعمالهم وهى بلد خوزستان وتفرق اصحابه واخذوا منكبرس الى اصبهان فاعتقله السلطان مع بنى عمه تكش واخرج زنكى بن برسق واعاده الى مرتبته واستنزله واخوته عن اقطاعهم وهى ليشتر وسابور خواست وغيرها ما بين الاهواز وهمذان واقطعهم عوضها الدينور وغيرها واتفق أن ظهر بنهاوند أيضا فى هذه السنة رجل من السواد ادعى النبوة فاطاعه خلق كثير من السوادية واتبعوه وباعوا أملاكهم ودفعوا اليه أثمانها فكان يخرج ذلك جميعه وسمى اربعة من اصحابه أبا بكر وعمر وعثمان وعليا وقتل بنهاوند فكان اهلها يقولون ظهر عندنا فى مدة شهرين اثنان ادعى احدهما النبوة والآخر المملكة فلم يتم لواحد منهما امره

(ذكر الحرب بين طغتكين والفرنج)

فى هذه السنة فى صفر كانت وقعة بين طغتكين اتابك صاحب دمشق وبين قمص كبير من قامصة الفرنج وسبب ذلك نه تكررت الحروب والغارات بين عسكر دمشق

المماليك ولما ارسل جماعة سليمان بك يخبرون بموت كبيرهم وانهم مجتمعون على حالتهم ومقيمون بعرضيهم ومحطتهم على المنية وانهم منتظرون من يقيمه الباشا رئيسا مكانه فعند ذلك ارسل الباشا الى شاهين بك يعزيه ويلتمس منه ان يختار من خشداشينه من يقلده الباشا امارة سليمان بك فتشاور شاهين بك مع خشداشينه فلم يرض احد من الكبار ان يتقلد ذلك ثم وقع اختيارهم على شخص من المماليك يسمى يحيى وارسلوه الى الباشا فخلع عليه وامره بالسفر الى المنية فاخذ فى قضاء اشغاله وعدى الى بر الجيزة (وفى منتصفه) ورد الخبر بان بونابارته الخازندار وصل الى المنية بعد الواقعة وياسين بك محصور بها فارسل اليه يستدعيه الى الطاعة واطلعه على المكاتبات والمراسيم التى بيده من الباشا خطابا له وللامراء الحاضرين والغائبين المصرية وفى ضمنها ان أبى ياسين بك عن الدخول فى الطاعة واستمر على عناده وعصيانه فان بونابارته والامراء المصرية يحاربونه فعند ذلك نزل ياسين بك على حكم بونابارته وحضر عنده بعد ان استوثق منه بالامان ووصلت الاخبار بذلك الى مصر وخرجت العربان المحصورون بالمنية بعد ان صالحوا على انفسهم وفتحوا لهم طريقا وذهبوا الى أماكنهم واستلم بونابارته المنية فاقام بها يومين وارتحل عنها وحضر الى وبغدوين

وبغدوين فتارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء ففى آخر الامر بنى بغدوين حصنا بينه وبين دمشق نحو يومين فخاف طغتكين من عاقبة ذلك ومايحدث به من الضرر فجمع عسكره وخرج الى مقاتلتهم فسار بغدوين ملك القدس وعكا وغيرهما الى هذا الحصن ليعاضده ويساعده على المسلمين فعرفه القمص غناءه عنه وانه قادر على مقارعة المسلمين ان قاتلوه فعاد بغدوين الى عكا وتقدم طغتكين الى الفرنج واقتتلوا واشتد القتال فانهزم اميران من عسكر دمشق فتبعهما طغتكين وقتلهما وانهزم الفرنج الى حصنهم فاحتموا به فقال طغتكين من احسن قتالهم وطلب منى امرا فعلته معه ومن اتانى بحجر من حجارة الحصن اعطيته خمسة دنانير فبذل الرجالة نفوسهم وصعدوا الى الحصن وخربوه وحملوا حجارته الى طغتكين فوفى لهم بما وعدهم وامر بالقاء الحجارة فى الوادى واسر وامن بالحصن فامر بهم فقتلوا كلهم واستبقى الفرسان اسراء وكانوا مائتى فارس ولم ينج ممن كان فى الحصن الا القليل وعاد طغتكين الى دمشق منصورا فزين البلد اربعة ايام وخرج منها الى رفنية وهو من حصون الشام وقد تغلب عليه الفرنج وصاحبه ابن اخت صنجيل المقيم على حصار طرابلس فحصره طغتكين وملكه وقتل به خمسمائة رجل من الفرنج

(ذكر الحرب بين عبادة وخفاجة)

فى هذه السنة كانت حرب شديدة بين عبادة وخفاجة وسببها ان رجلا من عبادة أخذ منه جماعة خفاجة جملين فجاء اليهم وطالبهم بهما فلم يعطوه شيئا فاخذ منهم غارة أحد عشر بعيرا فتبعته خفاجة وقتلوا من اصحابه رجلا وقطعوا يد آخر وكان ذلك بالموقف من الحلة السيفية ففرق بينهم اهلها فسمعت عبادة الخبر فتواعدت وانحدرت الى العراق للاخذ بثارها وساروا مع جماعة من امرائهم فبلغت عدتهم سبعمائة فارس وكانت خفاجة دون هذه العدة فراسلهم خفاجة يبذلون الدية ويصطلحون فلم تجبهم الى ذلك عبادة واشار به سيف الدولة صدقة فلم تقبل عبادة فالتقوا واقتتلوا بالقرب من الكوفة ومع عبادة الابل والغنم بين البيوت فكمنت لهم خفاجة ثلثمائة فارس وقاتلوهم مطاردة من غير جد فى القتال فداموا كذلك ثلاثة ايام ثم انهم اشتد بينهم القتال واختلطوا حتى تركوا الرماح وتضاربوا بالسيوف فبينما هم كذلك وقد اعيا الفريقان من القتال اذ طلع كمين خفاجة وهم مستريحون فانهزمت عبادة وانتصرت عليهم خفاجة وقتل من وجوه عبادة اثنا عشر رجلا ومن خفاجة جماعة وغنمت خفاجة الاموال من الخيل والابل والغنم والعبيد والاماء وكان الامير صدقة بن مزيد قد أعان خفاجة سرا فلما وصل المنهزمون اليه هناهم صدقة بالسلامة فقال له بعضهم مازلت أقاتل واضارب وأنا طامع فى الظفر بهم حتى رأيت فرسك الشقراء تحت أحدهم فعلمت انهم أجلبوا علينا بخيلك ورجالك وانا لاطاقة لنا بهم فنصروا علينا بمعونتك وقلوبهم بجدك فلم يجبه صدقة

(ذكر ملك صدقة البصرة)

مصر (وفى ليلة الثلاثاء تاسع عشره) حضر ياسين بك الى ثغر بولاق وركب فى صبحها وطلع الى القلعة فعوقه الباشا واراد قتله فتعصب له عمر بك الارنؤدى وصالح قوج وغيرهما وطلعوا فى يوم الجمعة وقد رتب الباشا عساكره وجنده واوقفهم بالابواب الداخلة والخارجة و بين يديه وتكلم عمر بك وصالح آغا مع الباشا فى امره وان يقيم بمصر فقال الباشا لايمكن ان يقيم بمصر والساعة اقتله وانظر اى شئ يكون فلم يسع المتعصبين له الا الامتثال ثم احضره وخلع عليه فروة وانعم عليه باربعين كيسا ونزلوا بصحبته بعد الظهر الى بولاق وسافر الى دمياط ليذهب الى قبرص ومعه محافظون (وفى يوم الاحد) حضر بونابارته الخازندار من المنية الى مصر وانقضت السنة *(واما من مات فيها ممن له ذكر)* مات الشيخ العلامة بقية العلماء والفضلاء والصالحين الورع القانع الشيخ احمد بن على بن محمد بن عبد الرحمن بن علاء الدين البرماوى الذهبى الشافعى الضرير ولد ببلده برما بالمنوفية سنة ١١٣٨ ونشا بها وحفظ القرآن والمتون على الشيخ المعاصرى ثم انتقل الى مصر فجاور بالمدرسة الشيخونية بالصليبة وتخرج فى الحديث على الشيخ أحمد البرماوى وحضر دروس مشايخ الازهر كالشيخ محمد فارس والشيخ على قايتباى والشيخ الدفرى والشيخ سليمان الزيات

في هذه السنة في جمادى الاولى انحدر سيف الدولة من الحلة الى البصرة فملكها وقد ذكرنا فيما تقدم تمكن اسمعيل بن ارسلانجق من البصرة ونواحيها واقام بها عشر سنين نافذ الامر وازداد قوة وتمكنا بالاختلاف الواقع بين السلاطين واخذ الاموال السلطانية وكان قد راسل صدقة واظهر له انه في طاعته وموافقته فلما استقر الامر للسلطان محمد اراد ان يرسل الى البصرة مقطعا ياخذها من اسمعيل فخاطب صدقة في معناه حتى اقره على البصرة عليه فانفذ السلطان عميدا اليها يتولى ما يتعلق بالسلطان هناك فمنعه اسمعيل ولم يمكنه من عمله وفعل ما خرج به عن حد المجاملة فامر السلطان صدقة بقصده واخذ البصرة منه فتحرك لذلك فاتفق ظهور منكبرس وخلافه على السلطان وانه على قصد واسط فسر اسمعيل بذلك وزاد انبساطه وارسل صدقة حاجباله وكان قبله قد خدم اباه وجده الى اسمعيل يامره بتسليم الشرطة واعمالها الى مهذب الدولة بن أبي الجبر لانها كانت في ضمانه فوصل الى الشرطة واخذ منها اربعمائة دينار فاحضره اسمعيل وحبسه واخذ الدنانير منه فلما رأى صدقة مكاشفته سار من حلته واظهر انه يريد قصد الرحبة ثم جد السير الى البصرة فلم يشعر اسمعيل الا بقربه منه ففرق اصحابه في القلاع التي استجدها بمطارا ونهر معقل وغيرهما واعتقل وجوه العباسيين والعلويين وقاضي البصرة ومدرسها واعيان أهلها ونازلهم صدقة فجرى قتال بين طائفة من عسكره وطائفة من البصريين قتل فيه أبو النجم بن أبي القاسم الورامي وهو ابن خال سيف الدولة صدقة فمما مدح به سيف الدولة ورثي به أبو النجم بن أبي القاسم قول بعضهم

تهن يا خير من يحمي حريم حمى * فتحا اغثت به الدنيا مع الدين
ركبت للبصرة الغراء في نخب * غر كجيش على يوم صفين
هوى أبو النجم كالنجم المنير بها * لكنه كان رجما للشاطين

وأقام صدقة محاصر الاسمعيل بالبصرة فاشار على سيف الدولة صدقة بعض أصحابه بالعود عنها واعلموه انهم لا يظفرون بطائل فاشار عليهم بالمقام وقالوا ان رحلتنا كانت كسرة وكان رأي سيف الدولة المقام وقال ان تعذر على فتح البصرة لم يطعني أحد واستعزبي الناس ثم ان اسمعيل خرج من البلد وقاتل صدقة فسار بعض أصحاب صدقة الى مكان آخر من البلد ودخلوه وقتلوا من السوادية الذين جمعهم اسمعيل خلقا كثيرا وانهزم اسمعيل الى قلعته بالجزيرة فادركه بعض أصحاب سيف الدولة واراد قتله ففداه أحد غلمانه بنفسه فوقعت الضربة فيه فاثخنته فنهبت البصرة وغنم من معه من عرب البر وغيرهم ما فيها ولم يسلم منهم الا المحلة المجاورة لقبر طلحة والمربد فان العباسيين دخلوا المدرسة النظامية وامتنعوا بها وحموا المربد وعمت المصيبة لاهل البلد سوى من ذكرنا وامتنع اسمعيل بقلعته فاتفق ان المهذب بن أبي الجبر انحدر في سفن كثيرة واخذ القلعة التي لاسمعيل بمطارا وقتل بها خلقا من اصحاب اسمعيل وحمل الى صدقة كثيرا فاطلقهم فلما علم اسمعيل بذلك ارسل الى صدقة يطلب الامان على نفسه واهله وامواله فاجابه الى ذلك واجله سبعة أيام فاخذ كل ما يمكنه حمله مما يعز عليه وما لم يقدر

والشيخ الملوي والشيخ المدابغي والشيخ الغنيمي والشيخ محمد الحفني وأخيه الشيخ يوسف وعبد الكريم الزيات والشيخ عمر الطحلاوي والشيخ سالم النفراوي والشيخ عمر الشنواني والشيخ أحمد رزه والشيخ سليمان البسوسي والشيخ علي الصعيدي واقرأ الدروس وأفاد الطلبة ولازم الاقراء وكان منجمعا عن الناس قانعا راضيا بما قسم له لا يزاحم على الدنيا ولا يتداخل في امورها واخبرني ولده العلامة الفاضل الشيخ مصطفى انه ولد بصيرا فاصابه الجدري فطمس بصره في صغره فاخذه عم ابيه الشيخ صالح الذهبي ودعا له فقال في دعائه اللهم كما اعميت بصره نور بصيرته فاستجاب الله دعاءه وكان قوي الادراك ويمشي وحده من غير قائد ويركب من غير خادم ويذهب في حوائجه المسافة البعيدة ويأتي الى الازهر ولا يخطئ الطريق ويتحرى عما عساه يصيبه من راكب أو جمل أو حمار مقبل عليه أو شيء معترض في طريقه أقوى من ذي بصر فكان يضرب به المثل في ذلك مع شدة التعجب كما قال القائل

ما عماء العيون مثل عمى القلـ * ـب فهذا هو العمى والبلاء
فعماء العيون تغميض عين * وعماء القلوب فهو الشقاء

ولم يزل ملازما على حالته من الانجماع والاشتغال بالعلم والعمل به وتلاوة القرآن وقيام الليل فكان يقرأ كل ليلة نصف القرآن الى ان توفي يوم الثلاثاء حادي عشر ربيع على

على جملة اهلكه بالماء وغيره ونزل الى سيف الدولة وأمن سيف الدولة أهل البصرة من كل اذى ورتب عندهم شحنة وعاد الى الحلة ثالث جمادى الآخرة وكان مقامه بالبصرة ستة عشر يوما واما اسمعيل فانه لما سار صدقة الى الحلة قصده والباسيان الى ان وصله ماله فى المراكب وسار نحو فارس وصار يتعنت اصحابه وزوجته وقبض على جماعة من خواصه وقال لهم انتم سقيتم ولدى افراسياب السم حتى مات وكان قد مات فى صفر من هذه السنة ففارقه كثير منهم حتى زوجته فارقته وسارت الى بغداد واخذته الحمى وقويت عليه فلما بلغ رامهرمز انفرد فى خيمته ولم يظهر لاصحابه يوما وليلة فظهر لهم موته فنهبوا ماله وتفرقوا فارسل الامير برامهرمز فردهم واخذ ما معهم من امواله ودفن بالقرب من ايذج وكان عمره قد جاوز خمسين سنة وكانت سيرته قد حسنت فى اهل البصرة اخيرا

*(ذكر حصر رضوان نصيبين وعوده عنها) *

فى هذه السنة فى شهر رمضان حصر الملك رضوان بن تتش نصيبين وسبب ذلك انه عزم على حرب الفرنج واجتمع معه من الامراء ايلغازى بن ارتق الذى كان شحنة بغداد والاصبهبذ صباوو والبى بن ارسلان تاش صاحب سنجار وهو صهر جكرمش صاحب الموصل فقال ايلغازى الرأى اننا نقصد بلاد جكرمش وما والاها فنملكها ونتكثر بعسكرها والاموال ووافقه البى فسار الى نصيبين فى عشرة آلاف فارس مستهل رمضان وكان قد جعل فيها اميرين من اصحابه فى عسكر فتحصنوا بالبلد وقاتلوا من وراء السور فرمى البى بن ارسلان تاش بنشابة فجرح جرحا شديدا فعاد الى سنجار واما جكرمش فانه بلغه الخبر بنزولهم على نصيبين وهو بالحامة التى بالقرب من طنزة يتداوى بمائها من مرضه فرحل الى الموصل وقد اجفل اليها اهل السواد فخيم على باب البلد عازما على حرب رضوان واستعمل المخادعة فكاتب اعيان عسكر رضوان ورغبهم حتى افسد نياتهم وتقدم الى اصحابه بنصيبين بخدمة الملك رضوان وباخراج الاقامة اليه مع الاحتراز منه وارسل الى رضوان يبذل له خدمته والدخول فى طاعته ويقول له ان السلطان محمدا قد حصرنى ولم يبلغ منى غرضا فترحل عن صلح وان قبضت على ايلغازى الذى قد عرفت انت وغيرك فساده وشره فانا معك ومعينك بالرجال والاموال والسلاح فاتفق هذا ورضوان قد تغيرت نيته مع ايلغازى فازداد تغيرا وعزم على قبضه فاستدعاه يوما وقال له هذه بلاد ممتنعة وربما استولى الفرنج على حلب والمصلحة مصالحة جكرمش واستصحابه معنا فانه يسير بعساكر كثيرة ظاهرة التجمل ونعود الى قتال الفرنج فان ذلك مما يعود باجتماع شمل المسلمين فقال له ايلغازى انك جئت بحكمك وانت الآن بحكمى لا امكنك من المسير دون اخذ هذه البلاد فان اقمت والا بدأت بقتالك وكان ايلغازى قد قويت نفسه بكثرة من اجتمع عنده من التركمان وكان الملك رضوان قد واعد قوما من اصحابه ليقبضوا عليه فلما جرى ما ذكرناه امرهم رضوان فقبضوا عليه

الاول من هذه السنة وله من العمر اربع وثمانون سنة وصلى عليه بجامع ابن طولون ودفن بجوار المشهد المعروف بالسيدة سكينة رضى الله عنها بجانب الشيخ البرماوى رحمه الله وبارك فى ولده الشيخ مصطفى واعانه على وقته * ومات العمدة الفاضل حاوى الكمالات والفضائل الشيخ محمد بن يوسف ابن بنت الشيخ محمد بن سالم الحفناوى الشافعى ولد سنة ١١٦٣ وتربى فى حجر جده وتخلق باخلاقه وحفظ القرآن والالفية والمتون وحضر دروس جده واخى جده الشيخ يوسف الحفناوى وحضر اشياخ الوقت كالشيخ على العدوى والشيخ احمد الدردير والشيخ عطية الاجهورى والشيخ عيسى البراوى وغيرهم وتمهر وانجب وأخذ طريق الخلوتية عن جده ولقنه الاسماء ولما توفى جده القى الدروس فى محله بالازهر ونشا من صغره على أحسن طريقة وعفة نفس وتباعد عن سفاسف الامور الدنيئة ولازم الاشتغال بالعلم وفتح بيت جده وعمل به ميعاد الذكر كعادته وكان عظيم النفس مع تهذيب الاخلاق والتبسط مع الاخوان والممازحة مع تجنبه ما يخل بالمروءة وله بعض تعليقات وحواش وشعر مناسب ولم يزل على حالته الى ان توفى يوم السبت رابع شهر ربيع الاول من السنة وصلى عليه بالازهر فى مشهد حافل ودفن مع جده فى تربة واحدة بمقبرة المجاورين ولم يخلف

وقيدوه فلما سمع التركمان الحال اظهروا الخلاف والامتعاض ففارقوا رضوان والتجؤا الى سور المدينة واصعدوا ايلغازي الى قلعتها وخرج من بنصيبين من العسكر فاعانوه فلما راى التركمان ذلك تفرقوا ونهبوا ما قدروا عليه من المواشي وغيرها ورحل رضوان من وقته وسار الى حلب وكان جكرمش قد رحل من الموصل قاصدا لحرب القوم فلما بلغ تل يعفر اتاه المبشرون بانصراف رضوان على اختلاف وافتراق فرحل عند ذلك الى سنجار ووصلت اليه رسل رضوان تستدعي منه النجدة ويعتد عليه ما فعل بايلغازي فاجابه مغالطة ولم يف له بما وعده ونازل سنجار ليشفي غيظه من صهره البي بن ارسلان تاش بما اعتمده من معاداته ومظاهرة أعدائه وكان البي على شدة من المرض بالسهم الذي أصابه على نصيبين فلما نزل جكرمش عليها أمر البي أصحابه ان يحملوه اليه فحملوه في محفة فحضر عنده وأخذ يعتذر مما كان منه وقال جئت مذنبا فافعل بي ما تراه فرق له وأعاده الى بلده فلما عاد قضى نحبه فلما مات عصى على جكرمش من كان بسنجار وتمسكوا بالبلد فقاتله بقية رمضان وشوالا ولم يظفر منهم بشئ فجاء تميرك أخو ارسلان تاش عم البي فاصلح حاله مع جكرمش وبذل له الخدمة فعاد الى الموصل

(ذكر ملك طغتكين بصرى)

قد ذكرنا سنة سبع وتسعين حال بكتاش بن تتش وخروجه من دمشق واتصاله بالفرنج ومعه ايتكين الحلبي صاحب بصرى وسيرهما الى الرحبة وعودهما عنها فلما ضعفت أحوالهم سار طغتكين الى بصرى فحصرها وبها أصحاب ايتكين فراسلوا طغتكين وبذلوا له التسليم اليه بعد أجل قرروه بينهم فاجابهم الى ذلك فرحل عنهم الى دمشق فلما انقضى الاجل هذه السنة تسلمها وأحسن الى من بها ووفى لهم بما وعدهم وبالغ في أكرامهم وكثر الثناء عليه والدعاء له ومالت النفوس اليه وأحبوه

(ذكر ملك الفرنج حصن افامية)

في هذه السنة ملك الفرنج حصن افامية من بلد الشام وسبب ذلك ان خلف بن ملاعب الكلابي كان متغلبا على حمص وكان الضرر به عظيما ورجاله يقطعون الطريق فكثر الحرامية عنده فاخذها منه تتش بن الب ارسلان وابعده عنها فتقلبت به الاحوال الى أن دخل الى مصر فلم يلتفت اليه من بها فاقام بها واتفق ان المتولي لافامية من جهة الملك رضوان ارسل الى صاحب مصر وكان يميل الى مذهبهم يستدعي منهم من يسلم اليه الحصن وهو من امنع الحصون وطلب ابن ملاعب منهم ان يكون هو المقيم به وقال انني ارغب في قتال الفرنج وأوثر الجهاد فسلموه اليه واخذوا رهائنه فلما ملكه خلع طاعتهم ولم يرع حقهم فارسلوا اليه يتهددونه بما يفعلونه بولده الذي عندهم فاعاد الجواب انني لا أنزل من مكاني وابعثوا الي ببعض أعضاء ولدي حتى آكله فايسوا من رجوعه الى الطاعة وأقام بافامية يخيف السبيل ويقطع الطريق واجتمع عنده كثير من المفسدين فكثرت امواله ثم ان الفرنج ملكوا سرمين وهي من اعمال حلب واهله

ذكور رحمه الله * ومات الشيخ العلامة المفيد والنحرير المجيد محمد الحصافي الشافعي الفقيه النحوي الفرضي تلقى العلوم وحضر أشياخ الطبقة الاولى ودرس العلوم بالازهر وأفاد الطلبة وقرأ الكتب المفيدة وعاش طول عمره منعكفا في زوايا الخمول منعزلا عن الدنيا وهي منعزلة عنه راضيا بما قسم الله له قانعا بما يسره له مولاه لا يدعي في ولمة ولا ينهمك على شئ من أمور الدنيا ولم يزل على حالته حتى توفي يوم الاثنين ثالث عشر شوال من السنة * ومات العمدة المفضل الشيخ محمد عبد الفتاح المالكي من أهالي كفر حشاد بالمنوفية قدم من بلده صغيرا فجاور بالازهر وحضر على أشياخ الوقت ولازم دروس الشيخ الامير وبه تخرج وتفقه عليه وعلى غيره من علماء المالكية وتمهر في المعقولات وانجب وصارت له ملكة واستحضار ثم سافر الى بلده واقام بها يفيد ويفتي ويرجعون اليه في قضاياهم ودعاويهم فيقضي بينهم ولا يقبل من احد جعالة ولا هدية فاشتهر ذكره بالاقليم واعتقدوا فيه الصلاح والعفة وانه لا يقضي الا بالحق ولا ياخذ رشوة ولا جعالة ولا يحابي في الحق فامتثلوا لقضاياه واوامره فكان اذا قضى قاض من قضاة البلدان بين خصمين رجعا الى المترجم واعادا عليه دعواهما فان رأى القضاء صحيحا موافقا للشرع امضاه وامتثل الخصم الآخر ولا يمانع بعد

فلاة

غلاة في التشيع فلما ملكه الفرنج تفرق اهله فتوجه القاضي الذي به الى ابن ملاعب واقام عنده فاكرمه واحبه ووثق به فاعمل القاضي الحيلة عليه وكتب الى ابي طاهر المعروف بابن الصائغ وهو من اعيان اصحاب الملك رضوان ووجوه الباطنية ودعاتهم ووافقهم على الفتك بابن ملاعب وان يسلم افامية الى الملك رضوان فظهر شيء من هذا فاتى الى ابن ملاعب اولاده وكانوا قد تسللوا اليه من مصر وقالوا له قد بلغنا عن هذا القاضي كذا وكذا والرأي ان تعاجله وتحتاط لنفسك فان الامر قد اشتهر وظهر فاحضره ابن ملاعب فاتاه في كمه مصحف لانه راى امارات الشر فقال له ابن ملاعب ما بلغه عنه فقال له ايها الامير قد علم كل احد اني اتيتك خائفا جائعا فامنتني واغنيتني وعززتني فصرت ذا مال وجاه فان كان بعض من حسدني على منزلتي منك وما غمرني من نعمتك سعى بي اليك فانا الان اخذ جميع ما معي واخرج كما جئت وحلف له على الوفاء والنصح فقبل عذره وامنه وعاود القاضي مكاتبة ابي طاهر بن الصائغ واشار عليه ان يوافق رضوان على انفاذ ثلثمائة رجل من اهل سرمين وينفذ معهم خيلا من خيول الفرنج وسلاحا من اسلحتهم ورؤسا من رؤس الفرنج وياتون الى ابن ملاعب ويظهرون انهم غزاة ويشكون من سوء معاملة الملك رضوان واصحابه لهم وانهم فارقوه فلقيهم طائفة من الفرنج فظفروا بهم ويحملون جميع ما معهم اليه فاذا اذن لهم في المقام اتفقت آراؤهم على اعمال الحيلة عليه ففعل ابن الصائغ ذلك ووصل القوم الى افامية وقدموا الى ابن ملاعب بما معهم من الخيل وغيرها فقبل ذلك منهم وامرهم بالمقام عنده وانزلهم في ربض افامية فلما كان في بعض الليالي نام الحراس بالقلعة فقام القاضي ومن بالحصن من اهل سرمين ودلوا الحبال واصعدوا اولئك القادمين جميعهم وقصدوا اولاد ابن ملاعب وبني عمه واصحابه فقتلوهم واتى القاضي وجماعة معه الى ابن ملاعب وهو مع امرأته فاحس بهم فقال من انت فقال ملك الموت جئت لقبض روحك فناشده الله فلم يرجع عنه وجرحه وقتله وقتل اصحابه وهرب ابناه فقتل احدهما والتحق الآخر بابي الحسن بن منقذ صاحب شيزر لحفظه لعهد كان بينهما ولما سمع ابن الصائغ خبر افامية سار اليها وهو لا يشك انها له فقال له القاضي ان وافقتني واقمت معي فبالرحب والسعة ونحن بحكمك والا فارجع من حيث جئت فايس ابن الصائغ منه وكان احد اولاد ابن ملاعب بدمشق عند طغتكين غضبان على ابيه فولاه طغتكين حصنا وضمن على نفسه حفظ الطريق فلم يفعل وقطع الطريق واخذ القوافل فاستغاثوا الى طغتكين منه فارسل اليه من طلبه فهرب الى الفرنج واستدعاهم الى حصن افامية وقال ليس فيه غير قوت شهر فاقاموا عليه يحاصرونه فجاع اهله وملكه الفرنج وقتلوا القاضي المتغلب عليه واخذوا ابن الصائغ فقتلوه وكان هو الذي اظهر مذهب الباطنية بالشام هكذا ذكر بعضهم ان ابا طاهر ابن الصائغ قتله الفرنج بافامية وقد قيل ان ابن بديع رئيس حلب قتله سنة سبع وخمسمائة بعد وفاة رضوان وقد ذكرناه هناك والله اعلم

ذلك ابدا ويذعن لما قضاه الشيخ لعلمه انه لا لغرض دنيوي والا اخبرهم بان الحق خلافه فيمتثل الخصم الآخر ولم يزل على حالته حتى كانت المولد المعتاد بطندتا فذهب ابن الشيخ الامير الى هناك فاتى لزيارة ابن شيخه ونزل في الدار التي هو نازل فيها فانهدمت الجهة التي هو بها وسقطت عليه فمات شهيدا امردوما ومعه ثلاثة انفار من اهالي قرية العكروت وذلك في اوائل شهر الحجة ولم يخلف بعده مثله رحمه الله * ومات الامير سعيد اغادار السعادة العثماني الحبشي قدم الى مصر بعد مجيء يوسف باشا الوزير في ابهة ونزل بدرب الجماميز في البيت الذي كان نزل به شريف افندي الدفتردار بعد انتقاله منه وفتح باب التفتيش على جهات اوقاف الحرمين وغيرها واخاف الناس وحضر اليه كتبة الاوقاف وجلسوا المقارفة الناس والتعنت عليهم بطلب السندات ويهولون عليهم بالاغا المذكور وياخذون منهم المصالحات ثم ينهون اليه الامر على حسب اغراضهم ويعطونه جزءا وياخذون لانفسهم الباقي ثم تنبه لذلك فطرد غالبهم وشدد على الباقين وتساهل مع الناس وكان رئيسا عاقلا معدودا في الرؤساء تعمل عنده الدواوين والاجتماعات في مهمات الامور والوقائع كما تقدم ذكر ذلك في مواضعه ثم انه عرض بذات الرئة شهورا ومات في يوم الاثنين رابع شهر صفر

﴿ذكر نهب العرب البصرة﴾

قد ذكرنا استيلاء الامير صدقة على البصرة وانه استناب بها مملوكا كان لجده دبيس بن مزيد اسمه التونتاش وجعل معه مائة وعشرين فارسا فاجتمعت ربيعة والمنتفق ومن انضم اليها من العرب وقصدوا البصرة فى جمع كثير فقاتلهم التونتاش فاسروه وانهزم أصحابه ولم يقدر من بها على حفظها فدخلوها بالسيف واخرقوا القعدة واحرقوا الاسواق والدور الحسان ونهبوا ما قدروا عليه واقاموا ينهبون ويحرقون اثنين وثلاثين يوما وتشرد اهله فى السواد ونهبت خزانة كتب كانت موقوفة وقفها القاضى ابو الفرج ابن ابى البقاء وبلغ الخبر صدقة فارسل عسكرا فوصلوا وقد فارقها العرب ثم ان السلطان محمدا ارسل شحنة وعميدا الى البصرة واخذها من صدقة وعاد اهلها اليها وشرعوا فى عمارتها

﴿ذكر حال طرابلس الشام مع الفرنج﴾

كان صنجيل الفرنجى لعنه الله قد ملك مدينة جبلة واقام على طرابلس يحصرها فحيث لم يقدر ان يملكها بنى بالقرب منها حصنا وبنى تحته ربضا واقام مراصدا لها ومنتظرا وجود فرصة فيها فخرج فخر الملك ابو على بن عمار صاحب طرابلس فاحرق ربضه ووقف صنجيل على بعض سقوفه المحترقة ومعه جماعة من القمامصة والفرسان فانخسف بهم فمرض صنجيل من ذلك عشرة ايام ومات وحمل الى القدس فدفن فيه ثم أن ملك الروم امر اصحابه باللاذقية ليحملوا الميرة الى هؤلاء الفرنج الذين على طرابلس فحملوها فى البحر فاخرج اليها فخر الملك بن عمار اسطولا فجرى بينهم وبين الروم قتال شديد فظفر المسلمون بقطعة من الروم فاخذوها واسروا من كان بها وعادوا ولم تزل الحرب بين اهل طرابلس والفرنج خمس سنين الى هذا الوقت فعدمت الاقوات به وخاف اهله على نفوسهم واولادهم وحرمهم فجلا الفقراء وافتقر الاغنياء وظهر من ابن عمار صبر عظيم وشجاعة ورأى سديد ومما اضر بالمسلمين فيها ان صاحبها استنجد سقمان بن ارتق فجمع العساكر وسار اليه فمات فى الطريق على ما ذكرناه واذا اراد الله امرا هيا اسبابه واجرى ابن عمار الجرايات على الجند والضعفاء فلما قلت الاموال عنده شرع يقسط على الناس ما يخرجه فى باب الجهاد فاخذ من رجلين من الاغنياء مالا مع غيرهما فخرج الرجلان الى الفرنج وقالا ان صاحبنا صادرنا فخرجنا اليكم لنكون معكم وذكرا له انه تأتيه الميرة من عرقة والجبل فجعل الفرنج جمعا على ذلك الجانب يحفظه من دخول شئ الى البلد فارسل ابن عمار وبذل للفرنج مالا كثيرا ليسلموا الرجلين اليه فلم يفعلوا فوضع عليهما من قتلهما غيلة وكانت طرابلس من أعظم بلاد الاسلام واكثرها تجملا وثروة فباع أهلها من الحلى والاوانى الغريبة ما لا حد عليه حتى بيع كل مائة درهم نقرة بدينار وشتان بين هذه الحالة وبين حال الروم ايام السلطان الب ارسلان وقد ذكرت ظفره بهم سنة ثلاث وستين واربعمائة وقد كان بعض أصحابه وهو كمشتكين دواتى عميد

* ومات الامير سليمان بك المرادى وهو من الامراء الذين تأمروا بعد موت مراد بك وكان ظالما غشوما ويعرف بريحه بقشديدا لياه وسبب تسميته بذلك انه كان اذا أراد قتل انسان ظلما يقول لاحد اعوانه خذه وريحه فياخذه ويقتله ومات فى واقعة اسيوط الاخيرة اخذت جلة المدفع دماغه وقطع ذراعه وعرفوا قتله بخاتمه الذى فى اصبعه فى ذراعه المقطوع * ومات سليمان بك الالفى الذى قتل فى واقعة ياسين بك بالمنية عند الخندق وغير هؤلاء والله اعلم

(واستهلت سنة ثلاث وعشرين ومائتين والف) * فكان اول المحرم يوم الاحد فيه برز القابجى المسمى بيانجى بك الى السفر على طريق البر وخرج الباشا لوداعه وهذا القابجى كان حضر بالاوامر بخروج العساكر للبلاد الحجازية وخلاص البلاد من ايدى الوهابية وفى مراسيمه التى حضر بها التاكيد والحث على ذلك فلم يزل الباشا يخادعه ويعده بانفاذ الامر ويعرفه ان هذا الامر لا يتم بالعجلة ويحتاج الى استعداد كبير وانشاء مراكب فى القلزم وغير ذلك من الاستعدادات وعمل الباشا ديوانا جمع فيه الدفتردار والمعلم غالى والسيد عمر والمشايخ وقال لهم لا يخفاكم ان الحرمين استولى عليها الوهابيون ومشوا احكامهم بها وقد وردت علينا الاوامر الملك

الملك هرب منه خوفا لما قبض على صاحبه عميد الملك وسار الى الرقة فأدركها وصار معه كثير من التركمان فيهم الافشين وأحمدشاه فقتلاه وارسلا رأسه الى الب ارسلان ودخل الافشين بلاد الروم وقاتل الفردوس صاحب انطاكية فهزمه وقتل من الروم خلقا كثيرا وسار ملك الروم من القسطنطينية الى ملطية فدخل الافشين بلاده ووصل الى عمورية وقتل فى غزاته مائة ألف آدمى ولما عاد الى بلاد الاسلام وتفرق من معه خرج عليه عسكر الرها وهى حينئذ للروم ومعهم بنو نمير من العرب فقاتلهم ومعه مائتا فارس فهزمهم ونهبهم ونهب بلاد الروم فارسل ملك الروم رسولا الى القائم بامر الله يسأله الصلح فارسل الى الب ارسلان فى ذلك فصالح الروم على مائة ألف دينار وأربعة آلاف ثوب أصنافا وثلثمائة رأس بغال فشتان بين الحالتين وأقول شتان بين حال أولئك المرذولين الذين استعجزهم وبين حال الناس فى زماننا هذا وهو سنة ست عشرة وستمائة مع الفرنج أيضا والتتر وسترى ذلك مشروحا ان شاء الله تعالى لتعلم الفرق نسأل الله تعالى ان ييسر للاسلام وأهله قائما يقوم بنصرهم وان يدفع عنهم عن احب من خلقه وما ذلك على الله بعزيز

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة ورد الى بغداد انسان من الملثمين ملوك الغرب قاصدا الى دار الخلافة فاكرم وكان معه انسان يقال له الفقيه من الملثمين أيضا فوعظ الفقيه فى جامع القصر واجتمع له العالم العظيم وكان يعظ وهو متلثم لا يظهر منه غير عينيه وكان هذا الملثم قد حضر مع ابن الافضل امير الجيوش بمصر وقعته مع الفرنج وابلى بلاء حسنا وكان سبب مجيئه الى بغداد ان المغاربة كانوا يعتقدون فى العلويين أصحاب مصر الاعتقاد القبيح فكانوا اذا ارادوا الحج يعدلون عن مصر وكان امير الجيوش بدر والد الافضل اراد استصلاحهم فلم يميلوا اليه ولا قاربوه فامر بقتل من ظفر به منهم فلما ولى ابنه الافضل احسن اليهم واستعان بمن قاربه منهم على حرب الفرنج وكان هذا من جملة من قاتل معه فلما خالط المصريين خاف العود الى بلاده فقدم بغداد ثم عاد الى دمشق ولم يكن للمصريين حرب مع الفرنج الا وشهدها فقتل فى بعضها شهيدا وكان شجاعا فتاكا مقداما وفيها فى ربيع الآخر ظهر كوكب فى السماء له ذؤابة كقوس قزح آخذة من المغرب الى وسط السماء وكان يرى قريبا من الشمس قبل ظهوره ليلا وبقى يظهر عدة ليال ثم غاب وفيها وصل الملك قلج ارسلان بن سليمان بن قتلمش صاحب بلاد الروم الى الرها ليحصرها وبها الفرنج فراسله أصحاب جكرمش المقيمون بحران ليسلموها اليه فسار اليهم وتسلم البلد وفرح به الناس لاجل جهاد الفرنج فاقام بحران اياما ومرض مرضا شديدا اوجب عوده الى ملطية فعاد مريضا وبقى أصحابه بحران وفى هذه السنة توفى الشيخ ابو منصور الخياط المقرى امام مسجد ابن جردة وكان خيرا صالحا وفيها قتل القاضى ابو العلاء صاعد بن ابى محمد النيسابورى الحنفى بجامع اصبهان قتله باطنى وفيها توفى ابو الفوارس الحسين

السلطانية المرة بعد المرة للخروج اليهم ومحاربتهم وجلائهم وطردهم عن الحرمين الشريفين ولا تخفى عنكم الحوادث والوقائع التى كانت سببا فى التأخير عن المبادرة فى امتثال الاوامر والآن حصل المدد وحضر قابجى باشا بالتأكيد والحث على خروج العساكر وسفرهم وقد حسبنا المصاريف اللازمة فى هذا الوقت فبلغت اربعة وعشرين الف كيس فاعملوا رايكم فى تحصيلها فحصل ارتباك واضطراب وشاع ذلك فى الناس وزادبهم الوسواس ثم اتفقوا على كتابة عرضحال ليصحبه ذلك القابجى معه بصورة قوها (وفى سادسه) حضر مرزوق بك وسليم بك المحرمجى وعلى كاشف الصابونجى المرسل فطلعوا الى القلعة وقابلوا الباشا وخلع على مرزوق بك والمحرمجى فروتين ونزلا الى دورهما ثم ترددوا وطلعوا ونزلوا وبلغوا رسائل الامراء القبليين وذكروا مطالبهم وشروطهم وشروط الباشا عليهم والاتفاق فى تقرير الصلح والمصالحة عدة أيام (وفيه) حضر عرب الهنادى والجهنة وصالحوا على انفسهم وان يرجعوا الى منازلهم بالبحيرة ويطردوا اولاد على وكانوا تغلبوا على الاقليم وحصل منهم الفساد والافساد وكانت مصالحتهم بيد شاهين بك الالفى وسافر معهم شاهين بك وخشداشينه ولم يبق بالجيزة سوى نعمان بك وذهبوا الى ناحية دمنهور

ابن على بن الحسين بن الخازن صاحب الخط الجيد وعمره سبعون سنة قيل انه كتب خمسمائة ختمة وفيها فى المحرم توفى القاضى ابو الفرج عبيد الله بن الحسن قاضى البصرة وله ثلاث وثمانون سنة وكان من الفقهاء الشافعية المشهورين تفقه على الماوردى وابى اسحق واخذ النحو عن الرقى والدهان وابن برهان وكان عفيفا مقدما عند الخلفاء والسلاطين وفيها فى المحرم توفى سهل بن أحمد بن على الارغيانى أبو الفتح الحاكم تفقه على الجوينى وبرز ثم ترك المناظرة وبنى رباطا واشتغل بالعبادة وقراءة القرآن وفيها فى صفر توفى الامير مهارش بن مجلى وله نحو ثمانين سنة وهو الذى كان الخليفة القائم عنده بالحديثة وكان كثير الصلاة والصوم يحب الخير وأهله ولما توفى ملك الحديثة بعده ابنه سليمان

(ثم دخلت سنة خمسمائة)

(ذكر وفاة يوسف بن تاشفين وملك ابنه على)

فى هذه السنة توفى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ملك الغرب والاندلس وكان حسن السيرة خيرا عادلا يميل الى أهل الدين والعلم ويكرمهم ويصدر عن رأيهم ولما ملك الاندلس على ماذكرناه جمع الفقهاء واحسن اليهم فقالوا له ينبغى ان تكون ولايتك من الخليفة لتجب طاعتك على الكافة فارسل الى الخليفة المستظهر بالله أمير المؤمنين رسولا ومعه هدية كثيرة وكتب معه كتابا يذكر مافتح الله من بلاد الفرنج وما اعتمده من نصرة الاسلام ويطلب تقليدا بولاية البلاد فكتب له تقليد من ديوان الخلافة بما أراد ولقب أمير المسلمين وسيرت اليه الخلع فسر بذلك سرورا كثيرا وهو الذى بنى مدينة مراكش للمرابطين وبقى على ملكه الى سنة خمسمائة فتوفى وملك بعده البلاد ولده على بن يوسف وتلقب أيضا أمير المسلمين فازداد فى اكرام العلماء والوقوف عند اشاراتهم وكان اذا وعظه أحدهم خشع عند استماع الموعظة ولان قلبه لها وظهر ذلك عليه وكان يوسف بن تاشفين حليما كريما دينا خيرا يحب أهل العلم والدين ويحكمهم فى بلاده وكان يحب العفو والصفح عن الذنوب العظام فمن ذلك ان ثلاثة نفر اجتمعوا فتمنى أحدهم ألف دينار يتجر بها وتمنى الآخر عملا يعمل فيه لامير المسلمين وتمنى الآخر زوجته النفزاوية وكانت من أحسن النساء ولها الحكم فى بلاده فبلغه الخبر فاحضرهم وأعطى متمنى المال ألف دينار واستعمل الآخر وقال للذى تمنى زوجته ياجاهل ما حملك على هذا الذى لا تصل اليه ثم أرسله اليها فتركته فى خيمة ثلاثة أيام تحمل اليه كل يوم طعاما واحدا ثم أحضرته وقالت له ما أكلت هذه الايام قال طعاما واحدا فقالت كل النساء شئ واحد وأمرت له بمال وكسوة وأطلقته

(ذكر قتل فخر الملك بن نظام الملك)

فى هذه السنة قتل فخر الملك أبو المظفر على بن نظام الملك يوم عاشوراء وكان اكبر اولاده وقد ذكرنا سنة ثمان وثمانين واربعمائة وزارته للسلطان بركيارق فلما فارق وزارته

وارتحل اولاد على الى حوش ابن عيسى وذلك أواخر المحرم ثم ان شاهين بك ركب بمن معه وحاربوهم ووقع بينهم مقتلة عظيمة وقتل فيها شخصان من كبار الاجناد الالفية وهما عثمان كاشف وآخر ونحو ستة مماليك وقتل جملة كثيرة من العرب وانكشف الحرب عن هزيمة العرب واسروا منهم نحو الاربعين وغنموا منهم غنائم كثيرة من اغنام وجمال وتفرقوا وتشتتوا وذهبوا الى ناحية قبلى والفيوم وذلك فى شهر صفر

(واستهل شهر ربيع الثانى سنة ١٢٢٣)

فى عاشره حضر شاهين بك وباقى الالفية (وفى عشرينه) ورد الخبر بموت شاهين بك المرادى فخلع الباشا على سليم بك المحرمجى وجعله كبيرا ورئيسا على المرادية عوضا عن شاهين بك وسافر الى قبلى (وفيه) أيضا حضر أمين بك الالفى من غيبته وكان مسافرا مع الانكليز الذين كانوا حضروا الى الاسكندرية ورشيد وحصل لهم ما حصل فلم يزل غائبا حتى بلغه صلح شاهين بك الالفى ... شد اشينه مع الباشا فرجع وطلع على ردته فارسلوا له الملاقاة والخيول واللوازم وحضر فى التاريخ المذكور (وفيه) زوج الباشا شاهين بك سرية انتقتها زوجة الباشا ونظمتها وفرش له بسبعة مجالس بقصر الجيزة وجمع لذلك المنجدين وتقيد بتجهيز الشوار والاقمشة واللوازم الخواجا محمود حسن

قصد

قصد نيسابور وأقام عند الملك سنجر بن ملكشاه ووزر له وأصبح يوم عاشوراء صائما وقال لاصحابه رأيت الليلة في المنام الحسين بن علي عليهما السلام وهو يقول عجل الينا وليكن افطارك عندنا وقد اشتغل فكري به ولا محيد عن قضاء الله وقدره وقالوا له يحميك الله والصواب ان لا تخرج اليوم والليلة من دارك فاقام يومه يصلي ويقرأ القرآن وتصدق بشئ كثير فلما كان وقت العصر خرج من الدار التي كان بها يريد دار النساء فسمع صياح متظلم شديد الحرقة وهو يقول ذهب المسلمون فلم يبق من يكشف مظلمة ولا يأخذ بيد ملهوف فاحضره عنده رحمة له فحضر فقال ما حالك فدفع اليه رقعة فبينما فخر الملك يتأملها اذ ضربه بسكين فقضى عليه فمات فحمل الباطني الى سنجر فقرره فاقر على جماعة من اصحاب السلطان كذبا وقال انهم وضعوني على قتله وأراد ان يقتل بيده وسعايته فقتل من ذكر وكان مكذوبا عليهم ثم قتل الباطني بعدهم وكان عمر فخر الملك ستا وستين سنة

(ذكر ملك صدقة بن مزيد تكريت)

في هذه السنة في صفر تسلم الامير سيف الدولة صدقة بن منصور بن مزيد قلعة تكريت وقد ذكرنا فيما تقدم انها كانت لبني معن العقيليين وكانت الى آخر سنة سبع وعشرين وأربعمائة بيد رافع بن الحسين بن معن فمات ووليها ابن أخيه أبو منعة خميس بن تغلب بن حماد ووجد بها خمسمائة ألف دينار سوى المصاغ وتوفي سنة خمس وثلاثين وأربعمائة ووليها ولده أبو غشام فلما كان سنة اربع واربعين وثب عليه عيسى فحبسه وملك القلعة والاموال فلما اجتاز به طغرلبك سنة ثمان واربعين صالحه على بعض المال فرحل عنه وخافت زوجته اميرة بعد موته ان يعود ابو غشام يملك القلعة فقتلته وكان قد بقي في الحبس اربع سنين واستنابت في القلعة ابا الغنائم بن المحلبان فسلمها الى اصحاب السلطان طغرلبك فسارت الى الموصل فقتلها ابن ابي غشام بابيه واخذ شرف الدولة مسلم بن قريش مالها ورد طغرلبك امر القلعة الى انسان يعرف بابي العباس الرازي فمات بها بعد ستة اشهر فملكها المهرباط وهو ابو جعفر محمد بن احمد بن خشنام من بلد الثغر فاقام بها احدى وعشرين سنة ومات ووليها ابنه سنتين واخذتها منه تركان خاتون ووليها لها كوهرائين ثم ملكها بعد وفاة ملكشاه قسيم الدولة آقسنقر صاحب حلب فلما قتل صارت للامير كمشتكين الجاندار فجعل فيها رجلا يعرف بابي المصارع ثم عادت الى كوهرائين اقطاعا ثم اخذها منه مجد الملك البلاساني فولى فيها كيقباذ بن هزارسب الديلمي فاقام بها اثنتي عشرة سنة فظلم اهلها واساء السيرة فلما اجتاز به سقمان بن ارتق سنة ست وتسعين ونهبها كان كيقباذ ينهبها الليل وسقمان ينهبها نهارا فلما استقر السلطان محمد بعد موت اخيه بركيارق اقطعها للامير آقسنقر البرسقي شحنة بغداد فسار اليها وحصرها مدة تزيد على سبعة اشهر حتى ضاق على كيقباذ الامر فراسل صدقة بن مزيد ليسلمها اليه فسار اليها في صفر هذه السنة وتسلمها منه وانحدر البرسقي ولم يملكها ومات كيقباذ بعد نزوله من القلعة

وكذلك زوج نعمان بك سرية أخرى وسكن بيت المشهدي بدرب الدليل بعد ان عمرت له الدار وفرشت على طرف الباشا وكذلك تزوج عمر بك بجارية من جواري الست نفيسة المرادية وجهزتها جهازا نفيسا من مالها وتزوج أيضا علي كاشف الكبير الالفي بزوجة استاذه

(شهر جمادى الاولى سنة ١٢٢٣)

(فيه) سافر مرزوق بك بعد تقرير أمر الصلح بينه وبين الامراء المصريين القبالي وقلد الباشا مرزوق بك ولاية جرجا وامارة الصعيد وألبسه الخلعة وشرط عليه ارسال المال والغلال الميرية فعند ذلك اطمانت الناس وسافرت السفار والمتسببون ووصل الى السواحل مراكب الغلال والاشياء التي تجلب من الجهة القبلية

(واستهل شهر جمادى الثانية سنة ١٢٢٣)

فيه قطع الباشا مرتب الدلاة الاغراب وأخرجهم وعزل كبيرهم الذي يسمى كردي بوالي الساكن ببولاق وقلد ذلك مصطفى بك من أقاربه وجعله كبيرا على طائفة الدلاتية الباقين وضم اليه طائفة من الاتراك ألبسهم طراطير وجعلهم دلاتية وسافر كردي بوالي لبلاده في منتصف الشهر وخرج صحبته عدة كبيرة من الدلاة (وفي اواخره) وردت الاخبار من اسلامبول وذلك ان طائفة من الينكجرية تعصبت وقامت على السلطان سليم

بثمانية ايام وكان عمره ستين سنة واستناب صدقة بهاورام بن ابى فراس بن ورام وكان كيقباذ ينسب الى الباطنية وكان موته من سعادة صدقة فانه لو اقام عنده لعرض صدقة لظنون الناس فى اعتقاده ومذهبه

﴿ذكر الحرب بين عبادة وخفاجة﴾

فى هذه السنة فى ربيع الاول كانت حرب بين عبادة وخفاجة ظفرت عبادة واخذت بثارها من خفاجة وكان سبب ذلك ان سيف الدولة صدقة ارسل ولده بدران فى جيش الى طرف بلاده مما يلى البطيحة ليحميها من خفاجة لانهم يؤذون اهل تلك النواحى فقربوا منه وتهددوا اهل البلاد فكتب الى ابيه يشكو منهم ويعرفه حالهم فاحضر عبادة وكانت خفاجة قد فعلت بهم العام الماضى ما ذكرناه فلما حضر واعنده قال لهم ليتجهزوا مع عسكره ليأخذوا بثارهم من خفاجة فساروا فى مقدم عسكره فادركوا حلة من خفاجة من بنى كليب ليلا وهم غارون لم يشعروا به فقالوا من انتم فقالت عبادة نحن أصحاب الديون فعلموا انهم عبادة فقاتلوهم وصبرت خفاجة فبينما هم فى القتال اذ سمع طبل الجيش فانهزموا وقتلت منهم عبادة جماعة وكان فيهم عشرة من وجوههم وتركوا حرمهم فامر صدقة بحراستهن وحمايتهن وامر العسكر أن يؤثروا عبادة بما غنموه من أموال خفاجة خلفا لهم عما اخذ منهم فى العام الماضى واصاب خفاجة من مفارقة بلادها ونهب أموالها وقتل رجالها أمر عظيم وانتزحت الى نواحى البصرة وأقامت عبادة فى بلاد خفاجة ولما انهزمت خفاجة وتفرقت ونهبت أموالها جاءت امرأة منهم الى الامير صدقة فقالت له انك سبيتنا وسلبتنا قوتنا وغربتنا واضعت حرمتنا قابلك الله فى نفسك وجعل صورة أهلك كصورتنا فكظم الغيظ واحتمل لها ذلك واعطاها اربعين جملا ولم يمض غير قليل حتى قابل الله صدقة فى نفسه واولاده فان دعاء الملهوف عند الله بمكان

﴿ذكر مسير جاولى سقاوو الى الموصل واسر صاحبها جكرمش﴾

فى هذه السنة فى المحرم اقطع السلطان محمد جاولى سقاوو الموصل والاعمال التى بيد جكرمش وكان جاولى قبل هذا قد استولى على البلاد التى بين خوزستان وفارس واقام بها سنين وعمر قلاعها وحصنها واساء السيرة فى اهلها وقطع أيديهم وجدع أنوفهم وسمل أعينهم فلما تمكن السلطان محمد من السلطنة خافه جاولى وأرسل السلطان اليه الامير مودود بن التونتكين فتحصن منه جاولى وحصره مودود ثمانية اشهر فارسل جاولى الى السلطان اننى لا انزل الى مودود فان أرسلت غيره نزلت فارسل اليه خاتمه مع أمير آخر فنزل جاولى وحضر الخدمة باصبهان فرأى من السلطان ما يحب وامره السلطان بالمسير الى الفرنج ليأخذ البلاد منهم واقطعه الموصل وديار بكر والجزيرة كلها وكان جكرمش لما عاد من عند السلطان الى بلاده كما ذكرناه وعد من نفسه الخدمة وحمل المال فلما استقر ببلاده لم يف بما قال وتثاقل فى الخدمة وحمل المال فاقطع بلاده لجاولى فجاء

وعزلوه وأجلسوا مكانه السلطان مصطفى وابطلوا النظام الجديد وقتلوا دفتردار النظام الجديد وكتخدا الدولة ودفتردار الدولة وغيرهم وقطعوهم فى آت ميدان بعد ان تغيبوا واختفوا فى أماكن حتى فى بيوت النصارى واستدلوا عليهم واحدا بعد واحد فكانوا يسحبون الامير منهم المترفه على صورة منكرة الى آت ميدان فيقتلونه وبعضهم قطعوه فى الطريق وسكن الحال على سلطنة السلطان مصطفى بن عبد الحميد وكان السلطان سليم عندما احس بحركة الينكجرية ارسل يستنجد ويستدعى مصطفى باشا البيرقدار وكان برشق بالروملى بعظيم العرضى المتعين على حرب الموسكوب ووصل خبر الواقعة الى من بالعرضى فقام ايضا الينكجرية القتنة بالعرضى وقتلوا أغات العرضى وخلافه وهرب الرئيس وخلافه عند مصطفى باشا المذكور وقد وصله مراسلة السلطان سليم فحركه همته على القيام بنصرة السلطان سليم على الينكجرية فركب من العرضى فى عدة وافرة وحضر الى اسلامبول وشق بجمعه وعسكره من وسطها فى كبكبة حتى وصل الى باب السراية فوجده مغلقا فاراد كسره او حرقه الى ان فتحوه بالعنف وعبر الى داخل السراية وطلب السلطان سليم وعند ذلك أرسل السلطان مصطفى المتولى جماعة من خاصته فدخلوا على

الى

الى بغداد واقام بها الى اوّل ربيع الاوّل وسار الى الموصل وجعل طريقه على البوازيج فملكها ونهبها اربعة ايام بعد ان أمن اهلها وحلف لهم انه يحميهم فلما ملكها سار الى اربل واما جكرمش فانه لما بلغه مسيره الى بلاده كتب في جمع العساكر فاتاه كتاب ابى الهيجاء بن موسك الكردي الهذباني صاحب اربل يذكر استيلاء جاولى على البوازيج ويقول له ان لم تعجل المجيء اليه اجتمع عليه وغنمه والا اضطررت الى موافقته والمصير معه فبادر جكرمش وعبر الى شرقي دجلة وسار في عسكر الموصل قبل اجتماع عساكره وارسل اليه ابو الهيجاء عسكره مع اولاده فاجتمعوا بقرية باكلبا من اعمال اربل ووافاهم جاولى وهو في الف فارس وكان جكرمش في الفي فارس ولا يشك انه ياخذ جاولى باليد فلما اصطفوا للحرب حمل جاولى من القلب على قلب جكرمش فانهزم من فيه وبقى جكرمش وحده لا يقدر على الهزيمة لفالج كان به فهو لا يقدر يركب وانما يحمل في محفة فلما انهزم اصحابه قاتل عنه ركابي اسود قتالا عظيما فقتل وقاتل معه واحد من اولاد الملك قاورت بك بن داود اسمه احمد فقاتل بين يديه فطعن فجرح وانهزم فمات بالموصل ولم يقدر اصحاب جاولى على الوصول الى جكرمش حتى قتل الركابي الاسود فحينئذ اخذوه اسيرا واحضروه عند جاولى فامر بحفظه وحراسته وكانت عساكر جكرمش التي استدعاها قد وصلت الى الموصل بعد مسيره بيومين فساروا جرائد ليدركوا الحرب فلقيهم المنهزمون ليقضي الله امرا كان مفعولا

(ذكر حصر جاولى سقاوو الموصل وموت جكرمش)

لما انهزم العسكر واسر جكرمش وصل الخبر الى الموصل فاقعدوا في الامرة زنكي بن جكرمش وهو صبي عمره احدى عشرة سنة وخطبوا له واحضروا اعيان البلد والتمسوا منهم المساعدة فاجابوا الى ذلك وكان مستحفظ القلعة مملوكا لجكرمش اسمه غزغلى فقام في ذلك المقام المرضى وفرق الاموال التي جمعها جكرمش والخيول وغير ذلك على الجند وكاتب سيف الدولة صدقة وقلج ارسلان والبرسقي شحنة بغداد بالمبادرة اليهم ومنع جاولى عنهم ووعدوا كلا منهم ان يسلموا البلد اليه فاما صدقة فلم يجبهم الى ذلك ورأى طاعة السلطان وأما البرسقي و قلج ارسلان فنذكر حالهما ثم ان جاولى حصر الموصل ومعه كرماوى بن خراسان التركماني وغيره من الامراء وكثر جمعه وأمر ان يحمل جكرمش كل يوم على بغل وينادى اصحابه بالموصل ليسلموا البلد ويخلصوا صاحبهم مما هو فيه و يأمرهم هو بذلك فلا يسمعون منه وكان يسجنه في جب و يوكل به من يحفظه لئلا يسرق فاخرج في بعض الايام ميتا وعمره نحو ستين سنة وكان شأنه قد علا ومنزلته قد عظمت وكان قد شيد سور الموصل وقواه وبنى عليه فصيلا وحفر خندقها وحصنها غاية ما يقدر عليه وكان مع جكرمش رجل من أعيان الموصل يقال له أبو طالب بن كسيرات وبنو كسيرات الى الآن بالموصل من أعيان أهلها وكان أبو طالب قد تقدم عند جكرمش وارتفعت منزلته واستولى على أموره وحضر معه الحرب فلما اسر جكرمش هرب أبو طالب الى اربل وكان أولاد أبي الهيجاء صاحب اربل قد

السلطان سليم في المكان الذي هو مختف به وقتلوه بالخناجر والسكاكين حتى مات وأحضروه ميتا الى مصطفى باشا البيرقدار وقالوا له هاهو السلطان سليم الذي تطلبه فلما رآه ميتا بكى وتاسف (ثم انه عزل السلطان مصطفى واحضر محمودا أخاه ابن عبد الحميد واجلسه على تخت الملك) ونودي باسمه وكان ذلك يوم الخميس خامس جمادى الثانية من السنة وعمره ثلاث وعشرون سنة ومات السلطان سليم وعمره احدى وخمسون سنة لانه ولد سنة ١١٧٢ ومدة ولايته نحو العشرين سنة تنقص شهرا فلما وردت هذه الاخبار وتواترت في مكاتبات التجار والسفار خطب بعض الخطباء يوم الجمعة سادس عشرينه باسم السلطان محمود وبعضهم أطلق في الدعاء ولم يذكر الاسم (وفيه) قوي عزم الباشا على السفر الى جهة دمياط ورشيد والاسكندرية فطلب لوازم السفر ووعد بسفره بعد قطع الخليج وطفق يستعجل بالوفاء ويطلب ابن الرداد المقياسي ويساله عن الوفاء ويقول اقطعوا جسر الخليج في غد أو بعد غد فيقول تامرونا بقطعه قبل الوفاء فيقول لا ويقول ليس الوفاء بايدينا (فلما كان يوم السبت) سابع عشرينه وخامس عشر مسرى القبطي نقص النيل نحو خمسة أصابع وانكشف الحجر الراقد الذي عند فم الخليج تحت الحجر القائم فضج الناس وفرحوا

حضروا الحرب مع جكرمش واسرهم جاولي فارسل الى أبي الهيجاء يطلب ابن كسيرات فاطلقه وسيره اليه فاطلق جاولي ابن أبي الهيجاء فلما حضر ابن كسيرات عند جاولي ضمن له فتح الموصل وبلاد جكرمش وتحصيل الاموال فاعتقله اعتقالا جميلا وكان قاضي الموصل أبو القاسم بن ودعان عدوا لابي طالب فارسل الى جاولي يقول له ان قتلت أبا طالب سلمت الموصل اليك فقتله وأرسل رأسه اليه فاظهر الشماتة به واخذ كثيرا من أمواله وودائعه فثار به الاتراك غضبا لابي طالب ولتفرده بما اخذ من امواله فقتلوه وكان بينهما شهر واحد وقد رأينا كثيرا وسمعنا ما لا نحصيه من قرب وفاة أحد المتعادين بعد صاحبه

(ذكر الحرب بين ملك القسطنطينية والفرنج) *

في هذه السنة كانت وحشة مستحكمة بين ملك الروم صاحب القسطنطينية وبين بيمند الفرنجي فسار بيمند الى بلد ملك الروم ونهبه وعزم على قصده فارسل ملك الروم الى الملك قلج أرسلان بن سليمان صاحب قونية واقصرا وغيرهما من تلك البلاد يستنجده فامده بجمع من عسكره فقوى بهم وتوجه الى بيمند فالتقوا وتصافوا واقتتلوا وصبر الفرنج بشجاعتهم وصبر الروم ومن معهم لكثرتهم ودامت الحرب ثم اجلت الوقعة عن هزيمة الفرنج واتى القتل على اكثرهم واسر كثير منهم والذين سلموا عادوا الى بلادهم بالشام وعاد عسكر قلج ارسلان الى بلادهم عازمين على المسير الى صاحبهم بديار الجزيرة فاتاهم خبر قتله على ما نذكره ان شاء الله تعالى فتركوا الحركة واقاموا

(ذكر ملك قلج ارسلان الموصل) *

قد ذكرنا ان اصحاب جكرمش كتبوا الى الامير صدقة وقسيم الدولة البرسقي والملك قلج ارسلان بن سليمان بن قتلمش السلجوقي صاحب بلاد الروم يستدعون كلا منهم اليهم ليسلموا البلد اليه فاما صدقة فامتنع ورأى طاعة السلطان واما قلج ارسلان فانه سار في عساكره فلما سمع جاولي سقاوو بوصوله الى نصيبين رحل عن الموصل واما البرسقي فانه كان شحنة بغداد فسار منها الى الموصل فوصلها بعد رحيل جاولي عنها فنزل بالجانب الشرقي فلم يلتفت احد اليه ولا ارسلوا اليه كلمة واحدة فعاد في باقي يومه ثم ان قلج ارسلان لما وصل الى نصيبين اقام بها حتى كثر جمعه فلما سمع جاولي بقربه رحل من الموصل الى سنجار وودع رحله بها واتصل به الامير ايلغازي بن ارتق وجماعة من عسكر جكرمش فصار معه اربعة آلاف فارس فاتاه كتاب الملك رضوان يستدعيه الى الشام ويقول له ان الفرنج قد عجز من بالشام عن منعهم فسار الى الرحبة وارسل اهل الموصل وعسكر جكرمش الى قلج ارسلان وهو بنصيبين استحلفوه لهم فحلف واستحلفهم على الطاعة له والمناصحة وسار معهم الى الموصل فملكها في الخامس والعشرين من رجب ونزل بالمعروفة وخرج اليه ولد جكرمش واصحابه فخلع عليهم وجلس على التخت واسقط السلطان محمدا وخطب لنفسه بعد الخليفة واحسن الى العسكر واخذ القلعة

الغلال من الرقع والعرصات والسواحل وانزعجت الخلائق بسبب شحة النيل في العام الماضي وهيفان الزرع وتنوع المظالم وخراب الريف وجلاء أهله واجتمع في ذلك اليوم المشايخ عند الباشا فقال لهم اعملوا استسقاء وأمروا الفقراء والضعفاء والاطفال بالخروج الى الصحراء وادعوا الله فقال له الشيخ الشرقاوي ينبغي ان ترفقوا بالناس وترفعوا الظلم فقال أنا لست بظالم وحدي وأنتم أظلم مني فاني رفعت عن حصتكم الفرض والمغارم اكراما لكم وأنتم تاخذونها من الفلاحين وعندي دفتر محرر فيه ما تحت أيديكم من الحصص يبلغ ألفي كيس ولا بد اني أفحص عن ذلك وكل من وجدته يأخذ الفرضة المرفوعة من فلاحينه أرفع الحصة عنه فقالوا له لك ذلك ثم اتفقوا على الخروج والسقيا في صبحها بجامع عمرو بن العاص لكونه محل الصحابة والسلف الصالح يصلون به صلاة الاستسقاء ويدعون الله ويستغفرونه ويتضرعون اليه في زيادة النيل وبالجملة ركب السيد عمر والمشايخ وأهل الازهر وغيرهم والاطفال واجتمع عالم كثير وذهبوا الى الجامع المذكور بمصر القديمة فلما كان صبحها وتكامل الجمع صعد الشيخ جاد المولى على المنبر وخطب بعد ان صلى صلاة الاستسقاء ودعا الله وأمن الناس على دعائه وحول رداءه ورجع الناس بعد صلاة الظهر وبات السيد عمر هناك (وفي تلك الليلة) رجع من

من غز على مملوك جكرمش وجعل له فيها ازدادا ورفع الرسوم المحدثة فى الظلم وعدل فى الناس وتألفهم وقال من سعى الى باحد قتلته فلم يسع احد باحد واقر القاضى ابا محمد عبد الله بن القاسم بن الشهرزورى على القضاء بالموصل وجعل الرياسة لابى البركات محمد بن محمد بن خميس وهو والد شيخنا ابى الربيع سليمان وكان فى جملة قلج ارسلان الامير ابراهيم بن ينال التركمانى صاحب آمد ومحمد بن جبق التركمانى صاحب حصن زياد وهو خرتبرت فاما ابراهيم بن ينال فكان سبب ملكه لمدينة آمد ان تاج الدولة تتش حين ملك ديار بكر ارسلها اليه فبقيت بيده واما محمد بن جبق فكان سبب ملكه لحصن زياد ان هذا الحصن كان بيد الفلادروس الرومى ترجمان ملك الروم وكانت الرها وانطاكية من اعماله فلما ملك سليمان بن قتلمش والد قلج ارسلان انطاكية وملك فخر الدولة بن جهير ديار بكر ضعف الفلادروس عن اقامة ما يحتاج اليه حصن زياد من الميرة والاقامة فاخذه جبق واسلم الفلادروس على يد السلطان ملكشاه وامره على الرها فلم يزل عليها حتى مات واخذها الامير بزان بعده وكان بالقرب من حصن زياد حصن آخر بيد انسان من الروم اسمه افرنجى وكان يقطع الطريق ويكثر قتل المسلمين فارسل اليه جبق هدية وخطب اليه مودته وان يعين كل واحد منهما صاحبه فاجابه الى ذلك فكان جبق يعين افرنجى على قطع الطريق وغيره وكذلك افرنجى يعين جبق فلما وثق كل واحد بصاحبه ارسل اليه جبق انى اريد قصد بعض الاماكن وطلب ان يرسل اليه اصحابه فارسلهم اليه فلما ساروا معه فى الطريق تقدم بكتفهم وحملهم الى قلعة افرنجى وقال لاهليهم والله لئن لم تسلموا الى افرنجى لاضربن اعناقهم ولآخذن الحصن عنوة ولاقتلنكم على دم واحد ففتحوا له الحصن وسلموا اليه افرنجى فسلخه واخذ امواله وسلاحه وكان عظيما ومات جبق فولى بعده ابنه محمد

❊(ذكر قتل قلج ارسلان وملك جاولى الموصل)❊

قد ذكرنا ان قلج ارسلان لما وصل الى نصيبين سار جاولى عن الموصل الى سنجار ثم الى الرحبة فوصلها فى رجب وحصرها الى الرابع والعشرين من شهر رمضان وكان صاحبها حينئذ يعرف بمحمد بن السباق وهو من بنى شيبان رتبه بها الملك دقاق لما فتحها واخذ ولده رهينة وحمله معه الى دمشق فلما توفى ارسل هذا الشيبانى فى قوم سرقوا ولده وحملوه اليه فلما وصل اليه خلع الطاعة للدمشقيين وخطب فى بعض الاوقات لقلج ارسلان فلما وصل اليها جاولى وحصرها ارسل الى الملك رضوان يعرفه انه على الاجتماع به ومساعدته على من يحاربه و يشرط عليه انه اذا تسلم البلاد سار معه ليكشف الفرنج عن بلاده فلما استقرت القاعدة بينهم احضر عنده رضوان فاشتد الحصار على اهل البلد وضاقت عليهم الامور واتفق جماعة كانوا احد الابراج وارسلوا الى جاولى واستحلفوه على حفظهم وحراستهم وامروه ان يقصد البرج الذى هم فيه عند انتصاف الليل ففعل ذلك فرفع من فى البرج اصحابه اليهم فى الحبال فصعد بوابوقاتهم

الماء الى محل الزيادة الاولى واستمر الحجر الراقد بالماء (وفى يوم الاثنين) خرجوا أيضا وأشار بعض الناس باحضار النصارى أيضا فحضروا وحضر المعلم غالى ومن يصحبه من الكتبة الاقباط وجلسوا فى ناحية من المسجد يشربون الدخان وانفض الجمع أيضا (وفى تلك الليلة) التى هى ليلة الثلاثاء زاد الماء ونودى بالوفاء وفرح الناس وطفق النصارى يقولون ان الزيادة لم تحصل الا بحضورنا (فلما) كانت ليلة الاربعاء طاف المنادون بالرايات الحمر ونادوا بالوفاء وعمل الشنك والوقدة تلك الليلة على العادة (وفى صبحها) حضر الباشا والقاضى واجتمع الناس وكسروا السد وجرى الماء فى الخليج جريانا ضعيفا لعلو اراض الخليج وعدم تنظيفه من الاتربة المتراكمة فيه من مدة سنين وكان ذلك يوم الاربعاء غرة شهر رجب وتاسع عشر مسرى القبطى

❊(واستهل شهر رجب بيوم الاربعاء سنة ١٢٢٣)❊

فى ثانيه يوم الخميس وصل الى بولاق راغب افندى وهو اخو خليل افندى الرجائى الدفتردار المقتول وعلى يده مرسوم باجراء الخطبة باسم السلطان محمود بن عبد الحميد وانزلوه ببيت ابن السباعى بالغورية وضربوا مدافع بالقلعة وشنكا ثلاثة ايام فى الاوقات الخمسة وخطب الخطباء فى صبحها باسم السلطان محمود والدعاء له فى جميع المساجد (وفى ليلة الاحد خامسه) سافر محمد على

وطلبوا لهم فخذل من فى البلد ودخله اصحاب جاولى فى اليوم الرابع والعشرين من شهر رمضان ونهبوه الى الظهر ثم امر برفع النهب ونزل اليه محمد الشيبانى صاحب البلد واطاعه وصار معه ثم ان قلج ارسلان لما فرغ من امر الموصل سار عنها الى جاولى سقاوو ليحاربه وجعل ابنه ملكشاه فى دار الامارة وعمره احدى عشرة سنة ومعه امير ايدبره وجماعة من العسكر وكانت عدة عسكره اربعة آلاف فارس بالعدة الكاملة والخيل الجيدة وسمع العسكر بقوة جاولى فاختلفوا وكان اول من خالف عليه ابراهيم بن ينال صاحب آمد فانه فارق خيامه واثقاله وعاد من الخابور الى بلاده وكذلك غيره وحمل قلج ارسلان على المطاولة لما بلغه من قوة جاولى وكثرة جموعه وارسل الى بلاده يطلب عساكره لانها كانت عند ملك الروم نجدة له على قتال الفرنج كما ذكرناه فلما وصل الى الخابور بلغت عدته خمسة آلاف وكان مع جاولى اربعة آلاف من جملتهم الملك رضوان وجماعة من عسكره الا ان شجعانها كثروا فاغتنم جاولى قلة عسكر قلج ارسلان فقاتله قبل وصول عساكره اليه فالتقوا فى العشرين من ذى القعدة فحمل قلج ارسلان على القوم بنفسه حتى خالطهم فضرب يد صاحب العلم فابانها ووصل الى جاولى بنفسه فضربه بالسيف فقطع الكزاغند ولم يصل الى بدنه وحمل اصحاب جاولى على اصحابه فهزموهم واستباحوا اثقالهم وسوادهم فلما رأى قلج ارسلان انهزام عسكره علم انه ان أسر فعل به فعل من لم يترك للصلح موضعا لاسيما وقد نازع السلطان فى بلاده واسم السلطنة فالقى نفسه فى الخابور وحمى نفسه من اصحاب جاولى بالنشاب فانحدر به الفرس الى ماء عميق فغرق وظهر بعد ايام فدفن بالشمسانية وهى من قرى الخابور وسار جاولى الى الموصل ولما وصل اليها فتح اهلها له بابها ولم يتمكن من بها من اصحاب قلج ارسلان من منعهم ونزل بظاهر البلد واخذ كل واحد من اصحاب جكرمش الذى حضر الوقعة مع قلج ارسلان الى جهة فلما ملك جاولى الموصل اعاد خطبة السلطان محمد وصادر جماعة من بها من أصحاب جكرمش وسار الى جزيرة ابن عمر وبها حبشى بن جكرمش ومعه امير من غلمان ابيه اسمه غزغلى فحصره مدة ثم انهم صالحوه وحملوا اليه ستة آلاف دينار وغيرها من الدواب والثياب ورحل عنهم الى الموصل وارسل ملكشاه بن قلج ارسلان الى السلطان محمد

(ذكر احوال الباطنية باصبهان وقتل ابن عطاش)

فى هذه السنة ملك السلطان محمد القلعة التى كان الباطنية ملكوها بالقرب من اصبهان واسمها شاهدز وقتل صاحبها احمد بن عبد الملك بن عطاش وولده وكانت هذه القلعة قد بناها ملكشاه واستولى عليها بعده أحمد بن عبد الملك بن عطاش وسبب ذلك انه اتصل بدزدار كان لها فلما مات استولى احمد عليها وكان الباطنية باصبهان قد البسوه تاجا وجمعوا له اموالا وانما فعلوا ذلك به لتقدم أبيه عبد الملك فى مذهبهم فانه كان اديبا بليغا حسن الخط سريع البديهة عفيفا وابتلى بحب هذا المذهب وكان هذا ابنه احمد جاهلا لا يعرف شيأ وقيل لابن الصباح صاحب قلعة الموت

لماذا

باشا الى بحرى ونزل فى المراكب وأرسل قبل نزوله بايام بتشهيل الاقامات والكلف على البلاد من كل صنف خمسة عشر واخلوا لمن معه بيوت البنادر مثل المنصورة ودمياط ورشيد والمحلة والاسكندرية وفرض الفرض والمغارم على البلاد على حكم القراريط التى كانوا ابتدعوها فى العام الماضى على كل قيراط سبعة آلاف وسبعمائة نصف فضة وسماها كلفة الذخيرة وأمر بكتابة دفتر لذلك فكتب اليه الروزنامجى ان الخراب استولى على كثير من البلاد فلا يمكن تحصيل هذا الترتيب فارسل من المنصورة يأمر بتحرير العامر بدفتر مستقل والخراب بدفتر آخر فلما فعل الروزنامجى ذلك أدخل فيها بلادا بها بعض الرمق لتخلص من الفرضة وفيها ماهو لنفسه فلما وصلت اليه أمر بتوزيع ذلك الخراب على اولاده واتباعه واغراضه وعدتها مائة وستون بلدة وامر الروزنامجى بكتابة تقاسيطها بالاسماء التى عينها له فلم يمكن الروزنامجى ان يتلافى ذلك فتظهر خيانته ووزعت وارتفعت عن اصحابها وكذلك حصل باقليم البحيرة لما عمها الخراب وتعطل خراجها وطلبوا الميرى من الملتزمين فتظلموا واعتذروا بعموم الخراب فرفعوها عنهم وفرقها الباشا على اتباعه واستولوا عليها وطلبوا الفلاحين الشاردة والمتسحبة من البلاد الاخر وأمروهم بسكناها وزادوا فى

الطنبور نقمات وهوانهم صاروا يتشبهون أولاد البلد أرباب الصنائع الذين لهم نسبة قديمة بالقرى وذلك باغراء اتباعهم وأعوانهم فيكون الشخص منهم جالسا فى حانوته وصناعته فما يشعر الا والاعوان محيطون به يطلبونه الى مخدومهم فان امتنع أو تلكأ سحبوه بالقهر وادخلوه الى الحبس وهو لا يعرف له ذنبا فيقول وما ذنبى فيقال له عليك مال الطين فيقول وأى شئ يكون الطين فيقولون له طين فلاحتك من مدة سنين لم تدفعه وقدره كذا وكذا فيقول لا أعرف ذلك ولا أعرف البلد ولا رأيتها فى عمرى لا أنا ولا أبى ولا جدى فيقال له ألست فلانا الشبراوى أو المنياوى مثلا فيقول لهم هذه نسبة قديمة سرت الى من عمى او خالى او جدى فلا يقبل منه و يحبس و يضرب حتى يدفع ما الزموه به او يجد شافعا يصالح عليه وقد وقع ذلك لكثير من المتسببين والتجار وصناع الحرير وغيرهم * ولم يزل الباشا فى سيره حتى وصل الى دمياط وفرض على اهلها أكياسا واخذ من حكامها هدايا وتقادم ثم رجع الى سمنود وركب فى البر الى المحلة وقبض ما فرضه عليها وهو خمسون كيسا نقصت سبعة اكياس عجزوا عنها بعد الحبس والعقاب وقدم له حاكمها ستين جملا وأربعين حصانا خلاف الاقمشة المحلاوية مثل الزردخانات والمقاطع الحرير وما يصنع بالمحلة من انواع الثياب والامتعة صناعة من بقى بها من

لماذا تعظم ابن عطاش مع جهله قال لمكان ابيه لانه كان أستاذى وصار لابن عطاش عدد كثير وباس شديد واستفحل أمره بالقلعة فكان يرسل اصحابه لقطع الطريق وأخذ الاموال وقتل من قدروا على قتله فقتلوا خلقا كثيرا لا يمكن احصاؤهم وجعلوا له على القرى السلطانية واملاك الناس ضرائب ياخذونها ليكفوا عنها الاذى فتعذر بذلك انتفاع السلطان بقراه والناس باملاكهم وتمشى لهم الامر بالخلف الواقع بين السلطانين بركيارق ومحمد فلما صفت السلطنة لمحمد ولم يبق له منازع لم يكن عنده اهم من قصد الباطنية وحربهم والانتصاف للمسلمين من جورهم وعسفهم فرأى البداءة بقلعة اصبهان التى بايديهم لان الاذى بها أكثر وهى متسلطة على سرير ملكه فخرج بنفسه فحاصرهم فى سادس شعبان وكان قد عزم على الخروج أول رجب فساء ذلك من يتعصب لهم من العسكر فارجفوا ان قلج ارسلان بن سليمان قد ورد بغداد وملكها وافتعلوا فى ذلك مكاتبات ثم اظهروا ان خللا قد تجدد بخراسان فتوقف السلطان لتحقيق الامر فلما ظهر بطلانه عزم عزيمة مثله وقصدهم وصعد جبلا يقابل القلعة من غربيها ونصب له التخت فى اعلاه واجتمع له من اصبهان وسوادها لحربهم الامم العظيمة للذحول التى يطالبونهم بها واحاطوا بجبل القلعة ودوره اربعة فراسخ ورتب الامراء لقتالهم فكان يقاتلهم كل يوم أمير فضاق الامر بهم واشتد الحصار عليهم وتعذرت عندهم الاقوات فلما اشتد الامر عليهم كتبوا فتوى فيها ما يقول السادة الفقهاء أئمة الدين فى قوم يؤمنون بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر وان ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم حق وصدق وانما يخالفون فى الامام هل يجوز للسلطان مهادنتهم وموادعتهم وان يقبل طاعتهم ويحرسهم من كل اذى فاجاب اكثر الفقهاء بجواز ذلك وتوقف بعضهم فجمعوا للمناظرة ومعهم ابو الحسن على بن عبد الرحمن السمنجانى وهو من شيوخ الشافعية فقال بمحضر من الناس يجب قتالهم ولا يجوز اقرارهم بمكانهم ولا ينفعهم التلفظ بالشهادتين فانهم يقال لهم اخبرونا عن امامكم اذا اباح لكم ما حظره الشرع او حظر عليكم ما اباحه الشرع اتقبلون امره فانهم يقولون نعم وحينئذ تباح دماؤهم بالاجماع وطالت المناظرة فى ذلك ثم ان الباطنية سألوا السلطان ان يرسل اليهم من يناظرهم وعينوا على اشخاص من العلماء منهم القاضى ابو العلاء صاعد بن يحيى شيخ الحنفية باصبهان وقاضيها وغيره فصعدوا اليهم وناظروهم وعادوا كما صعدوا وانما كان قصدهم التعلل والمطاولة فلج حينئذ السلطان فى حصرهم فلما راوا عين المحاققة اذعنوا الى تسليم القلعة على ان يعطوا عوضها قلعة خالنجان وهى على سبعة فراسخ من اصبهان وقالوا انا نخاف على دمائنا واموالنا من العامة فلا بد من مكان نحتمى به منهم فاشير على السلطان باجابتهم الى ما طلبوا فسألوا ان يؤخرهم الى النوروز ليرحلوا الى خالنجان ويسلموا قلعتهم وشرطوا ان لا يسمع قول متنصح فيهم وان قال أحد عنهم شيئا سلمه اليهم وان من اتاه منهم رده اليهم فاجابهم اليه وطلبوا ان يحمل اليهم من

الاقامة ما يكفيهم يوما بيوم فاجيبوا اليه فى كل هذا وقصدهم المطاولة انتظارا لفتق ينفتق اوحادث يتجدد ورتب لهم وزير السلطان سعد الملك ما يحمل اليهم كل يوم من الطعام والفاكهة وجميع ما يحتاجون اليه فجعلوا هم يرسلون ويبتاعون من الاطعمة ما يجمعونه ليمتنعوا فى قلعتهم ثم انهم وضعوا من اصحابهم من يقتل اميرا كان يبالغ فى قتالهم فوثبوا عليه وجرحوه وسلم منهم فحينئذ أمر السلطان باخراب قلعة خالنجان وجدد الحصار عليهم فطلبوا ان ينزل بعضهم و يرسل السلطان معهم من يحميهم الى ان يصلوا الى قلعة الناظر بارجان وهى لهم و ينزل بعضهم ويرسل معهم من يوصلهم الى طبس وان يقيم البقية منهم فى ضرس من القلعة الى ان يصل اليهم من يخبرهم بوصول اصحابهم فينزلون حينئذ ويرسل معهم من يوصلهم الى ابن الصباح بقلعة ألموت فاجيبوا الى ذلك فنزل منهم الى الناظر والى طبس وساروا وتسلم السلطان القلعة وخربها ثم ان الذين ساروا الى قلعة الناظر وطبس وصل منهم من أخبر ابن عطاش بوصولهم فلم يسلم السن الذى بقى بيده ورأى السلطان منه الغدر والعود عن الذى قرره فامر بالزحف اليه فزحف الناس عامة ثانى ذى القعدة وكان قد قل عنده من يمنع ويقاتل فظهر منهم صبر عظيم وشجاعة زائدة وكان قد استامن الى السلطان انسان من اعيانهم فقال لهم انى ادلكم على عورة لهم فاتى بهم الى جانب لذلك السن لهم لا يرام فقال لهم اصعدوا من ههنا فقيل انهم قد ضبطوا هذا المكان وشحنوه بالرجال فقال ان الذى ترون اسلحة وكزاغندات قد جعلوها كهيئة الرجال لقلتهم عندهم وكان جميع من بقى ثمانين رجلا فزحف الناس من هناك فصعدوا منه وملكوا الموضع وقتل أكثر الباطنية واختلط جماعة منهم مع من دخل فخرجوا معهم واما ابن عطاش فانه أخذ اسيرا فترك اسبوعا ثم انه أمر به فشهر فى جميع البلد وسلخ جلده فتجلد حتى مات وحشى جلده تبنا وقتل ولده وحمل رأساهما الى بغداد والقت زوجته نفسها من رأس القلعة فهلكت وكان معها جواهر نفيسة لم يوجد مثلها فهلكت أيضا وضاعت وكانت مدة البلوى بابن عطاش اثنتى عشرة سنة

(ذكر الخلف بين سيف الدولة صدقة ومهذب الدولة صاحب البطيحة)

فى هذه السنة اختلف سيف الدولة صدقة بن مزيد ومهذب الدولة السعيد بن ابى الجبر صاحب البطيحة وانضاف حماد بن ابى الجبر الى صدقة واظهر معاداة ابن عمه مهذب الدولة ثم اتفقوا وكان سبب ذلك ان صدقة لما اقطعه السلطان محمد مدينة واسط ضمنها منه مهذب الدولة واستناب فى الاعمال اولاده وأصحابه فمدوا أيديهم فى الاموال وفرطوا فيها وفرقوها فلما انقضت السنة طالبه صدقة بالمال وحبسه ثم سعى فى خلاصه بدران ابن صدقة وهو صهر مهذب الدولة فاخرجه من الحبس واعاده الى بلده البطيحة وضمن حماد بن ابى الجبر واسط فانحل على مهذب الدولة كثير من امره فآل الامر الى الاختلاف بعد الاتفاق فان المصطنع اسمعيل جد حماد والمختص محمد اوالد مهذب الدولة أخوان

الصناع ثم ارتحل عنها ورجع الى ١٨٢ بحر منوف وذهب الى رشيد والاسكندرية ولما استقربها اهبى هدية الى الدولة وارسل الى مصر فطلب عدة قناطير من البن والاقمشة الهندية وسبعمائة اردب ارز ابيض اخذت من بلاد الارز وارسل الهدية صحبة ابراهيم افندى المهردار وحضر اليه وهو بالاسكندرية قابجى من طرف صدقى باشا البيرقدار الوزير برسالة ورجع بالجواب على اثره ولم يعلم ما دار بينهما (وفى منتصفه) اعنى شعبان حضر محمد على باشا من غيبته وطلع على ساحل بولاق ليلة الخميس خامس عشره وذهب الى داره بالازبكية ثم طلع فى ثانى يوم الى القلعة وضربوا لحضوره مدافع

(واستهل شهر رمضان بيوم الجمعة ١٢٢٣)

فيه وردت الاخبار بحرق القمامة القدسية وظهر حريقها من كنيسة الاروام (وفيه) سافر عدة من العسكر والدلاة وعمر بك الالفى ومعه طائفة من المماليك الى البحيرة بسبب عربان اولاد على فانهم كانوا بعد الحوادث المتقدمة نزلوا بالاقليم وشاركوا وزرعوا مثل ما كان عليه الهنادى والجهنة فلما اصطلح الالفية مع الباشا توسط شاهين بك فى صلح الهنادى والجهنة على قدوذلك لما كان بينهم و بين استاذه من النسابة ونزل صحبتهم الى البحيرة وعمرهم بارضها كما كانوا اولا وطردوا اولاد على وحاربهم ومكن الهنادى والجهنة ورجع الى الجيزة

وهما

فراسل اولاد على الباشا بوساطة بعض اهل الدولة وعملوا للباشا مائة الف ريال على رجوعهم للبحيرة واخراج

وهما ابنا أبي الجبر وكانت اليهما رياسة اهلهما وجماعتهما فهلك المصطنع وقام ابنه ابو السيد المظفر والدهر دامقامه وهلك المختص محمد وقام ابنه مهذب الدولة مقامه وصارا يتنازعان ابن الهيثم صاحب البطيحة ويقاتلانه الى ان اخذه مهذب الدولة ايام كوهرائين وسلمه الى كوهرائين فحمله الى اصبهان فهلك في طريقه فعظم امر مهذب الدولة وصيره كوهرائين أميرا البطيحة فصار ابن عمه وجماعته تحت حكمه وكان حماد شابا فاكرمه مهذب الدولة وزوجه بنته وزاد في اقطاعه فكثر ماله فسار يحسد مهذب الدولة ويضمر بغضه ويظاهر في بعض الاوقات وكان مهذب الدولة يداريه بجهده فلما هلك كوهرائين انتقل حماد عن مهذب الدولة واظهر ما في نفسه فاجتهد مهذب الدولة في اعادته الى ما كان فلم يفعل فسكت عنه فجمع النفيس بن مهذب الدولة جمعا وقصد حماد افهرب منه الى سيف الدولة بالحلة فاعاده صدقة ومعه جماعة من الجند فحشد مهذب الدولة فارسل حماد الى صدقة يعرفه ذلك فارسل اليه كثيرا من الجند فقوى عزم مهذب الدولة على المحاربة لئلا يظن به العجز فاشار عليه اهله بترك الخروج من موضعه لحصانته فلم يفعل وسير سفنه واصحابه في الانهر فجعل حماد واخوه له الكمناء واندفعوا من بين ايديهم فطمع اصحاب مهذب الدولة وتبعوهم فخرج عليهم الكمناء فلم يسلم منهم الا من لم يحضر اجله فقتل منهم واسر خلق كثير فقوى طمع حماد وارسل الى صدقة يستنجده فارسل اليه مقدم جيشه سعيد بن حميد العمري وغيره من المقدمين وجمعوا السفن ليقاتلوا مهذب الدولة فرأوا امرا محكما فلم يمكنهم الدخول اليه وكان حماد بخيلا ومهذب الدولة جوادا فارسل الى سعيد بن حميد الاقامات الوافرة والصلات الكثيرة واستماله فمال اليه واجتمع به وتقرر الامر على ان ارسل مهذب الدولة ابنه النفيس الى صدقة فرضى عنه واصلح بينهم وبين حماد ابن عمهم وعادوا الى حال حسنة من الاتفاق وكان صلحهم في ذي الحجة سنة خمسمائة

ذكر قتل وزير السلطان ووزارة احمد بن نظام الملك

في شوال من هذه السنة قبض السلطان محمد على وزيره سعد الملك ابي المحاسن واخذ ماله وصلبه على باب اصبهان وصلب معه اربعة نفر من اعيان اصحابه والمنتمين اليه اما الوزير فنسب الى خيانة السلطان واما الاربعة فنسبوا الى اعتقاد الباطنية وكانت مدة وزارته سنتين وتسعة اشهر وكان في ابتداء حاله يصحب تاج الملك ابا الغنائم وتعطل بعده ثم استعمله مؤيد الملك بن نظام الملك فجعله على ديوان الاستيفاء وخدم السلطان محمدا لما حصره اخوه السلطان بركيارق باصبهان خدمة حسنة ولما فارقها محمد حفظها الحفظ التام وقام المقام العظيم فاستوزره محمد ووسع له في الاقطاع وحكمه في دولته ثم نكبه وهذا آخر خدمة الملوك وما احسن ما قال عبد الملك بن مروان انعم الناس عيشا من له ما يكفيه وزوجة ترضيه ولا يعرف ابوابنا هذه الخبيثة فتؤذيه ولما قبض الوزير استشار السلطان فيمن يجعله وزيرا فذكر له جماعة فقال السلطان ان آبائي ادروا على

المنادى فاجابهم طمعا فى المال فحنق اولئك وعصوا وحاربوا اولاد على ونهبوا ونالوا منهم بعد ان كانوا ضيقوا عليهم وحصلت اختلافات وامتنع اولاد على من دفع المال الذى قرروه على انفسهم واجتمعوا بحوش ابن عيسى فارسل اليهم الباشا محمد بك المذكور ومن معه فحاربوهم مع المنادى فظهر عليهم اولاد على وهزموهم وقتل من الدلاة اكثر من مائة وكذلك من العسكر ونحو الخمسة عشر من المماليك فامر الباشا بسفر عساكر ايضا وصحبتهم ذمان بك وخلافه وسافرت طائفة من العرب الى ناحية الفيوم فارسلوا لهم عدة من العسكر (وفى اواخره) سافر ايضا شاهين بك وباقى الالفية خلاف احمد بك فانه اقام بالجيزة (وفيه) نودى على المعاملة بان يكون صرف الريال الفرنسا بمائتين وعشرين وكان بلغ فى مصارفته الى مائتين واربعين والمحبوب بمائتين وخمسين فنودى على صرفه بمائتين واربعين وذلك كله من عدم الفضة العددية بايدى الناس والصيارف لتحكيرهم عليها لياخذها تجار الشام بفرط فى مصارفتها تضم للميرى فيدور التشخيص على صرف القرش الواحد لايجد صرفه الا بعد جهد شديد ويصرفه الصراف او خلافه للمضطر بنقص

نصفين او ثلاثة (وفيه) سافر ايضا حسن الشماشرجي ويلحق بالجردين (وفي اواخره) ورد الخبر بان محو بك كاشف البحيرة قبض على السيد حسين نقيب الاشرف بدمنهور واهانه وضربه وصادره واخذ منه الفي ريال بعد ان حلف انه ان لم يات بها في مدة اربع وعشرين ساعة والا قتله فوقع في عرض النصارى المباشرين فدفعوها عنه حتى تخلص بالحياة وكذلك قبض على رجل من التجار وقرر عليه جملة كثيرة من المال فدفع الذي حصلته يده وبقي عليه باقي ما قرره عليه فلم يزل في حبسه حتى مات تحت العقوبة فطلب أهله رمته فخاف لا يعطيها لهم حتى يكون ابنه في الحبس مكانه (ومن الحوادث السماوية) أن في سابع عشرين رمضان غيمت السماء بناحية الغربية والمحلة الكبرى وأمطرت بردا في مقدار بيض الدجاج وأكبر واصغر فهدمت دورا وأصابت أنعاما غير انها قتلت الدودة من الزرع البدري

(واستهل شهر شوال بيوم الاحد سنة ١٢٢٣)

في اواخره حضر شاهين بك الالفي من ناحية البحيرة وذلك بعد ارتحال اولاد علي من الاقليم (وفيه) أيضا حضر سليمان كاشف البواب من ناحية قبلي وصحبته عدة من المماليك واربعة من الكشاف فقابل الباشا وخلع عليه وانزله ببيت طفان بسويقة العزي وسكن بها قدره

نظام الملك البركة ولهم عليه الحق الكثير واولاده أغذياء نعمتنا ولا معدل عنهم فامر لابي نصر أحمد هذا بالوزارة ولقب القاب أبيه قوام الدين نظام الملك صدر الاسلام وكان سبب قدومه الى باب السلطان انه لما رأى انقراض دولة أهل بيته لزم داره بهمذان فاتفق ان رئيس همذان وهو الشريف أبو هاشم آذاه فسار الى السلطان شاكيا منه ومتظلما فقبض السلطان على الوزير وأحمد هذا في الطريق فلما وصل اليه ذكره وخلع عليه خلع الوزارة وحكمه ومكنه وقوى أمره وهذا من الفرج بعد الشدة فانه حضر شاكيا فصار حاكما

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في صفر عزل الوزير أبو القاسم علي بن جهير وزير الخليفة فقصد دار سيف الدولة صدقة ببغداد ملتجئا اليها وكانت ملجأ لكل ملهوف فارسل اليه صدقة من أخذه اليه الى الحلة وكانت وزارته ثلاث سنين وخمسة اشهر وايام وامر الخليفة بنقض داره التي بباب العامة وفيها عبرة فان اباه ابا نصر بن جهير بناها بانقاض املاك الناس واخذ بسببها اكثر ما دخل فيها فخربت عن قريب ولما عزل استنيب قاضي القضاة ابو الحسن بن الدامغاني ثم تقررت الوزارة في المحرم من سنة احدى وخمسمائة لابي المعالي هبة الله بن محمد بن المطلب وخلع عليه فيه وفيها في شوال توفي الامير ابو الفوارس سرحاب بن بدر بن مهلهل المعروف بابن ابي الشوك الكردي وكانت له اموال كثيرة وخيول لا تحصى وولي الامرة بعده ابو منصور بن بدر وقام مقامه وبقيت الامارة في بيته مائة وثلاثين سنة وقد تقدم من اخباره ما فيه كفاية وفي هذه السنة توفي ابو الفتح احمد ابن محمد بن احمد بن سعيد الحداد الاصبهاني ابن اخت عبد الرحمن بن ابي عبد الله بن منده ومولده سنة ثمان واربعمائة وكان مكثرا من الحديث مشهورا بالرواية وفيها توفي ابو محمد جعفر بن احمد بن الحسين السراج البغدادي في صفر وهو مكثر من الرواية وله تصانيف حسنة واشعار لطيفة وهو من اعيان الزمان وعبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب ابو محمد الشيرازي الفقيه ولي التدريس بالنظامية ببغداد سنة ثلاث وثمانين واربعمائة وكان يروي الحديث ايضا وابو الحسين المبارك بن عبد الجبار بن احمد الصيرفي المعروف بابن الطيوري البغدادي ومولده سنة احدى عشرة واربعمائة وكان مكثرا من الحديث ثقة صالحا عابدا وابو الكرم المبارك بن الفاخر بن محمد بن يعقوب النحوي سمع الحديث من ابي الطيب الطبري والجوهري وغيرهما وكان اماما في النحو واللغة

(ثم دخلت سنة احدى وخمسمائة)

(ذكر قتل صدقة بن مزيد)

في هذه السنة في رجب قتل الامير سيف الدولة صدقة بن منصور بن دبيس بن مزيد الاسدي امير العرب وهو الذي بنى الحلة السيفية بالعراق وكان قد عظم شانه وعلا

وحضر مطرودا من اخوانه المرادية *(واستهل شهر القعدة بيوم الاثنين سنة ١٢٢٣)*
فيه عزل الباشا السيد المحروقى
عن نظارة الضربخانه ونصب
بها شخصا من اقاربه (وفى
ثالث عشره) نزل والى الشرطة
وامامه المناداة على ما يستقرضه
الناس من العسكر بالربا
والزيادة على ان يكون على كل
كيس ستة عشر قرشا فى كل
شهر لاغير والكيس عشرون
ألف نصف فضة وهو الكيس
الرومى وذلك بسبب ما انكسر
على المحتاجين والمضطرين
من الناس من كثرة الربا بالضيق
المعاش وانقطاع المكاسب
وغلو الاسعار وزيادة المكوس
فيضطر الشخص الى الاستدانة
فلا يجد من يداينه من أهل البلد
فيستدين من احد العسكر
ويحسب عليه على كل كيس
خمسين قرشا فى كل شهر واذا
قصرت يد المديون عن الوفاء
أضافوا الزيادة على الاصل
وبطول الزمن تفحش الزيادة
ويؤل الامر لكشف حال
المديون وجرى ذلك على كثير
من مساتير الناس وباعوا
أملاكهم ومتاعهم والبعض
لما ضاق به الحال ولم يجد
شيئا خرج هاربا وترك اهله
وعياله خوفا من العسكرى
وما يلاقى منه وربما قتله
فعرض بعض المديونين الى
الباشا فامر بكتابة هذا
البيورلدى ونزل به والى
الشرطة ونادى به فى الاسواق فعد ذلك من غرائب الحكام حيث ينادى على الربا جهارا

قدره واتسع جاهه واستجار به صغار الناس وكبارهم فاجارهم وكان كثير العناية بامور السلطان محمد والتقوية لايده والشد منه على اخيه بركيارق حتى انه جاهر بركيارق بالعداوة ولم يبرح على مصافاة السلطان محمد وزاده محمد اقطاعا من جملته مدينة واسط واذن له فى اخذ البصرة ثم افسد ما بينهما العميد ابو جعفر محمد بن حسين البلخى وقال فى جملة ما قال عنه ان صدقة قد عظم امره وزاد حاله وكثر ادلاله وتبسطه فى الدولة وحمايته كل من يفر اليه من عند السلطان وهذا لا تحتمله الملوك لاولادهم ولو ارسلت بعض اصحابك الملك بلاده واموالة ثم انه تعدى ذلك حتى طعن فى اعتقاده ونسبه واهل بلده الى مذهب الباطنية وكذب وانما كان مذهبه التشيع لاغير ووافق ارغون السعدى اباجعفر العميد وانتهى ذلك الى صدقة وكانت زوجة أرغون بالحلة واهله فلم يؤاخذهم بشئ مما كان له ايضا هناك من بقايا خراج بلده فامر صدقة ان يخلص ذلك اليه باجمعه ويسلم الى زوجته واما سبب قتله فان صدقة كان كما ذكرنا يستجير به كل خائف من خليفة وسلطان وغيرهما وكان السلطان محمد قد سخط على ابى دلف سرخاب بن كيخسرو صاحب ساوه وآبة فهرب منه وقصد صدقة فاستجاربه فاجاره فارسل السلطان يطلب من صدقة أن يسلمه الى نوابه فلم يفعل واجاب انى لا امكن منه بل احامى عنه واقول ما قاله ابو طالب لقريش لما طلبوا منه رسول الله صلى الله عليه وسلم

ونسلمه حتى نصرع حوله * ونذهل عن ابنائنا والحلائل

وظهر منه امور أنكرها السلطان فتوجه الى العراق ليتلافى هذا الامر فلما سمع صدقة استشار اصحابه فى الذى يفعله فاشار عليه ابنه دبيس بان ينفذه الى السلطان ومعه الاموال والخيل والتحف ليستعطف له السلطان وأشار سعيد بن حميد صاحب جيش صدقة بالمحاربة وجمع الجند وتفريق المال فيهم واستطال فى القول فمال صدقة الى قوله وجمع العساكر واجتمع اليه عشرون الف فارس وثلاثون الف راجل فارسل اليه المستظهر بالله يحذره عاقبة امره وينهاه عن الخروج عن طاعة السلطان ويعرض له توسط الحال فاجاب صدقة انى على طاعة السلطان لكن لا آمن على نفسى فى الاجتماع به وكان الرسول بذلك عن الخليفة نقيب النقباء على بن طراد الزينبى ثم ارسل السلطان اقضى القضاة ابا سعيد الهروى الى صدقة يطيب قلبه ويزيل خوفه ويامره بالانبساط على عادته ويعرفه عزمه على قصد الفرنج ويامره بالتجهز للغزاة معه فاجاب ان السلطان قد افسد اصحابه قلبه على وغيروا حاله معه وزال ما كان عليه فى حقى من الانعام وذكر سالف خدمته ومناصحته وقال سعيد بن حميد صاحب جيشه لم يبق لنا فى صلح السلطان مطمع ولتربن خيولنا يخلون وامتنع صدقة من الاجتماع بالسلطان ووصل السلطان الى بغداد فى العشرين من ربيع الآخر ومعه وزيره نظام الملك احمد بن نظام الملك وسير البرسقى شحنة بغداد فى جماعة من الامراء الى صرصر فنزلوا عليها وكان وصول السلطان جريدة لا يبلغ عسكره ألفى فارس فلما تيقن ببغداد مكاشفة صدقة أرسل الى الامراء يامرهم بالوصول اليه والجد فى السير وتعجيل ذلك فوردوا اليه من كل

جانب ثم وصل كتاب صدقة الى الخليفة فى جمادى الاولى يذكر انه واقف عند
ما يرسم له و يقرر من حاله مع السلطان ومهما امرته من ذلك امتثله فانفذ الخليفة
الكتاب الى السلطان فقال السلطان أنا ممتثل ما يأمر به الخليفة ولا مخالفة عندى
فارسل الخليفة الى صدقة يعرفه اجابة السلطان الى ما طلب منه و يأمره بانفاذ ثقته
ليستوثق له و يحلف السلطان على ما يقع الاتفاق عليه فعاد صدقة عن ذلك الرأى
وقال اذا رحل السلطان من بغداد أمددته بالمال والرجال وما يحتاج اليه فى الجهاد وأما
الآن وهو ببغداد وعسكره بنهر الملك فما عندى مال ولا غيره وان جاولى سقاوو
وايلغازى بن ارتق قد أرسلا الى بالطاعة لى والموافقة معى على محاربة السلطان وغيره
ومتى أردتهما وصلا الى فى عساكرهما وورد الى السلطان قرواش بن شرف الدولة
وكرماوى بن خرسان التركمانى وأبو عمران فضل بن ربيعة بن حازم بن الجراح الطائى
وآباؤه كانوا أصحاب البلقاء والبيت المقدس منهم حسان بن المفرج الذى مدحه التهامى
وكان فضل تارة مع الفرنج وتارة مع المصريين فلما رآه طغتكين أتابك على
هذه الحال طرده من الشام فلما طرده التجأ الى صدقة وعاقده فاكرمه صدقة
واهدى له هدايا كثيرة منها سبعة آلاف دينار عينا فلما كانت هذه الحادثة بين صدقة
والسلطان صار فى الطلائع ثم هرب الى السلطان فلما وصل خلع عليه وعلى اصحابه وانزله
بدار صدقة ببغداد فلما سار السلطان الى قتال صدقة استأذنه فضل فى اتيان البرية
ليمنع صدقة من الهرب ان اراد ذلك فاذن له فعبر بالانبار وكان آخر العهد به وانفذ
السلطان فى جمادى الاولى الى واسط الامير محمد بن بوقا التركمانى فاخرج عنها نائب
صدقة وأمن الناس كلهم الا اصحاب صدقة فتفرقوا ولم ينهب احد وانفذ خيله الى بلد
قوسان وهو من اعمال صدقة فنهبه اقبح نهب واقام عدة ايام فارسل صدقة اليه ثابت
ابن سلطان وهو ابن عم صدقة ومعه عسكر فلما وصلوا اليها خرج منها الاتراك واقام
ثابت بها وبينه وبينهم دجلة ثم ان ابن بوقا عبر جماعة من الجند ارتضاهم وعرف
شجاعتهم فوقفوا على موضع مرتفع على نهر سالم يكون ارتفاعه نحو خمسين ذراعا
فقصدهم ثابت وعسكره فلم يقدروا يقربون الترك من النشاب والمدديات بهم من ابن بوقا
وجرح ثابت فى وجهه وكثر الجراح فى اصحابه فانهزم هو ومن معه وتبعهم الاتراك فقتلوا
منهم وأسروا ونهب طائفة من الترك مدينة واسط واختلط بهم رجالة ثابت فنهبت
معهم فسمع ابن بوقا الخبر فركب اليهم ومنعهم وقد نهبوا بعض البلد ونادى فى الناس
بالامان واقطع السلطان اواخر جمادى الاولى مدينة واسط لقسيم الدولة البرسقى وامر
ابن بوقا بقصد بلاد صدقة ونهبه فنهبوا فيه ما لا يحد واما السلطان محمد فانه سار عن بغداد
الى الزعفرانية ثانى جمادى الآخرة فارسل اليه الخليفة وزيره مجد الدين بن المطلب يأمره
بالتوقف وترك العجلة خوفا على الرعية من القتل والنهب واشار قاضى اصبهان بذلك
واتباع امر الخليفة فاجاب السلطان الى ذلك فارسل الخليفة الى صدقة نقيب النقباء على
ابن طراد وجمال الدولة مختصا الخادم فسارا الى صدقة فابلغاه رسالة الخليفة يأمره بطاعة

السلطان

فى الاسواق من غير احتشام ولا مبالاة لانهم لا يرون ذلك عيبا فى عقيدتهم (وفى رابع عشرينه) غضب الباشا على
محو بك الكبير الذى كان
كاشفا بالبحيرة ونفاه الى ابى قير
واخذ امواله وانعم ببيته وهو
بيت حسين أغا شنن بحارة
عابدين وما بها من الخيل
والجمال والجوار والخيام
والمتاع على محو بك الصغير
الاورفلى
*(واستهل شهر ذى الحجة
بيوم الثلاثاء سنة ١٢٢٣)*
فيه وصلت الاخبار من
اسلامبول بوقوع فتنة عظيمة
وانه لما حصل ما حصل فى
منتصف السنة من دخول
مصطفى باشا البيرقدار على
الصورة المذكورة وقتل
السلطان سليم وتولية السلطان
محمود وخذلان الينكجرية
وقتلهم ونفيهم وتحكم مصطفى
باشا فى أمور الدولة واستمر من
بقى منهم تحت الحكم فاجمعوا
امرهم ومكروا مكرهم وحذر
بعضهم مصطفى باشا من
المذكورين فلم يكترث بذلك
واستهون امرهم واحتقر جانبهم
وقال اى شئ هؤلاء مناولرى
يعنى انهم بياعون الفاكهة
فكان حاله كما قيل

فلا تحتقر كيد العدو فربما
تموت الافاعى من سموم العقارب

ثم انهم تحزبوا وحضروا الى
سرايته على حين غفلة بعد
السحور ليلة السابع والعشرين
من رمضان وجماعته وطائفته
متفرقون فى اماكنهم فحرقوا باب السراية وكبسوا عليه فقتل من قتل من اتباعه وهرب من هرب على جهة

السلطان وينهاه عن المخالفة فاعتذر صدقة وقال ماخالفت الطاعة ولا قطعت الخطبة في بلدى وجهز ابنه دبيسا للسير معهما الى السلطان فبينما الرسل وصدقة فى هذا الحديث اذورد الخبران طائفة من عسكر السلطان قد عبروا من مطيراباذ وان الحرب بينهم وبين اصحاب صدقة قائمة على ساق فتجلد صدقة لاجل الرسل وهو يشتهى الركوب الى اصحابه خوفا عليهم وكان الرسل اذا سمعوا ذلك ينكرونه لانهم قد تقدموا الى العسكر عند عبورهم عليهم انه لا يتعرض احدمنهم الى حرب حتى نعود فان الصلح قد قارب فقال صدقة للرسول كيف اثق وارسل ولدى الآن وكيف آمن عليه وقد جرى ماترون فان تكفلتم برده الى انفذته فلم يتجاسروا على كفالته فكتب الى الخليفة يعتذر عن انفاذ ولده بما جرى وكان سبب هذه الوقعة ان عسكر السلطان لما رأوا الرسل اعتقدوا وقوع الصلح فقال بعضهم الراى اننا ننهب شيئا قبل الصلح فاجاب البعض وامتنع البعض فعبر من اجاب النهر ولم يتاخر من لم يجب انلا ينسب الى خور وجبن والا يتم على من عبروهن فيكون عاره واذاه عليهم فعبر وابعدهم أيضا فاتاهم اصحاب صدقة وقاتلوهم فكانت الهزيمة على الاتراك وقتل منهم جماعة كثيرة وأسر جماعة من اعيانهم وكثير من غيرهم وغرق جماعة منهم الامير محمد بن باغيسيان الذى كان ابوه صاحب انطاكية وكان عمره نيفا وعشرين سنة وكان محبا للعلماء واهل الدين وبنى باقطاعه من اذربيجان عدة مدارس ولم يجسر الاتراك يعرفون السلطان بما اخذ منهم من الاموال والدواب خوفا منه حيث فعلوا ذلك بغير امره وطمع العرب بهذه الهزيمة وظهر منهم الفخر والتيه والطمع وأظهروا انهم باعوا كل اسير بدينار وان ثلاثة باعوا اسيرا بخمسة قراريط واكلوا بها خبزا وهريسة وجعلوا ينادون من يتغدى باسير ويتعشى بآخر وظهر من الاتراك اضطراب عظيم واعاد الخليفة مكاتبة صدقة بتحرير امر الصلح فاجاب انه لا يخالف ما يؤمر به وكتب صدقة ايضا الى السلطان يعتذر مما نقل عنه ومن الحرب التى كانت بين اصحابه وبين الاتراك وان جند السلطان عبرت الى اصحابه فمنعوا عن انفسهم بغير علمه وانه لم يحضر الحرب ولم ينزع يدا من طاعة ولا قطع خطبته من بلده ولم يكن صدقة كاتبه قبل هذا الكتاب فارسل الخليفة نقيب النقباء واباسعد الهروى الى صدقة فقصدا السلطان اولا واخذا يده بالامان لمن يقصده من اقارب صدقة فلما وصلا الى صدقة وقالا له عن الخليفة ان اصلاح قلب السلطان موقوف على اطلاق الاسرى ورد جميع ما اخذ من العسكر المنهزم فاجاب أولا بالخضوع والطاعة ثم قال لو قدرت على الرحيل من بين يدى السلطان لفعلت لكن ورائى من ظهرى وظهر أبى وجدى ثلثمائة امرأة ولا يحملهن مكان ولو علمت انى اذا جئت السلطان مستسلما قبلنى واستخدمنى لفعلت لكنى أخاف انه لا يقيل عثرتى ولا يعفو عن زلتى وأما ما نهب فان الخلق كثير وعندى من لا أعرفه وقد نهبوا ودخلوا البر فلا طاقة لى عليهم ولكن ان كان السلطان لا يعارضنى فيما فى يدى ولا فيمن أجرته وان يقر سرخاب بن كيخسرو على اقطاعه بساوة وان يتقدم الى ابن بوقا باعادة ما نهب من

واختفى مصطفى باشا فى سرداب فلم يجدوه واوقعوا بالسراية الحرق والهدم والنهب وخاف السلطان لان سراية الوزير بجانب السراية السلطانية ففتح باب السراية التى بناحية البحر وارسل يستعجل قاضى باشا بالحضور وكذلك قبودان باشا فحضرا الى السراية واشتد الحرب بين الفريقين واكثر الينكجرية من الحريق فى البلدة حتى احرقوا منها جانبا كبيرا فلما عاين السلطان ذلك هاله وخاف من عموم حريق البلدة وهو ومن معه محصورون بالسراية يوما وليلة فلم يسعه الا التلافى فى الامر فراسل كبار الينكجرية وصالحهم وابطلوا الحرب وشرعوا فى اطفاء الحريق وخرج قاضى باشا هاربا وكذلك قبودان باشا وهو عبد الله رامز افندى الذى كان فى أيام الوزير بمصر ثم انهم اخرجوا مصطفى باشا من المكان الذى اختفى فيه ميتا من تحت الردم وسحبوه من رجليه الى خارج وعلقوه فى شجرة ومثلوا به واكثروا على رمته من السخرية وعند وقوع هذه الحادثة ومجئ قاضى باشا وكان من اغراض السلطان مصطفى المنفصل فخاف السلطان ان قاضى باشا ان غلب على الينكجرية فيعزله ويولى أخاه ويرده الى السلطنة فقتل السلطان محمود أخاه مصطفى خنقا ثم لما سكن الحال عينوا على قاضى باشا وقتلوه وكذلك عبد الله افندى رامز قبودان باشا وكان

بلادي وان يخرج وزير الخليفة يحلفه بما اثق اليه من الايمان على المحافظة فيما بيني وبينه فحينئذ اخدم بالمال وادوس بساطه بعد ذلك فعادوا بهذا ومعهم ابو منصور بن معروف رسول صدقة فردهم الخليفة وارسل السلطان معهم قاضي اصبهان ابا اسمعيل فاما ابو اسمعيل فلم يصل اليه رعاد من الطريق واصر صدقة على القول الاول فحينئذ سار السلطان ثامن رجب من الزعفرانية وسار صدقة في عساكره الى قرية مطر وامر جنده بلبس السلاح واستامن ثابت بن سلطان بن دبيس بن علي بن مزيد وهو ابن عم صدقة الى السلطان محمد وكان يحسد صدقة وهو الذي تقدم ذكره انه كان بواسط فاكرمه السلطان واحسن اليه ووعده الاقطاع ووردت العساكر الى السلطان منهم بنو برسق وعلاء الدولة ابو كاليجار كرشاسب بن علي بن فرامرز ابي جعفر بن كاكويه وآباؤه كانوا اصحاب اصبهان وفرامرز هو الذي سلمها الى طغرلبك وقتل ابوه مع تتش وعبر عسكر السلطان دجلة ولم يعبر هو فصار وامع صدقة على ارض واحدة بينهما نهر والتقوا تاسع عشر رجب وكانت الريح في وجوه اصحاب السلطان فلما التقوا صارت في ظهورهم وفي وجوه اصحاب صدقة ثم ان الاتراك رموا بالنشاب فكان يخرج في كل رشقة عشرة آلاف نشابة فلم يقع سهم الا في فرس او فارس وكان اصحاب صدقة كلما حملوا منعهم النهر من الوصول الى الاتراك والنشاب ومن عبر منهم لم يرجع وتقاعدت عبادة وخفاجة وجعل صدقة ينادي يا آل خزيمة يا آل ناشرة يا آل عوف ووعد الاكراد بكل جميل لما ظهر من شجاعتهم وكان راكبا على فرسه المهلوب ولم يكن لاحد مثله فجرح الفرس ثلاث جراحات واخذه الامير احمديل بعد قتل صدقة فسيره الى بغداد في سفينة فمات في الطريق وكان لصدقة فرس آخر قد ركبه حاجبه ابو نصر بن تفاحة فلما راى الناس وقد غشوا صدقة هرب عليه فناداه صدقة فلم يجبه وحمل صدقة على الاتراك فضرب به غلام منهم على وجهه فشوهه وجعل يقول انا ملك العرب انا صدقة فاصابه سهم في ظهره وادركه غلام اسمه برغش كان اشل فتعلق به وهو لا يعرفه وجذبه عن فرسه فسقطا الى الارض هو والغلام فعرفه صدقة فقال يا برغش ارفق فضربه بالسيف فقتله واخذ راسه وحمله الى البرسقي فحمله الى السلطان فلما رآه عانقه وامر ابرغش بصلة وبقي صدقة طريحا الى ان سار السلطان فدفنه انسان من المدائن وكان عمره تسعا وخمسين سنة وكانت امارته احدى وعشرين سنة وحمل راسه الى بغداد وقتل من اصحابه ما يزيد على ثلاثة آلاف فارس فيهم جماعة من اهل بيته وقتل من بني شيبان خمسة وتسعون رجلا واسر ابنه دبيس بن صدقة وسرخاب بن كيخسرو الديلمي الذي كانت هذه الحرب بسببه فاحضر بين يدي السلطان فطلب الامان فقال قد عاهدت الله انني لا اقتل اسيرا فان ثبت عليك انك باطني قتلتك واسر سعيد بن حميد العمري صاحب جيش صدقة وهرب بدران بن صدقة الى الحلة فاخذ من المال وغيره ما امكنه وسير امه ونساءه الى البطيحة الى مهذب الدولة ابي العباس احمد بن ابي الجبر وكان بدران صهر مهذب الدولة على ابنته

مصطفى باشا البيرقدار هذا مشكور السيرة يحب اقامة العدل والوقت بخلاف ذلك (وفيه) قوى الاهتمام بسد ترعة الفرعونية وتعين لذلك شخص يسمى عثمان السلانكلي الذي كان مباشرا على جسر الاسكندرية (وفي منتصفه) سافر الباشا وصحبته حسن باشا لمباشرة الترعة التي يريدون سدها وامر بوسق الاحجار وافردوا لذلك عدة كثيرة من المراكب تشحن بالاحجار والاخشاب الكثيرة وترجع فارغة وتعود موسوقة في كل يوم مرة وامر بجمع الرجال من القرى للعمل (وفيه) ايضا شرع الباشا في انشاء ابنية بساحل شبرا الشهيرة الآن بشبرا المكاسة واشيع ان قصده انشاء سواقي وعمائر وبساتين ومزارع واخذ في الاستيلاء على ما يحاذي ذلك من القرى والاطيان والرزق والاقطاعات من ساحل شبرا الى جهة بركة الحاج عرضا (وفي سابع عشره) خرجت عساكر كثيرة الى البر الغربي بقصد الذهاب الى الفيوم صحبة شاهين بك والالفية بسبب اولاد علي الذين كانوا بالبحيرة (وفي ثاني عشرينه) وصل واحد قابجي واشيع انه طلع من بولاق وذهب الى بيت الباشا وعلى يده مرسومان احدهما تقرير للباشا على ولاية مصر والثاني يذكر فيه ان يوسف باشا المعدني الصدر السابق تعين بالسفر على جهة الشام لتنظيم بلاد العرب والحجاز ونب

أن يقوم محمد على باشا بلوازمه وما يحتاج اليه من أدوات وذخيرة وغير ١٨٩ ذلك ولم يظهر لذلك الكلام أثر ولما أصبح
النهار وحضر ذلك القابجى
فى موكب الى بيت الباشا
وحضر الاشياخ والاعيان
وكان الباشا غائبا فى الترعة
كما تقدم وعوضه كتخدا بك
وأكابر دولتهم وقرئت
المراسيم تحقق الخبر وانقضت
السنة بحوادثها التى لا يمكن
ضبط جزئياتها لعدم الوقوف
على حقيقتها (فمن الحوادث
العامة) توالى الفرض والمظالم
المتوالية واحداث انواع
المظالم على كل شئ والتزايد
فيها واستمرار الغلاء فى جميع
اسعار المبيعات والمآكل
والمشارب بسبب ذلك وفقر
أهل القرى وبيعهم لمواشيهم
فى المغارم فقل اللحم والسمن
والجبن واخذ مواشيهم
واغنامهم من غير ثمن فى
الكلف ثم رميها على الجزارين
باغلى ثمن ولا يذبحونها الا فى
المذبح ويؤخذ منهم اسقاطها
وجلودها ورؤسها ورواتب
الباشا وأهل دولته ثم يذهبون
بما يبقى لهم لحوانيتهم فتباع
على أهل البلد باغلى ثمن حتى
يخلص للجزار رأس ماله واذا
عثر المحتسب على جزار ذبح
شاة اشتراها فى غير المذبح قبض
عليه واشهره واخذ ما فى
حانوته من اللحم من غير ثمن ثم
يحبس ويضرب ويغرم مالا ولا
يغفر ذنبه ويسمى خائنا وفلاتيا

* ومنها انقطاع الحج الشامى والمصرى معتلين بمنع الوهابى الناس عن الحج والحال ليس كذلك فانه لم يمنع أحدا يأتى

ونهب من الاموال ما لا حد له وكان له من الكتب المنسوبة الخط شئ كثير الوف مجلدات وكان يحسن يقرأ ولا يكتب وكان جوادا حليما صدوقا كثير البر والاحسان ما برح مجلسه الكل ملهوف يلتجى من يقصده بالبر والتفضل ويبسط قاصديه ويزورهم وكان عادلا والرعايا معه فى امن ودعة وكان عفيفا لم يتزوج على امرأته ولا تسرى عليها فما ظنك بغير هذا ولم يصادر أحدا من نوابه ولا اخذهم باساءة قديمة وكان اصحابه يودعون اموالهم فى خزانته ويدلون عليه ادلال الولد على الوالد ولم يسمع برعية احبت أميرها كحب رعيته له وكان متواضعا محتملا يحفظ الاشعار ويبادر الى النادرة رحمه الله لقد كان من محاسن الدنيا وعاد السلطان الى بغداد ولم يصل الى الحلة وارسل الى البطيحة أمانا لزوجة صدقة وامرها بالظهور فاصعدت الى بغداد فاطلق السلطان ابنها دبيسا وانفذ معه جماعة من الامراء الى لقائها فلما التقيا ابنها بكيا بكاء شديدا ولما وصلت الى بغداد أحضرها السلطان واعتذر من قتل زوجها وقال وددت انه حمل الى حتى كنت افعل معه ما يعجب الناس به من الجميل والاحسان لكن الاقدار غلبتنى واستحلف ابنها دبيسا انه لا يسعى بفساد

(ذكر وفاة تميم بن المعز صاحب افريقية وولاية ابنه يحيى)

فى هذه السنة فى رجب توفى تميم بن المعز بن باديس صاحب افريقية وكان شهما شجاعا ذكيا له معرفة حسنة وكان حليما كثير العفو عن الجرائم العظيمة وله شعر حسن فمنه انه وقع حرب بين طائفتين من العرب وهما عدى ورياح فقتل رجل من رياح ثم اصطلحوا واهدروا دمه وكان صلحهم مما يضر به وببلاده فقال ابياتا يحرض على الطلب بدمه وهى

متى كانت دماؤكم تطل * اما فيكم بثار مستقل
اغانم ثم سالم ان فشلتم * فما كانت أوائلكم تذل
ونمتم عن طلاب الثار حتى * كأن العز فيكم مضمحل
وما كسرتم فيه العوالى * ولا بيض تفل ولا تسل

فنهض اخوة المقتول فقتلوا اميرا من عدى واشتد بينهم القتال وكثرت القتلى حتى اخرجوا بنى عدى من افريقية قيل انه اشترى جارية بثمن كثير فبلغه ان مولاها الذى باعها ذهب عقله واسف على فراقها فاحضره تميم بين يديه وارسل الجارية الى داره ومعها من الكسوات والاوانى الفضة وغيرها ومن الطيب وغيره شئ كثير ثم امر مولاها بالانصراف وهو لا يعلم بذلك فلما وصل الى داره ورآها على تلك الحال وقع مغشيا عليه لكثرة سروره ثم افاق فلما كان الغد اخذ الثمن وجميع ما كان معها وحمله الى دار تميم فانتهره وامره باعادة جميع ذلك الى داره وكان له فى البلاد اصحاب اخبار يجرى عليهم ارزاقا سنية ليطالعوه باحوال اصحابه لئلا يظلموا الناس فكان بالقيروان تاجر له مال وثروة فذكر فى بعض الايام التجار تميما ودعوا له وذلك التاجر حاضر فترحم على ابيه المعز

ولم يذكره فرفع ذلك الى تميم فاحضره الى قصره وساله هل ظلمتك فقال لا قال فهل ظلمك بعض اصحابي قال لا قال فلم اطلقت لسانك امس بذمي فسكت فقال لولا ان يقال شره في ماله لقتلتك ثم امر به فصفع في حضرته قليلا ثم اطلقه فخرج واصحابه ينتظرونه فسالوه عن خبره فقال اسرار الملوك لا تذاع فصارت بافريقية مثلا ولما توفي كان عمره تسعا وسبعين سنة وكانت ولايته ستا واربعين سنة وعشرة أشهر وعشرين يوما وخلف من الذكور ما يزيد على مائة ومن البنات ستين بنتا ولما توفي ملك بعده ابنه يحيى بن تميم وكانت ولادته بالمهدية لاربع بقين من ذي الحجة سنة سبع وخمسين واربعمائة وكان عمره حين ولي ثلاثا واربعين سنة وستة أشهر وعشرين يوما ولما ولي فرق اموالا جزيلة واحسن السيرة في الرعية

(ذكر ملك يحيى قلعة قليبية)

لما ملك يحيى بن تميم بعد ابيه جرد عسكرا كثيفا الى قلعة قليبية وهي من احصن قلاع افريقية فنزل عليها وحصرها حصارا شديدا ولم يبرح حتى فتحها وحصنها وكان ابوه تميم قد رام فتحها فلم يقدر على ذلك ولم يزل مظفرا منصورا لم ينهزم له جيش

(ذكر قدوم ابن عمار بغداد مستنفرا)

في هذه السنة في شهر رمضان ورد القاضي فخر الملك ابو علي بن عمار صاحب طرابلس الشام الى بغداد قاصدا باب السلطان محمد مستنفرا على الفرنج طالبا لتسيير العساكر لازاحتهم والذي حثه على ذلك انه لما طال حصر الفرنج لمدينة طرابلس على ما ذكرناه ضاقت عليه الاقوات وقلت واشتد الامر عليه وعلى أهل البلد فن الله عليهم سنة خمسمائة بميرة في البحر من جزيرة قبرس وانطاكية وجزائر البنادقة فاشتدت قلوبهم وقووا على حفظ البلد بعد ان كانوا استسلموا فلما بلغ فخر الملك انتظام الامور للسلطان محمد وزوال كل مخالف رأى لنفسه وللمسلمين قصده والانتصار به فاستناب بطرابلس ابن عمه ذا المناقب وأمره بالمقام بها ورتب معه الاجناد برا وبحرا واعطاهم جامكية ستة أشهر سلفا وجعل كل موضع الى من يقوم بحفظه بحيث ان ابن عمه لا يحتاج الى فعل شئ من ذلك وسار الى دمشق فاظهر ابن عمه الخلاف له والعصيان عليه ونادى بشعار المصريين فلما عرف فخر الملك ذلك كتب الى أصحابه يامرهم بالقبض عليه وحمله الى حصن الخوابي ففعلوا ما أمرهم وكان ابن عمار قد استصحب معه من الهدايا ما لم يوجد عند ملك مثله من الاعلاق النفيسة والاشياء الغريبة والخيل الرائقة فلما وصلها القيه عسكرها وطغتكين اتابك وخيم على ظاهر البلد وساله طغتكين الدخول اليه فدخل يوما واحدا الى الطعام وادخله حمامه وسار عنها ومعه ولد طغتكين يشيعه فلما وصل الى بغداد أمر السلطان كافة الامراء بتلقيه واكرامه وارسل اليه شبارته وفيها دسته الذي يجلس عليه ليركب فيها فلما نزل اليها قعد بين يدي موضع السلطان فقال له من بها من خواص السلطان قد امرنا ان يكون جلوسك في دست السلطان فلما دخل على السلطان

اجلسه

الحج على الطريقة المشروعة وانما يمنع من يأتي بخلاف ذلك من البدع التي لا يجيزها الشرع مثل المحمل والطبل والزمر وحمل الاسلحة وقد وصل طائفة من حجاج المغاربة وحجوا ورجعوا في هذا العام وماقبله ولم يتعرض لهم أحد بشئ ولما امتنعت قوافل الحج المصري والشامي وانقطع عن أهل المدينة ومكة ماكان يصل اليهم من الصدقات والعلائف والصرر التي كانوا يتعيشون منها خرجوا من أوطانهم باولادهم ونسائهم ولم يمكث الا الذي ليس له ايراد من ذلك وأتوا الى مصر والشام ومنهم من ذهب الى اسلامبول يتشكون من الوهابي ويستغيثون بالدولة في خلاص الحرمين لتعود لهم الحالة التي كانوا عليها من اجراء الارزاق واتصال الصلات والنيابات والخدم في الوظائف التي باسماء رجال الدولة كالفراشة والكناسة ونحو ذلك ويذكرون ان الوهابي استولى على ما كان بالحجرة الشريفة من الذخائر والجواهر ونقلها واخذها فيرون ان أخذه لذلك من الكبائر العظام وهذه الاشياء أرسلها ووضعها خساف العقول من الاغنياء والملوك والسلاطين الاعاجم وغيرهم اما حرصا على الدنيا وكراهة أن يأخذها من يأتي بعدهم اولنوائب الزمان فتكون مذخرة ومحفوظة لوقت الاحتياج اليها فيستعان بها على الجهاد ودفع الاعداء فلما تقادمت عليها الازمنة وتوالت عليها السنين

اجلسه واكرمه واقبل عليه بحديثه وسير الخليفة خواصه وجماعة ارباب المناصب فلقوه وانزله الخليفة واجرى عليه الجراية العظيمة وكذلك أيضا فعل السلطان وفعل معه مالم يفعل مع الملوك الذين معهم امثاله وهذا جميعه ثمرة الجهاد فى الدنيا ولاجر الآخرة أكبر ولما اجتمع بالسلطان قدم هديته وساله السلطان عن حاله وما يعانيه فى مجاهدة الكفار ويقاسيه من ركوب الخطوب فى قتالهم فذكر له حاله وقوة عدوه وطول حصره وطلب النجدة وضمن انه اذا سيرت العساكر معه اوصل اليهم جميع ما يلتمسونه فوعده السلطان بذلك وحضر دار الخلافة وذكر ايضا نحو ما ذكره عند السلطان وحمل هدية جميلة نفيسة وأقام الى أن رحل السلطان عن بغداد فى شوال فاحضره عنده بالنهروان وقد تقدم الى الامير حسين بن أتابك قتلغتكين ليسير معه العساكر التى سيرها الى الموصل مع الامير مودود لقتال جاولى سقاوو ليمضوا معه الى الشام وخلع عليه السلطان خلعا نفيسة واعطاه شيئا كثيرا وودعه وسار ومعه الامير حسين فلم يجد ذلك نفعا وكان مانذكره بعد ان شاء الله تعالى ثم ان فخر الملك بن عمار عاد الى دمشق منتصف المحرم سنة اثنتين وخمسمائة فاقام بها أياما وتوجه منها مع العسكر من دمشق الى جبلة فدخلها واطاعه اهله واما اهل طرابلس فانهم راسلوا الافضل امير الجيوش بمصر يلتمسون منه واليا يكون عندهم ومعه الميرة فى البحر فسير اليهم شرف الدولة بن أبى الطيب واليا ومعه الغلة وغيرها مما يحتاج اليه البلاد فى الحصار فلما صار فيها قبض على جماعة من اهل ابن عمار واصحابه وأخذ ما وجده من ذخائره وآلاته وغير ذلك وحمل الجميع الى مصر فى البحر

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة فى شعبان أطلق السلطان محمد الضرائب والمكوس ودار البيع والاجتيازات وغير ذلك مما يناسبه بالعراق وكتبت به الالواح وجعلت فى الاسواق وفيها فى شهر رمضان ولى القاضى ابو العباس بن الرطبى الحسبة ببغداد وفيه ايضا عزل الخليفة وزيره مجد الدين بن المطلب برسالة من السلطان بذلك ثم اعيد الى الوزارة باذن السلطان وشرط عليه شروطا منها العدل وحسن السيرة وان لا يستعمل أحدا من أهل الذمة وفيها عاد الاصبهبذ صباوو من دمشق وكان هرب عند قتل اياز فلما قدم اكرمه السلطان واقطعه رحبة مالك بن طوق وفيها سابع شوال خرج السلطان الى ظاهر بغداد عازما على العود الى اصبهان وكان مقامه هذه المرة خمسة أشهر وسبعة عشر يوما وفيها فى ذى الحجة احترقت خرابة ابن جردة فهلك فيها كثير من الناس واما الامتعة والاموال واثاث البيوت فهلك منها مالا حد له وخلص خلق بنقب نقبوه فى سور المحلة الى مقبرة باب ابرز وكان بها جماعة من اليهود فلم ينقلوا شيئا التمسكهم بسبتهم وكان بعض اهله قد عبروا الى الجانب الغربى للفرجة على عادتهم فى السبت الذى يلى العيد فعادوا فوجدوا بيوتهم قد خربت واهلهم قد احترقوا واموالهم قد هلكت ثم تبع ذلك

والاعوام الكثيرة وهى فى الزيادة ارصدت معنى لا حقيقة وارتسم فى الاذهان حرمة تناولها وانها صارت مالا للنبى صلى الله عليه وسلم فلا يجوز لاحد أخذها ولا انفاقها والنبى عليه الصلاة والسلام منزه عن ذلك لم يدخر شيئا من عرض الدنيا فى حياته وقد اعطاه الله الشرف الاعلى وهو الدعوة الى الله تعالى والنبوة والكتاب واختار أن يكون نبيا عبدا ولم يختر أن يكون نبيا ملكا (وثبت) فى الصحيحين وغيرهما انه قال اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا (وروى) الترمذى بسنده عن ابى أمامة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال عرض على ربى ليجعل لى بطحاء مكة ذهبا قلت لا يارب ولكن أشبع يوما واجوع يوما أو قال ثلاثا او نحو ذلك فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك واذا شبعت شكرتك وحمدتك ثم ان كانوا وضعوا هذه الذخائر والجواهر صدقة على الرسول ومحبة فيه فهو فاسد فهو لقول النبى صلى الله عليه وسلم ان الصدقة لا تنبغى لآل محمد انما هى اوساخ الناس ومنع بنى هاشم من تناول الصدقة وحرمها عليهم والمراد الانتفاع فى حال الحياة لا بعدها فان المال أوجده المولى سبحانه وتعالى من أمور الدنيا لا من امور الآخرة قال تعالى انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الاموال والاولاد وهو من جملة السبعة التى ذكرها الله

حريق في عدة اماكن منها درب القيار وقراح ابن رزين فارتاع الناس لذلك وابطلوا معايشهم واقاموا ليلا ونهارا يحرسون بيوتهم في الدروب وعلى السطوح وجعلوا عندهم الماء المعد لاطفاء النار فظهر ان سبب هذا الحريق ان جارية احبت رجلا فوافقته على المبيت عندها في دار مولاها سرا واعدت له ما يسرقه اذا خرج ويأخذها هي أيضا معه فلما اخذها طرحا النار في الدار وخرجا فاظهر الله عليهما وعجل الفضيحة لهما فاخذا وحبسا وفيها جمع بغدوين ملك الفرنج عسكره وقصد مدينة صور وحصرها وأمر ببناء حصن عندها على تل المعشوقة وأقام شهرا محاصرا لها فصانعه واليها على سبعة آلاف دينار فاخذها ورحل عن المدينة وقصد مدينة صيدا فحصرها برا وبحرا ونصب عليها البرج الخشب ووصل الاسطول المصري في الدفع عنها والحماية لمن فيها فقاتلهم اسطول الفرنج فظهر المسلمون عليهم فاتصل بالفرنج مسير عسكر دمشق نجدة لاهل صيدا فرحلوا عنها بغير فائدة وفيها ظهر كوكب عظيم له ذوائب فبقي ليالي كثيرة ثم غاب * وتوفي في هذه السنة في شعبان ابراهيم بن مياس بن مهدي ابو اسحق القشيري الدمشقي سمع الحديث الكثير من الخطيب البغدادي وغيره وتوفي في ذي القعدة أبو سعيد اسمعيل بن عمرو بن محمد النيسابوري المحدث كان يقرأ الحديث للغرباء قرأ صحيح مسلم على عبد الغافر الفارسي عشرين مرة

*(ثم دخلت سنة اثنتين وخمسمائة)

(ذكر استيلاء مودود وعسكر السلطان على الموصل وولاية مودود)

في هذه السنة في صفر استولى مودود والعسكر الذي ارسله السلطان معه على مدينة الموصل واخذوها من أصحاب جاولي سقاوو وقد ذكرنا سنة خمسمائة استيلاء جاولي عليها وما جرى بينه وبين جكرمش والملك قلج ارسلان وهلاكهما على يده وصار معه بعد ذلك العسكر الكثير والعدة التامة والاموال الكثيرة وكان السلطان محمد قد جعل اليه ولاية كل بلد يفتحه فاستولى على كثير من البلاد والاموال وكان سبب اخذ البلاد منه انه لما استولى عليها وعلى الاموال الكثيرة منها لم يحمل الى السلطان منها شيئا فلما وصل السلطان الى بغداد لقصد بلاد سيف الدولة صدقة ارسل الى جاولي يستدعيه اليه بالعساكر وكرر الرسل اليه فلم يحضر وغالط في الانحدار اليه واظهر انه يخاف ان يجتمع به ولم يقنع بذلك حتى كاتب صدقة واظهر له انه معه ومساعده على حرب السلطان واطمعه في الخلاف والعصيان فلما فرغ السلطان من أمر صدقة وقتله كما ذكرناه تقدم الى الامراء بني برسق وسكمان القطبي ومودود بن التونتكين وآقسنقر البرسقي ونصر ابن مهلهل بن أبي الشوك الكردي وابي الهيجاء صاحب اربل بالمسير الى الموصل وبلاد جاولي واخذها منه فتوجهوا نحو الموصل فوجدوا جاولي عاصيا قد شيد سور الموصل واحكم ما بناه جكرمش واعد الميرة والاقوات والآلات واستظهر على الاعيان بالموصل فحبسهم واخرج من اهلها ما يزيد على عشرين الفا ونادى متى اجتمع

سبحانه وتعالى في كتابه العزيز في قوله تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب فهذه السبعة بها تكون الخبائث والقبائح وليست هي في نفسها أمورا مذمومة بل قد تكون معينة على الآخرة اذا صرفت في محلها (وعن مطرف) عن ابيه قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ ألهاكم التكاثر قال يقول ابن آدم مالي مالي فهل لك يا ابن آدم من مالك الا ما اكلت فافنيت اولبست فابليت اوتصدقت فامضيت الى غير ذلك ومحبة الرسول بتصديقه واتباع شريعته وسنته لا بمخالفة أوامره وكنز المال بحجرته وحرمان مستحقيه من الفقراء والمساكين وباقي الاصناف الثمانية وان قال المدخر أكنزها لنوائب الزمان ليستعان بها على مجاهدة الكفار والمشركين عند الحاجة اليها قلنا قد رأينا شدة احتياج ملوك زماننا واضطرارهم في مصالحات المتغلبين عليهم من قرانات الافرنج وخلو خزائنهم من الاموال التي افنوها بسوء تدبيرهم وتفاخرهم ورفاهيتهم فيصالحون المتغلبين بالمقادير العظيمة فكان احدى الفرق من الافرنج المسالمين لهم واحتالوا على تحصيل المال من رعاياهم بزيادة المكوس

عاميان على الحديث فى هذا الامر قتلهما وخرج عن البلد ونهب السواد وترك بالبلد
زوجته ابنة برسق واسكنها القلعة ومعها ألف وخمسمائة فارس من الاتراك سوى غيرهم
وسوى الرجالة ونزل العسكر عليها فى شهر رمضان سنة احدى وخمسمائة وصادرت
زوجته من بقى بالبلد وعسفت نساء الخارجين عنه وبالغت فى الاحتراز عليهم فاوحشهم
ذلك ودعاهم الى الانحراف عنها وقوتل أهل البلد قتالا متتابعا فاشتد على الحصار باهلها
من خارج والظلم من داخل الى آخر المحرم والجند بها يمنعون عاميا من القرب من السور
فلما طال الامر على الناس اتفق نفر من الجصاصين ومقدمهم جصاص يعرف
بسعدى على تسليم البلد وتحالفوا على التساعد وأتوا وقت صلاة الجمعة والناس بالجامع
وصعدوا برجا واغلقوا ابوابه وقتلوا من به من الجند وكانوا نياما فلم يشعروا بشئ حتى
قتلوا وأخذوا سلاحهم والقوهم الى الارض وملكوا برجا آخر ووقعت الصيحة
وقصدهم مائتا فارس من العسكر ورموهم بالنشاب وهم يقاتلون وينادون بشعار
السلطان فزحف عسكر السلطان اليهم ودخلوا البلد من ناحيتهم وملكوه ودخله
الامير مودود ونودى بالسكون والامن وان يعود الناس الى دورهم واملاكهم واقامت
زوجة جاولى بالقلعة ثمانية أيام وراسلت الامير مودود فى ان يفرج لها عن طريقها
وان يحلف لها على الصيانة والحراسة فحلف وخرجت الى اخيها برسق بن برسق ومعها
اموالها وما استولت عليه وولى مودود الموصل وما ينضاف اليها

(ذكر حال جاولى مدة الحصار)

واما جاولى فانه لما وصل عسكر السلطان الى الموصل وحصرها سار عنها واخذ معه
القمص صاحب الرها الذى كان قد اسره سقمان وأخذه منه جكرمش وقد ذكرنا ذلك
وسار الى نصيبين وهى حينئذ للامير ايلغازى بن ارتق وراسله وساله الاجتماع به
واستدعاه الى معاضدته وان يكونا يدا واحدة واعلمه ان خوفهما من السلطان ينبغى
ان يجمعهما على الاحتماء منه فلم يجبه ايلغازى الى ذلك ورحل عن نصيبين ورتب بها
ولده وامره بحفظها من جاولى وان يقاتله ان قصده وسار الى ماردين فلما سمع جاولى
ذلك عدل عن نصيبين وقصد دارا وارسل الى ايلغازى ثانيا فى المعانى وسار بعد
الرسول فبينما رسوله عند ايلغازى بماردين لم يشعر الا وجاولى معه فى القلعة وحده
فقصدان يتالفه ويستميله فلما رآه ايلغازى قام اليه وخدمه ولما رأى جاولى محسنا الظن
فيه غير مستشعر منه لم يجد الى دفعه سبيلا فنزل معه وعسكرا بظاهر نصيبين وسارا منها
الى سنجار وحاصراها مدة فلم يجبهما صاحبه الى صلح فتركاه وسارا نحو الرحبة وايلغازى
يظهر لجاولى المساعدة ويبطن الخلاف وينتظر فرصة لينصرف عنه فلما وصلا الى
عرابان من الخابور هرب ايلغازى ليلا وقصد نصيبين

(ذكر اطلاق جاولى للقمص الفرنجى)

لما هرب ايلغازى من جاولى سار جاولى الى الرحبة فلما وصل الى ماكسين اطلق

والمصادرات والطلبات والاستيلاء على الاموال بغير حق حتى افقر واتجارهم ورعاياهم ولم ياخذوا من هذه
المدخرات شيئا بل ربما كان
عندهم اوعند خوندا تهم
جوهر نفيس من بقايا
المدخرات فيرسلونه هدية الى
الحجرة ولا ينتفعون به فى مهماتهم
فضلا عن اعطائه لمستحقه من
المحتاجين واذا صار فى ذلك
المكان لا ينتفع به احد
الا ما يختلسه العبيد الخصيون
الذين يقال لهم اغوات الحرم
والفقراء من اولاد الرسول واهل
العلم والمحتاجون وابناء
السبيل يموتون جوعا وهذه
الذخائر محجور عليها وممنوعون
منها الى ان حضر الوهابى
واستولى على المدينة واخذ تلك
الذخائر فيقال انه عبى اربعة
سحاحير من الجواهر المحلاة
بالالماس والياقوت العظيمة
القدر ومن ذلك اربع
شمعدانات من الزمرذ وبدل
الشمعة قطعة الماس مستطيلة
يضئ نورها فى الظلام ونحو
مائة سيف قرابتها ملبسة
بالذهب الخالص ومنزل عليها
الماس وياقوت ونصابها من
الزمرذ واليشم ونحو ذلك
وسلاحها من الحديد الموصوف
كل سيف منها لا قيمة له وعليها
دمغات باسم الملوك والخلفاء
السالفين وغير ذلك * ومنها
ان الباشا عزم على عمارة المجراة
التى تنقل الماء الى القلعة
وقد خربت وتلاشى امرها
وتهدمت قناطرها وبطل نقل الماء عليها من نحو عشرين سنة فقيد بعمارتها محمد

افندى طبل ناظر المهمات فعمرها واجرى الماء بها فى اواخر الشهر الماضى * ومنها احداث عدة مكوس على
اصناف كثيرة منها على بضاعة اللبان عن كل قطعة ثلثمائة نصف فضة وكذلك على صنف الحناء عن كل محلة عشرة انصاف وكذلك الموزونات كل مائة درهم اربعة دراهم على البائع درهمان وعلى المشترى درهمان وغير ذلك حوادث كثيرة لا نعلمها

(واما من مات بها ممن له ذكر) فمات الاجل المبجل والمحترم المفضل السيد خليل البكرى الصديقى ووالدته من ذرية شمس الدين الحنفى وهو أخو الشيخ أحمد البكرى الصديقى الذى كان متوليا على سجادتهم ولما مات أخوه لم يولها المترجم لما فيه من الرعونة وارتكابه أمورا غير لائقة بل تولاها ابن عمه السيد محمد افندى مضافة لنقابة الاشراف فتنازع مع ابن عمه المذكور وقسموا البيت الذى هو مسكنهم بالازبكية نصفين وعمر منابه عمارة متقنة وزخرفه وأنشأ فيه بستانا وزرع فيه أصناف الاشجار والفواكه فلما توفى السيد محمد افندى تولى المترجم مشيخة السجادة وتولى نقابة الاشراف السيد عمر مكرم الاسيوطى فلما طرق البلاد الفرنساوية تداخل المترجم فيهم وخرج السيد عمر مع من خرج هاربا من الفرنساوية الى بلاد الشام وعرف المترجم الفرنساوية ان النقابة كانت لبيتهم بينهم

القمص الفرنجى الذى كان أسيرا بالموصل واخذه معه واسمه بردويل وكان صاحب الرها وسروج وغيرهما وبقى فى الحبس الى الآن وبذل الاموال الكثيرة فلم يطلق فلما كان الآن أطلقه جاولى وخلع عليه وكان مقامه فى السجن ما يقارب خمس سنين وقرر عليه ان يفدى نفسه بمال وان يطلق اسرى المسلمين الذين فى سجنه وان ينصره متى اراد ذلك منه بنفسه وعسكره وماله فلما اتفقا على ذلك سير القمص الى قلعة جعبر وسلمه الى صاحبها سالم بن مالك حتى ورد عليه ابن خالته جوسلين وهو من فرسان الفرنج وشجعانها وهو صاحب تل باشر وغيرها وكان أسر مع القمص فى تلك الوقعة ففدى نفسه بعشرين ألف دينار فلما وصل جوسلين الى قلعة جعبر أقام رهينة عوض القمص وأطلق القمص وسار الى انطاكية واخذ جاولى جوسلين من قلعة جعبر فاطلقه واخذ عوضه اخا زوجته وأخا زوجة القمص وسيره الى القمص ليقوى به ويحثه على اطلاق الاسرى وانفاذ المال وما ضمنه فلما وصل جوسلين الى منبج اغار عليها ونهبها وكان معه جماعة من أصحاب جاولى فانكروا عليه ذلك ونسبوه الى الغدر فقال ان هذه المدينة ليست لكم

(ذكر ما جرى بين هذا القمص وبين صاحب انطاكية)

لما اطلق القمص وسار الى انطاكية اعطاه طنكرى صاحبها ثلاثين الف دينار وخيلا وسلاحا وثيابا وغير ذلك وكان طنكرى قد اخذ الرها من اصحاب القمص حين أسر فخاطبه الآن فى ردها عليه فلم يفعل فخرج من عنده الى تل باشر فلما قدم عليه جوسلين وقد اطلقه جاولى سره ذلك وفرح به وسار اليهما طنكرى صاحب انطاكية بعساكره ليحاربهما قبل ان يقوى امرهما ويجمعا عسكرا ويلتحق بهما جاولى وينجدهما فكانوا يقتتلون فاذا فرغوا من القتال اجتمعوا كل بعضهم مع بعض وتحادثوا واطلق القمص من الاسرى المسلمين مائة وستين أسيرا كلهم من سواد حلب وكساهم وسيرهم وعاد طنكرى الى انطاكية من غير فصل حال فى معنى الرها فسار القمص وجوسلين واغارا على حصون طنكرى صاحب انطاكية والتجآ الى ولاية كواسيل وهو رجل ارمنى ومعه خلق كثير من المرتدين وغيرهم وهو صاحب رعبان وكيسوم وغيرهما من القلاع شمالى حلب فانجد القمص بالف فارس من المرتدين والفى راجل فقصدهم طنكرى فتنازعوا فى امر الرها فتوسط بينهم البطرك الذى لهم وهو عندهم كالامام الذى للمسلمين لا يخالف امره وشهد جماعة من المطارنة والقسيسين ان بيمند خال طنكرى قال له لما اراد ركوب البحر والعود الى بلاده أن يعيد الرها الى القمص اذا خلص من الاسر فاعادها عليه طنكرى تاسع صفر وعبر القمص الفرات ليسلم الى أصحاب جاولى المال والاسرى فاطلق فى طريقه خلقا كثيرا من الاسرى من حران وغيرها وكان بسروج ثلثمائة مسلم ضعفى فعمر اصحاب جاولى مساجدهم وكان رئيس سروج مسلما قد ارتد فسمعه أصحاب جاولى يقول فى الاسلام قولا شنيعا فضربوه وجرى

بينهم وبين الفرنج بسببه نزاع فذكر ذلك للقمص فقال هذا لا يصلح لنا ولا للمسلمين فقتله

(ذكر حال جاولي بعد اطلاق القمص)

لما اطلق جاولي القمص بما ذكرناه سار الى الرحبة فاتاه ابو النجم بدران وابو كامل منصور ابنا سيف الدولة صدقة وكانا بعد قتل ابيهما بقلعة جعبر عند سالم بن مالك فتعاهدوا على المساعدة والمعاضدة ووعدهما انه يسير معهما الى الحلة وعزموا ان يقدموا عليهم بكتاش بن تكش بن الب ارسلان فوصل اليهم وهم على هذا العزم الاصبهبذ صباوو وكان قد قصد السلطان فاقطعه الرحبة وقد ذكرناه فاجتمع بجاولي واشار عليه ان يقصد الشام فان بلاده خالية من الاجناد والفرنج قد استولوا على كثير منها وعرفه انه متى قصد العراق والسلطان بها وقريبا منها لم يامن شرا يصل اليه فقبل قوله واصعد عن الرحبة فوصل اليه رسل سالم بن مالك صاحب قلعة جعبر يستغيث به من بني نمير وكانت الرقة بيد ولده على بن سالم فوثب جوشن النميري ومعه جماعة من بني نمير فقتل عليا وملك الرقة فبلغ ذلك الملك رضوان فسار من حلب الى صفين فصادف تسعين رجلا من الفرنج معهم مال من فدية القمص صاحب الرها قد سيره الى جاولي فاخذه واسر عدة منهم واتى الرقة فصالحه بنو نمير على مال فرحل عنهم الى حلب فاستنجد سالم بن مالك جاولي وساله ان يرحل الى الرقة وياخذها ووعده بما يحتاج اليه فقصد الرقة وحصرها سبعين يوما فضمن له بنو نمير مالا وخيلا فارسل الى سالم انني في أمراهم من هذا وانا بازاء عدو ويجب التشاغل به دون غيره وأنا عازم على الانحدار الى العراق فان تم أمري فالرقة وغيرها لك ولا اشتغل عن هذا المهم بحصار خمسة نفر من بني نمير ووصل الى جاولي الامير حسين بن اتابك قتلغتكين وكان ابوه اتابك السلطان محمد فقتله وتقدم ولده هذا عند السلطان واختص به فسيره السلطان مع فخر الملك بن عمار ليصلح الحال مع جاولي ويامر العساكر بالمسير مع ابن عمار الى جهاد الكفار فحضر عند جاولي وامر بتسليم البلاد وطيب قلبه عن السلطان وضمن الجميل اذا سلم البلاد واظهر الطاعة والعبودية فقال جاولي انا مملوك السلطان وفي طاعته وحمل اليه مالا وثيابا لها مقدار جليل وقال له سر الى الموصل ورحل العسكر عنها فانني ارسل معك من يسلم ولدي اليك رهينة وينفذ السلطان اليها من يتولى امرها وجباية اموالها ففعل حسين ذلك وسار ومعه صاحب جاولي فلما وصلا الى العسكر الذي على الموصل وكانوا لم يفتحوها بعد فامرهم حسين بالرحيل فكلهم اجاب الا الامير مودود فانه قال لا ارحل الا بامر السلطان وقبض على صاحب جاولي وأقام على الموصل حتى فتحها كما ذكرناه وعاد حسين بن قتلغتكين الى السلطان فاحسن النيابة عن جاولي عنده وسار جاولي الى مدينة بالس فوصلها ثالث عشر صفر فاحتمى أهلها منه وهرب من بها من أصحاب الملك رضوان صاحب حلب فحصرها خمسة أيام وملكها بعد ان نقب برجا من ابراجها فوقع على النقابين فقتل منهم جماعة وملك البلد وصلب جماعة من اعيانه عند النقب واحضر القاضي محمد بن عبد العزيز بن الياس فقتله وكان فقيها صالحا

وانهم غصبوها منه فقلدوه اياها واستولى على وقفها وايرادها وانفرد بسكن البيت وصار له قبول عند الفرنساوية وجعلوه من أعاظم رؤساء الديوان الذي كانوا نظموه لاجراء الاحكام بين المسلمين فكان وافر الحرمة مسموع الكلمة مقبول الشفاعة عندهم فازدحم بيته بالدعاوى والشكاوى واجتمع عنده مماليك من مماليك الامراء المصرية الذين كانوا مختفين ومتغيبين وعدة خدم وقواسة ومقدم كبير وسراجين وأجناد واستمر على ذلك الى أن حضر يوسف باشا الوزير في المرة الاولى التي انتقض فيها الصلح ووقعت الحروب في البلدة بين العثمانية والفرنساوية والامراء المصرية وأهل البلدة فهجم على داره المتهورون من العامة ونهبوه وهتكوا حريمه وعروه عن ثيابه وسحبوه بينهم مكشوف الرأس من الازبكية الى وكالة ذي الفقار بالجمالية وبها عثمان كتخدا الدولة فشفع فيه الحاضرون واطلقوه بعد ان أشرف على الهلاك واخذه الخواجا أحمد بن محرم الى داره واسكن روعه والبسه ثيابا وأكرمه وبقي بداره الى أن انقضت أيام الفتنة وظهرت الفرنساوية على المحاربين لهم وخرجوا من البلدة واستقر بها الفرنساوية فعند ذلك ذهب اليهم وشكا لهم ما حل به بسبب موالاته لهم فعوضوا عليه ما نهب له ورجع الى الحالة التي كان عليها معهم وكانت داره أخربها

ونهب البلد واخذ منهم مالا كثيرا

(ذكر الحرب بين جاولي والفرنج)

وفي هذه السنة في صفر كان المصاف بين جاولي سقاوو وبين طنكري الفرنجي صاحب انطاكية وسبب ذلك ان الملك رضوان كتب الى طنكري صاحب انطاكية يعرفه ما عليه جاولي من الغدر والمكر والخداع ويحذره منه ويعلمه انه على قصد حلب وانه ان ملكها لا يبقى للفرنج معه بالشام مقام وطلب منه النصرة والاتفاق على منعه فاجابه طنكري الى منعه وبرز من انطاكية فارسل اليه رضوان ستمائة فارس فلما سمع جاولي الخبر ارسل الى القمص صاحب الرها يستدعيه الى مساعدته واطلق له ما بقي عليه من مال المفاداة فسار الى جاولي فلحق به وهو على منبج فوصل الخبر اليه وهو على هذه الحال بان الموصل قد استولى عليها عسكر السلطان وملكوا خزائنه وامواله فاشتد ذلك عليه وفارقه كثير من اصحابه منهم اتابك زنكي بن آقسنقر وبكتاش النهاوندي وبقي جاولي في الف فارس وانضم اليه خلق من المطوعة فنزل بتل باشر وقاربهم طنكري وهو في الف وخمسمائة فارس من الفرنج وستمائة من اصحاب الملك رضوان سوى الرجالة فجعل جاولي في ميمنته الامير اقسيان والامير التونتاش الابري وغيرهما وفي الميسرة الامير بدران بن صدقة والاصبهبذ صباوو وسنقر دراز وفي القلب القمص بغدوين وجوسلين الفرنجيين ووقعت الحرب فحمل اصحاب انطاكية على القمص صاحب الرها واشتد القتال فازاح طنكري القلب عن موضعه وحملت ميسرة جاولي على رجالة صاحب انطاكية فقتلت منهم خلقا كثيرا ولم يبق غير هزيمة صاحب انطاكية فحينئذ عمد اصحاب جاولي الى جنائب القمص وجوسلين وغيرهما من الفرنج فركبوها وانهزموا فمضى جاولي وراءهم فلم يرجعوا وكانت طاعته قد زالت عنهم حين اخذت الموصل منه فلما راى انهم لا يعودون معه اهمه نفسه وخاف من المقام فانهزم وانهزم باقي عسكره فاما الاصبهبذ صباوو فسار نحو الشام واما بدران بن صدقة فسار الى قلعة جعبر واما ابن جكرمش فقصد جزيرة ابن عمر واما جاولي فقصد الرحبة وقتل من المسلمين خلق كثير ونهب صاحب انطاكية اموالهم واثقالهم وعظم البلاء عليهم من الفرنج وهرب القمص وجوسلين الى تل باشر والتجأ اليهما خلق كثير من المسلمين ففعلا معهم الجميل وداويا الجرحى وكسوا العراة وسيراهم الى بلادهم

(ذكر عود جاولي الى السلطان)

لما انهزم جاولي سقاوو وقصد الرحبة فلما قاربها بات دونها في عدة فوارس فاتفق ان طائفة من عسكر الامير مودود الذين اخذوا الموصل منه اغاروا على قوم من العرب يجاورون الرحبة فقاربوا جاولي وهم لا يشعرون به ولو علموا لاخذوه فلما راى الحال كذلك علم انه لا يقدر ان يقيم في الجزيرة ولا بالشام ولا يقدر على شيء يحفظ به نفسه ويرجع اليه ويداوي به مرضه غير قصد باب السلطان محمد عن رغبة واختيار وكان واثقا

النهابون فسكن ببيت البارودي بباب الخرق ثم انتقل منه الى بيت عبد الرحمن كتخدا القازدغلي بحارة عابدين وجدد بها عمارة وكان له ابنة خرجت عن طورها في أيام الفرنسيس فلما اشيع حضور الوزير والقبودان والانكليز وظهر على الفرنساوية الخروج من مصر فقتل ابنته المذكورة بيد حاكم الشرطة فلما استقرت العثمانية بالديار المصرية عزل المترجم عن نقابة الاشراف وتولاها السيد عمر مكرم كما كان قبل الفرنساوية ولما حضر محمد باشا خسرو انهى اليه الكارهون له بانه مرتكب للموبقات ويعاقر الشراب وغير ذلك وان ابنته كانت تذهب الى الفرنسيس بعلمه وانه قتلها خوفا وتبرئة لنفسه من الشهرة التي لا يمكنه سترها ولا يقبل عذره فيها ولا التنصل منها وانه لا يصلح لمشيخة سجادة السادة البكرية وعرفوه ان هناك شخصا من سلالتهم يقال له الشيخ محمد سعد وهو من جملة اتباع المترجم ولكنه فقير لا يملك شيئا ولا دابة يركبها فقال الباشا أنا أواسيه واعطيه فاحضر وله بعدان البسه تاجا كبيرا وثيابا وهو رجل مبارك طاعن في السن فالبسه فروة سمور وقدم له حصانا معددا وقيد له ألف قرش وسكن دارا بناحية باب الخرق وتريش حاله وتحمل امر المترجم واشترى دارا بدرب الجماميز بعطفة بالامير

بالامير حسين بن قتلغ تكين فرحل من مكانه وهو خائف حذر قد اخفى شخصه وكتم امره وسار الى عسكر السلطان وكان بالقرب من اصبهان فوصل اليه فى سبعة عشر يوما من مكانه لجده فى السير فلما وصل المعسكر قصد الامير حسين فحمله الى السلطان فدخل اليه وكفنه تحت يده فامنه واتاه الامراء يهنؤنه بذلك وطلب منه السلطان الملك بكتاش ابن تكش فسلمه اليه فاعتقله باصبهان

(ذكر الحرب بين طغتكين والفرنج والهدنة بعدها)

فى هذه السنة كانت حرب شديدة بين طغتكين اتابك والفرنج وسببها ان طغتكين سار الى طبرية وقد وصل اليها ابن اخت بغدوين الفرنجى ملك القدس فتجار باواقتتلا وكان طغتكين فى الفى فارس وكثير من الرجالة وكان ابن اخت ملك الفرنج فى اربعمائة فارس والفى راجل فلما اشتد القتال انهزم المسلمون فترجل طغتكين ونادى بالمسلمين وشجعهم فعاودوا الحرب وكسروا الفرنج واسروا ابن اخت الملك وحمل الى طغتكين فعرض طغتكين عليه الاسلام فامتنع منه وبذل فى فداء نفسه ثلاثين الف دينار واطلاق خمسمائة اسير فلم يقنع طغتكين منه بغير الاسلام فلما لم يجب قتله بيده وارسل الى الخليفة والسلطان الاسرى ثم اصطلح طغتكين وبغدوين ملك الفرنج على وضع الحرب اربع سنين وكان ذلك من لطف الله تعالى بالمسلمين ولولا هذه الهدنة لكان الفرنج بلغوا من المسلمين بعد الهزيمة الآتى ذكرها امرا عظيما

(ذكر انهزام طغتكين من الفرنج)

فى هذه السنة فى شعبان انهزم اتابك طغتكين من الفرنج وسبب ذلك ان حصن عرقة وهو من اعمال طرابلس كان بيد غلام للقاضى فخر الملك ابى على بن عمار صاحب طرابلس وهو من الحصون المنيعة فعصى على مولاه فضاق به القوت وانقطعت عنه الميرة لطول مكث الفرنج فى نواحيه فارسل الى أتابك طغتكين صاحب دمشق وقال له أرسل من يتسلم هذا الحصن منى قد عجزت عن حفظه ولان ياخذه المسلمون خير لى دنيا وآخرة من أن ياخذه الفرنج فبعث اليه طغتكين صاحبا له اسمه اسرائيل فى ثلثمائة رجل فتسلم الحصن فلما نزل غلام ابن عمار منه رماه اسرائيل فى الاختلاط بسهم فقتله وكان قصده بذلك ان لا يطلع أتابك طغتكين على ما خلفه بالقلعة من المال واراد طغتكين قصد الحصن للاطلاع عليه وتقويته بالعساكر والاقوات وآلات الحرب فنزل الغيث والثلج مدة شهرين ليلا ونهارا فمنعه فلما زال ذلك سار فى أربعة آلاف فارس ففتح حصونا للفرنج منها حصن الاكمة فلما سمع السردانى الفرنجى بمجىء طغتكين وهو على حصار طرابلس توجه فى ثلثمائة فارس فلما اشرف اوائل اصحابه على عسكر طغتكين انهزموا وخلوا اثقالهم ورحالهم ودوابهم للفرنج فغنموا وقووا به وزاد فى تجملهم ووصل المسلمون الى حمص على أقبح حال من التقطع ولم يقتل منهم احد لانه لم يجر حرب وقصد السردانى الى عرقة فلما نازلها طلب من كان بها الامان

القرن وكان بظاهرها قطعة جنينة فاشتراها وغرس بها اشجارا وحسنها واتقنها وبنى له مجلسا مطلا عليها وبالاسفل مساطب ولواوين جلوس لطيفة واشترى دارين من دور الامراء المتقدمين بظاهر ذلك وهدمهما وبنى بانقاضهما واخشابهما وباع ما كان تحت يده من حصص الالتزام وسد باثمانها ديونه واقتصر على ايراده فيما يخصه من وقف جده لامه الاستاذ الحنفى وتصدى لمناقمته وأذيته انفار من المتظاهرين مثل السيد عمر مكرم النقيب والشيخ محمد وفا السادات وخلافهما حتى انه كان عقد لابنه سيدى أحمد على بنت المرحوم محمد افندى البكرى فتعصبوا عليه بعد عزله من المشيخة والنقابة وابطلوا العقد وفسخوا النكاح ببيت القاضى وتسلط عليه من له دين أو دعوى أو مطالبة حتى بيعوه حصصه وكان قد اشترى مملوكا فى أيام الفرنساوية جميل الصورة فلما حصل له ما حصل ادعى عليه البائع انه اخذه بدون القيمة ولم يدفع له الثمن فلم يثبت عليه ذلك وكان المملوك ذهب من عنده وتم الامر والمصالحة على ان عثمان بك المرادى اخذ ذلك المملوك لنفسه وقد تقدم ذكر قصته فى الحوادث السابقة ولم يزل المترجم على حالة خموله حتى تحرك عليه داء الفتق ومات على حين غفلة فى منتصف شهر ذى الحجة وصلى عليه بمسجد جده لامه الشيخ شمس الدين ابو

فامنهم على نفوسهم وتسلم الحصن فلما خرج من فيه قبض على امرا ئيل وقال لا اطلق عنه الا باطلاق فلان وهو اسير كان بدمشق من الفرنج منذ سبع سنين ففودي به واطلقا معا ولما وصل طغتكين الى دمشق بعد الهزيمة ارسل اليه ملك القدس يقول له لا تظن انني انقض الهدنة للذى تم عليك من الهزيمة فالملوك ينالهم اكثر مما نالك ثم تعود امورهم الى الانتظام والاستقامة وكان طغتكين خائفا ان يقصده بعد هذه الكسرة فينال من بلده كل ما أراد

(ذكر صلح السنة والشيعة ببغداد)

في هذه السنة في شعبان اصطلح عامة بغداد السنة والشيعة وكان الشر منهم على طول الزمان وقد اجتهد الخلفاء والسلاطين والشحن في اصلاح الحال فتعذر عليهم ذلك الى ان اذن الله تعالى فيه وكان بغير واسطة وكان السبب في ذلك ان السلطان محمدا لما قتل ملك العرب صدقة كما ذكرناه خاف الشيعة ببغداد أهل الكرخ وغيرهم لان صدقة كان يتشيع هو واهل بيته فشنع اهل السنة عليهم بانهم نالهم غم وهم لقتله فخاف الشيعة واغضوا على سماع هذا ولم يزالوا خائفين الى شعبان فلما دخل شعبان تجهز السنة لزيارة قبر مصعب بن الزبير وكانوا قد تركوا ذلك سنين كثيرة ومنعوا منه لتنقطع الفتن الحادثة بسببه فلما تجهزوا للمسير اتفقوا على ان يجعلوا طريقهم في الكرخ فاظهروا ذلك فاتفق راى اهل الكرخ على ترك معارضتهم وانهم لا يمنعونهم فصارا السنة تسير اهل كل محلة منفردين ومعهم من الزينة والسلاح شئ كثير وجاء اهل باب المراتب ومعهم فيل قد عمل من خشب وعليه الرجال بالسلاح وقصدوا جميعهم الكرخ ليعبروا فيه فاستقبلهم اهله بالبخور والطيب والماء المبرد والسلاح الكثير واظهروا بهم السرور وشيعوهم حتى خرجوا من المحلة وخرج الشيعة ليلة النصف منه الى مشهد موسى بن جعفر وغيره فلم يعترضهم احد من السنة فعجب الناس لذلك ولما عادوا من زيارة مصعب لقيهم اهل الكرخ بالفرح والسرور فاتفق ان اهل باب المراتب انكسر فيلهم عند قنطرة باب حرب فقرا لهم قوم ألم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل الى آخر السورة

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة عاد منصور بن صدقة بن مزيد الى باب السلطان فتقبله واكرمه وكان قد هرب بعد قتل والده الى الآن والتحق اخوه بدران بن صدقة بالامير مودود الذى اقطعه السلطان الموصل فاكرمه واحسن صحبته وفيها في نيسان زادت دجلة زيادة عظيمة وتقطعت الطرق وغرقت الغلات الشتوية والصيفية وحدث غلاء عظيم بالعراق بلغت الكارة الدقيق الخشكار عشرة دنانير امامية وعدم الخبز راسا واكل الناس التمر والباقلاء الاخضر واما اهل السواد فانهم لم يأكلوا جميع شهر رمضان ونصف شوال سوى الحشيش والتوت وفيها في رجب عزل وزير الخليفة ابو المعالي هبة الله

محمد الحنفي ودفن عند أسلافه بمشهد السادة البكرية بالقرافة رحمه الله وعفا عنا وعنه *(ومات الامير شاهين بك المرادي)* ويعرف بباب اللوق لانه كان ساكنا هناك وهو من مماليك مراد بك واصله جركسي الجنس ولما اعتقه مراد بك انعم عليه بكشوفية اقليم الغربية ثم رجع الى مصر واقام بطالا متطلعا للامارة ويرى انه احق بها من غيره ولما رجع المصريون الى مصر بعد قتل طاهر باشا وكان الالفي غائبا ببلاد الانكليز انضم اليه عثمان بك البرديسي ووافقه على كراهة الالفي الباطنية وكان هو احد المباشرين والضاربين حسين بك الوشاش بالبر الغربي ليلة خروجهم وتعديتهم لملاقاة الالفي ثم خرج من مصر مع عشيرته ولم يزل حتى مات في منتصف شهر ربيع الاول من السنة المذكورة والله اعلم

(سنة اربع وعشرين ومائتين والف)

استهل شهر المحرم بيوم الخميس وفي تلك الليلة أعني ليلة الجمعة ثانيه مرت سحابة سوداء مظلمة في وقت العشاء وحصل فيها رعد مزعج وبرق مستنير شديد اللمعان وامطرت في محلات قليلا وفي أخرى كثيرا ثم انجلت السماء سريعا فظهرت النجوم وبعد أيام أخبر الواردون من ناحية بلاد السماحات بالغربية انها امطرت بتلك الناحية في تلك الليلة بردا ابن

ابن المطلب ووزرله ابو القاسم على بن ابى نصر بن جهير وفيها فى شعبان تزوج الخليفة المستظهر بالله ابنة السلطان ملكشاه وهى اخت السلطان محمد وكان الذى خطب خطبة النكاح القاضى ابو العلاء صاعد بن محمد النيسابورى الحنفى وكان المتولى لقبول العقد نظام الملك احمد بن نظام الملك وزير السلطان بوكالة من الخليفة وكان الصداق مائة الف دينار ونثرت الجواهر والدنانير وكان العقد باصبهان وفيها تولى مجاهد الدين بهروز شحنكية بغداد وكان سبب ذلك ان السلطان محمدا كان قبض على ابى القاسم الحسين بن عبد الواحد صاحب المخزن وعلى ابى الفرج بن رئيس الرؤساء واعتقلهم عنده ثم اطلقهم الآن وقرر عليهم مالا يحملونه اليه فارسل مجاهد الدين بهروز لقبض المال وامره السلطان بعمارة دار المملكة ففعل ذلك وعمر الدار واحسن الى الناس فلما قدم السلطان الى بغداد ولاه شحنكية العراق جميعه وخلع على سعيد ابن حميد العمرى صاحب جيش صدقة وولاه الحلة السيفية وكان صارما حازما ذا راى وجلد وفيها فى شوال ملك الامير سكمان القطبى صاحب خلاط مدينة ميافارقين بالامان بعد ان حصرها وضيق على اهلها عدة شهور وعدمت الاقوات بها واشتد الجوع باهلها فسلموها وفى هذه السنة فى صفر قتل قاضى اصبهان عبيد الله بن على الخطيبى بهمذان وكان قد تجرد فى امر الباطنية تجردا عظيما وصار يلبس درعا حذرا منهم ويحتاط ويحترز فقصده انسان عجمى يوم جمعة ودخل بينه وبين اصحابه فقتله وقتل صاعد بن محمد بن عبد الرحمن ابو العلاء قاضى نيسابور يوم عيد الفطر قتله باطنى وقتل الباطنى ومولده سنة ثمان واربعين واربعمائة وسمع الحديث وكان حنفى المذهب وفى هذه السنة سار قفل عظيم من دمشق الى مصر فاتى الخبر الى ملك الفرنج فسار اليه وعارضه فى البر واخذ كل من فيه ولم يسلم منهم الا القليل ومن سلم اخذه العرب وفيها فى فصح النصارى ثار جماعة من الباطنية فى حصن شيزر على حين غفلة من اهله فى مائة رجل فملكوه واخرجوا من كان فيه واغلقوا بابه وصعدوا الى القلعة فملكوها وكان اصحابها بنو منقذ قد نزلوا منها لمشاهدة عيد النصارى وكانوا قد احسنوا الى هؤلاء الذين افسدوا كل الاحسان فبادر اهل المدينة بالباشورة فاصعدهم النساء فى الحبال من الطاقات وصاروا معهم وادركهم الامراء بنو منقذ اصحاب الحصن فصعدوا اليهم فكبروا عليهم وقاتلوهم فانخذل الباطنية واخذهم السيف من كل جانب فلم يفلت منهم احد وقتل من كان على مثل رأيهم فى البلد وفيها وصل الى المهدية ثلاثة نفر غرباء فكتبوا الى أميرها يحيى بن تميم يقولون انهم يعملون الكيمياء فاحضرهم عنده وأمرهم ان يعملوا شيئا يراه من صناعتهم فقالوا نعمل النقرة فاحضر لهم ما طلبوا من آلة وغيرها وقعد معهم هو والشريف أبو الحسن وقائد جيشه اسمه ابراهيم وكانا يختصان به فلما رأى الكيماوية المكان خاليا من جمع ثاروا بهم فضرب احدهم يحيى بن تميم على رأسه فوقعت السكين فى عمامته فلم تصنع شيئا ورفسه يحيى فالقاه على ظهره ودخل يحيى بابا واغلقه على نفسه فضرب الثانى الشريف فقتله واخذ القائد

كبيرا وصغيرا والكبير فى مقدار حجر الطاحون والصغير فى مقدار بيض الدجاج وتهدمت منها دور وقتلت مواشى وآدمية واهلكت زروعا كثيرة (وفى يوم الاحد رابعه) قتل الباشا حسين بن الخبيرى وهو بترعة الفرعونية وأرسل رأسه الى مصر فعلقت بباب زويلة (وفى أواخره حضر) الباشا من ترعة الفرعونية وقد عجز عن سدها بعد أن بذل جهده وفرض الفرض العظيمة على البلاد واشغلوا المراكب فى نقل الاحجار ليلا ونهارا والسيد محمد المحروقى متقيد لذلك ومقيم بمسجد الآثار لتشهيل الاحجار ووسقها بالمراكب وقطعها من الجبل قطعا وصخورا فكانوا يشقون الجبل بالغام البارود مثل عمل الافرنج وظهر فى قطعهم كهوف ومغارات وتجاويف وتحدث الناس بذلك بانواع الاكاذيب والخرافات كقولهم ظهر فى الجبل باب من حديد وعليه أقفال ففتحوه ونظروا من داخله أشخاصا على خيول الى غير ذلك (وفيه) حضر قاصد من قبودان باشا يطلب عوائده بالاسكندرية فقال له حاكم الاسكندرية ينبغى أن تذهب الى الباشا بالترعة وتقابله فذهب اليه وقابله عند السدفيات تلك الليلة وأصبح ميتا فاخرجوه الى المقبرة ثم حضر قاصد آخر يخبر بوصول قابجى وعلى يده مرسومات أحدهما الاخبار عن صلح الدولة مع الانكليز والموسكوب وانفتاح

ابراهيم السيف فقاتل الكيماوية ووقع الصوت فدخل اصحاب الامير يحيى فقتلوا الكيماوية وكان زيهم زى اهل الاندلس فقتل جماعة من اهل البلد على مثل زيهم وقيل للامير يحيى ان هؤلاء رآهم بعض الناس عند المقدم بن خليفة واتفق ان الامير ابا الفتوح بن تميم اخا يحيى وصل تلك الساعة الى القصر فى اصحابه قد لبسوا السلاح فمنع من الدخول فثبت عند الامير يحيى ان ذلك بوضع منهما فاحضر المقدم بن خليفة وامر اولاد اخيه فقتلوه قصاصا لانه قتل اباهم وأخرج الامير ابا الفتوح وزوجته بلارة بنت القاسم بن تميم وهى ابنة عمه ووكل بهما فى قصر زياد بين المهدية وسفاقس فبقى هناك الى ان مات يحيى وملك بعده ابنه على سنة تسع وخمسمائة فسير أبا الفتوح وزوجته بلارة الى ديار مصر فى البحر فوصلا الى اسكندرية على ما نذكره ان شاء الله وفيها فى المحرم قتل عبد الواحد بن اسمعيل بن احمد بن محمد أبو المحاسن الرويانى الطبرى الفقيه الشافعى مولده سنة خمس عشرة واربعمائة وكان حافظا للمذهب ويقول لو احترقت كتب الشافعى لامليتها من قلبى وفيها فى جمادى الآخرة توفى الخطيب ابو زكريا يحيى بن على التبريزى الشيبانى اللغوى صاحب التصانيف المشهورة وله شعر ليس بالجيد وفيها فى رجب توفى السيد أبو هاشم زيد الحسنى العلوى رئيس همذان وكان نافذ الحكم ماضى الامر وكانت مدة رياسته لها سبعا واربعين سنة وجد لامه الصاحب أبو القاسم بن عباد وكان عظيم المال جدا فمن ذلك انه أخذ منه السلطان محمد فى دفعة واحدة سبعمائة الف دينار لم يبع لاجلها ملكا ولا استدان دينارا وقام بعد ذلك بالسلطان محمد عدة شهور فى جميع ما بيده وكان قليل المعروف وفيها فى ذى الحجة توفى ابو الفوارس الحسن بن على الخازن الكاتب المشهور بجودة الخط وله شعر منه

عنت الدنيا لطالبها * واستراح الزاهد الفطن
عرف الدنيا فلم يرها * وسواه حظه الفتن
كل ملك نال زخرفها * حظه مما حوى كفن
يقتنى مالا ويتركه * فى كلا الحالين مفتتن
املى كونى على ثقة * من لقاء الله مرتهن
اكره الدنيا وكيف بها * والذى تسخو به وسن
لم تدم قبلى على احد * فلماذا الهم والحزن

وقيل توفى سنة تسع وتسعين واربعمائة وقد ذكر هناك

(ثم دخلت سنة ثلاث وخمسمائة)

(ذكر ملك الفرنج طرابلس وبيروت من الشام)

فى هذه السنة حادى عشر ذى الحجة ملك الفرنج طرابلس وسبب ذلك ان طرابلس كانت قد صارت فى حكم صاحب مصر ونائبه فيها والمدد يأتى اليها منه وقد ذكرنا ذلك سنة احدى وخمسمائة فلما كان هذه السنة اول شعبان وصل اصطول كبير

البحر وأمن المسافرين والثانى الامر بالسفر والخروج الى فتح الحرمين وطرد الوهابية عنهما وان يوسف باشا الصدر السابق المعروف بالمعدن تعين بالسفر للحرمين على طريق الشام وكذلك سليمان باشا والى بغداد متعين أيضا بالسفر من ناحيته على الدرعية وأحضر للباشا تقريرا بالولاية مجددا وخلعة وسيفا

(واستهل شهر صفر بيوم السبت سنة ١٢٢٤)

فيه حضر الاغا الواصل الى بولاق فركب لملاقاته اغات الينكجرية والوالى وأرباب العكاكيز فاركبوه فى موكب ودخلوا به من باب النصر وطلع الى القلعة وقرؤا المراسيم بحضرة الجمع وبعد الفراغ من قراءتها ضربوا مدافع وشنكا (وفى ذلك اليوم) غيمت السماء بالسحاب وامطرت كثيرا ونزل مطر ببركة الحاج وجدوا فيه سمكا صغيرا من جنس السمك الذى يعرف بالقاروص وصار ينتطط على الارض واحضروا منه الى مصر وشاهدناه وهو فى غاية البرودة (وفيه) اهتم الباشا باخراج تجريدة الى الامراء القبليين وذلك انه تقدم بالارسال اليهم يطالبهم بالغلال والاموال الميرية المرار العديدة ويعدون ولا يوفون ووصل اليه من عندهم رضوان كتخدا البرديسى وهو بالتبرعة ومعه أجوبة وهدية وفيها خيول وجوار وعبيد وسكر وخصيان فاغتاظ الباشا من

من بلد الفرنج في البحر ومقدمهم قمص كبير اسمه ريمند بن صنجيل ومراكبه مشحونة بالرجال والسلاح والميرة فنزل على طرابلس وكان نازلا عليها قبله السرداني ابن أخت صنجيل وليس بابن أخت ريمند هذا بل هو قمص آخر فجرت بينهما فتنة أدت الى الشر والقتال فوصل طنكرى صاحب انطاكية اليها معونة للسرداني ووصل الملك بغدوين صاحب القدس في عسكره فاصلح بينهم ونزل الفرنج جميعهم على طرابلس وشرعوا في قتالها ومضايقة أهلها من أول شعبان والصقوا ابراجهم بسورها فلما رأى الجند وأهل البلد ذلك سقط في أيديهم وذلت نفوسهم وزادهم ضعفا تأخر الاسطول المصرى عنهم بالميرة والنجدة وكان سبب تأخره أنهم فرغوا منه ومن البحث عليه واختلفوا فيه أكثر من سنة وسار فردته الريح فتعذر عليهم الوصول الى طرابلس ليقضى الله أمرا كان مفعولا وشد الفرنج القتال عليها من الابراج والزحف فهجموا على البلد وملكوه عنوة وقهرا يوم الاثنين لاحدى عشرة ليلة خلت من ذى الحجة من السنة ونهبوا ما فيها وأسروا الرجال وسبوا النساء والاطفال ونهبوا الاموال وغنموا من أهلها من الاموال والامتعة وكتب دور العلم الموقوفة ما لا يحد ولا يحصى فان أهلها كانوا من أكثر أهل البلاد أموالا وتجارة وسلم الوالى الذى كان بها وجماعة من جندها كانوا التمسوا الامان قبل فتحها فوصلوا الى دمشق وعاقب الفرنج أهلها بانواع العقوبات وأخذت دفائنهم وذخائرهم من مكامنهم

(ذكر ملك الفرنج جبيل وبانياس)

لما فرغ الفرنج من طرابلس سار طنكرى صاحب انطاكية الى بانياس وحصرها وافتتحها وأمن أهلها ونزل مدينة جبيل وفيها فخر الملك بن عمار الذى كان صاحب طرابلس وكان القوت فيها قليلا فقاتلها الى ان ملكها في الثانى والعشرين من ذى الحجة من السنة بالامان وخرج فخر الملك بن عمار سالما ووصل عقيب ملك طرابلس الاسطول المصرى بالرجال والمال والغلال وغيرها ما يكفيهم سنة فوصل الى صور بعد أخذها بثمانية أيام للقضاء النازل باهلها وفرقت الغلال التى فيه والذخائر فى الجهات المنفذة اليها صور وصيدا وبيروت وأما فخر الملك بن عمار فانه قصد شيزر فأكرمه صاحبها الامير سلطان بن على بن منقذ الكنانى واحترمه وساله ان يقيم عنده فلم يفعل وسار الى دمشق فانزله طغتكين صاحبها واجزل له فى الحمل والعطية وأقطعه اعمال الزبدانى وهو عمل كبير من أعمال دمشق وكان ذلك فى المحرم سنة اثنتين وخمسمائة

(ذكر الحرب بين محمد خان وساغر بك)

فى هذه السنة عاد ساغر بك وجمع العساكر الكثيرة من الاتراك وغيرهم وقصد اعمال محمد خان بسمرقند وغيرها فارسل محمد خان الى سنجر يستنجده فسير اليه الجنود واجتمع معه أيضا كثير من العساكر وسار الى ساغر بك فالتقوا بنواحى الخشب واقتتلوا فانهزم

قال أنا است أطلب احسانهم وصدقاتهم حتى انهم يضحكون على ذقنى بهذه الامور وحيث انهم لا يرجعون عن الكامن فى رؤسهم فلا بد من خروجى اليهم ومحاربتهم وأرسل الى من بمصر من الاكابر يأمرهم بالبراز والخروج فخرج حسن باشا وصالح أغا قوج وطاهر باشا وأحمد بك والكثير من أعيانهم بعساكرهم وعدوا الى بر الجيزة ونصبوا وطاقهم وخيامهم ثم ان رضوان كتخدا الميرزل يلاطفه حتى توافق معه على وعد مقدار مسافة ذهاب الجواب ورجوعه أياما معدودة فلما حضر من الترعة أخذ فى التشهيل والخروج فانتقلت العساكر الى البر الغربى وأخذ يستحث فى المطلوبات وخروج الخيام وجمع المراكب وسافر قبودان بولاق الى جهة بحرى بجمع المراكب وفرضوا على القرى غلالا وجمالا وذلك فى عقب ما فرضه عليهم فى مهمات الترعة المتقدمة وخلافها من بشارة القبطان والتقرير وما فى ضمن ذلك من حق طرق المباشرين والمعينين مع ما الناس فيه من القحط والغلاء فى الغلال وغيرها وعدم وجود الغلة والذين لا يقدرون على تحصيل الغلة يلزمونهم بدفع ثمنها باقصى القيمة بعد مصانعة المباشرين لذلك واعطائهم الرشوات وحضر أيضا نعمان سراج باشا من عند ابراهيم بك وقابل الباشا على الترعة فلم ينفع

ساغر بك وعساكره وأخذت السيوف منهم ماأخذها وكثر الاسر فيهم والنهب فلما فرغوا من حربهم وأمن محمدخان من شر ساغر بك عاد العسكر السنجري الى خراسان فعبروا النهر الى بلخ

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في المحرم سير السلطان وزيره نظام الملك أحمد بن نظام الملك الى قلعة الموت لقتال الحسن بن الصباح ومن معه من الاسماعيلية فحصروهم وهجم الشتاء عليهم فعادوا ولم يبلغوا منه غرضا وفيها في ربيع الآخر قدم السلطان الى بغداد وعاد عنها في شوال من السنة أيضا وفيها في شعبان توجه الوزير نظام الملك الى الجامع فوثب به الباطنية فضربوه بالسكاكين وجرح في رقبته فبقي مريضا مدة ثم برأ واخذ الباطني الذي جرحه فسقي الخمر حتى سكر ثم سئل عن أصحابه فاقر على جماعة بمسجد المامونية فاخذوا وقتلوا وفيها عزل وزير الخليفة وهو ابو المعالي بن المطلب ووزر بعده الزعيم ابو القاسم بن جهير فخرج ابن المطلب من دار الخليفة مستترا هو وأولاده واستجار بدار السلطان وفيها جهز يحيي بن تميم صاحب افريقية خمسة عشر شينيا وسيرها الى بلاد الروم فلقيها اسطول الروم وهو كبير فقاتلوهم واخذوا ست قطع من شواني المسلمين ولم ينهزم بعد ذلك ليحيي جيش في البحر والبر وسير ابنه ابا الفتوح الى مدينة سفاقس واليا عليها فثار به أهلها فنهبوا قصره وهموا بقتله فلم يزل يحيي يعمل الحيلة عليهم حتى فرق كلمتهم وبدد شملهم وملك رقابهم فسجنهم وعفا عن دمائهم وذنوبهم وفيها توفي الامير ابراهيم ينال صاحب آمد وكان قبيح السيرة مشهورا بالظلم فخلا كثير من أهلها لجوره وملك بعده ولده وكان اصلح حالا منه وفيها في ثامن ذي القعدة ظهر في السماء كوكب من الشرق له ذؤابة ممتدة الى القبلة وبقي يطلع الى آخر ذي الحجة ثم غاب

(ثم دخلت سنة أربع وخمسمائة)

(ذكر ملك الفرنج مدينة صيدا)

في هذه السنة في ربيع الآخر ملك الفرنج مدينة صيدا من ساحل الشام وسبب ذلك انه وصل في البحر الى الشام ستون مركبا للفرنج مشحونة بالرجال والذخائر مع بعض ملوكهم ليحج البيت المقدس وليغزو بزعمه المسلمين فاجتمع بهم بغدوين ملك القدس وتقررت القاعدة بينهم ان يقصدوا بلاد الاسلام فرحلوا من القدس ونزلوا مدينة صيدا ثالث ربيع الآخر من هذه السنة وضايقوها برا وبحرا وكان الاسطول المصري مقيما على صور فلم يقدر على انجاده صيدا فعمل الفرنج برجا من الخشب واحكموه وجعلوا عليه ما يمنع النار عنه والحجارة وزحفوا به فلما عاين اهل صيدا ذلك ضعفت نفوسهم واشفقوا ان يصيبهم مثل ما اصاب أهل بيروت فارسلوا قاضيها ومعه جماعة من شيوخها الى الفرنج وطلبوا من ملكهم الامان فامنهم على انفسهم واموالهم والعسكر الذي عندهم ومن اراد المقام به عندهم أمنوه ومن اراد المسير عنهم لم يمنعوه وحلف لهم

على

تحضوره أيضا ولم يسمع له قول ورجع مزيفا (وفي خامسه) حضر علي بك أيوب وصحبته آخر يقال له رضوان بك البرديسي فطلعا الى القلعة وتقابلا مع الباشا واتخضع له علي بك أيوب وقبل رجله وترجى عنده في عدم خروج التجريدة وكلمه في امر الغلال المنكسرة والجديدة وعلى انهم يقومون بدفع الغلال القديمة بالثمن والجديدة بالكيل وليس عندهم مخالفة والقصد الامهال الى حصاد الغلال فقال انهم اذا حصدوا الغلال اخذوها وفروا الى الجبال واستمر هذا القيل والقال نحوا اربعة ايام ثم اشيع في ثامنه الصلح وفرح الناس واستبشروا بذلك لما يترتب وما يحصل من الفساد وأكل الزروعات وخراب البلدان فانهم اكلوا في الاربعة ايام التي ترددوا فيها بالجيزة نيفا وخمسمائة فدان ولما اشيع بالجهة القبلية خروج العساكر للتجريدة انزعجوا وايسوا من زروعاتهم وخرجوا من اوطانهم على وجوههم لايدرون اين يذهبون باولادهم ونسائهم وقصاعهم وتفرقوا في مصر والبلاد البحرية (وفي صبحها) اعيد امر التجريدة واشيع خروج العساكر ثانيا فانقبضت النفوس ثانيا وباتوا في نكد وطلبت السلف من المساتير والملتزمين وكتبت الدفاتر وحولت الاكياس واثبتت المعينون للطالب (وفي عاشره) بطل امر التجريدة وانقضى امر الصلح على شروط

على ذلك فخرج الموالى وجماعة كثيرة من اعيان اهل البلد فى العشرين من جمادى الاولى الى دمشق واقام بالبلد خلق كثير تحت الامان وكانت مدة الحصار سبعة واربعين يوما ورحل بغدوين عنها الى القدس ثم عاد الى صيدا بعد مدة يسيرة فقرر على المسلمين الذين اقاموا بها عشرين الف دينار فافقرهم واستغرق اموالهم

(ذكر استيلاء المصريين على عسقلان)

كانت عسقلان للعلويين المصريين ثم ان الخليفة الآمر باحكام الله استعمل عليها انسانا يعرف بشمس الخلافة فراسل بغدوين ملك الفرنج بالشام وهادنه واهدى اليه مالا وعروضا فامتنع به من احكام المصريين عليه الا فيما يريد من غير مجاهرة بذلك فوصلت الاخبار بذلك الى الآمر باحكام الله صاحب مصر والى وزيره الافضل امير الجيوش فعظم الامر عليهما وجهزا عسكرا وسيراه الى عسقلان مع قائد كبير من قواده واظهرا انه يريد الغزاة وانفذا الى القائد سرا ان يقبض على شمس الخلافة اذا حضر عنده ويقيم هو عوضه بعسقلان اميرا فسار العسكر فعرف شمس الخلافة الحال فامتنع من الحضور عند العسكر المصرى وجاهر بالعصيان واخرج من كان عنده من عسكر مصر خوفا منهم فلما عرف الافضل ذلك خاف ان يسلم عسقلان الى الفرنج فارسل اليه وطيب قلبه وسكنه واقره على عمله واعاد عليه اقطاعه بمصر ثم ان شمس الخلافة خاف اهل عسقلان فاحضر جماعة من الارمن واتخذهم جندا ولم يزل على هذه الحال الى آخر سنة اربع وخمسمائة فانكر الامر اهل البلد فوثب به قوم من اعيانه وهو راكب فجرحوه فانهزم منهم الى داره فتبعوه وقتلوه ونهبوا داره وجميع ما فيها ونهبوا بعض دور غيره من ارباب الاموال بهذه الحجة وارسلوا الى مصر بجلية الحال الى الآمر والافضل فسرا بذلك واحسنا الى الواصلين بالبشارة وارسلا اليه واليا يقيم به ويستعمل مع اهل البلد الاحسان وحسن السيرة فتم ذلك وزال ما كانوا يخافونه

(ذكر ملك الفرنج حصن الاثارب وغيره)

فى هذه السنة جمع صاحب انطاكية عساكره من الفرنج وحشد الفارس والراجل وسار نحو حصن الاثارب وهو بالقرب من مدينة حلب بينهما ثلاثة فراسخ وحصره ومنع عنه الميرة فضاق الامر على من به من المسلمين فنقبوا من القلعة نقبا قصدوا ان يخرجوا منه الى خيمة صاحب انطاكية فيقتلوه فلما فعلوا ذلك وقربوا من خيمته استأمن اليه صبي ارمنى فعرفه الحال فاحتاط واحترز منهم وجد فى قتالهم حتى ملك الحصن قهرا وعنوة وقتل من اهله الفى رجل وسبى واسر الباقين ثم سار الى حصن زردنا فحصره ففتحه وفعل باهله مثل الاثارب فلما سمع اهل منبج بذلك فارقوها خوفا من الفرنج وكذلك اهل بالس وقصد الفرنج البلدين فرأوهما وليس بهما انيس فعادوا عنهما وسار عسكر من الفرنج الى مدينة صيدا فطلب اهلها منهم الامان فامنوهم وتسلموا البلد فعظم خوف المسلمين منهم وبلغت القلوب الحناجر وايقنوا باستيلاء الفرنج على سائر الشام

وهى انهم التزموا بثلث ما عليهم من غلال الميرى وقدره مائة الف اردب وسبعة آلاف اردب بعد مناقشات ومحققات والذى تولى المناقشات معهم مساعدا للباشا شاهين بك الالفى والموعد احد وثلاثون يوما وسافر على بك ايوب ورضوان بك البرديسى واكرمهما الباشا وخلع عليهما (وفى حادى عشره) قتل الباشا مصطفى اغا تابع حسن بك فى قصبة رضوان ظلما وسبب ذلك انه لما نزل قبودان بولاق لجمع المراكب المطلوبة لسفر التجريدة فصادف شخصا من الارنؤد الذين يتسببون فى بيع الغلال فى مركب ومعه غلة وذلك عند قرية تسمى سهرجت فجبره لياخذ منه السفينة فقال كيف تاخذها وفيها غلالى قال اخرج غلالك منها على البر واتركها فانها مطلوبة لمهمات الباشا فلم يرض وخاف على تبددها ولم يجد سفينة اخرى لان جميع السفن مطلوبة مثلها وقال له عندما اصل بها الى مصر وانقل منها الغلة ارسل هى من ياخذها فقال القبودان لا سبيل الى ذلك وتشاجرا فخنق القبودان على الارنؤدى وسل عليه سيفه ليضربه به فعاجله الارنؤدى وضربه بالطبنجة فقتله فاراد اتباع القبودان القبض عليه ففر منهم الى البلد وبها جماعة من الدلاة معينون لقبض الفرضة فالتجأ اليهم فمانعوا عنه وتنازع الفريقان وكان مصطفى اغا

لعدم الحامى له والمانع عنه فشرع اصحاب البلاد الاسلامية بالشام فى الهدنة معهم فامتنع الفرنج من الاجابة الا على قطيعة يأخذونها الى مدة يسيرة فصالحهم الملك رضوان صاحب حلب على اثنين وثلاثين الف دينار وغيرها من الخيول والثياب وصالحهم صاحب صور على سبعة آلاف دينار وصالحهم ابن منقذ صاحب شيزر على اربعة آلاف دينار وصالحهم على الكردى صاحب حماة على الفى دينار وكانت مدة الهدنة الى وقت ادراك الغلة وحصادها ثم ان مراكب اقلعت من ديار مصر فيها التجار ومعهم الامتعة الكثيرة فوقع عليها مراكب الفرنج فاخذوها وغنموا اموال التجار واسروهم فسار جماعة من اهل حلب الى بغداد مستنفرين على الفرنج فلما وردوا بغداد اجتمع معهم خلق كثير من الفقهاء وغيرهم فقصدوا جامع السلطان واستغاثوا ومنعوا من الصلاة وكسروا المنبر فوعدهم السلطان انفاذ العساكر للجهاد وسير من دار الخلافة منبرا الى جامع السلطان فلما كان الجمعة الثانية قصدوا جامع القصر بدار الخلافة ومعهم اهل بغداد فمنعهم حاجب الباب من الدخول فغلبوه على ذلك ودخلوا الجامع وكسروا شباك المقصورة وهجموا الى المنبر فكسروه وبطلت الجمعة ايضا فارسل الخليفة الى السلطان فى المعنى يأمره بالاهتمام بهذا الفتق ورتقه فتقدم حينئذ الى من معه من الامراء بالمسير الى بلادهم والتجهز للجهاد وسير ولده الملك مسعودا مع الامير مودود صاحب الموصل وتقدموا الى الموصل ليلحق بهم الامراء ويسيروا الى قتال الفرنج وانقضت السنة وساروا فى سنة خمس وخمسمائة وكان ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة عزل نظام الملك احمد من وزارة السلطان ووزر بعده الخطير محمد بن الحسين الميبذى وفيها ورد رسول ملك الروم الى السلطان يستنفره على الفرنج ويحثه على قتالهم ودفعهم عن البلاد وكان وصوله قبل وصول أهل حلب وكان أهل حلب يقولون للسلطان اما تتقى الله تعالى ان يكون ملك الروم اكثر حمية منك للاسلام حتى قد ارسل اليك فى جهادهم وفيها فى رمضان زفت ابنة السلطان ملكشاه الى الخليفة وزينت بغداد وغلقت وكان بها فرحة عظيمة لم يشاهد الناس مثلها وفيها هبت بمصر ريح سوداء اظلمت بها الدنيا واخذت بانفاس الناس ولم يقدر احد يفتح عينيه ومن فتحها لا يبصر يده ونزل على الناس رمل ويئس الناس من الحياة وايقنوا بالهلاك ثم تجلى قليلا وعاد الى الصفرة وكان ذلك من اول وقت العصر الى بعد المغرب وفيها فى المحرم توفى الكيا الهراس الطبرى واسمه ابو الحسن على بن محمد بن على وكان من أعيان الفقهاء الشافعية اخذ الفقه عن امام الحرمين الجوينى ودرس بعده فى النظامية ببغداد وتوفى بها ودفن عند تربة الشيخ ابى اسحق ودرس بعده فى النظامية الامام ابو بكر الشاشى وفيها توفى ابو الحسين ادريس بن حمزة بن على الرملى الفقيه الشافعى من اهل الرملة بفلسطين تفقه على ابى الفتح نصر بن ابراهيم المقدسى وعلى الشيخ ابى اسحق الشيرازى

المذكور ملتزم البلدة هناك وغائبا فى بعض شؤونه فبلغه الخبر فحضر اليهم وخاف من وقوع قتل أو شر يقع بالبلدة فيكون سببا لخراب الناحية فقال يا جماعة اذهبوا بنا الى الباشا ليرى رأيه فرضوا بذلك وحضر بصحبتهم والقاتل معهم وطلعوا الى ساحل بولاق فعندما وصلوا الى البر هرب القاتل وذهب عند عمر بك الارنؤدى الساكن ببولاق فتبعه الامير مصطفى المذكور فقال له عمر بك اذهب الى الباشا واخبره انه عندى وانت لا بأس عليك ففعل فقال له الباشا ولأى شئ لم تحتفظ عليه وتتركه حتى يهرب فاعتذر بعدم قدرته على ذلك من الدلاتية الملتجئ اليهم وكانهم هم الذين افلتوه فامر بحبسه فارسل الى عمر بك فحضر الى الباشا وترجى فى اطلاقه فوعده انه فى غد يطلقه اذا حضر القاتل فقال انه عند ازمير أغا وهو لا يسلم فيه وركب الى داره فلما كان فى الصباح أمر بقتل الامير مصطفى المذكور فانزلوه الى الرميلة ورموا رقبته عند باب القلعة ظلما (وفى صبحها) أيضا قتلوا شخصا من الدلاة بسبب هذه الحادثة (وفى ثانى يوم) قتل الارنؤود شخصين من الدلاة أيضا (وفى يوم الخميس ثالث عشره ارسل الباشا وطلب الارنؤدى) القاتل للقبودان من عمر بك وشدد فى طلبه وقال إن لم يرسله والا احرقت عليه داره فامتنع من ارساله وجمع اليه طائفة الارنؤود وصاح أغاقوج جاره وركب الباشا

بهم

ودخل خراسان وولي التدريس بسمرقند فتوفي بها

(ثم دخلت سنة خمس وخمسمائة)

(ذكر مسير العساكر الى قتال الفرنج)

في هذه السنة اجتمعت العساكر التي امرها السلطان بالمسير الى قتال الفرنج فكانوا الامير مودود صاحب الموصل والامير سكمان القطبي صاحب تبريز وبعض ديار بكر والامير ايلبكي وزنكي ابنا برسق ولهما همذان وما جاورها والامير احمديل وله مراغة وكوتب الامير ابو الهيجاء صاحب اربل والامير ايلغازي صاحب ماردين والامراء البكجية باللحاق بالملك مسعود ومودود فاجتمعوا ما عدا الامير ايلغازي فانه سير ولده اياز واقام هو فلما اجتمعوا ساروا الى بلد سنجار ففتحوا عدة حصون للفرنج وقتلوا من بها منهم وحصروا مدينة الرها مدة ثم رحلوا عنها من غير ان يملكوها وكان سبب رحيلهم عنها ان الفرنج اجتمعت جميعها فارسها وراجلها وساروا الى الفرات ليعبروها ليمنعوا الرها من المسلمين فلما وصلوا الى الفرات بلغهم كثرة المسلمين فلم يقدموا عليه واقاموا على الفرات فلما رأى المسلمون ذلك رحلوا عن الرها الى حران ليطمع الفرنج ويعبروا الفرات اليهم ويقاتلوهم فلما رحلوا عنها جاء الفرنج ومعهم الميرة والذخائر الى الرها فجعلوا فيها كل ما يحتاجون اليه بعد ان كانوا قليلي الميرة وقد اشرفوا على ان يؤخذوا واخذوا كل من فيه عجز وضعف وفقر وعادوا الى الفرات فعبروه الى الجانب الشامي وطرقوا أعمال حلب فافسدوا ما فيها ونهبوها وقتلوا فيها وأسروا وسبوا خلقا كثيرا وكان سبب ذلك أن الفرنج لما عبروا الى الجزيرة خرج الملك رضوان صاحب حلب الى ما أخذه الفرنج من اعمالها فاستعاد بعضه ونهب منهم وقتل فلما عادوا وعبروا الفرات فعلوا باعماله ما فعلوا واما العسكر السلطاني فانه لما سمع بعود الفرنج وعبورهم الفرات رحلوا الى الرها وحصروها فرأوا أمرا محكما قد قويت نفوس أهلها بالذخائر التي تركت عندهم وبكثرة المقاتلين عنهم ولم يجدوا فيها مطمعا فرحلوا عنها وعبروا الفرات فحصروا قلعة تل باشر خمسة واربعين يوما ورحلوا عنها ولم يبلغوا غرضا ووصلوا الى حلب فاغلق الملك رضوان أبواب البلد ولم يجتمع بهم ثم مرض هناك الامير سكمان القطبي فعاد مريضا فتوفي في بالس فجعله أصحابه في تابوت وحملوه عائدين الى بلاده فقصدهم ايلغازي ليأخذهم ويغنم ما معهم فجعلوا تابوته في القلب وقاتلوا بين يديه فانهزم ايلغازي وغنموا ماله وساروا الى بلادهم ولما اغلق الملك رضوان أبواب حلب ولم يجتمع بالعساكر السلطانية رحلوا الى معرة النعمان واجتمع بهم طغتكين صاحب دمشق ونزل على الامير مودود فاطلع من الامراء على نيات فاسدة في حقه فخاف ان تؤخذ منه دمشق فشرع في مهادنة الفرنج سرا وكانوا قد نكلوا عن قتال المسلمين فلم يتم ذلك وتفرقت العساكر وكان سبب تفرقهم ان الامير برسق بن برسق الذي هو اكبر الامراء كان به نقرس فهو يحمل في محفة ومات سكمان القطبي كما ذكرنا

وذهب الى ناحية الشيخ فرج وحصل ببولاق قلقة وانزعاج ثم ركب الباشا راجعا الى داره بالازبكية وقت الغروب وكثرت الارجاف والقلقة بين الارنؤد والدلاتية (وفي خامس عشره) قتل الارنؤد شخصين من الدلاتية أيضا جهة قناطر السباع ثم ان القاتل الذي قتل القبودان التجا الى كبير من كبار الارنؤد فارسل الباشا الى حسن باشا يطلب منه ذلك الكبير وأكد في طلبه أو انه يقطع رأس القاتل ويرسلها فكأنه فعل وأرسل اليه برأس ملفوفة في ملاية تسكينا لحدته وبردت القضية وسكنت الحدة وراحت على من راحت عليه (وفي أواخره) امر الباشا بتحرير دفاتر فرضة الاطيان وزادوا فيها عن عام الشراقي الماضي الثلث وربطوها ورتبوها اربع مراتب تزيد كل ضريبة عن الاخرى مائة نصف فضة اعلاها يبلغ ثمانمائة نصف فضة على ان الفرضة الماضية بقي الكثير منها بالذمم لخراب القرى وعجزهم واختلى لتنظيم ذلك من الافندية والاقباط بجهات متباعدة الافندية بربع أيوب ببولاق والاقباط بدير مصر العتيقة حتى حرروا ذلك وعمموه ورتبوه في عدة أيام ووقع الطلب في جانب معجلا سموه التروبجة (وفيه) امر الباشا عمر بك الارنؤدي بالسفر من مصر وقطع خرجه ورواتبه هو وعسكره فلم تسعه المخالفة وحاسب على

المنكسر له واعسكره من العلائف وكذلك حلوان البلاد التي في تصرفه فبلغ نحو ستمائة كيس وزعت على

دائرة الباشا وخلافهم وكان
الباشا ضبط جملة من حصص
الناس واستولى عليها من
بلاد القليوبية بحرى شبرا
واختصها لنفسه فلما
استولى على حصص عمر بك
ودفع له حلوانها وهى بالمنوفية
والغربية والبحيرة عوض
بعض من براحى جانبه من ذلك
واخذ عمر بك ومن يلوذ به
في تشهيل انفسهم وقضاء
حوائجهم

(واستهل شهر ربيع الاول سنة ١٢٢٤)

فيه شرع السيد عمر مكرم
نقيب الاشراف في عمل مهم
لختان ابن ابنته ودعا الباشا
والاعيان وأرسلوا اليه الهدايا
والتعابى وعمل له زفة يوم
الاثنين سادس عشره مشى
فيها ارباب الحرف والعربات
والملاعيب وجمعيات وعصب
صعايدة وخلافهم من أهالى
بولاق والكفور والحسينية
وغيرها من جميع الاصناف
وطبول وزمور وجموع كثيرة
فكان يوما مشهودا اكثريت
فيه الاماكن للفرجة وكان
هذا الفرح هو آخر طنطنة
السيد عمر بمصر فانه حصل
له عقيب ذلك ما سيتلى عليك
قريبا من النفي والخروج
من مصر (وفيه) كمل سد
ترعة الفرعونية واستمر العمل
فيها وفي تأييد السد بالاحجار والمشمعات والاتربة بنحو ستة اشهر وصرف عليها من الاموال مالا يحصى وجرى انتهى

وارادالامير أحمديل صاحب مراغة العود ليطلب من السلطان ان يقطعه ما كان اسكمان من البلاد واتابك طغتكين صاحب دمشق خاف الامراء على نفسه فلم يتهم الا انه حصل بينه وبين مودود صاحب الموصل مودة وصداقة فتفرقوا لهذه الاسباب وبقى مودود وطغتكين بالمعرة فساروا منها ونزلوا على نهر العاصى ولما سمع الفرنج بتفرق عساكر الاسلام طمعوا وكانوا اذا اجتمعوا كلهم بعد الاختلاف والتباين وساروا الى فامية فسمع بهم سلطان بن منقذ صاحب شيزر فسار الى مودود وطغتكين وهوّن عليهما أمر الفرنج وحرضهما على الجهاد فرحلوا الى شيزر ونزلوا عليها ونزل الفرنج بالقرب منهم فضيق عليهم عسكر المسلمين الميرة ولزوهم بالقتال والفرنج يحفظون نفوسهم ولا يعطون مصافا فلما رأوا قوة المسلمين عادوا الى فامية وتبعهم المسلمون فتخطفوا من ادركوه فى ساقتهم وعادوا الى شيزر فى ربيع الاول

(ذكر حصر الفرنج مدينة صور)

لما تفرقت العساكر اجتمعت الفرنج على قصد مدينة صور وحصرها فساروا اليها مع الملك بغدوين صاحب القدس وحشدوا وجمعوا ونازلوها وحصروها فى الخامس والعشرين من جمادى الاولى وعملوا عليها ثلاثة ابراج خشب علو البرج سبعون ذراعا وفى كل برج الف رجل ونصبوا عليها المجانيق والصقوا احدها الى سور البلد واخلوه من الرجال وكانت صور للآمر باحكام الله العلوى ونائبه بها عز الملك الاعز فاحضر أهل البلد واستشارهم فى حيلة يدفعون بها شر الابراج عنهم فقام شيخ من اهل طرابلس وضمن على نفسه احراقها واخذ معه الف رجل بالسلاح التام ومع كل رجل منهم حزمة حطب فقاتلوا الفرنج الى ان وصلوا الى البرج الملتصق بالمدينة فالقى الحطب من جهاته وألقى فيه النار ثم خاف ان يشتغل الفرنج الذين فى البرج باطفاء النار ويتخلصوا فرماهم بجرب كان قد اعدها مملوأة من العذرة فلما سقطت عليهم اشتغلوا بها وبما نالهم من سوء الرائحة والتلويث فتمكنت النار منه فهلك كل من به الا القليل واخذ منه المسلمون ما قدروا عليه بالكلاليب ثم اخذ سلال العنب الكبار وترك فيها الحطب الذى قد سقاه بالنفط والزفت والكتان والكبريت ورماهم بسبعين سلة وأحرق البرجين الآخرين ثم ان أهل صور حفروا اسرابا تحت الارض ليسقط فيها الفرنج اذا زحفوا اليهم ولينخسف برج ان عملوه وسيروه اليهم فاستأمن نفر من المسلمين الى الفرنج واعلموهم بما عملوه فحذروا منها وأرسل أهل البلد الى أتابك طغتكين صاحب دمشق يستنجدونه ويطلبونه ليسلموا البلد اليه فسار فى عساكره الى نواحى بانياس وسير اليهم نجدة مائتى فارس فدخلوا البلد فامتنع من فيه بهم واشتد قتال الفرنج خوفا من اتصال النجدات ففنى نشاب الاتراك فقاتلوا بالخشب وفنى النفط فظفروا بسرب تحت الارض فيه نفط لا يعلم من خزنه ثم ان عز الملك صاحب صور أرسل الاموال الى طغتكين ليكثر من الرجال ويقصدهم ليملك البلد فارسل طغتكين طائرا فيه رقعة ليعلمه وصول المال ويامره أن يقيم مركبا بمكان ذكره

انجى الرجال اليه فسقط الطائر على مركب الفرنج فاخذه رجلان مسلم وافرنجى فقال الفرنجى نطلقه لعل فيه فرجا لهم فلم يمكنه المسلم وحمله الى الملك بغدوين فلما وقف عليه سير مركبا الى المكان الذى ذكره طغتكين وفيه جماعة من المسلمين الذين استامنوا اليه من صور فوصل اليهم العسكر فكلموهم بالعربية فلم ينكروهم وركبوا معهم فاخذوهم اسرى وحملوهم الى الفرنج فقتلوهم وطمعوا فى أهل صور فكان طغتكين يغير على أعمال الفرنج من جميع جهاتها وقصد حصن الحبيس فى السواد من اعمال دمشق وهو للفرنج فحصره وملكه بالسيف وقتل كل من فيه وعاد الى الفرنج الذين على صور وكان يقطع الميرة عنهم فى البر فاحضروها فى البحر وخندقوا عليهم ولم يخرجوا اليه فسار الى صيدا واغار على ظاهرها فقتل جماعة من البحرية واحرق نحو عشرين مركبا على الساحل وهو مع ذلك يواصل اهل صور بالكتب يامرهم بالصبر والفرنج يلازمون قتالهم وقاتل أهل صور قتال من أيس من الحياة فدام القتال الى اوان ادراك الغلات فخاف الفرنج أن طغتكين يستولى على غلات بلادهم فساروا عن البلد عاشر شوال الى عكا وعاد عسكر طغتكين اليه واعطاهم اهل صور الاموال وغيرها ثم اصلحوا ما تشعث من سورها وخندقها وكان الفرنج قد طموه

(ذكر انهزام الفرنج بالاندلس)

فى هذه السنة خرج اذفونش الفرنجى صاحب طليطلة بالاندلس الى بلاد الاسلام بها يطلب ملكها والاستيلاء عليها وجمع وحشد فاكثر وكان قد قوى طمعه فيها بسبب موت امير المسلمين يوسف بن تاشفين فسمع امير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين الخبر فسار اليه فى عساكره وجموعه فلقيه فاقتتلوا واشتد القتال وكان الظفر للمسلمين وانهزم الفرنج وقتلوا قتلا ذريعا واسر منهم بشر كثير وسبى منهم وغنم من اموالهم ما يخرج عن الاحصاء فخافه الفرنج بعد ذلك وامتنعوا من قصد بلاده وذل اذفونش حينئذ وعلم ان فى البلاد حاميا لها وذابا عنها وفى هذه السنة فى جمادى الآخرة توفى الامام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالى الامام المشهور

(ثم دخلت سنة ست وخمسمائة)

فى هذه السنة فى المحرم سار مودود صاحب الموصل الى الرها فنزل عليها ورعى عسكره زروعها ورحل عنها الى سروج وفعل بها كذلك وأهمل الفرنج ولم يحترز منهم فلم يشعر الا وجوسلين صاحب تل باشر قد كبسهم وكانت دواب العسكر منتشرة فى المرعى فاخذ الفرنج كثيرا منها وقتلوا كثيرا من العسكر فلما تاهب المسلمون للقائه عاد عنهم الى سروج وفيها رحل السلطان محمد من بغداد وكان مقامه هذه المرة خمسة اشهر فلما وصل الى اصبهان قبض على زين الملك أبى سعد القمى وسلمه الى الامير كاميار لعداوة بينهما فلما وصل الى الرى أركبه كاميار على دابة بمركب ذهب وأظهر ان السلطان خلع عليه على مال قرره عليه فحصل بذلك مالا كثيرا من أهل القمى ثم صلبه وكان سبب قبضه

مجرى البحر الشرقى وغزر ماؤه وجرت فيه السفن من دمياط بعد ان كان مخاضة وملحت عذوبة النيل بما انعكس فيه وخالطه من ماء البحر الملح الى قبلى فارسكور واقام بالسد عمر بك تابع الاشقر لخفارته وتعهد الخلل وكتم الجسر من النشع والتنفيس وسكن هناك ولم يفارقه واستمر فى هذه الوظيفة والخدمة ولم يقم بمصر (وفى هذا الشهر وما قبله) تشحطت الغلال وغلا سعرها حتى بلغ الاردب القمح الفا وستمائة نصف فضة وعز وجوده بالرقع والعرصات واما السواحل فلا يكاد يوجد بها شئ من الغلة بطول السنة ولولا لطف الله بوجود الذرة لهلكت الخلائق ومع ذلك استمرار المغارم والفرض حتى فرض الغلة عين وكذلك تبن وجمال وما ينضاف الى ذلك مما سمعته غير مرة مما يطول شرحه (وفيه) نودى على صرف الفرانسه والمحبوب والمجر كما نودى فى العام الماضى لانه لما نودى بنقص صرفها ومضى نحو الشهر او الشهرين رجع الصرف الى ما كان عليه وزيادة فاعيد النداء كذلك وسيعود الخلاف ما دام الكرب والضيق بالناس على ان هذه المناداة والاوامر بالنقص والزيادة ليست من باب الشفقة على الناس ولا الرحمة بهم وانما هى بحسب اغراضهم وزيادة طمعهم فانه اذا توجهت المطالبات بالفرض والمغارم نودى بالنقص ليزيد الفرط وتتوفر

انه كان يكثر الطعن على الخليفة والسلطان وفيها كان ببغداد رجل مغربي يعمل الكيمياء بزعمه اسمه أبو علي فحمل الى دار الخلافة وكان آخر العهد به وفيها ورد الى بغداد يوسف بن ايوب الهمذاني الواعظ وكان من الزهاد العابدين فوعظ الناس بها فقام اليه رجل متفقه يقال له ابن السقاء فآذاه في مسئلة وعاوده فقال له اجلس فاني اجد من كلامك رائحة الكفر ولعلك تموت على غير دين الاسلام فاتفق بعد مديدة ان ابن السقاء خرج الى بلاد الروم وتنصر وفيها في ذي القعدة سمع ببغداد صوت هدة عظيمة ولم يكن بالسماء غيم حتى يظن انه صوت رعد ولم يعلم احد اي صوت كان وفيها توفي بسيل الارمني صاحب الدروب ببلاد ابن لاون فسار طنكري صاحب انطاكية اول جمادى الآخرة الى بلاده طمعا في أن يملكها فمرض في طريقه فعاد الى انطاكية فمات ثامن جمادى الآخرة وملكها بعده ابن اخيه سرخالة واستقام الامر فيها بعد ان جرى بين الفرنج خلف بسببه فاصلح بينهم القسوس والرهبان وفيها توفي قراجة صاحب حمص وكان ظالما وقام ولده قرجان مكانه وكان مثله في قبح السيرة وفي هذه السنة توفي المعمر بن علي ابو سعد بن أبي عمامة الواعظ البغدادي ومولده سنة تسع وعشرين واربعمائة وكان له خاطر حاد ومجون حسن وكان الغالب على وعظه اخبار الصالحين وتوفي احمد بن الفرج بن عمر الدينوري والدشهدة وكان يروي عن ابي يعلى بن الفراء وابن المامون وابن المهتدي وابن النقور وغيرهم وكان حسن السيرة متزهدا وتوفي ابو العلاء صاعد بن منصور بن اسمعيل بن صاعد الخطيب النيسابوري وكان من اعيان الفقهاء وولي قضاء خوارزم وكان يروي الحديث

(ثم دخلت سنة سبع وخمسمائة)

(ذكر قتال الفرنج وانهزامهم وقتل مودود)

في هذه السنة في المحرم اجتمع المسلمون وفيهم الامير مودود بن التونتكين صاحب الموصل وتميرك صاحب سنجار والامير اياز بن ايلغازي وطغتكين صاحب دمشق وكان سبب اجتماع المسلمين ان ملك الفرنج بغدوين تابع الغارات على بلد دمشق ونهبه وخربه اواخر سنة ست وخمسمائة وانقطعت المواد عن دمشق فغلت الاسعار فيها وقلت الاقوات فارسل طغتكين صاحبها الى الامير مودود يشرح له الحال ويستنجده ويحثه على سرعة الوصول اليه فجمع عسكرا وسار فعبر الفرات آخر ذي القعدة سنة ست وخمسمائة فخافه الفرنج وسمع طغتكين خبره فسار اليه ولقيه بسلمية واتفق رأيهم على قصد بغدوين ملك القدس فساروا الى الاردن فنزل المسلمون عند الاقحوانة ونزل الفرنج مع ملكهم بغدوين وجوسلين صاحب جيشهم وغيرهما من المقدمين والفرسان المشهورين ودخلوا بلاد الفرنج مع مودود وجمع الفرنج فالتقوا عند طبرية ثالث عشر المحرم واشتد القتال وصبر الفريقان ثم ان الفرنج انهزموا وكثر القتل فيهم والاسر وممن أسر ملكهم بغدوين فلم يعرف فاخذ سلاحه وأطلق فنجا وغرق منهم في بحيرة طبرية ونهر الاردن كثير وغنم المسلمون أموالهم وسلاحهم

لهم الزيادة ويحصل التشديد والمعاقبة على من يقبض بالزيادة من اهل الاسواق واذا كان الدفع من خزائنهم في علائف العسكر ولوازمهم الكبيرة قبضوها بازيد من الزيادة التي نادوا عليها من غير مبالاة ولا احتشام تناقص حالنا الا السكوت عنه (وفي أواخره) تواجدت الغلال وانحل سعرها وحضر الفلاحون يبادرى الغلة وانحط السعر والحمد لله

(واستهل شهر ربيع الثاني سنة ١٢٢٤)

في سادسه وردت مراسيم من الروم وبشارة بمولودة ولدت للسلطان وسموها فاطمة وفي المراسيم الامر بالزينة فاقتضى الرأي ان يعملوا شنكا ومدافع من القلعة تضرب في الاوقات الخمسة سبعة أيام وهذا شئ لم يسمع بمثله فيما سبق أن يعملوا للانثى شنكا وزينة اويذكر ذلك مطلقا وانما يعمل ذلك للمولود الذكر من بدع الاعاجم (وفي يوم الثلاثاء ثامنه) حضر من الامراء المصريين القبالي مرزوق بك ابن ابراهيم بك وسليم اغا مستحفظان وقاسم بك سلحدار مراد بك وعلي بك ايوب حسب الاتفاق المتقدم في تقرير الصلح ولكن لم يكن سليم اغا مذكورا في الحضور بل كان منجمعا وممتنعا عن التداخل في هذه الاحوال والسبب في حضوره ان زوجته توفيت من نحو نصف شهر فحضر لاجل تركتها ومتاعها ومتاعه الذي عندها وحصصها ولما حضر وجد الباشا

ووصل

استولى على ذلك واخذ المتاع والمصاغ والجواهر والعقار واخذ الحصص واخذ حلوانها وذلك بيد محمود بك
الدويدار فلما حضر سليم اغا
لم يجد شيأ لا دار ولا عقار ولا
نافخ نار فنزل عند على بك
ايوب بمنزله بشمس الدولة
فحضر اليه محمود بك الدويدار
والترجمان واخذا بخاطره
وطمناه واخبراه ان الباشا
سيعوض عليه ما ذهب منه
وزيادة وزرعاله فوق السطوح
فلم يسعه الا التسليم (وفيه)
سقط سقف القصر الذي انشاه
الباشا بشبرا وشرعوا في تعميره
ثانيا (وفيه) وصل الخبر
بحضور زوجة الباشا ام اولاده
وابنه الصغير واسمه اسمعيل
وابن بونابارته الخازندار
وكثير من اقاربهم واهاليهم
حضر الجميع من بلادهم
قوله الى اسكندرية فانهم
لما طابت لهم مصر واستوطنوها
وسكنوها وتنعموا فيها ارسلوا
الى اهاليهم واولادهم
واقاربهم بالحضور فكانوا
في كل وقت يأتون افواجا
افواجا نساء ورجالا واطفالا
فلما وصل خبر وصولهم الى
اسكندرية سافر لملاقاتها
ابنها ابراهيم بك الدفتردار
وذلك حادي عشره (وفي ثالث
عشره) حضر المذكور وقبل
حضور الواصلين ولما وصلوا
نزل الباشا لملاقاتهم الى بولاق
(وفي يوم الاثنين رابع
عشره) نبهوا على جميع
النساء والخوندات وكل من كانت لها اسم في الالتزام ان يركبن باسرهن ويذهبن الى ملاقاة

ووصل الفرنج الى مضيق دون طبرية فلقيهم عسكر طرابلس وانطاكية فقويت نفوسهم بهم وعاودوا الحرب فاحاط بهم المسلمون من كل ناحية وصعد الفرنج الى جبل غربي طبرية فاقاموا به ستة وعشرين يوما والمسلمون بازائهم يرمونهم بالنشاب فيصيبون من يقرب منهم ومنعوا الميرة عنهم لعلهم يخرجون الى قتالهم فلم يخرج منهم أحد فسار المسلمون الى بيسان ونهبوا بلاد الفرنج بين عكا الى القدس وخربوها وقتلوا من ظفروا به من النصارى وانقطعت المادة عنهم لبعدهم عن بلادهم فعادوا ونزل بمرج الصفر الامير مودود وأذن للعساكر في العود والاستراحة ثم الاجتماع في الربيع لمعاودة الغزاة وبقي في خواصه ودخل دمشق في الحادي والعشرين من ربيع الاول ليقيم عند طغتكين الى الربيع فدخل الجامع يوم الجمعة في ربيع الاول ليصلي فيه وطغتكين فلما فرغوا من الصلاة وخرج الى صحن الجامع ويده في يد طغتكين وثب عليه باطني فضربه فجرحه أربع جراحات وقتل الباطني وأخذ رأسه فلم يعرفه أحد فاحرق وكان صائما فحمل الى دار طغتكين واجتهد به ليفطر فلم يفعل وقال لا لقيت الله الا صائما فمات من يومه رحمه الله فقيل ان الباطنية بالشام خافوه وقتلوه وقيل بل خافه طغتكين فوضع عليه من قتله وكان خيرا عادلا كثير الخير (حدثني) والدي قال كتب ملك الفرنج الى طغتكين بعد قتل مودود كتابا من فصوله ان أمة قتلت عميدها يوم عيدها في بيت معبودها لحقيق على الله ان يبيدها ولما قتل تسلم تميرك صاحب سنجار مامعه من الخزائن والسلاح وحملها الى السلطان ودفن مودود بدمشق في تربة دقاق صاحبها وحمل بعد ذلك الى بغداد فدفن في جوار أبي حنيفة ثم حمل الى أصبهان

(ذكر الخلاف بين السلطان سنجر ومحمد خان والصلح بينهما)

في هذه السنة كثر الحديث عند سنجر أن محمد خان بن سليمان بن داود قد مد يده الى أموال الرعايا وظلمهم ظلما كثيرا وانه خرب البلاد بظلمه وشره وانه قد صار استخف باوامر سنجر ولا يلتفت الى شئ منها فتجهز سنجر وجمع عساكره وسار يريد قصده بما وراء النهر فخاف محمد خان فارسل الى الامير قماج وهو اكبر امير مع سنجر يسأله أن يصلح الحال بينه وبين سنجر وارسل ايضا الى خوارزمشاه بمثل ذلك وسألهما في ارضاء السلطان عنه واعترف بانه اخطأ فاجاب سنجر الى صلحه على شرط ان يحضر عنده ويطأ بساطه فارسل محمد خان يذكر خوفه لسوء صنيعه ولكنه يحضر الخدمة ويخدم السلطان وبينهما نهر جيحون ثم يعاود بعد ذلك الحضور عنده والدخول اليه فحسنوا الاجابة الى ذلك والاشتغال بغيره فامتنع ثم اجاب وكان سنجر على شاطئ جيحون من الجانب الغربي وجاء محمد خان الى الجانب الشرقي فترجل وقبل الارض وسنجر راكب وعاد كل واحد منهما الى خيامه ورجعوا الى بلادهم وسكنت الفتنة بينهما

(ذكر عدة حوادث)

امرأة الباشا ببولاق وذلك صبح يوم الاربعاء واعتذرت الست نفيسة المرادية بانها مريضة ولا تقدر على الحركة
والخروج فلم يقبلوا لها عذرا
فلما كان صبح يوم الاربعاء
اجتمع السواد الاعظم من
النساء بساحل بولاق على
الحمارة المكارية وهم أزيد
من خمسمائة مكارى حتى
ركبت زوجة الباشا وساروا
معها الى الازبكية وضربوا
لوصولها وحلولها بعدة
مدافع كثيرة من القلعة
والازبكية ثم وصلت الهدايا
والتقادم واقبلت من كل
ناحية الهدايا المختصة بالاولاد
والمختصة بالنساء

*(واستهل شهر جمادى الاولى
سنة ١٢٢٤)*

فى ثالثه يوم السبت نزل عمر
بك الارنؤدى الى المراكب
من بيته من بولاق وسافر
على طريق دمياط ليذهب
الى بلاده وسافر معه نحو
المائة وهم الذين جمعوا
الاموال واجتمع لعمر بك
المذكور من المال والنوال
أشياء كثيرة عباها فى
صناديق كثيرة واخذها معه
وذلك خلاف ما ارسله الى
بلاده فى دفعات قبل تاريخه
(وفى يوم الخميس خامس
عشره) سافر على بك ايوب
وسليم أغا مستحفظان الى
ناحية قبلى واستمر بمصر
مرزوق بك وقاسم بك المرادى
(وفيه) طلب الباشا الف
كيس من المعلم غالى والزمه بها فوزعها على المباشرين والكتبة وجمعها فى اقرب زمن (وفيه) حضر سلحدار نصر

فى هذه السنة سار قفل عظيم من دمشق الى مصر فاتى الخبر الى بغدوين ملك الفرنج فسار
اليه وعارضه فى البر فاخذهم اجمعين ولم ينج منهم الا القليل ومن سلم اخذه العرب وفى
هذه السنة توفى الوزير ابو القاسم على بن محمد بن جهير وزير الخليفة المستظهر بالله
ووزر بعده الربيب ابو منصور ابن الوزير ابى شجاع محمد بن الحسين وزير السلطان وفيها
توفى الملك رضوان بن تاج الدولة تتش بن الب ارسلان صاحب حلب وقام بعده بحلب
ابنه الب ارسلان الاخرس وعمره ست عشرة سنة وكانت امور رضوان غير محمودة قتل
اخويه اباطالب وبهرام وكان يستعين بالباطنية فى كثير من اموره لقلة دينه ولما ملك
الاخرس استولى على الامور لؤلؤ الخادم ولم يكن للاخرس معه الا اسم السلطنة ومعناه
للؤلؤ ولم يكن الب ارسلان اخرس وانما فى لسانه حبسة وتمتمة وامه بنت باغيسيان
الذى كان صاحب انطاكية وقتل الاخرس اخوين له احدهما اسمه ملكشاه وهو من
ابيه وامه واسم الآخر مباركشاه وهو من ابيه وكان ابوه فعل مثله فلما توفى قتل ولداه
مكافاة لما اعتمده مع اخويه وكان الباطنية قد كثروا بحلب فى ايامه حتى خافهم ابن
بديع رئيسها واعيان اهلها فلما توفى قال ابن بديع لالب ارسلان فى قتلهم والايقاع
بهم فامره بذلك فقبض على مقدمهم ابى طاهر الصائغ وعلى جميع اصحابه فقتل اباطاهر
وجماعة من اعيانهم واخذ اموال الباقين واطلقهم فمنهم من قصد الفرنج وتفرقوا فى
البلاد وفى هذه السنة توفى ببغداد ابو بكر احمد بن على بن بدران الحلوانى الزاهد
منتصف جمادى الاولى روى الحديث عن القاضى ابى الطيب الطبرى وابى محمد
الجوهرى وابى طالب العشارى وغيرهم وروى عنه خلق كثير ومن آخرهم ابو الفضل
عبد الله بن الطوسى خطيب الموصل واسمعيل بن احمد بن الحسين بن على ابو على بن ابى
بكر البيهقى الامام ابن الامام ومولده سنة ثمان وعشرين واربعمائة وتوفى بمدينة
بيهق ولوالده تصانيف كثيرة مشهورة وشجاع بن ابى شجاع فارس بن الحسين بن
فارس ابو غالب الذهلى الحافظ ومولده سنة ثلاثين واربعمائة وروى عن ابيه وابى
القاسم وابن المهتدى والجوهرى وغيرهم والاديب ابو المظفر محمد بن احمد بن محمد
الابيوردى الشاعر المشهور وله ديوان حسن ومن شعره

تنكر لى دهرى ولم يدر اننى * اعز واحداث الزمان تهون
وظل يرينى الخطب كيف اعتداؤه * وبت اريه الصبر كيف يكون

وله ايضا

ركبت طرفى فاذرى دمعه اسفا * عند انصرافى منهم مضمر الياس
وقال حتام تؤذينى فان سنحت * حوائج لك فاركبنى الى الناس

وكانت وفاته باصبهان وهو من ولد عنبسة بن ابى سفيان بن حرب الاموى وتوفى ابو بكر
محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر الشاشى الامام الفقيه الشافعى فى شوال ومولده سنة
سبع وعشرين واربعمائة سمع أبا بكر الخطيب وابا يعلى بن الفراء وغيرهم وتفقه على
أبى عبد الله محمد بن الكازرونى بديار بكر وعلى ابى اسحق الشيرازى ببغداد وعلى أبى

نصر بن الصباغ وفيها توفى أبو نصر المؤتمن بن أحمد بن الحسن الساجى الحافظ المقدسى ومولده سنة خمس واربعين واربعمائة وكان مكثرا من الحديث وتفقه على ابى اسحق وكان ثقة

(ثم دخلت سنة ثمان وخمسمائة)

(ذكر مسير آقسنقر البرسقى الى الشام لحرب الفرنج)

فى هذه السنة سير السلطان محمد الامير آقسنقر البرسقى الى الموصل واعمالها واليا عليها لما بلغه قتل مودود وسير معه ولده الملك مسعودا فى جيش كثيف وامره بقتال الفرنج وكتب الى سائر الامراء بطاعته فوصل الى الموصل واتصلت به عساكرها وفيهم عماد الدين زنكى بن آقسنقر الذى ملك هو واولاده الموصل بعد ذلك وكان له الشجاعة فى الغاية واتصل به ايضا تميرك صاحب سنجار وغيرهما فسار البرسقى الى جزيرة ابن عمر فسلمها اليه نائب مودود بها وسار معه الى ماردين فنازلها البرسقى حتى اذعن له ايلغازى صاحبها وسير معه عسكرا مع ولده اياز فسار عنه البرسقى الى الرها فى خمسة عشر الف فارس فنازلها فى ذى الحجة وقاتلها وصبر له الفرنج واصابوا من بعض المسلمين غرة فاخذوا منهم تسعة رجال وصلبوهم على سورها فاشتد القتال حينئذ وحمى المسلمون وقاتلوا فقتلوا من الفرنج خمسين فارسا من اعيانهم واقام عليها شهرين واياما وضاقت الميرة على المسلمين فرحلوا من الرها الى سميساط بعد ان خربوا بلد الرها وبلد سروج وبلد سميساط واطاعه صاحب مرعش على ما نذكره ثم عاد الى شهمان فقبض على اياز بن ايلغازى حيث لم يحضر ابوه ونهب سواد ماردين (٢)

(ذكر طاعة صاحب مرعش وغيرها البرسقى)

فى هذه السنة توفى بعض كنود الفرنج ويعرف بكواسيل وهو صاحب مرعش وكيسوم ورعبان وغيرها فاستولت زوجته على المملكة وتحصنت من الفرنج واحسنت الى الاجناد وراسلت آقسنقر البرسقى وهو على الرها واستدعت منه بعض اصحابه لتطيعه فسير اليها الامير سنقر دزدار صاحب الخابور فلما وصل اليها اكرمته وحملت اليه مالا كثيرا وبينما هو عندها اذ جاء جمع من الفرنج فواقعوا اصحابه وهم نحو مائة فارس واقتتلوا قتالا شديدا ظفر فيه المسلمون بالفرنج وقتلوا منهم اكثرهم وعاد سنقر دزدار وقد اصحبته الهدايا للملك مسعود والبرسقى واذعنت بالطاعة ولما عرف الفرنج ذلك عاد كثير ممن عندها الى انطاكية

(ذكر الحرب بين البرسقى وايلغازى واسر ايلغازى)

لما قبض البرسقى على اياز بن ايلغازى سار الى حصن كيفا وصاحبها الامير ركن الدولة داود ابن اخيه سقمان فاستنجده فسار معه فى عسكره واحضر خلقا كثيرا من التركمان وسار الى البرسقى فلقيه أواخر السنة واقتتلوا قتالا شديدا اصبروا فيه فانهزم البرسقى وعسكره وخلص اياز بن ايلغازى من الاسر فارسل السلطان اليه يتهدده فخافه

الوزير يوسف باشا وعلى يده مرسوم مضمونه طلب ما كان أحدثه حين كان بمصر على اوراق الاقطاعات والفراغات وتقاسيط الالتزام الذى سموه قصر اليد وخرج القلم وجعل ايراد ذلك لنفسه فارسل بطلب ذلك من تاريخ سنة ١٢١٧ سبعة عشر ومائتين والف الى وقت تاريخه حسب قدر ذلك فبلغ نيفا وأربعة آلاف كيس (وفيه) شرعوا فى تحرير دفتر بنصف فائظ الملتزمين ودفترا آخر بفرض مال على الرزق الاحباسية المرصدة على المساجد والاسبلة والخيرات وجهات البر والصدقات وكذلك اطيان الاوسية المختصة ايضا بالملتزمين وكتبوا بذلك مراسيم الى القرى والبلاد وعينوا بها معينين وحق طرق من طرف كشاف الاقاليم بالكشف على الرزق المرصدة على المساجد والخيرات وتقدموا الى كل متصرف فى شئ من هذه الاطيان وواضع عليها يده بان ياتى بسنده الى الديوان ويجدد سنده ويقوى بمرسوم جديد وان تاخر عن الحضور فى ظرف اربعين يوما يرفع عنه ذلك ويمكن منه غيره وذكروا فى مرسوم الامر علة وحجة لم يطرق الاسماع نظيرها بانه اذا مات السلطان او عزل بطلت تواقيعه ومراسيمه وكذلك نوابه ويحتاج الى تجديد تواقيع من نواب المتولى الجديد ونحو ذلك ثم ليعلم ان هذه الارصادات والاطيان موضوعة من ايام الملك الناصر يوسف صلاح الدين

وسار الى الشام الى حمية طغتكين صاحب دمشق فاقام عنده اياما وكان طغتكين ايضا قد استوحش من السلطان لانه نسب اليه قتل مودود فاتفقا على الامتناع والالتجاء الى الفرنج والاحتماء بهم فراسلا صاحب انطاكية وحالفاه فحضر عندهما على بحيرة قدس عند حمص وجددوا العهود وعاد الى انطاكية وعاد طغتكين الى دمشق وسار ايلغازى الى الرستن على عزم قصد ديار بكر وجمع التركمان والعود فنزل بالرستن ليستريح فقصده الامير قرجان بن قراجة صاحب حمص وقد تفرق عن ايلغازى اصحابه فظفر به قرجان واسره ومعه جماعة من خواصه وأرسل الى السلطان يعرفه ذلك ويساله تعجيل انفاذ العساكر لئلا يغلبه طغتكين على ايلغازى ولما بلغ طغتكين الخبر عاد الى حمص وارسل فى اطلاقه فامتنع قرجان وحلف ان لم يعد طغتكين لنقتلن ايلغازى فارسل ايلغازى الى طغتكين ان الملاججة تؤذينى وتسفك دمى والمصلحة عودك الى دمشق فعادوا نتظر قرجان وصول العساكر السلطانية فتاخرت عنه فخاف ان يخدع أصحابه لطغتكين ويسلموا اليه حمص فعدل الى الصلح مع ايلغازى على ان يطلقه ويأخذ ابنه ايازرهينة ويصاهره ويمنعه من طغتكين وغيره فاجابه الى ذلك فاطلقه وتحالفوا وسلم اليه ابنه اياز وسار عن حمص الى حلب وجمع التركمان وعاد الى حمص وطالب بولده اياز وحصر قرجان الى ان وصلت العساكر السلطانية فعاد ايلغازى على ما نذكره

(ذكر وفاة علاء الدولة بن سبكتكين وملك ابنه وما كان منه مع السلطان سنجر)

فى هذه السنة فى شوال توفى الملك علاء الدولة أبو سعد مسعود بن أبى المظفر ابراهيم بن ابى سعد مسعود بن محمود بن سبكتكين صاحب غزنة بها وملك بعده ابنه ارسلانشاه وأمه سلجوقية وهى أخت السلطان ألب ارسلان بن داود فقبض على اخوته وسجنهم وهرب أخ له اسمه بهرام الى خراسان فوصل الى السلطان سنجر بن ملكشاه فارسل الى ارسلانشاه فى معناه فلم يسمع منه ولا اصغى الى قوله فتجهز سنجر للسير الى غزنة واقامة بهرامشاه فى الملك فارسل أرسلانشاه الى السلطان محمد يشكو من أخيه سنجر فارسل السلطان الى أخيه سنجر يأمره بمصالحة أرسلانشاه وترك التعرض له وقال للرسول ان رأيت أخى وقد قصدهم وسار نحوهم أوقارب أن يسير فلا تمنعه ولا تبلغه الرسالة فان ذلك يفت فى عضده ويوهنه ولا يعود ولان يملك أخى الدنيا أحب الى فوصل الرسول الى سنجر وقد جهز العساكر الى غزنة وجعل على مقدمته الامير انز مقدم عسكره ومعه الملك بهرامشاه فساروا حتى بلغوا بست واتصل بهم فيها أبو الفضل نصر بن خلف صاحب سجستان وسمع أرسلانشاه الخبر فسير جيشا كثيفا فهزماه ونهباه وعاد من سلم الى غزنة على أسوا حال فخضع حينئذ ارسلانشاه وأرسل الى الامير انز يضمن له الاموال الكثيرة ليعود عنه ويحسن للملك سنجر العود عنه فلم يفعل وتجهز السلطان سنجر بعد انز للسير بنفسه فارسل اليه ارسلانشاه امرأة عمه نصر تساله الصفح والعود عن

الايوبي فى القرن الخامس من مصاريف بيت المال ايصال الى المستحقين بعض استحقاقهم من بيت المال بسهولة ثم اقتدى به فى ذلك الملوك والسلاطين والامراء الى وقتنا هذا فيبنون المساجد والتكايا والربط والخوانق والاسبلة ويرصدون عليها اطيانا يخرجونها من زمام اوسيتهم فيستغل خراجها أوغلالها لتلك الجهة وكذلك يربطون على بعض الاشخاص من طلبة العلم والفقراء على وجه البر والصدقة ليتعيشوا بذلك ويستعينوا به على طلب العلم واذا مات المرصد عليه ذلك قرر القاضى أو الناظر خلافه ممن يستحق ذلك وقيد اسمه فى سجل القاضى ودفتر الديوان السلطانى عند الافندى المقيد بذلك الذى عرف بكاتب الرزق فيكتب له ذلك الافندى سندا بموجب التقرير يقال له الافراج ثم يضع عليه علامته ثم علامة الباشا والدفتردار ولكل اقليم من الاقاليم القبلية والبحرية دفتر مخصوص عليه طرة من خارج مكتوب فيها اسم ذلك الاقليم ليسهل الكشف والتحرير والمراجعة عند الاشتباه وتحرير مقادير حصص ارباب الاستحقاقات ولم يزل ديوان الرزق الاحباسية محفوظا مضبوطا فى جميع الدول المصرية جيلا بعد جيل لا يتطرقه خلل الاما يزل عنه أربابه لشدة احتياجهم بالفراغ لبعض الملتزمين بقدر من الدراهم معجل ويقرر له رغ على نفسه قدرا مؤجلا دون القيمة

قصده وهى أخت الملك سنجر من السلطان بركيارق وكان علاء الدولة أبو سعد قد قتل زوجها ومنعها من الخروج عن غزنة وتزوجها فسيرها الآن ارسلانشاه فلما وصلت الى أخيه أوصلت ما معها من الاموال والهدايا وكان معها ماثتا الف دينار وغير ذلك وطلب من سنجر ان يسلم اخاه بهرام اليه وكانت موغرة الصدر من ارسلانشاه فهونت أمره على سنجر واطمعته فى البلاد وسهلت الامر عليه وذكرت له ما فعل باخوته وكان قتل بعضا وكحل بعضا من غير خروج منهم عن الطاعة فسار الملك سنجر فلما وصل الى بست أرسل خادما من خواصه الى ارسلانشاه فى رسالة فقبض عليه فى بعض القلاع فسار حينئذ سنجر مجدا فلما سمع بقربه منه أطلق الرسول ووصل سنجر الى غزنة ووقع بينهما المصاف على فرسخ من غزنة بصحراء شهراباذ وكان ارسلانشاه فى ثلاثين ألف فارس وخلق كثير من الرجالة ومعه مائة وعشرون فيلا على كل فيل أربعة نفر فحملت الفيلة على القلب وفيه سنجر فكاد من فيه ينهزمون فقال سنجر لغلمانه الاتراك ارموها بالنشاب فتقدم ثلاثة آلاف غلام فرموا الفيلة رشقا واحدا جميعا فقتلوا منها عدة فعدلت الفيلة عن القلب الى الميسرة وبها أبو الفضل صاحب سجستان وجالت عليهم فضعف من فى الميسرة فشجعهم أبو الفضل وخوفهم من الهزيمة مع بعد ديارهم وترجل عن فرسه بنفسه وقصد كبير الفيلة ومتقدمها ودخل تحتها فشق بطنها وقتل فيلين آخرين ورأى الامير أنزوهو فى الميمنة ما فى الميسرة من الحرب فخاف عليها فحمل من وراء عسكر غزنة وقصد الميسرة واختلط بهم واعانهم فكانت الهزيمة على الغزنوية وكان ركاب الفيلة قد شدوا انفسهم عليها بالسلاسل فلما عضتهم الحرب وعمل فيهم السيف القوا انفسهم فبقوا معلقين عليها ودخل السلطان سنجر غزنة فى العشرين من شوّال سنة عشر وخمسمائة ومعه بهرامشاه فاما القلعة الكبيرة المشتملة على الاموال وبينها وبين البلد تسعة فراسخ وهى عظيمة لا مطمع فيها ولا طريق عليها وكان ارسلانشاه قد سجن فيها اخاه طاهر الخازن وهو صاحب بهرامشاه واعتقل بها أيضا زوجة بهرامشاه فلما انهزم ارسلانشاه استمال اخوه طاهر المستحفظ بها فبذل له وللاجناد الزيادات فسلموا القلعة الى الملك سنجر وأما قلعة البلد فان ارسلانشاه كان اعتقل بها رسول سنجر فلما اطلقه بقى غلمانه بها فسلموا القلعة ايضا بغير قتال وكان قد تقرر بين بهرامشاه وبين سنجر ان يجلس بهرام على سرير جده محمود بن سبكتكين وحده وان تكون الخطبة بغزنة للخليفة وللسلطان محمد وللملك سنجر وبعدهم لبهرامشاه فلما دخلوا غزنة كان سنجر راكبا وبهرامشاه بين يديه راجلا حتى جاء السرير فصعد بهرامشاه فجلس عليه ورجع سنجر وكان يخطب له بالملك ولبهرامشاه بالسلطان على عادة آبائه فكان هذا من اعجب ما يسمع به وحصل لاصحاب سنجر من الاموال ما لا يحد ولا يحصى من السلطان والرعايا وكان فى دور الملوك قواعد دور على حيطانها الواح الفضة وسواقى المياه الى البساتين من الفضة ايضا فقلع من ذلك أكثره ونهب فلما سمع سنجر ما يفعل

الاصلية فى نظير المعجل الذى دفعه للفرغ ويقع وبها حينئذ داخل الزمام ولم تزل على ذلك بطول القرون الماضية وتملك الفرنساوية الديار المصرية فلم يتعرضوا الشئ من ذلك ولما حضر شريف افندى الدفتردار بعد دخول يوسف باشا الوزير ووجه الطلب على الملتزمين بان يدفعوا للدولة حلوانا جديدا على النظام والنسق الذى ابتدعوه للتحيل على تحصيل المال باى وجه زاعمين ان أرض مصر صارت دار حرب بتملك الفرنساوية وانهم استنقذوها منهم واستولوا عليها استيلاء جديدا وصارت جميع اراضيها ملكا لهم فمن يريد الاستيلاء على شئ من أرض وغيرها فليشتره من نائب السلطان بمبلغ الحلوان الذى قدروه واطلعوا على التقاسيط وفى بعضها ما رفع عنه الميرى الذى يقبض للخزينة باذن الولاة بعد المصالحات والتعويض من المصاريف والمصارف الميرية كالعلائف والغلال والبعض عمم ذلك بمراسيم سلطانية كما يقولون شريفة بحيث يصير الالتزام مثل الرزق الاحباسية ويسمونه خرينه بند ومنهم من ابقى على التزامه شيئا قليلا سموه مال الحماية فلم يسهل بهم ابطال ذلك بل جعل عليها الدفتردار الميرى الذى كان مقيدا عليها واقل اوازيد بحسب واضع اليد واكرامه ان كان ممن يكرم وضعه الى مال الحماية الاصلى أو المستجد فقط وضيع على الناس سعيهم ومابذلوه من مرتباتهم وعلائفهم التى

 جعلها خزينة بندكاه ذكر ثم تقييد لكتابة الاعلامات عبد الله افندى راقم القبودان

منع عنه بجهده وصلب جماعة حتى كف الناس وفى جملة ما حصل للملك سنجر خمسة تيجان قيمة أحدها يزيد على الفى الف دينار وألف وثلثمائة قطعة مصاغ مرصعة وسبعة عشر سريرا من الذهب والفضة وأقام بغزنة اربعين يوما حتى استقر بهرامشاه وعاد نحو خراسان ولم يخطب بغزنة لسلجوقى قبل هذا الوقت حتى ان السلطان ملكشاه مع تمكنه وكثرة ملكه لم يطمع فيه وكان كلما رام ذلك منع منه نظام الملك وأما ارسلانشاه فانه لما انهزم قصد هندوستان واجتمع عليه اصحابه فقويت شوكته فلما عاد سنجر الى خراسان توجه الى غزنة فلما عرف بهرامشاه قصده اياه توجه الى باميان وارسل الى الملك سنجر يعلمه الحال فارسل اليه عسكرا واقام ارسلانشاه بغزنة شهرا واحدا وسار يطلب اخاه بهرامشاه فبلغه وصول عسكر سنجر فانهزم بغير قتال للخوف الذى قد باشر قلوب اصحابه ولحق بجبال أوغنان فسار اخوه بهرامشاه وعسكر سنجر فى اثره واخربوا البلاد التى هو فيها وارسلوا الى اهلها يتهددونهم فسلموه بعد المضايقة فاخذه مقدم جيش الملك سنجر واراد حمله الى صاحبه فخاف بهرامشاه من ذلك فبذل له مالا فسلمه اليه فخنقه ودفنه بتربة ابيه بغزنة وكان عمره سبعا وعشرين سنة وكان احسن اخوته صورة وكان قتله فى جمادى الآخرة سنة اثنتى عشرة وخمسمائة وانما ذكرناه ههنا لتتصل الحادثة

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة فى جمادى الآخرة كانت زلزلة شديدة بديار الجزيرة والشام وغيرها فخربت كثيرا من الرها وحران وسميساط وبالس وغيرها وهلك خلق كثير تحت الهدم وفيها قتل تاج الدولة ألب ارسلان بن رضوان صاحب حلب قتله غلمانه بقلعة حلب وأقاموا بعده أخاه سلطانشاه بن رضوان وكان المستولى عليه لؤلؤ الخادم وفيها توفى الشريف النسيب ابو القاسم على بن ابراهيم بن العباس الحسينى فى ربيع الآخر بدمشق

(ثم دخلت سنة تسع وخمسمائة)

(ذكر انهزام عسكر السلطان من الفرنج)

قد ذكرنا ما كان من عصيان ايلغازى وطغتكين على السلطان وقوة الفرنج فلما اتصل ذلك بالسلطان محمد جهز عسكرا كثيرا وجعل مقدمهم الامير برسق بن برسق صاحب همذان ومعه الامير جيوش بك والامير كنتغدى وعساكر الموصل والجزيرة وأمرهم بالبداءة بقتال ايلغازى وطغتكين فاذا فرغوا منهما قصدوا بلاد الفرنج وقاتلوهم وحصروا بلادهم فساروا فى رمضان من سنة ثمان وخمسمائة وكان عسكرا كثير العدة وعبروا الفرات آخر السنة عند الرقة فلما قاربوا حلب راسلوا المتولى لامرها لؤلؤا الخادم ومقدم عسكره المعروف بشمس الخواص يامرونهما بتسليم حلب وعرضوا عليهما كتب السلطان بذلك فغالطا فى الجواب وارسلا الى ايلغازى

وضعوها وقيدوها فى نظير وقاضى باشا وسعى فى ذلك الوقت بكاتب الميرى وتوجه نحوه الناس لاجل كتابة الاعلامات لثبوت رزقهم الاحباسية وتجديد سنداتها فتعنت عليهم بضروب من التعنت كأن يطلب من صاحب العرضحال اثبات استحقاقه فاذا ثبت له لا يخلو اما ان يكون ذلك بالفراغ او الحلول فيكلفه احضار السندات واوراق الفراغات القديمة فربما عدمت او بليت لتقادم السنين او تركها واضع اليد لاستغنائه عنها بالسند الجديد او كان القديم مشتملا على غير المفروغ عنه فيخدم بهامشه بالمنزول عنه ويبقى القديم عند صاحب الاصل فان احضره اليه تعلل بشئ آخر واحتج بشبهة أخرى فاذا لم يبق له شبهة طالبه بحلوان عن مقدار ايرادها ثلاث سنوات والا فخمس سنوات وذلك خلاف المصار يف فضج الناس واستغاثوا بشريف افندى الدفتردار فعزل عبد الله افندى راقم المذكور من ذلك وقيد احد كتابه بكتابة الاعلامات وقرر على كل فدان عشرة انصاف فضة فما دونها يرسمها فى السند الجديد وجعلها مال حماية واوهم الناس ان مال الحماية يكون زيادة فى تاكيد الاحباس وحماية له من تطرق الخلل

وطغتكين

وطغتكين يستنجدانه فسارا اليهم في الفي فارس ودخلا حلب فامتنع من بها حينئذ
عن عسكر السلطان وأظهروا العصيان فسار الامير برسق بن برسق الى مدينة حماة
وهي في طاعة طغتكين وبها ثقله فحصرها وفتحها عنوة ونهبها ثلاثة أيام وسلمها
الى الامير قرجان صاحب حمص وكان السلطان قد امر ان يسلم اليه كل بلد يفتحونه
فلما رأى الامراء ذلك فشلوا وضعفت نياتهم في القتال بحيث تؤخذ البلاد وتسلم الى
قرجان فلما سلموا حماة الى قرجان سلم اليهم اياز بن ايلغازي وكان قد سار ايلغازي
وطغتكين وشمس الخواص الى انطاكية واستنجدوا بصاحبها روجيل وسألوه ان
يساعدهم على حفظ مدينة حماة فلما بلغهم فتحها ووصل اليهم بانطاكية بغدوين
صاحب القدس وصاحب طرابلس وغيرهما من شياطين الفرنج اتفق رأيهم على
ترك اللقاء لكثرة المسلمين وقالوا انهم عند هجوم الشتاء يتفرقون واجتمعوا بقلعة
افامية وأقاموا نحو شهرين فلما انتصف ايلول ورأوا عزم المسلمين على المقام تفرقوا
فعاد ايلغازي الى ماردين وطغتكين الى دمشق والفرنج الى بلادها وكانت افامية
وكفرطاب للفرنج فقصد المسلمون كفرطاب وحصروها فلما اشتد الحصر على الفرنج
ورأوا الهلاك قتلوا أولادهم ونساءهم واحرقوا اموالهم ودخل المسلمون البلد عنوة
وقهروا وأسروا صاحبه وقتلوا من بقي فيه من الفرنج وساروا الى قلعة افامية فرأوها
حصينة فعادوا عنها الى المعرة وهي للفرنج أيضا وفارقهم الامير جيوش بك الى وادي
بزاعة فملكه وسارت العساكر عن المعرة الى حلب وتقدمهم ثقلهم ودوابهم على
جاري العادة والعساكر في اثره متلاحقة وهم آمنون لا يظنون احدا يقدم على
القرب منهم وكان روجيل صاحب انطاكية لما بلغه حصر كفرطاب سار في
خمسمائة فارس والفي راجل للمنع فوصل الى المكان الذي ضربت فيه خيام
المسلمين على غير علم بها فرآها خالية من الرجال المقاتلة لانهم لم يصلوا اليها فنهب
جميع ما هناك وقتل كثيرا من السوقية وغلمان العسكر ووصلت العساكر
متفرقة فكان الفرنج يقتلون كل من وصل اليهم ووصل الامير برسق في نحو
مائة فارس فرأى الحال فصعد تلا هناك ومعه اخوه زنكي واحاط بهم السوقية
والغلمان واحتموا بهم ومنعوا الامير برسق من النزول فاشار عليه اخوه ومن معه
بالنزول والنجاة بنفسه فقال لا افعل بل اقتل في سبيل الله واكون فداء المسلمين
فغلبوه على رأيه فنجا هو ومن معه فتبعهم الفرنج نحو فرسخ ثم عادوا وتمموا الغنيمة
والقتل واحرقوا كثيرا من الناس وتفرق العسكر واخذ كل واحد جهة ولما سمع
الموكلون بالاسرى الماخوذين من كفرطاب ذلك قتلوهم وكذلك فعل الموكل باياز
ابن ايلغازي قتله أيضا وخاف اهل حلب وغيرها من بلاد المسلمين التي بالشام
فانهم كانوا يرجون النصر من جهة هذا العسكر فاتاهم ما لم يكن في الحساب وعادت
العساكر عنهم الى بلادها واما برسق واخوه زنكي فانهما توفيا في سنة عشر وخمسمائة
وكان برسق خيرا دينا وقد ندم على الهزيمة وهو يتجهز للعود الى الغزاة فاتاه اجله

فاستسهل الناس ذلك وشاع في الاقليم المصري فاقبل الناس من البلاد القبلية والبحرية لتجديد سنداتهم
فطفقوا يكتبون السندات على
نسق تقاسيط الالتزام لا على
الوضع القديم ويعلم عليها
الدفتردار فقط وأما الصورة
القديمة فكانت تكتب في
كاغد كبير بخط عربي مجود
وعليها طرة بداخلها اسم والي
مصر وممهورة بختمه الكبير
وعليها علامة الدفتردار
وبداخلها صورة أخرى تسمى
التذكرة مستطيلة على
صورة التقسيط الفرمة
ممهورة أيضا وعليها العلامة
والختم وهي متضمنة ما في
الكبيرة وعلى ذلك كان
استمرار الحال الى هذا
الاوان من قرون خلت ومدد
مضت (وفيه) ايضا حرروا
دفتر الاقاليم البحيرة بمساحة
الطين الري والشراقي
واضافوا اليه طين الاوسية
والرزق وكتبوا بذلك مناشير
وأخرج المباشرون كشوفاتها
باسماء الملتزمين ففضح الناس
واجتمعوا الى مشايخ الازهر
وتشكوا فوعدوهم بالتكلم
في شان ذلك بعد التثبت
(وفيه) قبض أغات التبديل
على شخص من أهل العلم من
أقارب السيد حسن البقلي
وحبسه فارسل المشايخ
يترجون في اطلاقه فلم يفعل
وأرسله الى القلعة (وفيه)
سعى محمد افندي طبل ناظر
المهمات لصديقه السيد سلامة النجاري عند الباشا في انعام ووظيفة وسبب ذلك ان المذكور أرسل جملة طاقات

(ذكر ملك الفرنج رفنية وأخذها منهم)

في هذه السنة في جمادى الآخرة ملك الفرنج رفنية من أرض الشام وهي لطغتكين صاحب دمشق وقووها بالرجال والذخائر وبالغوا في تحصينها فاهتم طغتكين لذلك وقوى عزمه على قصد بلاد الفرنج بالنهب لها والتخريب فأتاه الخبر عن رفنية بخلوها عن عسكر يمنع عنها وليس هناك الا الفرنج الذين رتبوا لحفظها فسار اليها جريدة فلم يشعر من بها الا وقد هجم عليهم البلد فدخله عنوة وقهرا وأخذ كل من فيه من الفرنج اسيرا فقتل البعض وترك البعض وغنم المسلمون من سوادهم وكراعهم وذخائرهم ما امتلأت منه أيديهم وعادوا الى بلادهم سالمين

(ذكر وفاة يحيى بن تميم وولاية ابنه علي)

في هذه السنة توفي يحيى بن تميم بن المعز بن باديس صاحب افريقية يوم عيد الاضحى فجأة وكان منجم قد قال له في مولده ان عليه قطعا في هذا اليوم فلا تركب فلم يركب وخرج اولاده واهل دولته الى المصلى فلما انقضت الصلاة حضروا عنده للسلام عليه وتهنئته وقرأ القراء وانشد الشعراء وانصرفوا الى الطعام فقام يحيى من باب آخر ليحضر معهم على الطعام فلم يمش غير ثلاث خطا حتى وقع ميتا وكان ولده علي بمدينة سفاقس فاحضر وعقدت له الولاية ودفن يحيى بالقصر ثم نقل الى التربة بالمنستير وكان عمره اثنتين وخمسين سنة وخمسة عشر يوما وكانت ولايته ثمان سنين وخمسة اشهر وخمسة وعشرين يوما وخلف ثلاثين ولدا فقال عبد الجبار بن محمد بن حمديس الصقلي يرثيه ويهنئ ابنه عليا بالملك

ما اغمد العضب الاجرد الذكر * ولا اختفى قمر حتى بدا قمر
بموت يحيى اميت الناس كلهم * حتى اذا ما علي جاءهم نشروا
ان يعتنوا بسرور من تملكه * فمن منية يحيى بالاسى قبروا
اوفى على فرس الملك ضاحكة * وعينها من ابيه دمعها همر
شقت جيوب المعالي بالاسى فبكت * في كل افق عليه الانجم الزهر
وقل لابن تميم حزن ما دهما * فكل حزن عظيم فيه محتقر
قام الدليل ويحيى لا حياة له * ان المنية لا تبقي ولا تذر

وكان يحيى عادلا في رعيته ضابطا لامور دولته مدبرا لجميع احواله رحيما بالضعفاء والفقراء يكثر الصدقة عليهم ويقرب أهل العلم والفضل وكان عالما بالاخبار وايام الناس والطب وكان حسن الوجه اشهل العين الى الطول ما هو ولما استقر علي في الملك جهز اسطولا الى جزيرة جربة وسببه ان أهلها كانوا يقطعون الطريق ويأخذون التجار فحصرها وضيق على من فيها فدخلوا تحت طاعته والتزموا ترك الفساد وضمنوا اصلاح الطريق وكف عنهم عند ذلك وصلح أمر البحر وأمن المسافرون

(ذكر عدة حوادث)

من الاقمشة الهندية الغريبة المقصبة وغيرها وحصانا من أعظم خيول المصريين كان اشتراه منهم هدية الى محمد أفندي المذكور فاقتضت مروأته انه أخذها وقدمها للباشا وقال له ان السيد سلامة أحضر هذه الهدية لافندينا شكرا لانعامه السابق عليه فقبلها الباشا وانعم عليه بعشرة اكياس وامر محمد افندي بان يجعله في وظيفة معه (وفيه) ايضا شرعوا في تحرير دفتر بنصف فائظ الملتزمين بانواع الاقمشة وباعة النعالات التي هي الصرم والبلغ وجعلوا عليها اختمية فلا يباع منها شيء حتى يعلم بيد الملتزم ويختم وعلى وضع الختم والعلامة قدر مقدر بحسب ثمن البضاعة وثمنها فزاد الضجيج واللغط في الناس (وفي يوم السبت سابع عشره) حضر المشايخ بالازهر على عادتهم لقراءة الدروس فحضر الكثير من النساء والعامة واهل المسجون وهم يصرخون ويستغيثون وابطلوا الدروس واجتمع المشايخ بالقبلة وارسلوا الى السيد عمر النقيب فحضر اليهم وجلس معهم ثم قاموا وذهبوا الى بيوتهم ثم اجتمعوا في ثاني يوم وكتبوا عرضحال الى الباشا يذكرون فيه المحدثات من المظالم والبدع وختم الامتعة وطلب مال الاوسية والرزق والمقاسمة في الفائظ وكذلك أخذ قريب البقلي وحبسه بلا ذنب وذلك بعد ان جلسوا مجلسا خاصا في

في هذه السنة في رجب قدم السلطان محمد بغداد ووصل اليه أتابك طغتكين صاحب دمشق في ذي القعدة وسأل الرضا عنه فرضي عنه السلطان وخلع عليه ورده الى دمشق وفيها أمر الامام المستظهر بالله ببيع البدرية وهي منسوبة الى بدر غلام المعتضد بالله وكانت من احسن دور الخلفاء وكان ينزلها الراضي بالله ثم تهدمت وصارت تلالا فأمر القادر بالله ان يسور عليها سور لانها مع الدار الامامية ففعل ذلك فلما كان الآن امر ببيعها فبيعت وعمرها الناس وفيها في شعبان وقعت الفتنة بين العامة وسببها ان الناس لما عادوا من زيارة مصعب اختصموا على من يدخل أولا فاقتتلوا وقتل بينهم جماعة وعادت الفتن بين اهل المحال كما كانت ثم سكنت وفيها اقطع السلطان محمد الموصل وما كان بيد آقسنقر البرسقي للامير جيوش بك وسير ولده الملك مسعودا واقام البرسقي بالرحبة وهي اقطاعه الى ان توفي السلطان محمد وكان مانذكره ان شاء الله تعالى وفيها توفي اسمعيل بن محمد بن احمد بن مله الاصبهاني أبو عثمان بن ابي سعيد الواعظ سمع الكثير وحدث ببغداد وغيرها وعبد الله بن المبارك بن موسى السقطي ابو البركات له رحلة وله تصانيف وكان أديبا

(ثم دخلت سنة عشر وخمسمائة)

* (ذكر قتل أحمديل بن وهسوذان) *

في هذه السنة اول المحرم حضر اتابك طغتكين صاحب دمشق دار السلطان محمد ببغداد وحضر جماعة الامراء ومعهم احمديل بن ابراهيم بن وهسوذان الروادي الكردي صاحب مراغة وغيرها من اذربيجان وهو جالس الى جانب طغتكين فاتاه رجل متظلم وبيده رقعة وهو يبكي ويسأله ان يوصلها الى السلطان فاخذها من يده فضربه الرجل بسكين فجذبه احمديل وتركه تحته فوثب رفيق للباطني وضرب احمديل سكينا اخرى فاخذتهما السيوف واقبل رفيق لهما وضرب أحمديل ضربة اخرى فعجب الناس من اقدامه بعد قتل صاحبيه وظن طغتكين والحاضرون ان طغتكين كان المقصود بالقتل وانه بامر السلطان فلما علموا انهم باطنية زال هذا الوهم

* (ذكر وفاة جاولي سقاوو وحال بلاد فارس معه) *

في هذه السنة توفي جاولي سقاوو وكان السلطان ببغداد عازما على المقام بها فاضطر الى المسير الى اصبهان ليكون قريبا من فارس لئلا تختلف عليه وقد ذكرنا حال جاولي بالموصل الى ان ملكت منه واخذها السلطان فلما قصد السلطان ورضي عنه اقطعه بلاد فارس فسار جاولي اليها ومعه ولد السلطان جغري وهو طفل له من العمر سنتان وأمره باصلاحها وقمع المفسدين بها فسار اليها فاول ما اعتمده فيها أنه لما توسط بلاد الامير بلدجي وهو من كبار مماليك السلطان ملكشاه ومن جملة بلاده كليل وسرماه وكان متمكنا بتلك البلاد راسله جاولي ليحضر خدمة جغري ولد السلطان وعلم جغري ان يقول بالفارسية خذوه فلما دخل بلدجي قال جغري على عادته خذوه فاخذ وقتل

وتعاهدوا وتعاقدوا على الاتحاد وترك المنافرة وعند ذلك حضر ديوان افندى وقال الباشا يسلم عليكم ويسأل عن مطلوباتكم فعرفوه بما سطروه اجمالا وبينوه له تفصيلا فقال ينبغي ذهابكم اليه وتخاطبونه مشافهة بما تريدون وهو لا يخالف أوامركم ولا يرد شفاعتكم وانما القصد ان تلاطفوه في الخطاب لانه شاب مغرور جاهل وظالم غشوم ولا تقبل نفسه التحكم وربما حمله غروره على حصول ضرر بكم وعدم انفاذ الغرض فقالوا بلسان واحد لا نذهب اليه ابدا مادام يفعل هذه الفعال فان رجع عنها وامتنع عن احداث البدع والمظالم عن خلق الله رجعنا اليه وترددنا عليه كما كنا في السابق فاننا بايعناه على العدل لا على الظلم والجور فقال لهم ديوان افندي وأنا قصدي ان تخاطبوه مشافهة ويحصل انفاذ الغرض فقالوا لا نجتمع عليه ابدا ولا نثير فتنة بل نلزم بيوتنا ونقتصر على حالنا ونصبر على تقدير الله بنا وبغيرنا وأخذ ديوان افندي العرضحال ووعدهم برد الجواب ثم بعد رجوعه أطلقوا قريب السيد حسن البقلي الذي كان محبوسا ولم يعلم بذلك ثم انتظروا عودة ديوان افندي فابطأ عليهم وتأخر عوده الى خامس يوم بعد الجمعية فاجتمع الشيخ المهدي والشيخ الدواخلي عند محمد افندي طبل ناظر المهمات وثلاثتهم في نفسهم

ونهبت أمواله وكان ابلدجي من جملة حصونه قلعة اصطخر وهي من أمنع القلاع وأحصنها وكان بها أهله وذخائره وقد استناب في حفظها وزيرا له يعرف بالجهرمي فعصى عليه وأخرج اليه اهله وبعض المال ولم تزل في يد الجهرمي حتى وصل جاولي الى فارس فاخذها منه وجعل فيها أمواله وكان بفارس جماعة من أمراء الشوانكارة وهم خلق كثير لا يحصون ومقدمهم الحسن بن المبارز المعروف بخسرو وله فسا وغيرها فراسله جاولي ليحضر خدمة جغري فاجاب انني عبد السلطان وفي طاعته فاما الحضور فلا سبيل اليه لانني قد عرفت عادتك مع بلدجي وغيره ولكنني أحمل الى السلطان ما يؤثره فلما سمع جاولي جوابه علم انه لا مقام له بفارس معه فاظهر العود الى السلطان وحمل اثقاله على الدواب وسار كانه يطلب السلطان ورجع الرسول الى خسرو فاخبره فاغتر وقعد للشرب وأمن واما جاولي فانه عاد من الطريق الى خسرو جريدة في نفر يسير فوصل اليه وهو مخمور ونائم فكبسه فانبهه اخوه فضلويه فلم يستيقظ فصب عليه الماء البارد فافاق وركب من وقته وانهزم وتفرق اصحابه ونهب جاولي ثقله وأمواله واكثر القتل في أصحابه ونجا خسرو الى حصنه وهو بين جبلين يقال لاحدهما انج وسار جاولي الى مدينة فسا فتسلمها ونهب كثيرا من بلاد فارس منها جهرم وسار الى خسرو وحصره مدة وضيق عليه فرأى من امتناع حصنه وقوته وكثرة ذخائره ما علم ان المدة تطول عليه فصالحه ليشتغل بباقي بلاد فارس ورحل عنه الى شيراز فاقام بها ثم توجه الى كازرون فملكها وحصر أبا سعد محمد بن مما في قلعته واقام عليها سنتين صيفا وشتاء فراسله جاولي في الصلح فقتل الرسول فارسل اليه قوما من الصوفية فاطعمهم الهريسة والقطائف ثم أمر بهم فخيطت ادبارهم والقوا في الشمس فهلكوا ثم نفد ما عند أبي سعد فطلب الامان فامنه وتسلم الحصن ثم ان جاولي أساء معاملته فهرب فقبض على اولاده وبث الرجال في اثره فرأى بعضهم زنجيا يحمل شيئا فقال ما معك فقال زادي ففتشه فرأى دجاجا وحلواء السكر فقال ما هذا من طعامك فضربه فاقر على أبي سعد وانه يحمل ذلك اليه فقصدوه وهو في شعب جبل فاخذه الجندي وحمله الى جاولي فقتله وسار الى دارابجرد وصاحبها اسمه ابراهيم فهرب صاحبها منه الى كرمان خوفا منه وكان بينه وبين صاحب كرمان صهر وهو ارسلانشاه بن كرمانشاه بن ارسلان بك بن قاورت فقال له لو تعاضدنا لم يقدر علينا جاولي وطلب منه النجدة وسار جاولي بعد هربه منه الى حصار رتيل رننه يعني مضيق رننه وهو موضع لم يؤخذ قهرا قط لانه واد نحو فرسخين وفي صدره قلعة منيعة على جبل عال واهل دارابجرد يتحصنون به اذا خافوا فاقاموا به وحفظوا اعلاه فلما رأى جاولي حصانته سار يطلب البرية نحو كرمان كانما أمره ثم رجع من طريق كرمان الى دارابجرد فظهر انه من عسكر الملك ارسلانشاه صاحب كرمان فلم يشك اهل الحصن انهم مدد لهم مع صاحبهم فاظهروا السرور واذنوا له في دخول المضيق فلما دخله وضع السيف فيمن هناك فلم ينج غير القليل ونهب اموال أهل دارابجرد وعاد الى مكانه وراسل خسرو يعلمه انه عازم على التوجه الى كرمان

للسيد عمر مافيها وتناجوا مع بعضهم ثم انتقلوا الى عصريتها وتفرقوا وحضر المهدي والدواخلي الى السيد عمر وأخبراه ان محمد أفندي ذكر لهم ان الباشا لم يطلب مال الاوسية ولا الرزق وقد كذب من نقل ذلك وقال انه يقول اني لا اخالف أوامر المشايخ وعند اجتماعهم عليه ومواجهته يحصل كل المراد فقال السيد عمر اما انكاره طلب مال الرزق والاوسية فهاهي أوراق من أوراق المباشرين عندي لبعض الملتزمين مشتملة على الفرضة ونصف الفائظ ومال الاوسية والرزق واما الذهاب اليه فلا اذهب اليه ابدا وان كنتم تنقضون الايمان والعهد الذي وقع بيننا فالرأي لكم ثم انفض المجلس واخذ الباشا يدبر في تفريق جمعهم وخذلان السيد عمر لما في نفسه منه من عدم انفاذ اغراضه ومعارضته له في غالب الامور ويخشى صولته ويعلم ان الرعية والعامة تحت امره ان شاء جمعهم وان شاء فرقهم وهو الذي قام بنصره وساعده واعانه وجمع الخاصة والعامة حتى ملكه الاقليم ويرى انه ان شاء فعل بنقيض ذلك فطفق يجمع اليه بعض افراد من اصحابه المظاهر ويختلي معه ويضحك اليه فيغتر بذلك ويرى انه صار من المقربين وسيكون له شان ان وافق ونصح فيفرغ له جراب حقده ويرشده بقدر اجتهاده لما فيه من المعاونه ثم في ويدهوه

ويدعوه اليه فلم يجد بدا من موافقته فنزل اليه طائعا وسار معه الى كرمان وأرسل الى صاحبها القاضى أبا طاهر عبد الله بن طاهر قاضى شيرا زيامره باعادة الشوانكارة لانهم رعية السلطان ويقول انه متى أعادهم عاد عن قصد بلاده والا قصده فاعاد صاحب كرمان جواب الرسالة يتضمن الشفاعة فيهم حيث استجاروا به ولما وصل الرسول الى جاولى احسن اليه واجزل له العطاء وأفسده على صاحبه وجعله عينا له عليه وقرر معه اعادة عسكر كرمان ليدخل البلاد وهم غارون فلما عاد الرسول وبلغ السيرجان وبها عساكر صاحب كرمان ووزيره مقدم الجيش أعلم الوزير ما عليه جاولى من المقاربة وانه يفارق ما كرهوه وأكثر من هذا النوع وقال لكنه مستوحش من اجتماع العساكر بالسيرجان وان اعداء جاولى طمعوا فيه بهذا العسكر والراى ان تعاد العساكر الى بلادها فعاد الوزير والعساكر وخلت السيرجان وسار جاولى فى اثر الرسول فنزل بفرج وهى الحد بين فارس وكرمان فحاصرها فلما بلغ ذلك ملك كرمان احضر الرسول وأنكر عليه اعادة العسكر فاعتذر اليه وكان مع الرسول فراش لجاولى ليعود اليه بالاخبار فارتاب به الوزير فعاقبه فاقر على الرسول فصلب ونهبت أمواله وصلب الفراش وندب العساكر الى المسير الى جاولى فساروا فى ستة آلاف فارس وكانت الولاية التى هى الحد بين فارس وكرمان بيد انسان يسمى موسى وكان ذا رأى ومكر فاجتمع بالعسكر واشار عليهم بترك الجادة المسلوكة وقال ان جاولى محتاط بها وسلك بهم طريقا غير مسلوكة بين جبال ومضايق وكان جاولى يحاصر فرج وقد ضيق على من بها وهو يدمن الشرب فسير اميرا فى طائفة من عسكره ليلقى العسكر المنفذ من كرمان فسار الامير فلم ير احدا فظن انهم قد عادوا فرجع الى جاولى وقال ان العسكر كان قليلا فعاد خوفا منا فاطمان حينئذ جاولى وادمن شرب الخمر ووصل عسكر كرمان اليه ليلا وهو سكران نائم فايقظه بعض اصحابه واخبره فقطع لسانه فاتاه غيره وايقظه وعرفه الحال فاستيقظ وركب وانهزم وقد تفرق عسكره منهزمين فقتل منهم واسر كثير وادركه خسرو وابن ابى سعد الذى قتل جاولى اباه فسارا معه فى اصحابهما فالتفت فلم ير معه احدا من اصحابه الاتراك فخاف على نفسه منهم فقالا له انا لا نغدر بك ولن ترى منا الا الخير والسلامة وسارا معه حتى وصل الى مدينة فسا واتصل به المنهزمون من اصحابه واطلق صاحب كرمان الاسرى وجهزهم وكانت هذه الوقعة فى شوال سنة ثمان وخمسمائة وبينما جاولى يدبر الامر ليعاود كرمان ويأخذ بثاره توفى الملك جغرى ابن السلطان محمد وعمره خمس سنين وكانت وفاته فى ذى الحجة سنة تسع وخمسمائة ففت ذلك فى عضده فارسل ملك كرمان رسولا الى السلطان وهو ببغداد يطلب منه منع جاولى عنه فاجابه السلطان انه لا بد من ارضاء جاولى وتسليم فرج اليه فعاد الرسول فى ربيع الاول سنة عشر وخمسمائة فتوفى جاولى فامنوا ما كانوا يخافونه فلما سمع السلطان سار عن بغداد الى اصبهان خوفا على فارس من صاحب كرمان

(ذكر فتح جبل وسلات وتونس)

ايلتها حضر ديوان افندى وعبد الله بكتاش الترجمان وحضر المهدى والدواخلى الجميع عند السيد عمر وطال بينهم الكلام والمعالجة فى طلوعهم ومقابلتهم الباشا وفرق لذلك كل من المهدى والدواخلى والسيد عمر مصمم على الامتناع ثم قالوا لا بد من كون الشيخ الامير معنا ولا نذهب بدونه فاعتذر الشيخ الامير بانه متوعك ثم قام المهدى والدواخلى وخوجا صحبة ديوان افندى والترجمان وطلعوا الى القلعة وتقابلوا مع الباشا ودار بينهم الكلام وقال فى كلامه انا لا ارد شفاعتكم ولا اقطع رجاكم والواجب عليكم اذا رأيتم منى انحرافا أن تنصحونى وترشدونى ثم اخذ يلوم على السيد عمر فى تخلفه وتعنته ويثنى على البواقى وفى كل وقت يعاندنى ويبطل احكامى ويخوفنى بقيام الجمهور فقال الشيخ المهدى هو ليس الا بنا واذا خلا عنا فلا يسوى بشئ ان هو الا صاحب حرفة او جابى وقف يجمع الايراد ويصرفه على المستحقين فعند ذلك تبين قصد الباشا لهم ووافق ذلك ما فى نفوسهم من الحقد للسيد عمر والشيخ الدواخلى حضوره نيابة عن الشيخ الشرقاوى وعن نفسه ثم تناجوا معه حصة وقاموا منصرفين مذبذبين ومظهرين خلاف ما هو كامن فى نفوسهم من الحقد وحظوظ النفس غير مفكرين فى العواقب

وحضروا عند السيد عمر وهو ممتلئ بالغيظ مما حصل من الشذوذ ونقض العهد فاخبروه بان الباشا لم يحصل منه خلاف وقال انا لا ارد شفاعتكم ولكن نفسي لا تقبل التحكم والواجب عليكم اذا رأيتموني فعلت شيئا مخالفا ان تنصحوني و تشفعوا فانا لا أردكم ولا امتنع من قبول نصحكم وأما ما تفعلونه من التشنيع والاجتماع بالازهر فهذا لا يناسب منكم وكانكم تخوفوني بهذا الاجتماع وتهييج الشرور وقيام الرعية كما كنتم تفعلون في زمان المماليك فانا لا أفزع من ذلك وان حصل من الرعية أمر ما فليس لهم عندي الا السيف و الانتقام فقلنا له هذا لا يكون ونحن لانحب ثوران الفتن وانما اجتماعنا لاجل قراءة البخاري وندعو الله برفع الكرب ثم قال أريد ان تخبروني عمن أنشأ هذا الامر ومن ابتدأ بالخلاف فغالطناه وانه وعدنا بابطال الدمغة وتضعيف الفائظ الى الربع بعد النصف وانكر الطلب بالاوسية والرزق من اقليم البحيرة ثم قاموا منصرفين وانفتح بينهم باب النفاق واستمر القال والقيل وكل حريص على حظ نفسه وزيادة شهرته وسمعته ومظهر خلاف ما في ضميره

(واستهل شهر جمادى الثانية بيوم الجمعة سنة ١٢٢٤) فيه حضر ديوان افندي وعبد الله بكتاش الترجمان واجتمع المشايخ ببيت السيد

في هذه السنة حصر عسكر علي بن يحيى صاحب افريقية مدينة تونس وبها احمد بن خراسان وضيق على من بها فصالحه صاحبها على ما اراد وفيها فتح ايضا جبل وسلات بافريقية واستولى عليه وهو جبل منيع ولم يزل اهله طول الدهر يفسدون بالناس ويقطعون الطريق فلما استمر ذلك منهم سير اليهم جيشا فكان اهل الجبل ينزلون الى الجيش و يقاتلون أشد قتال فعمل قائد الجيش الحيلة في الصعود الى الجبل من شعب لم يكن احد يظن انه يصعد منه فلما صار في اعلاه في طائفة من اصحابه ثار اليه اهل الجبل فصبر لهم وقاتلهم فيمن معه اشد قتال وتتابع الجيش في الصعود اليه فانهزم اهل الجبل و كثر القتل فيهم ومنهم من رمى نفسه فتكسر ومنهم من افلت واحتمى جماعة كثيرة بقصر في الجبل فلما احاط بهم الجيش طلبوا ان يرسل اليهم من يصلح حالهم فارسل اليهم جماعة من العرب و الجند فثار بهم اولئك بالسلاح فقتلوا بعضهم وطلع الباقون الى اعلى القصر ونادوا اصحابهم من الجيش فاتوهم وقاتلوهم بعضهم من اعلى القصر و بعضهم من اسفله فاتى من فيه من اهل الجبل ايديهم فقتلوا كلهم

(ذكر الفتنة بطوس)

في هذه السنة في عاشوراء كانت فتنة عظيمة بطوس في مشهد علي بن موسى الرضا عليه السلام وسببها ان علويا خاصم في المشهد يوم عاشوراء بعض فقهاء طوس فادى ذلك الى مضاربة وانقطعت الفتنة ثم استعان كل منهما بحزبه فثارت فتنة عظيمة حضرها جميع أهل طوس واحاطوا بالمشهد وخربوه وقتلوا من وجدوا فقتل بينهم جماعة ونهبت أموال جمة وافترقوا وترك أهل المشهد الخطبة أيام الجمعات فيه فبنى عليه عضد الدين فرامرز بن علي سورا منيعا يحتمي به من بالمشهد على من يريده بسوء وكان بناؤه سنة خمس عشرة وخمسمائة

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة وقعت النار في الحظائر المجاورة للمدرسة النظامية ببغداد فاحترقت الاخشاب التي بها واتصل الحريق الى درب السلسلة وتطاير الشرر الى باب المراتب فاحترقت منه عدة دور واحترقت خزانة كتب النظامية وسلمت الكتب لان الفقهاء لما احسوا بالنار نقلوها وفيها توفي عبد الله بن يحيى بن محمد بن بهلول أبو محمد الاندلسي السرقسطي وكان فقيها فاضلا ورد نحو العراق سنة خمسمائة وسار الى خراسان فسكن مرو الروذ فمات بها وله شعر حسن فمنه

ومهفهف يختال في ابراده * مرح القضيب اللدن تحت البارح
أبصرت في مرآة فكري خده * فحكيت فعل جفونه بجوارحي
ما كنت أحسب ان فعل توهمي * يقوى تعديه فيجرح جارحي
لا غرو ان جرح التوهم خده * فالسحر يعمل في البعيد النازح

وفيها

وفيها في شعبان توفي أبو القاسم علي بن محمد بن أحمد بن بيان الرزاز ومولده في صفر سنة ثلاث عشرة واربعمائة وهو آخر من حدث عن أبي الحسن بن مخلد وابي القاسم بن بشران وفيها توفي أبو بكر محمد بن منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني رئيس الشافعية بمرو ومولده سنة ست واربعين واربعمائة وسمع الحديث الكثير وصنف وله فيه أمال حسنة وتكلم على الحديث فاحسن ما شاء وفيها توفي محفوظ بن أحمد بن الحسن الكلوذاني أبو الخطاب الفقيه الحنبلي ومولده سنة اثنتين وثلاثين واربعمائة وتفقه على أبي يعلى بن الفراء

(ثم دخلت سنة احدى عشرة وخمسمائة) *

* (ذكر وفاة السلطان محمد وملك ابنه محمود) *

في هذه السنة في الرابع والعشرين من ذي الحجه توفي السلطان محمد بن ملكشاه بن الب ارسلان وكان ابتداء مرضه في شعبان وانقطع عن الركوب وتزايد مرضه ودام وأرجف عليه بالموت فلما كان يوم عيد النحر حضر السلطان وحضر ولده السلطان محمود على السماط فنهبه الناس ثم اذن لهم فدخلوا الى السلطان محمد وقد تكلف القعود لهم وبين يديه سماط كبير فاكلوا وخرجوا فلما انتصف ذو الحجة ايس من نفسه فاحضر ولده محمودا وقبله وبكى كل واحد منهما وامره ان يخرج ويجلس على تخت السلطنة وينظر في أمور الناس وعمره اذ ذاك قد زاد على اربع عشرة سنة فقال لوالده انه يوم غير مبارك يعني من طريق النجوم فقال صدقت ولكن على ابيك واما عليك فمبارك بالسلطنة فخرج وجلس على التخت بالتاج والسوارين وفي يوم الخميس الرابع والعشرين احضر الامراء واعلموا بوفاته وقرئت وصيته الى ولده محمود يامره بالعدل والاحسان وفي يوم الجمعة الخامس والعشرين منه خطب لمحمود بالسلطنة وكان مولد السلطان محمد ثامن عشر شعبان من سنة أربع وسبعين واربعمائة وكان عمره سبعا وثلاثين سنة واربعة اشهر وستة أيام وأول ما دعي له بالسلطنة ببغداد في ذي الحجة سنة اثنتين وتسعين وقطعت خطبته عدة دفعات على ما ذكرناه ولقي من المشاق والاخطار ما لا حد عليه فلما توفي أخوه بركيارق صفت له السلطنة وعظمت هيبته وكثرت جيوشه وأمواله وكان اجتمع الناس عليها اثنتي عشرة سنة وستة اشهر

*(ذكر بعض سيرته) *

كان عادلا حسن السيرة شجاعا فمن عدله انه اشترى مماليك من بعض التجار واحالهم بالثمن على عامل خوزستان فاعطاهم البعض ومطل بالباقي فحضر وامجلس الحكم واخذوا معهم غلمان القاضي فلما رآهم السلطان قال لحاجبه انظر ما حال هؤلاء فسالهم عن حالهم فقالوا لنا خصم يحضر معنا مجلس الحكم فقال من هو قالوا السلطان وذكروا قصتهم فاعلمه ذلك فاشتد عليه واكره وامر باحضار العامل وأمره بايصال اموالهم والجعل الثقيل ونكل به حتى يمتنع غيره عن مثل فعله ثم انه كان يقول بعد ذلك لقد

عمرو تكلموا في شان والطلوع الى الباشا ومقابلته لخلاف السيد عمر انه لا يطلع اليه ولا يجتمع به ولا يرى له وجها الا اذا ابطل هذه الاحدوثات وقال ان جميع الناس يتهموني معه ويزعمون انه لا يتجارأ على شئ يفعله الا باتفاقي معه ويكفي ما مضى ومهما تقادم يتزايد الظلم والجور وتكلم كلاما كثيرا فلما لم يجبهم الى الذهاب قالوا اذا يطلع المشايخ وارسلوا الى الشيخ الامير فاعتذر بانه متوعك الجسم ولا يقدر على الحركة ولا الركوب ثم اتفقوا على طلوع الشيخ عبد الله الشرقاوي والمهدي والدواخلي والفيومي وذلك على خلاف غرض السيد عمر وقد ظن انهم يمتنعون لامتناعه للعهد السابق والايمان فلما طلعوا الى الباشا وتكلموا معه وقد فهم كل منهم لغة الآخر الباطنية ثم ذاكروه في امر المحدثات فاخبرهم انه يرفع بدعة الدمغة وكذلك يرفع الطلب عن الاطيان الاوسية وتقرير ربع الفائظ وقاموا على ذلك ونزلوا الى بيت السيد عمر واخبروه بما حصل فقال وأعجبكم ذلك قالوا[٢] قال انه ارسل يخبرني بتقرير ربع المال الفائظ فلم ارض وابيت الا رفع ذلك بالكلية فانه في العام السابق لما طلب احداث الربع قلت له هذه تصير سنة متبعة لخلف انها

٢ قوله قالوا قال الخ هكذا في جميع النسخ التي معنا ولعله قالوا لا او نعم او نحو ذلك كذا بهامش الاصل

ندمت ندما عظيما حيث لم احضر معهم مجالس الحكم فيقتدى بي غيرى ولا يمتنع احد عن الحضور فيه واداء الحق ومن عدله انه كان له خازن يعرف بابى احمد القزوينى قتله الباطنية فلما قتل أمر بعرض الخزانة فعرض عليه فيها درج فيه جوهر كثير نفيس فقال ان هذا الجوهر عرضه على منذ ايام وهو فى ملك اصحابه وسلمه الى خادم ليحفظه وينظر من اصحابه فيسلم اليهم فسال عنهم وكانوا تجارا غرباء وقد يئسوا واذهابه وايسوا منه فسكتوا فاحضرهم وسلمه اليهم ومن عدله انه اطلق المكوس والضرائب فى جميع البلاد ولم يعرف منه فعل قبيح وعلم الامراء سيرته فلم يقدم احد منهم على الظلم وكفوا عنه ومن محاسن اعماله ما فعله مع الباطنية على ما نذكره

❊(ذكر حال الباطنية ايام السلطان محمد)❊

قد تقدم ذكر ما اعتمده من حصر قلاعهم ونحن نذكر ههنا زيادة اهتمامه بامرهم فانه رحمه الله تعالى لما علم ان مصالح البلاد والعباد منوطة بمحو آثارهم واخراب ديارهم وملك حصونهم وقلاعهم جعل قصدهم دأبه وكان فى ايامه المقدم عليهم والقيم بامرهم الحسن بن الصباح الرازى صاحب قلعة ألموت وكانت أيامه قد طالت وله منذ ملك قلعة ألموت ما يقارب ستا وعشرين سنة وكان المجاورون له فى أقبح صورة من كثرة غزواته عليهم وقتله وأسره رجالهم وسبى نسائهم فسير اليه السلطان العساكر على ما ذكرناه فعادت من غير بلوغ غرض فلما أعضل داؤه ندب لقتاله الامير انوشتكين شيركير صاحب آبه وساوه وغيرهما فملك منهم عدة قلاع منها قلعة كلام ملكها فى جمادى الاولى سنة خمس وخمسمائة وكان مقدمها يعرف بعلى بن موسى فامنه ومن معه وسيرهم الى ألموت وملك منهم ايضا قلعة بيره وهى على سبعة فراسخ من قزوين وامنهم وسيرهم الى ألموت ايضا وسار الى قلعة ألموت فمن معه من العساكر وامده السلطان بعدة من الامراء فحصرهم وكان هو من بينهم صاحب القريحة والبصيرة فى قتالهم مع جودة راى وشجاعة فبنى عليها مساكن يسكنها هو ومن معه وعين لكل طائفة من الامراء اشهرا يقيمونها وكانوا ينيبون ويحضرون وهو ملازم الحصار وكان السلطان ينقل اليه الميرة والذخائر والرجال فضاق الامر على الباطنية وعدمت عندهم الاقوات وغيرها فلما اشتد عليهم الامر نزلوا نساءهم وابناءهم مستامنين ويسالون ان يفرج لهم ولرجالهم عن الطريق ويؤمنوا فلم يجابوا الى ذلك واعادهم الى القلعة قصدا ليموت الجميع جوعا وكان ابن الصباح يجرى لكل رجل منهم فى اليوم رغيفا وثلاث جوزات فلما بلغ بهم الامر الى الحد الذى لا مزيد عليه بلغهم موت السلطان محمد فقويت نفوسهم وطابت قلوبهم ووصل الخبر الى العسكر المحاصر لهم بعدهم بيوم وعزموا على الرحيل فقال شيركيران رحلنا عنهم وشاع الامر نزلوا الينا واخذوا ما اعددناه من الاقوات والذخائر والرأى ان نقيم على قلعتهم حتى نفتحها وان لم يكن المقام فلا بد من مقام ثلاثة ايام حتى ينفذ منا ثقالنا وما اعددناه ونحرق ما نعجز عن حمله لئلا يأخذه العدو فلما سمعوا قوله علموا صدقه فتعاهدوا على الاتفاق والاجتماع فلما امسوا رحلوا من غير مشاورة ولم

لاتكون بعد هذا العام وذلك اضرورة النفقة وان طالبها فى المستقبل يكون ملعونا ومطرودا من رحمة الله وعاهدنى على ذلك وهذا فى علمكم كما لا يخفى ثم قالوا نعم واما قوله انه رفع الطلب عن الاوسية والرزق فلا اصل لذلك وها هى اوراق البحيرة وجهوا بها الطلب فقالوا انما ذكرنا له ذلك فانكر وكابرناه باوراق الطلب فقال ان السبب فى طلب ذلك من اقليم البحيرة خاصة أن الكشافين لما نزلوا الكشف على اراضى الرى والشراقى ليقرروا عليها فرضة الاطيان حصل منهم الخيانة والتدليس فاذا كان فى ارض البلدة خمسمائة فدان رى قالوا عليها مائة وسموا الباقى رزقا واوسية فقررت ذلك عقوبة لهم فى نظيرة ليسهم وخيانتهم فقال السيد عمر وهل ذلك امر واجب فعله اليس هو مجرد جور وظلم أحدثه فى العام الماضى وهى فرضة الاطيان التى ادعى لزومها لاتمام العلوفة وحلف انه لا يعود لمثلها فقد عاد وزاد وأنتم توافقونه وتسايرونه ولا تصدونه ولا تصدعونه بكلمة وأنا الذى صرت وحدى مخالفا وشاذا ووجه عليهم اللوم فى نقضهم العهد والايمان وانفض المجلس وتفرقت الآراء وراج سوق النفاق وتحركت حفائظ الحقد والحسد وكثر سعيهم وتناجيهم بالليل والنهار والباشا يراسل السيد عمر ويطلبه للحضور اليه والاجتماع به ويعده يبق

يبق غير يسير كبير ونزل اليه الباطنية من القلعة فدافعهم وقاتلهم وحمى من تخلف من سوقة العسكر واتباعه ولحق بالعسكر فلما فارق القلعة غنم الباطنية ما تخلف عندهم

(ذكر حصار قابس والمهدية)

في هذه السنة جهز علي بن يحيى صاحب افريقية اسطولا في البحر الى مدينة قابس وحصرها وسبب ذلك ان صاحبها رافع بن مكن الدهماني انشا مركبا بساحلها ليحمل التجار في البحر وكان ذلك آخر ايام الامير يحيى فلم ينكر يحيى ذلك جريا على عادته في المداراة فلما ولي علي الامر بعد ابيه أنف من ذلك وقال لا يكون لاحد من اهل افريقية ان يناويني في اجراء المراكب في البحر بالتجار فلما خاف رافع ان يمنعه علي التجأ الى اللعين رجار ملك الفرنج بصقلية واعتضد به فوعده رجار أن ينصره ويعينه على اجراء مركبه في البحر وانفذ في الحال اسطولا الى قابس فاجتازوا بالمهدية فحينئذ تحقق علي اتفاقهما وكان يكذبه فلما جاز اسطول رجار بالمهدية أخرج علي أسطوله في اثره فتوافى الجميع الى قابس فلما رأى صاحبها اسطول الفرنج والمسلمين لم يخرج مركبه فعاد اسطول الفرنج وبقي اسطول علي يحصر رافعا بقابس مضيقا عليها ثم عادوا الى المهدية وتمادى رافع في المخالفة لعلي وجمع قبائل العرب وسار بهم حتى نزل على المهدية محاصرا لها وخادع عليا وقال انني انما جئت للدخول في الطاعة وطلب من يسعى في الصلح وافعاله تكذب أقواله فلم يجبه عن ذلك بحرف واخرج العساكر وحملوا على رافع ومن معه حملة منكرة فالحقوهم بالبيوت ووصل العسكر الى البيوت فلما رأى ذلك النساء صحن وولولن فغارت العرب وعاودت القتال واشتد حينئذ الامر الى المغرب ثم افترقوا وقد قتل من عسكر رافع بشر كثير ولم يقتل من جند علي غير رجل واحد من الرجالة ثم خرج عسكر علي مرة أخرى فاقتتلوا أشد من القتال الاول كان الظهور فيه لعسكر علي فلما رأى رافع انه لا طاقة له بهم رحل عن المهدية ليلا الى القيروان فمنعه أهلها من دخولها فقاتلهم أياما قلائل ثم دخلها فارسل علي اليه عسكرا من المهدية فحصروه فيها الى أن خرج عنها وعاد الى قابس ثم ان جماعة من أعيان افريقية من العرب وغيرهم سالوا عليا في الصلح فامتنع ثم أجاب الى ذلك وتعاهد عليه

(ذكر الوحشة بين رجار والامير علي)

كان رجار صاحب صقلية بينه وبين الامير علي صاحب افريقية مودة وكيدة الى ان أعان رافعا كما تقدم قبل فاستوحش كل منهما من صاحبه ثم بعد ذلك خاطبه رجار بما لم تجر عادتهم به فتنا كدت الوحشة فارسل رجار رسالة فيها خشونة فاحتزر علي منه وأمر بتجديد الاسطول واعداد الاهبة للقاء العدو وكاتب المرابطين بمراكش في الاجتماع معه على الدخول الى صقلية فكف رجار عما كان يعتمده

(ذكر قتل صاحب حلب واستيلاء ايلغازي عليها)

بانجاز ما يشير عليه به وأرسل اليه كتخداه ليترفق به وذكر له ان الباشا رتب له كيسا في كل يوم ويعطيه في هذا الحين ثلثمائة كيس خلاف ذلك فلم يقبل ولم يزل الباشا متعلق الخاطر بسببه ويتجسس ويتفحص عن احواله وعلى من يتردد عليه من كبار العسكر وربما اغرى به بعض الكبار فراسلوه سرا واظهروا له كراهتهم للباشا وانه ان انتبذ لمقاومته ساعدوه وقاموا بنصرته عليه فلم يخف على السيد عمر مكرهم ولم يزل مصمما وممتنعا عن الاجتماع به والامتثال اليه ويسخط عليه والمترددون أيضا ينقلون ويحرفون بحسب الاغراض والاهواء واتفق في اثناء ذلك ان الباشا امر بكتابة عرضحال بسبب المطلوب لوزير الدولة وهي الاربعة آلاف كيس ويذكر فيه انها صرفت في المهمات منها ما صرف في سد ترعة الفرعونية ومبلغه ثمانمائة كيس وعلى تجاريد العساكر لمحاربة الامراء المصرية حتى دخلوا في الطاعة كذلك مبلغا عظيما وما صرف في عمارة القلعة والمجراة التي تنقل المياه اليها مبلغا ايضا وكذلك في حفر الخلجان والترع ونقص المال الميري بسبب شراقي البلاد ونحو ذلك وارسله الى السيد عمر ليضع خطه وختمه عليه فامتنع وقال اما ما صرفه على سد الترعة فان الذي جمعه وجباه من البلاد يزيد على ما صرفه اضعافا كثيرة واما غير ذلك فكله كذب لا اصل

في هذه السنة قتل لؤلؤ الخادم وكان قد استولى على قلعة حلب وأعمالها بعد وفاة الملك رضوان وولي اتابكية ولده الب ارسلان فلما مات أقام بعده في الملك سلطانشاه ابن رضوان وحكم في دولته أكثر من حكمه في دولة أخيه فلما كان هذه السنة سار منها الى قلعة جعبر ليجتمع بالامير سالم بن مالك صاحبها فلما كان عند قلعة نادر نزل يريق الماء فقصده جماعة من أصحابه الاتراك وصاحوا ارنب ارنب وأوهموا انهم يتصيدون ورموه بالنشاب فقتل فلما هلك نهبوا خزانته فخرج اليهم أهل حلب فاستعادوا اما أخذوه وولي أتابكية سلطانشاه بن رضوان شمس الخواص يارو قتاش فبقي شهرا وعزلوه وولي بعده أبو المعالي بن الملحي الدمشقي ثم عزلوه وصادروه وقيل كان سبب قتل لؤلؤ انه أراد قتل سلطانشاه كما قتل أخاه ألب ارسلان قبله ففطن به أصحاب سلطانشاه فقتلوه وقيل كان قتله سنة عشر وخمسمائة والله أعلم ثم ان اهل حلب خافوا من الفرنج فسلموا البلد الى نجم الدين ايلغازي فلما تسلمه لم يجد فيه مالا ولا ذخيرة لان الخادم كان قد فرق الجميع وكان الملك رضوان قد جمع فأكثر فرزقه الله غير اولاده فلما رأى ايلغازي خلو البلد من الاموال صادر جماعة من الخدم بمال صانع به الفرنج وهادنهم مدة يسيرة تكون بمقدار مسيره الى ماردين وجمع العساكر والعود فلما تمت الهدنة سار الى ماردين على هذا العزم واستخلف بحلب ابنه حسام الدين تمرتاش

* (ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في رابع عشر صفر انخسف القمر انخسافا كليا وفي هذه الليلة هجم الفرنج على ربض حماة من الشام وقتلوا من أهلها ما يزيد على مائة رجل وعادوا وفيها في يوم عرفه كانت زلزلة بالعراق والجزيرة وكثير من البلاد وخربت ببغداد دور كثيرة بالجانب الغربي وفيها مات احمد العربي ببغداد وكان من عباد الله الصالحين له كرامات وقبره يزار بها وفي هذه السنة في شوال توفي ابو علي محمد بن سعد بن ابراهيم بن نبهان الكاتب وعمره مائة سنة وكان عالي الاسناد روى عن ابي علي بن شاذان وغيره والحسن ابن احمد بن جعفر ابو عبد الله الشقاق الفرضي الحاسب وكان واحد عصره في علم الفرائض والحساب وسمع الحديث من ابي الحسين بن المهتدي وغيره وفيها مات الكسايكس ملك القسطنطينية وملك بعده ابنه يوحنا وسلك سيرته وفيها مات دوقس انطاكية وكفى الله شره

* (ثم دخلت سنة اثنتي عشرة وخمسمائة) *

* (ذكر ما فعله السلطان محمود بالعراق وولاية البرسقي شحنكية بغداد) *

لما توفي السلطان محمد وملك بعده ابنه محمود ودبر دولته الوزير الربيب ابو منصور ارسل الى الخليفة المستظهر بالله يطلب ان يخطب له ببغداد فخطب له في الجمعة ثالث عشر المحرم وكان شحنة بغداد بهروز ثم ان الامير دبيس بن صدقة كان عند السلطان محمد

له وان وجد من يحاسبه على ما اخذه من القطر ٢٢٤ المصري من الفرض والمظالم لما وسعته الدفاتر فلما ردوا عليه واخبروه بذلك الكلام حنق واغتاظ في نفسه وطلبه للاجتماع به فامتنع فلما اكثر من التراسل قال ان كان ولا بد فاجتمع معه في بيت السادات واما طلوعي اليه فلا يكون فلما قيل له في ذلك ازداد حنقه وقال انه بلغ به أن يزدريني ويرذلني ويامرني بالنزول من محل حكمي الى بيوت الناس (ولما اصبح يوم الاربعاء سابع عشريته) ركب الباشا وحضر الى بيت ولده ابراهيم بك الدفتردار وطلب القاضي والمشايخ المذكورين وارسل الى السيد عمر رسولا من طرفه ورسولا من طرف القاضي يطلبه للحضور ليتحاقق ويتشارع معه فرجعا واخبرا بانه شرب دواء ولا يمكنه الحضور في هذا اليوم وكان قد احضر شيخ السادات الوفائية والشيخ الشرقاوي فعند ذلك احضر الباشا خلعة والبسها الشيخ السادات على نقابة الاشراف وامر بكتابة فرمان بخروج السيد عمر ونفيه من مصر يوم تاريخه فتشفع المشايخ في امهاله ثلاثة ايام حتى يقضي اشغاله فاجاب الى ذلك ثم سالوه في ان يذهب الى بلده اسيوط فقال لا يذهب الى اسيوط ويذهب اما الى سكندرية او دمياط فلما ورد الخبر على السيد عمر بذلك قال اما منصب النقابة فاني راغب عنه وزاهد فيه وليس فيه الا التعب واما النفي فهو غاية

مذ

مذ قتل والده على ما ذكرناه فاحسن اليه واقطعه اقطاعا كثيرا فلما توفي السلطان محمد خاطب السلطان محمودا في العود الى بلده الحلة فاذن له في ذلك فعاد اليها فاجتمع عليه خلق كثير من العرب والاكراد وغيرهم وكان آقسنقر البرسقي مقيما بالرحبة وهي اقطاعه وليس بيده من الولايات شئ فاستخلف عليها ابنه عز الدين مسعودا وسار الى السلطان محمد قبل موته عازما على مخاطبته في زيادة اقطاعه فبلغه وفاة السلطان محمد قبل وصوله الى بغداد وسمع مجاهد الدين بهروز بقربه من بغداد فارسل اليه يمنعه من دخولها فسار الى الملك مسعود فلقيه توقيع السلطان بولاية شحنكية بغداد وهو بحلوان وعزل بهروز وكان الامراء عند السلطان يريدون البرسقي و يتعصبون له ويكرهون مجاهد الدين بهروز ويحسدونه لقربه كان عند السلطان محمد وخافوا أن يزداد تقدمه عند السلطان محمود وحكمه فلما ولي البرسقي شحنكية بغداد هرب بهروز الى تكريت وكانت له ثم ان السلطان ولي شحنكية بغداد الامير منكوبرس وهو من أكابر الامراء وقد حكم في دولة السلطان محمود فلما أعطى الشحنكية سير اليها ربيبه الامير حسين بن أزبك أحد الامراء الاتراك وهو صاحب اسداباذ لينوب عنه ببغداد والعراق وفارق السلطان من باب همذان واتصل به جماعة الامراء البكجية وغيرهم فلما سمع البرسقي خاطب الخليفة المستظهر بالله ليامره بالتوقف الى ان يكاتب السلطان و يفعل ما يرد به الامر عليه فارسل اليه الخليفة فاجاب ان رسم الخليفة بالعود عدت والا فلا بد من دخول بغداد فجمع البرسقي اصحابه وسار اليه فالتقوا واقتتلوا فقتل أخ لحسين وانهزم هو ومن معه وعادوا الى عسكر السلطان فكان ذلك في شهر ربيع الاول قبل وفاة المستظهر بالله بايام

(ذكر وفاة المستظهر بالله)

في هذه السنة سادس عشر شهر ربيع الآخر توفي المستظهر بالله أبو العباس أحمد بن المقتدى بامر الله وكان مرضه التراقي وكان عمره احدى واربعين سنة وستة أشهر وستة أيام وخلافته أربعا وعشرين سنة وثلاثة أشهر واحد عشر يوما ووزر له عميد الدولة أبو منصور بن جهير وسديد الملك أبو المعالي المفضل بن عبد الرزاق الاصبهاني وزعيم الرؤساء أبو القاسم بن جهير ومجد الدين أبو المعالي هبة الله بن المطلب ونظام الدين أبو منصور الحسين بن محمد وناب عن الوزارة امين الدولة أبو سعد بن الموصلايا وقاضي القضاة أبو الحسن علي بن الدامغاني ومضى في أيامه ثلاثة سلاطين خطب لهم بالحضرة وهم تاج الدوله تتش بن الب ارسلان والسلطان بركيارق ومحمد ابنا ملكشاه ومن غريب الاتفاق انه لما توفي السلطان الب ارسلان تولى بعده القائم بامر الله ولما توفي السلطان ملكشاه توفي بعده المقتدي بامر الله ولما توفي السلطان محمد توفي بعده المستظهر بالله

(ذكر بعض أخلاقه وسيرته)

مطلوبي وارتاح من هذه الورطة ولكن اريد ان يكون في بلدة تمكن تحت حكمه اذا لم ياذن لي في الذهاب الى اسيوط فليأذن لي في الذهاب الى الطور او الى ورنه فعرفوا الباشا فلم يرض الا بذهابه الى دمياط ثم ان السيد عمر امر باشجاويش ان ياخذ الجاويشية ويذهب بهم الى بيت السادات واخذ في اسباب السفر (وفي يوم الخميس ثامن عشرينه) الموافق لخامس مسرى القبطي اوفى النيل المبارك ونودي بالوفاء تلك الليلة وخرج الناس لاجل الفرجة والضيافات في الدور المطلة على الخليج فلما كان آخر النهار برزت الاوامر بتاخير الموسم لليلة السبت بالروضة فبرد طعام اهل الولائم والضيافات وتضاعفت كلفهم ومصاريفهم وحصلت الجمعية ليلة السبت بالروضة وعند قنطرة السد وعملوا الحراقات والشنك وحضر الباشا وأكابر دولته والقاضي وكسر السد بحضرتهم وجرى الماء في الخليج وانفض الجمع (وفي ذلك اليوم) اعتنى السيد محمد المحروقي بامر السيد عمر وذهب الى الباشا وكلمه وأخبره بانه أقامه وكيلا على أولاده وبيته وتعلقاته فاجازه بذلك وقال هو آمن من كل شئ وانا لم ازل اراعي خاطره ولا أفوته ثم أرسل السيد المحروقي فاحضر ابن ابنة السيد عمر فقابل به الباشا وطمن خاطره ولكن قال لابد من سفره الى دمياط وعند ما طلب السيد المحروقي الغلام الى

الباشا أشيع في الناس وقوع الرضا وتناقل الناس ذلك وفرح أهل منزله وزغرطوا وسروا واستمروا على ذلك
حتى رجع الغلام وتبين انه
لاشئ فانقلب الفرح بالترح
وتعين بالسفر صحبة السيد عمر
كتخدا الالفي الى دمياط

*(واستهل شهر رجب
بيوم الاحد سنة ١٢٢٤)*
فيه اجتمع الموعودون للسيد
عمر ثم حضر محمد كتخدا المذكور
فعند وصوله قام السيد عمر
وركب في الحال وخرج صحبته
وشيعه الكثير من المتعممين
وغيرهم وهم يتباكون حوله
حزنا على فراقه وكذلك اغتم
الناس على سفره وخروجه من
مصر لانه كان ركنا وملجا
ومقصدا للناس ولتعصبه على
نصرة الحق فسار الى بولاق
ونزل في المركب وسافر من
ليلته باتباعه وخدمه الذين
يحتاج اليهم الى دمياط (وفي
صبح ذلك اليوم) حضر الشيخ
المهدي عند الباشا وطلب
وظائف السيد عمر فانعم عليه
الباشا بنظر أوقاف الامام
الشافعي ونظر وقف سنان
باشا ببولاق وحاسب على
المنكسر له من الغلال مدة
أربع سنوات فامر بدفعها له
من خزينته نقدا وقدرها خمسة
وعشرون كيسا وذلك في نظير
اجتهاده في خيانة السيد عمر
حتى اوقعوا به ما ذكر (وفيه)
تقيد الخواجا محمود حسن
بزرجان باشا بعمارة القصر
والمسجد الذي يعرف بالآثار النبوية فعمرها على وضعها القديم وقد كان آل الى الخراب (وفي يوم الثلاثاء) فاجاب

كان رضي الله عنه لين الجانب كريم الاخلاق يحب اصطناع الناس ويفعل الخير ويسارع الى أعمال البر والمثوبات مشكور المساعي لا يرد مكرمة تطلب منه وكان كثير الوثوق بمن يواليه غير مصغ الى سعاية ساع ولا ملتفت الى قوله ولم يعرف منه تلون وانحلال عزم باقوال اصحاب الاغراض وكانت ايامه أيام سرور الرعية فكانها من حسنها اعياد * وكان اذا بلغه ذلك فرح به وسره واذا تعرض سلطان أو نائب له الى أذى أحد بالغ في انكار ذلك والزجر عنه وكان حسن الخط جيد التوقيعات لا يقاربه فيها احد يدل على فضل غزير وعلم واسع ولما توفي صلى عليه ابنه المسترشد بالله وكبر اربعا ودفن في حجرة له كان يالفها ومن شعره قوله

أذاب حر الهوى في القلب ما جمدا * لما مددت الى رسم الوداع يدا
وكيف أسلك نهج الاصطبار وقد * أرى طرائق في مهوى الهوى قددا
قد أخلف الوعد بدر قد شغفت به * من بعد ما قد وفى دهرى بما وعدا
ان كنت أنقض عهد الحب في خلدي * من بعد هذا فلا عاينته ابدا

(ذكر خلافة الامام المسترشد بالله)

لما توفي المستظهر بالله بويع ولده المسترشد بالله ابو منصور الفضل بن ابي العباس احمد ابن المستظهر بالله وكان ولي عهد قد خطب له ثلاثا وعشرين سنة فبايعه اخواه ابنا المستظهر بالله وهما ابو عبد الله محمد وابو طالب العباس وعمومته بنو المقتدي بامر الله وغيرهم من الامراء والقضاة والائمة والاعيان وكان المتولي لاخذ البيعة القاضي ابو الحسن الدامغاني وكان نائبا عن الوزارة فاقره المسترشد بالله عليها ولم ياخذ البيعة قاض غير هذا واحمد بن ابي دواد فانه اخذها للواثق بالله والقاضي ابو علي اسمعيل بن اسحق اخذها للمعتضد بالله ثم ان المسترشد عزل قاضي القضاة عن نيابة الوزارة واستوزر اباشجاع محمد بن الربيب ابي منصور وزير السلطان محمود وكان والده خطب في معنى ولده حتى استوزر وقبض على صاحب المخزن ابي طاهر يوسف بن احمد الحزي

(ذكر هرب الامير ابي الحسن اخي المسترشد وعوده)

لما اشتغل الناس ببيعة المسترشد بالله ركب اخوه الامير ابو الحسن بن المستظهر بالله سفينة ومعه ثلاثة نفر وانحدر الى المدائن وسار منها الى دبيس بن صدقة بالحلة فاكرمه دبيس وعلم منه وفاة المستظهر بالله واقام له الاقامات الكثيرة فلما علم المسترشد بالله خبره اهمه ذلك واقلقه وارسل الى دبيس يطلب منه اعادته فاجاب بانني عبد الخليفة وواقف عند امره ومع هذا فقد استذم بي ودخل منزلي فلا اكرهه على امر ابدا وكان الرسول نقيب النقباء شرف الدين علي بن طراد الزينبي فقصد الامير ابا الحسن وتحدث معه في عوده وضمن له عن الخليفة كل ما يريده فاجاب الى العود وقال انني لم افارق اخي لشر اريده وانما الخوف حملني على مفارقته فاذا امنني قصدته وتكفل دبيس باصلاح الحال بنفسه والمسير معه الى بغداد فعاد النقيب واعلم الخليفة الحال

خلع الباشا على ثلاثة من الاجناد المصريه المنسوبين لسليمان بك البواب ٢٢٧ وقلدهم صناجق وامراء الوقت وضم اليهم
عساكر اتراك وارنؤد (وفيه) سافر
الجميع الى الجهة القبلية
بسبب عصيان الامراء المرادية
وتوقفهم عن دفع المال
والغلال وكذلك عين للسفر
أيضا احمد أغا لاظ وصالح قوج
وبونابارته وحسن باشا اوعابدين
بك فارتجت البلاد وطلبوا
المراكب فتعطل المسافرون
الى الجهة القبلية والبحرية
وكذلك امتنع مجىء الواصلين
بالغلال والبضائع خوفا من
التسخير وقد كان حصل بعض
الاطمئنان وسلوك الطريق
القبلية ووصول المراكب
بالغلال والمجلوبات (وفى عاشره)
سافر أحمد اغا لاظ وصالح
قوج خرجوا بعساكرهم ونزلوا فى
المراكب وذهبوا الى قبلى
(وفيه) حضر محمد كتخدا الالفى
من دمياط راجعا من تشييع
السيد عمر ووصوله الى دمياط
واستقراره بها (وفى يوم
الخميس تاسع عشره) سافر
من كان متأخرا الى الجهة
القبلية ولم يبق منهم احد
(وفى ثالث عشرينه)
نادى منادى المعمار على
ارباب الاشغال فى العمائر
من البنائين والنجارين
والفعلة بان لا يشتغلوا فى
عمارة احد من الناس كائنا
من كان وأن يجتمع الجميع فى
عمارة الباشا بناحية الجبل
(وفى تاسع عشرينه) وردت اخبار عن التجريدة أزعجت الباشا فاهتم اهتماما عظيما وقصد الذهاب بنفسه وفيه

فاجاب الى ماطلب منه ثم حدث من امر البرسقى ودبيس ومنكوبرس ما ذكرناه فتأخر الحال واقام الامير ابو الحسن عند دبيس الى ثانى عشر صفر سنة ثلاث عشرة وخمسمائة ثم سار عن الحلة الى واسط وكثر جمعه وقوى الارجاف بقوته وملك مدينة واسط وخيف جانبه فتقدم الخليفة المسترشد بالله بالخطبة لولى عهده ولده ابى جعفر المنصور وعمره حينئذ اثنتا عشرة سنة فخطب له ثانى ربيع الآخر ببغداد وكتب الى البلاد بالخطبة له وارسل الى دبيس بن مزيد فى معنى الامير ابى الحسن وانه الآن قد فارق جواره ومديده الى بلاد الخليفة وما يتعلق به وامره بقصده ومعاجلته قبل قوته فارسل دبيس العساكر اليه ففارق واسط وقد تحيروا هو واصحابه فضلوا الطريق ووصلت عساكر دبيس فصادفوهم عند الصلح فنهبوا اثقاله وهرب الاكراد من اصحابه والاتراك وعاد الباقون الى دبيس وبقى الامير ابو الحسن فى عشرة من اصحابه وهو عطشان وبينه وبين الماء خمسة فراسخ وكان الزمان قيظا فايقن بالتلف وتبعه بدويان فارادا الهرب منهما فلم يقدر فاخذاه وقد اشتد به العطش فسقياه وحملاه الى دبيس فسيره الى بغداد وحمله الى الخليفة بعد ان بذل له عشرين ألف دينار فحمل الى الدار العزيزة وكان بين خروجه عنها وعوده اليها أحد عشر شهرا ولما دخل على المسترشد بالله قبل قدمه وقبله المسترشد وبكيا وانزله دارا حسنة كان هو يسكنها قبل ان يلى الخلافة وحمل اليه الخلع والتحف الكثيرة وطيب نفسه وامنه

(ذكر مسير الملك مسعود وجيوش بك الى العراق وما كان بينهما وبين البرسقى ودبيس)

فى هذه السنه فى جمادى الاولى برز البرسقى ونزل باسفل الرقة فى عسكره ومن معه وأظهر انه على قصد الحلة واجلاء دبيس بن صدقة عنها وجمع دبيس جموعا كثيرة من العرب والاكراد وفرق الاموال الكثيرة والسلاح وكان الملك مسعود ابن السلطان محمد بالموصل مع اتابكه أى ابه جيوش بك فاشار عليهما جماعة ممن عندهما بقصد العراق فانه لامانع دونه فسارا فى جيوش كثيرة ومع الملك مسعود وزيره فخر الملك ابو على بن عمار صاحب طرابلس وقسيم الدولة زنكى بن آقسنقر جد ملوكنا الآن بالموصل وكان من الشجاعة فى الغاية ومعهم أيضا صاحب سنجار وأبو الهيجاء صاحب اربل وكرباوى ابن خراسان التركمانى صاحب البوازيج فلما علم البرسقى قربهم خافهم وكان البرسقى قديما قد جعله السلطان محمد اتابك ولده مسعود على ماذكرناه وانما كان خوفه من جيوش بك فلما قاربوا بغداد سار اليهم ليقاتلهم ويصدهم فلما علم مسعود وجيوش بك ذلك ارسلوا اليه الامير كرباوى فى الصلح وأعلمه انهم انما جاؤا نجدة له على دبيس واصطلحوا وتعاهدوا واجتمعوا ووصل مسعود الى بغداد ونزل بدار المملكة ووصلهم الخبر بوصول الامير عماد الدين منكبرس المقدم ذكره فى جيش كثير فسار البرسقى عن بغداد نحوه ليحاربه ويمنعه عنها فلما علم به منكبرس قصد النعمانية وعبر دجلة هناك واجتمع هو ودبيس بن صدقة وكان دبيس قد خاف من الملك مسعود والبرسقى

على جميع كبراء العساكر بالخروج وان لا يتخلف منهم احد حتى اولاده ابراهيم بك الدفتردار وطوسون بك وانه هو المتقدم عنهم فى الخروج فى يوم الخميس واستعجل التشهيل والطلب وأمر بتحرير دفتر فرضة تروبجة على اقليم المنوفية والغربية والشرقية والقليوبية وذكروا انها من اصل حساب الشهرية المبتدعة (وفيه) تقلد حسن أغا الشماشرجى كشوفية المنوفية وأرخى لحيته على ذلك

(واستهل شهر شعبان بيوم الثلاثا سنة ١٢٢٤)

فيه عمل مشايخ الوقت عرضحال فى حق السيد عمر بامر الباشا ليرسله صحبة السلحدار وذكروا فيه سبب عزله ونفيه عن مصر وعدوا له مثالب ومعايب وجنحا وذنوبا منها انه أدخل فى دفتر الاشراف أسماء اشخاص ممن أسلم من القبط واليهود ومنها أنه اخذ من الالفى فى السابق مبلغا من المال ليملكه مصر فى أيام فتنة احمد باشا خورشيد ومنها انه كاتب الامراء المصريين ايضا فى وقت الفتنة حين كانوا بالقرب من مصر ليحضروا على حين غفلة فى يوم قطع الخليج وحصل لهم ما حصل ونصر الله عليهم حضرة الباشا ومنها انه اراد ايقاع الفتن فى العساكر لينقض دولة الباشا ويولى خلافه ويجمع عليه طوائف المغاربة والصعائدة واخلاط العوام وغير ذلك وذلك على حد من اعان ظالما سلط عليه وكتبوا عليه

فبنى أمره على المحاجزة والملاطفة فاهدى الى مسعود هدية حسنة وللبرسقى وجيوش بك فلما وصله خبر وصول منكبرس راسله واستماله واستحلفه واتفقا على التعاضد والتناصر واجتمعا وكل واحد منهما قوى بصاحبه فلما اجتمعا سار الملك مسعود والبرسقى وجيوش بك ومن معهم الى المدائن للقاء دبيس ومنكبرس فلما وصلوا المدائن اتتهم الاخبار بكثرة الجمع معهما فعاد البرسقى والملك مسعود وعبرا نهر صرصر وحفظا المخاضات عليه ونهب الطائفتان السواد نهبا فاحشا نهر الملك ونهر صرصر ونهر عيسى وبعض دجيل واستباحوا النساء فارسل المسترشد بالله الى الملك مسعود والبرسقى ينكر هذه الحال ويامرهم بحقن الدماء وترك الفساد ويامر بالموادعة والمصالحة وكان الرسل سديد الدولة بن الانبارى والامام الاسعد الميهنى مدرس النظامية فانكر البرسقى ان يكون جرى منهما شئ من ذلك وأجاب الى العود الى بغداد فوصل من أخبره ان منكبرس ودبيسا قد جهزا ثلاثة آلاف فارس مع منصور اخى دبيس والامير حسين بن أزبك ربيب منكبرس وسيراهم وعبر عند درزيجان ليقطعوا مخاضة عند ديالى الى بغداد لخلوها من عسكر يحميها ويمنع عنها فعاد البرسقى الى بغداد وعبر الجسر لئلا يخاف الناس ولم يعلم والخبر وخلف ابنه عز الدين مسعودا على عسكره بصرصر واستصحب معه عماد الدين زنكى بن آقسنقر فوصل الى ديالى ومنع عسكر منكبرس من العبور فاقام يومين فاتاه كتاب ابنه عز الدين مسعود يخبره ان الصلح قد استقر بين الفريقين فانكسر نشاطه حيث جرى هذا الامر ولم يعلم به وعاد نحو بغداد وعبر الى الجانب الغربى وعبر منصور وحسين فسارا فى عسكرهما خلفه فوصلوا بغداد عند نصف الليل فنزلا عند جامع السلطان وسار البرسقى الى الملك مسعود فاخذ بركه وماله وعاد الى بغداد فخيم عند القنطرة العتيقة واصعد الملك مسعود وجيوش بك فنزلا عند البيمارستان واصعد دبيس ومنكبرس فخيما تحت الرقة وأقام عز الدين مسعود ابن البرسقى عند منكبرس منفردا عن أبيه وكان سبب هذا الصلح ان جيوش بك كان قد ارسل الى السلطان محمود يطلب الزيادة له وللملك مسعود فوصل كتاب الرسول من العسكر يذكر انه لقى من السلطان احسانا كثيرا وانه اقطعهم اذربيجان فلما بلغه رحيلكم الى بغداد اعتقد انكم قد عصيتم عليه فعاد عما كان استقر ويقول ان السلطان قد جهز عسكرا الى الموصل فوقع الكتاب بيد منكبرس فارسله الى جيوش بك وضمن له اصلاح السلطان له وللملك مسعود وكان منكبرس متزوجا بام الملك مسعود واسمها سرجهان وكان يؤثر مصلحته لذلك واستقر الصلح وخافا من البرسقى أن يمنع منه فاتفقا على ارسال العسكر الى درزيجان لينفذ فى مقابلته البرسقى ليخلو العسكر منه ويقع الاتفاق فكان الامر فى مسيره على ما تقدم وكان البرسقى محبوبا الى اهل بغداد لحسن سيرته فيهم فلما استقر الصلح ووصلوا الى بغداد تفرق عن البرسقى اصحابه وجموعه وبطل ما كان يحدث به نفسه من التغلب على العراق بغير أمر السلطان وسار عن العراق الى الملك مسعود فاقام معه واستقر منكبرس فى شحنكية

بغداد

بغداد وودعه دبيس بن صدقة وعاد الى الحلة بعد ان طالب بدار أبيه بدرب فيروز وكانت قد دخلت في جامع القصر ببغداد فصولح عنها بمال واقام منكبرس ببغداد يظلم ويعسف الرعية ويصادرهم فاختفى ارباب الاموال وانتقل جماعة الى حريم دار الخلافة خوفا منه وبطلت معايش الناس وأكثر اصحابه الفساد حتى ان بعض اهل بغداد زفت اليه امرأة تزوجها فعلم بعض اصحاب منكبرس فاتاه وكسر الباب وجرح الزوج عدة جراحات وابتنى بزوجته فكثر الدعاء ليلا ونهارا واستغاث الناس لهذه الحال واغلقوا الاسواق فاخذ الجندى الى دار الخلافة فاعتقل اياما ثم اطلق وسمع السلطان بما يفعله منكبرس ببغداد فارسل اليه يستدعيه ويحثه على اللحوق به وهو يغالط ويدافع وكلما طلبه السلطان لج في جمع الاموال والمصادرات فلما علم اهل بغداد تغير السلطان عليه واستدعاءه اياه طمعوا فيه فسار حينئذ منكبرس عنهم خوفا ان يثوروا به وكفى الناس شره وظهر من كان مستترا

(ذكر وفاة ملك الفرنج وما كان بين الفرنج وبين المسلمين)

في ذى الحجة من سنة احدى عشرة وخمسمائة توفي بغدوين ملك القدس وكان قد سار الى ديار مصر في جمع الفرنج قاصدا ملكها والتغلب عليها وقوى طمعه في الديار المصرية وبلغ مقابل تنيس وسبح في النيل فانتقض جرح كان به فلما احس بالموت عاد الى القدس فمات ووصى ببلاده للقمص صاحب الرها وهو الذى كان اسره جكرمش واطلقه جاولى سقاوو واتفق ان هذا القمص كان قد سار الى القدس يزور بيعة قمامة فلما وصى اليه بالملك قبله واجتمع له القدس والرها وكان اتابك طغتكين قد سار عن دمشق لقتال الفرنج فنزل بين ديرأيوب وكفر بصل باليرموك فخفيت عنه وفاة بغدوين حتى سمع الخبر بعد ثمانية عشر يوما وبينهم نحو يومين فاتته رسل ملك الفرنج يطلب المهادنة فاقترح عليه طغتكين ترك المناصفة التى بينهم من جبل عوف والحنانة والصلت والغور فلم يجب الى ذلك واظهر القوة فسار طغتكين الى طبرية فنهبها وما حولها وسار منها نحو عسقلان وكانت للمصريين وبها عساكرهم كانوا قد سيروها لما عاد ملك القدس المتوفى عن مصر وكانوا سبعة آلاف فارس فاجتمع بهم طغتكين واعلمه المقدم عليهم ان صاحبهم تقدم اليه بالوقوف عند رأى طغتكين والتصرف على ما يحكم به فاقاموا بعسقلان نحو شهرين ولم يؤثروا في الفرنج أثرا فعاد طغتكين الى دمشق فاتاه الصريخ بان مائة وثلاثين فارسا من الفرنج أخذوا حصنا من اعماله يعرف بالحبس ويعرف بحصن جلدك سلمه اليهم المستحفظ به وقصدوا اذرعات فنهبوها فارسل اليهم تاج الملوك بورى بن طغتكين فانحازوا عنه الى جبل هناك فنازلهم فاتاه أبوه ونهاه عنهم فلم يفعل وطمع فيهم فلما ايس الفرنج قاتلوا قتال مستقتل فنزلوا من الجبل وحملوا على المسلمين حملة صادقة هزموهم بها واسروا وقتلوا خلقا كثيرا وعاد الفل الى دمشق على اسوا حال فسار طغتكين الى حلب وبها ايلغازى فاستنجده وطلب منه المعاضدة على الفرنج

اسماء المشايخ وذهبوا به اليهم ليضعوا ختومهم عليه فامتنع البعض من ذلك وقال هذا كلام لا أصل له ووقع بينهم محاججات ولام الاعاظم الممتنعين على الامتناع وقالوا لهم انتم لستم باورع منا وأثبت لنفسه ورعا وحصل بينهم منافسات ومخالفات ومقابحات ثم غيروا صورة العرضحال باقل من التحامل الاول وكتب عليه بعض الممتنعين وكان من الممتنعين أولا وآخرا السيد أحمد الطحطاوى الحنفى فزادوا في التحامل عليه وخصوصا شيخ السادات والشيخ الامير وخلافهما واتفق انه دعى في وليمة عند الشيخ الشنوانى بحارة خوشقدم وتأخر حضوره عنهم فصادفهم حال دخوله الى المجلس وهم خارجون فسلم عليهم ولم يصافحهم لما سبق منهم في حقه من الايذاء فتطاول عليه ابن الشيخ الامير ورفع صوته بتوبيخه وشتمه لكونه لم يقبل يد والده ويقول له في جملة كلامه اليس هو الاقليل الادب والحياء ثالث طبقة للشيخ الوالد ونحو ذلك (وفى ثامنه) سافر الباشا الى الجهة القبلية وتبعه العساكر (وفى منتصفه) خرجت الدلاة والارنؤد وباقى الاجناد والعسكر واقام الباشا كتخدا بك قائم مقامه وأقام بالقلعة (وفيه) اتفق الاشياخ والمتصدرون على عزل السيد احمد الطحطاوى من افتاء الحنفية واحضروا الشيخ حسين المنصورى وركبوا

فوعده المسير معه فبينما هو بحلب اتاه الخبر بان الفرنج قصدوا اعزاز من اعمال حلب وحصروها ...

دمشق فنهبوا وقتلوا وسبوا وعادوا فاتفق رأى طغتكين وايلغازى على عود طغتكين الى دمشق وحماية بلاده وعود ايلغازى الى ماردين وجمع العساكر والاجتماع على حرب الفرنج فصالح ايلغازى من يليه من الفرنج على ما تقدم ذكره وعبر الى ماردين لجمع العساكر وكان ما نذكره سنة ثلاث عشرة ان شاء الله تعالى

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة انقطع الغيث وعدمت الغلات في كثير من البلاد وكان اشده بالعراق فغلت الاسعار واجلى اهل السواد وتقوت الناس بالنخالة وعظم الامر على اهل بغداد بما كان يفعله منكبرس بهم وفيها اسقط المسترشد بالله من الاقطاع المختص به كل جور وامر ان لا يؤخذ الا ما جرت به العادة القديمة واطلق ضمان غزل الذهب وكان صناع السقلاطون والممزج وغيرهم ممن يعمل منه يلقون شدة من العمال عليها واذى عظيما وفيها تأخر مسير الحجاج تأخرا رجف بسببه بانقطاع الحج من العراق فرتب الخليفة الامير نظر خادم امير الجيوش يمن وولاه من امر الحج ما كان يتولاه امير الجيوش واعطاه من المال ما يحتاج اليه في طريقه وسيره فادركوا الحج وظهرت كفاية نظر وفيها وصل مركبان كبيران فيهما قوة ونجدة للفرنج بالشام فغرقا وكان الناس قد خافوا ممن فيهما وفيها وصل رسول ايلغازى صاحب حلب وماردين الى بغداد يستنفر على الفرنج ويذكر ما فعلوا بالمسلمين في الديار الجزرية وانهم ملكوا قلعة عند الرها وقتلوا اميرها ابن عطير فسيرت الكتب بذلك الى السلطان محمود وفيها انقل المستظهر الى الرصافة وجميع من كان مدفونا بدار الخلافة وفيهم جدة المستظهر ام المقتدى وكان وفاتها بعد المستظهر ورأت البطن الرابع من اولادها وفيها كثر أمر العيارين بالجانب الغربي من بغداد فعبر اليهم نائب الشحنة في خمسين غلاما تركا فقاتلهم فانهزم منهم ثم عبر اليهم من الغد في مائتي غلام فلم يظفر بهم ونهب العيارون يومئذ قطعتا وفي هذه السنة في شعبان توفي أبو الفضل بكر بن محمد بن على بن الفضل الانصاري من ولد جابر بن عبد الله وهو من بلد بخارا وكان من أعيان الفقهاء الحنفية حافظا للمذهب وتوفي أبو طالب الحسين بن محمد بن على بن الحسن الزينبي نقيب النقباء ببغداد في صفر واستقال من النقابة فوليها أخوه طراد وكان من أكابر الحنفية وروى الحديث الكثير وفيها في ذي الحجة توفي أبو زكريا يحيى بن عبد الوهاب ابن منده الاصبهاني المحدث المشهور من بيت الحديث وله فيه تصانيف حسنة وفيها توفي أبو الفضل أحمد بن الخازن وكان أديبا ناظرا يفا له شعر حسن فمنه قوله وقد قصد زيارة صديق له فلم يره فادخله غلمانه الى بستان في الدار وحمام فقال في ذلك

وافيت منزله فلم ار صاحبا * الا تلقانى بوجه ضاحك

والبشر في وجه الغلام نتيجة * لمقدمات ضياء وجه المالك

ودخلت جنته وزرت جحيمه * فشكرت رضوانا ورأفة مالك

بمجيئه وطلعوا به الى القلعة بعد ان مهدوا القضية فالبس قائمقام الشيخ حسينا فروة ثم نزلوا ثم طاف بالسلام عليهم وخلعوا هم عليه ايضا خلعهم فلما بلغ الخبر السيد احمد الطحطاوى طوى الخلع التى كانوا البسوها له عندما تقلد الافتاء بعد موت الشيخ ابراهيم الحريرى في جمادى الاولى بقرب عهد وارسلها لهم وكان الشيخ السادات البسه حين ذاك فروة فلما ردها عليه احتد واغتاظ واخذ يسبه ويذكر لجلسائه جرمه ويقول انظروا الى هذا الخبيث كأنه يجعلنى مثل الكلب الذى يعود في قيئه ونحو ذلك (واما السيد احمد) فانه اعتكف في داره لا يخرج منها الا الى الشيخونية بجواره واعتزلهم وترك الخلطة بهم وتباعد عنهم وهم يبالغون في ذمه والحط عليه لكونه لم يوافقهم في شهادة الزور والحامل لهم على ذلك كله الحظوظ النفسانية والحسد مع ان السيد عمر كان ظلا ظليلا عليهم وعلى أهل البلدة ويدافع ويرافع عنهم وعن غيرهم ولم تقم لهم بعد خروجه من مصر راية ولم يزلوا بعده في انحطاط وانخفاض (واما السيد عمر) فان الذى وقع له بعض ما يستحقه ومن اعان ظالما سلط عليه ولا يظلم ربك احدا (وفى ثالث عشره) سافر حسن باشا وعساكر الارنؤد وتتابعوا في الخروج وتحدث الناس بروايات عن الباشا والامراء المصريين وصلحه معهم وان عثمان (ثم

بك حسن ومحمد بك المنفوخ ومحمد بك الابراهيمي وصلوا عند الباشا وقابلوه ٢٣١ وانه أرسل الى ابراهيم بك الكبير ولده طوسون باشا فتلقاه وأكرمه وأرسل هو أيضا ولده الصغير الى الباشا فأكرمه ووصل الى مصر بعض نسائه وحريمه وحريم الامراء

(واستهل شهر رمضان بيوم الاربعاء سنة ١٢٢٤)

وفي أواخره وصل طائفة من الدلاتية من ناحية الشام ودخلوا الى مصر وهم في حالة رثة كما حضر غيرهم وصحبتهم من المخنثين المعروفين بالخولات الذين يتكلمون بالكلام المؤنث ومعهم دفوف وطنابير (وفي أواخره) حرروا دفتر الاطيان على ضريبة واحدة عن كل فدان خمسة ريالات غير البراني والخدم ولم يحصل في ذلك مراجعة ولا كلام ولا مرافعة في شئ كما وقع في العام الماضي والذي قبله في المراجعة بحسب الري والشراقي وأما في هذه السنة فليس فيها شراقي فحسابها بالمساحة الكاملة لعموم الري فان النيل في هذه السنة زاد زيادة مفرطة وعلا على الاعالي وتلف بزيادته المفرطة الدراوي والأقصاب بقبلي وكذلك غرق مزارع الارز والسمسم والقطن وجنائن كثيرة بالبحر الشرقي بسبب انسداد ترعة الفرعونية بتلك الناحية ولما تمموا تحرير الدفاتر على النسق المطلوب والباشا بقبلي وارسل بطلبها ليطلع عليها فسافر اليه بها المعلم غالي وأخذ صحبته أحد

(ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وخمسمائة)

(ذكر عصيان الملك طغرل على اخيه السلطان محمود)

كان الملك طغرل بن محمد لما توفي والده بقلعة سرجهان وكان مولده سنة ثلاث وخمسمائة في المحرم واقطعه والده سنة أربع ساوة وآوة وزنجان وجعل أتابكه الامير شيركير الذي تقدم ذكره في حصار قلاع الاسماعيلية فازداد ملك طغرل بما فتحه شيركير من قلاعهم فارسل اليه السلطان محمود الامير كنتغدي ليكون اتابكه ومدبر امره ويحمله اليه فلما وصل اليه حسن له مخالفة أخيه وترك المجيء اليه واتفقا على ذلك وسمع السلطان محمود الخبر فارسل شرف الدين انوشروان بن خالد ومعه خلع وتحف وثلاثون ألف دينار ووعد أخاه باقطاع كثير زيادة على ماله اذا قصده واجتمع به فلم تقع الاجابة الى الاجتماع وأجاب كنتغدي باننا في طاعة السلطان واي جهة أراد قصدناها ومعنا من العساكر ما نقاوم بها من يرسم بقصده فبينما الخوض معهم في ذلك ركب السلطان محمود من باب همذان في عشرة آلاف فارس جريدة في جمادى الاولى وكتم مقصده وعزم على ان يكبس أخاه والامير كنتغدي فرأى احد خواصه تركيا من أصحاب الملك طغرل فاعلم السلطان به فقبض عليه فعلم رفيق كان معه الحال فسار عشرين فرسخا في ليلة ووصل الى الامير كنتغدي وهو سكران فايقظه بعد جهد واعلمه الحال فقصد الملك طغرل فعرفه ذلك واخذه متخفيا وقصد قلعة سميران فضلا عن الطريق الى قلعة سرجهان وكانا قد فارقاها وجمعا العساكر وكان ضلالهما هداية لهما الى السلامة فان السلطان محمودا جعل طريقه على سميران وقال انها احصنهما الذي فيه الذخائر والاموال واذا علما بوصوله اليها سارا اليها فربما صادفهما في الطريق فسلما منه بما ظناه عطبا لهما ووصل السلطان الى العسكر فكبسه ونهبه وأخذ من خزانة اخيه ثلاثمائة ألف دينار وذلك المال الذي أنفذه له وأقام السلطان محمود بزنجان وتوجه منها الى الري ونزل طغرل من سرجهان ولحق هو وكنتغدي بكنجة وقصده أصحابه فقويت شوكته وتمكنت الوحشة بينه وبين أخيه محمود

(ذكر الحرب بين سنجر والسلطان محمود)

في هذه السنة في جمادى الاولى كانت حرب شديدة بين سنجر وابن أخيه السلطان محمود ونحن نذكر سياقة ذلك قد ذكرنا سنة ثمان وخمسمائة مسير السلطان سنجر الى غزنة وفتحها وما كان منه فيها ثم عاد منها الى خراسان فلما بلغه وفاة أخيه السلطان محمد وجلوس ولده السلطان محمود في السلطنة وهو زوج ابنة سنجر لحقه حزن عظيم لموت أخيه وأظهر من الجزع والحزن ما لم يسمع بمثله وجلس للعزاء على الرماد واغلق البلد سبعة أيام وتقدم الى الخطباء بذكر السلطان محمد بمحاسن أعماله من قتال الباطنية واطلاق المكوس وغير ذلك وكان سنجر يلقب بناصر الدين فلما توفي أخوه محمد

افندى اليتيم من طرف الروزنامه وعبد الله بكتاش الترجمان فذهبوا اليه باسيوط واطلعوه عليها الخ ثم علمنا
وانقضى شهر رمضان

(واستهل شهر شوال بيوم الخميس سنة ١٢٢٤)

فى ثالث عشره حضر المعلم غالى واحمد افندى و بكتاش وغيرهم من غيبتهم وحضر أيضا فى اثرهم المعلم جرجس الجوهرى وقد تقدم انه خرج من مصر هاربا الى الجهة القبلية واختفى مدة ثم حضر بامان الى الباشا وقابله واكرمه ولما حضر نزل فى بيته الذى بحارة الونديك وفرشه له المعلم غالى وقام له بجميع لوازمه وذهب الناس مسلمهم ونصرانيهم وعالمهم وجاهلهم للسلام عليه (وفى يوم الثلاثاء عشرينه) وصل الباشا على حين غفلة الى مصر فى تطريدة وقد وصل من أسيوط الى ناحية مصر القديمة فى ثلاثين ساعة وصحبته ابنه طوسون وبونابارته الخازندار وسليمان أغا الوكيل سابقا لاغير فركبوا حميرا متنكرين حتى وصلوا الى القلعة من ناحية الجبل وطلع من باب الجبل وعند طلوعه من السفينة أمر ملاحيها ان لايذكروا لاحد وصوله حتى يسمعوا ضرب المدافع من القلعة ثم طلع الى سرايته ودخل الى الحريم فلم يشعروا به الا وهو بالحريم وعند ذلك أمر بضرب المدافع واشيع حضوره فركب كتخدا بك وغيره مسرعين لملاقاته ثم بلغهم طلوعه الى

تلقب بمعز الدين وهو لقب ابيه ملكشاه وعزم على قصد بلد الجبل والعراق ومابيد محمود ابن أخيه فندم على قتل وزيره ابى جعفر محمد بن فخر الملك ابى المظفر بن نظام الملك وكان سبب قتله انه اوحش الامراء واستخف بهم فابغضوه وكرهوه وشكوا منه الى السلطان وهو بغزنة فاعلمهم انه يؤثر قتله وليس يمكنه فعل ذلك بغزنة وكان سنجر قد تغير على وزيره لاسباب منها انه اشار عليه بقصد غزنة فلما وصل الى بست ارسل ارسلانشاه صاحبها الى الوزير وضمن له خمسمائة الف دينار ليثنى سنجر عن قصده فاشار عليه بمصالحته والعود عنه وفعل مثل ذلك بماوراء النهر ومنها انه نقل عنه انه اخذ من غزنة اموالا جليلة عظيمة المقدار ومنها ماذكر من ايحاشه الامراء وغير هذه الاسباب فلما عاد الى بلخ قبض عليه وقتله واخذ ماله وكان له من الجواهر والاموال مالاحد عليه والذى وجد له من العين الفا الف دينار فلما قتله استوزر بعده شهاب الاسلام عبد الرزاق ابن اخى نظام الملك ويعرف بابن الفقيه الا انه لم تكن له منزلة ابن فخر الملك عند الناس فى علو المنزلة فلما اتصل به وفاة اخيه ندم على قتله لانه كان يبلغ به من الاغراض والملك مالايبلغه بكثرة العساكر لميل الناس اليه ومحله عندهم ثم ان السلطان محمودا أرسل الى عمه سنجر شرف الدين انوشروان بن خالد وفخر الدين طغايرك بن اليزن ومعهما الهدايا والتحف وبذل له النزول عن مازندران وحمل مائتى الف دينار كل سنة فوصلا اليه وابلغاه الرسالة فتجهز ليسير الى الرى فاشار عليه شرف الدين انوشروان بترك القتال والحرب فكان جوابه فى ذلك ان ولد اخى صبى وقد تحكم عليه وزيره والحاجب على فلما سمع السلطان محمود بمسير عمه نحوه ووصول الامير انر فى مقدمته الى جرجان تقدم الى الامير على بن عمر وهو امير حاجب السلطان محمد وبعده صار امير حاجب السلطان محمود بالمسير وضمن له جمعا كثيرا من العساكر والامراء فاجتمعوا فى عشرة آلاف فارس فساروا الى ان قاربوا مقدمة سنجر التى عليها الامير انر فراسله الامير على بن عمر يعرفه وصية السلطان محمد بتعظيم سنجر والرجوع الى امره ونهيه والقبول منه وانه ظن ان سنجر يحفظ السلطنة على ولده السلطان محمود واخذ علينا بذلك العهود فليس لنا ان نخالفه وحيث جئتم الى بلادنا لانحتمل ذلك ولا نغضى عليه وقد علمت ان معك خمسة آلاف فارس فانا أرسل اليك أقل منهم لتعلم انكم لاتقاومونا ولاتقوون بنا فلما سمع الامير انر ذلك عاد عن جرجان ولحقه بعض عسكر السلطان محمود فاخذوا قطعة من سواده وأسروا عدة من أصحابه وكان السلطان محمود قد وصل الى الرى وهو بها وعاد الامير على بن عمر اليه فشكره على فعله واثنى عليه وعلى عسكره الذين معه وأشير على السلطان محمود بملازمة الرى والمقام بها وقيل ان عساكر خراسان اذا علموا بمقامك فيها لايفارقون حدودهم ولايتعدون ولايتم فلم يقبل ذلك وضجر من المقام وسار الى جرجان ووصل السلطان محمودا الامير منكبرس من العراق فى عشرة آلاف فارس والامير منصور بن صدقة أخو دبيس والامراء البكجية وغيرهم وسار محمود الى همذان وتوفى بها وزيره الربيب واستوزر أباطالب السميرمى وبلغه وصول عمه سنجر

الى

الى الرى فسار نحوه قاصدا قتاله فالتقيا بالقرب من ساوة ثانى جمادى الاولى من السنة
وكان عسكر السلطان محمود قد عرفوا المفازة التى بين يدى عسكر سنجر وهى ثمانية
ايام فسبقوهم الى الماء وملكوه عليهم وكان العسكر الخراسانى فى عشرين الفا
ومعهم ثمانية عشر فيلا اسم كبيرها باذ وهو من الامراء الكبار ولد الامير ابى الفضل
صاحب سجستان وخوارزم شاه محمد والامير انز والامير قماج واتصل به علاء الدولة
كرشاسف بن فرامرز بن كاكويه صاحب يزد وهو صهر السلطان محمد وسنجر على اختهما
وكان أخص الناس بالسلطان محمد فلما تولى السلطان محمود تأخر عنه فاقطع بلده لقراجة
الساقى الذى صار صاحب بلاد فارس فسار حينئذ علاء الدولة الى سنجر وهو من ملوك
الديلم وعرف سنجر الاحوال والطريق الى قصد البلاد وما فعله الامراء من اخذ الاموال
وماهم عليه من اختلاف الاهواء وحسن قصد البلاد وكان عسكر السلطان محمود
ثلاثين الفا ومن الامراء الكبار الامير على بن عمر امير حاجب والامير منكبرس واتابكه
غزغلى وبنو برسق وسنقر البخارى وقراجة الساقى ومعه تسعمائة حمل من السلاح
واستهان عسكر محمود بعسكر عمه بكثرتهم وشجاعتهم وكثرة خيلهم فلما التقوا ضعفت
نفوس الخراسانية لما رأوا لهذا العسكر من القوة والكثرة فانهزمت ميمنة سنجر وميسرته
واختلط اصحابه واضطرب امرهم وساروا منهزمين لا يلوون على شئ ونهب من اثقالهم
شئ كثير وقتل أهل السواد كثيرا منهم ووقف سنجر بين الفيلة فى جمع من اصحابه
وبازائه السلطان محمود ومعه اتابكه غزغلى فالجأت سنجر الضرورة عند تعاظم الخطب
عليه ان يقدم الفيلة للحرب وكان من بقى معه قد اشاروا عليه بالهزيمة فقال اما النصر
أو القتل وأما الهزيمة فلا فلما تقدمت الفيلة ورآها خيل محمود تراجعت باصحابها
على اعقابها فاشفق سنجر على السلطان محمود فى تلك الحال وقال لاصحابه لا تفزعوا
الصبى بحملات الفيلة فكفوها عنهم وانهزم السلطان محمود ومن معه فى القلب وأسر
اتابكه غزغلى فكان يكاتب السلطان ويعده انه يحمل اليه ابن أخيه فعاتبه على
ذلك فاعتذر بالعجز فقتله وكان ظالما قد بالغ فى ظلم أهل همذان فجعل الله عقوبته
ولما تم النصر والظفر للسلطان سنجر ارسل من أعاد المنهزمين من أصحابه اليه ووصل
الخبر الى بغداد فى عشرة أيام فارسل الامير دبيس بن صدقة الى المسترشد بالله فى
الخطبة للسلطان سنجر فخطب له فى السادس والعشرين من جمادى الاولى وقطعت
خطبة السلطان محمود واما السلطان محمود فانه سار من الكسرة الى اصبهان ومعه وزيره
ابو طالب السميرمى والامير على بن عمر وقراجة واما سنجر فانه سار الى همذان فراى
قلة عسكره واجتماع العساكر على ابن اخيه فراسله فى الصلح وكانت والدته تشير
عليه بذلك وتقول قد استوليت على غزنة واعمالها وما وراء النهر وملكت ما لا حد
عليه وقررت الجميع على اصحابه فاجعل ولد اخيك كاحدهم وكانت والدة سنجر
هى جدة السلطان محمود فاجاب الى قولها ثم كثرت العساكر عند سنجر منهم البرسقى
وكان عند الملك مسعود باذربيجان من حين خروجه عن بغداد الى هذه الغاية

القلعة فرجعوا على أثره وكان الخواجا محمود حسن البرزجان خرج الافانه قبل وصوله بثلاثة أيام الى ناحية الآثار
وأخرج معه مطابخ واغناما
واستعد لقدومه استعدادا
زائدا وذهب تعبه فى الفارغ
البطال ثم بعد وصول الباشا
بثلاثة أيام وصلت طوائف
العسكر وعظائمهم ومعهم
المنهوبات من الغلال والاغنام
والفحم والحطب والقلل
وأنواع التمر وغير ذلك حتى
أخشاب الدور وابوابها (وفى
يوم الاثنين) وصل حسن
باشا وطوائف الارنؤود وصالح
قوج والدلاة والترك ووصل
أيضا شاهين بك الالفى
وصحبته محمد بك المنفوخ
المرادى ومحمد بك الابراهيمى
وهم الذين حضروا فى هذه
المرة من المخالفين وقيل ان
البواقى اخذوا مهلة لبعد التحضير
واما ابراهيم بك تابع الاشقر
ومحمد اغا تابع مراد بك الصغير
وصحبتهما عساكر فذهبا الى
ناحية السويس بسبب
وصول طائفة من العربان
قالوا انها من التابعة للوهابيين
حضروا واقاموا عند بئر الماء
ومنعوا السقيا منها
* (واستهل شهر ذى القعدة
بيوم السبت سنة ١٢٢٤) *
فيه حضر ابراهيم بك ابن
الباشا وباقى العسكر وسكنوا
الدور وازعجوا الناس واخرجوهم
من مساكنهم ومنازلهم
ببولاق ومصر وغيرهما
واتفق ان بعض ذوى المكر من العسكر عندما أراد السفر الى جهة قبلى أرسل لصاحب

الدار التي هو غاصبها وساكن فيها فاحضره وسلمه المفتاح وهو يقول له تسلم يا اخي دارك واسكنها بارك الله لك
فيها وسامحني وأبرئ ذمتي فربما اني أموت ولا ارجع ولان الكثير منهم تولى المناصب والامريات بالجهة القبلية وعندما يتسلم صاحب الدار داره يفرح بخلاصها ويشرع في عمارتها واعادة ما تهدم منها فيكلف نفسه ولو بالدين ويعمرها لخفاه والا أن عم العمارة والمرمة في مدة غيبتهم فما يشعر الا وصاحبه داخل عليه بحصانه وجمله وخدمه فما يسع الشخص الا الرحلة ويتركها لغريمه وقد وقع ذلك لكثير من الناس المغفلين (وفيه) وصلت أخبار بان عمارة الفرنساوية نزلت الى البحر وعدة مراكبهم مائتان وسبعة عشر مركبا حار بين لا يعلم قصدهم أي جهة من الجهات وحضر ثلاثة أشخاص من الططر المعدين لتوصيل الاخبار وبيدهم مرسوم مضمونه الامر بالتحفظ على الثغور فعند ذلك امر الباشا بالاستعداد وخروج العساكر الى الثغور (وفي يوم السبت) ثامنه سافر جملة من العسكر الى ناحية بحرى فسافر كبير منهم ومعه جملة من العسكر الى سكندرية وكذلك سافر خلافه الى رشيد والى دمياط وأبي قير والبرلس (وفي ليلة الاثنين ثامن عشره) ركب الباشا ليلا وخرج مسافرا الى السويس ليكشف على قلاع القلزم وقام له بالاحتياجات من احمال واستبشر

فقوى بهم فعاد الرسول وابلغه عن الامراء الذين مع السلطان محمود انهم لا يصالحونه حتى يعود الى خراسان فلم يجب الى ذلك وسار من همذان الى كرج واعاد مراسلة السلطان محمود في الصلح ووعده ان يجعله ولي عهده فاجاب الى ذلك واستقر الامر بينهما وتحالفا عليه وسار السلطان محمود الى عمه سنجر في شعبان فنزل على جدته والدة سنجر واكرمه عمه وبالغ في ذلك وحمل له السلطان محمود هدية عظيمة فقبلها ظاهرا وردها باطنا ولم تقبل منه سوى خمسة افراس عربية وكتب السلطان سنجر الى سائر الاعمال التي بيده كخراسان وغزنة وما وراء النهر وغيرها من الولايات بان يخطب للسلطان محمود بعده وكتب الى بغداد مثل ذلك واعاد عليه جميع ما اخذ من البلاد سوى الري وقصد باخذها ان تكون له في هذه الديار لئلا يحدث السلطان محمود نفسه بالخروج

(ذكر غزاة ايلغازي بلاد الفرنج)

في هذه السنة سار الفرنج من بلادهم الى نواحي حلب فملكوا بزاعة وغيرها واخربوا بلد حلب ونازلوها ولم يكن بحلب من الذخائر ما يكفيها شهرا واحدا وخافهم اهلها خوفا شديدا ولو مكنوا من القتال لم يبق بها احد لكنهم منعوا من ذلك وصانعوا الفرنج اهل حلب على ان يقاسموهم على املاكهم التي بباب حلب فارسل اهل البلد الى بغداد يستغيثون ويطلبون النجدة فلم يغاثوا وكان الامير ايلغازي صاحب حلب ببلد ماردين يجمع العساكر والمتطوعة للغزاة فاجتمع عليه نحو عشرين الفا وكان معه اسامة بن المبارك بن شبل الكلابي والامير طغان ارسلان بن المكر صاحب بدليس وارزن وسار بهم الى الشام عازما على قتال الفرنج فلما علم الفرنج قوة عزمهم على لقائهم وكانوا ثلاثة آلاف فارس وتسعة آلاف راجل ساروا فنزلوا قريبا من الاثارب بموضع يقال له تل عفرين بين جبال ليس لها طريق الا من ثلاث جهات وفي هذا الموضع قتل شرف الدولة مسلم بن قريش وظن الفرنج ان احدا لا يسلك اليهم لضيق الطريق فاخلدوا الى المطاولة وكانت عادتهم اذا رأوا قوة من المسلمين راسلوا ايلغازي يقولون له لا تتعب نفسك بالمسير الينا فنحن واصلون اليك فاعلم اصحابه بما قالوه واستشارهم فيما يفعل فاشاروا بالركوب من وقته وقصدهم ففعل ذلك وسار اليهم ودخل الناس من الطرق الثلاثة ولم تعتقد الفرنج ان احدا يقدم عليهم لصعوبة المسلك اليهم فلم يشعروا الا واوائل المسلمين قد غشيهم فحمل الفرنج حملة منكرة فولوا منهزمين فلقوا باقي العسكر متتابعة فعادوا معهم وجرى بينهم حرب شديدة واحاطوا بالفرنج من جميع جهاتهم واخذهم السيف من سائر نواحيهم فلم يفلت منهم غير نفر يسير وقتل الجميع واسروا وكان في جملة الاسرى نيف وسبعون فارسا من مقدميهم وحملوا الى حلب فبذلوا في نفوسهم ثلثمائة الف دينار فلم يقبل منهم وغنم المسلمون منهم الغنائم الكثيرة واما سيرجال صاحب انطاكية فانه قتل وحمل رأسه وكانت الوقعة منتصف شهر ربيع الاول فمما مدح به ايلغازي في هذه الوقعة قول العظيمي

قل ما تشاء فقولك المقبول * وعليك بعد الخالق التعويل

المساء والعليق والزوادة واللوازم السيد محمد المحروقي وكان خروجه ومن معه ٢٣٥ على الهجن (وفي ليلة الاحد رابع عشرينه) حضر الباشا من السويس وكان وصوله ليلا وطلع الى القلعة

(واستهل شهر ذي الحجة بيوم الاحد سنة ١٢٢٤)

فيه شرع الباشا في انشاء مراكب ببحر القلزم فطلب الاخشاب الصالحة لذلك وارسل المعينين لقطع أشجار التوت والنبق من القطر المصري القبلي والبحري وغيرها من الاخشاب المجلوبة من الروم وجعل بساحل بولاق ترسخانه وورشات وجمعوا الصناع والنجارين والنشارين فيهيئونها وتحمل اخشابا على الجمال ويركبها الصناع بالسويس سفينة ثم يقلفطونها ويبيضونها ويلقونها في البحر فعملوا اربع سفائن كبار احداها تسمى الابريق وخلاف ذلك داوات تحمل السفار والبضائع (ومن الحوادث) في آخره ان امراة ذهبت الى عرصة الغلة بباب الشعرية واشترت حنطة ودفعت في ثمنها قروشا فلما ذهبت نظروها ونقدوها فاذا هي من عمل الزغلية ثم عادت بعد ايام فاشترت الغلة ودفعت الثمن قروشا ايضا فذهب البائع معها الى الصيرفي فوجدها مزغولة مثل الاولى فعلموا انها الغريمة فقال لها الصيرفي من اين لك هذا فقالت من زوجي فقبضوا عليها واتوا بها الى الاغا فسالها الاغا عن زوجها فقالت هو

واستبشر القرآن حين نصرته * وبكى لفقد رجاله الانجيل

ثم تجمع من سلم من المعركة مع غيرهم فلقيهم ايلغازي أيضا فهزمهم وفتح منهم حصن الاثارب وزردنا وعاد الى حلب وقرر أمرها واصلح حالها ثم عبر الفرات الى ماردين

(ذكر وقعة أخرى مع الفرنج)

في هذه السنة سار جوسلين صاحب تل باشر في جمع من الفرنج نحو مائتي فارس من طبرية فكبس طائفة من طيء يعرفون ببني خالد فاخذهم وأخذ غنائمهم وسالهم عن بقية قومهم من بني ربيعة فاخبروه انهم من وراء الحزن بوادي السلالة بين دمشق وطبرية فقدم جوسلين مائة وخمسين فارسا من أصحابه وسار هو في خمسين فارسا على طريق آخر وواعدهم الصبح ليكبسوا بني ربيعة فوصلهم الخبر بذلك فارادوا الرحيل فمنعهم أميرهم من بني ربيعة وكانوا في مائة وخمسين فارسا فوصلهم المائة والخمسون من الفرنج معتقدين ان جوسلين قد سبقهم أو سيدركهم فاضل الطريق وتساوت العدتان فاقتتلوا وطعنت العرب خيولهم فقتلوا أكثرهم رجالة وظهر من أميرهم شجاعة وحسن تدبير وجودة رأي فقتل من الفرنج سبعون وأسر اثنا عشر من مقدميهم بذل كل واحد في فداء نفسه مالا جزيلا وعدة من الاسرى وأما جوسلين فانه ضل في الطريق وبلغه خبر الوقعة فسار الى طرابلس فجمع بها جمعا واسرى الى عسقلان فاغار على بلدها فهزمه المسلمون هنالك فعاد مغلولا

(ذكر قتل منكوبرس)

في هذه السنة قتل الامير منكوبرس الذي كان شحنة بغداد وقد تقدم حاله وكان سبب قتله انه لما انهزم مع السلطان محمود وعاد الى بغداد نهب عدة مواضع من طريق خراسان واراد دخول بغداد فسير اليه دبيس بن صدقة من منعه فعاد وقد استقر الصلح بين السلطانين سنجر ومحمود فقصد السلطان سنجر فدخل اليه ومعه سيف وكفن فقال له انا لا أؤاخذ احدا وسلمه الى السلطان محمود وقال هذا مملوكك فاصنع به ما تريد فاخذه وكان في نفسه منه غيظ شديد لاسباب منها انه لما توفي السلطان محمد أخذ سريته والدة الملك مسعود قهرا قبل انقضاء عدتها ومنها جراءته عليه واستبداده بالامور دونه ومسيره الى شحنكية بغداد والسلطان كاره لذلك لكنه لم يقدر على منعه ومنها ما فعله بالعراق من الظلم الى غير ذلك فقتله صبرا وأراح العباد والبلاد من شره

(ذكر قتل الامير علي بن عمر)

في هذه السنة أيضا قتل الامير علي بن عمر حاجب السلطان محمد وكان قد صار اكبر أمير مع السلطان محمود وانقادت العساكر له فحسده الامراء وأفسدوا حاله مع السلطان محمود وحسنوا له قتله فعلم فهرب الى قلعة برجين وهي بين برجرد وكرج وكان بها اهله وماله وسار منها في مائتي فارس الى خوزستان وكانت بيد اقبوري بن برسق

وابنى أخويه أرغلى بن يلبكى وهندو بن زنكى فارسل اليهم وأخذ عهودهم بامانه وحمايته فلما ساراليهم أرسلوا عسكرا منعوه من قصدهم فلقوه على ستة فراسخ من تستر فاقتتلوا فانهزم هو واصحابه فوقف به فرسه فانتقل الى غيره فتشبث ذيله بسرجه الاول فما زال فعاود التعلق فابطأ فادركوه واسروه وكاتبوا السلطان محمودا فى امره فامرهم بقتله فقتل وحمل راسه اليه

❁(ذكر الفتنة بين المرابطين واهل قرطبة)❁

فى هذه السنة وقيل سنة اربع عشرة كانت فتنة بين عسكر امير المسلمين على بن يوسف و بين اهل قرطبة وسببها ان امير المسلمين استعمل عليها ابا بكر يحيى بن رواد فلما كان يوم الاضحى خرج الناس متفرجين فمد عبد من عبيد ابى بكر يده الى امراة فامسكها فاستغاثت بالمسلمين فاغاثوها فوقع بين العبيد واهل البلد فتنة عظيمة ودامت جميع النهار والحرب بينهم قائمة على ساق فادركهم الليل فتفرقوا فوصل الخبر الى الامير ابى بكر فاجتمع اليه الفقهاء والاعيان فقالوا المصلحة ان تقتل واحدا من العبيد الذين اثاروا الفتنة فانكر ذلك وغضب منه واصبح من الغد واظهر السلاح والعدد يريد قتال اهل البلد فركب الفقهاء والاعيان والشبان من اهل البلد وقاتلوه فهزموه وتحصن بالقصر فحصروه وتسلقوا اليه فهرب منهم بعد مشقة وتعب فنهبوا القصر واحرقوا جميع دور المرابطين ونهبوا اموالهم واخرجوهم من البلد على اقبح صورة واتصل الخبر بامير المسلمين فكره ذلك واستعظمه وجمع العساكر من صنهاجة وزناتة والبربر وغيرهم فاجتمع له منهم جمع عظيم فعبر اليهم سنة خمس عشرة وخمسمائة وحصر مدينة قرطبة فقاتله اهلها قتال من يريد ان يحمى دمه وحريمه وماله فلما راى امير المسلمين شدة قتالهم دخل السفراء بينهم وسعوا فى الصلح فاجابهم الى ذلك على ان يغرم اهل قرطبة المرابطين ما نهبوه من اموالهم واستقرت القاعدة على ذلك وعاد عن قتالهم

❁(ذكر ملك على بن سكمان البصرة)❁

فى هذه السنة استولى على بن سكمان على البصرة وسبب ذلك ان السلطان محمدا كان قد اقطع البصرة الامير آقسنقر البخارى فاستخلف بها نائبا يعرف بسنقر البياتى فاحسن السيرة الى حد ان الماء بالبصرة ملح فاقام سفنا وجرارا للضعفاء والسابلة تحمل لهم الماء العذب فلما توفى السلطان محمد عزم هذا الامير سنقر على القبض على امير اسمه غزغلى مقدم الاتراك الاسماعيلية وهو متحكم بالناس على البصرة عدة سنين وعلى امير آخر اسمه سنقر الب وهو مقدم الاتراك البلدقية فاجتمعا عليه وقبضاه وقيداه واخذا القلعة وما وجداه له ثم ان سنقر الب اراد قتله فمنعه غزغلى فلم يقبل منه فلما قتله وثب غزغلى على سنقر الب فقتله ونادى فى الناس بالسكون واطمانوا وكان امير الحاج من البصرة هذه السنة اميرا اسمه على بن سكمان احد الامراء البلدقية

عطار بسوق الازهر فاخذها الاغا وحضر بها الى بيت الشيخ الشرقاوى بعد العشاء واحضر وازوجها وسالوه

فقال انا اخذتها من فلان تابع الشيخ الشرقاوى فانفعل الشيخ وقال ان يكن هو ابنى فانا برىء منه وطلبوه فتغيب واختفى واخذ الاغا المراة وزوجها وقررهما فاقر الرجل وعرف عن عدة اشخاص يفعلون ذلك وفيهم من مجاورى الازهر فلم يزل يتجسس ويتفحص ويستدل على البعض بالبعض وقبض على اشخاص ومعهم العدد والآلات وحبسهم ايضا بالقلعة عند كتخدا بك وفر ناس من مجاورى الازهر من مصر لما قام بهم من الوهم وفى كل يوم يشاع التنكيل والتجريس للمقبوض عليهم وقتلهم ولم يزل الاغا يتجسس حتى جمعوا ست عشرة عدة وارسلوها الى بيت محمد افندى ناظر المهمات وسالوا الحدادين عمن اصطنع هذه العدد منكم فانكروا وجحدوا وقالوا هذا من صناعة الشام ثم كسروها وابطلوها وطال امر المحبوسين والتفحص عن غيرهم فكان بعض المقبوض عليهم يعرف عن غيره او شريكه فكانت هذه الحادثة من اشنع الحوادث خصوصا بنسبتها لخطة الازهر فكان كل من اشترى شيئا ودفع الثمن للبائع قروشا ذهب بها الى الصيرفى لان فى ذلك الوقت لم يكن موجودا بايدى الناس خلافها وكانوا يقولون فى ذهابهم الى الصيرفى وكان

وكان فى نفس غزغلى عليه حقد حيث تم الحج على يده ولانه خاف أن يأخذ بثار سنقر البرسقى اذ هو قدم البلاد قبله فارسل غزغلى الى عرب البرية يامرهم بقصد الحجاج ونهبهم فطمعوا بذلك وقصدوا الحجاج فقاتلوهم وحماهم ابن سكمان وأبلى بلاء حسنا وجعل يقاتلهم وهو سائر نحو البصرة الى ان بقى بينه وبين البصرة يومان فارسل اليه غزغلى يمنعه من قصد البصرة فقصد العونى أسفل دجلة هذا والعرب يقاتلونه فلما وصل الى العونى حمل على العرب حملة صادقة فهزمهم وسار غزغلى الى على بن سكمان فى عدد كثير وكان على فى قلة فتحاربوا واقتتلت الطائفتان فاصابت فرس غزغلى نشابة فسقط وقتل وسار على الى البصرة فدخلها وملك القلعة واقر عمال آقسنقر البخارى ونوابه وكاتبه بالطاعة وكان عند السلطان وساله ان يكون نائبا عنه بالبصرة فلم يجبه آقسنقر الى ذلك فطرد حينئذ نواب آقسنقر واستولى على البلد وتصرف تصرف الاصحاب مستبدا واستقر فيه واحسن السيرة الى سنة اربع عشرة فسير السلطان محمود الامير آقسنقر البخارى فى عسكر الى البصرة فاخذها من على بن سكمان

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة امر السلطان سنجر باعادة مجاهد الدين بهروز الى شحنكية العراق وكان بها نائب دبيس بن صدقة فعزل عنها وفيها فى ربيع الاول توفى الوزير ربيب الدولة وزير السلطان محمود ووزر بعده الكمال السميرمى وكان ولد ربيب الدولة وزير المسترشد فعزل واستعمل بعده عميد الدولة أبو على بن صدقة ولقب جلال الدين وهذا الوزير وهو عم الوزير جلال الدين ابى الرضا صدقة الذى وزر للراشد والاتابك زنكى على ما نذكره وفيها ظهر قبر ابراهيم الخليل وقبور ولديه اسحق ويعقوب عليهم السلام بالقرب من البيت المقدس ورآهم كثير من الناس لم تبل اجسادهم وعندهم فى المغارة قناديل من ذهب وفضة هكذا ذكره حمزة بن اسد التميمى فى تاريخه والله أعلم وفيها فى المحرم توفى قاضى القضاة ابو الحسن على بن محمد الدامغانى ومولده فى رجب سنة تسع واربعين واربعمائة وولى القضاء بباب الطاق من بغداد الى الموصل وله من العمر ست وعشرون سنة وهذا شئ لم يكن لغيره ولما توفى ولى قضاء القضاة الاكمل ابو القاسم على بن ابى طالب الحسين بن محمد الزينبى وخلع عليه ثالث صفر وفيها هدم تاج الخليفة على دجلة للخوف من انهدامه وهذا التاج بناه امير المؤمنين المكتفى بعد سنة تسعين ومائتين وفيها تاخر الحج فاستغاث الناس وارادوا كسر المنبر بجامع القصر فارسل الخليفة الى دبيس ابن صدقة ليساعد الامير نظر على تسيير الحجاج فاجاب الى ذلك وكان خروجهم من بغداد ثانى عشر ذى القعدة وتوالت عليهم الامطار الى الكوفة وفيها أرسل دبيس بن صدقة القاضى أبا جعفر عبد الواحد بن أحمد الثقفى قاضى الكوفة الى ايلغازى بن ارتق بماردين يخطب ابنته فزوجها منه ايلغازى وحملها الثقفى معه الى الحلة واجتاز بالموصل وفيها فى جمادى الاولى توفى ابو الوفاء على بن عقيل بن محمد بن عقيل شيخ الحنابلة فى وقته ببغداد وكان حسن المناظرة سريع الخاطر وكان قد اشتغل بمذهب المعتزلة فى حداثته

لربما يكونون ازهرية ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وانقضت السنة بحوادثها التى منها ما اذكر (ومنها) احداث بدعة المكس على النشوق وذلك ان بعض المتصدرين من نصارى الاروام انهى الى كتخدا بك امر النشوق وكثرة المستعملين له والدقاقين والباعة وانه اذا جمعت دقاقوه وصناعه فى مكان واحد ويجعل عليهم مقادير يلتزم به ويضبط رجاله وجمع ماله وايصاله الى الخزينة ممن يكون ناظرا او قيما عليه كغيره من اقلام المكوس التى يعبرون عنها بالجمارك فانه يتحصل من ذلك مال له صورة فلما سمع كتخدا بك ذلك انهاه الى مخدومه فامر فى الحال بكتابة فرمان بذلك واختار الذى جعلوه ناظرا على ذلك خانا بخطة بين الصورين ونادوا على جميع صناع النشوق وجمعوهم بذلك الخان ومنعوهم من جلوسهم بالاسواق والخطط المتفرقة والقيم على ذلك يشترى الدخان المعد لذلك من تجاره بثمن معلوم حدده لا يزيد على ذلك ولا يشتريه سواه وهو يبيعه على صناع النشوق بثمن حدده ولا ينقص عنه ومن وجده باع شيئا من الدخان او اشتراه او سحق نشوقا خارجا عن ذلك الخان ولو لخاصة نفسه قبضوا عليه وعاقبوه وغرموه مالا وعينوا معينين لجميع القرى والبلدان القبلية والبحرية ومعهم من ذلك الدخان فياتون الى

على أبي الوليد فاراد الحنابلة قتله فاستجار بباب المراتب عدة سنين ثم اظهر التوبة حتى تمكن من الظهور وله مصنفات من جملتها كتاب الفنون

(ثم دخلت سنة اربع عشرة وخمسمائة)

(ذكر عصيان الملك مسعود على اخيه السلطان محمود والحرب بينهما)

في هذه السنة في ربيع الاول كان المصاف بين السلطان محمود واخيه الملك مسعود ومسعود حينئذ له الموصل واذربيجان وكان سبب ذلك ان دبيس بن صدقة كان يكاتب جيوش بك أتابك مسعود يحثه على طلب السلطنة للملك مسعود ويعده المساعدة وكان غرضه ان يختلفوا فينال من الجاه وعلو المنزلة ما ناله أبوه باختلاف السلطانين بركيارق ومحمد ابني ملكشاه على ما ذكرناه وكان قسيم الدولة البرسقي أتابك الملك مسعود قد فارق شحنكية بغداد وقد أقطعه مسعود مراغة مضافة الى الرحبة وبينه وبين دبيس عداوة محكمة فكاتب دبيس جيوش بك يشير عليه بقبض البرسقي وينسبه الى الميل الى السلطان محمود وبذل له مالا كثيرا على قبضه فعلم البرسقي ذلك ففارقهم الى السلطان محمود فاكرمه واعلى محله وزاد في تقديمه واتصل الاستاذ أبو اسمعيل الحسين بن علي الاصبهاني الطغرائي بالملك مسعود فكان ولده أبو المؤيد محمد ابن أبي اسمعيل يكتب الطغراء مع الملك فلما وصل والده استوزره مسعود بعد ان عزل أبا علي بن عمار صاحب طرابلس سنة ثلاث عشرة بباب خوي فحسن ما كان دبيس يكاتب به من مخالفة السلطان محمود والخروج عن طاعته وظهر ما هم عليه من ذلك فبلغ السلطان محمود الخبر فكتب اليهم يخوفهم ان خالفوه ويعدهم الاحسان ان أقاموا على طاعته وموافقته فلم يصغوا الى قوله وأظهروا ما كانوا عليه وما يسرونه وخطبوا للملك مسعود بالسلطنة وضربوا له النوب الخمس وكان ذلك على تفرق من عساكر السلطان محمود فقوي طمعهم واسرعوا السير اليه ليلقوه وهو مخف من العساكر فاجتمع اليه خمسة عشر الفا فسار أيضا اليهم فالتقوا عند عقبة اسداباذ منتصف ربيع الاول واقتتلوا من بكرة الى آخر النهار وكان البرسقي في مقدمة السلطان محمود وابلى يومئذ بلاء حسنا فانهزم عسكر الملك مسعود آخر النهار واسر منهم جماعة كثيرة من اعيانهم ومقدميهم واسر الاستاذ أبو اسمعيل وزير مسعود فامر السلطان بقتله وقال قد ثبت عندي فساد دينه واعتقاده فكانت وزارته سنة وشهرا وقد جاوز ستين سنة وكان حسن الكتابة والشعر يميل الى صنعة الكيمياء وله فيها تصانيف قد ضيعت من الناس اموالا لا تحصى واما الملك مسعود فانه لما انهزم اصحابه وتفرقوا قصد جبلا بينه وبين الوقعة اثنا عشر فرسخا فاختفى فيه ومعه غلمان صغار فارسل ركابيه عثمان الى اخيه يطلب له الامان فسار الى السلطان محمود واعلمه حال أخيه مسعود فرق له وبذل له الامان وامر آقسنقر البرسقي بالمسير اليه وتطييب قلبه واعلامه بعفوه عنه واحضاره فكان مسعود بعد ان ارسل يطلب الامان قد وصل بعض الامراء اليه وحسن له اللحاق

بالموصل

القرية ويطلبون مشايخها ويعطوهم قدرا ووزنا ويلزمونهم بالثمن المعين بالمرسوم الذي بيدهم فيقول اهل القرية نحن لا نستعمل القشوق ولا نعرفه ولا يوجد عندنا من يصنعه وليس لنا به حاجة ولا نشتريه ولا ناخذه فيقال لهم ان لم تاخذوه فهاتوا ثمنه فان اخذوه اولم ياخذوه فهم ملزومون بدفع القدر المعين المرسوم ثم كراء طريق المعينين وكلفتهم وعليق دوابهم (ومنها) ايضا النطرون فرقوه وفرضوه على القرى محتجين ايضا باحتياج الحياكة والقزازين اليه لغسل غزل الكتان وبياض قماشه ونحو ذلك واشنع من ذلك كله انهم ارادوا فعل مثل هذا في الشراب المسكر المعروف بالعرقي والزام اهل القرى باخذه ودفع ثمنه ان اخذوه اولم ياخذوه فقيل لهم في ذلك فقالوا ان شربه يقوي ابدانهم على اعمال الزرع والزراعة والحرث والنكد في القطوة والنطالة والشادوف ثم بطل ذلك (ومنها) ان الباشا شرع في عمل زلاقة تجاه باب القلعة المعروف بباب الجبل موصلة الى اعلى الجبل المقطم فجمعوا البنائين والحجارين والفعلة للعمل وحرقوا عدة قمينات للجير بجانب العمارة وطواحين للجبس ونودي بالمدينة على البنائين والفعلة بان لا يشتغلوا في عمارة احد من الناس كائنا من كان ويجتمع الجميع في عمارة الباشا بالقلعة والجبل الى ان يكمل عملها

بالموصل وكانت له ومعها اذربيجان واشار عليه بمكاتبة دبيس بن صدقة ليجتمع به ويكثر جمعه ويعاود طلب السلطنة فسار معه من مكانه ووصل البرسقى فلم يره فاخبر بمسيره فسار فى اثره وعزم على طلبه ولوالى الموصل وجد فى السير فادركه على ثلاثين فرسخا من مكانه ذلك وعرفه عفو اخيه عنه وضمن له ما أراد واعاده الى العسكر فامر السلطان محمود العساكر باستقباله وتعظيمه ففعلوا ذلك وأمر السلطان ان ينزل عند والدته وجلس له واحضره واعتنقا وبكيا وانعطف عليه محمود ووفى له بما بذله وخلطه بنفسه فى كل افعاله فعد ذلك من مكارم محمود وكانت الخطبة بالسلطنة لمسعود باذربيجان وبلد الموصل والجزيرة ثمانية وعشرين يوما واما اتابكه جيوش بك فانه سار الى عقبة اسداباذ وانتظر الملك مسعودا فلم يره وانتظره بمكان آخر فلم يصل اليه فلما ايس منه سار الى الموصل ونزل بظاهرها وجمع الغلات من السواد اليها واجتمع اليه عسكره فلما سمع بما فعله السلطان مع أخيه وانه عنده علم انه لا مقام له على هذا الحال فسار كانه يريد الصيد فوصل الى الزاب وقال لمن معه انى قد عزمت على قصد السلطان محمود وأخاطر بنفسى فسار اليه فوصل وهو بهمذان ودخل اليه فطيب قلبه وامنه واحسن اليه واما دبيس فانه كان بالعراق فلما بلغه خبر انهزام الملك مسعود نهب البلاد واخربها وفعل فيها الافاعيل القبيحة الى ان اتاه رسول السلطان محمود وطيب قلبه فلم يلتفت

(ذكر حال دبيس وما كان منه)

لما كان منه ببغداد وسوادها من النهب والقتل والفساد ما لم يجر مثله ارسل اليه الخليفة المسترشد بالله رسالة ينكر عليه ويامره بالكف فلم يفعل فارسل اليه السلطان وطيب قلبه وأمره بمنع أصحابه عن الفساد فلم يقبل وسار بنفسه الى بغداد وضرب سرادقه بازاء دار الخلافة واظهر الضغائن التى فى نفسه وكيف طيف براس ابيه وتهدد الخليفة وقال انك ارسلت تستدعى السلطان فان اعدتموه والا فعلت وصنعت فاعيد جواب رسالته ان عود السلطان وقد سار عن همذان غير ممكن ولكنا نصلح حالك معه وكان الرسول شيخ الشيوخ اسمعيل فكف على ان تسير الرسل فى الاتفاق بينه وبين السلطان وعاد عن بغداد فى رجب ووصل السلطان فى رجب الى بغداد فارسل دبيس زوجته ابنة عميد الدولة بن جهير اليه ومعها مال كثير وهدية نفيسة وسال الصفح عنه فاجيب الى ذلك على قاعدة امتنع منها ولزم لجاجه ونهب جشير السلطان فسار السلطان عن بغداد فى شوال الى قصد دبيس بالحلة واستصحب الف سفينة ليعبر فيها فلما علم دبيس مسير السلطان ارسل يطلب الامان فامنه وكان قصده ان يغالطه ليتجهز فارسل نساءه الى البطيحة واخذ امواله وسار عن الحلة بعد ان نهبها الى ايلغازى ملتجئا اليه ووصل السلطان الى الحلة فلم ير احدا فبات بها ليلة واحدة وعاد واقام دبيس عند ايلغازى وتردد معه ثم انه ارسل اخاه منصورا فى جيش من قلعة جعبر الى العراق فنظر الحلة والكوفة وانحدر الى البصرة وارسل الى يرنقش الزكوى يساله ان يصلح حاله مع

فى السنة التالية طريقا واسعا منحدرا من الاعلى الى الاسفل ممتدا فى المسافة ٢٣٩ سهلا فى الطلوع الى الجبل او الانحدار منه بحيث يجوز عليه الماشى والراكب من غير مشقة ولا تعب كثير (واما من مات فى هذه السنة ممن له ذكر) مات العلامة المفيد والنحرير الفريد الفقيه النبيه الشيخ ابراهيم ابن الشيخ محمد الحريرى الحنفى مفتى مذهب السادات الحنفية كوالده تفقه على والده وحضر فى المعقولات على اشياخ الوقت كالبيلى والدردير والصبان وغيرهم وأنجب وتمهر وصارت فيه ملكة جيدة واستحضار للفروع الفقهية ولما مات والده فى شهر رجب سنة عشرين ومائتين وألف تقلد منصب والده فى الافتاء وكان لها أهلا مع التحرى والمراجعة فى المسائل المشكلة والعفة والصيانة والديانة والتباعد عن الامور المخلة بالمروءة مواظبا الوظائفه ودروسه ملازما لداره الا ما دعته الضرورة اليه من المواساة وحضور المجالس مع ارباب المظاهر وكان مبتلى بضعف البصر وبآخرته اعتراه داء الباسور وقاسى منه شدة وانقطع بسببه عن الخروج من داره ووصف له حكيم بدمياط فسافر اليه لاجل ذلك وقصد تغيير الهواء وذلك باشارة نسيبه الشيخ المهدى وقاسى أهوالا فى معالجته وقطعه بالآلة فلم ينجع ورجع الى مصر متزايد الالم ولم يزل ملازما للفراش حتى توفى

السلطان فلم يتم امره فارسل الى اخيه دبيس يعرفه ذلك ويدعوه الى العراق فسار من قلعة جعبر الى الحلة سنة خمس عشرة فدخلها وملكها وارسل الى الخليفة والسلطان يعتذر ويعد من نفسه الطاعة فلم يجب الى ذلك وسيرت اليه العساكر فلما قاربوه فارق الحلة ودخل الى الازبر وهو نهر سنداد ووصل العسكر اليها وهى فارغة قد اجلى اهلها عنها وليس بها اقامة فكانت الميرة تنقل من بغداد وكان مقدم العسكر سعد الدولة يرنقش الزكوى فترك بالحلة خمسمائة فارس وبالكوفة جماعة أخرى تحفظ الطريق على دبيس وأرسل الى عسكر واسط يحفظ طريق البطيحة ففعلوا ذلك وعبر عسكر السلطان الى دبيس فبقى بين الطائفتين نهر يخاض فيه مواضع فتراسل يرنقش ودبيس واتفقا على ان يرسل دبيس أخاه منصورا رهينة ويلازم الطاعة ففعل وعاد العسكر الى بغداد سنة ست عشرة

(ذكر خروج الكرج الى بلاد الاسلام وملك تفليس)

فى هذه السنة خرج الكرج وهم الخزر الى بلاد الاسلام وكانوا قديما يغيرون فامتنعوا أيام السلطان ملكشاه الى آخر ايام السلطان محمد فلما كان هذه السنة خرجوا ومعهم قفجاق وغيرهم من الامم المجاورة لهم فتكاتب الامراء المجاورون لبلادهم واجتمعوا منهم الامير ايلغازى ودبيس بن صدقة وكان عنده والملك طغرل بن محمد وأتابكه كنتغدى وكان لطغرل بلد اران ونقجوان الى أرس فاجتمعوا وساروا الى الكرج فلما قاربوا تفليس وكان المسلمون فى عسكر كثير يبلغون ثلاثين ألفا التقوا واصطف الطائفتان للقتال فخرج من القفجاق مائتا رجل فظن المسلمون انهم مستأمنون فلم يحترزوا منهم ودخلوا بينهم ورموا بالنشاب فاضطرب صف المسلمين فظن من بعد انها هزيمة فانهزموا وتبع الناس بعضهم بعضا منهزمين ولشدة الزحام صدم بعضهم بعضا فقتل منهم عالم عظيم وتبعهم الكفار عشرة فراسخ يقتلون ويأسرون فقتل أكثرهم وأسروا أربعة آلاف رجل ونجا الملك طغرل وايلغازى ودبيس وعاد الكرج فنهبوا بلاد الاسلام وحصروا مدينة تفليس واشتد قتالهم لمن بها وعظم الامر وتفاقم الخطب على أهلها ودام الحصار الى سنة خمس عشرة فملكوها عنوة وكان اهلها لما اشرفوا على الهلاك قد أرسلوا قاضيها وخطيبها الى الكرج فى طلب الامان فلم تصغ الكرج اليهما فاحرقوا بهما ودخلوا البلد قهرا وغلبة واستباحوه ونهبوه ووصل المستنفرون منهم الى بغداد مستصرخين ومستنصرين سنة ست عشرة فبلغهم ان السلطان محمودا بهمدان فقصدوه واستغاثوا به فسار الى اذربيجان وأقام بمدينة تبريز شهر رمضان وانفذ عسكرا الى الكرج وسيرد ذكر ما كان منهم ان شاء الله تعالى

(ذكر غزوات ايلغازى هذه السنة)

فى هذه السنة ارسل المسترشد بالله خلعا مع سديد الدولة بن الانبارى لنجم الدين ايلغازى وشكره على ما يفعله من غزو الفرنج ويأمره بابعاد دبيس عنه وسار ابو على بن عمار الذى

الى رحمة الله سبحانه وتعالى فى يوم الاثنين تاسع عشر جمادى الاولى من هذه السنة وصلى عليه بالازهر ودفن بمدرسة الشعبانية بحارة الدويدارى ظاهر حارة كتامة المعروفة الآن بالعينية بالقرب من الجامع الازهر وخلف ولده النجيب الاديب سيدى محمدا الملقب عبد المعطى بارك الله فيه وأعانه على وقته (ومات) الامام العلامة والعمدة الفهامة شيخ الاسلام والمسلمين الشيخ عبد المنعم ابن شيخ الاسلام الشيخ أحمد العماوى المالكى الازهرى وهو من آخر طبقة الاشياخ من أهل القرن الثانى عشر تفقه على الشيخ الزهار وغيره من علماء مذهبه وحضر الاشياخ المتقدمين كالدفرى والحفنى والصعيدى والشيخ سالم النفراوى والشيخ الصباغ السكندرى والشيخ فارس وقرأ الدروس وانتفع به الطلبة ولم يزل ملازما على القاء الدروس بالازهر على طريقة المتقدمين مع العفة والديانة والانجماع عن الناس راضيا بحاله قانعا بعيشته ليس بيده من التعلقات الدنيوية سوى النظر على ضريح سيدى أبى السعود أبى العشائر ولم يتجرأ على الفتيا مع اهليته لذلك وزيادة ولم تطمح نفسه لزخارف الدنيا وسفاسف الامور مع التجمل فى الملبس والمركب واظهار الغنى وعدم التطلع لما فى ايدى الناس ويصدع بالحق فى المجالس ولا يتردد الى بيوت الحكام والاكابر الا فى

كان

كان صاحب طرابلس مع ابن الانبارى الى ايلغازى ليقيم عنده يعبر الاوقات بما ينقم به عليه فاعتذر بابعاد دبيس ووعده ثم سار الى الفرنج وكان قد جمع لهم جمعا فالتقوا بموضع اسمه ذات البقل من اعمال حلب فاقتتلوا واشتد القتال وكان الظفر له ثم اجتمع ايلغازى واتابك طغتكين صاحب دمشق وحصروا الفرنج فى معرة قنسرين يوما وليلة ثم اشار اتابك طغتكين بالافراج عنهم كيلا يحملهم الخوف على ان يستقتلوا ويخرجوا الى المسلمين فربما ظفروا وكان اكثر خوفه من دبر خيل التركمان وجودة خيل الفرنج فافرج لهم ايلغازى فساروا عن مكانهم وتخلصوا وكان ايلغازى لا يطيل المقام فى بلد الفرنج لانه كان يجمع التركمان للطمع فيحضر احدهم ومعه جراب فيه دقيق وشاة ويعد الساعات لغنيمة يتعجلها ويعود فاذا طال مقامهم تفرقوا ولم يكن له من الاموال ما يفرقها فيهم

(ذكر ابتداء امر محمد بن تومرت وعبد المؤمن وملكهما)

فى هذه السنة كان ابتداء أمر المهدى ابى عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت العلوى الحسنى وقبيلته من المصامدة تعرف بهرغة فى جبل السوس من بلاد المغرب نزلوا به لما فتحه المسلمون مع موسى بن نصير ونذكر امره وامر عبد المؤمن هذه السنة الى ان فرغ من ملك المغرب لنتبع بعض الحادثة بعضا وكان ابن تومرت قد رحل فى شبيبته الى بلاد الشرق فى طلب العلم وكان فقيها فاضلا عالما بالشريعة حافظا للحديث عارفا باصولى الدين والفقه متحققا بعلم العربية وكان ورعا ناسكا ووصل فى سفره الى العراق واجتمع بالغزالى والكيا واجتمع بابى بكر الطرطوشى بالاسكندرية وقيل انه جرى له حديث مع الغزالى فيما فعله بالمغرب من التملك فقال له الغزالى ان هذا لا يتمشى فى هذه البلاد ولا يمكن وقوعه لامثالنا كذا قال بعض مؤرخى المغرب والصحيح انه لم يجتمع به فخرج من هناك وعاد الى المغرب ولما ركب البحر من الاسكندرية مغربا غير المنكر فى المركب والزم من به باقامة الصلاة وقراءة القرآن حتى انتهى الى المهدية وسلطانها حينئذ يحيى بن تميم سنة خمس وخمسمائة فنزل بمسجد قبلى مسجد السبت وليس له سوى ركوة وعصا وتسامع به اهل البلد فقصدوه يقرؤن عليه أنواع العلوم وكان اذا مر به منكر غيره وازاله فلما كثر ذلك منه احضره الامير يحيى مع جماعة من الفقهاء فلما راى سمته وسمع كلامه اكرمه واحترمه وساله الدعاء ورحل عن المدينة وأقام بالمنستير مع جماعة من الصالحين مدة وسار الى بجاية ففعل فيها مثل ذلك فاخرج منها الى قرية بالقرب منها اسمها ملالة فلقيه بها عبد المؤمن بن على فراى فيه من النجابة والنهضة ما تفرس فيه التقدم والقيام بالامر فساله عن اسمه وقبيلته فاخبره انه من قيس عيلان ثم من بنى سليم فقال ابن تومرت هذا الذى بشر به النبى صلى الله عليه وسلم حين قال ان الله ينصر هذا الدين فى آخر الزمان برجل من قيس فقيل من اى قيس فقال من بنى سليم فاستبشر بعبد المؤمن وسر بلقائه وكان مولد عبد المؤمن فى مدينة تاجرة من اعمال تلمسان وهو

النادر بقدر الضرورة مع الانفة والحشمة ولا يشكو ضرورة ولا حاجة ولا زمانا ولم يزل على حالته حتى مرض أياما وتوفى ليلة الخميس حادى عشر ذى القعدة عن اربع وثمانين سنة وخرجوا بجنازته من منزله الكائن بدرب الحلفاء بالقرب من باب البرقية فمروا بالجنازة على خطة الجمالية على النحاسين على الاشرفية ودخلوا من حارة الخراطين الى الجامع الازهر وصلى عليه فى مشهد حافل ودفن على والده بتربة المجاورين وخلف من الاولاد الذكور اربعة رجال ذوى لحى صلحاء وخطهم الشيب خلاف البنات رحمه الله وعفا عنا وعنه *(ومات)* الفقيه النبيه الصالح الورع العالم المحقق الشيخ احمد الشهير ببرغوث المالكى ومولده بالبلدة المعروفة باليهودية بالبحيرة تفقه على اشياخ العصر ومهر فى الفقه والمعقول واقرا الدروس وانتفع به الطلبة واشتهر ذكره بينهم وشهدوا بفضله وكان على حالة حسنة منجمعا عن الناس وراضيا بما قسمه له مولاه منكسر النفس متواضعا ولم يتزى بعمامة الفقهاء يمشى فى حوائجه وتمرض بالزمانة مدة سنين يتعكز بعصاه ولم يقطع دروسه ولا اماليه حتى توفى الى رحمة الله سبحانه وتعالى يوم الاربعاء خامس شهر صفر من السنة ودفن بتربة المجاورين رحمه الله (ومات العمدة النحرير والنبيل الشهير الشيخ سليمان ب

من عائذ قبيل من كومرة نزلوا بذلك الاقليم سنة ثمانين ومائة ولم يزل المهدى ملازما للامر بالمعروف والنهى عن المنكر فى طريقه الى ان وصل الى مراكش دار مملكة امير المسلمين يوسف بن على بن تاشفين فراى فيها من المنكرات اكثر مما عاينه فى طريقه فزاد فى امره بالمعروف ونهيه عن المنكر فكثر اتباعه وحسنت ظنون الناس فيه فبينما هو فى بعض الايام فى طريقه اذ راى اخت امير المسلمين فى موكبها ومعها من الجوارى الحسان عدة كثيرة وهن مسفرات وكانت هذه عادة الملثمين يسفر نساؤهم وجوههن ويتلثم الرجال فحين راى النساء كذلك انكر عليهن وأمرهن بستر وجوههن وضرب هو واصحابه دوابهن فسقطت أخت أمير المسلمين عن دابتها فرفع امره الى أمير المسلمين على بن يوسف فاحضره واحضر الفقهاء ليناظروه فاخذ يعظه ويخوفه فبكى أمير المسلمين وأمر أن يناظره الفقهاء فلم يكن فيهم من يقوم له لقوة ادلته فى الذى فعله وكان عند أمير المسلمين بعض وزرائه يقال له مالك بن وهيب فقال يا أمير المسلمين ان هذا والله لا يريد الامر بالمعروف والنهى عن المنكر انما يريد اثارة فتنة والغلبة على بعض النواحى فاقتله وقلدنى دمه فلم يفعل ذلك فقال اذلم تقتله فاحبسه وخلده فى السجن والا اثار شرا لا يمكن تلافيه فاراد حبسه فمنعه رجل من أكابر الملثمين يسمى بيان بن عثمان فامر باخراجه من مراكش فسار الى اغمات ولحق بالجبل فسار فيه حتى التحق بالسوس الذى فيه قبيلة هرغة وغيرهم من المصامدة سنة أربع عشرة فاتوه واجتمعوا حوله وتسامع به أهل تلك النواحى فوفدوا عليه وحضر اعيانهم بين يديه وجعل يعظهم ويذكرهم بايام الله ويذكر لهم شرائع الاسلام وما غير منها وما حدث من الظلم والفساد وانه لا يجب طاعة دولة من هذه الدول لاتباعهم الباطل بل الواجب قتالهم ومنعهم عما هم فيه فاقام على ذلك نحو سنة وتابعه هرغة قبيلته وسمى اتباعه الموحدين واعلمهم ان النبى صلى الله عليه وسلم بشر بالمهدى الذى يملأ الارض عدلا وان مكانه الذى يخرج منه المغرب الاقصى فقام اليه عشرة رجال احدهم عبد المؤمن فقالوا لا يوجد هذا الا فيك فانت المهدى فبايعوه على ذلك فانتهى خبره الى امير المسلمين فجهز جيشا من اصحابه وسيرهم اليه فلما قربوا من الجبل الذى هو فيه قال لاصحابه ان هؤلاء يريدوننى واخاف عليكم منهم فالرأى أن أخرج بنفسى الى غير هذه البلاد لتسلموا انتم فقال له ابن توفيان من مشايخ هرغة هل تخاف شيئا من السماء فقال لا بل من السماء تنصرون فقال ابن توفيان فليأتنا كل من فى الارض ووافقه جميع قبيلته فقال المهدى ابشروا بالنصر والظفر بهذه الشرذمة وبعد قليل تستاصلون دولتهم وترثون ارضهم فنزلوا من الجبل ولقوا جيش أمير المسلمين فهزموهم وأخذوا اسلابهم وقوى ظنهم فى صدق المهدى حيث ظفروا كما ذكر لهم واقبلت اليه افواج القبائل من الحلل التى حوله شرقا وغربا وبايعوه وأطاعه قبيلة هنتاتة وهى من أقوى القبائل فاقبل عليهم واطمان اليهم واتاه رسل اهل تينملل بطاعتهم وطلبوه اليهم فتوجه الى جبل تينملل واستوطنه وألف لهم كتابا فى التوحيد وكتابا فى العقيدة

الفيومى المالكى ولد بالفيوم وحضر الى مصر وحفظ ٢٤ القرآن وجاور برواق الفيمة بالازهر وكان فى اول عمره يمشى خلف حمار الشيخ الصعيدى وعليه دراعة صوف وشملة صفراء ثم حضر دروسه ودروس الشيخ الدردير وغيرهما واختلط مع المنشدين وكان له صوت شجى فيذهب مع المذكرين الى بيوت الاعيان فى الليالى فينشد الانشادات ويقرا الاعشار فيحبون به ويكرمونه زيادة على غيره واختلط ببعض الاعيان الذين يقال لهم البرقوقية من ذرية السلطان برقوق وهم نظار على اوقافه فراج امره وكثرت معارفه بالاغوات الطواشية وبهم توصل الى نساء الامراء والسعى فى حوائجهن وقضاياهن وصار له قبول زائد عندهن وعند ازواجهن وتجمل بالملابس وركب البغال واحدق به المحدقون وتزوج بامراة بناحية قنطرة الامير حسين وسكن بدارها فماتت فورثها ولما مات الشيخ محمد العقاد تعين المترجم لمشيخة رواق الفيمة وبنى له محمد بك المعروف بالمبدول دارا عظيمة بحارة عابدين واشتهر ذكره وعلا شانه وطار صيته وسافر فى بعض مقتضيات الامراء الى دار السلطنة وعاد الى مصر واقبلت عليه الهدايا من الامراء والحريمات والاغوات والاقباط وغيرهم واعتنوا بشانه وزوجته الست زليخا زوجة ابراهيم بك الكبير بنت وتهج

ونهج لهم طريق الادب بعضهم مع بعض والاقتصار على القصير من الثياب القليل الثمن وهو يحرضهم على قتال عدوهم واخراج الاشرار من بين اظهرهم وأقام بتينملل وبنى له مسجدا خارج المدينة فكان يصلي فيه الصلوات هو وجمع ممن معه عنده ويدخل البلد بعد العشاء الآخرة فلما رأى كثرة أهل الجبل وحصانة المدينة خاف ان يرجعوا عنه فامرهم ان يحضروا بغير سلاح ففعلوا ذلك عدة أيام ثم انه أمر اصحابه ان يقتلوهم فخرجوا عليهم وهم غارون فقتلوهم في ذلك المسجد ثم دخل المدينة فقتل فيها واكثر وسبى الحريم ونهب الاموال فكان عدة القتلى خمسة عشر الفا وقسم المساكن والارض بين اصحابه وبنى على المدينة سورا وقلعة على راس جبل عال وفي جبل تينملل انهار جارية واشجار وزروع والطريق اليه صعب فلا جبل احصن منه وقيل انه لما خاف اهل تينملل نظر فرأى كثيرا من اولادهم شقرا زرقا والذي يغلب على الآباء السمرة وكان لامير المسلمين عدة كثيرة من المماليك الفرنج والروم يغلب على الوانهم الشقرة وكانوا يصعدون الجبل في كل عام مرة وياخذون ما لهم فيه من الاموال المقررة لهم من جهة السلطان فكانوا يسكنون بيوت اهله ويخرجون اصحابها منها فلما رأى المهدي اولادهم سألهم مالي اراكم سمر الالوان وأرى اولادكم شقرا زرقا فاخبروه خبرهم مع مماليك امير المسلمين فقبح الصبر على هذا وأزرى عليهم وعظم الامر عندهم فقالوا له فكيف الحيلة في الخلاص منهم وليس لنا بهم قوة فقال اذا حضروا عندكم في الوقت المعتاد وتفرقوا في مساكنكم فليقم كل رجل منكم الى نزيله فليقتله واحفظوا جبلكم فانه لا يرام ولا يقدر عليه فصبروا حتى حضر أولئك العبيد فقتلوهم على ما قرر لهم المهدي فلما فعلوا ذلك خافوا على نفوسهم من أمير المسلمين فامتنعوا في الجبل وسدوا ما فيه من طريق يسلك اليهم فقويت نفس المهدي بذلك ثم ان أمير المسلمين أرسل اليهم جيشا فحصروهم في الجبل وضيقوا عليهم ومنعوا عنهم الميرة فقلت عند اصحاب المهدي الاقوات حتى صار الخبز معدوما عندهم وكان يطبخ لهم كل يوم من الحسا ما يكفيهم فكان قوت كل واحد منهم ان يغمس يده في ذلك الحسا ويخرجها فما علق عليها قنع به ذلك اليوم فاجتمع أعيان أهل تينملل وأرادوا اصلاح الحال مع امير المسلمين فبلغ الخبر بذلك المهدي بن تومرت وكان معه انسان يقال له أبو عبد الله الونشريشي يظهر البله وعدم المعرفة بشيء من القرآن والعلم وبزاقه يجري على صدره وهو كانه معتوه ومع هذا فالمهدي يقربه ويكرمه ويقول ان لله سرا في هذا الرجل سوف يظهر وكان الونشريشي يلزم الاشتغال بالقرآن والعلم في السر بحيث لا يعلم أحد ذلك منه فلما كان سنة تسع عشرة وخاف المهدي من أهل الجبل خرج يوما لصلاة الصبح فرأى الى جانب محرابه انسانا حسن الثياب طيب الريح فاظهر انه لا يعرفه وقال من هذا فقال انا أبو عبد الله الونشريشي فقال له المهدي ان أمرك لعجب ثم صلى فلما فرغ من صلاته نادى في الناس فحضروا فقال ان هذا الرجل يزعم انه الونشريشي فانظروه وحققوا أمره فلما أضاء النهار عرفوه فقال له المهدي ما قصتك قال انني أتاني الليلة

عبدالله الرومي وتصرف في اوقاف أبيها ومنها عزب البر تجاه رشيد وغيرها فاشتهر بالبلاد القبلية والبحرية وكان مع قلة بضاعته في العلم مشاركا بسبب التداخل في القضايا وكان كريم النفس جدا يجود وماله في يده قليل مع حسن المعاشرة والبشاشة والتواضع والمواساة للكبير والصغير والجليل والحقير وطعامه مبذول للواردين ومن اتى في منزله الى حاجة اوزائر الا يمكنه من الذهاب حتى يغديه او يعشيه واذا اتاه مسترفد ولم يجد معه اشياء اقترض واعطاه فوق مامول ولا يبخل بجاهه وسعيه على احد كائنا من كان بعوض وبدونه ومما اتفق له مرارا انه يركب من الصباح في حوائج الناس فلا يعود الا بعد العشاء الاخيرة فيلاقيه آخر ذو حاجة في نصف الطريق او آخره فينهي اليه قصته اما بشفاعة عند امير أو خلاص مسجون او غير ذلك فيقف له ويستمع قصته وهو راكب فيقول له في غد نذهب اليه فان الوقت صار ليلا فيقول صاحب الحاجة هو في داره في هذا الوقت فيعود من طريقه مع صاحب الحاجة الى ذلك الامير ولو بعدت داره ويقضي حاجته ويعود بعد حصة من الليل وهكذا كان شانه ولا ينتظر ولا يؤمل جعالة ولا اجرة نظير سعيه فان اتوه بشيء اخذه او هدية قبلها قلت او كثرت وشكرهم على ذلك فمالت اليه القلوب ووفدت اليه ذوو الحاجات من كل ناحية

ملك من السماء فغسل قلبي وعلمني الله القرآن والموطا وغيره من العلوم والاحاديث فبكى المهدي بحضرة الناس ثم قال له نحن نمتحنك فقال افعل وابتدأ يقرأ القرآن قراءة حسنة من أي موضع سئل وكذلك الموطا وغيره من كتب الفقه والاصول فعجب الناس من ذلك واستعظموه ثم قال لهم ان الله تعالى قد أعطاني نورا أعرف به أهل الجنة من أهل النار وآمركم ان تقتلوا أهل النار وتتركوا أهل الجنة وقد أنزل الله تعالى ملائكة الى البئر التي في المكان الفلاني يشهدون بصدقي فسار المهدي والناس معه وهم يبكون الى تلك البئر وصلى المهدي عند رأسها وقال يا ملائكة الله ان أبا عبد الله الونشريشي قد زعم كيت وكيت فقال من بها صدق وكان قد وضع فيها رجالا يشهدون بذلك فلما قيل ذلك من البئر قال المهدي ان هذه مطهرة مقدسة قد نزل اليها الملائكة والمصلحة ان تطم لئلا يقع فيها نجاسة أو ما لا يجوز فالقوا فيها من الحجارة والتراب ما طمها ثم نادى في أهل الجبل بالحضور الى ذلك المكان فحضروا للتمييز فكان الونشريشي يعمد الى الرجل الذي يخاف ناحيته فيقول هذا من أهل النار فيلقى من الجبل مقتولا والى الشاب الغرور من لا يخشى فيقول هذا من أهل الجنة فيترك على يمينه فكان عدة القتلى سبعين ألفا فلما فرغ من ذلك امن على نفسه واصحابه واستقام أمره هكذا سمعت جماعة من فضلاء المغاربة يذكرون في التمييز وسمعت منهم من يقول ان ابن تومرت لما رأى كثرة اهل الشر والفساد في اهل الجبل احضر شيوخ القبائل وقال لهم انكم لا يصح لكم دين ولا يقوى الا بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر واخراج المفسد من بينكم فابحثوا عن كل من عندكم من اهل الشر والفساد فانهوهم عن ذلك فان انتهوا والا فاكتبوا اسماءهم وارفعوها الى لانظر في امرهم ففعلوا ذلك وكتبوا له اسماءهم من كل قبيلة ثم امرهم بذلك مرة ثانية وثالثة ثم جمع المكتوبات فاخذ منها ما تكرر من الاسماء فاثبتها عنده ثم جمع الناس قاطبة ورفع الاسماء التي كتبها ودفعها الى الونشريشي المعروف بالبشير وامره ان يعرض القبائل ويجعل أولئك المفسدين في جهة الشمال ومن عداهم من جهة اليمين ففعل ذلك وامران يكتف من على شمال الونشريشي فكتفوا وقال ان هؤلاء اشقياء قد وجب قتلهم وامر كل قبيلة ان يقتلوا اشقياءهم فقتلوا عن آخرهم فكان يوم التمييز ولما فرغ ابن تومرت من التمييز راى اصحابه الباقين على نيات صادقة وقلوب متفقة على طاعته فجهز منهم جيشا وسيرهم الى جبال اغمات وبها جمع من المرابطين فقاتلوهم فانهزم أصحاب ابن تومرت وكان اميرهم ابو عبد الله الونشريشي وقتل منهم كثير وجرح عمر المنتاتي وهو من اكبر اصحابه وسكن حسه ونبضه فقالوا مات فقال الونشريشي اما انه لم يمت ولا يموت حتى يملك البلاد فبعد ساعة فتح عينيه وعادت قوته اليه فافتتنوا به وعادوا منهزمين الى ابن تومرت فوعظهم وشكرهم على صبرهم ثم لم يزل بعدها يرسل السرايا في اطراف بلاد المسلمين فاذا رأوا عسكرا تعلقوا بالجبل فامنوا وكان المهدي

فلا يرد احدا ويستقبلهم بالبشاشة وينزلهم في داره ويطعمهم ويكرمهم ويستمرون في ضيافته حتى يقضي حوائجهم ويزودهم ويرجعون الى اوطانهم مسرورين ومجبورين وشاكرين ثم يكافئونه بما امكنهم من المكافآت واذا وصلت اليه هدية وصادف وصولها حضوره بالمنزل فرق منها على من بمجلسه من الحاضرين فبذلك انجذبت اليه القلوب وساد على اقرانه ومعاصريه كما قيل

ببذل وحلم ساد في قومه الفتى
وكونك اياه عليك يسير

ولما حضر حسن باشا الجزايرلي الى مصر وارتحل الامراء المصريون الى الصعيد واحاط بدورهم وطلب الاموال من نسائهم وقبض على اولادهم وجواريهم وامهات اولادهم وأنزلهم سوق المزاد التجأ الى المترجم الكثير من نساء الامراء الكبار فآواهن وأجهد نفسه في السعي في حمايتهن والرفق بهن ومواساتهن مدة اقامة حسن باشا بمصر وبعدها في امارة اسمعيل بك فلما رجع أزواجهن بعد الطاعون الى امارتهم ازداد قدر المترجم عندهم وقبوله ومحبته ووجاهته واشتهر عندهم بعدم قبوله الرشوة ومكارم الاخلاق والديانة والتورع فكان يدخل الى بيت الامير ويعبر الى محل الحريم ويجلس معهن وينسرون بدخوله عندهن ويقولون زارنا أبونا الشيخ وشاورنا أبانا الشيخ

قد

قد رتب أصحابه مراتب فالاولى يسمون ايت عشرة يعنى اهل عشرة واولهم عبد المؤمن ثم ابو حفص الهنتاتى وغيرهما وهم اشرف اصحابه واهل الثقة عنده والسابقون الى متابعته والثانية ايت خمسين يعنى اهل خمسين وهم دون تلك الطبقة وهم جماعة من رؤساء القبائل والثالثة ايت سبعين يعنى اهل سبعين وهم دون التى قبلها وسمى عامة اصحابه والداخلين فى طاعته موحدين فاذا ذكر الموحدون فى اخبارهم فانما يعنى اصحابه واصحاب عبد المؤمن بعده ولم يزل امر ابن تومرت يعلو الى سنة اربع وعشرين فجهز المهدى جيشا كثيفا يبلغون اربعين الفا اكثرهم رجالة وجعل عليهم الونشريشى وسير معهم عبد المؤمن فنزلوا وساروا الى مراكش فحصروها وضيقوا عليها وبها امير المسلمين على بن يوسف فبقى الحصار عليها عشرين يوما فارسل امير المسلمين الى متولى سجلماسة يامره ان يحضر ومعه الجيوش فجمع جيشا كثيرا وسار فلما قارب عسكر المهدى خرج اهل مراكش من غير الجهة التى اقبل منها فاقتتلوا واشتد القتال وكثر القتل فى اصحاب المهدى فقتل الونشريشى اميرهم فاجتمعوا الى عبد المؤمن وجعلوه أميرا عليهم ولم يزل القتال بينهم عامة النهار وصلى عبد المؤمن صلاة الخوف الظهر والعصر والحرب قائمة ولم تصل بالمغرب قبل ذلك فلما راى المصامدة كثرة المرابطين وقوتهم اسندوا ظهورهم الى بستان كبير هناك والبستان يسمى عندهم البحيرة فلهذا قيل وقعة البحيرة وعام البحيرة وصاروا يقاتلون من جهة واحدة الى ان ادركهم الليل وقد قتل من المصامدة اكثرهم وحين قتل الونشريشى دفنه عبد المؤمن فطلبه المصامدة فلم يروه فى القتلى فقالوا رفعته الملائكة ولما جنهم الليل سار عبد المؤمن ومن سلم من القتلى الى الجبل

(ذكر وفاة المهدى وولاية عبد المؤمن)

لما سير الجيش الى حصار مراكش مرض مرضا شديدا فلما بلغه خبر الهزيمة اشتد مرضه وسأل عن عبد المؤمن فقيل هو سالم فقال مامات أحد الامر قائم وهو الذى يفتح البلاد ووصى اصحابه باتباعه وتقديمه وتسليم الامر اليه والانقياد له ولقبه امير المؤمنين ثم مات المهدى وكان عمره احدى وخمسين سنة وقيل خمسا وخمسين سنة ومدة ولايته عشرين سنة وعاد عبد المؤمن الى تينملل واقام بها يتالف القلوب ويحسن الى الناس وكان جوادا مقداما فى الحروب ثابتا فى الهزاهز الى ان دخلت سنة ثمان وعشرين وخمسمائة فتجهز وسار فى جيش كثير وجعل يمشى مع الجبل الى ان وصل الى تادلة فمانعه اهلها وقاتلوه فقهرهم وفتحها وسائر البلاد التى تليها ومشى فى الجبال يفتح ما امتنع عليه واطاعه صنهاجة الجبل وكان امير المسلمين قد جعل ولى عهده ابنه سير فمات فاحضر امير المسلمين ابنه تاشفين من الاندلس وكان اميرا عليها فلما حضر عنده جعله ولى عهده سنة احدى وثلاثين وجعل معه جيشا وصار يمشى فى الصحراء قبالة عبد المؤمن فى الجبال وفى سنة اثنتين وثلاثين كان عبد المؤمن فى النواظر وهو جبل عال مشرف وتاشفين فى الوطاة ويخرج من الطائفتين قوم يترامون ويتطاردون ولم

فاشار علينا بكذا ونحو ذلك ولم يزل مع الجميع على هذه الحالة الى ان طرقت ٥ ٢٤ الفرنساوية البلاد المصرية واخرجوا منها الامراء وخرج النساء من بيوتهن وذهبن اليه أفواجا أفواجا حتى امتلأت داره وماحولها من الدور بالنساء فتصدى لهن المترجم وتداخل فى الفرنساوية ودافع عنهن واقمن بداره شهورا واخذامانا لكثير من الاجناد المصرية واحضرهم الى مصر واقاموا بداره ليلا ونهارا واحبه الفرنساوية ايضا وقبلوا شفاعاته ويحضرون الى داره ويعمل لهم الولائم وساس اموره معهم وقرروه فى رؤساء الديوان الذى رتبوه لاجراء الاحكام بين المسلمين ولما نظموا أمور القرى والبلدان المصرية على النسق الذى جعلوه رتبوا على مشايخ كل بلد شيخا ترجع امور البلدة ومشايخها اليه وشيخ المشايخ المترجم مضافا ذلك لمشيخة الديوان وحاكمهم الكبير فرنساوى يسمى ابرزون فازدحمت داره بمشايخ البلدان فياتون اليه افواجا ويذهبون افواجا وله مرتب خاص خلاف مرتب الديوان واستمر معهم فى وجاهته الى ان انقضت ايامهم وسافروا الى بلادهم وحضرت العثمانية والوزير والمترجم فى عداد العلماء والمتصدرين وافر الحرمة شهير الذكر بعيد الصيت مرعى الجانب مقبول القول عند الاكابر والاصاغر ولما قتل خليل افندى الرجائى الدفتردار وكتخدا بك

في حادثة مقتل طاهر باشا التجا اليه اخو الدفتردار وخازنداره وغيرهما وذهبوا الى داره وأقاموا عنده فخامهم
وواساهم حتى سافروا الى بلادهم
ولم يزل على حالته حتى نزل به
خلط بارد فابطل شقه وعقد
لسانه واستمر اياما وتوفى
ليلة الاحد خامس عشر ذى
الحجة وخرجوا بجنازته من
بيته بحارة عابدين وصلى عليه
بالازهر في مشهد عظيم جدا
مثل مشاهد العلماء الكبار
المتقدمين وربما كان جمع
النساء خلفه كجمع الرجال
في الكثرة ووجدوا عليه
ديونا نحو العشرة آلاف ريال
سامحه اصحابها ولم يخلف من
الاولاد الا ابنتين رحمه الله
وسامحه وعفا عنا وعنه آمين

(سنة خمس وعشرين
ومائتين والف)

استهل المحرم بيوم الاثنين
فيه وردت الاخبار من الديار
الرومية بغلبة الموسكوب
واستيلائهم على ممالك
كثيرة وانه واقع باسلامبول
شدة حصر وغلاء في الاسعار
وتخوف وانهم يذيعون في
الممالك بخلاف الواقع لاجل
التطمين (وفي خامسه) حضر
ابراهيم افندى القابجي الذى
كان توجه الى الدولة من مدة
سابقة وعلى يده مراسيم
بطلب ذخيرة وغلال وعملوا
لقدومه شنكا ومدافع وطلع
في موكب الى القلعة (وفيه)
رجع ديوان أفندى من
ناحية قبلي وصحبته أحمد أغا شويكار وقام بمصر أياما ثم رجع بجواب الى الامراء القبليين (وفي ليلة السبت

يكن بينهما لقاء ويسمى عام النواظر وفي سنة ثلاث وثلاثين توجه عبد المؤمن مع
الجبل في الشعراء حتى انتهى الى جبل كرناطة فنزل في ارض صلبة بين شعور ونزل
تاشفين قبالته في الوطاة في ارض لا نبات فيها وكان الفصل شاتيا فتوالت الامطار اياما
كثيرة لا تقلع فصارت الارض التي فيها تاشفين واصحابه كثيرة الوحل تسوخ فيها قوائم
الخيل الى صدورها ويعجز الرجل عن المشى فيها وتقطعت الطرق عنهم فاوقدوا
رماحهم وقرابيس سروجهم وهلكوا جوعا وبردا وسوء أحوال وكان عبد المؤمن واصحابه
في ارض خشنة صلبة في الجبل لا يبالون بشئ والميرة متصلة اليهم وفي ذلك الوقت سير
عبد المؤمن جيشا الى وجرة من اعمال تلمسان ومقدمهم ابو عبد الله محمد بن رقو وهو من
ايت خمسين فبلغ خبرهم الى محمد بن يحيى بن فانو متولى تلمسان فخرج في جيش من
الملثمين فالتقوا بموضع يعرف بخندق الخمر فهزمهم جيش عبد المومن وقتل محمد بن
يحيى وكثير من اصحابه وغنموا ما معهم ورجعوا فتوجه عبد المؤمن بجميع جيشه الى
غمارة فاطاعوه قبيلة بعد قبيلة واقام عندهم مدة وما برح يمشى في الجبال وتاشفين
يحاذيه في الصحارى فلم يزل عبد المؤمن كذلك الى سنة خمس وثلاثين فتوفى امير المسلمين
على بن يوسف بمراكش وملك بعده ابنه تاشفين فقوى طمع عبد المؤمن في البلاد الا
انه لم ينزل الصحراء وفي سنة ثمان وثلاثين توجه عبد المؤمن الى تلمسان فنازلها وضرب
خيامه في جبل باعلاها ونزل تاشفين على الجانب الآخر من البلد وكان بينهم مناوشة
فبقوا كذلك الى سنة تسع وثلاثين فرحل عبد المؤمن عنها الى جبل تاجرة ووجه جيشا
مع عمر الهنتاتي الى مدينة وهران فهاجمها بغتة وحصل هو وجيشه فيها فسمع بذلك
تاشفين فسار اليها فخرج منها عمر ونزل تاشفين بظاهر وهران على البحر في شهر رمضان
سنة تسع وثلاثين فجاءت ليلة سبع وعشرين منه وهي ليلة يعظمها اهل المغرب
وبظاهر وهران ربوة مطلة على البحر وباعلاها ثنية يجتمع فيها المتعبدون وهو موضع
معظم عندهم فسار اليه تاشفين في نفر يسير من اصحابه متخفيا لم يعلم به الا النفر الذين
معه وقصد التبرك بحضور ذلك الموضع مع أولئك الجماعة الصالحين فبلغ الخبر الى عمر
ابن يحيى الهنتاتي فسار لوقته بجميع عسكره الى ذلك المتعبد وأحاطوا به وملكوا
الربوة فلما خاف تاشفين على نفسه ان يأخذوه ركب فرسه وحمل عليه الى جهة البحر
فسقط من جرف عال على الحجارة فهلك ورفعت جثته على خشبة وقتل كل من كان
معه وقيل ان تاشفين قصد حصنا هناك على رابية وله فيه بستان كبير فيه من كل الثمار
فاتفق ان عمر الهنتاتي مقدم عسكر عبد المؤمن سير سرية الى ذلك الحصن لعلمهم
بضعف من فيه ولم يعلموا ان تاشفين فيه فالقوا النار في بابه فاحترق فاراد تاشفين
الهرب فركب فرسه فوثب الفرس من داخل الحصن الى خارج السور فسقط في النار
فاخذ تاشفين فاعترف فارادوا حمله الى عبد المؤمن فمات في الحال لان رقبته كانت قد
اندقت فصلب وقتل كل من معه وتفرق عسكره ولم يعد لهم جماعة وملك بعده اخوه
اسحق بن على بن يوسف ولما قتل تاشفين ارسل عمر الى عبد المؤمن بالخبر فجاء من

تاجرة في يومه بجميع عسكره وتفرق عسكر امير المسلمين واحتمى بعضهم بمدينة وهران فلما وصل عبد المؤمن دخلها بالسيف وقتل فيها مالا يحصى ثم سار الى تلمسان وهما مدينتان بينهما شوط فرس احداهما تاجرت وبها عسكر المسلمين والاخرى اقادير وهي بناء قديم فامتنعت اقادير وغلقت ابوابها وتاهب اهلها للقتال واما تاجرت فكان فيها يحيي بن الصحراوية فهرب منها بعسكره الى مدينة فاس وجاء عبد المؤمن اليها فدخلها المافر منها العسكر ولقيه اهلها بالخضوع والاستكانة فلم يقبل منهم ذلك وقتل اكثرهم ودخلها عسكره ورتب امرها ورحل عنها وجعل على اقادير جيشا يحصرها وسار الى مدينة فاس سنة اربعين فنزل على جبل مطل عليها وحصرها تسعة اشهر وفيها يحيي ابن الصحراوية وعسكره الذين فروا من تلمسان فلما طال مقام عبد المؤمن عمد الى نهر يدخل البلد فسكره بالاخشاب والتراب وغير ذلك فمنعه من دخول البلد وصار بحيرة تسير فيها السفن ثم هدم السكر فجاء الماء دفعة واحدة فخرب سور البلد وكل ما يجاور النهر من البلد واراد عبد المؤمن ان يدخل البلد فقاتله اهله خارج السور فتعذر عليه ما قدره من دخوله وكان بفاس عبد الله بن خيار الجياني عاملا عليها وعلى جميع اعمالها فاتفق هو وجماعة من اعيان البلد وكاتبوا عبد المؤمن في طلب الامان لاهل فاس فاجابهم اليه ففتحوا له بابا من ابوابها فدخله عسكره وهرب يحيي بن الصحراوية وكان فتحها آخر سنة اربعين وخمسمائة وسار الى طنجة ورتب عبد المؤمن امر مدينة فاس وامر فنودي في اهلها من ترك عنده سلاحا وعدة قتال حل دمه فحمل كل من في البلد ما عنده من سلاح اليه فاخذه منهم ثم رجع الى مكناسة ففعل باهلها مثل ذلك وقتل من بها من الفرسان والاجناد واما العسكر الذى كان على تلمسان فانهم قاتلوا اهلها ونصبوا المجانيق وابراج الخشب وزحفوا بالدبابات وكان المقدم على اهلها الفقيه عثمان فدام الحصار نحو سنة فلما اشتد الامر على اهل البلد اجتمع جماعة منهم وراسلوا الموحدين اصحاب عبد المؤمن بغير علم الفقيه عثمان وادخلوهم البلد فلم يشعر اهله الا والسيف ياخذهم فقتل اكثر اهله وسبيت الذرية والحريم ونهب من الاموال ما لا يحصى ومن الجواهر ما لا تحد قيمته ومن لم يقتل بيع باوكس الاثمان وكان عدة القتلى مائة الف قتيل وقيل ان عبد المؤمن هو الذى حصر تلمسان وسار منها الى فاس والله اعلم وسير عبد المؤمن سرية الى مكناسة فحصروها مدة ثم سلمها اليهم اهلها بالامان فوفوا لهم وسار عبد المؤمن من فاس الى مدينة سلا ففتحها وحضر عنده جماعة من اعيان سبتة فدخلوا في طاعته فاجابهم الى بذل الامان وكان ذلك سنة احدى واربعين

(ذكر ملك عبد المؤمن مدينة مراكش)

لما فرغ عبد المؤمن من فاس وتلك النواحي سار الى مراكش وهي كرسي مملكة الملثمين وهي من اكبر المدن واعظمها وكان صاحبها حينئذ اسحق بن علي بن يوسف بن تاشفين

ثالث عشره) حصلت زلزلة عجيبة مزعجة وارتجت منها الجهات ثلاث درجات ٢٤٧ مشوا اليات واستمرت نحو اربع دقائق فانزعج الناس منها من منامهم وصار لهم جلبة وقلقة وخرج الكثير من دورهم هاربين الى الازقة يريدون الخلاص الى الفضاء مع بعده عنهم وكان ذلك في أوّل الساعة السابعة من الليل واصبح الناس يتحدثون بها فيما بينهم وسقط بسببها بعض حيطان ودور قديمة وتشققت جدران وسقطت منارة بسوس ونصف منارة بام اخنان بالمنوفية وغير ذلك لا نعلمه (وفي عصر يوم السبت) ايضا حصلت زلزلة ولكن دون الاولى فانزعج الناس منها ايضا وهاجوا ثم سكنوا ثم كثر لغط العالم بمعاودتها فمنهم من يقول ليلة الاربعاء ومنهم من يقول خلافه وانها تستمر طويلا واسندوا ذلك لبعض المنجمين ومنهم من اسنده لبعض النصارى واليهود وان رجلا نصرانيا ذهب الى الباشا واخبره بحصول ذلك واكد في قوله وقال له احبسني وان لم يظهر صدقي اقتلني وان الباشا حبسه حتى يمضي الوقت الذي عينه ليظهر صدقه من كذبه وكل ذلك من تخيلاتهم واختلاقاتهم واكاذيبهم وما يعلم الغيب الا الله (وفي يوم الاحد) رابع عشره امر الباشا بالاحتياط على بيوت عظماء الاقباط كالمعلم غالي والمعلم جرجس الطويل واخيه وفلتيوس وفرانسيكو

وهو صبي فنازلها وكان نزوله عليها سنة احدى واربعين فضرب خيامه في غربيها على جبل صغير وبنى عليه مدينة له ولعسكره وبنى بها جامعا وبنى له بناء عاليا يشرف منه على المدينة ويرى أحوال أهلها واحوال المقاتلين من أصحابه وقاتلها قتالا كثيرا وأقام عليها احد عشر شهرا فكان من بها من المرابطين يخرجون يقاتلونهم بظاهر البلد واشتد الجوع على اهله وتعذرت الاقوات عندهم ثم زحف اليهم يوما وجعل لهم كمينا وقال لهم اذا سمعتم صوت الطبل فاخرجوا وجلس هو باعلى المنظرة التي بناها يشاهد القتال وتقدم عسكره وقاتلوا وصبروا ثم انهم انهزموا لاهل مراكش ليتبعوهم الى الكمين الذي لهم فتبعهم الملثمون الى ان وصلوا الى مدينة عبد المؤمن فهدموا أكثر سورها وصاحت المصامدة بعبد المؤمن ليأمر بضرب الطبل ليخرج الكمين فقال لهم اصبروا حتى يخرج كل طامع في البلد فلما خرج اكثر اهله امر بالطبل فضرب وخرج الكمين عليهم ورجع المصامدة المنهزمون الى الملثمين فقتلوهم كيف شاؤا وعادت الهزيمة على الملثمين فمات في زحمة الابواب ما لا يحصيه الا الله سبحانه وكان شيوخ الملثمين يدبرون دولة اسحق بن علي بن يوسف لصغر سنه فاتفق ان انسانا من جملتهم يقال له عبد الله بن أبي بكر خرج الى عبد المؤمن مستأمنا واطلعه على عوراتهم وضعفهم فقوى الطمع فيهم واشتد عليهم البلاء ونصب عليهم المنجنيقات والابراج وفنيت اقواتهم وأكلوا دوابهم ومات من العامة بالجوع ما يزيد على مائة ألف انسان فانتن البلد من ريح الموتى وكان بمراكش جيش من الفرنج كان المرابطون قد استنجدوا بهم فجاؤا اليهم نجدة فلما طال عليهم الامر راسلوا عبد المؤمن يسألون الامان فاجابهم اليه ففتحوا له بابا من ابواب البلد يقال له باب اغمات فدخلت عساكره بالسيف وملكوا المدينة عنوة وقتلوا من وجدوا ووصلوا الى دار امير المسلمين فاخرجوا الامير اسحق وجميع من معه من امراء المرابطين فقتلوا وجعل اسحق يرتعد رغبة في البقاء ويدعو لعبد المؤمن ويبكي فقام اليه الامير سير بن الحاج وكان الى جانبه مكتوفا فبزق في وجهه وقال تبكي على أبيك وامك اصبر صبر الرجال فهذا رجل لا يخاف الله ولا يدين بدين فقام الموحدون اليه بالخشب فضربوه حتى قتلوه وكان من الشجعان المعروفين بالشجاعة وقدم اسحق على صغر سنه فضربت عنقه سنة اثنتين واربعين وهو آخر ملوك المرابطين وبه انقرضت دولتهم وكانت مدة ملكهم سبعين سنة وولي منهم اربعة يوسف وعلي وتاشفين واسحق ولما فتح عبد المؤمن مراكش اقام بها واستوطنها واستقر ملكه ولما قتل عبد المؤمن من أهل مراكش فاكثر فيهم القتل اختفى كثير من اهلها فلما كان بعد سبعة ايام امر فنودي بامان من بقي من اهلها فخرجوا فاراد أصحابه المصامدة قتلهم فمنعهم وقال هؤلاء صناع واهل الاسواق من ننتفع به فتركوا وامر باخراج القتلى من البلد فاخرجوهم وبنى بالقصر جامعا كبيرا وزخرفه فاحسن عمله وامر بهدم الجامع الذي بناه أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ولقد أساء يوسف بن تاشفين في فعله بالمعتمد بن عباد وارتكب بسجنه على الحالة المذكورة اقبح مركب

وعدتهم سبعة فاحضروهم في صورة منكرة وسمروا دورهم واخذوا دفاترهم فلما حضروا بين يديه قال لهم اريد حسابكم ووجب دفاتركم هذه وأمر بحبسهم فطلبوا منه الامان وان يأذن لهم في خطابه فاذن لهم فخاطبه المعلم غالي وخرجوا من بين يديه الى الحبس ثم قرر عليهم بواسطة حسين افندي الروزنامجي سبعة آلاف كيس بعد ان كان طلب منهم ثلاثين ألف كيس (وفي يوم الخميس) ثامن عشره شاع في الناس حصول زلزلة تلك الليلة وهي ليلة الجمعة ويكون ذلك في نصف الليل فتاهب غالب الناس للطلوع بخارج البلد فخرجوا بنسائهم وأولادهم الى شاطئ النيل ببولاق ونواحي الشيخ قمر ووسط بركة الازبكية وغيرها وكذلك خرج الكثير من العسكر أيضا ونصبوا خياما في وسط الرميلة وقرا ميدان والقرافتين وقاسوا تلك الليلة من البرد ما لا يكيف ولا يوصف لان الشمس كانت ببرج الدلو وهو وسط الشتاء ولم يحصل شئ مما أشاعوه وأذاعوه وتوهموه وتسلق العيارون والحرامية تلك الليلة على كثير من الدور والاماكن وفتشوها فلما أصبح يوم الجمعة كثر التشكي الى الحكام من ذلك فنادوا في الاسواق بان لا أحد يذكر أمر الزلزلة وكل من خرج لذلك من داره عوقب فانكفوا وتركوا هذا اللغط الفارغ (وفيه) ظهر بالازهر أنفار يقفون بالليل بصحن الجامع

فلاجرم سلط الله عليه فى عقابه من اربى فى الاخذ عليه وزاد فتبارك الحى الدائم الملك الذى لايزول ملكه وهذه سنة الدنيا فاف لها ثم اف نسال الله ان يختم أعمالنا بالحسنى ويجعل خير ايامنا يوم نلقاه بمنه وآله

(ذكر ظفر عبد المؤمن بدكالة)

فى سنة ثلاث واربعين وخمسمائة سار بعض المرابطين من الملثمين الى دكالة فاجتمع اليه قبائلها وصاروا يغيرون على اعمال مراكش وعبد المؤمن لايلتفت اليهم فلما كثر ذلك منهم سار اليهم سنة اربع واربعين فلما سمعت دكالة بذلك انحشروا كلهم الى ساحل البحر فى مائتى الف راجل وعشرين الف فارس وكانوا موصوفين بالشجاعة وكان مع عبد المؤمن من الجيوش مايخرج عن الحصر وكان الموضع الذى فيه دكالة كثير الحجر والحزونة فكمنوا فيه كمناء ليخرجوا على عبد المؤمن اذا سلكه فمن الاتفاق الحسن له انه قصدهم من غير الجهة التى فيها الكمناء فانحل عليهم ماقدروه وفارقوا ذلك الموضع فاخذهم السيف فدخلوا البحر فقتل اكثرهم وغنمت ابلهم واغنامهم واموالهم وسبى نساؤهم وذراريهم فبيعت الجارية الحسناء بدراهم يسيرة وعاد عبد المؤمن الى مراكش مظفرا منصورا وثبت ملكه وخافه الناس فى جميع المغرب واذعنوا له بالطاعة

(ذكر حصر مدينة كتندة)

فى هذه السنة يعنى سنة اربع عشرة وخمسمائة خرج ملك من ملوك الفرنج بالاندلس يقال له ابن ردمير فسار حتى انتهى الى كتندة وهى بالقرب من مرسية فى شرق الاندلس فحصرها وضيق على اهلها وكان امير المسلمين على بن يوسف حينئذ بقرطبة ومعه جيش كثير من المسلمين والاجناد المتطوعة فسيرهم الى ابن ردمير فالتقوا واقتتلوا اشد القتال وهزمهم ابن ردمير هزيمة منكرة وكثر القتل فى المسلمين وكان فيمن قتل ابو عبد الله بن الفراء قاضى المرية وكان من العلماء العاملين والزهاد فى الدنيا العادلين فى القضاء

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة كسر بلك بن ارتق عفراس الرومى وقتل من الروم خمسة آلاف رجل على قلعة سرمان من بلد ايدكان واسر عفراس وكثيرا من عسكره وفيها اغار جوسلين الفرنجى صاحب الرها على جيوش العرب والتركمان وكانوا نازلين بصفين غربى الفرات وغنم من اموالهم وخيلهم ومواشيهم شيئا كثيرا ولما عاد خرب بزاعة وفيها تسلم اتابك طغتكين صاحب دمشق مدينة تدمر والشقيف وفيها أمر السلطان محمود الامير جيوش بك بالمسير الى حرب أخيه طغرل فسار اليه فسمع طغرل واتابكه كنتغدى ذلك فسارا الى كنجة من بين يدى العسكر ولم يجر قتال وفيها فى المحرم توفى خاصة الدولة ابو البركات احمد بن عبد الوهاب بن السيبى صاحب المخزن ببغداد وولى مكانه الكمال

الازهر فاذا قام انسان لحاجته منفردا أخذوا مامعه واشيع ذلك فاجتهد ٢٤٩ الشيخ المهدى فى الفحص والقبض على فاعل ذلك الى ان عرفوا أشخاصهم ونسبهم وفيهم من هو من أولاد أصحاب المظاهر المتعممين فستروا أمرهم وأظهروا اشخاصا من رفقائهم ليس له شهرة وأخرجوه من البلدة منفيا ونسبوا اليه الفعال وسينكشف ستر الفاعلين فيما بعد ويفتضحون بين العالم كما ياتى خبر ذلك فى سنة سبع وعشرين وكذلك أخرجوا طائفة من القوادين والنساء الفواحش سكنوا بحارة الازهر واجتمعوا فى اهله حتى ان اكابر الدولة وعساكرهم بل واهل البلد والسوقة جعلوا سمرهم وديدنهم ذكر الازهر واهله ونسبوا له كل رذيلة وقبيحة ويقولون نرى كل موبقة تظهر منه ومن أهله وبعد ان كان منبع الشريعة والعلم صار بعكس ذلك وقد ظهر منه قبل الزغلية والآن الحرامية وامور غير ذلك مخفية (وفيه) طلب الباشا تمهيد الطريق الموصلة من القلعة الى الزلاقة التى أنشاها طريقا يصعد منها الى الجبل المقطم السابق ذكرها واراد ان يفرض على الاخطاط والحارات رجالا للعمل بعدد مخصوص ومن اعتذر عن الخروج والمساعدة يفرض عليه بدلا عنه اوقدرا من الدراهم يدفعها

نظير البدل وأشيع هذا الامر واستحضر الاوباش على الطبول والزمور كما كانوا

ابو الفتوح حمزة بن طلحة المعروف بابن البقشلام والد علم الدين الكاتب المعروف وفى جمادى الاولى منها توفى ابو سعد عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن القشيرى الامام ابن الامام وكان اخذ العلم من قرابته والطريقة ايضا ثم استفاد ايضا من امام الحرمين ابى المعالى الجوينى وسمع الحديث من جماعة ورواه وكان حسن الوعظ سريع الخاطر ولما توفى جلس الناس فى البلاد البعيدة للعزاء به حتى فى بغداد برباط شيخ الشيوخ

(ثم دخلت سنة خمس عشرة وخمسمائة)

(ذكر اقطاع البرسقى الموصل)

فى هذه السنة فى صفر اقطع السلطان محمود مدينة الموصل واعمالها وما ينضاف اليها كالجزيرة وسنجار وغيرها الامير آقسنقر البرسقى وسبب ذلك انه كان فى خدمة السلطان محمود ناصحا له ملازما له فى حروبه كلها وكان له الاثر الحسن فى الحرب المذكورة بين السلطان محمود وأخيه الملك مسعود وهو الذى أحضر الملك مسعودا عند اخيه السلطان محمود فعظم ذلك عند السلطان محمود ولما حضر جيوش بك عند السلطان محمود وبقيت الموصل بغير أمير ولى عليها البرسقى وتقدم الى سائر الامراء بطاعته وامره بمجاهدة الفرنج وأخذ البلاد منهم فسار اليها فى عسكر كثير وملكها واقام يدبر أمورها ويصلح احوالها

(ذكر وفاة الامير على وولاية ابنه الحسن افريقية)

فى هذه السنة توفى الامير على بن يحيى بن تميم صاحب افريقية فى العشر الاخير من ربيع الآخر وكان مولده بالمهدية وقد تقدم من حروبه وأعماله ما يستدل به على علو همته ولما توفى ولى الملك بعده ابنه الحسن بعهد أبيه وقام بامر دولته صندل الخصى لانه كان عمره حينئذ اثنتى عشرة سنة لا يستقل بتدبير الملك فقام صندل فى الحفظ والاحتياط فلم تطل أيامه حتى توفى فوقع الاختلاف بين اصحابه وقواده كل منهم يقول انا المقدم على الجميع وبيدى الحل والشد فلم يزالوا كذلك الى أن فوض أمور دولته الى قائد من اصحاب أبيه يقال له ابو عزيز موفق فصلحت الامور

(ذكر قتل امير الجيوش)

فى هذه السنة فى الثالث والعشرين من رمضان قتل امير الجيوش الافضل بن بدر الجمالى وهو صاحب الامر والحكم بمصر وكان ركب الى خزانة السلاح ليفرقه على الاجناد على جارى العادة فى الاعياد فسار ومعه عالم كثير من الرجالة والخيالة فتأذى بالغبار فامر بالبعد عنه وسار منفردا معه رجلان فصادفه رجلان بسوق الصياقلة فضرباه بالسكاكين فجرحاه وجاء الثالث من ورائه فضربه بسكين فى خاصرته فسقط عن دابته ورجع أصحابه فقتلوا الثلاثة وحملوه الى دار الافضل فدخل عليه الخليفة وتوجع له وساله عن الاموال فقال اما الظاهر منها فابو الحسن بن أسامة الكاتب يعرفه وكان

يفعلون فى قضية عمارة محمد باشا خسرو وتم ان الشيخ المهدى اجتمع بكتخدا بك وادخل عليه وهما ان محمد باشا خسرو لما فعل ذلك لم يتم له أمر وعزل ولم تطل ايامه ونحن نطلب دوام دولتكم والاولى ترك هذا الامر فتركوا ذلك ولم يذكروه بعد

(واستهل شهر صفر الخير بيوم الاربعاء سنه ١٢٢٠)

فيه قلد الباشا خليل افندى النظر على الروزنامجى وكتابه وسموه كاتب الذمة أى ذمة الميرى من الايراد والمصرف وكان ذلك عند فتح الطلب بالميرى عن السنة الجديدة فلا يكتب تحويل ولا تنبيه ولا تذكرة حتى يطلعوه عليها ويكتب عليها علامته فتكدر من ذلك الروزنامجى وباقى الكتبة وهذه اوّل دسيسة ادخلوها فى الروزنامه وابتداء فضيحتها وكشف سرها وذلك باغراء بعض الافندية الخاملين انهى اليهم ان الروزنامجى ومن معه من الكتاب يوفرون لانفسهم الكثير من الاموال الميرية ويتوسعون فيها وفى ذلك اجحاف بمال الخزينة وخليل افندى هذا كان كاتب الخزينة عند محمد باشا خسرو ولا يفيق من الشرب (وفيه) طلب الباشا ثلاثة اشخاص من كتبة الاقباط الذين كانوا متقيدين بقياس الاراضى بالمنوفية وضربهم وحبسهم لكونه بلغه عنهم انهم اخذوا البراطيل والرشوات على قياس طين اراضى بعض البلاد ونقصوا من القياس فيما ارتوى من الطين وهى

من

من اهل حلب وتولى أبوه قضاء القاهرة وأما الباطن فابن البطائحى يعرفه فقالا صدق فلما توفى الافضل نقل من أمواله مالا يعلمه الا الله تعالى و بقى الخليفة فى داره نحوأر بعين يوما والكتاب بين يديه والدواب تحمل وتنقل ليلا ونهارا ووجد له من الاعلاق النفيسة والاشياء الغريبة القليلة الوجود مالا يوجد مثله لغيره واعتقل أولاده وكان عمره سبعا وخمسين سنة وكانت ولايته بعد أبيه ثمانيا وعشرين سنة منها آخر أيام المستنصر وجميع ايام المستعلى الى هذه السنة من أيام الآمر وكان الاسماعيلية يكرهونه لاسباب منها تضييقه على امامهم وتركه ما يجب عندهم سلوكه معهم ومنها ترك معارضة أهل السنة فى اعتقادهم والنهى عن معارضتهم واذنه للناس فى اظهار معتقداتهم والمناظرة عليها فأكثر الغرباء ببلاد مصر وكان حسن السيرة عادلا حكى انه لما قتل وظهر الظلم بعده اجتمع جماعة واستغاثوا الى الخليفة وكان من جملة قولهم انهم لعنوا الافضل فسألهم عن سبب لعنهم اياه فقالوا انه عدل وأحسن السيرة ففارقنا بلادنا وأوطاننا وقصدنا بلده لعدله فقد أصابنا بعده هذا الظلم فهو كان سبب ظلمنا فأحسن الخليفة اليهم وأمر بالاحسان الى الناس ومنها ان صاحبه الآمر باحكام الله صاحب مصر وضع عليه وسبب ذلك ما ذكرناه قبل ففسد الامر بينهما فاراد الآمران يضع عليه من يقتله اذا دخل عليه قصره للسلام او فى أيام الاعياد فمنعه من ذلك ابن عمه أبو الميمون عبد المجيد وهو الذى ولى الامر بعده بمصر وقال له فى هذا الفعل شناعة وسمعة لانه قد خدم دولتنا هو وأبوه خمسين سنة ولم يعلم الناس منهم الا النصح لنا والمحبة لدولتنا وقد سار ذلك فى أقطار البلاد فلا يجوز أن يظهر منا هذه المكافاة الشنيعة ومع هذا فلا بد وان نقيم غيره مكانه ونعتمد عليه فى منصبه متمكن مثله أوما يقارب به فيخاف أن نفعل به مثل فعلنا بهذا فيحذر من الدخول الينا خوفا على نفسه وان دخل علينا كان خائفا مستعدا للامتناع وفى هذا الفعل منهم ما يسقط المنزلة والرأى أن تراسل اباعبد الله بن البطائحى فانه الغالب على أمر الافضل والمطلع على سره وتعده ان توليه منصبه وتطلب منه ان يدبر الامر فى قتله لمن يقتله اذا ركب فاذا ظفرنا بمن قتله قتلناه واظهرنا الطلب بدمه والحزن عليه فنبلغ غرضنا ويزول عنا قبح الاحدوثة ففعلوا ذلك فقتل كما ذكرناه ولما قتل ولى بعده أبو عبد الله بن البطائحى الامر ولقب المامون وتحكم فى الدولة فبقى كذلك حاكما فى البلاد الى سنة تسع عشرة فصلب كما نذكره ان شاء الله تعالى

⁂(ذكر عصيان سليمان بن ايلغازى على أبيه)⁂

فى هذه السنة عصى سليمان بن ايلغازى بن ارتق على أبيه بحلب وقد جاوز عمره عشرين سنة حمله على ذلك جماعة من عنده فسمع والده الخبر فسار مجدا الوقته فلم يشعر به سليمان حتى هجم عليه فخرج اليه معتذرا فامسك عنه وقبض على من كان اشار عليه بذلك منهم أمير كان قد التقطه ارتق والد ايلغازى ورباه اسمه ناصر فقلع عينيه وقطع لسانه

البدعة التى حدثت على الطين الرى وسموها القياسة وقد تقدم ذكرها غير مرة وحررت فى هذه السنة على الكامل لكثرة النيل وعموم الماء الاراضى على انه بقى الكثير من بلاد البحيرة وغيرها شراقى بسبب عدم حفر الترع وحبس المحبوس وتحسير الجسور واشتغال الفلاحين والملتزمين بالفرض والمظالم وعجزهم عن ذلك (وفى خامسه) طلب الباشا كشاف الاقاليم وشرع فى تقرير فرضة على البلاد بما يقتضيه نظره ونظر كشاف الاقاليم والمعلمين القبط فقرروا على اعلاها ثمانين كيسا والادنى خمسة عشر كيسا ولم يتقيد بتحرير ذلك احد من الكتبة الذين يحررون ذلك بدفاتر ويوزعونها على مقتضى الحال ولم يعطوا بالمقادير اوراقا لملتزمى الحصص كما كانوا يفعلون قبل ذلك فان الملتزم كان اذا بلغه تقرير فرضة تدارك امره وذهب الى ديوان الكتبة واخذ علم القدر المقرر على حصته وتكفل بها واخذ منهم مهلة باجل معلوم وكتب على نفسه وثيقة وابقاها عندهم ثم يجتهد فى تحصيل المبلغ من فلاحيه وان لم يسعفوه فى الدفع وحولوا عليه الطلب دفعه من عنده ان كان ذا مقدرة أو استدانه ولو بالربا ثم يستوفيه بعد ذلك من الفلاحين شيئا فشيئا كل ذلك حرصا على راحة فلاحى حصته وتامينهم واستقرارهم فى وطنهم ليحصل منهم المطلوب من المال الميرى وبعض ما يقتاتون

ومنهم انسان من اهل حماة من بيت قرناص كان قد قدمه ايلغازى على أهل حلب وجعل اليه الرياسة فجازاه بذلك وقطع يديه ورجليه وسمل عينيه فمات واحضر ولده وهو سكران فاراد قتله فمنعه رقة الوالد فاستبقاه فهرب الى دمشق فارسل طغتكين يشفع فيه فلم يجبه الى ذلك واستناب بحلب سليمان ابن أخيه عبد الجبار بن ارتق ولقبه بدر الدولة وعاد الى ماردين

(ذكر اقطاع ميافارقين ايلغازى)

فى هذه السنة اقطع السلطان محمود مدينة ميافارقين للامير ايلغازى وسبب ذلك انه أرسل ولده حسام الدين تمرتاش وعمره سبع عشرة سنة الى السلطان ليشفع فى دبيس ابن صدقة ويبذل عنه الطاعة وحمل الاموال والخيل وغيرها وأن يضمن الحلة كل يوم بالف دينار وفرس وكان المتحدث عنه القاضى بهاء الدين أبو الحسن على بن القاسم بن الشهرزورى فتردد الخطاب فى ذلك ولم ينفصل حال فلما أراد العود أقطع السلطان أباه مدينة ميافارقين وكانت مع الامير سكمان صاحب خلاط فتسلمها ايلغازى وبقيت فى يده ويد أولاده الى ان ملكها صلاح الدين يوسف بن أيوب سنة ثمانين وخمسمائة سنذكر ذلك ان شاء الله تعالى

(ذكر حصر بلك بن بهرام الرها وأسر صاحبها)

فى هذه السنة سار بلك بن بهرام ولد اخى ايلغازى الى مدينة الرها فحصرها وبها الفرنج وبقى على حصرها مدة فلم يظفر بها فرحل عنها فجاءه انسان تركمانى واعلمه ان جوسلين صاحب الرها وسروج قد جمع من عنده من الفرنج وهو عازم على كبسه وكان قد تفرق عن بلك اصحابه وبقى فى اربعمائة فارس فوقف مستعدا لقتالهم واقبل الفرنج فمن لطف الله تعالى بالمسلمين ان الفرنج وصلوا الى ارض قد نضب عنها الماء فصارت وحلا غاصت خيولهم فيه فلم تتمكن مع ثقل السلاح والفرسان من الاسراع والجرى فرماهم أصحاب بلك بالنشاب فلم يفلت منهم احد واسر جوسلين وجعل فى جلد جمل وخيط عليه وطلب منه ان يسلم الرها فلم يفعل وبذل فى فداء نفسه أموالا جزيلة واسرى كثيرة فلم يجبه الى ذلك وحمله الى قلعة خرتبرت فسجنه بها واسر معه ابن خالته واسمه كليام وكان من شياطين الكفار واسر أيضا جماعة من فرسانه المشهورين فسجنهم معه

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة توفيت جدة السلطان محمود لابيه وهى والدة السلطان سنجر وكانت تركية تعرف بخاتون السفرية وكان موتها بمرو فجلس محمود ببغداد للعزاء بها وكان عزاء لم يشاهد مثله الناس وفيها توفى الخطير محمد بن الحسين الميبذى ببلاد فارس وهو فى وزارة الملك سلجوق ابن السلطان محمد وكان قديما وزر للسلطانين بركيارق ومحمد وكان جوادا حليما سمع ان الابيوردى هجاه فلما سمع الهجو عض على ابهامه وصفح عنه وخلع عليه ووصله وفيها توفى الشهاب ابو المحاسن عبد الرزاق بن عبد الله

بهم وقيدالهم وان لم يفعل ذلك تحول باستخلاص ذلك كاشف الناحية وعين على الناحية الاعوان بالطلب الحثيث وما ينضاف الى ذلك من حق طرق المعينين وكلفهم وان تاخر الدفع تكرر الارسال والطلب على النسق المشروح فيتضاعف الهم ور بما ضاع فى ذلك قدر الاصل المطلوب وزيادة عنه مرة اومرتين والذى يقبضونه يحسبونه بالفرط وهوفى كل ريال عشرة انصاف فضة يسمونها ديوانى فيقبض المباشر عن الريال تسعين نصفا فضة ويجعل التسعين ثمانين وذلك خلاف مايقرره فى اوراق الرسم من خدم المباشرين من كتبة القبط فينكشف حال الفلاح ويبيع ماعنده من الغلة والبهيمة ثم يفرمن بلدته الى غيرها فيطلبه الملتزم ويبعث اليه المعينين من كاشف الناحية بحق طريق أيضا فربما أداه الحال ان كان خفيف العيال والحركة الى الفرار والخروج من الاقليم بالكلية وقد وقع ذلك حتى امتلأت البلاد الشامية والرومية من فلاحى قرى مصر الذين جلوا عنها وخرجوا منها وتغربوا عن أوطانهم من عظيم هول الجور واذا ضاق الحال بالملتزم وكتب له عرضحال يشكو حاله وحال بلده او حصته وضعف حالها ويرجو التخفيف وتجاسر وقدم عرضحاله الى الباشا يقال له هات التقسيط وخذ عن حصتك أو بدلها أو يعين له

وزير السلطان سنجر وهو ابن اخى نظام الملك وكان يتفقه قديما على امام الحرمين الجوينى فكان يفتى و يوقع ووزر بعده ابو طاهر سعد بن على بن عيسى القمى وتوفى بعد شهور فوزر بعده عثمان القمى وفيها فى جمادى الاولى اوقع اتابك طغتكين بطائفة من الفرنج فقتل منهم واسر وأرسل من الاسرى والغنيمة للسلطان وللخليفة وفيها انضعضع الركن اليمانى من البيت الحرام زاده الله شرفا من زلزلة وانهدم بعضه وتشعث بعض حرم النبى صلى الله عليه وسلم وتشعث غيره من البلاد وكان بالموصل كثير منها وفيها احترقت دار السلطان كان قد بناها مجاهد الدين بهروز للسلطان محمد ففرغت قبل وفاته بيسير فلما كان الآن احترقت وسبب الحريق أن جارية كانت تختضب ليلا فاسندت شمعة الى الخيش فاحترق وعلقت النار منه فى الدار واحترق فيها من زوجة السلطان محمود بنت السلطان سنجر ما لاحد عليه من الجواهر والحلى والفرش والثياب واقيم الغسالون يخلصون الذهب وما امكن تخليصه وكان الجوهر جميعه قد هلك الا الياقوت الاحمر وترك السلطان الدار لم تجدد عمارتها وتطير منها لان اباه لم يتمتع بها ثم احترق فيها من اموالهم الشئ العظيم واحترق قبلها باسبوع جامع اصبهان وهو من اعظم الجوامع واحسنها احرقه قوم من الباطنية ليلا وكان السلطان قد عزم على اخذ حق البيع وتجديد المكوس بالعراق باشارة الوزير السميرمى عليه بذلك فتجدد من هذين الحريقين ما هاله واتعظ فاعرض عنه وفيها فى ربيع الآخر انقض كوكب عشاء وصار له نور عظيم وتفرق منه اعمدة عند انقضاضه وسمع عند ذلك صوت هدة عظيمة كالزلزلة وفيها ظهر بمكة انسان علوى وامر بالمعروف فكثر جمعه ونازع أمير مكة ابن أبى هاشم وقوى أمره وعزم على ان يخطب لنفسه فعاد ابن أبى هاشم وظفر به ونفاه عن الحجاز الى البحرين وكان هذا العلوى من فقهاء النظامية ببغداد وفيها ألزم السلطان أهل الذمة ببغداد بالغيار فجرى فيه مراجعات انتهت الى ان قرر عليهم للسلطان عشرون ألف دينار وللخليفة اربعة آلاف دينار وفيها حضر السلطان محمود واخوه الملك مسعود عند الخليفة فخلع عليهما وعلى جماعة من اصحاب السلطان منهم وزيره ابو طالب السميرمى وشمس الملك عثمان بن نظام الملك والوزير أبو نصر احمد بن محمد بن حامد المستوفى وعلى غيرهم من الامراء وفيها فى ذى القعدة وهو الحادى والعشرون من كانون الثانى سقط بالعراق جميعه من البصرة الى تكريت ثلج كثير وبقى على الارض خمسة عشر يوما وسمكه ذراع وهلكت أشجار النارنج والاترج والليمون فقال فيه بعض الشعراء

ياصدور الزمان ليس بوفر ❊ ما رأيناه فى نواحى العراق
انما عم ظلمكم سائر الخلق ❊ فشابت ذوائب الآفاق

وفيها هبت بمصر ريح سوداء ثلاثة أيام فاهلكت كثيرا من الناس وغيرهم من الحيوانات وفيها توفى ابو محمد القاسم بن على بن محمد بن عثمان الحريرى صاحب المقامات

ترتيبا بقدر فائظها على بعض الجهات الميرية من المكوس والجمارك التى أحدثوها فان سلم سنده وكان ممن يراعى جانبه حول الى بعض الجهات المذكورة صورة والا أهمل أمره وبعضهم باعها لهم بما انكسر عليه من مال الفرض وقد وقع ذلك لكثير من اصحاب الذمم المتعددة انكسر عليه مقادير عظيمة فتنزل عن بعضها وخصم واله ثمنها من المنكسر عليه من الفرضة وبقى عليه الباقى يطالب به فان حدثت فرضة أخرى قبل غلاق الباقى وقعدبها وضمت الى الباقى وقصرت يده لعجز فلاحيه واستدان بالربا من العسكر تضاعف الحال وتوجه عليه الطلب من الجهتين فيضطر الى خلاص نفسه وينزل عما بقى تحت يده كالاول وقد يبقى عليه المكسر و يصبح فارغ اليد من الالتزام ومديونا وقد وقع ذلك لكثير كانوا اغنياء ذوى ثروة واصبحوا فقراء محتاجين من حيث لا يشعرون ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم (وفيه) تحركت همم الامراء المصريين القبليين الى الحضور الى ناحية مصر بعد ترداد الرسل والمكاتبات وحضور ديوان أفندى ورجوعه وحضور محمد بك المنفوخ أيضا وكل من حضر منهم انعم عليه الباشا والبسه الخلع و يقدم له التقادم و يعطيه المقادير العظيمة من الاكياس وقصده البساطى صيدهم حتى انه كان أنعم على محمد بك المنفوخ بالتزام

المشهورة وهزارسب بن عوض الهروي وكان قد سمع الحديث كثيرا

(ثم دخلت سنة ست عشرة وخمسمائة)

(ذكر طاعة الملك طغرل لاخيه السلطان محمود)

وفي المحرم من هذه السنة اطاع الملك طغرل أخاه السلطان محمودا وكان قد خرج عن طاعته كما ذكرناه وقصد اذربيجان في السنة الخالية ليتغلب عليها وكان أتابكه كنتغدي يحسن له ذلك ويقويه عليه فاتفق أنه مرض وتوفي في شوال سنة خمس عشرة وكان الامير آقسنقر الاحمديلي صاحب مراغة عند السلطان محمود ببغداد فاستاذنه في المضي الى اقطاعه فاذن له فلما سار عن السلطان ظن انه يقوم مقام كنتغدي من الملك طغرل فسار اليه واجتمع به واشار عليه بالمكاشفة لاخيه السلطان محمود وقال له اذا وصلت الى مراغة اتصل بك عشرة آلاف فارس وراجل فسار معه فلما وصلوا الى اردبيل اغلقت ابوابها دونهم فسار واعنها الى قريب تبريز فاتاهم الخبر ان السلطان محمودا سير الامير جيوش بك الى اذربيجان واقطعه البلاد وانه نزل مراغة في عسكر كثيف من عند السلطان فلما تيقنوا ذلك عدلوا الى خونج وانتقض عليهم ما كانوا فيه وراسلوا الامير شيركير الذي كان أتابك طغرل ايام ابيه يدعونه الى انجادهم وقد كان كنتغدي قبض عليه بعد موت السلطان محمد على ما ذكرناه ثم اطلقه السلطان سنجر فعاد الى اقطاعه أبهر وزنجان وكاتبوه فاجابهم واتصل بهم وسار معهم الى ابهر فلم يتم لهم ما ارادوا فراسلوا السلطان بالطاعة فاجابهم الى ذلك فاستقرت القاعدة أول هذه السنة وتمت

(ذكر حال دبيس بن صدقة وما كان منه)

قد ذكرنا سنة اربع عشرة حال دبيس بن صدقة وصلحه على يد برنقش الزكوي ومقامه بالحلة وعود برنقش الى السلطان ومعه منصور بن صدقة اخو دبيس وولده رهينة فلما علم الخليفة بذلك لم يرض به وراسل السلطان محمودا في ابعاد دبيس عن العراق الى بعض النواحي وتردد الخطاب في ذلك وعزم السلطان على المسير الى همذان فاعاد الخليفة الشكوى من دبيس وذكر انه يطالب الناس بحقوده منها قتل ابيه وان يحضر السلطان آقسنقر البرسقي من الموصل ويوليه شحنكية بغداد والعراق ويجعله في وجه دبيس ففعل السلطان ذلك واحضر البرسقي فلما وصل اليه زوجه والدة الملك مسعود وجعله شحنة ببغداد وامره بقتال دبيس ان تعرض الى البلاد وسار السلطان عن بغداد في صفر من هذه السنة وكان مقامه ببغداد سنة وسبعة اشهر وخمسة عشر يوما فلما فارق بغداد والعراق تظاهر دبيس باموره تاثر بها المسترشد بالله وتقدم الى البرسقي بالمسير اليه وازعاجه عن الحلة فارسل البرسقي الى الموصل واحضر عساكره وسار الى الحلة واقبل دبيس نحوه فالتقوا عند نهر بشير شرقي الفرات واقتتلوا فانهزم عسكر البرسقي وكان سبب الهزيمة انه رأى في ميسرته خللا وبها الامراء البكجية فامر بالقاء خيمته وان تنصب عند الميسرة ليقوى قلوب من بها فلما رأوا الخيمة وقد سقطت

جمرك ديوان بولاق ثم عوضه عنه سبعمائة كيس وغير ذلك (وفيه) قلد الباشا ناظر المهمات لصالح بن مصطفى كتخدا الرزاز ونقلوا ورشة الحدادين ومنافخهم وعددهم من بيت محمد افندي طبل الودنلي المعروف بناظر المهمات الى بيت صالح المذكور بناحية التبانة وكذلك العربجية وصناع الجلل والمدافع ونزعوا منه ايضا معمل البارود وكان تحت نظره وكذلك قاعة الفضة وجمرك اللبان وغيره (وفيه وصلت) الاخبار من البلاد الرومية والشامية وغيرها بوقوع الزلزلة في الوقت الذي حصلت فيه بمصر الا انها كانت اعظم واشد واطول مدة وحصل في بلاد كريت اتلافات كثيرة وهدمت اماكن ودورا كثيرة وهلك كثير من الناس تحت الردم وخسفت اماكن وتكسر على ساحل مالطه عدة مراكب وحصل ايضا باللاذقية خسف وحكى الناقلون ان الارض انشقت في جهة من اللاذقية فظهر في اسفلها ابنية انخسفت بها الارض قبل ذلك ثم انطبقت ثانيا (وفيه من الحوادث) ما وقع ببيت المقدس وهو انه لما احترقت القمامة الكبرى كما تقدم ذكر حرقها في العام الماضي عرضوا الى الدولة فبرز الامر السلطاني باعادة بنائها وعينوا لذلك اغا قبجي وعلى يده مرسوم شريف فحضر الى القدس وحصل الاجتهاد في تشهيل مهمات ظنوها

ظنوها عن هزيمة فانهزموا وتبعهم الناس والبرسقي وقيل بل اعطى رقعة فيها ان جماعة من الامراء منهم اسمعيل البكجي يريدون الفتك به فانهزم وتبعه العسكر ودخل بغداد ثاني ربيع الآخر وكان في جملة العسكر نصر بن النفيس بن مهذب الدولة احمد بن ابي الجبر وكان ناظرا بالبطيحة لريحان محكويه خادم السلطان لانها كانت من جملة اقطاعه وحضر ايضا المظفر بن حماد بن ابي الجبر وبينهما عداوة شديدة فالتقيا عند الانهزام بساباط نهر ملك فقتله المظفر ومضى الى واسط مختفيا وسار منها الى البطيحة وتغلب عليها وكاتب دبيسا واطاعه واما دبيس فانه لم يعرض لنهر ملك ولا غيره وارسل الى الخليفة انه على الطاعة ولولا ذلك لاخذ البرسقي وجميع من معه وسال ان يخرج الناظر الى القرى التي لخاص الخليفة لقبض دخلها وكانت الوقعة في حزيران وحمى البلد فاحمد الخليفة فعله وترددت الرسل بينهما فاستقرت القاعدة ان يقبض المسترشد بالله على وزيره جلال الدين ابي علي بن صدقة ليعود الى الطاعة فقبض على الوزير ونهبت داره ودور اصحابه والمنتمين اليه وهرب ابن اخيه جلال الدين ابو الرضا الى الموصل ولما سمع السلطان خبر الوقعة قبض على منصور بن صدقة اخي دبيس وولده ورفعهما الى قلعة برجين وهي تجاور كرج ثم ان دبيسا ارسل جماعة من اصحابه بالمسير الى اقطاعهم بواسط فساروا اليها فمنعهم اتراك واسط فجهز دبيس اليهم عسكرا مقدمهم مهلهل ابن ابي العسكر وارسل الى المظفر بن ابي الجبر بالبطيحة ليتفق مع مهلهل ويساعده على قتال الواسطيين فاتفقا على ان تكون الوقعة تاسع رجب وارسل الواسطيون الى البرسقي يطلبون منه المدد فامدهم بجيش من عنده وعجل مهلهل في عسكر دبيس ولم ينتظر المظفر ظنا منه انه بمفرده ينال منهم ما اراد وينفرد بالفتح فالتقى هو والواسطيون ثامن رجب فانهزم مهلهل وعسكره وظفر الواسطيون واخذ مهلهل اسيرا وجماعة من اعيان العسكر وقتل ما يزيد على الف قتيل ولم يقتل من الواسطيين غير رجل واحد واما المظفر بن ابي الجبر فانه اصعد من البطيحة ونهب وافسد وجرى من اصحابه القبيح فلما قارب واسط سمع بالهزيمة فعاد منحدرا وكان في جملة ما اخذ العسكر الواسطي من مهلهل تذكرة بخط دبيس يأمره فيها بقبض المظفر بن ابي الجبر ومطالبته باموال كثيرة اخذها من البطيحة فارسلوا الخط الى المظفر وقالوا هذا خط الذي تختاره وقد اسخطت الله تعالى والخلق كلهم لاجله فمال اليهم وصار معهم فلما جرى على اصحاب دبيس من الواسطيين ما ذكرناه شمر عن ساعده في الشر وبلغه ان السلطان كحل اخاه فجز شعره ولبس السواد ونهب البلاد واخذ كل ما للخليفة بنهر ملك فاجلى الناس الى بغداد وسار عسكر واسط الى النعمانية فاجلوا عنها عسكر دبيس واستولوا عليها وجرى بينهم هناك وقعة كان الظفر للواسطيين وتقدم الخليفة الى البرسقي بالتبريز الى حرب دبيس فبرز في رمضان وكان ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر قتل السميرمي)

وفي هذه السنة قتل الوزير الكمال ابو طالب السميرمي وزير السلطان محمود سلخ صفر

العمارة وشرعوا في البناء على وضع احسن من الاول وتوسعوا في مساحة جرمها وادخلوا فيها اماكن مجاورة لها واتقنوا البناء اتقانا عجيبا وجعلوا اسوارها وحيطانها بالحجر النحيت ونقلوا اليها من رخام المسجد الاقصى فقام يمنع ذلك جماعة من الاشراف الينكجرية وشنعوا على الاغا المعين وعلى كبار البلدة وتعصبوا لحماية للدين قائلين ان الكنائس اذا خربت لا يجوز اعادتها الا بانقاضها ولا يجوز الاستعلاء بها ولا تشييدها ولا اخذ رخام الحرم القدسي ليوضع في الكنيسة ومانعوا في ذلك فارسل ذلك الاغا المعين الى يوسف باشا يعرفه عن المعارضين لاوامر الدولة فارسل يوسف باشا طائفة من عسكره في عدة وافرة فوصلوا من طريق الغور وهو مسلك موصل الى القدس قريب المسافة خلاف الطريق المعتاد فدهموا الجماعة المعارضين على حين غفلة وحاصروهم في دير وقتلوهم عن آخرهم وهم نيف وثلاثون نفرا وشيدوا القمامة كما ارادوا واعظم واضخم مما كانت عليه قبل حرقها فنسال المولى السلامة في الدين

(واستهل شهر ربيع الاول بيوم الخميس سنة ١٢٢٥)

فيه وصلت الامراء المصريون القبالي الى ناحية بني سويف وكثير من الاجناد الى مصر وترددت الرسل وحضر ديوان افندي ثم رجع ثانيا اليهم (وفيه امر الباشا) الكتاب

بعمل حساب حسين افندي الروزنامجي عن السنتين الماضيتين وهما سنة ثلاث وعشرين واربع وعشرين

وذلك باغراء البعض منهم فاستمروا في عمل الحساب أياما فزاد لحسين أفندي مائة وثمانون كيسا فلم يعجب الباشا ذلك واستخونهم في عمل الحساب ثم الزمه بدفع اربعمائة كيس وقال أنا كنت اريد منه ستمائة كيس وقد سامحته في مائتين في نظير الذي تأخر له وطلع في صبحها الى الباشا وخلع عليه فروة باستقراره في منصبه ونزل الى داره فلما كان بعد الغروب حضر اليه جماعة من العسكر في هيئة مزعجة ومعهم مشاعل وطلبوا الدفاتر وهم يقولون معزول معزول واخذوا الدفاتر وذهبوا وحولوا عليه الحوالات بطلب الاربعمائة كيس فاجتهد في تحصيلها ودفعها ثم ردوا له الدفاتر ثانيا (وفيه) حصلت كائنة احمد أفندي المعروف باليتيم من كتاب الروزنامه وذلك ان الباشا كان ببيت الازبكية فوصل اليه مكتوب من كاشف اقليم الدقهلية يعرفه فيه انه قاس قطعة أرض جارية في اقطاع أحمد افندي المذكور فوجد مساحتها خلاف المقيد بدفتر المقياس الاول ومسقوط منها نحو الخمسمائة فدان وذلك من فعل المذكور ومخامرته مع النصارى الكتبة والمساحين لانهم يراعونه ويدلسون معه لان دفاتر الروزنامه بيده فلما قرأ المكتوب أمر

من

وكان قد برز مع السلطان ليسير الى همذان فدخل الحمام وخرج بين يديه الرجالة والخيالة وهو في موكب عظيم فاجتاز بسوق المدرسة التي بناها خمارتكين التتشي واجتاز في منفذ ضيق فيه حظائر الشوك فتقدم اصحابه لضيق الموضع فوثب عليه باطني وضربه بسكين فوقعت في البغلة وهرب الى دجلة وتبعه الغلمان فخلا الموضع فظهر رجل آخر فضربه بسكين في خاصرته وجذبه عن البغلة الى الارض وضربه عدة ضربات وعاد اصحاب الوزير فحمل عليهم رجلان باطنيان فانهزموا منهما ثم عادوا وقد ذبح الوزير مثل الشاة فحمل قتيلا وبه نيف وثلاثون جراحة وقتل قاتلوه ولما كان في الحمام كان المنجمون يأخذون له الطالع ليخرج فقالوا هذا وقت جيد وان تأخرت يفوت طالع السعد فاسرع وركب وأراد ان يأكل طعاما فمنعوه لاجل الطالع فقتل ولم ينفعه قولهم وكانت وزارته ثلاث سنين وعشرة اشهر وانتهب ماله واخذ السلطان خزانته ووزر بعده شمس الملك بن نظام الملك وكانت زوجة السميرمي قد خرجت هذا اليوم في موكب كبير معها نحو مائة جارية وجمع من الخدم والجميع بمراكب الذهب فلما سمعن بقتله عدن حافيات حاسرات وقد تبدلن بالعز هوانا وبالمسرة احزانا فسبحان من لا يزول ملكه وكان السميرمي ظالما كثير المصادرة للناس سيء السيرة فلما قتل اطلق السلطان ما كان جدده من المكوس وما وضعه على التجار والباعة

(ذكر القبض على ابن صدقة وزير الخليفة ونيابة على بن طراد)

في جمادى الاولى قبض الخليفة على وزيره جلال الدين بن صدقة وقد تقدم ذكره قبل واقيم نقيب النقباء شرف الدين على بن طراد الزينبي في نيابة الوزارة فارسل السلطان الى المسترشد بالله في معنى وزارة نظام الملك ابي نصر احمد بن نظام الملك وكان أخا شمس الملك عثمان بن نظام الملك وزير السلطان محمود فاجيب الى ذلك واستوزر في شعبان وكان قد وزر للسلطان محمد سنة خمسمائة ثم عزل ولزم داره ببغداد الى الآن فلما خلع على نظام الملك وجلس في الديوان طلب ان يخرج ابن صدقة عن بغداد فلما علم ابن صدقة ذلك طلب من الخليفة ان يسير الى حديثة عانة ليكون عند الامير سليمان ابن مهارش فاجيب الى ما طلب وسار الى الحديثة فخرج عليه في الطريق انسان من مفسدي التركمان يقال له يونس الحرامي فاسره ونهب اصحابه فخاف الوزير أن يعلم دبيس فارسل الى يونس وبذل له مالا يأخذه منه للعداوة التي بينهما فقرر امره مع يونس على الف دينار يعجل منها ثلثمائة ويؤخر الباقي الى ان يرسله من الحديثة وراسل عامل بلد الفرات في تخليصه وانفاذ من يضمن الباقي الذي عليه فاعمل العامل الحيلة في ذلك فاحضر انسانا فلاحا والبسه ثيابا فاخرة وطيلسانا واركبه وسير معه غلمانا وامره ان يمضي الى يونس ويدعي انه قاضي بلد الفرات ويضمن الوزير منه بما بقي من المال فسار السوادي الى يونس فلما حضر عند الوزير ويونس احترماه وضمن السوادي الوزير منه وقال له اقيم عندك الى ان يصل المال مع صاحب لك تنفذه مع الوزير فاعتقد يونس صدق ذلك واطلق الوزير ومعه جماعة من أصحابه فلما وصل الحديثة قبض على

من معه منهم فاطلق يونس ذلك السوادي والمال الذي أخذه حتى أطلق الوزير أصحابه
وعلم الحيلة التي تمت عليه ولما سار الوزير من عند يونس لقي انسانا انكره فاخذه فرأى
معه كتابا من دبيس الى يونس يبذل ستة آلاف دينار ليسلم الوزير اليه وكان خلاصه
من أعجب الاشياء

(ذكر قتل جيوش بك)

في هذه السنة قتل الامير جيوش بك الذي كان صاحب الموصل وقد ذكرنا خروجه على
السلطان محمود وعوده الى خدمته فلما رضي عنه أقطعه أذربيجان وجعله مقدم عسكره
فجرى بينه وبين جماعة من الامراء منافرة ومنازعات فاغروا به السلطان فقتله في
رمضان على باب تبريز وكان تركيا من مماليك السلطان محمد عادلا حسن السيرة ولما ولي
الموصل والجزيرة كان الاكراد بتلك الاعمال قد انتشروا وكثر فسادهم وكثرت قلاعهم
والناس معهم في ضيق والطريق خائفة فقصدهم وحصر قلاعهم وفتح كثيرا منها ببلد
الهكارية وبلد الزوزان وبلد البشنوية وخافه الاكراد وتولى قصدهم بنفسه فهربوا منه في
الجبال والشعاب والمضايق وامنت الطرق وانتشر الناس واطمانوا وبقي الاكراد
لا يجسرون أن يحملوا السلاح لهيبته

(ذكر وفاة ايلغازي واحوال حلب بعده)

في هذه السنة في شهر رمضان توفي ايلغازي بن ارتق بميافارقين وملك ابنه حسام الدين
تمرتاش قلعة ماردين وملك ابنه سليمان ميافارقين وكان بحلب ابن اخيه بدر الدولة
سليمان بن عبد الجبار بن ارتق فبقي بها الى ان اخذها ابن عمه

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة اقطع السلطان محمود الامير آقسنقر البرسقي مدينة واسط واعمالها
مضافا الى ولاية الموصل وغيرها مما بيده وشحنكية العراق فلما أقطعها البرسقي سير اليها
عماد الدين زنكي بن آقسنقر الذي كان والده صاحب حلب وامره بحمايتها فسار اليها في
شعبان ووليها وقد ذكرنا اخبار زنكي في كتاب الباهر في ذكر ملكه وملك اولاده الذين
هم ملوكنا الآن فينظر منه وفيها ظهر معدن نحاس بديار بكر قريبا من قلعة ذي
القرنين وفيها زاد الفرات زيادة عظيمة لم يعهد مثلها فدخل الماء الى ربض قلعة
جعبر وكان الفرات حينئذ بالقرب منها فغرق أكثر دوره ومساكنه وحمل فرسا
من الربض وألقاه من فوق السور الى الفرات وفيها بنيت مدرسة بحلب لاصحاب
الشافعي وفيها توفيت ابنة السلطان سنجر زوجة السلطان محمود وفيها في شعبان قدم
الى بغداد البرهان أبو الحسن علي بن الحسين الغزنوي وعقد مجالس الوعظ في جميع
المواضع وورد بعده أبو القاسم علي بن يعلى العلوي ونزل رباط شيخ الشيوخ فوعظ
في جامع القصر والتاجية ورباط سعادة وصار له قبول عند الحنابلة وحصل له مال
كثير لانه أظهر موافقتهم وورد بعده أبو الفتوح الاسفرايني ونزل برباط شيخ الشيوخ

في الحال بالقبض على احمد افندي وسجنه وكان السيد محمد المحروقي حاضرا وكذلك علي كاشف الكبير
الالفي فترجيا عند الباشا
واخبراه بان المذكور
مريض بالسرطان في رجله
ولا يقدر على حركتها واستاذنه
السيد المحروقي بان ياخذه الى
داره فان داره باب من ابوابه
فاجابه الى ذلك وركب في
الحال ولحق بالمعينين وكانوا
قد وصلوا اليه وازعجوه فمنعهم
عنه وأخذه الى داره وراجع
الباشا في امره فقرر عليه
ثمانين كيسا بعد أن قال اني
كنت اريد أن اقول ثلثمائة
كيس فسبق لساني فقلت
مائة كيس وقد تجاوزت
لاجلك عن عشرين كيسا
وهو يقدر على اكثر من ذلك
لانه يفعل كذا وكذا وعدد
اشياء تدل على انه ذو غنية
كبيرة منها انه لما سافر الى
الباشا بدفتر الفرضة الى
ناحية أسيوط طلع الى البلدة
في هيئة وصحبته فرش
وسحاحير وبشخانات
وكرارات وفراشون وخدم
وكيلارجية ومصاحبجية
والحكيم والمزين فلما شاهد
الباشا هيئته سال عنه وعن
منصبه فقيل له انه جاجرت من
كتبة الروزنامه فقال اذا كان
جاجرت يعني تلميذ فكيف يكون
باش جاجرت او قلفاوات الاقليم
فضلا عن كبيرهم الروزنامجي
واي شئ ذلك واسر ذلك في
نفسه وطفق يسال ويتجسس عن احوالهم لانه من طبعه الحقد والحسد والتطلع لما في

أيضا ووعظ فى هذه المواضع وفى النظامية وأظهر مذهب الاشعرى فصار له قبول
كثير عند الشافعية وحضر مجلسه الخليفة المسترشد بالله وسلم اليه رباط الارجوانية
والدة المقتدى بالله بدرب زاخى وفيها توفى عبدالله بن أحمد بن عمر أبو محمد السمرقندى
أخو أبى القاسم بن السمرقندى ومولده بدمشق سنة أربع وأربعين وأربعمائة ونشأ
ببغداد وسمع الصريفينى وابن النقور وغيرهما وسافر الكثير وكان حافظا للحديث
عالما به وفى ذى الحجة توفى عبد القادر بن محمد بن عبد القادر بن محمد بن يوسف أبو طالب
ومولده سنة ست وثلاثين وأربعمائة وسمع البرمكى والجوهرى والعشارى وكان ثقة
حافظا للحديث

(ثم دخلت سنة سبع عشرة وخمسمائة)

(ذكر مسير المسترشد بالله لحرب دبيس)

فى هذه السنة كان الحرب بين الخليفة المسترشد بالله وبين دبيس بن صدقة وكان سبب
ذلك ان دبيسا أطلق عفيفا خادم الخليفة وكان ماسورا عنده وحمله رسالة فيها تهديد
للخليفة بارسال البرسقى الى قتاله وتقويته بالمال وان السلطان كحل أخاه وبالغ فى
الوعيد ولبس السواد وجز شعره وحلف لينهبن بغداد ويخربها فاغتاظ الخليفة لهذه
الرسالة وغضب وتقدم الى البرسقى بالتبرز الى حرب دبيس فبرز فى رمضان سنة ست
عشرة وتجهز الخليفة وبرز من بغداد واستدعى العساكر فأتاه سليمان بن مهارش
صاحب الحديثة فى عقيل وأتاه قرواش بن مسلم وغيرهما وأرسل دبيس الى نهر ملك
فنهب وعمل أصحابه كل عظيم من الفساد فوصل أهله الى بغداد فامر الخليفة فنودى
ببغداد لا يتخلف من الاجناد أحد ومن أحب الجندية من العامة فليحضر فجاء خلق
كثير ففرق فيهم الاموال والسلاح فلما علم دبيس الحال كتب الى الخليفة يستعطفه
ويسأله الرضا عنه فلم يجب الى ذلك وأخرجت خيام الخليفة فى العشرين من ذى الحجة
من سنة ست عشرة فنادى أهل بغداد النفير النفير الغزاة الغزاة وكثر الضجيج من الناس
وخرج منهم عالم كثير لا يحصون كثرة وبرز الخليفة رابع عشرى ذى الحجة وعبر دجلة
وعليه قباء اسود وعمامة سوداء وطرحة وعلى كتفه البردة وفى يده القضيب وفى وسطه
منطقة حديد صينى ونزل الخيام ومعه وزيره نظام الدين أحمد بن نظام الملك ونقيب
الطالبيين ونقيب النقباء على بن طراد وشيخ الشيوخ صدر الدين اسمعيل وغيرهم
من الاعيان وكان البرسقى قد نزل بقرية جهارطاق ومعه عسكره فلما بلغهم خروج
الخليفة عن بغداد عادوا الى خدمته فلما رأوا الشمسة ترجلوا باجمعهم وقبلوا الارض
بالبعد منه ودخلت هذه السنة فنزل الخليفة مستهل المحرم بالحديثة بنهر الملك واستدعى
البرسقى والامراء واستحلفهم على المناصحة فى الحرب ثم ساروا الى النيل ونزلوا بالمباركة
وعبى البرسقى أصحابه ووقف الخليفة من وراء الجميع فى خاصته وجعل دبيس أصحابه
صفا واحدا ميمنة وميسرة وقلبا وجعل الرجالة بين يدى الخيالة بالسلاح وكان قد وعد

ايدى الناس واما قاله خليل افندى كتابة ٢٠٨ الذمة فى الروزنامه كما تقدم انضم اليه المكارهون للمذكور الذين كانوا خاملى
الذكر بوجوده وتوصلوا الى باب
الباشا وكتخدا بك وانهوا فيه
انه يتصرف فى الاموال الميرية
كما يختار وان حسين افندى
الروزنامجى لايخرج عن مراده
واشارته وبيته مفتوح للضيفان
ويجتمع عنده فى كل ليلة عدة
من الفقراء يثرد لهم الثريد فى
القصاع ويواسى الكثير من أهل
العلم وغيرهم ويتعهد بكثير من
الملتزمين بالفرض التى تقرر
على حصصهم ويضعها فى حسابه
ويصبر عليهم حتى يوفوها له فى
طول الزمن ونحو ذلك وكل
ما ذكر دليل على سعة الحال
والمقدرة وأما الذنب الذى
أخذ به فان القدر المذكور
من الطين كان من الموات فاتفق
المذكور مع شركائه ملتزمى
الناحية وجرفوه وأحيوه
وأصلحوه بعدان كان خرسا
ومواتا لا ينتفع به وجعلوه
صالحا للزراعة وظن ان ذلك
لايدخل فى المساحة فاسقطه
منها فوقع له ما وقع وأسقطوا
اسمه من كتاب الروزنامه ومنعوه
منها وانقطع فى داره وزاد به ألم
وجله (وفيه انحرف) أيضا
الباشا على الخواجا محمود حسن
وعزله من الجمارك والبزرجانية
وأكل عليه المطلوب له وهو مبلغ
الفان وخمسون كيسا

*(واستهل شهر ربيع الثانى
بيوم السبت سنة ١٢٢٥)*

فيه وصلت الاخبار من البلاد الحجازية بنزول سيل عظيم حصل منه ضرر كثير وهدم دورا كثيرة بمكة

اصحابه

أصحابه بنهب بغداد وسبي النساء فلما تراءت الفئتان بادر أصحاب دبيس و بين أيديهم الاماء يضربن بالدفوف والمخانيث بالملاهي ولم ير في عسكر الخليفة غير قارئ ومسبح وداع فقامت الحرب على ساق وكان مع أعلام الخليفة الامير كرباوي بن خراسان وفي الساقة سليمان بن مهارش وفي ميمنة عسكر البرسقي الامير أبو بكر بن الياس مع الامراء البكجية فحمل عنتر بن أبي العسكر في طائفة من عسكر دبيس على ميمنة البرسقي فتراجعت على أعقابها وقتل ابن أخ للامير أبي بكر البكجي وعاد عنتر وحمل حملة ثانية على هذه الميمنة فكان حالها في الرجوع على أعقابها كحالها الاول فلما رأى عسكر واسط ذلك ومقدمهم الشهيد عماد الدين زنكي بن آقسنقر حمل وهم معه على عنتر ومن معه وأتوهم من ظهورهم فبقي عنتر في الوسط وعماد الدين وعسكر واسط من ورائه والامراء البكجية بين يديه فاسر عنتر وأسر معه بريك بن زائدة وجميع من معهما ولم يفلت أحد وكان البرسقي واقفا على نشز من الارض وكان الامير آق بوري في الكمين في خمسمائة فارس فلما اختلط الناس خرج الكمين على عسكر دبيس فانهزموا جميعهم وألقوا نفوسهم في الماء فغرق كثير منهم وقتل كثير ولما رأى الخليفة اشتداد الحرب جرد سيفه و كبر وتقدم الى الحرب فلما انهزم عسكر دبيس وحملت الاسرى الى بين يديه أمر الخليفة أن تضرب أعناقهم صبرا وكان عسكر دبيس عشرة آلاف فارس واثني عشر ألف راجل وعسكر البرسقي ثمانية آلاف فارس وخمسة آلاف راجل ولم يقتل من أصحاب الخليفة غير عشرين فارسا وحصل نساء دبيس وسراريه تحت الاسر سوى بنت ايلغازي و بنت عميد الدولة بن جهير فانه كان تركهما في المشهد وعاد الخليفة الى بغداد فدخلها يوم عاشوراء من هذه السنة ولما عاد الخليفة الى بغداد ثار العامة بها ونهبوا مشهد باب التبن وقلعوا أبوابه فانكر الخليفة ذلك وأمر نظرا أمير الحاج بالركوب الى المشهد وتاديب من فعل ذلك وأخذ ما نهب ففعل وأعاد البعض وخفي الباقي عليه وأما دبيس بن صدقة فانه لما انهزم نجا بفرسه وسلاحه وأدركته الخيل ففاتها وعبر الفرات فرأته امرأة عجوز وقد عبر فقالت له دبير جئت فقال دبير من لم يجئ واختفى خبره بعد ذلك وأرجف عليه بالقتل ثم ظهر أمره انه قصد غزية من عرب نجد فطلب منهم ان يحالفوه فامتنعوا عليه وقالوا انا نسخط الخليفة والسلطان فرحل الى المنتفق واتفق معهم على قصد البصرة وأخذها فساروا اليها ودخلوها ونهبوا أهلها وقتل الامير سخت كمان مقدم عسكرها وأجلى أهلها فارسل الخليفة الى البرسقي يعاتبه على اهماله أمر دبيس حتى تم له من امر البصرة ما أخربها فتجهز البرسقي للانحدار اليه فسمع دبيس ذلك ففارق البصرة وسار على البر الى قلعة جعبر والتحق بالفرنج وحضر معهم حصار حلب واطمعهم في اخذها فلم يظفروا بها فعادوا عنها ثم فارقهم والتحق بالملك طغرل ابن السلطان محمد فاقام معه وحسن له قصد العراق وسنذكره سنة تسع وعشرين ان شاء الله تعالى

و جدة وأتلف كثيرا من البضائع للتجار وذكروا انه هدم بمكة خاصة ستمائة دار وكان ذلك في شهر صفر (وفيه) وصل الامراء المصريون الى ناحية الرقق واواثلهم وصلوا الى دهشور وخرج اليهم الاتباع بالملاقاة من بيوتهم واحبابهم وذهب اليهم مصطفى اغا الوكيل وعلى كاشف الصابونجي وديوان أفندي ثم الباشا ثم في اثرهم طوسون ابن الباشا وقدم له ابراهيم بك تقادم وأقام بوطاقه أياما ثم رجعوا وكثر ترداد المراسلات والاختلافات في أمر الشروط (وفي خامسه) حضر عثمان بك يوسف وصحبته صنجق آخر فطلعا الى القلعة وقابلا الباشا ثم رجعا وحضرا في ثاني يوم كذلك فخلع عليهما خلعا واعطاهما أكياسا وارسل الى ابراهيم بك هدايا والى سليم بك المحرمجي المرادي أيضا (وفي يوم الثلاثاء حادي عشره) وصل الجميع الى الجيزة ونصبوا وطاقهم خارج الجيزة وصحبتهم عربان وهوارة كثيرة وانتظروا ان الباشا يضرب لحضورهم مدافع فلم يفعل وقال ابراهيم بك سبحان الله ما هذا الاحتقار ألم اكن أمير مصر نيفا وأربعين سنة وتقلدت قائمقامية ولايتها ووزارتها مرارا وباخره صار من أتباعي وأعطيه خرجه من كيلاري ثم أحضرنا و باقي الامراء على صورة الصلح فلا يضرب لنا مدافع كما يفعل لحضور بعض الافرنج وتاثر من ذلك واشيع في الناس

(ذكر ملك الفرنج حصن الاثارب)

فى هذه السنة فى صفر ملك الفرنج حصن الاثارب من اعمال حلب وسبب ذلك انهم كانوا قد اكثروا قصد حلب واعمالها بالاغارة والتخريب والتحريق وكان بحلب حينئذ بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار بن ارتق وهو صاحبها ولم يكن له بالفرنج قوة وخافهم فهادنهم على ان يسلم الاثارب ويكفوا عن بلاده فاجابوه الى ذلك وتسلموا الحصن وتمت الهدنة بينهم واستقام امر الرعية باعمال حلب وجلبت اليهم الاقوات وغيرها ولم تزل الاثارب بايدى الفرنج الى ان ملكها اتابك زنكى بن آقسنقر على ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر ملك بلك حران وحلب)

فى هذه السنة فى ربيع الاول ملك بلك بن بهرام مدينة حران وكان حصرها فلما ملكها سار منها الى مدينة حلب وسبب مسيره اليها انه بلغه ان صاحبها بدر الدولة قد سلم قلعة الاثارب الى الفرنج فعظم ذلك عليه وعلم عجزه عن حفظ بلاده فقوى طمعه فى ملكها فسار اليها ونازلها فى ربيع الاول وضايقها ومنع الميرة عنها واحرق زروعها فسلم اليه ابن عمه البلد والقلعة بالامان غرة جمادى الاولى من السنة وتزوج ابنة الملك رضوان وبقى مالكها الى ان قتل على ما نذكره

(ذكر الحرب بين الفرنج والمسلمين بافريقية)

قد ذكرنا ان الامير على بن يحيى صاحب افريقية لما استوحش من رجار صاحب صقلية جدد الاسطول الذى له وكثر عدده وعدده وكاتب امير المسلمين على بن يوسف ابن تاشفين بمراكش بالاجتماع معه على قصد جزيرة صقلية فلما علم رجار ذلك كف عن بعض ما كان يفعله فاتفق ان عليا مات سنة خمس عشرة وولى ابنه الحسن وقد ذكرناه فلما دخلت سنة ست سير امير المسلمين اسطولا ففتحوا نقوطرة بساحل بلاد قلوريه فلم يشك رجار ان عليا كان سبب ذلك فجد فى تعمير الشوانى والمراكب وحشد فاكثر ومنع من السفر الى افريقية وغيرها من بلاد الغرب فاجتمع له من ذلك ما لم يعهد مثله قيل كان ثلثمائة قطعة فلما انقطعت الطريق عن افريقية توقع الامير الحسن بن على خروج العدو الى المهدية فامر باتخاذ العدد وتجديد الاسوار وجمع المقاتلة فاتاه من اهل البلاد ومن العرب جمع كثير فلما كان فى جمادى الآخرة سنة سبع عشرة سار الاسطول الفرنجى فى ثلثمائة قطعة فيها الف فرس وفرس واحد الا انهم لما ساروا من مرسى على فرقتهم الريح وغرق منهم مراكب كثيرة ونازل من سلم منهم جزيرة قوصرة ففتحها وقتل من بها وسبى وغنموا وساروا عنها فوصلوا الى افريقية ونازلوا الحصن المعروف بالديماس أواخر جمادى الاولى فقاتلهم طائفة من العرب كانوا هناك والديماس حصن منيع فى وسطه حصن آخر وهو مشرف على البحر وسير الحسن من عنده من الجموع الى الفرنج وأقام هو بالمهدية فى جمع آخر يحفظها واخذ الفرنج حصن

ثم عدّيه الباشا من الغد للسلام على ابراهيم بك فلم يثبت وظهر انه لم يفعل واصبح مبكرا الى شبرا وجلس فى قصره وحضر اليه شاهين بك الالفى فى سفينة ووقع بينهما مكالمات ورجع من عنده عائدا الى الجيزة منفعل الخاطر ثم ان الباشا عرض عساكره فاجتمع اليه الجميع وبدا اللغط وكثرت القلقلة وعندما وصل شاهين بك الى الجيزة أزرح يه وار كبهن وارسلهن الى الفيوم ونقل متاعه وفرشه من قصر الجيزة فى بقية اليوم وكسر المرايات وزجاج الشبابيك التى فى مجالسه الخاصة ثم ركب فى طوائفه واتباعه وخشداشينه ومماليكه وذهب الى عرضى اخوانه وقبيلته ونصب خيامه ووطاقه بحذائهم واجتمع بهم وتصافى معهم وقد كان حضر اليه عبد الرحمن بك تابع عثمان بك المرادى المعروف بالطنبرجى وحول دماغه واتفق معه على الانضمام اليهم والخروج عن الباشا ففعل ما فعل وجعلوه رئيس الامراء المرادية (وفى ذلك اليوم) عدى حسن باشا وصالح اغا قوج الى بر الجيزة وذهبا الى عرضى الامراء وسلما عليهم وتغديا عند شاهين بك وجرى بينهما وبين ابراهيم بك كلام كثير وقال له حسن باشا انكم وصلتم الى هنا لتمام الصلح على الشروط التى حصلت بينكم وبين الباشا والاتفاق الذى جرى باسيوط ويكون تمامه عند وصولكم

الديماس وجنود المسلمين محيطة بهم فلما كان بعد ليال اشتد القتال على الحصن الداخل فلما كان الليل صاح المسلمون صيحة عظيمة ارتجت لها الارض وكبروا فوقع الرعب فى قلوب الفرنج فلم يشكوا ان المسلمين يهجمون عليهم فبادروا الى شوانيهم وقتلوا بايديهم كثيرا من خيولهم وغنم المسلمون منها ار بعمائة فرس ولم يسلم معهم غير فرس واحد وغنم المسلمون جميع ماتخلف عن الفرنج وقتلوا كل من عجز عن الطلوع الى المراكب فلما صعد الفرنج الى مراكبهم اقاموا بها ثمانية ايام لا يقدرون على النزول الى الارض فلما أيسوا من خلاص اصحابهم الذين فى الديماس ساروا والمسلمون يكبرون عليهم ويصيحون بهم واقامت عساكر المسلمين على حصن الديماس فى امم لايحصون كثرة فحصروه فلم يمكنهم فتحه لحصانته وقوته فلما عدم الماء على من به من الفرنج وضجروا من مواصلة القتال ليلا ونهارا فتحوا باب الحصن وخرجوا فقتلوا عن آخرهم وذلك يوم الاربعاء منتصف جمادى الآخرة من السنة وكانت مدة اقامتهم فى الحصن ستة عشر يوما ولما رجع الفرنج مقهورين أرسل الامير الحسن البشرى الى سائر البلاد وقال الشعراء فى هذه الحادثة فاكثروا وتركناه خوف التطويل

(ذكر استيلاء الفرنج على خرتبرت واخذها منهم)

فى هذه السنة فى ربيع الاول استولى الفرنج على خرتبرت من بلاد ديار بكر وسبب ذلك ان بلك بن بهرام بن ارتق كان صاحب خرتبرت فحصر قلعة كركر وهى تقارب خرتبرت فسمع الفرنج بالشام الخبر فسار بغدوين ملك الفرنج فى جموعه اليه ليرحله عنها خوفا ان يقوى بملكها فلما سمع بلك بقربه منه رحل اليه والتقيا فى صفر واقتتلا فانهزم الفرنج واسر ملكهم ومعه جماعة من اعيان فرسانهم وسجنهم بقلعة خرتبرت وكان بالقلعة ايضا جوسلين صاحب الرها وغيره من مقدمى الفرنج كان قد اسرهم سنة خمس عشرة وسار بلك عن خرتبرت الى حران فى ربيع الاول فلما فارقها اعمل الفرنج الحيلة باستمالة بعض الجند فظهروا وملكوا القلعة فاما الملك بغدوين فانه اتخذ الليل جملا ومضى الى بلاده واتصل الخبر ببلك صاحبها فعاد فى عساكره اليها وحصرها وضيق على من بالقلعة واستعادها من الفرنج وجعل فيها من الجند من يحفظها وعاد عنها

(ذكر قتل وزير السلطان وعود ابن صدقة الى وزارة الخليفة)

فى هذه السنة قبض السلطان محمود على وزيره شمس الملك عثمان بن نظام الملك وقتله وسبب ذلك انه لما اشار على السلطان بالعود عن حرب الكرج وخالفه وكانت الخيرة فى مخالفته تغير عليه ووجد اعداؤه عنده بسوء ونبهوا على تهوره وقلة تحصيله ومعرفته بصالح الدولة ففسد راى السلطان فيه ثم ان الشهاب ابا المحاسن وزير السلطان سنجر كان قد توفى وهو ابن اخى نظام الملك ووزر بعده ابو طاهر القمى وهو عدو للبيت النظامى فسعى مع السلطان سنجر حتى أرسل الى السلطان محمود يأمره بالقبض على وزيره شمس الملك فصادف وصول الرسول وهو متغير عليه فقبض عليه وسلمه الى طغايرك فبعثه

وهو يوليكم المناصب التى تريدونها بشرط ان تقوموا بدفع الفرض التى يقررها على النواحى والغلال الميرية والخراج وتعيين من يريده منكم صحبة العساكر الموجهة الى البلاد الحجازية لفتح الحرمين وتكونوا معه امراء مطيعين وهو يعطيكم الامريات والانعامات الجزيلة ويعمر لكم ماتريدونه من الدور والقصور والتى لكم ولاتباعكم على طرفه لا يكلفكم بشئ من الاشياء وقد رايتم وسمعتم مافعله من الاكرام والانعام على شاهين بك وما اعطاه من المماليك والجوارى الحسان وشفاعاته عنده لاترد واطلق له التصرف فى البر الغربى من رشيد الى الفيوم الى بنى سويف والبهنسا مماهو تحت حكمه وبراحى جانبه الى الغاية فقال له ابراهيم بك نعم انه فعل مع شاهين بك مالا تفعله الملوك فضلا عن الوزراء وليس ذلك لسابق معروف فعله شاهين بك معه ليستحق به ذلك بل هو لغرض سوء يكمنه فى نفسه وشبكة يصطاد بها غيره فاننا سبرنا احواله وخيانته وشاهدنا ذلك فى كثير ممن خدموه ونصحوا معه حتى ملكوه هذه المملكة قال ومن هم

قال اولهم مخدومه محمد باشا خسروثم كتخداه وخازنداره عثمان اغا جنج الذى خامر معه وملك مع اخيه المرحوم

الى بلده خلخال فحبسه فيها ثم ان أبا نصر المستوفى الملقب بالعزيز قال للسلطان محمود لا نامن ان يرسل السلطان سنجر يطلب الوزير ومتى اتصل به لا نامن شرا يحدث منه وكان بينهما عداوة فامر السلطان بقتله فلما ادخل عليه السياف ليقتله قال امهلني حتى أصلى ركعتين ففعل فلما صلى جعل يرتعد وقال للسياف سيفى اجود من سيفك فاقتلنى به ولا تعذبنى فقتل ثانى جمادى الآخرة فلما سمع الخليفة المسترشد بالله ذلك عزل اخاه نظام الدين احمد من وزارته وأعاد جلال الدين أبا على بن صدقة الى الوزارة وأقام نظام الدين بالمخزن التى فى المدرسة النظامية ببغداد واما العزيز المستوفى فانه لم تطل أيامه حتى قتل على مانذكره جزاء لسعيه فى قتل الوزير

(ذكر ظفر السلطان محمود بالكرج)

فى هذه السنة اشتدت نكاية الكرج فى بلاد الاسلام وعظم الامر على الناس لاسيما أهل دربند شروان فسار منهم جماعة كثيرة من اعيانهم الى السلطان وشكوا اليه مايلقون منهم واعلموه بما هم عليه من الضعف والعجز عن حفظ بلادهم فسار اليهم والكرج قد وصلوا الى شماخى فنزل السلطان فى بستان هناك وتقدم الكرج اليه فخافهم العسكر خوفا شديدا واشار الوزير شمس الملك عثمان بن نظام الملك على السلطان بالعود من هناك فلما سمع أهل شروان بذلك قصدوا السلطان وقالوا له نحن نقاتل مهما انت عندنا وان تأخرت عنا ضعفت نفوس المسلمين وهلكوا فقبل قولهم وأقام بمكانه وبات العسكر على وجل عظيم وهم بنية المصاف فاتاهم الله بفرج من عنده والقى بين الكرج وقفجاق اختلافا وعداوة فاقتتلوا تلك الليلة ورحلوا شبه المنهزمين وكفى الله المؤمنين القتال واقام السلطان بشروان مدة ثم عاد الى همذان فوصلها فى جمادى الآخرة

(ذكر الحرب بين المغاربة وعسكر مصر)

فى هذه السنة وصل جمع كثير من لواتة من الغرب الى ديار مصر فافسدوا فيها ونهبوها وعملوا اعمالا شنيعة فجمع المامون بن البطائحى الذى وزر بمصر بعد الافضل عسكر مصر وسار اليهم فقاتلهم فهزمهم وأسر منهم وقتل خلقا كثيرا وقرر عليهم خرجا معلوما كل سنة يقومون به وعادوا الى بلادهم وعاد المامون الى مصر مظفرا منصورا

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة فى صفر أمر المسترشد بالله ببناء سور بغداد وان يجبي مايخرج عليه من البلد فشق ذلك على الناس وجمع من ذلك مال كثير فلما علم الخليفة كراهة الناس لذلك أمر باعادة ماأخذ منهم فسروا بذلك وكثر الدعاء له وقيل ان الوزير احمد بن نظام الملك بذل من ماله خمسة عشر ألف دينار وقال نقسط الباقى على أرباب الدولة وكان أهل بغداد يعملون بانفسهم فيه وكانوا يتناوبون العمل يعمل أهل كل محلة منفردين بالطبول والزمور وزينوا البلد وعملوا فيه القباب وفيها عزل نقيب العلويين وهدمت دار على بن أفلح وكان الخليفة يكرمه فظهر انه ماعين لدبيس يطالعه بالاخبار وجعل

طاهر باشا القلعة واحرق سرايته ثم سلط الاتراك على طاهر باشا حتى قتلوه فى داره واظهر موالاتنا وصداقتنا ومساعدتنا وصير نفسه من عسكرنا واتحد بعثمان بك البرديسى واظهر له خلوص الصداقة والاخوة وعاهده بالايمان حتى اغراه على على باشا الطرابلسى وجرى ماجرى عليه من القتل ونسب ذلك الينا ثم اشتغل معه على خيانته لاخيه الالفى واتباعه ثم سلط علينا العساكر بطلب العلوفة واشار على عثمان بك بطلب المال من الرعية حتى وقع لنا ماوقع وخرجنا من مصر على الصورة التى خرجنا عليها ثم احضر احمد باشا خورشيد وولاه وزيرا وخرج هو لهار بتنا ثم اتضح امره لاحمد باشا واراد الايقاع به فتحيل العود الى مصر واوقع بينه وبين جنده حتى نفروا منه ونابذوه والتى الى السيد عمر والقاضى والمشايخ ان احمد باشا يريد الفتك بهم فهيجوا العامة والخاصة وجرى ماجرى من الحروب وحرق الدور وبذل السيد عمر جهده فى النصح معه بما يظهره له من الحب والصداقة وراجت عليه احواله حتى تمكن امره وبلغ مراده واوقع به ما اوقع واخرجه من مصر وغربه عن وطنه ونقض العهود والمواثيق التى كانت بينه وبينه كما فعل بعمر بك وغيره وكل ذلك معلوم ومشاهد لكم ولغيركم فن يامن لهذا او يعقد معه صلحا واعلم ياولدى اننا كنا بمصر نحو العشرة آلاف

الخليفة

الخليفة نقابة العلويين الى على بن طراد نقيب العباسيين وفيها جمع الامير بلك عساكره وسار الى غزاة بالشام فلقيه الفرنج فاقتتلوا فانهزم الفرنج وقتل منهم وأسر بشر كثير من مقدميهم ورجالتهم وفيها كان فى أكثر البلاد غلاء شديد وكان أكثره بالعراق فبلغ ثمن الكارة الدقيق الخشكار ستة دنانير وعشرة قراريط وتبع ذلك موت كثير وأمراض زائدة هلك فيها كثير من الناس وفيها فى صفر توفى قاسم بن أبى هاشم العلوى الحسنى أمير مكة وولى بعده ابنه أبو فليتة وكان أعدل منه وأحسن سيرة فاسقط المكوس وأحسن الى الناس وفيها توفى عبد الله بن الحسن بن أحمد بن الحسن أبو نعيم بن أبى على الحداد الاصبهانى ومولده سنة ثلاث وستين وأربعمائة وهو من أعيان المحدثين سافر الكثير فى طلب الحديث وفيها سار طغتكين صاحب دمشق الى حمص فهجم المدينة ونهبها وأحرق كثيرا منها وحصرها وصاحبها قرجان بالقلعة فاستمد صاحبها طغان ارسلان فسار اليه فى جمع كثير فعاد طغتكين الى دمشق وفيها لقى أسطول مصر أسطول البنادقة من الفرنج فاقتتلوا وكان الظفر للبنادقة وأخذ من اسطول مصر عدة قطع وعاد الباقى سالما وفيها سار الامير محمود بن قراجة صاحب حماة الى حصن افامية فهجم على الربض بغتة فاصابه سهم من القلعة فى يده فاشتد المه فعاد الى حماة وقلع الزج من يده ثم عملت عليه فمات منه واستراح أهل عمله من ظلمه وجوره فلما سمع طغتكين صاحب دمشق الخبر سير الى حماة عسكرا فملكها وصارت فى جملة بلاده ورتب فيها واليا وعسكرا لحمايتها

(ثم دخلت سنة ثمان عشرة وخمسمائة)

❁(ذكر قتل بلك بن بهرام بن ارتق وملك تمرتاش حلب)❁

فى هذه السنة فى صفر قبض بلك بن بهرام بن ارتق صاحب حلب على الامير حسان البعلبكى صاحب منبج وسار اليها فحصرها فملك المدينة وحصر القلعة فامتنعت عليه فسار الفرنج اليه ليرحلوه عنها لئلا يقوى باخذها فلما قاربوه ترك على القلعة من يحصرها وسار فى باقى عسكره الى الفرنج فلقيهم وقاتلهم فكسرهم وقتل منهم خلقا كثيرا وعاد الى منبج فحصرها فبينما هو يقاتل من بها أتاه سهم فقتله لا يدرى من رماه واضطرب عسكره وتفرقوا وخلص حسان من الحبس فكان حسام الدين تمرتاش بن ايلغازى بن ارتق مع ابن عمه بلك فحمله مقتولا الى ظاهر حلب وتسلمها فى العشرين من ربيع الاول من هذه السنة وزال الحصار عن قلعة منبج وعاد اليها صاحبها حسان واستقر تمرتاش بحلب واستولى عليها ثم انه جعل فيها نائبا له يثق اليه ورتب عنده ما يحتاج اليه من جند وغيرهم وعاد الى ماردين لانه رأى الشام كثيرة الحرب مع الفرنج وكان رجلا يحب الدعة والرفاهة فلما عاد الى ماردين أخذت حلب منه على ما نذكره ان شاء الله تعالى

❁(ذكر ملك الفرنج مدينة صور بالشام)❁

اواقل اوا كثر ما بين مقدمى الوف وامراء وكشاف وا كابر وجاقات ومماليك واجناد وطوائف وخدم واتباع مرفهى المعاش بانواع الملاذ كل امير مختص ومعتكف باقطاعه مع كثرة مصارفنا وانعاماتنا على اتباعنا ومن ينتسب الينا وا سعطة الجميع ممدودة فى الاوقات المعهودة ولا نعرف عسكرا ولا علوفة عسكر والقرى والبلاد مطمئنة والفلاحون ومشايخ البلاد مرتاحون فى اوطانهم ومضايفهم مفتوحة للواردين والضيفان مع ما كان يلزم علينا من المصارف الميرية ومرتبات الفقراء وخزينة السلطان وصرة الحرمين والحجاج وعوائد العربان وكلف الوزراء المتولين والاغوات والقابجية المعينين وخدمهم والهدايا السلطانية وغير ذلك وافنديننا ما كفاه ايراد الاقاليم وما احدثه من الجمارك والمكوس وما قرره على القرى والبلدان من فرض المال والغلال والجمال والخيول والتعدى على الملتزمين ومقاسمتهم فى فائظهم ومعاشهم وذلك خلاف مصادرات الناس والتجار فى مصر وقراها والدعاوى والشكاوى والتزايد فى الجمارك وما احدثه فى الضربخانه من ضرب القروش النحاس واستغراقها اموال الناس بحيث صار ايراد كل قلم من اقلام المكوس بايراد اقليم من الاقاليم ويبخل علينا بما نتعيش به نحن وعيالنا ومن بقى معنا من

اتباعنا ومماليكنا بل وقصده صيدنا وهلاكنا عن آخرنا فقال حسن باشا حاشا الله لم يكن ذلك وداء ما يقول

والدنا ابراهيم بك ولكن لا يخفاكم ان الله اعطاه ولاية هذا القطر وهو يؤتي الملك من يشاء ولا ترضى نفسه من يخالف عليه او يشاركه بالقهر والاستيلاء فاذا صار الصلح ووقع الصفاء اعطاكم فوق مأمولكم فهز ابراهيم بك راسه وقال صحيح يكون خيرا وانفض المجلس ورجع حسن باشا وصالح قوج وعديا الى بر مصر (وفي تلك الليلة) خرج جميع من كان بمصر من الامراء والاجناد المصرية بخيلهم وهجنهم ومتاعهم وعدوا الى بر الجيزة ولم يبق منهم الا القليل واجتمعوا مع بعضهم وقسموا الامر بينهم ثلاثة أقسام قسم للمرادية وكبيرهم شاهين بك وقسم للمحمدية وكبيرهم على بك ايوب وقسم للابراهيمية وكبيرهم عثمان بك حسن وكتبوا مكاتبات وارسلوها الى مشايخ العربان لم اقف على مضمونها (وفي يوم الجمعة) رابع عشره اوقفوا عساكر على ابواب المدينة يمنعون الخارجين من البلد حتى الخدم ومنعوا التعدية الى البر الغربي وجمعوا المراكب والمعادي الى البر الشرقي ونقلوا البضائع التي في مراكب التجار المعدة لسفر رشيد ودمياط المعروفة بالرواحل واخذوها اليهم وشرعوا في التعدية بطول يوم الجمعة والسبت وعدى الباشا آخر ما

كانت مدينة صور للخلفاء العلويين بمصر ولم تزل كذلك الى سنة ست وخمسمائة فكان بها وال من جهة الافضل أمير الجيوش وزير الآمر باحكام الله العلوي يلقب عز الملك وكان الفرنج قد حصروها وضيقوا عليها ونهبوا بلدها غير مرة فلما كان سنة ست تجهز ملك الفرنج وجمع عساكره ليسير الى صور فخافهم أهل صور فارسلوا الى أتابك طغتكين صاحب دمشق يطلبون منه ان يرسل اليهم أميرا من عنده يتولاهم ويحميهم وتكون البلد له وقالوا له ان ارسلت الينا واليا وعسكرا والا سلمنا البلد الى الفرنج فسير اليهم عسكرا وجعل عندهم واليا اسمه مسعود وكان شهما شجاعا عارفا بالحرب ومكايدها وأمده بعسكر وسير اليهم ميرة ومالا فرقه فيهم وطابت نفوس أهل البلد ولم تغير الخطبة للآمر صاحب مصر ولا السكة وكتب الى الافضل بمصر يعرفه صورة الحال ويقول متى وصل اليها من مصر من يتولاها ويذب عنها سلمتها اليه ويطلب ان الاسطول لا ينقطع عنها بالرجال والقوة فشكره الافضل على ذلك وأثنى عليه وصوب رأيه فيما فعله وجهز اسطولا وسيره الى صور فاستقام أحوال اهلها ولم يزل كذلك الى سنة ست عشرة بعد قتل الافضل فسير اليها اسطولا على جاري العادة وأمر المقدم على الاسطول ان يعمل الحيلة على الامير مسعود الوالي بصور من قبل طغتكين ويقبض عليه ويتسلم البلد منه وكان السبب في ذلك ان أهل صور أكثروا الشكوى منه الى الآمر باحكام الله صاحب مصر بما يعتمده من مخالفتهم والاضرار بهم فسار الاسطول فارسى عند صور فخرج مسعود اليه للسلام على المقدم عليه فلما صعد الى المركب الذي فيه المقدم اعتقله ونزل البلد واستولى عليه وعاد الاسطول الى مصر وفيه الامير مسعود فاكرم وأحسن اليه وأعيد الى دمشق وأما الوالي من قبل المصريين فانه طيب قلوب الناس وراسل طغتكين يخدمه بالدعاء والاعتضاد وان سبب ما فعل هو شكوى أهل صور من مسعود فاحسن طغتكين الجواب وبذل من نفسه المساعدة ولما سمع الفرنج بانصراف مسعود عن صور قوي طمعهم فيها وحدثوا نفوسهم بملكها وشرعوا في الجمع والتأهب للنزول عليها وحصرها فسمع الوالي بها للمصريين الخبر فعلم انه لا قوة له ولا طاقة على دفع الفرنج عنها لقلة من بها من الجند والميرة فارسل الى الآمر بذلك فرأى ان يرد ولاية صور الى طغتكين صاحب دمشق فارسل اليه بذلك فملك صور ورتب بها من الجند وغيرهم ما ظن فيه كفاية وسار الفرنج اليهم ونازلوهم في ربيع الاول من هذه السنة وضيقوا عليهم ولازموا القتال فقلت الاقوات وسئم من بها القتال وضعفت نفوسهم وسار طغتكين الى بانياس ليقرب منهم ويذب عن البلد ولعل الفرنج اذا رأوا قربه منهم رحلوا فلم يتحركوا ولزموا الحصار فارسل طغتكين الى مصر يستنجدهم فلم ينجدوه وتمادت الايام وأشرف أهلها على الهلاك فراسل حينئذ طغتكين صاحب دمشق وقرر الامر على ان يسلم المدينة اليهم ويمكنوا من بها من الجند والرعية من الخروج منها بما يقدرون عليه من أموالهم ورحالهم وغيرها فاستقرت القاعدة على ذلك وفتحت أبواب البلد وملكه الفرنج وفارقه أهله وتفرقوا في البلاد وحملوا

ما أطاقوا وتركوا ما عجزوا عنه ولم يعرض الفرنج الى احد منهم ولم يبق الا الضعيف عجز عن الحركة وملك الفرنج البلد فى الثالث والعشرين من جمادى الاولى من السنة وكان فتحه وهنا عظيما على المسلمين فانه من أحصن البلاد وأمنعها فالله يعيده الى الاسلام ويقر أعين المسلمين بفتحه بمحمد وآله

(ذكر عزل البرسقى عن شحنكية العراق وولاية يرنقش الزكوى)

فى هذه السنة عزل البرسقى عن شحنكية العراق ووليها سعد الدولة يرنقش الزكوى وسبب ذلك ان البرسقى نفر عنه المسترشد بالله فارسل الى السلطان محمود يلتمس منه ان يعزل البرسقى عن العراق ويعيده الى الموصل فاجابه السلطان الى ذلك وأرسل الى البرسقى يامره بالعود الى الموصل والاشتغال بجهاد الفرنج فلما علم البرسقى الخبر شرع فى جباية الاموال ووصل نائب يرنقش فسلم اليه البرسقى الامر وارسل السلطان ولدا له صغيرا مع أمه الى البرسقى ليكون عنده فلما وصل الصغير الى العراق خرجت العساكر والمواكب الى لقائه وحملت له الاقامات وكان يوم دخوله يوما مشهودا وتسلمه البرسقى وسار الى الموصل وهو ووالدته معه ولما سار البرسقى الى الموصل كان عماد الدين زنكى بن آقسنقر بالبصرة قد سيره البرسقى اليها يحميها فاظهر من حمايته لها ما عجب منه الناس ولم يزل يقصد العرب ويقاتلهم فى حللهم حتى أبعدوا الى البر فارسل اليه البرسقى يامره باللحاق به فقال لاصحابه قد ضجرنا مما نحن فيه كل يوم للموصل أمير جديد ونريد نخدمه وقد رأيت ان أسير الى السلطان فاكون معه فاشاروا عليه بذلك فسار اليه فقدم عليه باصبهان فاكرمه وأقطعه البصرة وأعاده اليها

(ذكر ملك البرسقى مدينة حلب)

فى هذه السنة فى ذى الحجة ملك آقسنقر البرسقى مدينة حلب وقلعتها وسبب ذلك ان الفرنج لما ملكوا مدينة صور على ما ذكرناه طمعوا وقويت نفوسهم وتيقنوا الاستيلاء على بلاد الشام واستكثروا من الجموع ثم وصل اليهم دبيس بن صدقة صاحب الحلة فاطمعهم طمعا ثانيا لا سيما فى حلب وقال لهم ان اهلها شيعة وهم يميلون الى لاجل المذهب فمتى رأونى سلموا البلد الى وبذل لهم على مساعدته بذولا كثيرة وقال اننى أكون ههنا نائبا عنكم ومطيعا لكم فساروا معه اليها وحصروها وقاتلوا قتالا شديدا ووطنوا نفوسهم على المقام الطويل وانهم لا يفارقونها حتى يملكوها وبنوا البيوت لاجل البرد والحر فلما رأى أهلها ذلك ضعفت نفوسهم وخافوا الهلاك وظهر لهم من صاحبهم تمرتاش الوهن والعجز وقلت الاقوات عندهم فلما رأوا ما دفعوا اليه من هذه الاسباب اعملوا الرأى فى طريق يتخلصون به فرأوا انه ليس لهم غير البرسقى صاحب الموصل فارسلوا اليه يستنجدونه ويسألونه المجىء اليهم ليسلموا البلد اليه فجمع عساكره وقصدهم وارسل الى من بالبلد وهو فى الطريق يقول اننى لا أقدر على الوصول اليكم والفرنج يقاتلونكم الا اذا سلمتم القلعة الى نوابى وصار أصحابى فيها لاننى لا أدرى

النهار دخل الى قصر الجيزة الذى كان به شاهين بك وكذا عدوا الخيام والمدافع ٢٦٥ والعربات والاثقال واجتمعت طوائف العسكر من الاتراك والارنؤد والدلاة والسجمان بالجيزة وتحققت المفاقعة والامراء المصرية خلف السور فى مقابلتهم واستمروا على ذلك الى ثانى يوم والناس متوقعون حصول الحرب بين الفريقين ولم يحصل وانتقل المصرية وترفعوا الى قبلى الجيزة بناحية دهشور وزنين (وفى يوم الاثنين والثلاثاء) انفق الباشا على العسكر وكان له مدة شهور لم ينفق عليهم (وفى ليلة الثلاثاء) ركب الباشا ليلا وسافر الى ناحية كرداسة على جرائد الخيل ورجع فى ثانى ليلة وكان سبب ركوبه انه بلغه ان طائفة من العربان مارين يريدون المصرية فاراد أن يقطع عليهم الطريق فلم يجد احدا وصادف نجعا مقيمين فى محطة فنهب مواشيهم ورجع تعبا وانقطع عنه افراد من العسكر ومات بعضهم من العطش (وفى يوم الجمعة) ارتحل المصرية وترفعوا الى ناحية جزا الهوى بالقرب من الرقق (وفيه) حضر مشايخ عربان اولاد على للباشا فكساهم وخلع عليهم والبسهم شالات كشميرى عدتها ثمان شالات وانعم عليهم بمائة وخمسين كيسا وحضر عند المصرية عربان المنادى ومشايخهم وانضموا اليهم (وفى يوم الاحد ثالث عشرينه)

مايقدره الله تعالى اذا انا لقيت الفرنج فان انهزمنا منهم وليست حلب بيد اصحابى حتى أحتمى انا وعسكرى بها سالم يبق منا احد وحينئذ تؤخذ حلب وغيرها فاجابوه الى ذلك وسلموا القلعة الى نوابه فلما استقروا فيها واستولوا عليها سار في العساكر التى معه فلما اشرف عليها رحل الفرنج عنها وهو يراهم فاراد من فى مقدمة عسكره ان يحمل عليهم فنعهم هو بنفسه وقال قد كفينا شرهم وحفظنا بلدنا منهم والمصلحة تركهم حتى يتقرر أمر حلب ونصلح حالها ونكثر ذخائرها ثم حينئذ نقصدهم ونقاتلهم فلما رحل الفرنج خرج أهل حلب ولقوه وفرحوا به واقام عندهم حتى اصلح الامور وقررها

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة انقطعت الامطار فى العراق والموصل وديار الجزيرة والشام وديار بكر وكثير من البلاد فقلت الاقوات وغلت الاسعار فى جميع البلاد ودام الى سنة تسع عشرة وفيها وصل منصور بن صدقة أخو دبيس الى بغداد تحت الاستظهار فرض بها فاحضر الخليفة الاطباء وامرهم بمعالجته وأحضره عنده وجعل فى حجرة وأدخل اصحابه اليه وفيها سار دبيس من الشام بعد رحيله عن حلب وقصد الملك طغرل فاغراه بالخليفة واطمعه فى العراق وكان مانذكره سنة تسع عشرة ان شاء الله تعالى وفيها مات الحسن بن الصباح مقدم الاسماعيلية صاحب ألموت وقد تقدم من اخباره مايعلم به محله من الشجاعة والرأى والتجربة وفيها أيضا توفى داود ملك الابخاز وشمس الدولة بن نجم الدين ايلغازى وفيها ثار أهل آمد بمن فيها من الاسماعيلية وكانوا قد كثروا فقتلوا منهم نحو سبعمائة رجل فضعف أمرهم بها بعد هذه الوقعة وفيها فى صفر توفى محمد بن مرزوق بن عبد الرزاق الزعفرانى وهو من اصحاب الخطيب البغدادى وفيها توفى أحمد بن على بن برهان أبو الفتح الفقيه المعروف بابن الحمامى لان أباه كان حماميا وكان حنبليا تفقه على ابن عقيل ثم صار شافعيا وتفقه على الغزالى والشاشى

(ثم دخلت سنة تسع عشرة وخمسمائة)

(ذكر وصول الملك طغرل ودبيس بن صدقة الى العراق وعودهما عنه)

قد ذكرنا مسير دبيس بن صدقة الى الملك طغرل من الشام فلما وصل اليه لقيه واكرمه واحسن اليه وجعله من اعيان خواصه وامرائه فحسن اليه دبيس قصد العراق وهون أمره عليه وضمن له أنه يملكه فسار معه الى العراق فوصلوا دقوقا فى عساكر كثيرة فكتب مجاهد الدين بهروز من تكريت يخبر الخليفة خبرهما فتجهز للسير ومنعهما وأمر برنقش الزكوى شحنة العراق ان يكون مستعد الاهرب وجمع العساكر والامراء البكجية وغيرهم فبلغت عدة العساكر اثنى عشر الفا سوى الرجالة وأهل بغداد وفرق السلاح وبرز خامس صفر وبين يديه أرباب الدولة رجالة وخرج من باب النصر وكان قد أمر بفتحه تلك الايام وسماه باب النصر ونزل صحراء الشماسية ونزل برنقش عند السبتى ثم سار فنزل الخالص تاسع صفر فلما سمع طغرل بخروج الخليفة عدل الى طريق خراسان

عدى الباشا الى بر مصر وذهب الى بيته بالازبكية فبات به ليلتين ثم طلع فى يوم الثلاثاء الى القلعة وقد تكدر طبعه من هذه الحادثة بعد ان حصلوا بالجيزة وكادهم قصده فيهم وخصوصا ما فعله شاهين بك الذى انفق عليه الوفا من الاموال ذهبت جميعها فى الفارغ البطال (وفى هذه الايام) اعنى منتصف شهر بشنس القبطى زاد النيل زيادة ظاهرة اكثر من ذراع ونصف واستمر اياما ثم رجع الى حاله الاول وهذا من جملة عجائب الوقت

(واستهل شهر جمادى الاولى بيوم الاحد سنة ١٢٢٥)

فيه عمل الباشا ميدان رماحة بالجيزة فتقنطر به الحصان ووقع به الارض فاقاموه واصيب غلام من مماليكه برصاصة فمات ويقال ان الضارب لها كان قاصد الباشا فاخطاته واصابت ذلك المملوك والاجل حصن (وفيه) نبهوا على العسكر بالخروج فسعوا بالجد والعجلة فى قضاء اشغالهم ولوازمهم وطفقوا يخطفون حمير الناس وجمالهم ومن يصادفونه ويقدرون عليه من اهل البلد وخلافهم ويقولون فى غد مسافرون وراحلون لمحاربة المصريين والمصريون ايضا مستمرون فى منزلتهم لم ينتقلوا عنها (وفى خامسه) خرج حسن باشا وبرز خيامه بناحية الاثار وخرج ايضا محو بك بعسكره وطوائفه ومعهم بيارق وسافر جملة عساكر فى المراكب ليرابطوا

خراسان وتفرق اصحابه في النهب والفساد ونزل هو برباط جلولاء فسار اليه الوزير جلال الدين بن صدقة في عسكر كثير فنزل الدسكرة وتوجه طغرل ودبيس الى الهارونية وسار الخليفة فنزل بالدسكرة هو والوزير واستقر الامر بين دبيس وطغرل ان يسيرا حتى يعبرا ديالى وتامرا ويقطعا جسر النهروان و يقيم دبيس ليحفظ المعابر ويتقدم طغرل الى بغداد فيملكها وينهبها فسارا على هذه القاعدة فعبرا تامرا ونزل طغرل بينه وبين ديالى وسار دبيس على أن يلحقه طغرل فقدر الله تعالى ان الملك طغرل لحقه حمى شديدة ونزل عليهم من المطر ما لم يشاهدوا مثله وزادت المياه وجاءت السيول والخليفة بالدسكرة وسار دبيس في مائتي فارس وقصد معبر النهروان وهو تعب سهران وقد لقي هو واصحابه من المطر والبلل ما آذاهم وليس معهم ما يأكلون ظنا منهم ان طغرل واصحابهم يلحقونهم فتاخروا لما ذكرناه فنزلوا جياعا قد نالهم البرد واذ قد طلع عليهم ثلاثون جملا تحمل الثياب المخيطة والعمائم والاقبية والقلانس وغيرها من الملبوس وتحمل ايضا انواع الاطعمة المصنوعة قد جاءت من بغداد الى الخليفة فاخذ دبيس الجميع فلبسوا الثياب الجدد ونزعوا الثياب الندية واكلوا الطعام وناموا في الشمس مما نالهم تلك الليلة وبلغ الخبر اهل بغداد فلبسوا السلاح وبقوا يحرسون الليل والنهار ووصل الخبر الى الخليفة والعسكر الذين معه ان دبيسا قد ملك بغداد فرحل من الدسكرة ووقعت الهزيمة على العسكر الى النهروان وتركوا اثقالهم ملقاة بالطريق لا يلتفت اليها احد ولولا أن الله تعالى لطف بهم بحمى الملك طغرل وتاخره والا كان قد هلك العسكر والخليفة ايضا واخذوا وكان السواقي مملوءة بالوحل والماء من السيل فتمزقوا ولو لحقهم مائة فارس لهلكوا ووصلت رايات الخليفة ودبيس واصحابه نيام وتقدم الخليفة واشرف على ديالى ودبيس نازل غرب النهروان والجسر ممدود شرق النهروان فلما ابصر دبيس شمسة الخليفة قبل الارض بين يدي الخليفة وقال انا العبد المطرود فليعف امير المؤمنين عن عبده فرق الخليفة له وهم بصلحه حتى وصل الوزير ابن صدقة فثناه عن رأيه وركب دبيس ووقف بازاء عسكر يرنقش الزكوي يحادثهم و يتماجن معهم ثم أمر الوزير الرجالة فعبروا ليمدوا الجسر آخر النهار فسار حينئذ دبيس عائدا الى الملك طغرل وسير الخليفة عسكرا مع الوزير في اثره وعاد الى بغداد فدخلها وكانت غيبته خمسة وعشرين يوما ثم ان الملك طغرل و دبيسا عادا وسارا الى السلطان سنجر فاجتازا بهمذان فقسطا على أهلها مالا كثيرا وأخذوه وعاثوا في تلك الاعمال فبلغ خبرهم السلطان محمود فجد السير اليهم فانهزموا من بين يديه وتبعتهم العساكر فدخلوا خراسان الى السلطان سنجر وشكيا اليه من الخليفة ويرنقش الزكوي

(ذكر فتح البرسقي كفرطاب وانهزامه من الفرنج)

في هذه السنة جمع البرسقي عساكره وسار الى الشام وقصد كفرطاب وحصرها فملكها من الفرنج وسار الى قلعة عزاز وهي من أعمال حلب من جهة الشمال وصاحبها

في البنادر فانها خالية ليس بها احد من المصريين وفي كل يوم يخرج عساكر ثم يرجعون الى المدينة وهم مستديون على خطف الدواب وحمير البطيخ وجمال السقائين والباشا يعدي الى برمصر في كل يومين او ثلاثة ويطلع الى القلعة ثم يعود الى مخيمه في الجيزة وامتنع سفر المسافرين قبلي وبحري (وفي يوم الثلاثاء سابع عشره) بلغ الباشا ان الامراء المرادية والابراهيمية وغالب المصرية لهم مراسلات ومعاملات مع السيد سلامة النجاري واخيه وابن اخيه وانه يرسل لهم جميع ما يلزم من اسلحة وامتعة وخلافها بواسطة بعض عملائهم من العربان خفية وانه اشترى جملة اسلحة وخيول وثياب وغيرها واخذ أشياء من بيوت بعضهم لاجل ان يرسل الجميع اليهم وان جميع ذلك موجود عند المذكور الآن ومن جملة ايام حضر رسول من عندهم بدراهم ومعه حصان نعمان بك وهو عنده ايضا فامر بجلبه وحبسه وهجم منزله وضبط اوراقه وضبط ما يوجد بها ففعلوا ذلك وحبسوا معه ابن اخيه وازعجوهما وهجموا منزله فوجدوا فيه خمسة خيول وجملة اسلحة فطغوا وبغوا ونهبوا امتاعه وبددوا واشتمل كتب ابيه ولم يجدوا مكاتبات من الامراء القبالي ولا اثرا لذلك بل انهم وجدوا جوابا من اخيه السيد احمد مضمونه اننا عند وصولنا الى مكة المشرفة اشترينا اربعة

جوسلين فحصرها فاجتمعت الفرنج فارسها وراجلها وقصدوه ليرحلوه عنها فلقيهم وضرب معهم مصافا واقتتلوا قتالا شديدا صبروا كلهم فيه فانهزم المسلمون وقتل منهم وأسر كثير وكان عدد القتلى أكثر من ألف قتيل من المسلمين وعاد منهزما الى حلب فخلف بها ابنه مسعودا وعبر الفرات الى الموصل ليجمع العساكر ويعاود القتال وكان ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر قتل المأمون بن البطائحي)

في هذه السنة في رمضان قبض الآمر باحكام الله العلوي صاحب مصر على وزيره أبي عبد الله بن البطائحي الملقب بالمأمون وصلبه واخوته وكان ابتداء أمره ان أباه كان من جواسيس الافضل بالعراق فمات ولم يخلف شيئا فتزوجت امه وتركته فقيرا فاتصل بانسان يتعلم البناء بمصر ثم صار يحمل الامتعة بالسوق الكبير فدخل مع الحمالين الى دار الافضل أمير الجيوش مرة بعد أخرى فرآه الافضل خفيفا رشيقا حسن الحركة حلو الكلام فاعجبه فسأل عنه فقيل هو ابن فلان فاستخدمه مع الفراشين ثم تقدم عنده وكثرت منزلته وعلت حالته حتى صار وزيرا وكان كريما واسع الصدر قتالا سفاكا للدماء وكان شديد التحرز كثير التطلع الى أحوال الناس من العامة والخاصة من سائر البلاد مصر والشام والعراق وكثر الغمازون في أيامه وأما سبب قتله فانه كان قد أرسل الى الامير جعفر أخا الآمر ليقتل الآمر ويجعله خليفة وتقررت القاعدة بينهما على ذلك فسمع بذلك أبو الحسن بن أبي أسامة وكان خصيصا بالآمر قريبا منه وقد ناله من الوزير اذى واطراح فحضر عند الآمر واعلمه الحال فقبض عليه وصلبه وهذا جزاء من قابل الاحسان بالاساءة

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة توفي شمس الدولة سالم بن مالك صاحب قلعة جعبر وتعرف قديما بقلعة دوس وفيها قتل القاضي ابو سعد محمد بن نصر بن منصور الهروي بهمذان قتله الباطنية وكان قد مضى الى خراسان في رسالة الخليفة الى السلطان سنجر فعاد فقتل وكان ذا مروءة غزيرة وتقدم كثيرا في الدولة السلجوقية وفي هذه السنة توفي هلال بن عبد الرحمن ابن شريح بن عمر بن احمد وهو من ولد بلال بن رباح مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنيته ابو سعد طاف البلاد وسمع وقرأ القرآن وكان موته بسمرقند

(ثم دخلت سنة عشرين وخمسمائة)

(ذكر حرب الفرنج والمسلمين بالاندلس)

في هذه السنة عظم شان ابن ردمير الفرنجي بالاندلس واستطال على المسلمين فخرج في عساكر كثيرة من الفرنج وجاس في بلاد الاسلام وخاضها حتى وصل الى قريب قرطبة واكثر النهب والسبي والقتل فاجتمع المسلمون في جيش عظيم زائد الحد في الكثرة

وقصدوه

خيول مهدية بها العلامات التى أهدوناها وهي مرسلة لكم عسى ان تفوزوا بتقديمها لافندينا ولما سئل عن الاسلحة والخيول التى عنده قال ان السلاح عندنا من قديم وله مدد وروثته تدل على ذلك واما الخيول فمنها اربعة احضرتها هدية لافندينا وجاءت ضعيفة فابقيتها عندي حتى تتقوى واقدمها اليه والحصان الخامس اشتريته لنفسي من رجل عميلنا القمعطوان احد من اهالي كفر حكيم اخبرني انه اشتراه من ناحية صول ولما رايت فيه علامات الجودة وجاءت الاربعة خيول تركت ركوبه وابقيته معها حتى اقدم الجميع لافندينا فعند ذلك توجه محمد افندي طبل للباشا وفهمه براءة ذمة المذكور واخبره بما صار وما وجدوه وبما قاله المذكور وسعى في ازالة هذه التهمة عنه وعرفه ان هذا الرجل مستقيم الاحوال وانه من وقت توظيفه معه لم ينظر عليه ما يخالف وصدق عليه الحاضرون فلما ظهر للباشا كذب التهمة وتحقق براءته وانه احضر هذه الخيول هدية له امر باطلاقه من السجن واسترجاع ما نهبته الاعوان من منزله وتخلق عليهم بسبب ذلك ثم امر باحضاره واحضار الخيول المهداة له فقبلها منه ثم ساله عن علامات الجودة وما يحمد في الخيل وما يذم فيها فاجابه باجوبة مفيدة

وقصدوه فلم يكن له بهم طاقة فتحصن منهم فى حصن منيع له اسمه ارنيشول فحصروه وكبسهم ليلا فانهزم المسلمون وكثر القتل فيهم وعادوا الى بلاده

(ذكر قصد بلاد الاسماعيلية بخراسان)

فى هذه السنة امر الوزير المختص ابو نصر احمد بن الفضل وزير السلطان سنجر بغزو الباطنية وقتلهم اين كانوا وحيثما ظفر بهم ونهب اموالهم وسبى حريمهم وجهز جيشا الى طريثيث وهى لهم وجيشا الى بيهق من اعمال نيسابور وكان فى هذه الاعمال قرية مخصوصة بهم اسمها طرزوه ومقدمهم بها انسان اسمه الحسن بن سمين وسير الى كل طرف من اعمالهم جمعا من الجند ووصاهم ان يقتلوا من لقوه منهم فقصد كل طائفة الى الجهة التى سيرت اليها فاما القرية التى باعمال بيهق فقصدها العسكر فقتلوا كل من بها وهرب مقدمهم وصعد منارة المسجد والقى نفسه منها فهلك وكذلك العسكر المنفذ الى طريثيث قتلوا من اهلها فاكثروا وغنموا من اموالهم وعادوا

(ذكر ملك الاسماعيلية قلعة بانياس)

فى هذه السنة عظم امر الاسماعيلية بالشام وقويت شوكتهم وملكوا بانياس فى ذى القعدة منها وسبب ذلك ان بهرام ابن اخت الاسداباذى لما قتل خاله ببغداد كما ذكرناه هرب الى الشام وصار داعى الاسماعيلية فيه وكان يتردد فى البلاد ويدعو اوباش الناس وطغامهم الى مذهبه فاستجاب له منهم من لا عقل له فكثر جمعه الا انه يخفى شخصه فلا يعرف واقام بحلب مدة ونفق على ايلغازى صاحبها واراد ايلغازى ان يعتضد به لاتقاء الناس شره وشر اصحابه لانهم كانوا يقتلون كل من خالفهم وقصد من يتمسك بهم واشار ايلغازى على طغتكين صاحب دمشق بان يجعله عنده لهذا السبب فقبل رايه واخذه اليه فاظهر حينئذ شخصه واعلن عداوته فكثر اتباعه من كل من يريد الشر والفساد واعانه الوزير ابو طاهر بن سعد المزغينانى قصدا للاعتضاد به على ما يريد فعظم شره واستفحل امره وصار اتباعه اضعاف ما كانوا فلولا ان عامة دمشق يغلب عليهم مذاهب اهل السنة وانهم يشددون عليه فيما ذهب اليه لملك البلد ثم ان بهرام راى من اهل دمشق فظاظة وغلظة عليه فخاف عاديتهم فطلب من طغتكين حصنا ياوى اليه هو ومن اتبعه فاشار الوزير بتسليم قلعة بانياس اليه فسلمت اليه فلما سار اليها اجتمع اليه اصحابه من كل ناحية فعظم حينئذ خطبه وجلت المحنة بظهوره واشتد الحال على الفقهاء والعلماء واهل الدين لاسيما اهل السنة والستر والسلامة الا انهم لا يقدرون على أن ينطقوا بحرف واحد خوفا من سلطانهم أولا ومن شر الاسماعيلية ثانيا فلم يقدم احد على انكار هذه الحال فانتظروا بهم الدوائر

(ذكر قتل البرسقى وملك ابنه عز الدين مسعود)

فى هذه السنة ثامن ذى القعدة قتل قسيم الدولة آقسنقر البرسقى صاحب الموصل بمدينة الموصل قتلته الباطنية يوم جمعة بالجامع وكان يصلى الجمعة مع العامة وكان قد

استحسنها فانعم عليه وضاعف مرتبه واحال عليه نظر مشترى الخيول (وفيه وصلت) الاخبار بان حسن باشا وصالح قوج وعابدين بك وعساكر الارنؤد وصلوا الى ناحية صول والبرنبل فوجدوا المصريين جعلوا متاريس ومدافع على البر لمنع وامرور المراكب فحاربوهم حتى اجلوهم عنها وملكوا المتاريس وقتل رجل من الاجناد وهو الذى كان محافظا على المتاريس يقال له ابراهيم اغا سقط به الجرف الى البحر فاخذوه اليهم ومعه آخر وقتلوهما وقطعوا رؤسهما وارسلوهما صحبة المبشرين الى الباشا فعلقوا الراسين بباب زويلة ولما بلغ الامراء المصريين اخذ المتاريس تاهبوا وساروا من اول الليل وهى ليلة السبت رابع عشره مكمنين وكاتمين امرهم فدهموا الارنؤد من كل ناحية فوقع بينهم مقتلة عظيمة واخذوا منهم عدة بالحياة واخذوا منهم اشياء وكان حسن باشا واخوه عابدين بك صعدا بمراكبهما الى قبلى المتاريس فاحترق من مراكب اخيه مركب والقى من فيها انفسهم الى البحر فمنهم من نجا ومنهم من غرق واما مراكب حسن باشا فانه ساعدها الريح ايضا فسارت الى ناحية بنى سويف ثم ان المصريين عدى منهم طائفة الى شرق اطفيح وانتقل بوابهم راجعين الى ناحية الجيزة قريبا من عرضى الباشا (وفى ليلة الخميس تاسع عشره) عدى الباشا الى

راى تلك الليلة فى منامه ان عدة من الكلاب ثاروا به فقتل بعضها ونال منه الباقى ما آذاه فقص رؤياه على اصحابه فاشاروا عليه بترك الخروج من داره عدة ايام فقال لا اترك الجمعة لشئ ابدا فغلبوا على رايه ومنعوه من قصد الجمعة فعزم على ذلك فاخذ المصحف يقرا فيه فاول ما راى وكان امر الله قدرا مقدورا فركب الى الجامع على عادته وكان يصلى فى الصف الاول فوثب عليه بضعة عشر نفسا عدة الكلاب التى رآها فجرحوه بالسكاكين فجرح هو بيده منهم ثلاثة وقتل رحمه الله وكان مملوكا تركيا خيرا يحب اهل العلم والصالحين ويرى العدل ويفعله وكان من خير الولاة يحافظ على الصلوات فى اوقاتها ويصلى من الليل متهجدا حكى لى والدى رحمه الله عن بعض من كان يخدمه قال كنت فراشا معه فكان يصلى كل ليلة كثيرا وكان يتوضأ هو بنفسه ولا يستعين باحد ولقد رأيته فى بعض ليالى الشتاء بالموصل وقد قام من فراشه وعليه فرجية صغيرة وبر وبيده ابريق فمشى نحو دجلة لياخذ ماء فمنعنى البرد من القيام ثم اننى خفته فقمت بين يديه لآخذ الابريق منه فمنعنى وقال يا مسكين ارجع الى مكانك فانه برد فاجتهدت لآخذ الابريق فلم يعطنى وردنى الى مكانى ثم توضا وقام يصلى ولما قتل كان ابنه عز الدين مسعود بحلب يحفظها من الفرنج فارسل اليه أصحاب أبيه بالخبر فسار الى الموصل ودخلها اول ذى الحجة وأحسن الى أصحاب ابيه بها واقر وزيره المؤيد أبا غالب بن عبد الخالق بن عبد الرزاق على وزارته وأطاعه الامراء والاجناد وانحدر الى خدمة السلطان محمود فاحسن اليه وأعاده ولم يختلف عليه أحد من أهل بلاد ابيه ووقع البحث عن حال الباطنية والاستقصاء عن اخبارهم فقيل انهم كانوا يجلسون الى اسكاف بدرب ايليا فاحضر ووعده الاحسان ان اقر فلم يقر فهدد بالقتل فقال انهم وردوا من سنين لقتله فلم يتمكنوا منه الى الآن فقطعت يداه ورجلاه وذكره ورجم بالحجارة فمات ومن العجب ان صاحب انطاكية ارسل الى عز الدين بن البرسقى يخبره بقتل والده قبل ان يصل اليه الخبر وكان قد سمعه الفرنج قبله لشدة عنايته بمعرفة الاحوال الاسلامية ولما استقر عز الدين فى الولاية قبض على الامير بابكر بن ميكائيل وهو من اكابر الامراء وطلب منه ان يسلم ابن اخيه قلعة اربل الى الامير فضل وابى على ابنى ابى الهيجاء وكان ابن اخيه قد اخذها منه سنة سبع عشرة فراسل ابن اخيه فسلم اربل الى المذكورين

❊(ذكر الاختلاف الواقع بين المسترشد بالله والسلطان محمود)❊

كان قد جرى بين يرنقش الزكوى شحنة بغداد وبين نواب الخليفة المسترشد بالله نفرة تهدده الخليفة فيها فخافه على نفسه فسار عن بغداد الى السلطان محمود فى رجب من هذه السنة وشكا اليه وحذره جانب الخليفة واعلمه انه قد قاد العساكر ولقى الحروب وقويت نفسه ومتى لم تعاجله بقصد العراق ودخول بغداد ازداد قوة وجمعا ومنعك عنه وحينئذ يتعذر عليك ماهو الآن بيدك فتوجه السلطان نحو العراق فارسل اليه الخليفة يعرفه ما البلاد واهلها عليه من الضعف والوهن بسبب دبيس وافساد عسكره فيها وان الغلاء

برمصر وطلع الى القلعة فلما كان الليل وصل ٢٧٠ طائفة من المصريين الى المرابطين لخفارة عرضى الباشا واحتاطوا بهم وساقوهم اليهم فانزعج العرضى وحصل فيهم غاغة فارسل طوسون باشا الى ابيه فركب ونزل من القلعة فى سادس ساعة من الليل وعدى الى البر الغربى وسمعته ان الباشا عند ما نزل المعدية وسار بها فى البحر سمع واحدا يقول لآخر قدم حتى نقتل المصريين ونبدد شملهم ويكرر ذلك فارسل الباشا مركبا وارسل بعض اتباعه بها لينظروا هذين الشخصين ولاى شئ نزلا البحر فى هذا الوقت فلما ذهبوا الى الجهة التى سمع منها الصوت لم يجدوا أحدا وتفحصوا عنهما فلم يجدوهما فاعتقد من له اعتقاد منهم انهما من الاولياء وان الباشا مساعد باهل الباطن (وفى عشرينه) ظهر التفاشل بين الامراء المصريين وتبين ان الذين كانوا عدوا الى البر الشرقى هم ثلاثة امراء من الالفية وهم نعمان بك وامين بك ويحيى بك وذلك انهم لما تصالحوا مع الباشا واميرهم شاهين بك وهو الرئيس المنظور اليه ومطلق التصرف فى معظم البر الغربى والفيوم يتحكم فيهم وفى طوائف العربان واهالى البلاد والفلاحين بما يريد وكذلك أموال المعادى بناحية الاخصاص وانبابة والجبيرى وغير ذلك وهو شئ له قدر كبير وزاد فيهم أيضا اضعاف المعتاد فيأخذ جميع

قد

قد اشتد بالناس لعدم الغلات والاقوات لهرب الاكرة عن بلادهم ويطلب منه ان
يتأخر هذه الدفعة الى ان ينصلح حال البلاد ثم يعودوا اليها فلا مانع له عنها وبذل له على
ذلك مالا كثيرا فلما سمع السلطان هذه الرسالة قوى عنده ما قرره الزكوى وابى أن
يجيب الى التأخر وصمم العزم وسار اليها مجدا فلما بلغ الخليفة الخبر عبر هو واهله وحرمه
ومن عنده من اولاد الخلفاء الى الجانب الغربى فى ذى القعدة مظهرا للغضب والانتزاح
عن بغداد ان قصدها السلطان فلما خرج من داره بكى الناس جميعهم بكاء عظيما لم
يشاهد مثله فلما علم السلطان ذلك اشتد عليه وبلغ منه كل مبلغ فارسل يستعطف
الخليفة ويساله العود الى داره فاعاد الجواب انه لابد من عودك هذه الدفعة فان الناس
هلكى بشدة الغلاء وخراب البلاد وانه لايرى فى دينه ان يزداد ما بهم وهو يشاهدهم فان
عاد السلطان والا رحل هو عن العراق لئلا يشاهد ما يلقى الناس بمجىء العساكر
فغضب السلطان لقوله ورحل نحو بغداد واقام الخليفة بالجانب الغربى فلما حضر
عيد الاضحى خطب الناس وصلى بهم فبكى الناس لخطبته وارسل عفيفا الخادم وهو
من خواصه فى عسكر الى واسط ليمنع عنها نواب السلطان فارسل السلطان اليه عماد
الدين زنكى بن آق سنقر وكان له حينئذ البصرة وقد فارق البرسقى واتصل بالسلطان
فاقطعه البصرة فلما وصل عفيف الى واسط سار اليه عماد الدين فنزل بالجانب الشرقى
وكان عفيف بالجانب الغربى فارسل اليه عماد الدين يحذره القتال ويامره بالانتزاح
عنها فابى ولم يفعل فعبر اليه عماد الدين واقتتلوا فانهزم عسكر عفيف وقتل منهم مقتلة
عظيمة واسر مثلهم وتغافل عن عفيف حتى نجا لمودة كانت بينهما ثم ان الخليفة جمع
السفن جميعها اليه وسد ابواب دار الخلافة سوى باب النوبى وامر حاجب الباب ابن
الصاحب بالمقام فيه لحفظ الدار ولم يبق من حواشى الخليفة بالجانب الشرقى سواه
ووصل السلطان الى بغداد فى العشرين من ذى الحجة ونزل بباب الشماسية ودخل بعض
عسكره الى بغداد ونزلوا فى دور الناس فشكا الناس ذلك الى السلطان فامر باخراجهم
وبقى فيها من له دار وبقى السلطان يراسل الخليفة بالعود ويطلب الصلح وهو يمتنع
وكان يجرى بين العسكرين مناوشة والعامة من الجانب الغربى يسبون السلطان
أفحش سب ثم ان جماعة من عسكر السلطان دخلوا دار الخلافة ونهبوا التاج وحجر
الخليفة اول المحرم سنة احدى وعشرين وضج اهل بغداد من ذلك فاجتمعوا ونادوا
الغزاة فاقبلوا من كل ناحية ولما رآهم الخليفة خرج من السرادق والشمسة على راسه
والوزير بين يديه وامر بضرب الكوسات والبوقات ونادى باعلى صوته يالهاشم وامر
بتقديم السفن ونصب الجسر وعبر الناس دفعة واحدة وكان له فى الدار الف رجل
مختفين فى السراديب فظهروا وعسكر السلطان مشتغلون بالنهب فاسر منهم جماعة من
الامراء ونهب العامة دار وزير السلطان ودور جماعة من الامراء ودار عزيز الدين
المستوفى ودار الحكيم اوحد الزمان الطبيب وقتل منهم خلق كثير فى الدروب ثم عبر
الخليفة الى الجانب الشرقى ومعه ثلاثون الف مقاتل من اهل بغداد والسواد وامر

ذلك ويختص به وذلك خلاف انعامات الباشا عليه بالمئين من الاكياس ويشترى المماليك والجوارى الحسان
ولا يدفع لهم شيئا فيشكون الى
الباشا فيدفعه الى البسرجية
من خزينته وهو منشرح
الخاطر واخوانه يتأثرون
لذلك وتأخذهم الغيرة
ويطمعون فى جانبه وهو
يقصر فى حقهم ولا يعطيهم
الا النزر مع المن والتضجر
وفيهم من هو اقدم منه هجرة
ويرى فى نفسه انه احق بالتقدم
منه ولما دنت وفاة استاذهم
احضر شاهين بك وسلمه
خزينته واوصاه بان يعطى
الكل أمير من خشداشينه سبعة
آلاف مشخص ولم يعطهم
وطفق كلما اعطاهم شيئا
حسبه عليهم من الوصية حتى
اذا اعطى اليلك والبنش
لنعمان بك مثلا يعطيه له
أنقص من بنش أمين بك
نصف ذراع ويقول هو قصير
القامة ونحو ذلك فيحقدون
ذلك عليه ويشكون من
خسته وتقصيره فى حقهم ويعلم
الباشا ذلك فلما نقض شاهين
بك عهده وانضم الى المخالفين
وخشداشينه المذكورون
معه بالتنافر القلبى واسلمهم
الباشا سرا ووعدهم ومناهم
بانهم اذا حضروا اليه وفارقوا
شاهين بك الخائن المقصر فى
حقهم أنزلهم منزلة شاهين بك
وزيادة واختص بهم اختصاصا
كبيرا فمالت نفوسهم لذلك
القول واعتقدوا بخساسة عقولهم صحته وانهم اذا رجعوا اليه هذه المرة ونبذوا المخالفين اعتقد صداقتهم وخلوصهم

بحفر الخنادق فحفرت بالليل وحفظوا بغداد من عسكر السلطان ووقع الغلاء عند العسكر واشتد الامر عليهم وكان القتال كل يوم عليهم عند ابواب البلد وعلى شاطئ دجلة وعزم عسكر الخليفة على ان يكبسوا عسكر السلطان فغدر بهم الامير ابو الهيجاء الكردى صاحب اربل وخرج كانه يريد القتال فالتحق هو وعسكره بالسلطان وكان السلطان قد ارسل الى عماد الدين بواسط يامره ان يحضر هو بنفسه ومعه المقاتلة فى السفن وعلى الدواب فى البر فجمع كل سفينة فى البصرة الى بغداد وشحنها بالرجال المقاتلة واكثر من السلاح واصعد فلما قارب بغداد امر كل من معه فى السفن وفى البر بلبس السلاح واظهار ما عندهم من الجلد والنهضة فسارت السفن فى الماء والعسكر فى البر على شاطئ دجلة قد انتشروا وملؤا الارض برا وبحرا فراى الناس منظرا عجيبا كبر فى اعينهم وملأ صدورهم وركب السلطان والعسكر الى لقائهم فنظروا الى ما لم يروا مثله وعظم عماد الدين فى اعينهم وعزم السلطان على قتال بغداد حينئذ والجد فى ذلك فى البر والماء فلما راى الامام المسترشد بالله الامر على هذه الصورة وخروج الامير ابى الهيجاء من عنده اجاب الى الصلح وترددت الرسل بينهما فاصطلحا واعتذر السلطان مما جرى وكان حليما يسمع سبه باذنه فلا يعاقب عليه وعفا عن أهل بغداد جميعهم وكان أعداء الخليفة يشيرون على السلطان باحراق بغداد فلم يفعل وقال لا تساوى الدنيا فعل مثل هذا وأقام ببغداد الى رابع شهر ربيع الآخر سنة احدى وعشرين وحمل الخليفة من المال اليه كل ما استقرت القاعدة عليه وأهدى له سلاحا وخيلا وغير ذلك فرض السلطان ببغداد فاشار عليه الاطباء بمفارقتها فرحل الى همذان فلما وصلها عوفى

(ذكر مصاف بين طغتكين أتابك والفرنج بالشام)

فى هذه السنة اجتمعت الفرنج وملوكها وقمامصتها وكنودها وساروا الى نواحى دمشق فنزلوا بمرج الصفر عند قرية يقال لها شقحب بالقرب من دمشق فعظم الامر على المسلمين واشتد خوفهم وكاتب طغتكين أتابك صاحبها أمراء التركمان من ديار بكر وغيرها وجمعهم وكان هو قد سار عن دمشق الى جهة الفرنج واستخلف بها ابنه تاج الملوك بورى فكان بها كلما جاءت طائفة احسن ضيافتهم وسيرهم الى ابيه فلما اجتمعوا سار بهم طغتكين الى الفرنج فالتقوا اواخر ذى الحجة واقتتلوا واشتد القتال فسقط طغتكين عن فرسه فظن أصحابه انه قتل فانهزموا وركب طغتكين فرسه ولحقهم وتبعهم الفرنج وبقى التركمان لم يقدروا أن يلحقوا بالمسلمين فى الهزيمة فتخلفوا فلما رأوا فرسان الفرنج قد تبعوا المنهزمين وان معسكرهم وراجلهم ليس له مانع ولا حام حملوا على الرجالة فقتلوهم لم يسلم منهم الا الشريد ونهبوا معسكر الفرنج وخيامهم وأموالهم وجميع ما معهم وفى جملته كنيسة فيها من الذهب والجوهر مالا يقوم كثرة فنهبوا ذلك جميعه وعادوا الى دمشق سالمين لم يعدم منهم أحد ولما رجع الفرنج من اثر المنهزمين ورأوا رجالتهم قتلى واموالهم منهوبة تموا منهزمين لا يلوى الاخ على اخيه

وزاد قدرهم ومنزلتهم عنده وتذكروا عند ذلك ما كانوا فيه مدة اقامتهم بمصر من التنعم والراحة فى القصور التى عمروها بالجيزة والبيوت التى اتخذوها بداخل المدينة والرفاهية والفرش الوطيئة وتحركت غلمتهم للنساء والسرارى التى انعم عليهم الباشا بها وقالوا اما لنا والغربة وتعب الجسم والخاطر والانزعاج والحروب والالقاء بنفوسنا فى المهالك وعدم الراحة فى النوم واليقظة فردوا الجواب بالاجابة وتمنوا عليه ايضا ما حاك فى نفوسهم بشرط طرح المؤاخذة والعفو الكامل بواسطة من يعتمد صدقه فاجابهم لكل ما سالوه وتمنوه بواسطة مصطفى كاشف المورلى وهو معدود سابقا منهم وانفصل عنهم وانتمى الى الخدابك وصار من اتباعه فعند ذلك شرعوا فى مناكدة أخيهم شاهين بك ومفارقته وعقدوا معه مجلسا وقالوا له قاسمنا فى ربع المملكة التى خصونا به فى القسمة التى شرطوها فاننا شركاؤك فان ابراهيم بك قسم مع جماعته وكذلك عثمان بك وعلى بك أيوب فقال لهم وما هو الذى ملكناه حتى اقاسمكم فيه فقالوا انت تجحف علينا وتختص بالشئ دوننا فانك لما اصطلحنا معك مع الباشا وصرفك فى البر الغربى اختصيت بايراده وهو كذا وكذا دوننا ولم تشركنا معك فى شئ ولولا ان الباشا كان يراعينا ويواسينا من عنده لمتنا جوعا فنحن لا نرافقك ولا وكان

وكان هذا من الغريب ان طائفتين تنهزمان كل واحدة منهما من صاحبتها

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة حصر الفرنج رفنية من ارض الشام وهى بيد المسلمين وضيقوا عليها فملكوها وفيها توفى ابو الفتح احمد بن محمد الغزالى الواعظ وهو اخو الامام ابى حامد محمد وقد ذمه ابو الفرج بن الجوزى باشياء كثيرة منها روايته فى وعظه الاحاديث التى ليست بصحيحة والعجب انه يقدح فيه بهذا وتصانيفه هو ووعظه محشو به مملوء منه نسال الله ان يعيذنا من الوقيعة فى الناس ثم ياليت شعرى اما كان للغزالى حسنة تذكر مع ما ذكر من المساوى التى نسبها اليه لئلا ينسب الى الهوى والغرض

(ثم دخلت سنة احدى وعشرين وخمسمائه)

(ذكر ولاية الشهيد اتابك زنكى شحنكية العراق)

فى هذه السنة فى ربيع الآخر اسند السلطان محمود شحنكية العراق الى عماد الدين زنكى بن آقسنقر وكان سبب ذلك ان عماد الدين لما اصعد من واسط فى التجمل والجمع الذى ذكرناه وقام فى حفظ واسط والبصرة وتلك النواحى القيام الذى عجز غيره عنه عظم فى صدر السلطان وصدور امرائه فلما عزم السلطان على المسير من بغداد نظر فيمن يصلح ان يلى شحنكية العراق يامن معه من الخليفة فاعتبر امراءه واعيان دولته فلم ير فيهم من يقوم فى هذا الامر مقام عماد الدين فاستشار فى ذلك فكل اشار به وقالوا لا يقدر على رقع هذا الخرق واعادة ناموس هذه الولاية ولا تقوى نفس احد على ركوب هذا الخطر غير عماد الدين زنكى فوافق ما عنده فاسند اليه الولاية وفوضها اليه مضافة الى ماله من الاقطاع وسار عن بغداد وقد اطمان قلبه من جهة العراق فكان الامر كما ظن

(ذكر عود السلطان عن بغداد ووزارة انوشروان بن خالد)

فى هذه السنة فى عاشر ربيع الآخر سار السلطان محمود عن بغداد بعد تقرير القواعد بها ولما عزم على المسير حمل اليه الخليفة الخلع والدواب الكثيرة فقبل ذلك جميعه وسار ولما بعد عن بغداد قبض على وزيره ابى القاسم على بن القاسم الانساباذى فى رجب لانه اتهمه بممالأة المسترشد بالله اقيامه فى امره واتمام الصلح مقاما ظهر اثره فسعى به أعداؤه فلما قبض عليه ارسل السلطان الى بغداد أحضر شرف الدين انوشروان بن خالد وكان مقيما بها فلما علم بذلك جاءته الهدايا من كل احد حتى من الخليفة وسار عن بغداد خامس شعبان فوصل الى السلطان وهو باصبهان فخلع عليه خلع الوزارة وبقى فيها نحو عشرة اشهر ثم استعفى منها وعزل نفسه وعاد الى بغداد فى شعبان سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة واما الوزير ابو القاسم فانه بقى مقبوضا الى ان خرج السلطان سنجر الى الرى سنة اثنتين وعشرين فاخرجه من الحبس فى ذى الحجة واعاده الى وزارة

نصبك ولانحارب معك حتى تظهر لنا ما نقاتل معك عليه وتزايد وامعه فى المكالمة والمعاتبة والمفاقة ثم انفصلوا عنه ونقلوا خيامهم الى ناحية البحر واعتزلوه وفارقوا مرضى الجميع فلما علم بذلك ابراهيم بك الكبير تنكد خاطره وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم أى شئ هذا الفشل وخسافة العقل والتفرق بعد الالتئام والاجتماع وذهب اليهم ليصالحهم ويضمن لهم كل ما طلبوه وما معوا فيه عند تملكهم وقال لهم ان كنتم محتاجين فى هذا الوقت لمصرف أنا اعطيكم من عندى عشرين ألف ريال اقسموها بينكم وعودوا المضربكم معنا فامتنعوا من صلحهم مع شاهين بك فرجع ابراهيم بك يريد اخذ شاهين بك اليهم فامتنع من ذهابه اليهم وقال انا لست محتاجا اليهم وان ذهبوا قلدت امراء خلافهم وعندى من يصلح لذلك ويكون مطيعا لى دونهم فان هؤلاء يرون انهم احق منى بالرياسة والجماعة شرعوا فى التعدية وانتقلوا الى البر الشرقى وحال البحر بين الفريقين ووصل اليهم مصطفى كاشف المورلى بمرسوم الباشا واجتمعوا معه عند عبدالله اغا المقيم بناحية بنى سويف وضرب لهم شنكا ومدافع ثم انهم عزموا على الحضور الى مصر فوصلوا فى يوم الخميس خامس عشرينه وقابلوا الباشا وخلع عليهم واعطاهم تقادم

(ذكر وفاة عز الدين بن البرسقي وولاية عماد الدين زنكي الموصل واعمالها)

في هذه السنة توفي عز الدين مسعود بن البرسقي وهو صاحب الموصل وكان موته بمدينة الرحبة وسبب مسيره اليها انه لما استقامت اموره في ولايته وراسل السلطان محمودا وخطب له ولاية ما كان ابوه يتولاه من الموصل وغيرها فاجاب السلطان الى ما طلب فرتب الامور وقررها فاكثر جنده وكان شجاعا شهما فطمع في التغلب على بلاد الشام فجمع عساكره وسار الى الشام يريد قصد دمشق فابتدا بالرحبة فوصل اليها ونازلها وقام يحاصرها فاخذه مرض حاد وهو محاصر لها فتسلم القلعة ومات بعد ساعة فندم من بها على تسليمها اليه ولما مات بقي مطروحا على بساط لم يدفن وتفرق عنه عسكره ونهب بعضهم بعضا فشغلوا عنه ثم دفن بعد ذلك وقام بعده اخ له صغير واستولى على البلاد مملوك للبرسقي يعرف بالجاولي ودبر امر الصبي وارسل الى السلطان يطلب ان يقرر البلاد على ولد البرسقي وبذل الاموال الكثيرة على ذلك وكان الرسول في هذا الامر القاضي بهاء الدين ابو الحسن علي بن القاسم الشهرزوري وصلاح الدين محمد امير حاجب البرسقي فحضر ادركاه السلطان ليخاطبا في ذلك وكانا يخافان جاولي ولا يرضيان بطاعته والتصرف بما يحكم به فاجتمع صلاح الدين ونصير الدين جقر الذي صار نائبا عن اتابك عماد الدين بالموصل وكان بينهما مصاهرة وذكر له صلاح الدين ما ورد فيه وافشى اليه سره فخوفه نصير الدين من جاولي وقبح عنده طاعته وقرر في نفسه انه انما ابقاه وامثاله لحاجته اليهم ومتى اجيب الى مطلوبه لا يبقى على احد منهم وتحدث معه في المخاطبة في ولاية عماد الدين زنكي وضمن له الولايات والاقطاع الكثيرة وكذلك للقاضي بهاء الدين الشهرزوري فاجابه الى ذلك واحضره معه عند القاضي بهاء الدين وخاطباه في هذا الامر وضمناله كل ما اراده فوافقهما على ما طلبا وركب هو وصلاح الدين الى دار الوزير وهو حينئذ شرف الدين انوشروان بن خالد وقالا له قد علمت انت والسلطان ان ديار الجزيرة والشام قد تمكن الفرنج منها وقويت شوكتهم بها فاستولوا على اكثرها وقد اصبحت ولايتهم من حدود ماردين الى عريش مصر ما عدا البلاد الباقية بيد المسلمين وقد كان البرسقي مع شجاعته وتجربته وانقياد العساكر اليه يكف بعض عاديتهم وشرهم فمذ قتل ازداد طمعهم وهذا ولده طفل صغير ولابد للبلاد من رجل شهم شجاع ذي رأي وتجربة يذب عنها ويحفظها ويحمي حوزتها وقد انهينا الحال لئلا يجري خلل او وهن على الاسلام والمسلمين فيختص اللوم بنا ويقال لم لا انهيتم الينا جلية الحال فرفع الوزير قولهما الى السلطان فاستحسنه وشكرهما عليه واحضرهما واستشارهما فيمن يصلح للولاية فذكرا جماعة منهم عماد الدين زنكي وبذلا عنه تقربا الى خزانة السلطان مالا جليلا فاجاب السلطان الى توليته لما يعلمه من كفايته لما يليه فاحضره وولاه البلاد كلها وكتب منشوره بها وسار فبدأ بالبوازيج ليملكها ويتقوى

ورجعوا الى مصر بهم ناحية الآثار وصحبتهم ستة عشر من كشافهم والجميع يزيدون عن المائتين وانعم عليهم الباشا بمائتي كيس لكل كبير من الاربعة عشرون كيسا ومائة وعشرون كيسا لبقيتهم واشتروا دورا واسعة وشرعوا في تعميرها وزخرفتها على طرف الباشا فاشترى امين بك دار عثمان كتخدا المنفوخ بدرب سعادة من عتقائه ودفع له الباشا ثمنها وامر لكل امير منهم بسبعة آلاف ريال ليصرفها فيما يحتاج اليه في العمارة واللوازم وحولهم بذلك على المعلم غالي ولما تحقق شاهين بك انفصالهم قلد اربعة من اتباعه امريات واعطاهم بيرقا وخيولا وضم لهم مماليك وطوائف وعمت حيلة الباشا التي احكمها بمكره وعند ذلك اشيع في الاقليم القبلي والبحري تفرقهم وتفاشلهم ورجع من كان عازما من القبائل والعربان عن الانضمام اليهم وطلبوا الامان من الباشا وحضروا اليه ودخلوا في طاعته وأنعم عليهم وكساهم وكانت أهالي البلاد عندما حصلت هذه الحادثة عصت عن دفع الفرض والمغارم وطردوا المعينين وتعطل الحال وخصوصا عندما شاع غلبة المصريين على الارنؤد وتفرقت عنهم العربان الذين كانوا انضموا اليهم وأطاع المخالف والعاصي والممانع وكلها أسباب لبروز المقدور المستور في غيبه سبحانه بها

وتعالى (وفي أواخره) حضر كثير من عسكر الدلاة من الجهة الشامية وكذلك حضر أتراك من على ظهر البحر كثيرون (واستهل شهر جمادى الثانية بيوم الثلاثاء سنة ١٢٢٠) في ثالثه يوم الخميس قلد الباشا ديوان افندي نظر مهمات الحرمين والتأهب لسفر الحجاز لمحاربة الوهابية وسكن ببيت قصبة رضوان كل ذلك مع توجه الهمة والاستعداد لمحاربة الامراء المصريين والمذكورون بناحية قنطرة اللاهون (وأما حسن باشا وصالح قوج وعابدين بك ومن معهم) فانهم صعدوا الى قبلي وملكوا البنادر الى حد جرجا واستقر دبوس اوغلي بمنية ابن خصيب (وفي يوم السبت خامسه) ارتحل الباشا بعساكره من الجيزة وانتقل الى جزيرة الذهب ونودي في المدينة بخروج العساكر المقيمين بمصر ولا يتخلف منهم أحد فزاد تعديهم وخطفهم الحمير والجمال والرجال الفلاحين وغيرهم لتسخيرهم في خدمتهم وفي المراكب عوضا عن النوتية والملاحين الذين هربوا وتركوا سفائنهم فكانوا يقبضون على كل من يصادفونه ويحبسونهم في الحواصل ببولاق واتفق انهم حبسوا نحو ستين نفرا في حاصل مظلم واغلقوه عليهم وتركوهم من غير اكل ولا شرب اياما حتى ماتوا عن آخرهم وانحدر قبطان بولاق واعوانه في طلب المراكب من بحر النيل فكانوا يقبضون على المراكب الواصلة إلى

بهما ويجعلها ظهره لانه خاف من جاولي انه ربما صده عن البلاد فلما دخل البوازيج سار عنها الى الموصل فلما سمع جاولي بقربه من البلد خرج الى تلقيه ومعه جميع العسكر فلما رآه جاولي نزل عن فرسه وقبل الارض بين يديه وعاد في خدمته الى الموصل فدخلها في رمضان واقطع جاولي الرحبة وسيره اليها واقام بالموصل يصلح امورها ويقرر قواعدها فولى نصير الدين دزدارية القلعة بالموصل وجعل اليه سائر دزدارية القلاع وجعل صلاح الدين محمدا اميرا حاجبا وبهاء الدين قاضي قضاة بلاده جميعها وزاده املاكا واقطاعا واحتراما وكان لا يصدر الا عن رايه فلما فرغ من امر الموصل سار عنها الى جزيرة ابن عمرو بها مماليك البرسقي فامتنعوا عليه فحصرهم وراسلهم وبذل لهم البذول الكثيرة ان سلموا فلم يجيبوه الى ذلك فجد في قتالهم وبينه وبين البلد دجلة فامر الناس فالقوا انفسهم في الماء ليعبروه الى البلد ففعلوا وعبر بعضهم سباحة وبعضهم في السفن وبعضهم في الاكلاك وتكاثروا على اهل الجزيرة وكانوا قد خرجوا عن البلد الى ارض بين الجزيرة ودجلة تعرف بالزلاقة ليمنعوا من يريد من عبور دجلة فلما عبر العسكر اليهم قاتلوهم ومانعوهم فتكاثر عسكر عماد الدين عليهم فانهزم اهل البلد ودخلوه وتحصنوا باسواره واستولى عماد الدين على الزلاقة فلما راى من بالبلد ذلك ضعفوا ووهنوا وايقنوا ان البلد يملك سلما او عنوة فارسلوا يطلبون الامان فاجابهم الى ذلك وكان هو ايضا مع عسكره بالزلاقة فسلموا البلد اليه فدخله هو وعسكره ثم ان دجلة زادت تلك الليلة زيادة عظيمة لحقت سور البلد وصارت الزلاقة ماء فلو اقام ذلك اليوم لغرق هو وعسكره ولم ينج منهم احد فلما راى الناس ذلك ايقنوا بسعادته وايقنوا ان امرا هذا ابتداؤه لعظيم ثم سار عن الجزيرة الى نصيبين وكانت لحسام الدين تمرتاش صاحب ماردين فلما نازلها سار حسام الدين الى ابن عمه ركن الدولة داود بن سقمان بن ارتق وهو صاحب حصن كيفا وغيرها فاستنجده على اتابك زنكي فوعده النجدة بنفسه وجمع عسكره وعاد تمرتاش الى ماردين وارسل رقاعا على اجنحة الطيور الى نصيبين يعرف من بها من العسكر انه وابن عمه سائران في العسكر الكثير اليهم وازاحة عماد الدين عنهم ويامرهم بحفظ البلد خمسة ايام فبينما اتابك في خيمته اذ سقط طائر على خيمة تقابله فامر به فصيد فراى فيه رقعة فقراها وعرف ما فيها فامر ان يكتب غيرها يقول فيها انني قصدت ابن عمي ركن الدولة وقد وعدني النصرة وجمع العساكر وما يتاخر عن الوصول اكثر من عشرين يوما ويامرهم بحفظ البلد هذه المدة الى ان يصلوا وجعلها في الطائر وارسله فدخل نصيبين فلما وقف من بها على الرقعة سقط في ايديهم وعلموا انهم لا يقدرون ان يحفظوا البلد هذه المدة فارسلوا الى الشهيد وصالحوه وسلموا البلد اليه فبطل على تمرتاش وداود ما كانا عزما عليه وهذا من غريب ما يسمع فلما ملك نصيبين سار عنها الى سنجار فامتنع من بها عليه ثم صالحوه وسلموا البلد اليه وسير منها الشحن الى الخابور فملكه جميعه ثم سار الى حران وهي للمسلمين وكانت الرها وسروج والبيرة وتلك النواحي جميعها للفرنج واهل حران معهم في ضر عظيم وضيق شديد لخلو البلاد

من حام يذب عنها وسلطان يمنعها فلما قارب حران خرج اهل البلد واطاعوه وسلموا اليه فلما ملكها ارسل الى جوسلين صاحب الرها وتلك البلاد وراسله وهادنه مدة يسيرة وكان غرضه ان يتفرغ لاصلاح البلاد وجند الاجناد وكان اهم الامور اليه ان يعبر الفرات الى الشام ويملك مدينة حلب وغيرها من البلاد الشامية فاستقر الصلح بينهم وامن الناس ونحن نذكر ملك حلب ان شاء الله تعالى

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة قتل معين الملك ابو نصر احمد بن الفضل وزير السلطان سنجر قتلته الباطنية وكان له فى قتالهم آثار حسنة ونية صالحة فرزقه الله الشهادة وفيها ولى السلطان شحنكية بغداد مجاهد الدين بهروز لما سار اتابك زنكى الى الموصل وفيها رتب الحسن بن سليمان فى تدريس النظامية ببغداد وفيها اوقع السلطان سنجر بالباطنية فى ألموت فقتل منهم خلقا كثيرا قيل كانوا يزيدون على عشرة آلاف نفس وتوفى هذه السنة على بن المبرك ابو الحسن المقرى المعروف بابن الفاعوس الحنبلى ببغداد فى شوال وكان صالحا وفى شوال توفى محمد بن عبد الملك بن ابراهيم بن احمد ابو الحسن بن ابى الفضل الهمذانى الفرضى صاحب التاريخ

(ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة)

(ذكر ملك اتابك عماد الدين زنكى مدينة حلب)

فى هذه السنة اول المحرم ملك عماد الدين زنكى بن آقسنقر مدينة حلب وقلعتها ونحن نذكر كيف كان سبب ملكها فنقول قد ذكرنا ملك البرسقى لمدينة حلب وقلعتها سنة ثمان عشرة واستخلافه بها ابنه مسعودا ولما قتل البرسقى سار مسعود عنها الى الموصل وملكها واستناب بحلب اميرا اسمه قومان ثم انه ولى عليها اميرا اسمه قتلغ ابه وسيره بتوقيع الى قومان بتسليمها فقال بينى وبين عز الدين علامة لم ارها ولا اسلم الا بها وكانت العلامة بينهما صورة غزال وكان مسعود بن البرسقى حسن التصوير فعاد قتلغ ابه الى مسعود وهو يحاصر الرحبة فوجده قد مات فعاد الى حلب مسرعا وعرف الناس موته فسلم الرئيس فضائل بن بديع البلد واطاعه المقدمون به واستنزلوا قومان من القلعة بعد ان صح عنده وفاة صاحبه مسعود واعطوه الف دينار فتسلم قتلغ القلعة فى الرابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة احدى وعشرين فظهر منه بعد ايام جور شديد وظلم عظيم ومد يده الى اموال الناس لاسيما التركات فانه اخذها وتقرب اليه الاشرار فنفرت قلوب الناس منه وكان بالمدينة بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار بن ارتق الذى كان قديما صاحبها فاطاعه اهلها وقاموا ليلة الثلاثاء ثانى شوال فقبضوا على كل من كان بالبلد من اصحاب قتلغ ابه وكان اكثرهم يشربون فى البلد صبحة العيد وزحفوا الى القلعة فتحصن قتلغ ابه فيها بمن معه فحصروه ووصل الى حلب حسان صاحب منبج وحسن صاحب بزاعة لاصلاح الامر فلم ينصلح وسمع الفرنج بذلك فتقدم جوسلين بعسكره

مصر بالغلال والبضائع والسفار فيلقون شقفها التى لاحاجة لهم بها على شطوط الملق ويأتون بالمراكب الى بولاق والجيزة الان يعطوهم براطيل على تركهم الغلة بالمراكب حتى يصلوا بها الى ساحل بولاق فيخرجونها منها ثم يأخذون المركب وهكذا كان دأبهم بطول هذه المدة (وفى عاشره) ارتحل الباشا من جزيرة الذهب يريد محاربة المصريين (وفى منتصفه) ورد الخبر بان حسين بك تابع حسين بك المعروف بالوشاش الالفى أراد الهروب والمجىء الى الباشا فقبض عليه شاهين بك واهانه وسلب نعمته وكتفه واركبه على جمل مغطى الرأس وارسله الى الواحات فاحتال وهرب وحضر الى عرضى الباشا فاكرمه وانعم عليه واعطاه خمسين كيسا واستمر عنده (وفى خامس عشرينه) وصلت الاخبار بان الباشا ملك قناطر اللاهون وان المصريين ارتحلوا الى ناحية البهنسا ولم يقع بينهم كبير محاربة وان الباشا استولى على الفيوم وأرسل الباشا هدايا لمن فى سرايته والكتخدا بك من ظرائف الفيوم مثل ماء الورد والعنب والفاكهة وغير ذلك واستولى على ما كان مودعا للمصريين من الغلال بالفيوم (وفى أواخره) وصلت اخبار من ناحية الشام بان طائفة من الوهابية جردوا جيشا الى تلك الجهة فتوجه يوسف باشا الى المزيريب وحصن الى

الى المدينة فصونح بمال فعاد عنها ثم وصل بعده صاحب انطاكية فى جمع من الفرنج فخندق الحلبيون حول القلعة فمنع الداخل والخارج اليها من ظاهر البلد واشرف الناس على الخطر العظيم الى منتصف ذى الحجة من السنة وكان عماد الدين قد ملك الموصل والجزيرة فسير الى حلب الامير سنقر دراز والامير حسن قراقوش وهما من اكابر امراء البرسقى وقد صار امعه فى عسكر قوى ومعه التوقيع من السلطان بالموصل والجزيرة والشام فاستقر الامران يسير بدر الدولة بن عبد الجبار وقتلغ ابه الى الموصل الى عماد الدين فسارا اليه واقام حسن قراقوش بحلب واليا عليها ولاية مستعارة فلما وصل بدر الدولة وقتلغ ابه الى عماد الدين اصلح بينهما ولم يرد واحدا منهما الى حلب وسير حاجبه صلاح الدين محمدا الباغيسيانى اليها فى عسكر فصعد الى القلعة ورتب الامور وجعل فيها واليا وسار عماد الدين زنكى الى الشام فى جيوشه وعساكره فملك فى طريقه مدينة منبج وبزاعة وخرج اهل حلب اليه فالتقوه واستبشروا بقدومه ودخل البلد واستولى عليه ورتب اموره واقطع اعماله الاجناد والامراء فلما فرغ من الذى اراده قبض على قتلغ ابه وسلمه الى ابن بديع فكحله بداره بحلب فمات قتلغ ابه واستوحش ابن بديع فهرب الى قلعة جعبر واستجار بصاحبها فاجاره وجعل عماد الدين فى رياسة حلب ابا الحسن على بن عبد الرزاق ولولا ان الله تعالى من على المسلمين بملك اتابك بلاد الشام لملكها الفرنج لانهم كانوا يحصرون بعض البلاد الشامية واذا علم ظهير الدين طغتكين بذلك جمع عساكره وقصد بلادهم وحصرها واغار عليها فيضطر الفرنج الى الرحيل لدفعه عن بلادهم فقدر الله تعالى انه توفى هذه السنة فخلا لهم الشام من جميع جهاته من رجل يقوم بنصرة اهله فلطف الله بالمسلمين بولاية عماد الدين ففعل بالفرنج ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر قدوم السلطان سنجر الى الرى)

فى هذه السنة خرج السلطان سنجر من خراسان الى الرى فى جيش كثير وكان سبب ذلك ان دبيس بن صدقة لما وصل اليه هو والملك طغرل على ما ذكرناه لم يزل يطمعه فى العراق ويسهل عليه قصده ويلقى فى نفسه ان المسترشد بالله والسلطان محمودا متفقان على الامتناع منه ولم يزل به حتى اجابه الى المسير الى العراق فلما ساروا وصل الى الرى وكان السلطان محمود بهمذان فارسل اليه السلطان سنجر يستدعيه اليه لينظر هل هو على طاعته ام قد تغير على ما زعم دبيس فلما جاءه الرسول بادر الى المسير الى عمه فلما وصل اليه أمر العسكر جميعه بلقائه وأجلسه معه على التخت وبالغ فى اكرامه واقام عنده الى منتصف ذى الحجة ثم عاد السلطان سنجر الى خراسان وسلم دبيسا الى السلطان محمود ووصاه باكرامه واعادته الى بلده ورجع محمود الى همذان ودبيس معه ثم سارا الى العراق فلما قاربا بغداد خرج الوزير الى لقائه وكان قدومه تاسع المحرم سنة ثلاث وعشرين وكان الوزير ابو القاسم الانسابادى قد قبض السلطان محمود عليه فلما اجتمع بالسلطان سنجر امر باطلاقه فاطلقه وقرره سنجر فى وزارة ابنته التى زوجها

قلعتها واستعدالهم بجيش وحاربوهم وطاردوهم ثم اضطربت الاخبار واختلفت الاقوال *(واستهل شهر رجب بيوم الخميس سنة ١٢٢٥)* فيه وردت الاخبار بورود قزلاراغا من طرف الدولة وعلى يده أوامر وخلعة وسيف وخنجر لمحمد على باشا وصحبته أيضا مهمات وآلات مراكب ولوازم حروب لسفر البلاد الحجازية ومحاربة الوهابية وهو يسمى عيسى أغا وانه طلع الى ثغر سكندرية (وفى يوم السبت عاشره) الموافق لسادس مسرى القبطى أوفى النيل وحصلت الجمعية وحضر كتخدابك والقاضى وباقى الاعيان وكسر السد بحضرتهم فى صبحها يوم الاحد وجرى الماء فى الخليج (وفيه) وصل الاغا شبرا وعملوا له هناك شنكا وحراقات وتعليقات قبالة القصر الذى أنشاه الباشا بساحل شبرا وخرجوا لملاقاته فى صبحها بعد ثلاث ليال فى يوم الثلاثاء ثالث عشره وعملوا له موكبا عظيما وطلع الى القلعة وضربوا عند طلوعه الى القلعة مدافع وهذا الاغا اسمر اللون حبشى مخصى لطيف الذات متعاظم فى نفسه قليل الكلام وفى حال مروره كان بجانبه شخصان ينثران الذهب والفضة الاسلامبولى على الناس المتفرجين وحضر صحبته وصحبة اتباعه السكة الجديدة التى ضربت باسلامبول من الذهب والفضة وهى دراهم فضة خالصة سالمة من الغش زنة

بالسلطان محمود فلما وصل معه الى بغداد أعاده محمود الى وزارته فى الرابع والعشرين من المحرم وهى وزارته الثانية

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة ثامن صفر توفى اتابك طغتكين صاحب دمشق وهو مملوك الملك تتش ابن ألب أرسلان وكان عاقلا خيرا كثيرا الغزوات والجهاد للفرنج حسن السيرة فى رعيته مؤثرا للعدل فيهم وكان لقبه ظهير الدين ولما توفى ملك بعده ابنه تاج الملوك بورى وهو اكبر أولاده بوصية من والده له بالملك واقر وزير ابيه اباعلى طاهر بن سعد المزدقانى على وزارته وفيها مستهل رجب توفى الوزير جلال الدين أبو على بن صدقة وزير الخليفة وكان حسن السيرة جميل الطريقة متواضعا محبا لاهل العلم مكرما لهم وله شعر حسن فمنه فى مدح المسترشد بالله

وجدت الورى كالماء طعما ورقة ✽ وان أمير المؤمنين زلاله
وصورت معنى العقل شخصا مصورا ✽ وان امير المؤمنين مثاله
ولولا طريق الدين والشرع والتقى ✽ لقلت من الاعظام جل جلاله

وأقيم فى النيابة بعده شرف الدين على بن طراد الزينبى ثم جعل وزيرا وخلع عليه آخر شهر ربيع الآخر من سنة ثلاث وعشرين ولم يوزر للخلفاء من بنى العباس هاشمى غيره وفيها هبت ريح شديدة اسود لها الآفاق وجاءت بتراب احمر يشبه الرمل وظهر فى السماء اعمدة كانها نار فخاف الناس وعدلوا الى الدعاء والاستغفار فانكشف عنهم ما يخافونه

(ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة)

(ذكر قدوم السلطان محمود الى بغداد)

فى هذه السنة فى المحرم قدم السلطان محمود بغداد بعد عوده من عند عمه السلطان سنجر ومعه دبيس بن صدقة ليصلح حاله مع الخليفة المسترشد بالله فتاخر دبيس عن السلطان ثم دخل بغداد ونزل بدار السلطان واسترضى عنه الخليفة فامتنع الخليفة من الاجابة الى ان تولى دبيس شيئا من البلاد وبذل مائة ألف دينار لذلك وعلم اتابك زنكى ان السلطان يريد ان يولى دبيس الموصل فبذل مائة ألف دينار وحضر بنفسه الى خدمة السلطان فلم يشعر السلطان به الا وهو عند الستر وحمل معه الهدايا الجليلة فاقام عند السلطان ثلاثة أيام وخلع عليه واعاده الى الموصل وخرج السلطان يتصيد فعمل له شيخ المزرفة دعوة عظيمة امتار منها جميع عسكر السلطان وادخله الى حمام فى داره وجعل فيها عوض الماء ماء الورد فاقام السلطان الى رابع جمادى الآخرة وسار عنها الى همذان وجعل بهروز على شحنكية بغداد وسلمت اليه الحلة ايضا

(ذكر ما فعله دبيس بالعراق وعود السلطان الى بغداد)

الدرهم منها درهم وزنى كامل ستة عشر قيراطا يصرف بخمسة وعشرين نصفا من الانصاف المعاملة العددية المستعملة فى معاملة الناس الآن وكذلك قطعة مضروبة وزن درهمين بالدرهم الوزنى تصرف بخمسين وكذلك قطعة مضروبة وزنها أربعة دراهم وتصرف بمائة نصف وقطعة وزنها ثمانية دراهم وتصرف بمائتين وكذلك ذهب فندقلى اسلامى يصرف بار بعمائة نصف وأربعين نصفا ونصفه وربعه (وفى يوم الجمعة سادس عشره) حضر الاغا المذكور الى المسجد الحسينى وصلى به الجمعة وخرج وهو يفرق على الفقراء والمستجدين ارباع الفنادقة واعطى خدمة الضريح وخدمة المسجد قروشا اسلامبولى فى صرر أقل ما فى الصرة الواحدة عشرة قروش (وفى يوم السبت سابع عشره) عملوا ديوانا بالقلعة واحضروا خلعة وصلت صحبة الاغا المذكور أرسلها صحبة خازنداره والبسوها لابن الباشا وجعلوه باشا ميرميران وابن الباشا المذكور ولد مراهق صغير يسمى اسمعيل وضربوا شنكا ومدافع وأشيع انه وصلت مبشرون من الجهة القبلية بنصرة الباشا على المصريين وأرسلوا بذلك أوراقا للاعيان أخبروا فيها بوقوع الحرب بين الفريقين ليلة السبت أو يوم السبت عاشر رجب (وفى ليلة الثلاثاء ثانى عشرينه) ارسلوا تنابيه الى المشايخ بالحضور من الغد لما

لما رحل السلطان الى همذان ماتت زوجته وهي ابنة السلطان سنجر وهي التي كانت تعنى بأمر دبيس وتدافع عنه فلما ماتت انحل أمر دبيس ثم ان السلطان مرض مرضا شديدا فاخذ دبيس ابنا له صغيرا وقصد العراق فلما سمع المسترشد بالله بذلك جند الاجناد وحشد وكان بهروز بالحلة فهرب منها فدخلها دبيس في شهر رمضان فلما سمع السلطان الخبر عن دبيس احضر الاميرين قزلو والاحمديلي وقال انتما ضمنتما دبيسا مني وأريده منكما فسار الاحمديلي الى العراق الى دبيس ليكف شره عن البلاد ويحضره الى السلطان فلما سمع دبيس الخبر أرسل الى الخليفة يستعطفه ويقول ان رضيت عني فانا أرد أضعاف ما أخذت وأكون العبد المملوك فترددت الرسل ودبيس يجمع الاموال والرجال فاجتمع معه عشرة آلاف فارس وكان قد وصل في ثلثمائة فارس ووصل الاحمديلي بغداد في شوال وسار في اثر دبيس ثم ان السلطان سار الى العراق فلما سمع دبيس بذلك أرسل اليه هدايا جليلة المقدار وبذل ثلثمائة حصان منعلة بالذهب ومائتي ألف دينار ليرضى عنه السلطان والخليفة فلم يجبه الى ذلك ووصل السلطان الى بغداد في ذى القعدة فلقيه الوزير الزينبي وأرباب المناصب فلما تيقن دبيس وصوله رحل الى البرية وقصد البصرة وأخذ منها أموالا كثيرة ومال للخليفة والسلطان هناك من الدخل فسير السلطان اثره عشرة آلاف فارس ففارق البصرة ودخل البرية

(ذكر قتل الاسماعيلية بدمشق)

قد ذكرنا فيما تقدم قتل ابراهيم الاسداباذي ببغداد وهرب ابن اخته بهرام الى الشام وملكه قلعة بانياس ومسيره اليها ولما فارق دمشق اقام له بها خليفة يدعوا الناس الى مذهبه فكثروا وانتشروا وملك هو عدة حصون من الجبال منها القدموس وغيره وكان بوادى التيم من أعمال بعلبك أصحاب مذاهب مختلفة من النصيرية والدرزية والمجوس وغيرهم وأميرهم اسمه الضحاك فسار اليهم بهرام سنة اثنتين وعشرين وحصرهم وقاتلهم فخرج اليه الضحاك في ألف رجل وكبس عسكر بهرام فوضع السيف فيهم وقتل منهم مقتلة كثيرة وقتل بهرام وانهزم من سلم وعادوا الى بانياس على أقبح صورة وكان بهرام قد استخلف في بانياس رجلا من أعيان أصحابه اسمه اسمعيل فقام مقامه وجمع شمل من عاد اليه منهم وبث دعاته في البلاد وعاضده المزدقاني أيضا وقوى نفسه على ما عنده من الامتعاض بهذه الحادثة والهم بسببها ثم ان المزدقاني أقام بدمشق عوض بهرام انسانا اسمه أبو الوفا فقوى أمره وعلا شانه وكثر أتباعه وقام بدمشق فصار المستولى على من بها من المسلمين وحكمه أكثر من حكم صاحبها تاج الملوك ثم ان المزدقاني راسل الفرنج ليسلم اليهم مدينة دمشق ويسلموا اليه مدينة صور واستقر الامر بينهم على ذلك وتقرر بينهم الميعاد يوم جمعة ذكروه وقرر المزدقاني مع الاسماعيلية أن يحتاطوا ذلك اليوم بابواب الجامع فلا يمكنوا أحدا يخرج منه ليجيء الفرنج ويملكوا

لانفارهدوها ويكون حضورهم بالمشهد الحسيني فبات الناس في ارتياب وظنون وتخامين فلما اصبح اليوم حضر شيخ السادات وهو الناظر على اوقاف المشهد الى قبة المدفن وحضر الشيخ البكرى واغلقوا اباب القبة ومنعوا الناس من العبور بالمسجد متشوفين لثمرة هذا الاجتماع وكل من حضر من الاشياخ المشاهير استاذنوا له وادخلوه الى القبة وحضر الشيخ الامير والشيخ المهدى وتاخر حضور الشيخ الشرقاوى لكونه كان يبيت في بولاق ثم حضر الاغا المذكور ودخل الى القبة وصحبته ظرف من خشب ففتحه واخرج منه لوحا طوله ازيد من ذراعين في عرض ذراع ونصف مكتوب فيه البسملة بخط الثلث مموه بالذهب وهي بخط يد السلطان محمود وتحتها طرة العلامة السلطانية فعلقوه على مقصورة المقام وقرؤا الفاتحة ودعا السيد محمد المنزلاوى خطيب المسجد بدعوات للسلطان ولما فرغ دعا ايضا السيد بدر الدين المقدسى ثم خلع على المشايخ خلعا وفرق ذهبا ثم خرج الجميع وركبوا الى دورهم فكان هذا الجمع جمع سخف لا غير (وفي يوم الجمعة) ركب الاغا المذكور وذهب الى ضريح السادات الوفائية بالقرافة صحبة الشيخ المتولى خلافتهم فزاره قبورهم وعلق هناك لوحا ايضا وفرق دراهم وخلع على الشيخ المذكور خلعة (ومن

البلاد فبلغ الخبر تاج الملوك صاحب دمشق فاستدعى المزدقانى اليه فحضر وخلا معه فقتله تاج الملوك وعلق رأسه على باب القلعة ونادى فى البلد بقتل الباطنية فقتل منهم ستة آلاف نفس وكان ذلك منتصف رمضان من السنة وكفى الله المسلمين شرهم ورد على الكافرين كيدهم ولما تمت هذه الحادثة بدمشق على الاسماعيلية خاف اسمعيل والى بانياس ان يثور به وبمن معه الناس فيهلكوا فراسل الفرنج وبذل لهم تسليم بانياس اليهم والانتقال الى بلادهم فاجابوه فسلم القلعة اليهم وانتقل هو ومن معه من أصحابه الى بلادهم ولقوا شدة وذلة وهوانا وتوفى اسمعيل أوائل سنة أربع وعشرين وكفى الله المؤمنين شرهم

(ذكر حصر الفرنج دمشق وانهزامهم)

لما بلغ الفرنج قتل المزدقانى والاسماعيلية بدمشق عظم عليهم ذلك وتاسفوا على دمشق حيث لم يتم لهم ملكها وعمتهم المصيبة فاجتمعوا كلهم صاحب القدس وصاحب انطاكية وصاحب طرابلس وغيرهم من الفرنج وقامصتهم ومن وصل اليهم فى البحر للتجارة والزيارة فاجتمعوا فى خلق عظيم نحو الفى فارس وأما الراجل فلا يحصى وساروا الى دمشق ليحصروها ولما سمع تاج الملوك بذلك جمع العرب والتركمان فاجتمع معه ثمانية آلاف فارس ووصل الفرنج فى ذى الحجة فنازلوا البلد وارسلوا الى اعمال دمشق لجمع الميرة والاغارة على البلاد فلما سمع تاج الملوك ان جمعا كثيرا قد ساروا الى حوران لنهبه واحضار الميرة سير اميرا من امرائه يعرف بشمس الخواص فى جمع من المسلمين اليهم وكان خروجهم فى ليلة شاتية كثيرة المطر ولقوا الفرنج من الغد فواقعوهم واقتتلوا وصبر بعضهم لبعض فظفر بهم المسلمون وقتلوهم فلم يفلت منهم غير مقدمهم ومعه أربعون رجلا واخذوا ما معهم وهى عشرة آلاف دابة موقرة وثلثمائة اسير وعادوا الى دمشق لم يمسهم قرح فلما علم من عليها من الفرنج ذلك ألقى الله فى قلوبهم الرعب فرحلوا عنها شبه المنهزمين وأحرقوا ما تعذر عليهم حمله من سلاح وميرة وغير ذلك وتبعهم المسلمون والمطر شديد والبرد عظيم يقتلون كل من تخلف منهم فكثر القتلى منهم وكان نزولهم ورحيلهم فى ذى الحجة من هذه السنة

(ذكر ملك عماد الدين زنكى مدينة حماة)

فى هذه السنة ملك عماد الدين زنكى بن آقسنقر صاحب الموصل مدينة حماة وسبب ذلك انه عبر الفرات الى الشام واظهر انه يريد جهاد الفرنج وارسل الى تاج الملوك بورى بن طغتكين صاحب دمشق يستنجده ويطلب منه المعونة على جهادهم فاجاب الى المراد وارسل من اخذ له العهود والمواثيق فلما وصلت التوثقة جرد عسكرا من دمشق مع جماعة من الامراء وارسل الى ابنه سونج وهو بمدينة حماة يامره بالنزول الى العسكر والمسير معهم الى زنكى ففعل ذلك فساروا جميعهم فوصلوا اليه فاكرمهم واحسن لقاءهم وتركهم اياما ثم انه غدر بهم فقبض على سونج ولد تاج الملوك وعلى جماعة الامراء

الحوادث) البدعية من هذا القبيل ان عثمان اغا المتولى اغات مستحفظان سوات له نفسه عمارة مشهد الراس وهو راس زيد بن على زين العابدين ابن الحسين بن على بن ابى طالب رضى الله عنهم ويعرف هذا المشهد عند العامة بزين العابدين وبذلك اشتهر ويقصدونه بالزيارة صبح يوم الاحد فلما كانت الحوادث ومجىء الفرنسيس اهملوا ذلك وتخرب المشهد واهيلت عليه الاتربة فاجتهد عثمان اغا المذكور فى تعمير ذلك فعمره وزخرفه وبيضه وعمل به سترا وتاجا ليوضعا على المقام وارسل فنادى على اهل الطرق الشيطانية المعروفين بالاشاير وهم السوقة وارباب الحرف المرذولة الذين ينسبون انفسهم لارباب الضرائح المشهورين كالاحمدية والرفاعية والقادرية والبرهامية ونحو ذلك واكد فى حضورهم قبل الجمع بايام ثم انهم اجتمعوا فى يوم الاحد خامس عشرينه بانواع من الطبول والزمامير والبيارق والاعلام والشراميط والخرق الملونة والمصبغة ولهم انواع من الصياح والنباح والجلبة والصراخ الهائل حتى ملؤا النواحى والاسواق وانتظموا وساروا وهم يصيحون ويترددون ويتجاوبون بالصلوات والآيات التى يحرفونها وانواع التوسلات ومناداة اشياخهم ايضا المنتسبين اليهم باسمائهم كقولهم برفع الصوت وضرب الطبلات المقدمين

المقدمين ونهب خيامهم وما فيها من الكراع واعتقلهم بحلب وهرب من سواهم وسار من يومه الى حماة فوصل اليها وهي خالية من الجند الحماة الذابين فملكها واستولى عليها ورحل عنها الى حمص وكان صاحبها قرجان بن قراجه معه في عسكره وهو الذي أشار عليه بالغدر بولد تاج الملوك فقبض عليه ونزل على حمص وحصرها وطلب من قرجان صاحبها ان يامر نوابه وولده الذين فيها بتسليمها فارسل اليهم بالتسليم فلم يقبلوا منه ولا التفتوا الى قوله فاقام عليها محاصرا لها ومقاتلا لمن فيها مدة طويلة فلم يقدر على ملكها فرحل عنها عائدا الى الموصل واستصحب معه سونج بن تاج الملوك ومن معه من الامراء الدمشقيين وترددت الرسل في اطلاقهم بينه وبين تاج الملوك واستقر الامر على خمسين ألف دينار فاجاب تاج الملوك الى ذلك ولم ينتظم بينهم أمر

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة ملك بيمند صاحب انطاكية حصن القدموس من المسلمين وفي هذه السنة أيضا وثب الاسماعيلية على عبد اللطيف بن الخجندي رئيس الشافعية باصبهان فقتلوه وكان ذا رياسة عظيمة وتحكم كثير وفي هذه السنة توفي الامام ابو الفتح اسعد بن ابي نصر الميهني الفقيه الشافعي مدرس النظامية ببغداد وله طريقة مشهورة في الخلاف وتفقه على أبي المظفر السمعاني وكان له قبول عظيم عند الخليفة والسلطان وسائر الناس وفيها توفي حمزة بن هبة الله بن محمد بن الحسن الشريف العلوي الحسني النيسابوري سمع الحديث الكثير ورواه ومولده سنة تسع وعشرين واربعمائة وجمع مع شرف النسب شرف النفس والتقوى وكان زيدي المذهب

(ثم دخلت سنة اربع وعشرين وخمسمائة)

(ذكر ملك السلطان سنجر مدينة سمرقند من محمد خان وملك محمود بن محمد خان المذكور)

في هذه السنة في ربيع الاول ملك السلطان سنجر مدينة سمرقند وسبب ذلك انه كان قد رتب فيها لما ملكها أولا ارسلان خان محمد بن سليمان بن بغراخان داود فاصابه فالج فاستناب ابنا له يعرف بنصر خان وكان شهما شجاعا وكان بسمرقند انسان علوي فقيه مدرس اليه الحل والعقد والحكم في البلد فاتفق هو ورئيس البلد على قتل نصر خان فقتلاه ليلا وكان أبوه محمد خان غائبا فعظم عليه واشتد وكان له ابن آخر غائب في بلاد تركستان فارسل اليه واستدعاه فلما قارب سمرقند خرج العلوي ورئيس البلد الى استقباله فقتل العلوي في الحال وقبض على الرئيس وكان والده ارسلان خان قد ارسل الى السلطان سنجر رسولا يستدعيه ظنا منه ان ابنه لا يتم امره مع العلوي والرئيس فتجهز سنجر وسار يريد سمرقند فلما ظفر ابن ارسلان خان بهما ندم على استدعاء السلطان سنجر فارسل اليه يعرفه انه قد ظفر بالعلوي والرئيس وانه وابنه على الطاعة ويسأله العود الى خراسان فغضب سنجر من ذلك واقام اياما فبينما هو في الصيد

وقولهم ياه وياه ويا جباوي ويا بدوي ويا دسوقي ويا بيومي ويعجبهم الكثير من الفقهاء والمتعممين والاغا المذكور راكب معهم والستر المصنوع مركب على أعواد وعليه العمامة مرفوعة بوسط الستر على خشب ومتحلقين حوله بالصياح والمقارع يمنعون ايدي الناس الذين يمدون أيديهم للتمسح والتبرك من الرجال والنساء والصبيان المتفرجين ويرمون الخرق والطرح حتى أنهم يرخونها من الطيقان بالحبال لتصل الى ذلك التمثال لينالوا جزأ من بركته ولم يزالوا سائرين به على هذا النمط والخلائق تزداد كثرة حتى وصلوا الى ذلك المشهد خارج البلدة بالقرب من كوم الجارح حيث المجراة وصنع في ذلك اليوم والليلة اطعمة واسمطة للمجتمعين وباتوا على ذلك الى ثاني يوم (وفيه) بعث عيسى اغا الواصل نجيب افندي الى الباشا يخبره بحضوره وبالغرض الذي حضر من اجله ويستدعيه للمجيء (وفي يوم الجمعة) غايته وردت اخبار بوقوع حرابة بين الباشا والمصريين وقتل بين الفريقين مقتلة عظيمة عند دجوة والبدرمان وكانت الغلبة للباشا على المصريين واخذوا منهم اسرى وحضر الى الباشا جماعة من الامراء الالفية بامان وهرب الباقون وصعدوا الى قبلي فعملوا لذلك اليوم شنكا ومدافع ثلاثة ايام كل يوم ثلاث مرات

اذرای اثنی عشر رجلا فی السلاح التام فقبض علیهم وعاقبهم فاقروا ان محمدخان
ارسلهم ليقتلوه فقتلهم ثم سار الى سمرقند فملكها عنوة ونهب بعضها ومنع من الباقى
وتحصن منه محمدخان ببعض تلك الحصون فاستنزله السلطان سنجر بامان بعد مدة فلما
نزل اليه اكرمه وارسله الى ابنته زوجة السلطان سنجر فبقى عندها الى ان توفى وأقام
سنجر بسمرقند مدة حتى اخذ المال والسلاح والخزائن وسلم البلد الى الامير حسن تكين
وعاد الى خراسان فلم يلبث حسن تكين أن مات فملك سنجر بعده عليها محمود بن محمد
خان بن سليمان بن داود المقدم ذكره وقيل ان السبب غير ما ذكرناه وسيرد ذكره سنة
ست وثلاثين للحاجة الى ذكره هناك

(ذكر فتح عماد الدين زنكى حصن الاثارب وهزيمة الفرنج)

لما فرغ عماد الدين زنكى من أمر البلاد الشامية حلب واعمالها وما ملكه وقرر قواعده
عاد الى الموصل وديار الجزيرة ليستريح عسكره ثم أمرهم بالتجهز للغزاة فتجهزوا واعدوا
واستعدوا وعاد الى الشام وقصد حلب فقوى عزمه على قصد حصن الاثارب ومحاصرته
لشدة ضرره على المسلمين وهذا الحصن بينه و بين حلب نحو ثلاثة فراسخ بينها و بين
انطاكية وكان من به من الفرنج يقاسمون حلب على جميع اعمالها الغربية حتى على
رحا اهل حلب بظاهر باب الجنان بينها و بين البلد عرض الطريق وكان اهل البلد
معهم فى ضر شديد وضيق كل يوم قد اغاروا عليهم ونهبوا اموالهم فلما راى الشهيد هذه
الحال صمم العزم على حصر هذا الحصن فسار اليه ونازله فلما علم الفرنج بذلك جمعوا
فارسهم وراجلهم وعلموا أن هذه وقعة لها ما بعدها فحشدوا وجمعوا ولم يتركوا من
طاقتهم شيئا الا واستنفدوه فلما فرغوا من أمرهم ساروا نحوه فاستشار اصحابه فيما يفعل
وكل اشار بالعود عن الحصن فان لقاء الفرنج فى بلادهم خطر لا يدرى على اى شئ
تكون العاقبة فقال لهم ان الفرنج متى راونا قد عدنا من ايديهم طمعوا وساروا فى
اثرنا وخربوا بلادنا ولا بد من لقائهم على كل حال ثم ترك الحصن وتقدم اليهم فالتقوا
واصطفوا للقتال وصبر كل فريق لخصمه واشتد الامر بينهم ثم ان الله تعالى انزل نصره
على المسلمين فظفروا وانهزم الفرنج اقبح هزيمة ووقع كثير من فرسانهم فى الاسر وقتل
منهم خلق كثير وتقدم عماد الدين الى عسكره بالانجاز وقال هذا اول مصاف عملناه معهم
فلنذقهم من باسنا ما يبقى رعبه فى قلوبهم ففعلوا ما أمرهم ولقد اجتزت بتلك الارض
سنة اربع وثمانين وخمسمائة ليلا فقيل لى ان كثيرا من العظام باق الى ذلك الوقت
فلما فرغ المسلمون من ظفرهم عادوا الى الحصن فتسلموه عنوة وقتلوا واسروا كل من فيه
واخربه عماد الدين وجعله دكا وبقى الى الآن خرابا ثم سار منه الى قلعة حارم وهى
بالقرب من انطاكية فحصرها وهى أيضا للفرنج فبذل له اهلها نصف دخل بلد حارم
وهادنوه فاجابهم الى ذلك وعاد عنهم وقد استدار المسلمون بتلك الاعمال وضعفت قوى
الكافرين وعلموا ان البلاد قد جاءها ما لم يكن لهم فى حساب وصار قصاراهم حفظ
ما بايديهم بعد ان كانوا قد طمعوا فى ملك الجميع

(واستهل شهر شعبان بيوم السبت سنة ١٢٢٠) فيه حضر الباشا وقت الغروب فى تطريدة وصحبته جماعة
قليلون وطلع من البحر من
بوطرا والمعيصرة وركب من
هناك خيولا من خيول العرب
وطلع الى القلعة على حين
غفلة فضربوا فى ذلك الوقت
مدافع اعلاما بحضوره (وفى
ثانى ليلة) صعد اليه عيسى
اغا المذكور عند الغروب وقابله
وسلم عليه (وفى يوم الاثنين
ثالثه) عمل الباشا ديوانا وركب
ذلك الاغا من بيت عثمان اغا
الوكيل الكائن بدرب
الجماميز فى موكب وطلع الى
القلعة وقرأ المرسوم الذى
وصل صحبته بالمعنى السابق
وهو الامر بالخروج الى الحجاز
والبس الباشا الخلعة والسيف
بحضرة الجمع وضربوا مدافع
كثيرة عقب ذلك (وفيه)
وردت الاخبار بمجئ يوسف
باشا والى الشام الى ثغر دمياط
وكان من خبر وروده على هذه
الصورة انه لما ظهر أمره وأتته
ولاية الشام فاقام العدل
وابطل المظالم واستقامت
أحواله وشاع أمر عدله
النسبى فى البلدان فثقل
امره على غيره من الولاة واهل
الدولة لمخالفته طرائقهم
فقصدوا عزله وقتله فارسلوا
له ولوالى مصر اوامر بالخروج
الى الحجاز فحصل التوانى
وفى اثناء ذلك حضر فرقة
من العربان الوهابيين وخرج
اليهم يوسف باشا المذكور وحصن المزيريب كما تقدم ورجع الى الشام وتفرقت الجموع ثم وصل

*(ذكر

(ذكر ملك عماد الدين زنكي أيضا مدينة سرجي ودارا)

لما فرغ من امر الاتارب وتلك النواحي عاد الى ديار الجزيرة وكان قد بلغه عن حسام الدين تمرتاش بن ايلغازي صاحب ماردين وابن عمه ركن الدولة داود بن سقمان صاحب حصن كيفا قوارص فعاد اليهم وحصر مدينة سرجي وهي بين ماردين ونصيبين فاجتمع حسام الدين وركن الدولة وصاحب آمد وغيرهم وجمعوا خلقا كثيرا من التركمان بلغت عدتهم عشرين الفا وساروا اليه فتصافوا بتلك النواحي فهزمهم عماد الدين وملك سرجي فحكى لي والدي قال لما انهزم ركن الدولة داود قصد بلد جزيرة ابن عمر ونهبه فبلغ الخبر عماد الدين فسار نحو الجزيرة واراد دخول بلد داود ثم عاد عنه لضيق مسالكه وخشونة الجبال التي في الطريق وسار الى دارا فملكها وهي من القلاع في تلك الاعمال

(ذكر وفاة الآمر وخلافة الحافظ العلوي)

في هذه السنة ثاني ذي القعدة قتل الآمر باحكام الله ابو علي بن المستعلي العلوي صاحب مصر خرج الى منتزه له فلما عاد وثب عليه الباطنية فقتلوه لانه كان سيئ السيرة في رعيته وكانت ولايته تسعا وعشرين سنة وخمسة اشهر وعمره اربعا وثلاثين سنة وهو العاشر من ولد المهدي عبيد الله الذي ظهر بسجلماسة وبنى المهدية بافريقية وهو ايضا العاشر من الخلفاء العلويين من أولاد المهدي أيضا ولما قتل لم يكن له ولد بعده فولي بعده ابن عمه الميمون عبد المجيد ابن الامير ابي القاسم بن المستنصر بالله ولم يبايع بالخلافة وانما بويع له لينظر في الامر نيابة حتى يكشف عن حمل ان كان للآمر فتكون الخلافة فيه ويكون هو نائبا عنه ومولد الحافظ بعسقلان لان اباه خرج من مصر اليها في الشدة فاقام بها فولد ابنه عبد المجيد هناك ولما ولي استوزر ابا علي أحمد بن الافضل بن بدر الجمالي واستبد بالامر وتغلب على الحافظ وحجر عليه واودعه في خزانة ولا يدخل اليه الا من يريده أبو علي وبقي الحافظ له اسم لا معنى تحته ونقل ابو علي كل ما في القصر الى داره من الاموال وغيرها ولم يزل الامر كذلك الى أن قتل ابو علي سنة ست وعشرين فاستقامت امور الحافظ وحكم في دولته وتمكن من ولايته وبلاده

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة توفيت الخاتون ابنة السلطان سنجر وهي زوجة السلطان محمود وفيها قتل بغدوين الفرنجي صاحب انطاكية وفيها توفي نصير الدين محمود بن مؤيد الملك بن نظام الملك في شعبان ببغداد ووقع الحريق في داره بعد وفاته وفي حظائر الحطب والسوق التتشي فذهب من الناس أموال كثيرة وفيها وزر الرئيس أبو الذواد المفرج بن الحسن ابن الصوفي لصاحب دمشق تاج الملوك وفيها كان الرصد بالدار السلطانية شرقي بغداد تولاه البديع الاصطرلابي ولم يتم وفيها ظهر ببغداد عقارب طيارة ذوات شوكتين فنال الناس منها خوف شديد واذى عظيم وفيها في ذي الحجة خرج الملك

عيسى أغا هذا وعلى يده مراسيم بولاية سليمان باشا على الشام وعزل يوسف باشا واشاعوا ذلك وخرج سليمان باشا تابع الجزار من عكا في جمع وخرج يوسف باشا بجموعه ايضا فتحاربا فانهزم يوسف باشا ونزل بالمزة واستعجل الرجوع الى الشام فقامت عليه عساكره ونهبوا امتاعه وخرج سليمان باشا تابع الجزار من عكا وتفرقوا عنه فاوسعه الا الفرار وترك ثقله وامواله ونزل في مركب ومعه نحو الثلاثين نفرا وحضر الى مصر ملتجئا لواليها محمد على باشا لان بينهما صداقة ومراسلات فلما وصلت الاخبار بوصوله ارسل الى ملاقاته طاهر باشا وحضر صحبته الى مصر وانزله بمنزل مطل على بركة الازبكية وعين له ما يكفيه وارسل اليه هدايا وخيولا وما يحتاج اليه (وفي هذه) الايام اختل سد ترعة الفرعونية وانفتح منه ثرم واندفع فيه الماء فضج الناس وتعين لسدها ديوان افندي واخذ معه مراكب واحجارا واخشابا وغاب يومين ثم رجع واتسع الخرق واستمر عمر بك تابع الاشقر مقيما عليها لخفارتها ولمنع مرور المراكب ويقوي ردمها لئلا تحفرها المياه فيزداد اتساع الخرق (وفي هذه الايام) توقفت زيادة النيل فكان يزيد من بعد الوفاء قليلا ثم ينقص قليلا ثم يرجع النقص وهكذا فاشار البعض بالاجتماع بالاستسقاء بالازهر فتجمع القليل ثم تفرقوا

مسعود بن محمد من خراسان وكان عند عمه السلطان سنجر ووصل الى ساوة ووقع الارجاف ان عزمه على مخالفة اخيه السلطان محمود قوى وان عمه سنجر امره بذلك فاستشعر السلطان محمود وسار عن بغداد الى همذان فلما وصل الى كرمانشاهان وصل اليه اخوه الملك مسعود وخدمه ولم يظهر للارجاف اثر فاقطعه السلطان مدينة كنجة واعمالها وسيره اليها وفيها كانت زلزلة عظيمة فى ربيع الاول بالعراق وبلاد الجبل والموصل والجزيرة فخربت كثيرا وفيها ملك السلطان محمود قلعة الموت وفيها توفى ابراهيم بن عثمان بن محمد ابو اسحق الغزى من أهل غزة مدينة بفلسطين من الشام ومولده سنة أحدى واربعين واربعمائة وهو من الشعراء المجيدين فن قوله من قصيدة يصف فيها الاتراك

فى فتية من جيوش الترك ما تركت * للرعد كراتهم صوتا ولا صيتا
قوم اذا قوبلوا كانوا ملائكة * حسنا وان قوتلوا كانوا عفاريتا

وله فى الزهد

انما هذه الحياة متاع * والسفيه الغوى من يصطفيها
ما مضى فات والمؤمل غيب * ولك الساعة التى أنت فيها

وفيها توفى الحسين بن محمد بن عبد الوهاب بن احمد بن محمد الدباس ابو عبد الله النحوى الشاعر المعروف بالبارع اخو ابى الكرم بن فاخر النحوى لامه ولد سنة ثلاث واربعين واربعمائة وله شعر مليح فمنه قوله

ردى على الكرى ثم اهجرى سكنى * فقد قنعت بطيف منك فى الوسن
لا تحسبى النوم قد اوحشت اطلبه * الا رجاء خيال منك يؤنسنى
تركتنى والهوى فردا اغالبه * ونام ليلك عن هم يؤرقنى

وهى طويلة وفيها توفى هبة الله بن القاسم بن محمد بن عطاء بن محمد أبو سعد المهروانى النيسابورى ومولده سنة احدى وثلاثين واربعمائة وكان محدثا حافظا صالحا

(ثم دخلت سنة خمس وعشرين وخمسمائة)

(ذكر اسر دبيس بن صدقة وتسليمه الى عماد الدين زنكى)

فى هذه السنة فى شعبان اسر تاج الملوك بورى بن طغتكين صاحب دمشق الامير دبيس ابن صدقة صاحب الحلة وسلمه الى أتابك الشهيد زنكى بن آقسنقر وسبب ذلك انه لما فارق البصرة على ما ذكرناه جاءه قاصد من الشام من صرخد يستدعيه اليها لان صاحبها كان خصيا فتوفى هذه السنة وخلف جارية سرية له فاستولت على القلعة وما فيها وعلمت أنها لا يتم لها ذلك الا بان تتصل برجل له قوة ونجدة فوصف لها دبيس بن صدقة وكثرة عشيرته وذكر لها حاله وما هو عليه بالعراق فارسلت تدعوه الى صرخد لتتزوج به وتسلم القلعة وما فيها من مال وغيره اليه فاخذ الادلاء معه وسار من ارض العراق الى الشام فضل به الادلاء بنواحى دمشق فنزل بناس من كلب كانوا شرقى الغوطة

وذلك يوم الثلاثاء رابعة وخرج النصارى الاقباط يستسقون ايضا واجتمعوا بالروضة وصحبتهم القساقسة والرهبان وهم راكبون الخيول والرهوانات والبغال والحمير فى تجمل زائد وصحبتهم طائفة من اتباع الباشا بالعصى المفضضة وعملوا فى ذلك اليوم سيبانة وحانات وقهوات واسمطة وسكردانات عند جميز العبد ويقولون ان النيل لما توقفت زيادته فى العام الذى قبل العام الماضى وخرج الناس يستسقون بجامع عمرو وخرج النصارى فى ثانى يوم فزاد النيل تلك الليلة وذلك لا اصل له على انه لا استغراب لازيادة فى اوانها وهذه الايام ايضا اواخر مسرى وايام النسئ وفيها قوة الزيادة وايام النوروز (وفى يوم السبت) خرج المشايخ والناس الى جامع عمرو بمصر القديمة وارسلوا تلك الليلة فجمعوا الاطفال من مصر وبولاق فحضر الكثير وخطبوا وصلوا واضر بالمجتمعين الجوع فى ذلك اليوم ولم يجدوا ما يأكلونه (وفى ثانى يوم) نقص النيل واستمر ينقص فى كل يوم (وفى يوم الخميس) ثالث عشره حضرت العساكر والتجريدة الى نواحى الآثار والبساتين ودخلوا فى صبيحة يوم الجمعة رابع عشره بطموشهم وحملاتهم حتى ضاقت بهم الارض وحضر صحبتهم الكثير من الاجناد المصرية اسرى ومستامنين (وفيه) حضر يوسف باشا المنفصل عن

الغوطة فاخذوه وحملوه الى تاج الملوك صاحب دمشق فحبسه عنده وسمع اتابك عماد الدين زنكى الخبر وكان دبيس يقع فيه و ينال منه فارسل الى تاج الملوك يطلب منه دبيسا ليسلمه اليه و يطلق ولده ومن معه من الامراء الماسورين وان امتنع من تسليمه سار الى دمشق وحصرها وخربها ونهب بلدها فاجاب تاج الملوك الى ذلك وارسل أتابك سونج بن تاج الملوك والامراء الذين معه وأرسل تاج الملوك دبيسا فايقن دبيس بالهلاك ففعل زنكى معه خلاف ماظن واحسن اليه وحمل له الاقوات والسلاح والدواب وسائر امتعة الخزائن وقدمه حتى على نفسه وفعل معه ما يفعل مع اكابر الملوك ولما سمع المسترشد بالله بقبضه بدمشق ارسل سديد الدولة بن الانبارى واباكر بن بشر الجزرى من جزيرة ابن عمر الى تاج الملوك يطلب منه ان يسلم دبيسا اليه لما كان متحققا به من عداوة الخليفة فسمع سديد الدولة بن الانبارى بتسليمه الى عماد الدين وهو فى الطريق فسار الى دمشق ولم يرجع وذم اتابك زنكى بدمشق واستخف به وبلغ الخبر عماد الدين فارسل الى طريقه من ياخذه اذا عاد فلما رجع من دمشق قبضوا عليه و على ابن بشر وحملوهما اليه فاما ابن بشر فاهانه وجرى فى حقه مكروه واما ابن الانبارى فسجنه ثم ان المسترشد بالله شفع فيه فاطلق ولم يزل دبيس مع زنكى حتى انحدر معه الى العراق على مانذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر وفاة السلطان محمود وملك ابنه داود)

فى هذه السنة فى شوّال توفى السلطان محمود ابن السلطان محمد بهمذان وكان قبل مرضه قد خاف وزيره أبو القاسم الانساباذى من جماعة من الامراء واعيان الدولة منهم عزيز الدين أبو نصر أحمد بن حامد المستوفى والامير أنوشتكين المعروف بشير كير وولده عمر وهو امير حاجب السلطان وغيرهم فاما عزيز الدين فارسله مقبوضا عليه الى مجاهد الدين بهروز بتكريت ثم قتل بها واما شيركير وولده فقتلا فى جمادى الآخرة ثم ان السلطان مرض وتوفى فى شوّال واقعد ولده الملك داود فى السلطنة باتفاق من الوزير ابى القاسم واتابكه آقسنقر الاحمديلى وخطب له فى جميع بلاد الجبل واذربيجان ووقعت الفتنة بهمذان وسائر بلاد الجبل ثم سكنت فلما اطمان الناس وسكنوا سار الوزير باموالها الى الرى فامن فيها حيث هى للسلطان سنجر وكان عمر السلطان محمود لما توفى نحو سبع وعشرين سنة وكانت ولايته للسلطنة اثنتى عشرة سنة وتسعة اشهر وعشرين يوما وكان حليما كريما عاقلا يسمع ما يكره ولا يعاقب عليه مع القدرة قليل الطمع فى أموال الرعايا عفيفا عنها كافا لاصحابه عن التطرق الى شئ منها

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة ثار الباطنية بتاج الملوك بورى بن طغتكين صاحب دمشق فجرحوه جرحين فبرأ احدهما وتنسر الآخر وبقى فيه المه الا انه يجلس للناس ويركب معهم على ضعف فيه وفيها توفى الامير ابو الحسن بن المستظهر بالله اخو المسترشد بالله فى رجب

الشام ونزل بقصر شبرا وضربوا الحضوره مدافع ثم انتقل الى الازبكية وسكن هناك كما تقدم ذكره (وفى خامس عشرينه) زاد النيل ورجع ما كان انتقصه وزاد على ذلك نحو قيراطين وثبت الى اواخر توت واطمان الناس (وفى غايته) سافر عيسى اغا بعدما قبض ما اهداه اليه الباشا له ولمخدومه من الهدايا والاكياس والتحف والسكاكر والشرابات والاقمشة الهندية وغير ذلك ونزل لتشييعه عثمان اغا الوكيل وسافر صحبته نجيب افندى (وفى اواخره) سافر سليمان بك البواب لمصالحة الامراء المنهزمين على يد حسن باشا

(واستهل شهر رمضان بيوم الاحد سنة ١٢٢٥)

فى سابع عشره قبض الباشا على المعلم غالى كبير المباشرين الاقباط والمعلم فلتيوس والمعلم جرجس الطويل والمعلم فرنسيس اخى المعلم غالى وباقى اعيان المباشرين فاما غالى وفلتيوس فنزلوا بهما تلك الليلة الى بولاق وانزلوهما فى مركب ليسافرا الى دمياط وحبسوا الباقين بالقلعة وختموا على دورهم ووجدوا عند المعلم غالى نيفا وستين جارية بيضاء وسوداء وحبشية ثم قلدوا المباشرة الى المعلم منصور ضربون الذى كان معلم ديوان الجمرك ببولاق سابقا والمعلم بشارة ورزق الله الصباغ مشاركان معه ثم انزلوا النصارى المعتقلين من القلعة الى بيت ابراهيم بك الدفتردار

وفيها فى شوال توفى الحسن بن سلمان بن عبد الله ابو على الفقيه الشافعى الواعظ مدرس النظامية ببغداد واصله من الزوزان والخطيب ابو نصر احمد بن عبد القاهر المعروف بابن الطوسى خطيب الموصل توفى فى ربيع الاول وحماد بن مسلم الدباس الرحبى الزاهد المشهور صاحب الكرامات وسمع الحديث وله اصحاب وتلامذة كثيرون ساروا ورايت الشيخ ابا الفرج بن الجوزى قد ذمه وثلبه ولهذا الشيخ اسوة بغيره من الصالحين فان ابن الجوزى قد صنف كتابا سماه تلبيس ابليس لم يبق فيه على احد من سادة المسلمين وصالحيهم وهبة الله بن محمد بن عبد الواحد بن الحصين الشيبانى الكاتب ومولده سنة اثنتين وثلاثين واربعمائة سمع ابا على بن المهذب واباطالب بن غيلان وغيرهما وهو راوى مسند احمد بن حنبل والغيلانيات وغيرها ومحمد بن الحسن ابن على بن الحسن ابو غالب الماوردى ولد سنة خمسين واربعمائة بالبصرة وسمع الحديث الكثير وروى سنن ابى داود السجستانى وكان صالحا

(ثم دخلت سنة ست وعشرين وخمسمائة)

*(ذكر قتل ابى على وزير الحافظ ووزارة يانس وموته)

فى هذه السنة فى المحرم قتل الافضل ابو على بن الافضل بن بدر الجمالى وزير الحافظ لدين الله العلوى صاحب مصر وسبب قتله انه كان قد حجر على الحافظ ومنعه ان يحكم فى شئ من الامور قليل او جليل واخذ ما فى قصر الخلافة الى داره واسقط من الدعاء ذكر اسمعيل الذى هو جدهم واليه تنتسب الاسمعيلية وهو ابن جعفر بن محمد الصادق واسقط من الاذان حى على خير العمل ولم يخطب للحافظ وامر الخطباء ان يخطبوا له بالقاب كتبها لهم وهى السيد الافضل الاجل سيد ممالك ارباب الدول والمحامى عن حوزة الدين وناشر جناح العدل على المسلمين الاقربين والابعدين ناصر امام الحق فى حالتى غيبته وحضوره والقائم بنصرته بماضى سيفه وصائب رايه وتدبيره امين الله على عباده وهادى القضاة الى اتباع شرع الحق واعتماده ومرشد دعاة المؤمنين بواضح بيانه وارشاده مولى النعم ورافع الجور عن الامم ومالك فضيلتى السيف والقلم ابو على احمد ابن السيد الاجل الافضل شاهنشاه امير الجيوش وكان امامى المذهب يكثر ذم الآمر والتناقص به فنفر منه شيعة العلويين ومماليكهم وكرهوه وعزموا على قتله فخرج فى العشرين من المحرم من هذه السنة الى الميدان يلعب بالكرة مع اصحابه فكمن له جماعة منهم مملوك افرنجى كان للحافظ فخرجوا عليه فحمل الفرنجى عليه فطعنه فقتله وحزوا راسه وخرج الحافظ من الخزانة التى كان فيها ونهب الناس دار ابى على واخذ منها ما لا يحصى وركب الناس والحافظ الى داره فاخذ ما بقى فيها وحمله الى القصر وبويع يومئذ الحافظ بالخلافة وكان قد بويع له بولاية العهد وان يكون كافلا لحمل ان كان للآمر فلما بويع بالخلافة استوزر ابا الفتح يانس الحافظى فى ذلك اليوم بعينه ولقب امير الجيوش وكان عظيم الهيبة بعيد الغور كثير

بالازبكية وفيهم جرجس الطويل واخوه ٢٨٦ حنا وجريس وفرنسيس اخو غالى ويعقوب كاتبه وغيرهم واشباه وامثال حسابهم ثم دار الشغل وسعت الساعون فى المصالحة على غالى ورفقائه الى ان تم الامر على اربعة وعشرين الف كيس ونزل له فرمان الرضا والخلع والبشائر وذلك فى آخر رمضان

(واستهل شهر شوال بيوم الثلاثا سنة ١٢٢٥)

فيه نزلت طبلخانة الباشا الى بيت المعلم غالى واستمروا يضربون النوبة التركية ثلاثة ايام العيد ببيته وكذلك الطبل الشامى وباقى الملاعيب وترمى لهم الخلع والبقاشيش (وفى سابعه) حضر المعلم غالى وطلع الى القلعة وخلع عليه الباشا خلع الرضا والبسه فروة سمور وانعم عليه ونزل له عن اربعة آلاف كيس من اصل الاربعة وعشرين الف كيس المطلوبة فى المصالحة ونزل الى داره وامامه الجاويشية والاتباع بالعصى المفضضة وجلس بمدكة داره واقبل عليه الاعيان من المسلمين والنصارى للسلام عليه والتهنئة له بالقدوم المبارك واما المعلم منصور ضربون فجبروا خاطره بان قيدوه بخدمة بيت ابراهيم بك ابن الباشا الدفتردار وقيدوا رفيقه فى خدم اخرى (وفى يوم الخميس) عاشر شوال حضر شاهين بك الالفى ومن معه الى مصر ونصب وطاقه بناحية الشر

الشر فخافه الحافظ على نفسه وتخيل منه بأس فاحتاط ولم يأكل عنده شيئا ولا شرب فاحتال عليه الحافظ بان وضع له فراشه في بيت الطهارة ماء مسموما فاغتسل به فوقع الدود في سفله وقيل له متى قمت من مكانك هلكت فكان يعالج بان يجعل اللحم الطرى في المحل فيعلق به الدود فيخرج ويجعل عوضه فقارب الشفاء فقيل للحافظ انه قد صلح وان تحرك هلك فركب اليه الحافظ كانه يعوده فقام له ومشى بين يديه وقعد الحافظ عنده ثم خرج من عنده فتوفي من ليلته وكان موته في السادس والعشرين من ذي الحجة من هذه السنة ولما مات يانس استوزر الحافظ ابنه حسنا وخطب له بولاية العهد وسيرد ذكر قتله سنة تسع وعشرين وانما ذكرت القاب ابي على تعجبا منها ومن حماقة ذلك الرجل فان وزير صاحب مصر وحدها اذا كان هكذا فينبغي ان يكون وزير السلاطين السلجوقية كنظام الملك وغيره يدعون الربوبية على ان تربة مصر هكذا تولد الاترى الى فرعون يقول انا ربكم الاعلى والى اشياء اخر لا نطيل بذكرها

(ذكر حال السلطان مسعود والملكين سلجوقشاه وداود واستقرار السلطنة بالعراق لمسعود)

لما توفي السلطان محمود ابن السلطان محمد وخطب ببلاد الجبل واذربيجان لولده الملك داود على ما ذكرناه سار الملك داود من همذان في ذي القعدة من سنة خمس وعشرين الى زنجان فاتاه الخبر ان عمه السلطان مسعودا قد سار من جرجان ووصل الى تبريز واستولى عليها فسار الملك داود اليه وحصره بها وجرى بينهما قتال الى سلخ المحرم سنة ست وعشرين ثم اصطلحا وتأخر الملك داود مرحلة وخرج السلطان مسعود من تبريز واجتمعت عليه العساكر وسار الى همذان وارسل يطلب الخطبة ببغداد وكانت رسل الملك داود قد تقدمت في طلب الخطبة فاجاب المسترشد بالله ان الحكم في الخطبة الى السلطان سنجر من اراد خطب له وارسل الى السلطان سنجر ان لا يأذن لاحد في الخطبة فان الخطبة ينبغي ان تكون له وحده فوقع ذلك منه موقعا حسنا ثم ان السلطان مسعودا كاتب عماد الدين زنكي صاحب الموصل وغيرها يستنجده ويطلب مساعدته فوعده النصر فقويت بذلك نفس مسعود على طلب السلطنة ثم ان الملك سلجوقشاه ابن السلطان محمد سار به اتابكه قراجة الساقي صاحب فارس وخوزستان في عسكر كثير الى بغداد فوصل اليها قبل وصول السلطان مسعود ونزل في دار السلطان واكرمه الخليفة واستحلفه لنفسه ثم وصل رسول السلطان مسعود يطلب الخطبة ويتهدد ان منعها فلم يجب الى ما طلبه فسار حتى نزل عباسية الخالص وبرز عسكر الخليفة وعسكر سلجوقشاه وقراجة الساقي نحو مسعود الى ان يفرغ من حرب أتابك عماد الدين زنكي وسار يوما وليلة الى المعشوق وواقع عماد الدين زنكي فهزمه وأسر كثيرا من اصحابه وسار زنكي منهزما الى تكريت فعبر فيها دجلة وكان الدزدار بها حينئذ نجم الدين أيوب فاقام له المعابر فلما عبر امن الطلب وسار الى بلاده لاصلاح حاله وحال رجاله وهذا

البساتين وذلك بعد ان تمموا الصلح على يد حسن باشا بواسطة سليمان بك البواب فلما استقر بخيامه وعرضيه بمصر حضر مع رفقائه وقابل الباشا وهو ببيت الازبكية فبش في وجهه فقال شاهين بك نرجو سماح افندينا وعفوه عما اذنبناه فقال نعم من قبل مجيئكم بزمان وهو مصرلهم على كل كريهة واخلى له بيت محمد كتخدا الاشقر بجوار طاهر باشا بالازبكية وفرشوه ونظموه ووعده برجوعه الى الجيزة في مناصبه كما كان حتى يتحول منها محرم بك صهر الباشا لانه عند انتقال شاهين بك من الجيزة عدى اليها محرم بك بحريمه وهي ابنة الباشا وسكن القصر بعسكره وكذلك اسكن كبار اتباعه وخواصه القصور التي كان يسكنها الالفية وكذلك البيوت والدور فوعده بالرجوع الى محله وظن بخسافة عقله صحة ذلك وحضر صحبة شاهين بك جملة من العسكر والدلاة وغيرهم واستمرت حملاتهم وامتعتهم تدخل الى المدينة ارسالا في عدة ايام (وفي يوم الجمعة) عمل الباشا ديوانا بالازبكية في بيت ابنه ابراهيم بك الدفتردار واجتمع عنده المشايخ والوجاقلية وغيرهم فتكلم الباشا وقال يا احبابنا لا يخفاكم احتياجي الى الاموال الكثيرة لنفقات العساكر والمصاريف والمهمات والايراد لا يكفي ذلك فلزم الحال لتقرير الفرض على البلاد والاطيان وقد اجحف

ذلك باهاليها حتى جلت وخربت القرى وتعطلت المزارع وبارت الاطيان ولا يكتفى وقع ذلك بالكلية
والقصدان تدبروا لنا تدبيرا وطريقا لتحصيل المال من غير ضرر ولا اجحاف على اهل القرى وتعود مصلحة التدبير عليه وعلينا فقال الجميع الراى لك فقال انى فوضت الراى فى تدبير الامور السابقة لجماعة الكتبة وهم الافندية والاقباط فوجدت الجميع خائنين وانى دبرت رايا لا تدخله التهمة وهو ان من المعلوم أن جميع الحصص لها سندات ومعين بها مقدار الميرى والفائظ فنقرر على كل حصة قدر ميريها وفائظها اما سنة أو سنتين فلا يضر ذلك بالملتزمين ولا بالفلاحين فانتبذ ايوب كتخدا الفلاح وهو كبير الاختيارية وقال لكن يا أفندينا الى مساواة الناس فان حصص كثير من المشايخ مرفوع ماعليها من المغارم و يرجع تتميم الغرامة على حصص الشركاء فنتق من كلامه الشيخ الشرقاوى وقال له انت رجل سوء وثار عليه باقى المشايخ الحاضرين وزاد فيهم الصياح فقام الباشا من المجلس وتركهم وذهب بعيدا عنهم وهم يترادون ويتشاجرون فارسل اليهم الباشا الترجمان وقال انكم شوشتم على الباشا وتكدر خاطره من صياحكم فسكتوا وقاموا من المجلس وذهبوا الى دورهم وهم منفعلون المزاج

الفعل من نجم الدين أيوب كان سبب الاتصال به والمصير فى جملته حتى آل بهم الامر الى ملك مصر والشام وغيرهما على ما نذكره واما السلطان مسعود فانه سار من العباسية الى الملكية ووقعت الطلائع بعضها على بعض ثم لم تزل المناوشة تجرى بينه وبين أخيه سلجوقشاه يومين وارسل سلجوقشاه الى قراجة يستحثه على المبادرة فعاد سريعا وعبر دجلة الى الجانب الشرقى فلما علم السلطان مسعود بانهزام عماد الدين زنكى رجع الى ورائه وارسل الى الخليفة يعرفه وصول السلطان سنجر الى الرى وانه عازم على قصد الخليفة وغيره وان رأيتم ان نتفق على قتاله ودفعه عن العراق ويكون العراق لوكيل الخليفة فانا موافق على ذلك فاعاد الخليفة الجواب يستوقفه وترددت الرسل فى الصلح فاصطلحوا على ان يكون العراق لوكيل الخليفة وتكون السلطنة لمسعود ويكون سلجوقشاه ولى عهده وتحالفوا على ذلك وعاد السلطان مسعود الى بغداد فنزل بدار السلطان ونزل سلجوقشاه فى دار الشحنكية وكان اجتماعهم فى جمادى الاولى

(ذكر الحرب بين السلطان مسعود وعمه السلطان سنجر)

لما توفى السلطان محمود سار السلطان سنجر الى بلاد الجبال ومعه الملك طغرل ابن السلطان محمد وكان عنده قد لازمه فوصل الى الرى ثم سار منها الى همذان فوصل الخبر الى الخليفة المسترشد بالله والسلطان مسعود بوصوله الى همذان فاستقرت القاعدة بينهما على قتاله وان يكون الخليفة معهم وتجهز الخليفة فتقدم قراجة الساقى والسلطان مسعود وسلجوقشاه نحو السلطان سنجر وتاخر المسترشد بالله عن المسير معهم فارسل الى قراجة والزمه وقال ان الذى تخاف من سنجر آجلا أنا أفعله عاجلا فبرز حينئذ وسار على تريث وتوقف الى أن بلغ الى خانقين وأقام بها وقطعت خطبة سنجر من العراق جميعه ووصلت الاخبار بوصول عماد الدين زنكى ودبيس بن صدقة الى قريب بغداد فاما دبيس فانه ذكر ان السلطان سنجر أقطعه الحلة وارسل الى المسترشد بالله يضرع ويسال الرضا عنه فامتنع من اجابته الى ذلك واما عماد الدين زنكى فانه ذكر ان السلطان سنجر قد اعطاه شحنكية بغداد فعاد المسترشد بالله الى بغداد وامر اهلها بالاستعداد للمدافعة عنها وجند اجنادا جعلهم معهم ثم ان السلطان مسعودا وصل الى دادمرج فلقيهم طلائع السلطان سنجر فى خلق كثير فتاخر السلطان مسعود الى كرمانشاهان ونزل السلطان سنجر فى اسداباذ فى مائة ألف فارس فسار مسعود وأخوه سلجوقشاه الى جبلين يقال لهما كاو وماهى فنزلا بينهما ونزل السلطان سنجر كنكور فلما سمع بانحرافهم اسرع فى طلبهم فرجعوا الى ورائهم مسيرة اربعة أيام فى يوم وليلة فالتقى العسكران بعولان عند الدينور وكان مسعود يدافع الحرب بانتظار القدوم المسترشد فلما نازله السلطان سنجر لم يجد بدا من المصاف وجعل سنجر على ميمنته طغرل ابن أخيه محمد وقماج واميراميران وعلى ميسرته خوارزمشاه اتسز بن محمد مع جمع من الامراء وجعل مسعود على ميمنة قراجة الساقى والامير قزل وعلى ميسرته يرنقش بازدار و يوسف

جاووش وغيرهما وكان قزل قد واطأ سنجر على الانهزام ووقعت الحرب وقامت على ساق وكان يوما مشهودا فحمل قراجة الساقي على القلب وفيه السلطان سنجر في عشرة آلاف فارس من شجعان العسكر وبين يديه الفيلة فلما حمل قراجة على القلب رجع الملك طغرل وخوارزمشاه الى وراء ظهره فصار قراجة في الوسط فقاتل الى ان جرح عدة جراحات وقتل كثير من اصحابه واخذوا سيرا وبه جراحات كثيرة فلما رأى السلطان مسعود ذلك انهزم وسلم من المعركة وقتل يوسف جاووش وحسين أزبك وهما من اكابر الامراء وكانت الوقعة ثامن رجب من هذه السنة فلما تمت الهزيمة على مسعود نزل سنجر وا حضر قراجة فلما حضر قراجة سبه وقال له يا مفسد أي شئ كنت ترجو بقتالي قال كنت ارجو ان أقتلك وا قيم سلطانا أحكم عليه فقتله صبرا وارسل الى السلطان مسعود يستدعيه فحضر عنده وكان قد بلغ خونج فلما رآه قبله واكرمه وعاتبه على العصيان عليه ومخالفته واعاده الى كنجة واجلس الملك طغرل ابن اخيه محمد في السلطنة وخطب له في جميع البلاد وجعل في وزارته ابا القاسم الانساباذي وزير السلطان محمود وعاد الى خراسان فوصل الى نيسابور في العشرين من رمضان سنة ست وعشرين واما المسترشد بالله فكان منه ما نذكره

(ذكر مسير عماد الدين زنكي الى بغداد وانهزامه)

لما سار المسترشد بالله من بغداد وبلغه انهزام السلطان مسعود عزم على العود الى بغداد فاتاه الخبر بوصول عماد الدين زنكي الى بغداد ومعه دبيس بن صدقة وكان السلطان سنجر قد كاتبهما وامرهما بقصد العراق والاستيلاء عليه فلما علم الخليفة بذلك اسرع العود اليها وعبر الى الجانب الغربي وسار فنزل بالعباسية ونزل عماد الدين بالمنارية من دجيل والتقيا بحصن البرامكة سابع عشري رجب فابتدأ زنكي فحمل على ميمنة الخليفة وبها جمال الدولة اقبال فانهزموا منه وحمل نظر الخادم من ميسرة الخليفة على ميمنة عماد الدين ودبيس وحمل الخليفة بنفسه واشتد القتال فانهزم دبيس واراد عماد الدين الصبر فرأى الناس قد تفرقوا عنه فانهزم ايضا وقتل من العسكر جماعة واسر جماعة وبات الخليفة هناك ليلته وعاد من الغد الى بغداد

(ذكر حال دبيس بعد الهزيمة)

وفيها عاد دبيس بعد انهزامه المذكور يلوذ ببلاد الحلة وتلك النواحي وجمع جمعا وكانت تلك الولاية بيد اقبال المسترشدي فامد بعسكر من بغداد فالتقى هو ودبيس فانهزم دبيس واختفى في أجمة هناك وبقي ثلاثة أيام لم يطعم شيئا ولم يقدر على التخلص منها حتى أخرجه جمال على ظهره ثم جمع جمعا وقصد واسط وانضم اليه عسكرها وبختيار وشاق وابن أبي الجبر ولم يزل فيها الى ان دخلت سنة سبع وعشرين فنفذ اليهم برنقش بازدار واقبال الخادم المسترشدي في عسكر فاقتتلوا في الماء والبر فانهزم الواسطيون ودبيس وأسر بختيار وشاق وغيره من الامراء

(ذكر وفاة تاج الملوك صاحب دمشق)

واعلى كلام أيوب كتخدا وافق غرض الباشا أو هو باغرائه ثم شرعوا في تحرير الدفاتر وتبديل الكيفيات وكان في العزم أولا ان يجعلها على ذمم الاطيان شارقا وغارقا بما فيها من الاوسية التي للملتزمين والارزاق ومسموح مشايخ البلاد وذكر ذلك في المجالس فقيل له ان الاوسية معايش الملتزمين والرزق قسمان قسم داخل في زمام اطيان البلد ومحسوب في مساحة فلاحتها وقسم خارج عن زمامها والقسمان من الارصادات على الخيرات وعلى جهات البر والصدقة والمساجد والاسبلة والمكاتب والاحواض لسقي الدواب وغير ذلك فيلزم منه ابطال هذه الخيرات وتعطيلها فقال الباشا ان المساجد غالبها متخرب ومتهدم فقالوا له عليك بالفحص والتفتيش والزام المتولي على المسجد بعمارته اذا كان ايراده رائجا الى آخر ما قيل (وفي يوم الاثنين حادي عشرينه) قتلوا شخصا من الاجناد الالفية وقطعوا رأسه بباب الخرق بسبب انه قتل زوجته من غير جرم يوجب قتلها

(واستهل شهر ذي القعدة بيوم الاربعاء سنة ١٢٢٠)

(في ثانيه) سافر الباشا الى ثغر سكندرية ليكشف على عمارة الابراج والاسوار ويبيع الغلال التي جمعها من البلاد في الفرض التي فرضت عليهم وكذلك ما أحضره من البلاد القبلية فجمعوا المراكب وشحنوها بالغلال وأرسلها

الى الاسكندرية ليبيعها على الافرنج فيباع عليهم أزيد من مائتى الف اردب كل أردب بمائة قرش وسعرها بمصر ثمانية عشر قرشا وهو لم يشترها ولم تكن عليه بمال بل اخذها من زراعات الفلاحين من اصل مافرضه عليهم من الظلم مع تطفيف الكيل عليهم والزامهم بكلفة شيله واجرة نقله الى المحل الذى يلزمونهم بوضعه فيه واخذ من الافرنج فى ثمنه أصناف النقود من الذهب المشخص البندقى والمجر والفرانسه وعروض البضائع من الجوخ المتنوعة والدودة التى يقال لها القرمز والقزدير واصناف البضائع الافرنكية واحدث وهو بالاسكندرية احداثا ومكوسا

(واستهل شهر ذى الحجة الحرام بيوم الاحد سنة ١٢٢٠)

فى ثانى عشرينه حضر الباشا من الاسكندرية الى مصر وذلك يوم الجمعة اواخر النهار وحضر فى العشية الى بيت الازبكية وبات عند حريمه وطلع فى صبح يوم السبت الى القلعة وضربوا مدافع كثيرة لحضوره وبذلك علم الناس حضوره وانقضت السنة بحوادثها التى قصصنا بعضها اذ لا يمكن استيفاؤها لتباعد عن مباشرة الامور وعدم تحققها على الصحة وتحريف النقلة وزيادتهم ونقصهم فى الرواية فلا اكتب حادثة حتى اتحقق صحتها بالتواتر والاشتهار وغالبها من الامور الكلية التى لا تقبل الكثير من التحريف ورب ما أخرت الخلاف

فى هذه السنة فى رجب توفى تاج الملوك بورى بن طغتكين صاحب دمشق وسبب موته ان الجرح الذى كان به من الباطنية وقد ذكرناه اشتد عليه الآن واضعفه واسقط قوته فتوفى فى الحادى والعشرين من رجب ووصى بالملك بعده لولده شمس الملوك اسمعيل ووصى بمدينة بعلبك واعمالها لولده شمس الدولة محمد وكان بورى كثير الجهاد شجاعا مقداما سد مسد أبيه وفاق عليه وكان ممدحا أكثر الشعراء مدائحه لا سيما ابن الخياط وملك بعده ابنه شمس الملوك وقام بتدبير الامر بين يديه الحاجب يوسف بن فيروز شحنة دمشق وهو حاجب أبيه واعتمد عليه وابتدأ امره بالرفق بالرعية والاحسان اليهم فكثر الدعاء له والقصاد عليه

(ذكر ملك شمس الملوك حصن اللبوة وحصن رأس وحصره بعلبك)

فى هذه السنة ملك شمس الملوك اسمعيل صاحب دمشق حصن اللبوة وحصن راس وسبب ذلك انهما كانا لابيه تاج الملوك وفى كل واحد منهما مستحفظ يحفظه فلما ملك شمس الملوك بلغه ان أخاه شمس الدولة محمدا صاحب بعلبك قد راسلهما واستمالهما اليه فسلما الحصنين اليه وجعل فيهما من الجند ما يكفيهما فلم يظهر بذلك أثر بل راسل أخاه بلطف يقبح هذه الحال ويطلب ان يعيدهما اليه فلم يفعل فاغضى على ذلك وتجهز من غير ان يعلم احد وسار هو وعسكره آخر ذى القعدة فطلب جهة الشمال ثم عاد مغربا فلم يشعر من بحصن اللبوة الا وقد نزل عليهم وزحف لوقته فلم يتمكنوا من نصب منجنيق ولا غيره فطلبوا الامان فبذله لهم وتسلم الحصن من يومه وسار من آخر النهار الى حصن رأس فبغتهم وجرى الامر فيه على تلك القضية وتسلمه وجعل فيهما من يحفظهما ثم رحل الى بعلبك وحصرها وفيها اخوه شمس الدولة محمد وقد استعد وجمع فى الحصن ما يحتاج اليه من رجال وذخائر فحصرهم شمس الملوك وزحف فى الفارس والراجل وقاتله اهل البلد على السور ثم زحف عدة مرات فملك البلد بعد قتال شديد وقتلى كثيرة وبقى الحصن فقاتله وفيه اخوه ونصب المجانيق ولازم القتال فلما راى اخوه شمس الدولة شدة الامر ارسل يبذل الطاعة ويسال ان يقر على ما بيده وجعله ابوه باسمه فاجابه الى مطلوبه واقر عليه بعلبك واعمالها وتحالفوا وعاد شمس الملوك الى دمشق وقد استقامت له الامور

(ذكر الحرب بين السلطان طغرل والملك داود)

فى هذه السنة فى رمضان كانت الحرب بين الملك طغرل وبين ابن اخيه الملك داود بن محمود وكان سببها ان السلطان سنجر اجلس الملك طغرل فى السلطنة كما ذكرناه وعاد الى خراسان لانه بلغه ان صاحب ما وراء النهر احمدخان قد عصى عليه فبادر الى العود لتلافى ذلك الخرق فلما عاد الى خراسان عصى الملك داود على عمه طغرل وخالفه وجمع العساكر باذربيجان وبلاد كنجة وسار الى همذان فنزل مستهل رمضان عند قرية يقال لها وهان بقرب همذان وخرج اليه طغرل وعبى كل واحد منهما اصحابه ميمنة وميسرة وكان على ميمنة السلطان طغرل ابن برسق وعلى ميسرته قزل وعلى مقدمته قراسنقر وكان على ميمنة داود يرنقش الزكوى ولم يقاتل فلما راى التركمان ذلك نهبوا خيمه وبركه جميعه ووقع

الخلف في عسكر داود فلما راى اتابك آقسنقر الاحمديلى ذلك ولى هاربا وتبعه الناس في الهزيمة وقبض طغرل على برنقش الزكوى وعلى جماعة من الامراء واما الملك داود فانه لما انهزم بقى متحيرا الى اوائل ذى القعدة فقدم بغداد ومعه اتابك آقسنقر الاحمديلى فاكرمه الخليفة وانزله بدار السلطان وكان الملك مسعود بكنجة فلما سمع انهزام الملك داود توجه نحو بغداد على ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة قبض المسترشد بالله على وزيره شرف الدين على بن طراد الزينبي واستوزر انوشروان بن خالد بعد ان امتنع وسال الاقالة وفي هذه السنة قتل أحمد بن حامد بن محمد ابو نصر مستوفي السلطان محمود الملقب بالعزيز بقلعة تكريت وقد تقدم سبب ذلك سنة خمس وعشرين وفي المحرم منها قتل محمد بن محمد بن الحسين ابو الحسين بن أبي يعلى ابن الفراء الحنبلي مولده في شعبان في سنة احدى وخمسين واربعمائة وسمع الحديث من الخطيب ابي بكر وابن الحسين بن المهتدي وغيرهما وتفقه قتله اصحابه غيلة واخذوا ماله وفي جمادي الاولى توفي احمد بن عبيد الله بن كادش ابو العز العكبرى وكان محدثا مكثرا وتوفي فيها ابو الفضل عبد الله بن المظفر بن رئيس الرؤساء وكان اديبا وله شعر حسن فمنه ما كتبه الى جلال الدين بن صدقة الوزير

امولانا جلال الدين يا من * اذكره بخدمتي القديمه
المرتك قد عزمت على اصطناعي * فاذا صدعن تلك العزيمه

(ثم دخلت سنة سبع وعشرين وخمسمائة)

(ذكر ملك شمس الملوك بانياس)

في هذه السنة في صفر ملك شمس الملوك صاحب دمشق حصن بانياس من الفرنج وسبب ذلك أن الفرنج استضعفوه وطمعوا فيه وعزموا على نقض الهدنة التى بينهم فتعرضوا الى أموال جماعة من تجار دمشق بمدينة بيروت وأخذوها فشكا التجار الى شمس الملوك فراسل في اعادة ما أخذوه وكرر القول فيه فلم يردوا شيئا فحملته الانفة من هذه الحالة والغيظ على ان جمع عسكره وتاهب ولا يعلم أحد أين يريد ثم سار وسبق خبره أواخر المحرم من هذه السنة ونزل على بانياس أول صفر وقاتله ساعته وزحف اليه زحفا متتابعا وكانوا غير متاهبين وليس فيه من المقاتلة من يقوم به وقرب من سور المدينة وترجل بنفسه وتبعه الناس من الفارس والراجل ووصلوا الى السور فنقبوه ودخلوا البلد عنوة والتجا من كان من جند الفرنج الى الحصن وتحصنوا به فقتل من البلد كثيرا من الفرنج واسر كثيرا ونهبت الاموال وقاتل القلعة قتالا شديدا ليلا ونهارا فملكها رابع صفر بالامان وعاد الى دمشق فوصلها سادسه وأما الفرنج فانهم لما سمعوا نزوله على بانياس شرعوا يجمعون عسكرا يسيرون به اليه فاتاهم خبر فتحها فبطل ما كانوا فيه

(ذكر حرب بين المسلمين والفرنج)

في هذه السنة في صفر سار ملك الفرنج صاحب البيت المقدس في خيالته ورجالته الى

قيد حادثة حتى اثبتها او يحدث غيرها وانساها فاكتبها في طيارة حتى اقيدها في محلها ان شاء الله تعالى عند تهذيب هذه الكتابة وكل ذلك من تشويش البال وتكدر الحال وهم العيال وكثرة الاشتغال وضعف البدن وضيق العطن (ومن حوادثها) احداث عدة مكوس زيادة على ما احدث على الارز والكتان والحرير والحطب والملح وغير ذلك مما لم يصل الينا خبره حتى غلت أسعارها الى الغاية وكان سعر الدرهم الحرير نصفين فصار بخمسة عشر نصفا وكنا نشترى القنطار من الحطب الرومي في اوانه بثلاثين نصفا وفي غير أوانه باربعين نصفا فصار بثلثمائة نصف وكان الملح ياتي من ارضه بثمن القفاف التى يوضع فيها لا غير ويبيعه الذين ينقلونه الى ساحل بولاق الاردب بعشرين نصفا واردبه ثلاثة أرادب ويشتريه المسبب بمصر بذلك السعر لان اردبه أردبان ويبيعه ايضا بذلك السعر ولكن اردبه واحد فالتفاوت في الكيل لا في السعر فلما احتكر صار الكيل لا يتفاوت وسعره الآن اربعمائة وخمسون نصفا والتزم به من التزم واوقف رجاله في موارده البحرية لمنع من ياخذ منه شيئا من المراكب المارة بالسعر الرخيص من اربابه ويذهب به الى قبلي او نحو ذلك (ومنها) وهي من الحوادث الغريبة انه ظهر بالتل الكائن خارج رأس الصوة المعروفة

اطراف أعمال حلب فتوجه اليه الامير اسوار النائب بحلب فيمن عنده من العسكر وانضاف اليه كثير من التركمان فاقتتلوا عند قنسرين فقتل من الطائفتين جماعة كثيرة وانهزم المسلمون الى حلب وتردد ملك الفرنج فى اعمال حلب فعاد اسوار وخرج اليه فيمن معه من العسكر فوقع على طائفة منهم فاوقع بهم واكثر القتل فيهم والاسر فعاد من سلم منهزما الى بلادهم وانجبر ذلك المصاب بهذا الظفر ودخل أسوار حلب ومعه الاسرى ورؤس القتلى وكان يوما مشهودا ثم ان طائفة من الفرنج من الرها قصدوا أعمال حلب للغارة عليها فسمع بهم اسوار فخرج اليهم هو والامير حسان البعلبكي فاوقعوا بهم وقتلوهم عن آخرهم فى بلد الشمال واسروا من لم يقتل ورجعوا الى حلب سالمين

(ذكر عود السلطان مسعود الى السلطنة وانهزام الملك طغرل)

قد تقدم ذكر انهزام السلطان مسعود من عمه السلطان سنجر وعوده الى كنجة وولاية الملك طغرل السلطنة وانه تحارب هو والملك داود ابن اخيه محمود وانهزام داود ودخوله بغداد فلما بلغ السلطان مسعودا انهزام داود وقصده بغداد سار هو الى بغداد ايضا فلما قاربها لقيه داود وترجل له وخدمه ودخلا بغداد ونزل مسعود بدار السلطنة فى صفر من هذه السنة وخاطب فى الخطبة له فاجيب الى ذلك وخطب له ولداود بعده وخلع عليهما ودخلا الى الخليفة فاكرمهما ووقع الاتفاق على مسير مسعود وداود الى اذربيجان وان يرسل الخليفة معهما عسكرا فساروا فلما وصلوا الى مراغة حمل آقسنقر الاحمديلي مالا كثيرا واقامة عظيمة وملك مسعود سائر بلاد اذربيجان وانهزم من بها من الامراء مثل قراسنقر وغيره من بين يديه وتحصن منهم كثير بمدينة اردبيل فقصدهم وحصرهم بها وقتل منهم مقتلة عظيمة وانهزم الباقون ثم سار بعد ذلك الى همذان لمحاربة اخيه الملك طغرل ولما سمع طغرل بقربه برز الى لقائه فاقتتلوا الى الظهر ثم انهزم طغرل وقصد الرى واستولى السلطان مسعود على همذان فى شعبان ولما استقر مسعود بهمذان قتل آقسنقر الاحمديلي قتله الباطنية فقيل ان السلطان مسعودا وضع عليه من قتله ثم ان طغرل لما بلغ قم عاد الى اصبهان ودخلها واراد التحصن بها فسار اليه اخوه مسعود ليحاصره بها فراى طغرل ان اهل اصبهان لا يطاوعونه على الحصار فرحل عنهم الى بلاد فارس واستولى مسعود على اصبهان وفرح اهلها به وسار من اصبهان نحو فارس يقتص اثر اخيه طغرل فوصل الى موضع بقرب البيضاء فاستامن اليه امير من امراء اخيه ومعه اربعمائة فارس فامنه فخاف طغرل من عسكره ان ينحازوا الى اخيه فانهزم من بين يديه وقصد الرى فى رمضان وقتل وزيره ابا القاسم الانساباذى فى الطريق وفى شوال قتله غلمان الامير شيركير الذى سعى فى قتله كما تقدم ذكره وسار السلطان مسعود يتبعه فلحقه بموضع يقال له دكراور فوقع بينهما المصاف هناك فلما اشتبكت الحرب انهزم الملك طغرل فوقع عسكره فى أرض قد نضب عنها الماء وهى وحل فاسر منهم جماعة من الامراء منهم الحاجب تنكرواين بغرا فاطلقهم السلطان مسعود ولم يقتل فى هذا المصاف الا نفر يسير ورجع السلطان مسعود الى همذان

(تم الجزء العاشر ويليه الجزء الحادى عشر اوله ذكر حصر المسترشد بالله الموصل)

الآن بالحطابة قبالة الباب المعروف بباب الوزير فى وهدة بين التلول نار كامنة بداخل الاتربة واشتهر أمرها وشاع ذكرها وزاد ظهورها فى اواخر هذه السنه فيظهر من خلال التراب ثقب ويخرج منها الدخان بروائح مختلفة كرائحة الخرق البالية وغير ذلك وكثر ترداد الناس للاطلاع عليها افواجا افواجا نساء ورجالا واطفالا فيمشون عليها وحولها ويجدون حرارتها تحت ارجلهم فيحفرون قليلا فتظهر النار مثل نار الدمس فيقربون منها الخرق والحلفاء ونحو ذلك فتمدق فيها النار وتورى ويصعد منها الدخان وان غوصوا فيها خشبة او قصبة احترقت ولما شاع ذلك واخبروا بها كتخدا بك نزل اليها بجمع من اكابره واتباعه وغيرهم وشاهد ذلك فامروا الى الشرطة بصب الماء عليها واهالة الاتربة من اعالى التل فوقها ففعلوا ذلك واحضروا السقائين وصبوا عليها بالقرب ماء كثيرا واهالوا عليها الاتربة وبعد يومين صارت الناس المتجمعة والاطفال يحفرون تحت ذلك الماء المصبوب قليلا فتظهر النار ويظهر دخانها فيقربون منها الخرق والحلفاء واليدكات فتورى وتدخن واستمر الناس يغدون ويروحون للفرجة عليها نحو شهرين وشاهدت ذلك فى جملتهم ثم بطل ذلك

